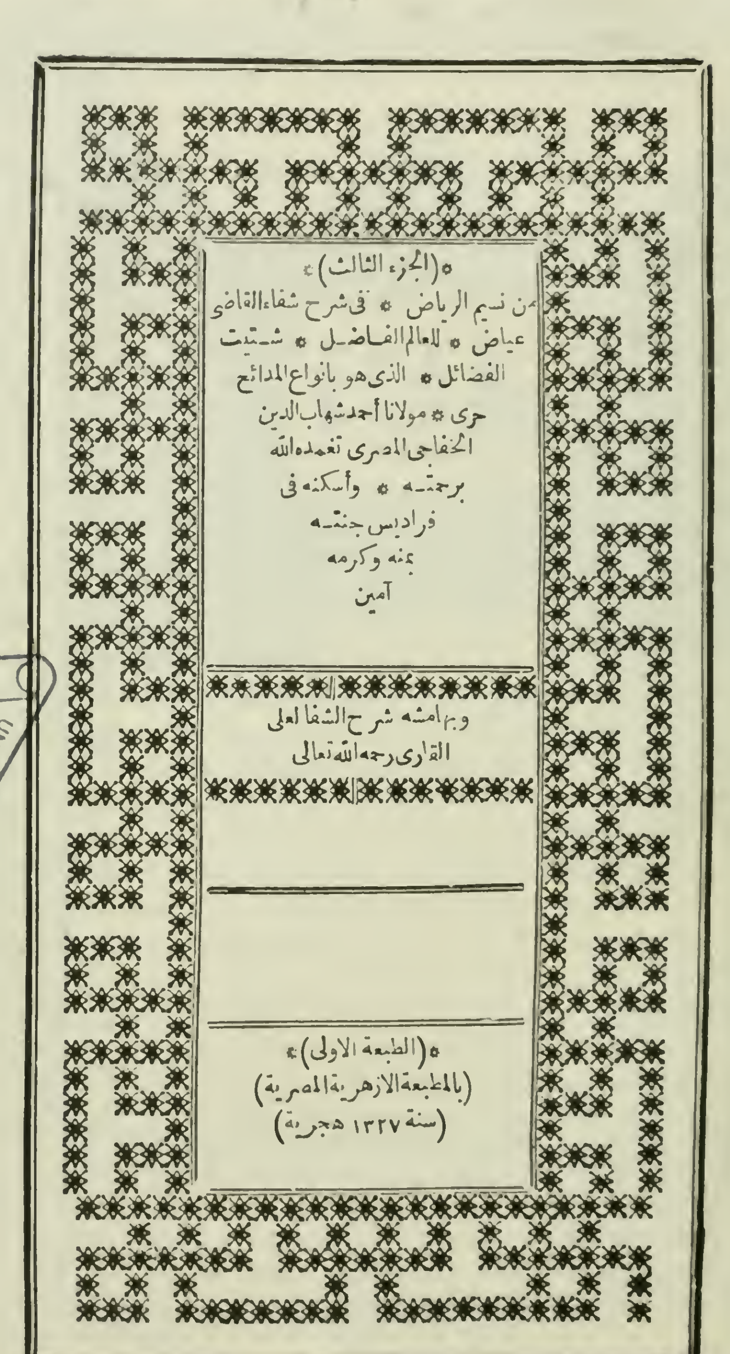
Nasim al riyad vol.3

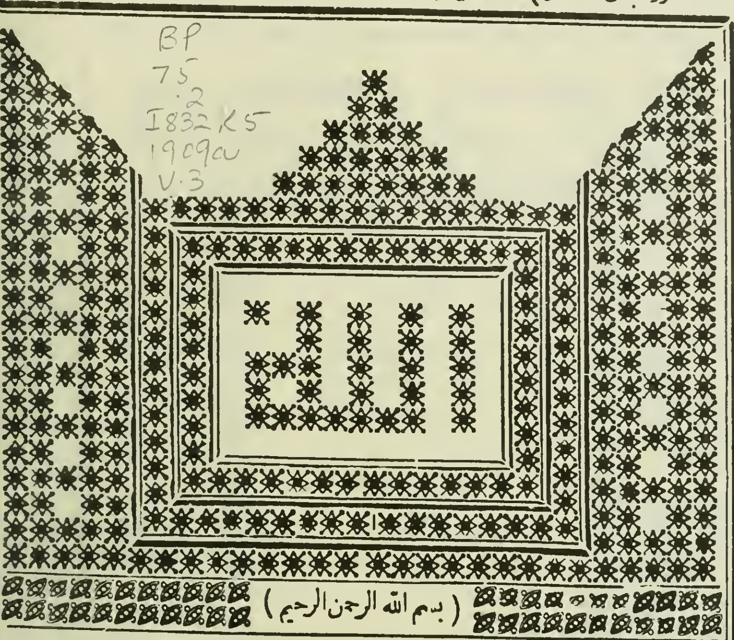


(الجزء الثالث)

من نسيم الرياض * فى شرح شفاء القاضى عياض * للعالم الفاضل * شتيت الفضائل * الذى هو بانواع المدائح حرى * مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى تغمده الله برحمته * وأسكنه فى فراديس جنته بمنه وكرمه آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلى القارى رحمه الله تعالى

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٧ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس) أي في ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتي بيانه وهذا كان عقب قصة الاسراء وفي معناه رد الشمس الآتي في قصة علي واقتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سواء والماسيأتي (قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر) قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك وانباما له وتقريرا في نفوس المؤمنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور وقيل أكثر من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في آخرها الفا وحيث لم تبق الاصبابة وقوله انشق القمر أي وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال المشركون له أرنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام ويكذبه القرآن وقوله فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أي دائم أو محكم من أمر الحبل اذا أحكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله تعالى عليه وسلم في الصحيحين وأخبر به جماعة من الصحابة والى بيان ذلك أشار بقوله (أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته) ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها (وأجمع المفسرون وأهل السنة

(فصل) (في انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمني لا يسمى قمرا الا بعد مضي ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية أكبر منه بمقدار مائة وعشرين مرة ومن جملة خواصه انه يبلي الكتان اذا ترك في سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته وأما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوي والسفلي وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) أي قربت غاية القرب (وانشق القمر) روي ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) أي معجزة (يعرضوا) أي عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) أي دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي) أي فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه ينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضي لتحقق وقوعه في المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) أي وأخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لا يتصور الاعراض الحقيقي قبل تحققه (واجمع) وفي نسخة صحيحة بالفاء أي فلهذا أجمع (المفسرون) أي من السلف (وأهل السنة) أي أرباب الحديث أو أهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف

على

(على وقوعه) قال الانطاكي في قول القاضي أجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندي والنسفي في تفسيرهما عن الحسن البصري ان معناه سينشق عند الساعة وكذا أبو الليث قال في تفسيره وأكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه أراد بالمفسرين المشهورين منهم أو انه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لا يلزم عدم وقوع انشقاق القمر في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جمعوا على تحققه بالاحاديث السنة وانما الخلاف في معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضي أو الانشقاق الآتي والله سبحانه وتعالى أعلم (أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) أي أبو علي الغساني (من كتابه) لأن المصنف ليس له الا الاجازة في بابه (ثنا) أي حدثنا

(القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي) تقدم ذكرهما (ثنا الفربري) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصري أسدي (ثنا يحيى) أي ابن سعيد روى عنه أحمد وغيره وأخرج له الائمة الستة (عن شعبة) أي ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث (وسفيان) أي ابن عيينة أحد الاعلام وهو الاعور الكوفي (عن الاعمش عن ابراهيم) أي النخعي (عن أبي معمر) بفتح الميمين ازدي كوفي مخضرم (عن ابن مسعود) أي موقوفا كما ساقه القاضي عن البخاري وقد أخرجه البخاري في تفسيره وقد أخرجه أيضا عنه مسلم والترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زمانه (فرقتين) أي فلقتين كما في رواية الترمذي عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفي الصحيحين بلفظ شقتين بكسر الشين المعجمة أي نصفين ولفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية أي منهما فرقة (فوق الجبل) أي جبل حراء أو أبي قبيس (وفرقة دونه) أي أسفل منه أو قريب منه هذا وقد قال الحجازي يجوز النصب والضم أفصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله قلت وقد يقال الضم أصح اذا فصل النعت والا فالبدل في مثل هذا التركيب أفصح كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين

على وقوعه) في الماضي وقال السبكي رحمه الله تعالى انه متواتر لا يجوز انكاره وردوا قول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتأويل ينشق بمعنى سينشق فانه لو وقع لم يبق أحد الا رآه ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من أهل السنة ومثله ليس من أهل التفسير بل من أهل التأويل عنده الا أن بعضهم نظر في حكاية الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيرهما انه منقول عن الحسن البصري وكذا قال أبو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أرسل أبو بكر بن الطيب رسولا للملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فالحم ولم ينبس بشيء (أخبرنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته (الحافظ من كتابه) لا بقراءته عليه قال (حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي) السابق ترجمته وفي نسخة أخبرنا في جميع ما يأتي قال (حدثنا المروزي) تقدم مع بيان نسبته قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وضبط نسبته قال (حدثنا البخاري) الامام المشهور وقال (حدثنا مسدد) عبد الملك بن عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كسرهد وهو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك بن المستورد محدث البصرة وقال أبو نعيم لو كان في أول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين قال (حدثنا يحيى) بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة أربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته في الميزان (عن شعبة) بن الحجاج العتكي الحافظ أمير المؤمنين في الحديث كما تقدم (وسفيان) بن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي أحد الاعلام الذي أخرج له الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم (عن الاعمش) سليمان بن مهران السابق ترجمته (عن ابراهيم) النخعي السابق ترجمته (عن أبي معمر) الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمانه وحياته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه سيكون بعده يوم القيامة (فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين وانتصابه على المصدر به من معنى انشق كقعد جلوسا أو بتقدير وافترق (فرقة فوق الجبل وفرقة دونه) بالنصب بدل من فرقتين والجبل حراء أو أبو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لا تحته كما قيل

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما رآه منشقا (أشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم أهل الانكار والمعنى أشهدوا على نبوتى أو الخطاب للمؤمنين فالمعنى أشهدوا على معجزتى وأخبروا من بعدى من أمتى (وفى رواية مجاهد) أى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى ٤ صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى

لما سيأتى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشهدوا) انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان أشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقاله لانه وقع ليلا فى وقت الغفلة أى أشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه لانهم أهل بهتان وجحد وفى صحيح مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم فى كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان أخرى وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما فى الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر مرتين أى فلقتين ولما خفى هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين ويأتى ما فيه عن قريب (وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من غيره (وفى بعض طرق الاعمش) كما رواه أحمد فى مسنده بزيادة قوله (بمنى) منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدم أى يراق ويقال لها المنازل أيضا ويقال نزلوا اذا أتوا منى قال أنازلة أسماء أم غير نازلة قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة واختلفت الروايات فى محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفى أخرى رئى حراء بينهما وقيل شقة منه على أبى قبيس وأخرى على السويداء والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والعاص بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراؤهم وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها الا ان كل راء يرى القمر باذاء مكان رؤيته (ورواه أيضا عن ابن مسعود الاسود) بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعينه المصنف رحمه الله لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعمرين وفين بالزهد وكثرة العبادة توفى سنة خمس وسبعين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل) يعنى جبل حراء على ما تقدم (بين فرجتى القمر) أى فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهى بضم الفاء وفتحها والضم أولى لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للغروف والفرجة الفضاء ما بين الشيئين فتجوز به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة أبى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

مشهورة (ورواه) أى ما ذكر (عنه) أى عن ابن مسعود كما ذكره البيهقى فى الدلائل (مسروق) بن الاجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفى سنة ثلاث وستين (انه) أى الشق أو ابن مسعود (كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن حجر هو أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل هو جد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لامه وقيل عليه أن أم وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل أحد من النسابين ان الاوقص يكنى بابى كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب أيضا بان أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو

وهذا لا يعارض قول أنس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فمراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى أنه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن أربع أو خمس بالمدينة (ورواه) أى الحديث المذكور (أيضا عن ابن مسعود الاسود) أى كما ذكره أحمد فى المسند وأسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرآن فى ليلتين (وقال) أى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح أى فلقتيه (ورواه) أى الحديث المسطور (عنه) أى عن ابن مسعود (مسروق انه) أى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله (وزاد) أى ومسروق فى رواية عنه

(فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو كبشة اسم رجل قاله قديما أو فارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان أبوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة أبيه وأمه يكنون بابى كبشة

ابن

(فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) أي لعيونكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) أي أهلها (كلها) أي جميعها (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) أي الانشقاق (فأتوا) أي جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) أي أهل مكة من قريش (فأخبروهم انهم رأوا ٥ مثل ذلك) أي كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندي نحوه) أي بمعناه مع اختلاف في مبناه (وقال) أي السمرقندي فيما رواه (فقال) وفي نسخة قال (أبو جهل هذا سحر) أي نوع من الاختلاق (فابعثوا الى أهل الآفاق) أي بنسبتهم الى اختلاف المطالع في حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا) أي أو ما رأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا) أي بوصف الانشقاق (فقالوا) يعني الكفار (هذا سحر مستمر) أي دائم بنعت الاستمرار أو ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) أي الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) أي ابن قيس الليثي النخعي ولد في حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن أصحابه الكرام كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) أي مجاهد وأبو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) أي رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق ما رواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) أي من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) أي فليس هو شاذا في هذه الرواية (منهم) أي ممن رواه (أنس وابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا بأعينهما فقد سمعاه عن حضور وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) أي فيما رواه مسلم والترمذي.

ابن زيد الخزرجي ولم يقل أحد ان عمرا يكنى بأبي كبشة أيضا وقيل انه أبوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة كني بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أجدادا من قبل أبيه وأمه تكنوا بذلك وانما قالوه لان من عادتهم اذا بغضوا أحدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد مناف أو كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى كل حال أرادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا (فقال رجل منهم) أي من كفار قريش قيل انه أبو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) حين شقه أو خيل لكم شقه (فانه لا يبلغ) أي لا يصل شئ (من سحره ان يسحر الارض كلها) أي أهلها كلهم (فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر) غير مكة (هل رأوه) أي القمر أو شقه أو الامر الذي وقع وفي نسخة هل رأوا هذا (فأتوا) أي أتوا من قدم على أهل مكة من غيرها (فسئلوا) أي سئلوهم هل رأوا ذلك (فاخبروهم) لما سألوهم (انهم رأوا مثل ذلك) أي مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق (وحكى السمرقندي) تقدم ترجمته (عن الضحاك نحوه) أي مثل الحديث الذي ذكره أولا (وقال) أي الضحاك فيما رواه (فقال أبو جهل) لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سئلوه (فابعثوا الى أهل الآفاق) بالمد جمع أفق بضمتين أو بضم فسكون وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطالع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الافق المرئي والافق الغير المرئي له احكام أخر والمعنى أرسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسئلوا من بها (حتى ينظروا) أي يعرفوا (أرأوا ذلك أم لا) الهمزة استفهامية وفي نسخة هل رأوا وشاهدوا مثل ما رآه أهل مكة أم لم يروه لانهم خيل لهم أم لم يقع وفي نسخة حتى تنظروا بنونين (فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه) أي القمر حالة كونه (منشقا) والفاء فصيحة أي فسئلوهم فاخبروا (فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر) أي دائم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور أو محكم قوي من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال أبو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها أثر بعض كما أشار اليه القاضي ولولا هذا لم يتأت ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص والنوع كما حققه النحاة (ورواه أيضا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس ابن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل ولد في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب الستة (فهؤلاء الاربعة) يعني مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث (عن عبد الله) بن مسعود رضي الله عنه ثم ذكر له طريقا آخر فقال (وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود) وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم ير وحديث الانشقاق رواية مسندها في غاية الصحة واعتمدها الائمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان وأحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته (منهم) أي ممن رواه غير ابن مسعود وأعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه (أنس وابن عباس وابن عمر

(وحذيفة) أى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن أبى حاتم وأبى نعيم فى الدلائل (وعلى) أى ابن أبى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) أى على ما رواه أحمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية أبى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فوحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان أخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى أخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى أعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله تعالى وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له أو أراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وقد شاهدناه (وعن أنس سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) أى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة والرسالة (فأراهم انشقاق القمر مرتين) أى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل عن ثلاثة أميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (رواه) أى الحديث (عن أنس قتادة) أى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين) أى شقين أو فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فأراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسئلة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام أبى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة وأكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين أى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم أهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على أقول ولعله أعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى وأظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين أراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا

تواتره

وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم رضى الله عنهم) وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم بكسر العين فى مسند أحمد والبيهقى ولذا قال (فقال على كرم الله وجهه (من رواية أبى حذيفة الارحبى) واسمه سلمة بن صهيف على الاصح نسب لارحب حى من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل ياء النسبة وهو من الثقات المشهورين (انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه لا لمن تقدم (وعن أنس) خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) معجزة غير ما رأوه وفى الرواية المتقدمة انهم سألوه ان يشق لهم القمر (فأراهم انشقاق القمر فرقتين) بكسر الفاء وسكون الراء وفى رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر (حتى رأوا حراء ما بينهما) أى بين القطعتين وما زائدة للتأكيد وفى نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمسانى وقال انه يذكر ويؤنث ويحرك ولا يحرك ٢ وهذا مما ذكره غيره من أهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابى من انهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شئ لا أصل له الا قلة النظر فى كتب اللغة (رواه عن أنس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) أى عن أنس (أراهم القمر مرتين انشقاقه) بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد فى الاراءة لا فى الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان أصل المرات فى الازمان والافعال وانها قد تكون فى الاعيان والاول أكثر وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفى على من قال ان الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه

---

٢ أى ينصرف ولا ينصرف

تواتره فيها وما قيل من انه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاث أميال من مكة فى طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد الازمان والالزم التناقض فى هذه الروايات وهى كلها صحيحة ولا يمكن عادة أن يكون الناس الذى رواه فى ذلك توقت فى هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشئ فانهم اذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء وأخرى امامه من تعدد النظر لسمته من الافق وان لم يكونوا ثمة كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء وغيره من جبال مكة وبراريها فالذى تحرر فى الجمع بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون أظهر فى دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هؤلاء الحول العقول انه من غلط الحس فلما أشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك أشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان و يا فلان ثم أراهم مرة أخرى فلقة أخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد فى الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن فى شئ منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه فان القول بان المرات فى الاعيان لا صحة له فى اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جيد فكره على التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر مؤيد المعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يقوى الحديث وصار كالمتواتر وتأويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يأباه قوله بعده وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) فرواه عن أبيه عن جده وجبير الثانى روى عنه أبو داود حديثا واحدا قال البرهان ولا أعلم له تخريجا ولا توثيقا وردبان ابن حبان ذكره فى كتاب الثقات (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) الامام الجليل القدر أحد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون خرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة (ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته (ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفى سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الائمة الستة رحمهم الله تعالى (ومسلم ابن أبى عمران الازدى) البصرى هو أبو عبد الله المعروف بالبطين نسب للازد بسكون الزاى المعجمة ويقال لها أسد بالسين أيضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم حى باليمن واليهم ينتهى نسب الانصار (وأكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة) الطرق هى الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان فى بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها (والآية مصرحة) بمعانى الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التأويل الذى جوزه بعضهم (ولا يلتفت الى اعتراض مخذول) أصل معنى الخذل ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من أنكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة لا من أول الآية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه أيضا لا ينبغى القول به أيضا (بانه لو كان هذا) الانشقاق (لم يخف على أهل الارض) كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) تعليل لقوله لم يخف

(ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) أى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) أى ابن مسعود ولد أخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروى عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن أبى النجود وأبو اسحق (ومسلم ابن أبى عمران الازدى) والمقصود نفى توهم أن يكون أحد من الرواة وقع منفردا أو شاذا فى الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين فى اسناد هذه الحكاية (وأكثر طرق هذه الاحاديث) أى مما بيننا وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء أى ودلالة الآية فى هذه القضية صريحة فتكاد أن تصير متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول أى ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) أى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع فى قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة فى مدلول الآية متشبثا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام متمسكا (بانه) أى الشان (لو كان هذا) أى الانشقاق واقعا أو لو وقع هذا الامر (لم يخف على أهل الارض) أى كلهم (اذ هو شئ ظاهر لجميعهم) وهذا المقدار بيان الاعتراض وأما بيان خذلانه فهو قوله

(اذلم ينقل لنا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا اشقاقه أو رأوا خلافه فى تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) أى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلا شبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما أراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول الدلجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم) أى توافقهم وتواطؤهم (لكثرتهم) أى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) أى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) أى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع أهل الارض) أى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) أى القمر فى مرئى (من قوم بضد ماهو من مقابليهم) أى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من أقطار الارض) أى جوانبها (أو يحول بين قوم وبينه) أى بين القمر (سحاب أو جبال) وكذا حجاب (ولهذا) أى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) أى محو أحد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) أى من البلاد حتى لا يوجد فيها كسوف أصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) أى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد أو فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) أى وقوعها باعتبار بعض أجزائه (وفى بعضها كلية) أى وقوعها بسببة فى أطرافه كلها (وفى بعضها لا يعرفها) أى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) أى الماهرون والحاذقون بمعرفتها

(اذلم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) أى ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه أخذ الرصد المعروف عند المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوى (فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية وانشق حال أى وقد انشق ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق فى تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذا الثانية تعليل لعدم الالتفات ثم أجاب بجواب آخر على فرض تسليم ما ذكر فقال (ولو نقل) بالبناء للمجهول (الينا) انهم رصدوه فلم يروه انشق (عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب) أى طائفة من الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم (لكثرتهم) من الملأ وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على أمر واحد لانهم يملؤن مكان اجتماعهم (لما) اللام جواب لو وما نافية فيهما مخففة (كانت علينا به حجة) أى لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف (اذ ليس القمر فى حد واحد) الحد الوصف المميز للشئ مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز ومنه حدود الدار أى ليس القمر على حال واحد (لجميع أهل الارض) أى عند جميعهم لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المصنف (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين) ولهذا لو شهد أهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء (وقد يكون) مرأى القمر (من قوم بضد ماهو من مقابلتهم من أقطار الارض) جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض (أو يحول) بالحاء المهملة أى يكون حائلا مانعا من رؤيته (بين قوم وبينه سحاب أو جبال) شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له (ولهذا) أى لكونه ليس على حال واحد فى جميع أقطار الارض (نجد الكسوفات فى بعض) من البلاد (دون بعض) منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضئ مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين فى محله (وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى كسوف جزء منه والكلى كسوف جميع جرمه نسبة للجزء والكل (وفى بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها) أى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه أحكامه وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعاء اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المصنف بناء على ان الكسوف يكون فى القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يقول الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب وعليه مشى المصنف

(ذلك تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته (العليم) أى المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع فى أصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ماقصد به الآية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) أى مبهما وقتها ومجهولا ساعتها قال الخطابى الحكمة فى وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو أراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه أجرى سنته بالهلاك فى كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما أوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى أعلم (والعادة من الناس بالليل) أى بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة أو ساكنة بعدها همزة على أصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) أى عن الحركة والمشى والتردد فى الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة مافى السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم أى اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) أى بالتردد فى داخل البيوت من أغلاقها وأعماقها (ولا يكاد يعرف من أمور السماء) أى لا سيما فى فصل الشتاء (شيأ) أى من أمر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظرهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) أى انتظره قصدا لما هنالك ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد أى بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة أى تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) أى ولكون آيته كانت ليلا وفى نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمرى) أى بخلاف الشمسى النهارى (كثيرا) خبر كان أى لم يكن وقوعه كثيرا (فى البلاد) وجعل الدلجى كثيرا حالا من اسم كان وخبرها فى البلاد (وأكثرهم لا يعلم به) أى والحال ان أكثر الناس أو أكثر أهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) أى بوقوعه فى السمر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيرا ما) أى وأحيانا كثيرة (يحدث الثقاة) أى من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من أنوار) أى ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) أى باهرة (تظهر فى الاحيان بالليل) أى بعض الاوقات أو الساعات منه (ولا علم لاحد بها)

المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله (ذلك تقدير العزيز العليم) أى سير القمر وأحواله من الكسوف وغيره كائن بقدرة الله العلى العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام نجومية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع فى أصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذى رأيناه فى جميع النسخ العليم (وآية القمر كانت ليلا) أى الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت فى الليل قال الخطابى الحكمة فى ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله تعالى وقوعها ليلا ولو أراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل أحد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس ان لم يؤمنوا بها فخص الله تعالى هذه الامة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لا يقتضى اهلاكها (والعادة من الناس بالليل) أى فيه (الهدو والسكون) عطف تفسير أى النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها (وايجاف الابواب) أى اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء وأصل معناه الاسراع فى السير واستعمل فى الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لا سيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد فى كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان يغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعى له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك (وقطع التصرف) والنظر لشئ فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة فى ان هذا أمر لا يستبعد (ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيأ الا من رصد ذلك) أى الا من تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا (واهتبل به) أى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المصنف رحمه الله تعالى بالباء لانه ضمنه معنى الاعتناء (ولذلك) أى لكونه أمرا ليليا فى زمان غفلة ونوم (ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد) ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمرى بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره (وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر) بالبناء للمجهول أى يخبره الناس العارفون بوقوعه (وكثيرا ما) منصوب على الظرفية أو المصدرية وما زائدة للتأكيد (يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار) بيان العجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث فى الجو نور زائد على ساعهد أو المراد به شعل نارية فى بعض الليالى وينسب لها أمور تذكر فى كتب الملاحم (ونجوم طوالع عظام تظهر كذوات الاذناب التى تمتد فى الافق فى الاحيان بالليل فى السماء ولا علم عند أحد منها) لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات فى دائرتها

أى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند أحد . ثم اثم هذا انما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الأثر (وأما رد الشمس له) صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى أن يصل الى مرتبة حسنة فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء أى أخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام ١٠ الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من أكابر علماء الحنفية لم يخلف مثله بين الائمة الحنفية وكان أولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان أولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب أبى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن أسماء) وأصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول أولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما أبدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) أى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقاة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) أى مرة (ورأسه فى حجر على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) أى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعد ما أفاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) أى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) أى لاجله (الشمس) أى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية أى فى ارتفاعها أو على البدلية أى ضوءها

وتصل الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرا مفصل فى فنه (وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الائمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف وواو وبعدها ياء نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدى ثم المصرى الحنفى لا المالكى كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكان أولا شافعيا من تلامذة المزنى ثم تحنف وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر وله تآليف جليلة (فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار (عن أسماء بنت عميس) مصغر وهى زوجة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وترجمتها مشهورة وكانت أولا زوجة جعفر بن أبى طالب (من طريقين) وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسانيد مختلفة رجال أكثرها ثقات وهذا الحديث فى رد الشمس أو حبسها لعلى رضى الله تعالى عنه كما سيأتى قال ابن الجوزى انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفى روايته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود فان الدارقطنى وابن حبان قالا انه كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك أيضا ذكره الذهبى فى الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس وتعقبه بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وفى طريقه الثانى فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى وقال ابن حبان انه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزى ولا اتهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضى يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن أى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزى ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة ولم يتلمح الى عدم الفائدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها أداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه ومافيه وأطال فيه قلت طالعته ورأيت ما ذكره فيه من ان ذلك كان مرتين وأنشد فيه شعر الحميرى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) مرة بالصهباء (ورأسه) الشريف (فى حجر على) جملة حالية والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم (فلم يصل) على رضى الله تعالى عنه (العصر حتى غربت الشمس) وغابت فانتبه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لعلى (أصليت يا على) بهمزة الاستفهام وفى نسخة هل صليت (فقال لا) أى لم أصلها (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) لانه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته (فاردد عليه الشمس) أى أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها يقال أردد بالفك ورد بالادغام وهو دعاء وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى انه لا فائدة فيه بعد ما صارت قضاء ويأتى ما فيه (مشرقها) أى فى محل شروقها

(قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) أي رجعت على أدراجها من مغربها بعدما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) وهو بالمد وبقصره وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) أي عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقاة) أي فلا عبرة بمن طعن في رجالهما وانما جعله حديثين لروايته له من طريقين هذا وقال ابن الجوزي في الموضوعات حديث رد الشمس في قصة علي رضي الله تعالى عنه موضوع بلاشك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوي ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزي قال أنا لا أتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا أو خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوي لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المعنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبي تبعا لابن الجوزي من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل في القضية بان يقال المراد بقوله لما غربت أي عن نظرها أو كادت تغرب بجميع جرمها أو غربت باعتبار بعض اجزائها أو ان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها بطئ تحركها على عكس طي الازمنة وبسطها فهو سبحانه قادر على كل شيء شاءه واما ما ذكره الذهبي من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزي من ان في الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة

وفي رواية شرقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الراء وسكونها وهو بدل من الشمس أو منصوب على الظرفية ومعناه ضوءها أو ارتفاعها على الحيطان أو انبساطها على الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدي الصلاة في وقتها او ينافيه قوله (فقالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقفت على الارض والجبال وذلك بالصهباء) في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففي قوله (في خيبر) مسامحة أو فيه مضاف مقدر أي في قربها وخيبر بوزن ضيغم أرض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى كان بها ساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه ✲ لعلي حتى يتم الاداء

ثم ولت لها صرير هذا ✲ لفراق له الوصال دواء

(قال) أي الطحاوي (وهذان الحديثان ثابتان) رواية (ورواتهما) أي أكثرهما (ثقات) جعلهما حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روي من طريقين ذكره واعترض عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يردان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم يقف على ان كتابه أكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما أشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف رحمه الله تعالى وأشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي وأخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رأسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس الى آخره وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فانها فاتته بعذر مانع عن الاداء وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه فضيلة أي فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الاداء أيضا وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضا لهذا الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد أجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر أو المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المصنف رحمه الله تعالى في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها أداء وما روي انه قضاها بعدما غربت الشمس لعله كان في يوم آخر وفي تفسير

(وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) وهو أبو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين ألف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان وأربعين وكان أبوه من أهل طبرستان وجرت بين أحمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) أى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة) أى وآيات الرسالة (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ أبو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة ولاعمش ومحمد بن اسحق بن بشار امام المغازى وعنه أبو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث أخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد وأخرج له أبو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) أى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) أى امام أهل المغازى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ليلة المعراج (وأخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها أى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة أى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) أى الكفار (متى تجئ) أى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما فان وهذه أفصح اللغات (فلما كان

البغوى والكواشى والثعلبى ان الشمس ردت لسليمان أيضا وروى عن على بضمير ردوها عائد على الشمس فى الآية اعلمها وان لم يجر لها ذكر وأقول ان السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابى الحسن الفضلى أورد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة التى أرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبى معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أسماء أيضا قالت اشتغل على رضى الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا على أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس فى المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها فى العصر فقام على فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار فى الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث علم منه ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فائدة فما أورده وارد عليه ولا حاجة الى ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس عليه وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام أول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وأفطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه تم ببلدته فهل يلزمه قضاؤه تماما أم لا (وحكى الطحاوى عن أحمد بن صالح) هو أبو جعفر الطبرى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين وله ترجمة فى الميزان (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله العلم) أى لمن طريقته ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يصل به صاحبه الى سعادة الدارين (التخلف عن حفظ حديث أسماء) بنت عميس الذى روته فى رد الشمس (لانه من علامات النبوة) أى من الآيات الدالة على نبوته لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته فان أحمد هذا من كبار أئمة الحديث الثقات ويكفى فى توثيقه ان البخارى روى عنه فى صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن فى روايته وبهذا أيضا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزى من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث وان كونه من علامات النبوة لا يقتضى تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت (وروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر الشيبانى الامام الثقة وقول أبى داود انه ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفى سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (فى زيادة المغازى روايته عن ابن اسحق) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى (لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر قومه) من قريش بعد اسرائه (بالرفقة والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة وهى الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يقدمها جمل أورق على ما فصل واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا (قالوا متى تجئ) جواب لما أى فى أى يوم تصل لمكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال يوم الاربعاء) بتثليث الباء والمد أى تجئ يوم الاربعا (فلما كان

ذلك اليوم) أى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (أشرفت قريش) أى أقبلت (ينظرون) أى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة أى أدبر أوله وأقبل آخره (ولم تجئ) أى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) أى بسط فى ساعاته (وحبست له الشمس) أى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى أعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من أيام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وأيضا لم يكن هنالك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان أوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث ١٣ كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزى فأورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن أسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى أيضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها أكبر وأبهر وأنور الا انها الكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر وأما ما قال الجوزقانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا الحديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام أفضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعدما غربت فردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه أيضا فصلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

ذلك اليوم) بالرفع والنصب والاول أولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد (أشرفت قريش) بشين معجمة وراء مهملة أى قامت على شرف وهو المكان المرتفع وقوله (ينتظرون) حال أو مستأنف أى يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم فى اليوم الموعود (وقد ولى النهار) أى قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء ان ينتهى ويدخل الليل بغروب الشمس فيه (ولم تجئ) العير تصل اليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى سأل ربه وتضرع اليه ان يمد ذلك اليوم حتى تجئ العير قبل انقضائه (فزيد له فى النهار ساعة و) ذلك انه (حبست له الشمس) ساعة أى أمسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتادة مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق أيضا وفى سيرة مغلطاى نقلا عن الخطيب فى كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام أيضا وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوى وغيره فى سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر آنفا (تنبيه) الذى ذكرناه من حبس الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الاسراء وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الاسراء فعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فربه أبو جهل عدو الله وقال له مستهزأ هل استفدت من شئ قال نعم أسرى بى فى الليلة الى بيت المقدس قال وأصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال

أتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانقضوا اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم عما حدثتني به فقصه عليهم فمن بين مصفق و واضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم انه أسرى به الخ قال قد صدق واني لاصدقه فيما هو أعظم من ذلك من أخبار السماء فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من رأى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم التبس عليه بعض أمره فجيء بالمسجد الاقصى و وضع دون دار عقيل فنظره فنعته لهم فقالوا أصاب ثم قالوا له أخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح قالوا نعم وهذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكب قعودا لهم فوقع وانكسر قالوا نعم وهذه آية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا أخبرنا عن عدتها واحمالها وهيآتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا القد قضى محمد بيننا وبينه حتى أتوا كذا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كي يكذبونه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير أورق فرأوا فيها كل ماذكر فقالوا ان هذا الاسحر مبين انتهى مع طي لبعض ألفاظه وهذا مناف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى والعجب من بعضهم اذا أورده هنا ولم يتنبه لما قلنا

فوالله ما أدري أأحلام نائم ✻ ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

✻(لطيفة)✻ من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي كرم الله وجهه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما طبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وأنشد ارتجالا

لاتغربي ياشمس حتى ينتهي ✻ مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك اذ أردت ثناهم ✻ أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن ✻ هذا الوقوف لخيله ولرجله

✻(فصل في نبع الماء من بين أصابعه)✻ أي خروجه من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله (وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع أيضا وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروي بطرق متعددة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها أتي بقدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضأة وهي اناء معدة للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمس مائة وفي بعضها ثمان مائة وفي بعضها خمس مائة وألف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات وهذه المعجزة أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية واما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر ✻ فان في الكف معنى ليس في الحجر

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من أصابعه ✻ وذي أياد عليها قد جرى النيل

قالوا وهذا الماء أفضل من ماء زمزم والكوثر و يحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير

✻(فصل)✻
(في نبع الماء من بين أصابعه وتكثره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وتكثيره ببركته

(أما الاحاديث فى هذا) أى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر وأريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها أتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين أصابعه انهم كانوا ألفا وأربعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم أقوال مختلفة ثم هذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وروى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود) أما أحاديث أنس فرواه الشيخان عنه أيضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكره (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (حدثنا أبو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (حدثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى ابن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله حدثنا يحيى حدثنا عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى ويؤيده ما قاله الحلبى انه سقط رجل بين أبى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله أبو مروان ولا بد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب أيضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن أبيه ويحيى عن مالك

بل من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفله وريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن وأصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا (أما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا) أى كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير وفيه ايماء الى انها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووى رحمه الله تعالى انها بلغت مرتبة التواتر (روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابى (منهم أنس وجابر وابن مسعود) رضى الله تعالى عنهم وأشار بمن التبعيضية الى انه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال وابن عباس رضى الله تعالى عنهما لانه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها كما قال أولا ان أحاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من أئمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هؤلاء لقوة صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) هو ابن أحمد الفاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية وهو شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا) القاضى (عيسى بن سهل) ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم) حاتم بن محمد كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا أبو عمر بن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاوانى تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرؤ بذات يد ✽ فالكسر بدنو لكل فخار

وقيل على المصنف رحمه الله تعالى ان الصواب أبو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد أبو عمر الذى يروى عن أبى عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبى المتوفى سنة ستين وأربعمائة وبقراءته على أبى عيسى سمع الموطأ يونس بن المغيث لكن ابن أبى حاتم لم يذكر لروايته عنه وانما روى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة وأربعمائة ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى سهو من وجهين اذ سماه أبو عمر وهو وأبو عبد الله وفى قوله قال (حدثنا أبو عيسى) قال (حدثنا يحيى) اذ اسقط راويا بين أبى عيسى ويحيى وهو عبيد الله أبو مروان وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر وفيما سيأتى وأبو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال انه جعل اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتأمل قال أبو محمد القرطبى صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه أبو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان أبا عيسى انما تحمل عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى وأبو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع عم أبيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيى وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال ويأتى أيضا كذلك

(قال حدثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفي نسخة قال أي أنس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) أي وقد قرب وقتها أو دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو أي ماء الوضوء بضمها وفي نسخة بضمهما والمعنى ماءه بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل تطلق على كل منهما لكن الظاهر ان أحدهما مجاز (فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بوضوء) أي في أناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤا منه) أي من الماء أو من الاناء أو من ماء ذلك الاناء (قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم أشهر أي يفور (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) قال النووي في كيفية النبع قولان أحدهما ان الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول أكثر العلماء وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ الناس) أي منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) أي الى انتهاء أولهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووي من هنا بمعنى الى وهي لغة (ورواه أيضا عن أنس وقتادة) (وفي كما في صحيح مسلم (وقال) أي أنس أو قتادة عنه (باناء) أي فأتى باناء (فيه ماء يغمر أصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي يغطيها ويسترها (أو لا يكاد يغمر) شك من الراوي (قال) أي قتادة لانس كما صرح به الترمذي (كم كنتم) أي حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاي وهاء ممدودة أي كنا قدر ثلثمائة

في فصل كنيته قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة المشهور (عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة) الامام المشهور الفقيه وأنس عمه توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة (عن أنس بن مالك) قال فيما رواه مالك في موطأه عنه والشيخان عنه (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و) قد (حانت صلاة العصر) بمهملة ونون أي قربت أو دخل وقتها وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو وهو الماء الذي يتوضأ به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب (فلم يجدوه فأتى) بالبناء للمجهول (بوضوء) تقديره باناء وضوء بقرينة قوله (فوضع يده فيه) وفي مسلم بقدح زجاج وأمر الناس ان يتوضؤا منه قال) أي أنس (فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم) أي جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث الباء وقد قالوا انه يحتمل ان الماء خرج من أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به وتأدبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه وأصابع جمع أصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع قال ابن مالك رحمه الله تعالى

تثليث باأصبع مع ضم همزته * والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والأفصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية أو الجر بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يأت على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتداء الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضؤا كلهم بحيث لو قيل ان ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله *أقول سمع أيضا من آخرهم بدون عند كما في الكشاف في أول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه ان ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبذول من آخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكأنهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي أسهل وأظهر وقد نقل انه لغة في شرح مسلم وهي عبارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها (ورواه أيضا) أي كالرواية السابقة (عن أنس) رضي الله عنه (قتادة) كما في صحيح مسلم "(قال) أي أنس في هذه الرواية فأتى (باناء فيه ماء) الاناء بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم (يغمر أصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة (أو لا يكاد يغمرها) يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعله تسترا وتأدبا مع الله تعالى الذي لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها أبلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم (قال) أي قتادة لانس رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء (قال زهاء) بضم الزاي المعجمة والمد ويقال أيضا لهاء باللام أي مقدار (ثلاثمائة) رجل وأصل الزهاء العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص أو يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب

(وفي روايته عنه) أي عن أنس (وهم بالزوراء) بفتح الزاي وسكون الواو فراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفي البخاري بالسوق أي سوق المدينة قال الداودي وهو مرتفع كالمنار (ورواه أيضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله في يديه مات وهو قائم يصلي ثقة لكنه يدلس أخرج له الأئمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) أي ابن أبي الحسن البصري (عن أنس) أي كلهم عنه إلا أن البخاري انفرد بالأولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) أي كانوا ثمانين أي رجلا كما في نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) أي نحو مروى حميد عن أنس في العدد ورد

عن ثابت عن أنس (وعنه)

(وفي روايته عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (وهم بالزوراء عند السوق) الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وثمة سوقها (ورواه) أي حديث نبع الماء (أيضا حميد) بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تيرو وقيل تيرويه وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي أو الدارمي مات وهو قائم يصلي سنة اثنين وأربعين ومائة وهو ثقة أخرج له الأئمة الستة إلا أنه نسب للتدليس وترجمته في الميزان (وثابت والحسن) ابن أبي الحسن البصري كما تقدم (عن أنس) وتفرد البخاري عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال) كانوا (ثمانين ونحوه عن ثابت عنه) أي عن أنس (وعنه أيضا) أي عن أنس (وهم نحو من سبعين رجلا) وفي مسلم عنه أيضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين في وقتين ووقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال أيضا (وأما ابن مسعود ففي الصحيح) أي الحديث الصحيح أو صحيح البخاري (عنه) أي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (من رواية علقمة) تقدم ترجمته (بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كانوا مجتمعين عنده وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفي نسخة بينما وهي كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح تركهما كما هنا (وليس معنا ماء فقال لنا أطلبوا من معه فضل ماء) أي بقية من ماء كان أو زيادة منه على حاجته وقدمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد الموجد الكل فتأدب بذلك مع الله ولو شاء لاوجده بدعائه وطلبه له من الله تعالى ولو شاء لاوجده ابتداء من غير شيء (فاتى بماء) بالبناء للمجهول والفاء فصيحة أي فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتى به (فصبه في اناء) أي صبه وسكبه في اناء آخر مكشوف وكأنه أتى به في مزادة لا تدخلها اليد (ثم وضع كفه فيه) أي في الاناء الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه أي فدعا الله تعالى ثم الى آخره (فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل (من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذه القصة هي المتقدمة وانما أعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها (وفي الصحيح) أي صحيح البخاري أو المراد في الحديث الصحيح له ولغيره (عن سالم بن أبي الجعد) الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان (عن جابر رضي الله تعالى عنه عطش الناس يوم الحديبية) وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

أي وعن أنس (أيضا) أي برواية ثابت أو غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) ولعل رواية السبعين والثمانين في غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووي قال انهما قضيتان جرتا في وقتين فحدث بهما جميعا أنس (وأما ابن مسعود ففي الصحيح) أي للبخاري وغيره (من رواية علقمة عنه) كما في نسخة أي عن عبد الله بن مسعود (بينما) أي بين ساعات أو أوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى

وفيه ان الكل من عنده تعالى (فأتى) أي فجيء (بماء) أي في نحو سقاء (فصبه في اناء ثم وضع كفه) أي مع أصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) أي فشرع يخرج من بين أصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كما ينبع من الارض وفي نبعه احتمالان من زيادة الكمية أو الكيفية وهو أظهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة في قوله وتكثيره ببركته (وفي الصحيح) أي للبخاري وغيره (عن سالم) أي الاشجعي (ابن أبي الجعد) وهو من ثقاة التابعين روى عنه انه قال اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشدد بئر بين مكة وجدة قبيل جدة وأما قول الدلجي بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بين يديه ركوة) جملة حالية والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجي وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم الا أن يقال ان المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت في القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فمه كبير ثم رأيت التلمساني ذكر انها الماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) أي متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل الناس وجعل الدلجي الواو للحال أي قائلين (ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) اي التي هي موجودة في حضرتك (فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة) أي ثانيا (فجعل الماء يفور) أي يرتفع متدفقا (من بين أصابعه كامثال العيون) أي كامثال مياهها أو شبه أصابعه بمنابع عيون الماء أي بين كل أصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) أي في حديث سالم (فقلت) أي لجابر (كم كنتم) أي يومئذ (قال لو كنا مائة الف) أي مثلا (لكفانا) أي لكونه معجزة (كنا) أي لكنا (كنا خمس عشرة مائة) يعني ألفا وخمسمائة وقيد ثمانين ألفا أو رجلا أو أربعين أو خمسة وعشرين رجلا أو ألفا وستمائة بناء على الاختلاف في عدد من بايع تحت الشجرة قال الحلبي فيقال أربع عشرة مائة وكذا هو في الصحيح وأكثر الروايات كما قال البيهقي انه ألف وأربعمائة هذا وقال اليمني قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن بنجد سمعتها منهم لا تألف ألسنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) أي مثل حديث سالم كما في مسند الدارمي (عن أنس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيان قال الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التي بين انس وجابر صح يعني من ان أنسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية أنس عن جابر ليست في الكتب الستة (وفيه) أي وفي هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعني فالاختلاف مبني على اختلاف عدد من حضر في تلك القضية (وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد في حياته عليه الصلاة والسلام روى عن أبيه وعنه ابنه عبادة (عنه) أي عن جابر (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (في غزوة بواط) بضم الموحدة وتخفيف الواو وفي آخره طاء مهملة (قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفي نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء أي ناد الناس له أو به أو نصبه على الاغراء أي أعطوا أو ناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر الحديث بطوله

بين يديه) أي عنده في مكان قريب منه (ركوة) بتثليث الراء المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح وجمعه ركاء بالكسر والمدوهي اناء للماء من جلد كالابريق (فتوضأ) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها واقبل الناس نحوه) أي جاؤاله صلى الله عليه وسلم (وقالوا له ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك) جملة حالية والاستثناء متصل (فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور) أي ينبع ويرتفع لزيادته (من بين أصابعه كأمثال العيون) أي كان بين كل أصبعين من أصابعه الشريفة عين ماء نابعة (وفيه) أي في حديث سالم هذا (فقلت) لجابر رضي الله تعالى عنه (كم كنتم) معاشر الصحابة (قال لو كنا مائة ألف لكفانا) ذلك الماء المشاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه (كنا خمس عشرة مائة) يعني ألفا وخمسمائة رجل وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر عليها المصنف رحمه الله تعالى وقيل كانوا ألفا وأربعمائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل كانوا ألفا وستمائة وقيل ألفا وخمسمائة وأربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلثمائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا وروايه سبع مائة وهم من راويها (وروى مثله) بالبناء للمجهول أي مثل حديث سالم المذكور (عن أنس عن جابر) صحح في النسخ بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية أنس عن جابر رضي الله تعالى عنه في الكتب الستة كما قاله البرهان الحلبي (وفيه) أي في هذا الحديث (انه كان بالحديبية) كما في الرواية التي قبله (وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه) أي عن جابر رضي الله تعالى عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي عن أبيه (في حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (في ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وفتح الواو المخففة وألف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته وهي مفصلة في مسلم وغيره ويجوز فتح بائه أيضا وهي اسم لجبال لجهينة على ابراد من المدينة فهي بقرب الينبع وكانت في ربيع الاول سنة اثنين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم (قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء) نادأمر من النداء محذوف الآخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر أيضا أي ناد الناس وقل لهم أعطوا أو ناولوا الوضوء وهو الماء الذي يتوضأ به وفيه حث لهم عليه (وذكر الحديث بطوله) وفيه ان رجلا

وانه) أى الشان (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى أصل الدلجى لم يجدوا (الاقطرة) أى شيأ قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة
وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما بلى من
القربة وعتق من السقاية (فاتى) أى فجىء (به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء أى فغطاه وستره وفى أصل

من الانصار كان يبرد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فى سقاء فلما أخبره انه نادى فلم يجد الماء قال
له انطلق الى فلان الانصارى فانظر هل فى اشجابه من شئ قال فانطلقت اليه وأخبره بما عنده (وانه
لم يجد) عند الانصارى (الاقطرة) أراد ماء قليلا جدا (فى عزلاء شجب) بالاضافة أى فم قربة بالية وعزلاء
بفتح العين المهملة وسكون الزاى المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها
وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل أو كسرها وسكون الجيم وباء
موحدة ماقدم من القرب أوعاء واداة تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب وأصل معناه
الهلاك (فاتى به) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل والرواية الاولى وضمير به للمذكور (النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فغمزه) بفتح الغين المعجمة والميم والزاى المعجمة أى وضع يده عليه وكبسه بها
والغمز هنا كالذى فى قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما

والغمز بالعين الاشارة بها معنى آخر (وتكلم بشئ لا أدرى ماهو) وفى الحديث انه صلى الله تعالى
عليه وسلم جعل يتكلم بشئ لا أدرى ماهو فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى
على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم (وقال ناد بجفنة الركب) الجفنة كالقصعة لفظا
ومعنى وهى التى تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم المأكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب
والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع فى رواية لقتادة والذى فى مسلم ناد بجفنة فكأنه
لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها ابدليل قوله (فاتيت بها) بالبناء للمفعول كما قاله
البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف أى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم أو هى منزلة
منزلة من يعقل الا أن الله تعالى خلق فيها أدراكا حتى تنادى هى فتأتى بنفسها ويكون ذلك معجزة له
صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله (فوضعتها بين يديه وذكر) جابر رضى الله تعالى عنه (ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده) بالسين والطاء وبهما قرئ أى وضع يده الشريفة (فى الجفنة)
مبسوطة ليكون أبرك (وفرق أصابعه وصب جابر عليه) ما كان فى القربة من الماء (وقال) أى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) أتبرك وأطلب نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر
عليه لانه المأثور فى سائر الافعال لا لبيان انه يجرى بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قدر فاعل قال بسم الله
جابر كان أوفق بما فى الرواية من انه وضع يده فى قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب على وقل بسم الله
فصببت عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان
المصنف رحمه الله تعالى غير الرواية ونسب لجابر مالم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من آداب الصحابة
رضى الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ماذكر (قال) جابر رضى الله تعالى عنه
(فرأيت الماء يفور) أى يزيد ويرتفع حتى يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه (من بين أصابعه) صلى
الله عليه وسلم (ثم فارت الجفنة) أى فار ماؤها فقيه مضاف مقدر او الاسناد مجازى للمبالغة فى فورانه
(واستدارت) أى دار ماؤها لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كأنه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها
استدارت لعظم الامر فانه لا محصل له (حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) أى أخذ

الدلجى بالزاى أى فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشئ) أى من الاسماء أو الدعاء والثناء (لا أدرى ماهو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى أكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع أو جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا والباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكأنها تعقل أو على حذف أى يا قوم هاتوها أو عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان أى ائت بها وأحضرها (فاتيت بها) أى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبى هو مبنى لما لم يسم فاعله أى فأتونى بها وفى نسخة فأتيتها بضم همزة وكسر ثانية (فوضعتها بين يديه وذكر) أى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (أصابعه وصب جابر عليه) أى الماء (وقال) أى النبى

صلى الله عليه وسلم (بسم الله) أى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما أمره على ما فى أصل المؤلف (قال) أى جابر (فرأيت الماء
يفور) أى يظهر مرتفعا (من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) أى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة
فدارت كذا ذكره الدلجى تبعا للحلبى قيل لان المقام مقام آية فكما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شئ من الكتب
الستة الا فى مسلم على ما صرح به الحلبى وغيره (وأمر الناس بالاستقاء) أى باخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) أى بأجمعهم وهو بضم الواو الاولى

كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المصنف رحمه الله بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخة فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار (فقلت هل بقي لأحد له حاجة) أي قال جابر فقلت الى آخره وهل هنا قيل انها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان يكون استفهامية وقوله (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة) الفاء فيه فصيحة أي فقال لا فرفع الى آخره وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة غير مسلم (وهي ملأى) بوزن سكرى أي مملوءة بالماء لم ينقص شيأ بما أخذوه (وعن الشعبي) هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمصنف رحمه الله تعالى مالكي المذهب (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي أتاه بعض الصحابة (باداوة) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وألف وواو وهاء وجمعها أداوى وهي اناء صغير للماء من جلد ولذا أضافها لقوله (ماء في بعض أسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة) أي صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه أو أمر بصبها (ووضع أصبعه) بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة (وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية أي وضعه في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام في كتب العربية ليس هذا محله وبيناه في شرح الدرة وتقدم فيه ما مر ما فيه الكفاية (وغمسها في الماء) تفسير لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال (وجعل الناس يجيؤن ويتوضؤن) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة (ثم يقومون) بعد الوضوء (قال الترمذي) أبو عيسى امام أهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره (وفي الباب) أي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته ونبع الماء (عن عمران بن حصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين أي روى عنه مثله (ومثل هذا) الامر المعجز المروي في هذا الحديث (في هذه المواطن) جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس (الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء أي الكثيرة الناس (والجموع الكثيرة) أي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل (لا تتطرق التهمة) بضم المثناة الفوقية وفتح الحاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن في شيء على خلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما في القاموس والصحاح ولا يكون الاسم الا ما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل وأصل معناه يجد طريقا (الى المحدث به) بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها (لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه) أي تكذيب المخبر عنه أو المخبر لو وقع بين ناس كثيرين لا يمكن تواطئهم على الكذب (لما جبلت عليه النفوس

من

وأصله رووا أو كرضوا ولقوا (فقلت هل بقي لأحد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفي حديث وهل ترك لنا عقيل من دار أي ما بقي من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يده كما في أصل الدلجي وغيره (من الجفنة وهي ملأى) فعلى من الملء ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجة ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده في نفسه انه هل بقي لاحد حاجة اليه أم لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده شهادة لنفي البقاء فيكون كرامة أخرى (وعن الشعبي) بفتح أوله تابعي جليل فحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعي (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (في بعض أسفاره باداوة ماء) وهي بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء يسمى المطهرة (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) أي غير ما في الاداوة هذه وهي لم تكف الجماعة شربا ووضوءا (فسكبها) أي صبها (في ركوة) أي اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما في نسخة (ووضع أصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس أي أصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها أي في وسطها (وغمسها) أي غطس أصابعه وادخلها (في الماء وجعل الناس يجيؤن) أي يأتون اليه (ويتوضأون) أي منه (ويقومون) أي عنه وفي نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذي) أي صاحب الجامع (وفي الباب) أي وفي الاحاديث الواردة في هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتي في الفصل الآتي من هذا الباب (ومثل هذا) أي ما ذكر من خوارق العادة (في هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء أي الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفي نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح أي لا تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة أي المخبر به (لانهم) أي السلف من الصحابة والتابعين (كانوا أسرع شيء الى تكذيبه) أي تكذيب من أخبره لو عرفوا انه كاذب في خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول أي خلقت وطبعت (عليه النفس) أي النفوس كما في نسخة صحيحة

من ذلك) أى الاسراع الى التكذيب (ولانهم) أى من حضر تلك المحافل (كانوا ممن لا يسكت على باطل) فلا يقرونه على ماقاله اذا كذب فيه وهم عرفوا خلافه ولا يخافون فى الله لومة لائم (وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) الحديث الذى فيه نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم (واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له) أى قالوا انه وقع فى محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجاؤا الجماء الغفير أى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم أحد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس وليس هذا محل تفصيلها (ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم) أى لم يقل أحد ان مانقلوه من هذه المعجزة انها لا أصل لها ونحوه (انهم فعلوه وشاهدوه) بفتح همزة ان بدل من ماحدثوا وما فعلوه كوضوئهم وتفقدهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته (فصار) ماذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره (كتصديق جميعهم له) أى لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وأمرا مجمعا عليه وفى نسخة لهم

(فصل وممايشبه هذا) أى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (من معجزاته) بيان لما أو حال من اسم الاشارة (تفجير الماء ببركته) صلى الله تعالى عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا أو التفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شائع فيه وقوله ببركته أى بيمنه وجوده فى مكان أخرج منه الماء والبركة الخير الدائم وهى فى الاصل من البرك وهو الموضع الذى يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى رب انزلنى منزلا مباركا أى كثير الخير وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذى أفاضه على عباده وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله (وابتعاثه) وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماء حتى يجرى (بمسه ودعوته) أى بلمسه لمحله ودعائه فيه وأخر هذا عن نبعه من بين أصابعه لان الاول أقوى فى المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذلك لما تقدم (مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لان روايته له أعلى سندا عنده أو لترجيح روايته (عن معاذ بن جبل) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (فى قصة غزوة تبوك) بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير (وانهم) أى الجيش الذين كانوا معه صلى الله عليه وسلم (وردوا العين) تعريفها للعهد أى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا (وهى تبض) مضارع بض برنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال (بشئ من ماء مثل الشراك) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وألف وكاف وهو سير النعل الذى يكون على وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى أخدود فى الارض كما قيل (فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع) الماء الذى

(من ذلك) أى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) أى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) أى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) أى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين أصابعه (واشاعوه) أى نقلوه وافشوه واسندوه (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير أى الجمع الكثير كما فى قضية الحديبية (ولم ينكر أحد من الناس) أى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) أى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) أى اعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصل)

(ومما يشبه هذا) أى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين أصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع أى ثورانه وجريانه (بمسه) أى اياه بجارحته (ودعوته) أى بلسانه أو جنانه (فيما روى مالك) أى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا أخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع الهجرة (وانهم وردوا العين) أى التى كانت فيها (وهى تبص) بكسر الموحدة وتشديد المهملة أى تلمع وتلمع أو المعجمة أى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) أى قليل (من ماء) أى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ أو ماء وفى نسخة بالرفع على تقديره هو وفى أخرى بالنصب على انه حال من شئ أى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) أى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) أى الماء كما فى نسخة

(فى شئ) أى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) أى الماء المغسول به (فيها)
أى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة أى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) أى فشربوا منه وأسقوا دوابهم (قال) أى
معاذ (فى حديث ابن اسحق) أى فيما يرويه امام أهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء أى انفجر وجرى (من
الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين أى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد
وربما كان معه نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا أتت عليه وأهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (يوشك) أى يسرع ويدنو ويقرب (يامعاذ ان طالت بك حياة) أى مدة عمرك (ان ترى ماههنا)

غرفوه (فى شئ) من الاوانى التى كانت معهم وليس فيه قلب وان الاصل غرفوا فى شئ حتى اجتمع ماء
كثير كما توهم (ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشئ بمعنى الاناء أو
للماء وكان الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله (واعاده فيها) أى فى العين التى غرفوا منها وضمير اعاده
للماء لا للوجه كما توهم (فجرت بماء كثير) أى جرى من تلك العين ماء كثير (فاستقى الناس) أى شربوا
وسقوا دوابهم (قال) معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (فى حديث ابن اسحق) صاحب السير فيما رواه
عن معاذ فى سيرته (فانخرق) بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف أى انفجر انفجارا بشدة (من الماء
ماله حس كحس الصواعق) الحس بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو
مجاز مشهور ويقال للشئ له حس أى يسمع حركته والصواعق يكون معها أصوات شديدة من الصعقة
وهى الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من
تبوك كما قال ابن اسحق ثم انصرف قافلا من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل
ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة (ثم قال) النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء (يوشك) بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة
وكاف مضارع أوشك وفتح شينه لغة رديئة كما فى القاموس وغيره ومعناه يقرب ويسرع من غير بطؤ
(يامعاذ ان طالت بك حياة) أى ان أطال الله عمرك ورأيت هذا المكان (ان ترى) بعينك وهو فاعل
يوشك وان بالفتح مصدرية (ماههنا) ما موصولة أى الذى ههنا وهو اشارة للمكان (قد ملئ) بالبناء
للمجهول (جنانا) منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهى البستان أى يكثر ماؤه
ويخصب أرضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه
المراد منه اختصارا (وفى حديث البراء) بن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم (وسلمة بن الاكوع) أفعل
من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء فى صحيح البخارى وحديث سلمة بفتحتين فى
مسلم (وحديثه) أى حديث سلمة الذى رواه مسلم (أتم) من حديث البراء كما سيأتى (فى قصة الحديبية)
التى قدمناها وفيها بايعة الرضوان (وهم أربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم (وبئرها)
أى وماء بئرها (لا تروى) بضم المثناة الفوقية (خمسين شاة) الشاة معروفة وروى اشاء بهمزة
مكسورة فى أوله ومفتوحة فى آخره وهى النخلة الصغيرة (فنزحناها) أى أخرجنا جميع ما فيها من الماء
بطينه (فلم نترك فيها قطرة) من مائها (فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم
والباء الموحدة مقصور وهو فم البئر وما حولها أو بالكسر ما جمع فيها من الماء وروى شفاها بشين معجمة
وهما بمعنى هنا (قال البراء وأتى) بالبناء للمفعول (بدلو منها) أى من تلك البئر أى بماء دلو مما نزحوه منها

أى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول أى امتلاء (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهو البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة ألفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى أعلم (وفى حديث البراء) أى على ما رواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) أى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) أى حديث
سلمة (أتم) أى من حديث البراء (فى قصة الحديبية)
وهم أربع عشرة مائة) أى ألف وأربعمائة (وبئرها لا تروى) أى بضم التاء وكسر الواو أى لا تكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى
المعروف عند أهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى وهو الصواب
(فنزحناها) أى فنزعنا ما فيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة
المخففة مقصورا ما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وليس مرادا هنا وروى شفاها بفتح المعجمة والفاء مقصورا أى جانبها
وطرفها (قال البراء وأتى) أى جيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) أى فيه ماء (منها)

(فبصق)

فبصق) أي بزق فيه (فدعا) أي بالبركة في مائها أو كب ما في الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك وترددها (وقال سلمة) أي ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله أطلع على أحدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة أي فارت البئر وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا أنفسهم وركابهم) أي سقوا ذواتهم ودوابهم (وفي غير هذه الروايتين) أي رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى أن يقول وفي غيرها من الروايتين كما في نسخة أو في هذه الرواية عنهما (هذه القصة) أي قصة زيادة ماء البئر وفي نسخة في هذه القصة (من طريق ابن شهاب) أي الزهري (في الحديبية) وقد أبعد الدلجي حيث قال هذه القصة أي قصة الحديبية اشارة الى قصة الحديبية في الحديبية (فاخرج) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف أي جعبته وهي كنانته التي فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) أي سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفي نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو أتم مبنى وأعم معنى (في قعر قليب) أي عمق بئر لم تطو يعني لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو أي بأنفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة أخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما في باب الاستقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمساني والذي نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية

(فبصق) أي ألقى ريقه (ودعا) بعد بصاقه أو هو شك من الراوي هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما أشار اليه بقوله (وقال سلمة) راوي الحديث (اما دعا واما بصق فيها) بكسر همزة اما فيهما بيان للشك في الرواية وفي نسخة فاما دعا الى آخره وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل (فجاشت) البئر أي فار ماؤها حتى ارتفع اعلاها من جاشت القدر اذا غلت (فارووا أنفسهم وركابهم) أي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد علم ان حديث البراء رواه البخاري ولفظه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أربع عشر مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا أي عرفتنا ونحن وابلنا ارواء ولم يحتج للقيام بها لاجل الماء وان حديث سلمة في صحيح مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن أربع عشر مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع حتى اذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس قال وأيضا ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أعزل أي ليس معي سلاح فأعطاني جحفة أو درقة ثم بايع حتى كان في آخر الناس قال ألا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله أول الناس وأوسط الناس قال وأيضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المصنف من ان حديث سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للشاء حين قدموا ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي غير هذه الروايتين) كذا في أكثر النسخ بتوحيد هذه وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من التكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة (في هذه القصة) أي قصة الحديبية (من طريق ابن شهاب) الزهري وقد تقدمت ترجمته مرارا (في الحديبية) تفسير للقصة (فأخرج سهما من كنانته) هي ما يوضع فيه السهام لانها تكنها أي تسترها (فوضع) بالبناء للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه أي أمر بوضعه (في قعر قليب ليس فيها ماء) القليب البئر المحفورة من غير بناء فان بنيت فهي طوي ويذكر ويؤنث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ماء قليل والذي وضع السهم البراء وقيل ناجية على ما يأتي (فروي الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة أي شبعوا هم ودوابهم لقوله (حتى ضربوا بعطن) هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الماء بعد شربها النهل ولعلل بعد نهل وضربوا بمعنى أقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقي مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انزلوا فقالوا

(وعن أبى قتادة وذكر) على مارواه البيهقى عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض أسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة أو مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للا ّلة أى مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها فى ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير أى حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) أى أدخله فى فمه تشبيها له باللقمة لانه أدخل فمه فيها كما توهم التلمسانى

(والله أعلم) أى وأنا لا أعلم (نفث) أى أنفخ بريق أو بلا ريق (فيها أم لا) أى أم لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو أى بأنفسهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم فخيل) أى بصيغة المجهول أى تصور فى ذهنى (انها) الميضأة ملأى (كما أخذها منى) أى على حالها ما نقص شئ منها وقال التلمسانى وروى اليه أقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) أى مثل مروى أبى قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبرانى) وهو محمد بن جرير (حديث أبى قتادة على غير ماذكره أهل الصحيح وان) وفى نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبرى مخالفا لغيره وهو أن (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أى باصحابه (مددا) أى معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام

(عندما بلغه قتل الامراء) أى أمرائه وهم زيد بن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن أبى رواحة (وذكر) أى الطبرى (حديثا طويلا فيه معجزات) أى باهرة (وآيات) أى علامات وكرامات ظاهرة (للنبى صلى الله عليه وسلم) أى اعلامهم) تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه

ما بالوادى ماء تنزل عليه فأخرج سهما من كنانته أعطاه رجلا من أصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه ففعل فجاش الماء حتى ضرب الناس بعطن وفيه ان الذى نزل فى البئر خلاد الغفارى دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمى وكان البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه يقول أنا الذى نزلت كذا فى دلائل النبوة (وعن أبى قتادة) هو الحارث بن ربعى وقيل النعمان بن ربعى وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقى أيضا فاذا عطفه فقال (وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض أسفاره) لانه كان يوما شديد الحر (فدعا بالميضأة) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهى مقصورة ووزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء لوضوء فأتى بها (فجعلها فى ضبنه) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال أضبنته اذا جعلته فى ضبنك وبه سمى العيال كما فى الغريبين والمراد انه أمسكها وضمها اليه (ثم التقم فمها) أى أدخل فمها فى فيه كما تدخل اللقمة (فالله أعلم) أى قال الراوى انى لا أعلم (نفث فيها أم لا) أى أنفث فى تلك الميضأة أم لا والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ وأقل من التفل (فشرب الناس) من تلك الميضأة (حتى رووا) أى حصل لهم الرى المزيل للعطش (وملؤا كل اناء معهم) مما فضل عن شربهم (فخيل) بالبناء للمجهول (الى انها كما أخذها منى) أى مثل ما أخذها منى لم تنقص شيأ مما كان فيها حين أخذها منى وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى) محمد بن جرير الامام المشهور (حديث أبى قتادة) المذكور (على غير ماذكره أهل الصحيح) أى فيه مخالفة لما رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) أى بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم (مددا لاهل موتة) بضم الميم وسكون الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهى أرض من البلقاء وقرية بين تبوك وحوران من الشام ومددا بمعنى مقويا ومعينا (عندما بلغه قتل الامراء) ما مصدرية والامراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل حارث بن عمير الازدى بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل ابن عمر الغسانى فقتله ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول الله صلى الله تعالى وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وأرسلهم لقتال شرحبيل وقال ان قتل زيد فأميركم جعفر فان قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم كما ذكره أهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد الى آخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم من أخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (وذكر) أى ابن جرير (حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ذكر وما شاهده من جعفر وطيرانه فى الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره (وفيه

اعلامهم) أي اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف أي يعدمونه ولا يجدونه (في غد) فهو من أعلام النبوة لقوله تعالى وماتدري نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) أي الطبري (حديث الميضأة) أي كما سبق (قال) أي أبو قتادة (والقوم) أي أصحابه (زهاء ثلاثمائة) أي قدرها تخمينا قال المزي الوجه نصب زهاء ولكن أهل الحديث يرفعونه ذكره الشمني (وفي كتاب مسلم) يعني صحيحه (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابي قتادة) أي بعدما قال لهم انهم يفقدون الماء في غد (احفظ علي) أي لاجلي وفي نسخة علينا (ميضأتك فانه) أي الشأن (سيكون لها نبأ) أي خبر عظيم قال القاضي في الاكمال قال الامام للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث معجزتان قولية وهي اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهي تكثير الماء القليل (وذكر) أي الطبري (نحوه) أي نحوما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) أي ومما يدل على تفجر الماء

من بين أصابعه (حديث عمران ابن حصين) أي كما في الصحيحين عنه انه قال (حين أصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش) أي شديد (في بعض أسفارهم) وفي نسخة من أسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم أي فارسلهما وهما علي بن أبي طالب وعمران بن حصين (من أصحابه) كما صرح بهما في بعض طرق هذا الحديث (وأعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها أسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفي نسخة بتكرار كذا وتعيين الموضع في حديث صاحبه خاطب ابن أبي بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية أكبر من القربة وميمها زائدة وهي من مادة الزيادة لزيادتها على القربة وميمها زائدة وهي مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون مأخوذة من الزاد والله تعالى أعلم بالمراد ثم قيل هي الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذي يحملها (الحديث) أي بطوله والمعنى فذهبا على أثرها وطلباها (فوجداها وأتيا بها النبي) وفي نسخة الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في اناء) أي مما عنده (من مزادتيها) أي بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) أي من ثناء أو دعاء أو أسماء (ثم أعاد الماء) أي رد الماء المأخوذ (في المزادتين ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليها) بفتح العين المهملة والزاي تثنية عزلاء وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وأمر الناس) وفي نسخة ثم أمر الناس

اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر) ابن جرير (حديث الميضأة) السابق (قال والقوم زهاء ثلاثمائة) أي قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم آنفا (وفي كتاب مسلم انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابي قتادة) وقد رأى معه ميضأته (احفظ علي) وفي نسخة علينا (ميضأتك) هذه وأمسكها عندك (فانه) ضمير شأن (سيكون لها نبأ) أي خبر عظيم وقصة عجيبة في أمر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة (وذكر نحوه) أي مثل ما تقدم (ومن ذلك) أي من قبيل المعجزة السابقة في تفجير الماء (حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه) أي أرسلهما لجهة من الجهات (وأعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا) الرجلان عمران بن حصين الراوي وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل انهما علي والزبير بن العوام وفي البيهقي ان عليا خرج في نفر من أصحابه ولم يسم أحد هذه المرأة الا أنه وقع في السير انها أسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا أن في الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة واحدة (معها بعير) قال أهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى (عليه مزادتان) المزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقالوا انه بنية المزود (الحديث فوجداها) أي المرأة (وأتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها) أي جعل ماء من مائها في اناء عنده أي وضع فيه بعض ماء المزادتين (وقال فيه) أي في الماء الموضوع في الاناء (ماشاء الله ان يقول) المراد دعاؤه وذكر اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا أبهموه (ثم أعاد الماء) الذي أخذه في انائه من المزادتين فرده بعدما دعا له (في المزادتين) اللتين للمرأة (ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم والتأنيث والجمع وليس للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تتعدد في قربهم عزلاء وان من أسفل وعزلاء وان من فوق وما كان من أسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما الاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى وانما جنى على مائها لانها كانت حربية ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المرأة أسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (الناس)

ان يملؤا منه (فلأوا أسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يوضع فيه الماء (حتى لم يدعوا شيأ) من أوانيهم (الاملئوه) ماء (قال عمران) بن حصين رضى الله عنه (و) أنا (يخيل الى) بالبناء للمجهول (انهما لم يزدادا الامتلاء) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ أى حال كونى وقع فى مخيلتى ان المزادتين بعد أخذ الناس منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كان عليه (ثم أمر) صلى الله تعالى عليه وسلم أن يعطوها من زادهم شيأ بدلا عما أخذ من مائها تفضلا منه فان مائها لم ينقص (فجمع) بالبناء للمفعول أى جمع الناس (للمرأة من الازواد حتى ملأوا ثوبها) وحملوه على بعيرها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة (اذهبى فانالم نأخذ من مائك شيأ ولكن الله سقانا) من فضله واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ماذكره المصنف فقط وفى بعضها انهم ملئوا أسقيتهم وسقوا ابلهم وانه أمرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم من ماء القربة التى للكافرة لاينافى النهى منه عن استعمال أوانيهم وانهم نجس وأمره بغسلها اذا اضطروا الاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم وأوانيهم التى يضعون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لايتوهم فيها ذلك (الحديث بطوله) أى اقرأ الحديث بطوله وتمامه ان أردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى أنه حديث طويل مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها مارأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه (وعن سلمة بن الاكوع) رضى الله تعالى عنه تقدم بيانه انه (قال قال نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى يوم من الايام (هل من وضوء) بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذى يتوضؤ به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة فى المبتدأ المقدر خبره أى هل معكم وضوء وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة ودال مهملة أى اناء من جلد صغير (فيها نطفة) أى ماء قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة وأصل معناها القطرة ومنه نطفة الرجل لمنيه (فافرغها فى قدح) أى صبها فى اناء (فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لضمير الفاعل (ندغفقه دغفقة) مفعول مطلق وندغفقه بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف أى نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق أى واسع (أربع عشر مائة) من الرجال وأربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر أى ونحن أربع الى آخره أو بدل من ضمير ندغفقه أو توضأنا لانه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه على الحالية عن أحد الضمائر (وفى حديث عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى والبزار وابن خزيمة فى مسنده بسند صحيح (فى جيش العسرة) بضم العين فسكون السين المهملتين وهى غزوة تبوك الواقعة فى سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك لانها اتفقت فى زمان كانت النفقة والزاد فى غاية القلة عندهم ولذا لم يورالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كما كانت عادته فى أسفاره ولعثمان بن عفان رضى

ان يزودوها من زادهم زيادة على ماتوهمت انهم أخذوا من مزادتيها وفق مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد أى من جملتها (حتى ملأ) أى ذلك الزاد وفى نسخة ملأوا (ثوبها وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبى فانالم نأخذ من مائك شيأ) أى من كميته (ولكن الله سقانا) أى بسبب زيادة كيفيته ببركة أسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفى نسخة وقال سلمة (قال النبى) وفى نسخة نبى الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو أى أمعكم أو أعندكم أو اتم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة أى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) أى شئ يسير من الماء (فافرغها) أى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (فدغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة وفاء فقاف أى فصبه صبا كثيرا (أربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا أى ألف وأربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) أى الضيق والشدة وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حروو قت الثمار وكثرة ظلال الاشجار

(وذكر) أي عمر رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي المسلمين (من العطش) أي الشديد (حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) أي ما في كرشه (فيشربه فرغب أبو بكر) أي مال وتوجه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء) أي أمره أو في حمله على الدعاء (فرفع يديه) أي و يدعو ربه و يتضرع لديه و يثني عليه و يلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدي لم يرد يديه بعد رفعهما اليه وفي نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم أي لم يتغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) أي أمطرت فان القول يستعمل في جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم أي اعتدلت بالسحاب أو قامت

رضي الله تعالى عنه فيها اليد البيضاء لما جهزهم عماله كما بين في السير وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق (وذكر) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (ما أصابهم) أي جيش العسرة (من العطش) لقلة الماء (حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه) هو ما في كرشه (فيشربه) أي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم (فرغب أبو بكر) رضي الله تعالى عنه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) والرغبة طلب ما يحبه و يتعدى لمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده بعن فيقال رغب عنه و يكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه أي تضرع وتذلل (في الدعاء) أي في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه ليزيل ما بالناس من البأس الذي علمه منهم (فرفع يديه) نحو السماء التي جعلها الله تعالى قبلة للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر أي ودعا ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه أي يدعوه و يناشده في سرعة اجابته (فلم يرجعهما) بفتح الياء أي لم يرد يديه من دعائه و يرجع متعد كما في قوله تعالى فان رجعك الله و يكون لازما أيضا (حتى قالت السماء) أي غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيأ له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السماء اذا أرعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لايناسب قوله (فانسكبت) أي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم ✽ رعيناه وان كانوا غضابا

(فملؤا ما معهم من آنية) جمع اناء كاوان وبعضهم ظنه مفردا وهو وهم كما روا الامام معروف (ولم يجاوز العسكر) في يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء بمعنى السحاب أو للمطر المعلوم من السياق وهذه معجزة أخرى (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروى عن أبيه وغيره وأخرج له أربعة من أصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيه ساو توفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) أي راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لابي طالب (بذي المجاز) بفتح الميم والجيم وألف ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب أي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو (عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الدابة التي أردف عليها (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي

توجهها بالخيرات (فانسكبت) أي فانصب ماؤها بكثرة (فملؤا ما معهم من آنية) أي جميع أوانيهم (ولم تجاوز) أي السماء المراد بها السحاب وفي نسخة بالتذكير أي ولم يتعد المطر (العسكر) أي ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) أي ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرج له الائمة الاربعة (ان أبا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل احتمالين خلافا للتلمساني حيث جزم بان ضمير هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابي طالب والرديف الراكب من خلف (بذي المجاز) بفتح الميم

والجيم وزاي في آخره سوق عند عرفة من أسواق أهل الجاهلية (عطشت) بكسر الطاء قال الحلبي وهذا الحديث الذي ذكره القاضي هنا معضل لا أعلمه في الكتب الستة والرواية عن أبي طالب معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجي عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو هو ابن دينار ان أبا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي يعني نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت (وليس عندي ماء) وروى عنده وروى معي وعنده مثلث العين ذكره التلمساني (فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال

اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعنى فيكون من الارهاصات ولا يبعد أن يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى أواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة وحواليها من آثار تلك البركات هذا أبو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى وروى اسلام أمه باسناد صحيح وروى اسلام أبويه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث (والحديث) اللام للجنس أى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) أى غير ما ذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه) أى من أنواع استجابة الدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) أى كمية أو كيفية (ببركته) أى بركة حصول وجوده أو وصول يده (ودعائه) أى لربه مقرونا بثنائه (قال) أى المصنف (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى) بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو أبو عبد الرحمن النيسابورى حجة أخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست وأربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن أعين) بفتح فسكون ففتحتين ثقة أخرج له الشيخان وأبو داود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين أخرج له مسلم وأبو داود والنسائى (عن أبى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان وأخرج له مسلم والاربعة وأخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ نصفه وهو بفتح أوله ولا يصح كسره قال النووى والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذى (فمازال) أى ذلك الرجل السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) أى من ذلك الطعام (وامرأته

طالب (أشرب) قيل هذا كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان أبا طالب كافر لا يستدل بقوله (والحديث فى هذا الباب) أى باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء) أى دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد الماء عند الحاجة اليه (وما جانسه) أى شابه الاستسقاء من السماء كما ذكرهنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف

(فصل) مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان (ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه) النافعين عند الحاجة وبدأه بحديث رواه مسلم فى صحيحه بسند صحيح وهو (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته قال (حدثنا العذرى) قال (حدثنا الرازى) تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال (حدثنا الجلودى) تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال (حدثنا سلمة بن شبيب) أبو عبد الرحمن النيسابورى الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين قال (حدثنا الحسن بن أعين) أفعل تفضيل من العين وهو الحسن بن أعين بن محمد الحرانى الثقة قال (حدثنا معقل) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة (عن أبى الزبير) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة (عن جابر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه) أى يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من أهل البادية والطعام ما يؤكل وبه قوام البدن ويطلق على غيره مجازا (فاطعمه) أى أعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطاء كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا فيقال أطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل أو استعارة (شطر وسق شعير) الشطر هنا بمعنى النصف وهو أصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير أى حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية فى ستين صاعا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية وأربع مائة وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف فى قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول مائة وستون رطلا وعلى الثانى مائتان وأربعون رطلا والكلام فى المقادير الشرعية مفصل فى كتب الفروع (فمازال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى يأكل من غير

وضيفه) أى كذلك فهما مرفوعان أو معهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فهملة (حتى كاله) أى ليعرف نقصانه وكماله ويوجب
اكتياله ما يبين حاله وما له ففنى بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فاتى) أى الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) أى بانه
كاله وجرب حاله (فقال لولم تكله) أى وما جربته (لاكلتم منه) أى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) أى بأودكم مدة بقائكم وفى هذا الحديث
ان البركة أكثر ما تكون فى المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم * قيل والحكمة فى ذلك ان الكائل
يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفى تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه سبحانه وتعالى مجابة للبركة واما الحديث
الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج النفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل

فصل مؤكد كاسكن أنت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه
فصله بقوله منه وهو فصيح أيضا وقد يعطف من غير فاصل أصلا كما فى قول على كرم الله وجهه كنت
وأبو بكر وعمر لكنه قليل (وضيفه) أى من ينزل عليه من غير أهله وهو يطلق على الواحد وغيره وقد
يختص بالمفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف أى لم يزالوا يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص
لانه لا يزال يكثر ببركة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفى نسخة وضيف
(حتى كاله) غاية لاكله أى استمر أكلهم منه من غير نقص شئ منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل
عما يأخذ منه فكانت البركة فى ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه
من الاتكال على الله وهو أكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد فى الحديث من قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه وقيل المراد
كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا غير مكيل
وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من أسرار الله تعالى ينبغى كتمه (فاتى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فاخبره) بتكثير ما عطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته (فقال لولم تكله لاكلتم منه) أى
لاستمر أكلكم منه الى غير النهاية (ولقام بكم) أى لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير
نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه
فانكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ
فبعث أبا رافع وأبا أيوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودى فى شطر وسق من شعير ودفعه اليه قال
فأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه (ومن ذلك) أى تكثير الطعام ببركته صلى
الله تعالى عليه وسلم (حديث أبى طلحة المشهور) فى قصته التى رواها الشيخان عن أنس رضى الله
تعالى عنه وهو زيد بن سهل بن الاسود الانصارى الصحابى رضى الله تعالى عنه توفى سنة احدى وثلاثين
وقيل غير ذلك والمشهور يعنى انه كثرت روايته فى كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل ان يريد
بالمشهور معناه المعروف فى مصطلح الحديث (واطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عطف على
حديث (ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم بالثمانين (من أقراص من شعير) جمع قرص وهو
رغيف صغير (اتى بها أنس) بن مالك وفى نسخة جاء وهو عم أبى طلحة (تحت يده أى ابطه) بكسر
الهمزة والباء وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد تشمله وغيره والابط يذكر ويؤنث
(فامر بها) أى بالاقراص (ففتت) يقال فتته اذا قطعه باصابعه قطعا صغيرة بقدار اللقمة وقد يطلق

بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه امرأة فالتمس النبى عليه الصلاة والسلام ما سأله فلم يجدا فبعث أبا رافع الانصارى وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم أكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه كذا ذكره التلمسانى وهو خلاف ظاهر ما حرره القاضى ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) أى مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه عليه الصلاة والسلام (حديث أبى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو
المروى فى الصحيحين عن أنس فى قصته وأبو طلحة هذا هو عم أنس بن مالك زوج أم سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى أحد
الفقهاء قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة ذكر انه قتل يوم حنين عشرين رجلا وأخذ سلبهم روى
عنه ابنه عبد الله وابن زوجته أنس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلا) وجزم مسلم فى روايته
بثمانين رجلا (من أقراص) أى قليلة (من شعير جاء) وفى نسخة أتى (بها) أى بتلك الاقراص وفى نسخة به أى بما ذكر (أنس
تحت يده أى ابطه) يعنى حال كون انس واضعها تحت ابطه من كمال قلتها (فأمر بها) أى بالاقراص أو بفتها (ففتت) بضم الفاء
وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة أى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها بأصابعه وثردها وفى حديث اذا قل طعامكم فاثردوه

(وقال فيها) أي في حق الاقراص (ماشاء الله ان يقول) أي من ثناء ودعاء واسماء وأمر بمجيء عشرة عشرة حتى أكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووي وانما أذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فان القصعة التي فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم و يظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل ان يكون لضيق المنزل وهو أقرب (وحديث جابر) أي ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخاري عنه (في اطعامه صلى الله

تعالى عليه وسلم يوم الخندق) أي زمن حفره وهو يوم الاحزاب (ألف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح أوله وهي الانثى من أولاد المعز ما لم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) أي منه (حتى تركوه) أي على حاله وفي أصل الدلجي لاكلوا حتى شبعوا غايته للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) أي مالوا الى حرف أي جانب وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هي القدر من حجر أو مدر (لتغط) بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة أي تغلي من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها (كما هي) أي على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شيء وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف أي مثل ماهي قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) أي كما هو وكل ذلك بعد ان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) أي وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) أي بزق (في العجين والبرمة وبارك) أي ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدودا و يقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال أو فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر في الصحيحين (وأيمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو أيمن الحبشي المكي وأمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته أخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر في الخندق أخرجه البخاري في المغازي و زيد في بعض النسخ الصحيحة ههنا بعد قوله أيمن

بمعنى التكسير مطلقا (وقال فيها) أي في شانها بان دعا ببركتها وذكر أسماء الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل (ماشاء الله ان يقول) أي ماقدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين اقتصر المصنف على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان أبا طلحة رضي الله تعالى عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما أكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا وأطعموا جيرانهم (وحديث جابر) رضي الله تعالى عنه الذي رواه البخاري (في اطعامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم الخندق) أي قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كنده بمعنى الحفر (ألف رجل) بالنصب مفعول اطعام و يوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث مبتدأ خبره مقدر أي من ذلك وقوله (من صاع شعير) بالاضافة وفي نسخة من صاع من شعير وتقدم معنى الصاع (وعناق) بفتح العين وهي الانثى من أولاد المعز لم يتم لها سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) وفي نسخة لقد أكلوا ولما كان هذا أمرا غريبا خارقا للعادة أكده بالقسم لانه مظنة الانكار (حتى تركوه وانحرفوا) أي أكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة أخرى غير التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على طرف غير متمكن (وان برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء القدر مطلقا أو من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة وفتح أو كسر الغين المعجمة و بعدها طاء مهملة مشددة أي تغلي غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق (كما هي) أي على حالها الاول لم ينقص منها شيء مع كثرة من أكل منها وهذا محل الشاهد (وان عجيننا ليخبز) أي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله شيأ فشيأ لمن يأكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة و بارك) فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما أي الزيادة والنمو (رواه) أي روى هذا الحديث (عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلاء أو مفعال وسعيد هذا أخرج له البخاري ومسلم وميناء علم منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج (وأيمن)

بزنة

(وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) أى الراوى عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) أى ثابت أو كل من الرجل والمرأة (وجىء بمثل الكف) أى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) أى يدلكها ويوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) أى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) أى وما حولها من الفناء (وكان ذلك) أى المقام (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) أى المرام (وبقى) أى ذلك الطعام (بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) أى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى أخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك وأعطاه ما أغلق عليه ولما قفل أعطاه عشرين ألفا وأربعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صففتم العدو فادفنونى تحت أرجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاى أى مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فأكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه أى الاكل أو الطعام والثانى أظهر فى المرام لقرينة المقام ولقوله (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) أى فدعاهم فأكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتى أسلم) أى أظهر الاسلام أو ثبت على ذلك المرام قال التلمسانى فى الاصل هكذا الا حتى أسلم وصوابه حتى أسلم (وبايع) أى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال أبو أيوب فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين أكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر أن يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جىء

برنة أفعل من اليمن وهو أيمن الحبشى المكى والد عبد الواحد بن أيمن مولى عمرة المخزومى الثقة وقال ابن حبان انه أيمن بن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخو أسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن أم أيمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمته بترجمة وتبعه التلمسانى (وعن ثابت مثله) أى مثل حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجىء بمثل الكف) وفى نسخة بملء الكف (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ماشاء الله) ان يقول (فأكل منه من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك) أى ما ذكر من الثلاثة (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان فى الاناء) وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وحديث أبى أيوب) أى ومن ذلك حديث أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبرانى والبيهقى وهو (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر) حين قدما المدينة فى الهجرة (من الطعام زهاء) أى مقدار (ما يكفيهما) أى طعاما يكفى رجلين فقط وهو بيان لقلته (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم) لما أخبره بذلك ودعاه (ادع ثلاثين من أشراف الانصار) انما خصهم قيل ليتألفهم كى يسلموا فان ذلك كان فى أول الهجرة وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك (فدعاهم فأكلوا حتى تركوه) أى شبعوا وتركوا الطعام أو الاكل منه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (ادع ستين) أى من أشراف الانصار (فكان مثل ذلك) أى أكلوا حتى تركوه (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم له (ادع سبعين) فدعاهم (فأكلوا حتى تركوا) الطعام والاكل كامر (وما خرج أحد منهم) أى ممن دعاه وأكل حتى شبع (حتى أسلم وبايع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم وفى نسخة الا حتى أسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له (قال أبو أيوب) رضى الله تعالى عنه (فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) ذكر بعضا منهم وترك الباقى كأنه لكونهم لم يدعهم بأمره والمذكور مائة وستون غير أبى بكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن سمرة بن جندب) تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول اذ لا يتعلق غرض

(بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) أي تناوبها في تناولها الصحابه جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون ففتحتين لانها معرفة (حتى الليل) أي الى آخر نهار تلك الغدوة مع أخذ بعض الوقف من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافي ماقال التلمساني هكذا في الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ماكان يمد الامن ههنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر) على مافي الصحيحين عنه (كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) أي رجلا (ومائة) أي رجلا وهو لغة في مائة وثلاثين (وذكر) أي عبد الرحمن (في الحديث) أي في حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفي نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفي أصل الدلجي وصنع شاة أي فرغ من شانها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه أن يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه العادة ان يعجز واحد عن القيام بأمورها كلها فقد روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض أسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقام آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب في ذلك المقام (فشوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة أو مع ما يليها مما في جوفها واختاره الهروي والنووي الاول وخص الكبد لانه أصل الحياة وقيل القلب (قال) وفي نسخة ثم قال أي عبد الرحمن (وأيم الله) بهمزة وصل أو قطع وضم الميم ويكسر وهو ألفاظ من ألفاظ القسم كعمر الله وعهد الله وأصله وأيمن الله كما في نسخة وهو جمع يمين والمعنى أقسم ببركة الله وقدرته وقوته (مامن الثلاثين ومائتين) أي أحد (الا وقد حزله) بفتح الحاء وتشديد الزاي (حزة) بفتح الحاء وتضم أي قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبي قوله حزة بفتح الحاء في النسخة التي وقفت عليها ولا أعرفها ولا أحفظها الا بالضم وهي القطعة الحزوزة وأما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد في هذا المقام والله تعالى أعلم بالمرام ثم رأيت الشمني جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أي من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) أي جفنتين كبيرتين (فاكلنا أجمعون وفضل) بفتح الضاد في الماضي وضمها في المستقبل وبكسرها في الماضي وفتحها في المضارع أي وزاد (في القصعتين) وقيل الاول من الفضل في السودد والثاني من الفضلة وهي بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهري حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة أخرى مثل حذر يحذر

بيان الآتي هنا (بقصعة) بفتح القاف ولا تكسر القصعة (فيها لحم) مطبوخ (فتعاقبوها) أي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لان كلا منهم أتى على عقب بعض أي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز (من غدوة حتى الليل) بالجر ويجوز رفعه ونصبه (يقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لما قبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر فيقوم قوم ويقعد قوم آخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن أي شئ تعجب ماكان الامن هنا وأشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما (كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان (ثلاثين ومائة) ومع النبي حال من اسم كان أوهما خبران أي خبر بعد خبر (وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام) روى ببناء عجن للفاعل ونصب صاعا وبنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت في قوله (وصنعت شاة فشوى) ببناء المفعول (سواد بطنها) المراد به الكبد خاصة أو حشوها مطلقا والاول أظهر (قال) أي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (وأيم الله) قسم كعهد الله وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره (مامن الثلاثين ومائة) احد (الا وقد حزله حزة) بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة والحز هو القطع بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم (من سواد بطنها) أي كبدها كما مر والحز بعينه بحسب الظاهر وهو أنسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تفريقها عليهم (ثم جعل منها) أي طبخ من الشاة ماجعل ملئ (قصعتين فأكلنا أجمعون) بالرفع تاكيد لاسم كان من غير أن يكون تابعا للكل كقوله لاغوينهم أجمعين (وفضل في القصعتين) أي فضل من لحمها مقدار في

القصعتين

(فحملته) أي ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن أبي عمرة الانصاري عن أبيه) أي أبي عمرة وهو أنصاري بدري له حديث في بركة الطعام في بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل أبو عمرة مع علي رضي الله تعالى عنه بصفين أخرج له النسائي فقط كذا قرره الحلبي وقال الدلجي حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقي عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) أي مثل مروي عبد الرحمن (عن سلمة بن الاكوع وأبي هريرة) كما رواه البخاري عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه أبو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) أي هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين أي مجاعة شديدة (أصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائد كما في نسخة أي فطلبها ليبرك فيها فتكثر كميتها أو كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية أي باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفي نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهي ما يحمل في الحضن (وفوق ذلك) أي في الكثرة أو القلة (وأعلاهم) أي في الزيادة (الذي أتى بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا في القاموس وقال الحلبي تلميذه أفصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمني وهو خلاف ما يتبادر عن عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه أخف أنواع هذه اللغة هذا وقد وقع في أصل الدلجي فجعله بالنون بالام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله أي ما جمع من الازواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى أعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاي فسكون الراء أي خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فضاد معجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة أي مثل جثتها اذا بركت والعنز هي الانثى من المعز وأشار سلمة بهذا الى قلة التمر

القصة بين بعد ما أكلوا حتى شبعوا وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو ذكره المصنف رحمه الله تعالى كان أولى لانه محل الشاهد وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر في الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة أو من التداخل وان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير (فحملته على البعير) فيه اشارة الكثرة ما بقي بعد ما أكلهم كلهم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه (حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة) بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة (الانصاري عن أبيه) أبي عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصاري البخاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين وفي اسم أبي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن أخرج له أصحاب الكتب الستة لا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومثله) أي مثل حديث عبد الرحمن (لسلمة بن الاكوع وأبي هريرة) في مسلم (وعمر بن الخطاب) ورواه أبو يعلى بسند جيد (فذكروا) أي هؤلاء (مخمصة) بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام أي مجاعة (أصابت الناس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو أو هو بمعنى الغزو نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة وفي دلائل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس انه في مرجعهم من الحديبية كلمه بعض أصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره لنا الحديث فالقصة وقعت مرتين (فدعا ببقية الازواد) أي طلب من كل رجل منهم ان يأتي بما بقي عنده من زاده (فجاء الرجل بالحثية) بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو ما يملأ اليدين معا وقيل بالفاء في اليدين وبالثاني أحدهما وروي بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول أشهر وأظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين (من الطعام) اليسير الذي بقي عنده (وفوق ذلك) أي أزيد منه بيسير (وأعلاهم) أي أكثرهم زادا وبقية (الذي أتى بالصاع من التمر فجعله) أي وضع ما اجتمع من الازواد (على نطع) بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب بساط من أدم وفيه لغات أربع هذه أفصحها وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء (قال سلمة فحزرته) بحاء مهملة وزاي معجمة وراء مهملة أي قدرته بطريق الحدس والتخمين (كربضة العنز) براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة

(ثم دعا الناس) أى طلب النبى صلى الله عليه وسلم (بأوعيتهم) الاوعية والازود واحدو قوله فى نص الحديث حتى ملأ القوم أزودتهم قال القاضى فى الاكمال كذا الرواية فيه فى جميع أصول شيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال فى الحديث الآخر أوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء) بكسر الواو أى ظرف واناء (الاملأوه وبقى منه) أى قدر ما جعل كما فى نسخة أى جمع أولا (وأكثر) أى وقد يقال أكثر (ولو ورده أهل الارض لكفاهم) أى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن أبى شيبة والطبرانى فى الاوسط بسند جيد انه قال (أمرنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدعواه) أى أطلب أنا لاجله (أهل الصفة) بالضم والتشديد أى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فأووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى أبى هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم أردية ثم قال أبو الفتح اليعمرى منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة ابن الاسقع وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة لقد رأيت سبعين رجلا من أهل الصفة وقد عد من أهل الصفة أبو نعيم فى الحلية مائة ونيفا فيهم أبو هريرة وابن الاسقع وأصحاب بشر معوية وفى عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحو أربعمائة والله تعالى أعلم وعد منهم سعد ابن أبى وقاص وعمار بن ياسر وعقبة ابن عامر وسلمان و بلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال فى نظم الدرز وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد اذا أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية أرسلها اليهم وأشركهم فيها وقال صاحب الكشاف أصحاب الصفة كانوا نحو أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة كانوا فى صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضحون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام أتى بهم اذا أمسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة أى فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة) أى قصعة مبسوطة (فأكلنا منها ماشئنا وفرغنا وهى مثلها) حين وضعت يعنى انها ما زادت ولا نقصت (الا ان فيها أثر الاصابع) أى أصابع الآكلين فانها ما زادت لان

من الربوض وهو كالجلوس فى الانسان والبروك للابل والجثوم للطير أى مقداره مقدار جثة عنز باركة على الارض أوهو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها (ثم دعا الناس بأوعيتهم) أى طلب مجيئهم ومعهم أوعيتهم ليأخذوا مما اجتمع عنده فى الحديث حتى ملأوا أزودتهم قال المصنف فى الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد أيضا جاؤا بأوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء الاملئوه) مما اجتمع عنده (وبقى منه) أى فضل منه بقية بعدما أخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث اطوله وفيه انهم أكلوا حتى شبعوا ثم حثوا فى أوعيتهم وقبله انهم لما أصابهم الجوع قال له بعضهم لو أمرتنا نحرنا نواضحا أى ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه ان فعلوا قل الظهر يعنى ما يركب ولكن ادع بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة والآخر بكف تمر والآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فأخذوا كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الحديث (وعن أبى هريرة) فى حديث رواه ابن أبى شيبة والطبرانى بسند جيد (أمرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أدعواه أهل الصفة) تقدم ان الصفة محل مرتفع فى الدار والمسجد وغيره مفرز عن غيره للجلوس فيه وكان فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الاغراب وغيرهم كسلمان وأبى ذر وقال أبو نعيم فى الحلية كانوا نيفا ومائة وفى عوارف المعارف انهم كانوا نحو الار بعمائة ونحوه فى الكشاف ولا ينافيه ماروى انه روى منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا أردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيئالهم وانا نتوسل الى الله تعالى بهم ان يجعلنا فى بركتهم (فتتبعتهم) أى ذهبت لكل واحد منهم فى مكان كان فيه لانهم فى النهار يتفرقون فى المدينة لان كل أحد لا يخلو من حاجة يذهب لها (حتى جمعتهم) عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فوضعت) بالبناء للمجهول (بين أيدينا صحفة) بالرفع نائب الفاعل وهى اناء بين الصغير والكبير يعد للطعام (وأكلنا ماشئنا وفرغنا) أى حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل (وهى مثل ما وضعت) جملة حالية أى وهى مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعت بين أيدينا (الا ان فيها أثر الاصابع) أى أصابع من أكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشئ بنفسه كما لا يخفى وكان أهل الصفة يسمون أضياف الاسلام

(وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبيهقى بسند جيد أنه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) أى رجلا (منهم قوم) أى بعض (يأكلون الجذعة) أى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما أتى عليه ثمانية أشهر من الضأن قبل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل فى الخامسة أو الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة أصبع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) أى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان ورطل وثلث أو ملئ كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فأكلوا) أى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) أى كأن لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) أى شئ (وقال أنس) أى على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) أى تزوج ودخل (بزينب) أى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى أدخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيآن يعنى الشاة والحيس (أمره) أى أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أى جماعة عينهم باسمائهم وخصهم ثم عمهم بعطف وغيرهم حيث قال (وكل من لقيت) أى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت

لان أكثرهم أعراب وقال أكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان أبا هريرة منهم (وعن على بن أبى طالب) فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند جيد (جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين) رجلا وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة (منهم قوم) هو فى الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور (يأكلون الجذعة) بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهى من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل انه فى البقر ما دخل فى الثالثة والمراد هنا الاول أى أقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهم أكلة رأس (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم أى يرويهم ما فيه وفى النسخ هنا اختلاف ففى بعضها بنى عبد المطلب منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب منهم قوم يأكل الجذعة وفى بعضها منهم قوم يأكل وفى بعضها منهم قوم يأكلون وهذه أقرب وفى التى قبلها قلق ما وقال التلمسانى المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات وهى التى تدخل فى الخامسة (فصنع لهم مدا من طعام) أى طبخه وسواه (فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو) ما موصولة وهو مبتدأ خبره محذوف أى قبل الاكل والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كأنه ما أكل منه شئ (ثم دعا بعس) بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من أهله لهم (فشربوا) من العس (حتى رووا) أى تم شربهم منه (وبقى كأنه لم يشرب) منه شئ وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بدأت قومى بها رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك فدعا عليا رضى الله تعالى عنه وأخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعدلنا عس لبن ثم اجمع بنى المطلب وهم نحو أربعين من أعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فأكلوا ثم شربوا فلما أراد أن يكلمهم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان فى الغد فعل مثل ذلك فلما أراد ان يكلمهم تفرقوا وفى الثالثة قال لهم يا بنى عبد المطلب انه لم يجئكم أحد بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة الى آخر الحديث والذى فى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفاء ونادى يا بنى فهر يا بنى عدى ويا بطون قريش حتى اجتمعوا الى آخره ولعل ذلك تكرر فخص أولا ثم عمم (وقال أنس) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما) وفى نسخة حين (ابتنى بزينب) بنت جحش أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهو افتعال من البناء وهو التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها (أمره) أى أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنسا (ان يدعو له قوما سماهم) أى عينهم باسمائهم (وكل من لقيت) بتاء الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر أى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم أو قال فدعوتهم (حتى امتلأ البيت) بالناس

والحجرة) وهي موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا في حديث أنس الآتي في آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت أم سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحد من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هي بيتها (فقدم) وفي نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر أو حجارة كالاجانة وهي التي تسمى مركناطة أو سطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) أي بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق أو فتيت أو سويق (فوضعه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) أي بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي فيه (وجعل القوم) أي شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفي نسخة بالذال المعجمة وهو ما يؤكل أعم من العشاء والغداء قال الحلبي في النسخة التي وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين أعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفي صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه أيضا من حديث أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار أي ارتفع وهذا صريح في ان ذلك كان في صدر النهار يعني فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج في المعنى الاعم والله تعالى أعلم (ويخرجون) أي حتى خرج آخرهم (وبقي التور) أي بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز لنسبة بقي أو حال من التور (وكانوا) وفي نسخة وكان القوم (احدا أو اثنين وسبعين) وفي أصل الدلجي أحدا وثلاثين أو اثنين وسبعين (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب (أو مثلها) أي أو في مثل هذه القصة وهي قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاي أي قدرها (وانهم أكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء وهذا (وقال لي) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) أي التور وفي أصل التلمساني لترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا في قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل كل أحد كم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من أعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن أبي كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا أدري) وفي أصل الدلجي فما أدري (حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد أن يكون بصيغتي الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته وأقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة بحين رفعها بخلاف حال وضعها

المراد به المنزل كله وقيل انه أراد به الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به (والحجرة) هي بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة تخصها وأصل معنى الحجرة بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم (وقدم اليهم تورا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة كالاجانة أو كالقدح الذي يشرب فيه (فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره (جعل) بالبناء للمفعول (حيسا) مفعوله الثاني وهو بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة وهو تمر خلط بسمن واقط أو دقيق قال * التمر والسمن جميعا والاقط * أو الدقيق الحيس لما يختلط وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول أعرف وأصل معنى الحيس الخلط (فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور (قدامه) بين يديه (وغمس ثلاث أصابعه) أي أدخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم بالاكل معهم والسنة ان يأكل بثلاث أصابع ففيه تعليم لهم (وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين وهو أعم من الغداء بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح أن يكون بالمهملة أيضا كما في المقتفى (ويخرجون) من الحجرة (وبقي التور نحوا) تمييز أو حال (مما كان) قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا (وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين) رجلا وهو شك من الراوي وقيل ان هذه القصة في بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية والراوي أدخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق الشيآن من الشاة والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي التور تجوز أي بقي ما فيه (وفي رواية أخرى في هذه القصة) أي قصة وليمة زينب رضي الله تعالى عنها (أو مثلها) فيما ذكر من الطعام (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) أي مقدارهم (وانهم أكلوا حتى شبعوا وقال) لي بعد ما شبعوا (ارفع) التور من مكانه (فما أدري حين وضعت) بضم التاء للمتكلم أي حين وضعته أو بتاء التأنيث الساكنة كالتي في قوله (كانت) بالتأنيث باعتبار انه آنية (أكثر أم حين رفعت) بالوجهين وروي لترفع بدل أرفع بلام الامر والخطاب والاول أولى وأفصح

وهذا حديث طويل في مسلم اختصره المصنف رحمه الله تعالى اقتصارا على محل الشاهد منه (وفي حديث جعفر) الصادق (عن أبيه محمد) الباقر (عن علي) بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه جد والد محمد أعني زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد رضي الله تعالى عنه فان كان علي المذكور عن الاصغر فالحديث مرسل أو معضل فهو ضعيف (ان فاطمة) الزهراء (طبخت قدرا) أي طعاما في قدر ففيه تجوز أو هو بتقدير مضاف أي طعام قدر (لغداء) بالمعجمة وهو كل ما يؤكل في أي وقت أو بمهملة وهو ما يؤكل أول النهار أي لاجل غدائها وفي نسخة تتغذى به وفي نسخة لغدائهما (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لجهته والمراد بيته (ليتغدى معها) وفي نسخة معهما (فأمرها) أي قال لها اغرفي من القدر (فغرفت) بالغين المعجمة (لجميع نسائه) التسع المعروفة (صحفة صحفة) منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير معروف (ثم له ولعلي) أي ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي (ثم لها) أي ثم غرفت لنفسها ما تتغذى به رضي الله عنها (ثم رفعت القدر) بعدما غرفت لجميع من ذكر (وانها لتفيض) جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض والمراد انه بعدما غرف منه بقي مملوأ بطعام كثير يسيل من جوانبه ببركته صلى الله عليه وسلم وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده فلما رأت وأمرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فأكلنا منها) أي أكلنا كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة وقيل يجوز تذكيرها وتأنيثها فالمراد ان أهل فاطمة رضي الله تعالى عنها وأهل بيتها أكلوا مما بقي في القدر بعدما فرقته (ماشاء الله) أي الذي أراده الله لنا أو مدة ارادة الله تعالى ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك (وأمر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر (عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود أربعمائة راكب) أي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد (من أحمس) بزنة أحمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهم بطن من ضبيعة يقال لهم بنو حمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية (فقال) عمر رضي الله تعالى عنه (يارسول الله ماهي الا أصوع) بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة كما في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على أصوع وصيعان وفي كثير من الروايات أي في الحديث آصع بالمد والصواب أصوع انتهى وقوله والصواب أصوع غير مسلم واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وهو مبني على عدم صحة الاستدلال بالحديث في العربية وهو على الاطلاق فاسد أي قال عمر رضي الله تعالى عنه ليس التمر الذي عندي يكفي فانه أصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع أربعة أمداد والمد رطل وثلث أو رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم والضمير أعني هي راجع للاصوع وان تأخر لان الودبعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا ما يتلوه وأصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله

(وفي حديث جعفر) أي الصادق (ابن محمد) أي الباقر (عن أبيه) أي أبي جعفر محمد (عن علي) أي ابن أبي طالب جد والد محمد وهو زين العابدين علي بن الحسين بن علي كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا والده لم يدرك عليا فقول الحلبي رواية الباقر عن علي مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) أي طعاما قدرا وذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) أي أرسلته (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي أصل التلمساني في النبي أي في طلبه والتوجيه اليه أوفى بمعنى الى (ليتغدى معهما) أي فجاءها (فأمرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قريظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلي ثم لها) أي ولاولادها أو لمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية أي الفور وتسيل من جوانبها (قالت) أي فاطمة (فأكلنا) وفي نسخة وأكلنا (منها ماشاء الله) أي ان نأكل منها (وأمر) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر ابن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة أي يعطي الزاد (أربعمائة راكب من أحمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة في الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم في دينهم وذلك انهم كانوا أيام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من أبوابها وفي رواية أربعمائة راكب من مزينة وهي قبيلة من مضر (فقال يارسول الله ماهي الا أصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهري وان شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة وفي نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء في كثير من الرواة آصع والصواب أصوع

(فقال اذهب) أى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) أى الذى أعطاهم (قدر الفصيل) أى ولد الناقة اذا فصل عن أمه أى فطم (الرابض) بكسر الموحدة أى الحقير أو البارك (من التمر وبقى) أى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) أى كأن لم يؤخذ منه شئ (من) أى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير وأوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها أبو داود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزنى قال أتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام أى الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة أى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح أى فاعطانا ما أعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن أبى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى أيضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى أيضا أسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع أى الحديث هذا (بعينه) أى من غير زيادة ونقصان فيه على مارواه أحمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) أى النعمان (أربعمائة راكب من مزينة) أى كما رعن أبى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ المعلومة
وأبعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) أى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة ثنائه (حديث جابر فى دين أبيه بعد موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) أى جابر (بذل لغرماء أبيه أصل ماله) أى أراد ان يبذل لهم أو عرض عليهم و رضى لهم ان يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة أى أعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) أى استحقار الاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها سنتين) أى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله أو ثمر نخيل جابر أو أبيه بكماله

* هى النفس ما حملتها تتحمل * وهى العرب تقول ماشاءت انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام فى شرح التسهيل لا يسعه المقام (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضى الله تعالى عنه (اذهب) وافعل ما أمرتك به ولا تبال بقلة ما عندك (فذهب) عمر (فزودهم منه) أى أعطاهم ما يكفى لهم من التمر الذى عنده (وكان) أى التمر (قدر الفصيل) هو ولد الناقة الصغير (الرابض) أى البارك على الارض وهو بيان لمقداره تخمينا (من التمر) بيان لقدر (وبقى بحاله) أى لم ينقص شيأ مع اعطائهم منه وهو من المعجزات (من رواية دكين) خبر مبتدأ مقدر أى وهذا الحديث من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم ياء تصغير ونون و رواه العزفى بالراء بدل الدال و قال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد وقيل مسعد المزنى وقيل الخثعمى وله صحبة وهذا الحديث رواه أبو داود فى الادب قال أتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير أبى داود (الاحمسى) نسبة لبنى أحمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين (ومن رواية جرير) أى مثل رواية دكين ولم يخرجه (ومثله) أى مثل المروى المذكور ما أخرجه أحمد والبيهقى بسند صحيح (من رواية النعمان بن مقرن) بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والراء مخففة مكسورة وهى احمسى أيضا وأحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة من نسل اد بن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم * ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية (الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد يقال هذا عينه و بعينه كما ذكره وتلطف القائل متغزلا فقلت فهذا قاتلى * بعينه وحاجبه
وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهم أولايهامهم انها الباصرة (الا انه قال) فى هذه الرواية (أربعمائة راكب من مزينة) فزاد قوله من مزينة وكذا رواه أبو داود فى سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شئ (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل كثيرا (حديث جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه البخارى (فى دين أبيه بعد موته) أى فى قصته لما مات أبوه وعليه دين أراد اداءه لغرمائه (وكان قد بذل) بموحدة وذال معجمة أى أعطى وهو مجاز بمعنى أراد بذله (لغرماء أبيه) جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما (أصل ماله) أراد باصل ماله بستانا ونخلا له كان يتقوت منه والمال فى لسان العرب لا يختص بالنقود كما فى العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما كما يشير اليه قوله (فلم يقبلوه) اما لانه لا يفى بدينهم أو لعدم احتياجهم أو لانه لم يكن مرضيا لهم (ولم يكن فى ثمرها) أنث الضمير الراجع للمال نظر المعناه لان المراد به ههنا النخيل جمع نخل وهى تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله راجعا لاموا له

(كفاف دينهم) بفتح الكاف أي وفاء لادائه قال الدلجي ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف أي اذا لم يكن عندك
كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن
السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبراني عن حكيم بن حزام
(فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان أمره) أي جابرا (بجذها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة أي

بقطع ثمرها (وجعلها بيادر في أصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر أي جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) أي بالبركة فيه (فأوفى) أي أعطى (منه جابر غرماء أبيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمساني تثلث ضاده والكسر أعلى أي زاد (مثل ما كانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة أي يقطعون (كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم) أي فضل (قال) أي جابر (وكان الغرماء يهودي) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم أي فتعجبوا (من ذلك) أي لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشيء اليسير

مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وأمثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من أعلى المعجزات وأعظم الكرامات (قال أبو هريرة) على ما رواه
البيهقي عنه (أصاب الناس مخمصة) أي مجاعة شديدة (فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شيء) أي أهل عندك بعض
شيء فمن تبعيضية لا زائدة كما قاله الدلجي ثم تنكير شيء للتقليل فيفيد المبالغة في المطالبة ولو شيء يسيرا وقدر حقير (قلت نعم) أي عندي
(شيء) أي قليل (من التمر في المزود) بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد

الملومة من قواه مال ولا الى تفسيره بالفوائد مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه له
لما سنه في الحديث وقوله (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح
(كفاف دينهم) بفتح الكاف بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي كفافا أي مقدار الكفاية
وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كقراءة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف
مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر (فجاءه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان أمره
بجذها) بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها (وجعلها)
بصيغة المصدر (بيادر) بمثناة تحتية ودال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي
يوضع فيه التمر لينشف والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح
ارادة كل منهما هنا والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن وأهل العراق يسمونه اندر وجمعه أنادر
وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر (في أصولها) أي جعلها كوما كوما في أصول الثمار
وهي النخل والمراد به كونه في حديقة نخله حتى نعلم مقدارها (فمشى فيها) النبي صلى الله عليه وسلم وفيه
مضاف مقدر أي في أرضها أو المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها (ودعا) الله تبارك
وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت (فأوفى منه جابر غرماءه) أي أعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم
بتمامه من قولهم أوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه أخذه بتمامه وضمير غرماءه لابيه لعلمه مما تقدم أوله
لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة غرماء أبيه وهي ظاهرة (وفضل) أي بقي منه بعد ما أدى كل ذي
حق حقه وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح أفصح (مثل ما كانوا يجذون) بفتح المثناة التحتية وضم
الجيم وتشديد الذال معجمة أو مهملة أي ما كانوا يقطعونه من ثمارها (كل سنة) أي فيها (وفي رواية
مثل ما أعطاهم) أي بقي مثل ما أعطى غرماء أبيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها
لا يفي بدينهم في سنتين أو سنين (قال) أي جابر رضي الله تعالى عنه (وكان الغرماء يهود) بالنصب خبر
كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة وقد ينكر وينون (فعجبوا من ذلك) أي ثمارا أو من
كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا
الحديث قد علمت انه في البخاري وكذا في غيره واقتصر المصنف رحمه الله على محل الشاهد منه وكان
أبو جابر عبد الله استشهد بأحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم
ثلاثين وسقا فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي
فلم يرض فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فأتاه وطاف بيدره ثلاث مرات وأمره بان يكيل
لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر جذاذ النخل أتيته صلى الله تعالى عليه
وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدناك به فلا تكن من الغافلين (وقال أبو هريرة) رضي
الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا (أصاب الناس مخمصة) أي جوع كما مر (فقال لي رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم هل) عندك (من شيء) من جنس الطعام ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي
والاستفهام وشيء مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه (قلت نعم شيء نصفين من التمر) قليل (في المزود) بكسر الميم

(قال فأتنى به) أى فأتيته به (فأدخل يده فأخرج قبضة) بفتح القاف أى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغروفة بمعنى المغروفة وهى مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازى وهو ملئ الكف قال الحلبى ويفتح أيضا ويؤيده ما فى القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شئ هذا وفى نسخة بالصاد المهملة ففى القاموس قبصه تناوله بأطراف أصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم والقبصة من الطعام ما حملت كفاك أو بضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى أبلغ فى المعنى (فبسطها) أى يده (ودعا بالبركة) أى لما فيها (ثم قال ادع عشرة) أى فدعوتهم (فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب أى دعوتهم (كذلك) على ما فى نسخة أى فأكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) أى وتركوا فضلهم وقد سبقت الحكمة فى الاقتصار على العشرة فى الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله تعالى أقسم بها وفى العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشوراء وقال تعالى وأتممناها بعشر وقال تلك عشرة كاملة (وقال) وفى نسخة قال وفى نسخة ثم قال أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) أى مع الزيادة الحاصلة من البركة (وأدخل يدك) أى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم أى لا تقلبه (فقبضت) أى فأخذت (على أكثر ما جئت به فأكلت منه وأطعمت) أى غيرى أيضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مدة حياته (وأبى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب منى) بصيغة المجهول أى سلب (فذهب) أى فاستمر غائبا عنى فى المكان ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفى رواية) أى حسنة للترمذى (لقد) وفى نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا) كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك) أى من الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشرة والاول أولى (ومنه) أى ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (أيضا) كما فى نسخة أى كما وقع مكررا فى مقام المرام (حديث أبى هريرة) كما رواه البخارى (حين أصابه الجوع) يعنى أبا هريرة (فاستتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فأمره ان يتبعه فتبعه (فوجد) أى النبى أو أبو هريرة (لبنا) أى قليلا (فى قدح) أى صغير (قد أهدى اليه) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو وعاء الزاد (قال فأتنى به) فأتاه به أى بالمزود أو التمر (فأدخل يده) الشريفة فى المزود (فأخرج منه (قبضة) بفتح القاف وهى المرة كالضربة أريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف وبالضم اسم المقبوض (فبسطها) أى وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها (ودعا بالبركة) أى بان يبارك الله فيها حتى تزيد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما دعا (ادع عشرة) من الناس فدعاهم (فأكلوا حتى شبعوا) من ذلك التمر (ثم) قال ادع (عشرة كذلك) أى فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا (حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا) وهذا يقتضى انه كان فى بعض غزواته وقد صرح به فى بعض الروايات وسيأتى (وقال) لى (خذ ما جئت به) لانه أطعمهم كلهم وبقى ما جاء به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه أمره برفعه وان يأخذ كل ما أراد وقال له ولا تكاله ليبارك فيه كما مر (وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به) قال (فأكلت منه وأطعمت) أهلى ومن أردت اطعامه (حياة رسول الله) أى مدة حياته (صلى الله تعالى عليه وسلم و) فى مدة حياة (أبى بكر وعمر الى ان قتل عثمان) بن عفان رضى الله تعالى عنهم (فانتهب منى) بالبناء للمجهول أى نهبه الناس وأغاروا عليه فأخذوه فى زمن الفتنة (فذهب) أى عدم ولم يبق منه شئ ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة (وفى رواية) رواها الترمذى فى سننه وحسنها عن أبى هريرة رضى الله عنه (فقد حملت من ذلك التمر) الذى أعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى جعلته محمولا معى فى اسفارى (كذا وكذا) كناية عن مقدار ما حمله (من وسق) بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر (فى سبيل الله) أى من أسفارى غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا أطلق فالمراد به ما ذكر وفى رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول أصبت بثلاث مصائب لم أصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودى وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا (وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول وأنث لانه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وفى نسخة وذكر (فى غزوة تبوك وان التمر كان بضعة عشر تمرة) ذكره لانه أبلغ فى المعجزة لغاية قلته (ومنه) أى من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (أيضا حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (حين أصابه الجوع) وعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) أى طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعنى وكن ماشيا معى فتبعه (فوجد لبنا فى قدح) فى بيته (قد أهدى اليه) صلى الله

(وأمره) أي أباهريرة (ان يدعو أهل الصفة) أي بقيتهم اليه (قال) أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (فقلت) أي في نفسي (ما هذا اللبن) أي ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفي أي لا يغني من شبعهم شيأ (كنت) أي أنا وحدي (أحق ان أصيب منه شربة) أي مرة واحدة وأغرب التلمساني في قوله بضم الشين (أتقوى بها) يعني ولعلها تكفيني أم لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) أي فحضروا (وذكر) أي أبو هريرة (أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياه ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجي وأمرني ان أسقيهم ولعله نقل بالمعنى وتغير في المبنى (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذ الآخر) أي فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجي حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة الجمع (قال) أي أبو هريرة (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) أي قدح اللبن (وقال بقيت أنا) تأكيد الضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وأنت) نحو قوله تعالى أسكن أنت وزوجك الجنة (أقعد) أمر أدب (فاشرب فشربت ثم قال اشرب) أي فشربت كما في أصل الدلجي (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (وأشرب حتى قلت لا) أي لا أشرب أو لا أقدر على زيادة الشرب (والذي بعثك بالحق) أي الى كافة الخلق (ما أجد) وفي نسخة صحيحة لا أجد (له مسلكا) أي مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا القسم أو مستأنفا مبينا الامتناعه كأنه علة له (فأخذ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) أي على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) أي البقية وفيه ايذان بان أفضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجي وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه أيضا على وجه حكمة تأخير أبي هريرة عن القوم مع الايماء الى وجه اختيار الايثار لا سيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى أعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن أبيه عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقراء أيادي فان لهم دولة قيل يا رسول الله وما دولتهم قال ينادي يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى صفوف أهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فأوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك فيصدقه ويقول الآخر يا فلان ألم أكلمك فلا نا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا أكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوي اليها عابد فان وجد كسرة أكلها وان وجد بقلة أكلها وان وجد عرقا تعرقه فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فأدخله النار فخرج العابد الى الصحراء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك

تعالى عليه وسلم (وأمره ان يدعو أهل الصفة) ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم (قال فقلت ما) موقع (هذا اللبن فيهم) وما مقداره القليل كاف لهم (كنت أحق) منهم لاشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي (ان أصيب منه شربة) أي من ذلك اللبن (أتقوى بها) أي يكون فيها تقو يه لضعفي بجوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو واما تعجب منه لما استقر به قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة اليه (فدعوتهم) الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (و) بعد حضورهم (أمرني ان أسقيهم) وفي نسخة وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم (فجعلت) أي شرعت (أعطي الرجل) منهم (فيشرب) بالنصب (حتى يروى) بفتح المثناة أي يروى عطشه (ثم يأخذه الآخر) أي فيشرب حتى يروى وهكذا (حتى روى جميعهم) أي جميع أهل الصفة (قال) أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي أهداه له أو هو من أقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لابي هريرة رضى الله تعالى عنه (بقيت أنا) تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله (وأنت أقعد فاشرب) أمره بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه (فشربت ثم قال اشرب) مرة أخرى (وما زال يقولها) أي كلمة اشرب (واشرب) بالرفع أي وأنا أشرب والجملة حالية (حتى قلت لا) أشرب بعد هذا نفي للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله (والذي بعثك بالحق لا أجد له) أي اللبن (مسلكا) أي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيد اللنفي قبله وما بعده استئناف أو تعليل له (فأخذ) صلى الله عليه وسلم أي تناول من يد أبي هريرة رضى الله تعالى عنه (القدح فحمد الله تعالى) على ما أنعم به من الزيادة (وسمى) فقال بسم الله (وشرب الفضلة) أي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المصنف رحمه الله تعالى

منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه (وفى حديث خالد بن عبد العزى) الذى رواه البيهقى مسندا عنه ولم يذكره أصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة أبو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعى وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال التلمسانى انه خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى هاجر الى الحبشة فى المرة الثانية فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول أجزر بمعنى أعطى والنبى بالنصب أيضا مفعول أول وأجزره أعطاه جزرة وهى شاة أو نعجة أو كبش أو عنز تعطى لتجزر أى تذبح ولا تكون فى الناقة فانه يقال أجزره أو جزره اذا أعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهرى يقال أجزرت القوم اذا أعطيتهم شاة يذبحونها أو كبشا أو عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال أجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفى القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا (وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة) لاجلهم واطعامهم (فلا تبد عياله) بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت الشئ فرقته وأبددتهم العطاء فرقته فيهم وفى المحكم أبد الطعام بينهم اذا أعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة وهو بيان لكثرتهم يعنى ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله (عظما عظما) أى اذا فرقته عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم (وان النبى صلى الله عليه وسلم) بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه أجزر الى آخره الذى هو مبتدأ مقدم خبره وهو قوله فى حديث خالد (أكل من هذه الشاة) التى أجزرها له خالد (وجعل فضلتها) أى ما بقى منها بعد أكلهم (فى دلو خالد) هو وعاء من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعاء غيره (ودعاله) أى لخالد ويجوز ان يعود للدلو (بالبركة) أى بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابى خناش (فنثر ذلك) الطعام الذى فى الدلو أى رماه (لعياله) بكسر العين قال الصاغانى فى التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريرى فى مقاماته وذكره المطرزى فى شرحه (فاكلوا وافضلوا) أى أبقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه

العابد فقال له هل لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يارب قال فمن أين كان معاشك وهو أعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك فان وجدت كسرة أكلتها وان وجدت بقلة أكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على بقلها وسائها فامره تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به أما انه لو علم به ما أدخلته النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) أى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا أن حديثه ليس فى الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أعطاه (شاة) أى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال أجزرت القوم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح اذا نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به الى الوادى حتى بلغا اشغاب قال يا محرش من هذا المكان الى البكر وما والاه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه وأحله محرش أى حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين أى من يعوله (كثيرا) أى عددهم (يذبح الشاة) حال أو استئناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة أى قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وأبده فرقه وأعطى كل واحد بدته أى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا أى متفرقين واحدا بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الهمزة جملة حالية (أكل من هذه الشاة) أى التى أجزرها اياه (وجعل فضلتها) أى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة فبثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها راء أى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين أى انتشر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل أى صبه وأخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) أى ودخلوا

(ذكر

:يادة البركة

(ذكر خبره الدولابي) بضم الدال المهملة انصاري رازي سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن أبي حاتم وابن عدي والطبراني وغيرهم قال الدارقطني تكلموا فيه وما تبين في أمره الا خير توفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا في الاكمال ما لفظه وأما خناش أوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو أبو خناش خالد بن عبد العزى في الصحابة ذكره أبو بشر الدولابي في كتاب الاسماء والكنى بسنده الى أن قال عن مسعود بن خالد عن خالد بن عبد العزى بن سلامة انه أجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكل منها ثم قال أرني دلوك يا أبا خناش ووضع فيها فضلة الشاة ثم قال اللهم بارك لأبي خناش فانقلب به فنشره لهم وقال تواسعوا فيه فأكل عياله وفضلوا ذكره الحلبي (ومن حديث الآجري) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء بعدها ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي منسوب الى عمل الآجر (في نكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة) أي في تزويجه اياه (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد وخمسة) أي من دقيق خبز شعير أو حنطة (وذبح جزور) أي بعير (لوليمتها) وفي نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفي أخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف (قال) أي بلال (فأتيته بذلك) أي فجئت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالذي أمره ان يصنعه من القصعة (فطعن في رأسها) أي في أعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم أدخل الناس) أي أمرهم الدخول عليه (رفقة رفقة) بضم الراء وجوز تثليثها أي جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفي نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) أي عنها (وبقيت منها فضلة) وفي نسخة فضلة منها أي بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الراء أي فدعا بالبركة (فيها وأمر بحملها الى أزواجه) أي من النساء التسع (وقال) أي لهن بعد ارساله اليهن (كلن) أي بأنفسكن (وأطعمن من غشيكن) أي أتاكن وحضر عندكن فان البركة توافي كلكن (وفي حديث أنس) كما رواه الشيخان (تزوج النبي صلى الله تعالى

(ذكر خبره) أي خبر خالد أو خبر ما ذكر من الاكل والزيادة (الدولابي) فاعل ذكره وبضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام وألف وباء موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدولاب بضم الدال وفتحها معرب دواب وهو الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وأبو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين وفيه كلام مفصل في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابي آخر وهو أبو جعفر بن الصباح صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره (وفي حديث الآجري) بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة منسوب للآجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو أبو بكر بن محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته (في نكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلي رضي الله تعالى عنهما) أي عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالا) ان يأتي (بقصعة) مملوءة (من أربعة أمداد أو خمسة) من حنطة أو غيرها (ويذبح جزورا) بنصب يذبح ان مصدرية مقدرة وجزورا مفعوله أي ان يذبح أو معطوف على مقدر كما أشرنا اليه أو على أمر بتقدير وأمره أن يذبح والجزور بوزن الشكور رأس من الابل ناقة أو جملا سميت بها لانها انما يجزر أي وهي مؤنثة سماعية وان عمت ففيها اشبه تغليب فافهم (لوليمتها) الوليمة هي الدعوة اطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولائم وهو مستحب (قال) بلال رضي الله تعالى عنه (فأتيته بذلك) الذي أمرني به من القصعة والجزور (فطعن في رأسها) ان كان الضمير للقصعة فرأسها بمعنى أعلاها وان كان للجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها أو مسها لتحصيل البركة فيها (ثم ادخل الناس) أي أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم اليه أي كانوا (رفقة رفقة) بالنصب أي حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الراء وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين (يأكلون منها) جملة مستأنفة أو حال مقدرة (حتى فرغوا) أي أكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من أكلهم (وبقيت منها فضلة) أي فضل منها ما زاد على أكلهم (فبرك فيها) وفي نسخة بها وبرك بتشديد الراء المهملة أي دعا بان يبارك فيها ويحصل فيها البركة وهو الزيادة والنمو وكثرة (وأمر بحملها) أي بحمل القصعة بما فيها أو بحمل الفضلة (الى أزواجه) أي الى بيوتهن (وقال) لازواجه (كلن وأطعمن من غشيكن) بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين أي كل من يأتي اليكن من غير أهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا أتاه اتيان ما قد غشيه أي ستره (وفي حديث أنس) الذي رواه الشيخان مسندا (تزوج رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم) بعض أزواجه وهى صفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها فى مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء قال أنس رضى الله تعالى عنه (فصنعت أمى) وكنية والدة أنس (أم سليم) بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهى زوجة أبى طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حيسا) وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس أى يخلط بعضه ببعض (فجعلته) أى وضعته (فى تور) بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر (فذهبت) بضم التاء وهو ضمير أنس المتكلم (به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه) على الارض (وادع لى فلانا وفلانا) ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا لهما ثم عمم فقال (ومن لقيت) أى وادع كل من صادفته (فدعوتهم) أى دعوت من عينه أولا ولم يقل دعوتهما الان قوله فلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم أو لان الاثنين جمع على قول (ولم أدع) أى لم أترك (احدا) أى دعوته (لقيته الا دعوته) كما أمرنى به (وذكر) أنس (انهم) أى من دعاهم (كانوا زهاء) أى مقدار (ثلاثمائة) رجل فاجتمعوا اثنة (حتى ملؤا الصفة) وهى موضع مظال قدام البيت أو دكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة (والحجرة) وهى البيت الصغير المفرز من الدار (فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد اجتماعهم (تحلقوا) تفعل أى استدير وا حول الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة من غير ازدحام (عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع هو الطعام الذى جاء (فدعا فيه) بالبركة (وقال ماشاء الله ان يقول) أى ما أراد الله من دعائه الذى علمه وأبهمه لانه أسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار التى خصه الله تعالى بها (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لى) أى لانس (ارفع) التور بما فيه (فما أدرى حين وضع) عنده قبل الاكل منه (كان) الطعام (أكثر أم حين رفع) بالبناء للمجهول وفى بعض النسخ وضعت و رفعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن أنس قبل هذا فاعادته هنا تقتضى ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة فى تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش وأخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم فقال ما وقع فى الحديث من ان تكثير الطعام كان فى وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم من الراوى ادخل فيه قصة فى قصة فان التكثير فى قصة صفية لافى وليمة زينب التى نزلت فيها آية الحجاب وتعقبه القرطبى بانه لاوهم فيه وانه لامانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم أكلوا وذهب منهم جمع وبقى آخرون يتحدثون فجاء أنس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا وقال ابن حجر أيضا الاوجه لانكاره تكثير الطعام فى حديث الخبز واللحم فان أنسا قال انه أولم بشاة أشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهم نحو الالف فالظاهر ان المصنف رحمه الله تعالى رأى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب أولا ولم يسمها اشارة الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندى من جهة أخرى فان وليمة صفية كانت فى السفر وذكر الصفة والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لام سليم وما قيل من ان أم سليم أهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لايخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام المصنف رحمه الله تعالى فيه

عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبى تقدم ان هذا كان فى ابتنائه بصفية (فصنعت أى أم سليم) بالتصغير (حيسا) تقدم مبناه ومعناه (فجعلته فى تور) سبق كذلك (فذهبت) أى أنا وفى نسخة فبعثنى (به) أى بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وأدع لى فلانا وفلانا) أى كابى بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) أى من غيرهما عموما (فدعوتهم) أى المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال أى ولم اترك (احدا لقيته) أى فى طريقى ذاهبا وآيبا (الا دعوته وذكر) أى أنس (انهم) أى المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجى أى الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) أى مقدارهم تقريبا (حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة أى استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) أى كل عشرة حلقة أو كل حلقة عشرة (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) أى المسمى بالحيس الذى صنعته أم سليم وجاء به أنس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) أى بما شاء الله من الدعاء (وقال ماشاء الله ان يقول) أى من أصناف الاسماء وأنواع الثناء (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع) فرفعته (فما أدرى حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتانيث الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع فى أصل الدلجى وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لايخفى اضطراب

(وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أى التى أولها فصل نبع الماء من بين أصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى أصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح أى ثلاثة عشر أو أكثر (من الصحابة) وأما قول الجوهرى تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ببضع وعشرين درجة وبقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) أى روى معنى حديث هذا الفصل أو هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) أى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول أى لا يحصر وفى نسخة لا ينعد (بعدهم) أى من تابعيهم (وأكثرها) أى وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر القاف أى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) أى محضورة مما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) أى المشاهد لها (على ما أنكر منها) حذرا من ان ينسب اليه مالا يليق بجنابه

* (فصل) *

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى المصنف (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف أجاز لى ذكره الحلبي وغيره (عن أبى عمر) وفى نسخة أبى عمرو بالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن أبى بكر بن المهندس) بكسر الدال (عن أبى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت أحمد بن منيع البغوى روى عن أحمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به أبا العباس أحمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى أربعة أنفس وهذا شئ لا نظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة

اضطراب يحتاج للتحرير (وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة) أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته (فى الصحيح) من الاحاديث وكتبها المعتمدة وقوله أكثر اشارة لضعف بعضها (وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة) يعنى توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده فى الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة فى فضل الصلاة وتفصيله مشهور (رواه عنه اضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين (من لا يعد بعدهم) بصيغة المجهول وفى بعض النسخ من لا ينعد بالنون (وأكثرها) أى أكثر أحاديث الفصول الثلاثة (فى قصص مشهورة) بحسب الرواية (ومجامع مشهودة) جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق * اذا جمعتنا يا جرير المجامع * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع أو منتقل (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) أى لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة (ولا) يمكن ان (يسكت الحاضر) فى مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام فى قوله (لها على ما أنكره) منها مما خالف الواقع

* (فصل فى كلام الشجر) * الآتى بيانه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به اسم ويجى بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يخلق الله تعالى فيه نطقا ولما كان هذا أمرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل (وشهادتها له بالنبوة) من عطف الخاص على العام (واجابتها دعوته) أى طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم منها ان تجئ نحوه كما سيأتى وله منها حديث رواه البيهقى والبزار والدارمى مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله (حدثنا أحمد بن محمد بن غلبون) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير فى لسان أهل المغرب (الشيخ الصالح فيما أجازنيه) عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس فى المجمل ويتعدى باللام والباء والاجازة الاذن فى الرواية عنه والكلام على أنواعها ولغتها مفصل فى ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا (عن أبى عمرو الطلمنكى) بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (عن أبى بكر بن المهندس) المعروف بابن أبى طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاى وهو معرب وليس فى لغة العرب دال بعدها زاى والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفى العرف العارف باحوال البناء (عن أبى القاسم البغوى) نسبة الى بغ ويقال بغاوهى قرية بين مرو وهراة وأصلها بغشور فخفف

ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى أربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن أبى الدنيا وغيره (حدثنا أبو حيان) بتشديد التحتية (التيمى) وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ما صرح به المزى ولعله أسقط محمد بن فضيل ويؤيده ما وجد فى نسخة صحيحة قبله حدثنا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتى مما ساق المصنف فى أول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حديثا فى اسناده حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل الخ والله تعالى أعلم (وكان) أى أبو حيان (صدوقا) وقد روى عن أبى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وأبو اسامة أخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار أيضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) أى قرب (منه اعرابى) أى بدوى (فقال يا اعرابى أين تريد قال أهلى) أى أريد أهلى أو أهلى أريدهم وفى نسخة الى أهلى أى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) أى ميل ورغبة (الى خير) أى من أهلك أو خير محض لك فى حالك ومآلك (قال وما هو) أى ذلك الامر أو الخير (قال تشهد) أى ان تشهد أى شهادتك أو خبر معناه أمر أى اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها أى انه (لا اله) موجود أو معبود أو مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة أى متوحدا ومنفردا (لا شريك له) أى فى وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) أى من دعوى التوحيد صلى والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهى بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاة له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربى (وهى بشاطئ الوادى) أى طرفه وجانبه (فاقبلت) أى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى أخرى تجبك قال أى الاعرابى فدعوتها فاقبلت وهذا أبلغ فى قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض أى حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) أى وقفت كما فى نسخة (بين يديه

وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادى ابن بنت أحمد بن منيع وليس هو البغوى المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيى السنة ومولد هذا فى رمضان سنة أربع عشر ومائتين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا أحمد بن عمران الاخنسى) بياء النسبة لاخنس بخاء معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك فى بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه محمد وتوفى فى حدود الثلاثين وسائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال (حدثنا أبو حيان التيمى) بحاء مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة أخرج له الستة وتوفى سنة خمس وأربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وأبى حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سيأتى فى كلام المصنف فى بعض النسخ وتردد فى تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب (وكان صدوقا) وثقة ردا على بعض من طعن فيه (عن مجاهد) تقدمت ترجمته (عن ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا منه) أى قرب منه من الدنو (اعرابى) نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفى النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور (فقال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يا اعرابى أين تريد) أى تقصد بسيرك وسفرك هذا (قال الى أهلى) أى أريد مكانا فيه أهلى ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تأنيسا له وازالة لما فى نفسه من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن رآه وتوطئة لقوله (قال هل لك الى خير) أى هل تنقاد وتذعن لخير مما أنت فيه (قال وما هو) أى الخير الذى دعوتنى اليه (قال تشهدان) مخففة من الثقيلة (لا اله الا الله وحده) حال لازمة أى متوحدا منزها عما يشاركه فى ذاته وصفاته وفى كونه معبودا بحق وقوله (لا شريك له) تأكيد لوحدانيته بعد تأكيد (وان محمدا عبده ورسوله) قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء فى مدحه (قال) الاعرابى (من يشهد لك على ما تقول) من دعوى الرسالة (قال هذه السمرة) بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة وهى شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح وأشار اليها لقربها منه وفى نسخة بعد ما تقدم فادعها فانها تستجيبك قال فدعوتها (وهى) أى السمرة (بشاطئ الوادى) بشين معجمة وألف وطاء مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادى الارض الواسعة المستوية من ودى بمعنى سال لما فيها من المياه السائلة (فاقبلت) الفاء فصيحة أى فدعاها لتشهد له فاقبلت (تخد الارض) بمثناة فوقية وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة أى تشقها ومنه الاخدود وشقها لتسعى بعروقها التى فى جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك (حتى وقفت بين يديه)

صلى الله تعالى عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه (فاستشهدها ثلاثا) أى قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة تخد الارض حالية أو مستأنفة وانما كرر استشهادها تأكيدا لليقين وذلك فى قلب الاعرابى (فشهدت) له بأنه رسول الله حقا أرسله الله الذى لا شريك له ولم يبين ما نطقت به لانه معلوم من السياق (ثم رجعت الى مكانها) الذى كانت فيه وفى هذه القصة معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم خلق الله فى الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجىء بها ويذهب وقد وقعت على سبيل التحدى فخذ المعجزة منطبق على كل واحدة منها (و) فى حديث رواه البزار مسندا (عن بريدة) بضم الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصدر البردة المعروفة وهو أبو عبد الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابى أسلم قبل بدر وشهد الحديبية ومات بمرو وخراسان غازيا فى أيام معاوية أو يزيد سنة اثنين أو ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة ومعجزة تدل على أنه رسول الله حتى يؤمن به (فقال له قل لتلك الشجرة) مشيرا لسمرة كانت ثمة وهى تلك السمرة المذكورة فى الحديث الذى قبله أو غيرها (رسول الله يدعوك) بكسر الكاف أى يطلب منك المجىء اليه والحركة نحوه (قال) أى بريدة فدعاها (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى مالت ميلا شديدا وتحركت فى جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها من الارض وتمكنها الحركة نحوه صلى الله تعالى عليه وسلم (فتقطعت عروقها) المتمكنة فى مغرسها وهو اما على ظاهره أو المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله (ثم جاءت تخد الارض) وتشقها (تجر عروقها) من خلفها وهذا يدل على انها لم تقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة أخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التى هى سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان أو متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها (مغبرة) أى مسرعة فى مشيها قال الله تعالى (فالمغيرات صبحا) ومنه المغارة على العدو وهو منصوب على الحال أيضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغار وهو حال من الفاعل المستتر أو من العروق والكل منها ذهب بعض (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قريبا منه مواجهة له (فقالت السلام عليك يارسول الله) وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد فى حق البشر لانه أمان وليست من أهله فما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكافئة أمر محتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعاء بالسلامة وقيل انه هنا اسم الله أى الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله (قال الاعرابى مرها) بضم الميم أمر أصله أومرها فخفف (فلترجع الى منبتها) تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فأمرها (فرجعت) لمحلها (فدلت عروقها) أى أدخلتها فى الارض أصلها (فاستوت) أى انتصبت قائمة من غير

فاستشهدها ثلاثا) أى طلب منها ان تشهد له ثلاث مرات (فشهدت) أى ثلاثا (انه) أى الامر (كما قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الخصيب بن عبد الله الاسلمى أسلم حين مربه عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا وأما بريدة ابن سفيان الاسلمى فلا صحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) أى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) أى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها) أى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فقطعت عروقها) أى المتعلقة بأصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان أو مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء والباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله) قال الدلجى لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) أى بعد أمره لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام أى أرسلتها ومكنتها (فى ذلك) أى المكان قال التلمسانى الموضع قطع عند العرفى وثبت عند غيره (فاستوت) أى قائمة

ميـل بها (فقال الاعرابي) لـمارأى هـذه المعجزة وآمن به صلى الله تعالى عليه وسـلم (ائذن لي) أمر من
الاذن بكسر الهـمزة الاولى وسكون الثانية و يجوز ابدالهـا ياء (أسـجدلك) مجزوم في جواب الامر أو
جواب شرط مقـدر أي ان تأذن لي في السـجود أسجد لك فابى صـلى الله عليـه وسـلم ذلك و (قال) له
(لو أمرت أحدا أن يـسجد لاحد) أي لو جاز لي أمر مخلوق بالسـجود لمخلوق مثله (لامرت المرأة ان تسـجد
لزوجها) لوجوب طاعتـه عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبـة للتعظيم والخضوع والسـجود
والركوع لا يجوز لغير الله تعالى في ملتنا وقد قيـل انه كان جائزا في الشرائع التي قبل شريعتنا بقصـد
التعظيم لا العبادة ولذا قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف
عليه الصلاة والسـلام ولذلك جاز سجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام ثم نسخ هذا في شريعتنا
وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه عليه الصلاة والسلام بذلك فنهاه
عنـه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنـه وعوضنا عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة
(قال) الاعرابي لما نهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسـلم عن السجود (فأذن لي أقبل) مجزوم في جواب
الامر (يديك ورجليك) تعظيما لك (فأذن له) في تقبيل يديه و رجليه فقبلهما وفيه دليـل على جواز
تقبيل اليد والرجـل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وليس بمكروه بـل
يستحب اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد ورد في
أحاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من أئمة الشافعيـة
حيث أطلق القول بعدم جوازه (وفي الصحيـح) أي الحديث الصحيح أو المراد به صحيح مسـلم لانه
روى هـذا الحديث مسندا فيه (في حديث جابر بن عبـد الله الطويل) بالجر صفة الحديث ووصفه به
لتوجيه عـدم ايراده بتمامه هنا (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم) الى الصحراء (يقضي
حاجته) لانه لم يكن في بيته خلاء وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط أي ذهب لاجـل ذلك (فلم
ير شيأ يستتر به) أي حائلا بينه و بين رؤية عورته بعد كشفها (فاذا بشجرتين) اذا الفجائية والباء زائدة أي
فاجاه بغتة من غير ترقب منه أي فاذا هو والمبتدأ مقدر هنا (في شاطئ الوادي) بالهمزة أي طرفه وجانبـه
(فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى احداهما) أي توجه الى احدى الشـجرتين حتى قرب
منها (فأخذ بغصن من أغصانها) أي أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (فقال) للشـجرة (انقادي
علي) أي طاوعيني وميلي علي لتكون ساترة له عن الاعـين (باذن الله) أي بتيسـيره وتسهيله وارادته
لا بقوة جـذبي واذن الله يتجوز به تجوزا مشـهورا (فانقادت معـه) أي طاوعته ومالت حتى سترته
كما أراد وانما أمسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحـديث الذي قبـله لان ذلك كان لاظهار
المعجزة حتى يسـلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك (كالبعير المخشوش) أي كما ينقاد البعـير المخشوش ان
يقوده بسـهولة وهو اسم مفعول بخاء وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في أنفـه خشـاش بكسر
الخاء والبعـير الذي يعسر قوده يخرق أنفـه و يوضع فيـه شيء يذلل به فان كان عودا من خشب فهو
خشـاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة
كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنـا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم
وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليهـا والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع
في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن شجر قد أثقلتها ثمـارها * سفائن بر والسراب بحارها

(فقال الاعرابي ائذن لي) يقرأ في الوصل بسكون همزة الاصل وفي الابتداء بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء أي مرني (أسجد لك) جواب الامر وفي نسـخة صحيحة أن أسـجد لك (قال لو أمرت أحدا أن يسـجد لاحـد) أي غـير الله سـبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) أي لما عليها من حقوقه (قال فأذن لي) وفي نسـخة فقـال ائذن لي (أقبل) وفي نسـخة أن أقبل (يديك ورجليك فأذن له) أي فقبلهـا (وفي الصـحيـح) أي صحيح مسـلم (في حديث جابر بن عبـد الله) أي الانصـاري كما في نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويـل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم يقضي حاجتـه) كناية عن فعل الغائط أو البول (فلم ير شيأ يسـتتر به) أي من عيـون الانس والجن فتحير في أمره (فاذا بشجرتين) أي ثابتتـين أو نابتتين (بشاطئ الوادي) أي في جانبـه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم) أي ذهب (الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقـال) أي لها كما في نسخة (انقادي علي) أي استسلمي لي وأطيعيني (باذن الله) أي بأمره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي

الذي يصانع قائده) أي يلاينه ويتقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذي يجعل في انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه
حبل و يجعل في أنفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة أو من صفر أو حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف
راء (وذكر) أي جابر (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أي من الشجرتين (كذلك) أي مثل مافعل بالاولى
(حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر أي وسط الطريق (بينهما) أي

والخشاش مأخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله (الذي يصانع قائده) صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كامر والمصانعة مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من المصانعة وهي المداراة والاعطاء ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب (وذكر) أي جابر رضي الله تعالى عنه في حديثه هذا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) أي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي (مثل ذلك) أي مثل مافعل بالاولى بان أمسك غصنا منها حين انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة (حتى اذا كان) صلى الله تعالى عليه وسلم أي حل ووجد (بالمنصف) بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة أي حل في وسط المكان (بينهما) أي بين الشجرتين وهذا أستراه (قال التئما) بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة أي انضما واجتمعا (على باذن الله فالتأمتا) بتيسيره وارادته والالتئام الاجتماع ومنه التئام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عنده من لايغض بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لاينافي كون هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم فان اللازم التستر باي وجه كان (وفي رواية أخرى) لحديث جابر رضي الله تعالى عنه من غير طريق مسلم (فقال) صلى الله عليه وسلم (ياجابر قل لهذه الشجرة) التي بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحقي بصاحبتك) أي تحركي واذهبي حتى تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد واحد أو باعتبار مايؤول بعد اللحوق والانضمام (حتى اجلس) لقضاء الحاجة مستترا (خلفكما فزحفت) بزاي معجمة وحاء مهملة وفاء وفي نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) أي بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله تعالى عنه (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة والراء المهملة أي أسرع في العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو يقال أحضر الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كأكرم يكرم (وجلست أحدث نفسي) حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمعجزة الشريفة التي شاهدها رضي الله تعالى عنه من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أسرع وبعد لما كان يعلمه منه من المبالغة في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تأدب ولم يمش على تؤدته حتى يقف صلى الله تعالى عليه وسلم منتظر البعده عنه (فالتفت) أي حولت وجهي وأنا جالس الى جانبه لانظر ماحدث بعد الحدث (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقبلا) اذا فجائية أي فاجأني بغتة بعد التفاتي فابصرته ومقبلا اسم فاعل من الاقبال مرفوع خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر أي جاء مقبلا والجملة خبر المبتدأ والحال مؤكدة كولى مدبرا (والشجرتان قد افترقتا) وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال من الضمير المستتر في قوله

بين موضعيهما وهو بيان أو تأكيد (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) أي اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى) أي لمسلم وغيره (فقال ياجابر قل لهذه الشجرة) أي التي بشاطئ الوادي (يقول لك رسول الله الحقي) بفتح الحاء أي اجتمعي واتصلي (بصاحبتك) أي بنظيرتك وهي الشجرة التي في مقابلتك (حتى أجلس خلفكما) أي فاقضي حاجتي مستترا بكما وفي أصل الدلجي حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) أي الشجرة عن حالتها التي كانت عليها وفي نسخة فزحفت بالزاي والحاء المهملة والفاء أي انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت أحضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة أي أعدو وأجري انما فعل ذلك رضي الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست احدث نفسي) أي بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) أي فنظرت الى أحد طرفي (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فاجأته بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) أي من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما

(فقامت كل واحدة منهما على ساق) أى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) أى خفيفة (فقال برأسه) أى فاومأ له أى فاوما به الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لما قبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين أولمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجى وقد تبعه التلمسانى اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لا يخفى على أهل الوفاء (وروى اسامة بن زيد نحوه) أى كما رواه البيهقى وأبو يعلى بسند حسن عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) أى غزواته (هل تعنى) بالفوقية أى تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ تعنى بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمه بينه الراوى بقوله يعنى مكانا لحاجته نعم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسانى فقال أى ترى أو تجد وهو اما حذفه للعلم به وأما حذفه الراوى لانه لم يسمعه أولم يفهمه أولم يجده فى أصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (فقلت ان الوادى مافيه موضع بالناس) أى ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال منهم فما التفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) أى ولو فى بعد وأغرب التلمسانى فى قوله ان بالناس معمول ان أى غاص أو ملآن أو عامر أو كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه أو يقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت أرى نخلات) بفتح الخاء أى (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى أصل التلمسانى متقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يامركن ان تأتين لمخرج رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لمستره بكن (وقل للحجارة) أى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) أى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) أى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء أى متراكمة بعضها فوق بعض

مقبل (فقامت كل واحدة منهما على ساق) منتصبة فى منبتها مفارقة لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر ومالا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلأ كما فصله أهل اللغة (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) يسيرة ينتظر لما أكرمه الله تعالى به من مشى الشجر لاجله (فقال برأسه) أى حركه (هكذا) وفسره بقوله (يمينا وشمالا) منصوبان على الظرفية أى فى جانب اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال أى ميل رأسه الشريف فى الجهتين قال فى القاموس قال ابن الانبارى يجىء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم ومال وأقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما فى الافهام وقيل انه اذن لهما فى الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر (وروى اسامة بن زيد) فى حديث أخرجه البيهقى فى الدلائل وأبو يعلى بسند حسن عنه (نحوه) أى بمعنى الحديث الذى قبله (قال) اسامة (قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة بمعنى الغزاة أو محلها كما مر (هل) استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به أو استهجان ذكره أولانه لم يسمعه أولم يفهمه أولم يجده فى أصله أى هل ترى مكانا لائقا بقضاء الحاجة واليه أشار بقوله (تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحاجة هنا كناية عن البول والغائط (فقلت ان الوادى مافيه موضع بالناس) الباء سببية وما نافية أى ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم (فقال هل ترى من نخل أو حجارة) مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل يقضى الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام (قلت أرى نخلات) جمع نخلة (متقاربات) أى قرب بعضها من بعض وهو مناسب للسترة بها للحلوس بينها وروى متكاربات بالكاف وهو لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا كثيرا وقرئ فى الشواذ لا تكهر فى لا تقهر وأى بصريه وكونها علمية بعيد فهى صفة نخلات منصوبة (قال انطلق وقل لهن) أى للنخلات (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين) أى تجتمعن ويتزايد قربكن ليكون أستر له (لمخرج رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه (وقل للحجارة مثل ذلك) أى مثل قولك للنخلات من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفى كلام اسامة لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل أولانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة (فقلت ذلك لهن) الفاء فصيحة أى فذهبت فقلت ما أمرنى به لهن (فوالذى بعثه بالحق) قسم أى بالدين الحق (لقد رأيت النخلات يتقاربن) أى يدنو بعضها من بعض (حتى اجتمعن) فى مكان واحد (والحجارة) بالنصب (يتعاقدن) أى ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض (حتى صرن ركاما) بضم الراء المهملة

(خلفهن) أى وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن) أى لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) أى ليفترقن أو مجزوم على جواب الامر مبالغة فى تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذى نفسى بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) أى النخلات والحجارة (يفترقن) أى بجميع أفرادهن (حتى عدن) بضم العين أى صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى ابن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة أمه وأبوه مرة وله صحبة أيضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفى تجريد الذهبى أن يعلى بن مرة بن وهب الثقفى بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره فى التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزى جعلهما واحدا ثم قال وزعم أبو حاتم انهما اثنان انتهى وسيأتى قريبا فى كلام المصنف ما يؤيد الاول وقد روى حديثه هذا أحمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) أى سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) يعلى (فأمر) أى المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية أى نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمنى بفتح الواو فسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) أى اجتمعتا وفى أصل الحجازى فانضما قال وصححه المزى بالتأنيث وكذا رأيته فى النسخ المصححة (وفى رواية اشاءتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة بمعنى وديتين وضبط فى نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما فى كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفى) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة أسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فأمره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك أربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار أربعا كما شاء وفقهاء العراق الى ان يمسك الاربع التى تزوجها أولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم أى ولدك أحب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وأنتم من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (مثله) أى نحو ما سبق مروى غيره (فى شجرتين) أى من اجتماعهما وافتراقهما

أى بعضها فوق بعض (خلفهن) متعلق بركاما والضمير للنخلات يعنى ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفى نسخة بخلاف خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن) أى يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذى كان فيه أولا (فوالذى نفسى بيده) أى الله الذى روحى فى قبضة تصرفه وارادته ان شاء أبقاها وان شاء أماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين القسمين تفننا مع مناسبة الاولى للمقسم عليه من انه دين احق وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثانى لحاله من ان من آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق ولا سيما فيما ذكر (لرأيتهن والحجارة) بالنصب عطف على الضمير وهو مفعول معه والضمير للنخلات واللام فى جواب القسم (يفترقن حتى عدن الى مواضعهن) وفيه معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم فى سعى النخل والحجارة بامره مرتين وخلق الله تعالى فيها قوة تسمع وتأتمر بامره والحديث طويل وفيه معجزات أخر من اتيان امرأة له صلى الله تعالى عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع فتفل فى فيه فلم يعد له ذلك وان أمه أتت له صلى الله تعالى عليه وسلم بشاة مشوية أهدتها له فقال لها ناولينى منها ذراعا فناولته ثم قال ذلك فناولته ثم قال فقالت انها ذراعين فقال لو سكت لم تزل تناولنى منها وكان ذلك فى سفره للحج بمحل يقال له الروحاء (وقال يعلى ابن سيابه) فى حديث صحيح رواه أحمد والبيهقى والطبرانى ويعلى بزنة يرضى علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وألف وموحدة يليها هاء اسم أمه فيرسم ابن بالالف وأبوه مرة بن مرازم وقيل مرة بن وهيب الثقفى وقيل انهما اثنان وهو صحابى بصرى أو كوفى وترجمته مفصلة فى الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من أهل الشجرة (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) بفتح الميم مصدر ميمى أو اسم زمان أو مكان قيل والاول أولى (وذكر نحوا من هذين الحديثين) اللذين قبله فى ذهابه لقضاء حاجته وأمره للشجرتين غير انه قال (وذكر فأمر وديتين) تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهى صغار النخل التى تخرج من أصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا (فانضمتا) أى انضمت احداهما للأخرى كالذى مر (وفى رواية اشاءتين) بفتح الهمزة وكسرها فى بعض النسخ خطأ وشين معجمة وألف ممدودة وهمزة وتاء تأنيث مثنى اشاءة وهى من صغار النخل أيضا لكنها أكبر من الودية وهمزة الثانية منقلبة عن ياء وقيل أصلية (وعن غيلان بن سلمة الثقفى مثله فى شجرتين) وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن

(وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثله في غزاة حنين) بفتح الغين أي غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو أبوه (وهو ابن سيابة) وهي أمه (أيضا) أي هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) أي يعلى (أشياء) أي من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمي طلحة (أو سمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فاو شك من الراوي كذا قرره الشراح وأرادوا الشك في رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون أو بمعنى بل (جاءت) أي احداهما أو أخراهما (فاطاقت به) أي ألمت به وقاربته على ما في القاموس وفي أصل الدلجي فطافت به أي دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي الشجرة المذكورة (استأذنت) أي ربها (ان تسلم علي) أي فاذن لها فجاءت وسلمت (وفي حديث عبد الله بن مسعود) أي عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون أي أعلمت (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) أي باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) أي لقراءته أو لكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهي سمرة على ما في بعض السنن قال الدلجي وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقراءة عليهم وقد أخبر

عم

ببعض صورهم عما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة في حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن أبي زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (في هذا الحديث) أي المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) أي بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) أي الحاضرة (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ في تعالوا بالضم وأغرب التلمساني حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها أي ارتفعي الى عن مقامك واطلبي من عندي مرامك

عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر أسلم بعد الطائف وتوفي في آخر خلافة عمر وهو الذي أسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان (وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين) اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من أمر الشجرتين (وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا) اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم أبيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم أمه (وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ذكر ابن سيابة أمورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم شاهدها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة (فذكر ان طلحة أو سمرة رضي الله تعالى عنهما) بفتح المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة وأو للشك من الراوي في تلك الشجرة (جاءت فطافت به) صلى الله تعالى عليه وسلم أي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف وأطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا ألم به ودار حوله وأما كونه من الطوف بمعنى الغائط ويقال منه أيضا طاف وأطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه أسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسب قوله بعده (ثم رجعت الى منبتها) أي موضعها الاول الذي نبتت فيه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي تلك الشجرة (استأذنت ان تسلم علي) أي استأذنت ربها او يجوز ان يكون هذا مجازا او المعنى انها طلبت من الله تعالى ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل (وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه الشيخان مسندا (آذنت) بالمد بمعنى أعلمت وفاعله شجرة الآتي وقوله (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعوله و (بالجن) متعلق به أي بحضورهم عنده صلى الله تعالى عليه وسلم واستماعهم منه القرآن (ليلة استمعوا له) منصوب على الظرفية أي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن (شجرة) وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة وأعلمته بحضورهم واستماعهم وفي هذه القصة كلام سنفصله (وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث) الذي رواه الشيخان (ان الجن قالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اجتمعوا به (من يشهد لك) بانك رسول الله (قال هذه الشجرة) ثم دعاها للشهادة فقال (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء التحتية وهو أمر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم

عم وصار بمعنى أقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشرى وقال انه قرئ به فى الشواذ وانه لغة وعليه قول أبى فراس وهو أسير يسمع تغريد حمامة شوقه لاوطانه * ومعاهد الفه واخوانه

أقول وقد ناحت بقربى حمامة * أيا جارتى هل بات حالك حالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببالى
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * الى غصن نائى المسافة عالى
أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا * تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة * تردد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور وتبكى طليقة * ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعى فى الحوادث غالى

(فجاءت) امتثالا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال تعالى (تجر عروقها) لانها لما خرجت من محلها أخرجت عروقها التى كانت فى داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها (لها) أى لعروقها أو للشجرة نفسها (قعاقع) أى صوت قوى كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهى حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز أن يراد به صوت كلام جهورى لها اذ أنطقها الله تعالى أو الصوت من شق الارض كما أنها جاءت تخد الارض أو صوت اصطكاك أغصانها قال الحافظ العراقى حديث مجاهد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرسل نقلا عن شيخه العلائى وابن الصلاح (وذكر) مجاهد (مثل الحديث الاول) أى ما يشابهه لفظا ومعنى (أو نحوه) أى قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله فى أول الحديث ان الشجرة أعلمته بالجن يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضى انه رآهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما فى كتاب آكام المرجان فى أحكام الجان انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أيس من ثقيف رجع من الطائف لمكة فقام بنخلة يصلى جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراءته فآمنوا به وأتوا قومهم منذرين كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى آخره وفى هذا القصة كما فى الصحيح حين لم يقرأ عليهم ولا رآهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السماء تفرقوا فى الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله تعالى عليه وسلم نفر منهم من جن تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلى الفجر باصحابه فلما سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا وأخبروا قومهم وأنزل الله عليه قل أوحى الى السورة كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما قال البيهقى وهذا كان فى أول أمره ولم يرهم وأتاه مرة أخرى داعى الجن فرآهم وقرأ عليهم كما رواه ابن مسعود وفى القصة الاولى لم يرهم وانما الذى أعلمه بهم الشجرة وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود أعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلى رحمه الله تعالى انهم كانوا يهودا لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف فى عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفى مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب أحد منكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه فى الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل حراء وقال أتانى الليلة داعى الجن فذهبت معه

(فجاءت تجر عروقها) أى من محل أصولها (لها) أى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) أى مجاهد أو ابن مسعود (مثل الحديث الاول) أى فى مبناه (أو نحوه) أى باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل

وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثارنيرانهم وذكر لنا ما أمرهم به من الزاد وهذه غير الليلة التى أعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه من أحب منكم ان يحضر الليلة أمر الجن فليفعل فلم يحضر أحد منهم غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لى برجله خطا أمرنى أن اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرأ فغشيته اسودة حالت بينى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم أتانى وفى هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون من يشهد انك رسول الله الى آخر ماذكر من قصة الشجرة وماهنا من اعلامه لهم وخروجه معه الى آخره ومار وى عنه من انهم التمسوه وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول البيهقى انها واحدة لايمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه مارواه أبو نعيم فى دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ست مرات الاولى لم يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت باعلى مكة فى الجبال والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضى الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن مسعود أيضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة فى بعض أسفاره مع بلال رضى الله تعالى عنه ولكل منها حديث مسند ان أردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف فى معناه مثله * أقول وفيما ذكرناه معجزات أخر منها انقياد الجن له صلى الله تعالى عليه وسلم باختيارهم وهى أعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له وعودها لمحلها بعد خروج عروقها من منبتها وهو أمر خارق للعادة وفى الحديث فوائد منها كراهة الاستنجاء بالعظم فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول أم لا فقيل منهم رسولا يسمى يوسف وثمة فوائد أخر لا يسعها نطاق البيان هنا (قال القاضى أبو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه) وهذا فذلكة لما تقدم بقوله (فهذا ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما (وبريدة وجابر) بن عبد الله رضى الله عنهما (و) عبد الله (ابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب و) عبد الله (بن عباس) رضى الله تعالى عنهما (وغيرهم) الى قوله (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) يعنى كلام الشجر (أو معناها) مما يدل على ذلك (وقد رواها عنهم) أى عمن ذكر من الصحابة (من التابعين اضعافهم) لتعدد طرقهم والضعف هو المثل أو المثلان (فصارت فى انتشارها) أى اشتهار روايتها عنهم (من القوة حيث هى) يعنى انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حيث بلغت التواتر المعنوى وصارت فى مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء فحيث ظرف مكان مضاف لجملة وهى ضمير القصة مبتدأ خبره محذوف تقديره هى معروفة مشهورة (وذكر ابن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر (انه صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من أرض صنعاء وهى المذكورة فى سورة ن فى قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والطائف هو جبريل عليه الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث هى كما نقله السهيلى عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطائف وهذه الغزوة كانت فى السنة الثامنة من الهجرة (ليلا) متعلق بسار (وهو وسن) بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفى فقه اللغة فى مراتب النوم أوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرى والغمض ثم التعفيف ثم الاغفاء ثم التهويم

(قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب روايتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو أجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وأنس بن مالك وعلى ابن أبى طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتى عنهم قوله (وغيرهم) أى كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر او عمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) أى باعتبار مبناها أو معناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) أى فى العدة لا فى الرتبة (فصارت فى انتشارها) أى فشو هذه القصة (من القوة حيث هى) أى على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) وهى كانت فى السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفى أصل الدلجى زيد وحنين (ليلا) أى من الليالى (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو أول النوم ومقدمته ومنه السنة وأصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق فى النوم بل هو نعسان

(فاعترضته) أي ظهرت في عرض وجهه (سدرة) أي وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) أي جاوز (بينهما وبقيت) أي تلك الشجرة (على ساقين) أي من غير التئام لهما (الى وقتنا) أي هذا كما في نسخة (وهي) أي تلك الشجرة (هناك) أي في طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت في زمانهم وأما في زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) أي ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث أنس) كما رواه ابن ماجه والدارمي والبيهقي عنه (أن جبريل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) أي وقد رأى جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام (حزينا) أي من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (أتحب أن أريك آية) أي علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) أي أحب أن تريني آية من آيات ربي ليطمئن قلبي (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) أي بعيدة كائنة (من وراء الوادي) أي الذي كان فيه والمعنى من قدامه أو خلفه (فقال) أي لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) أي فدعاها (فجاءت تمشي) أي اليه (حتى قامت) أي وقفت (بين يديه قال) كما (مرها فلترجع) أي الى منبتها كما في نسخة وفي نسخة الى مكانها أي فأمرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) أي مما كانت فيه أي في ابتداء حالها (وعن علي نحو هذا) أي الحديث الذي رواه أنس (ولم يذكر) أي علي (فيه) أي في مرويه وفي نسخة فيها أي في هذه الرواية (جبريل) يعني بل فيه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أبو نعيم عنه (اللهم أرني آية) أي معجزة أطمئن بها وأدفع الحزن عني بسببها ويكون من جملة نعتها (لا أبالي) أي لا أكترث ولا أحزن (من كذبني بعدها فدعا شجرة) أي فجاءته (وذكر) أي علي (مثله) أي مثل حديث أنس (وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه) أي لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق في حديث هند ابن أبي هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز أن يكون حزنه على الكفار لان الله تعالى قد نفاه عنه قلت لعل الحزن في الحديث المفسر هنا قبل النهي عن حزنه على الكفار على ان حزنه لتكذيب قومه لا يلزم أن يكون حزنا عليهم لجواز أن يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه

ثم الضرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني أنه صلى الله عليه وسلم نعس وهو سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه (فاعترضته سدرة) أي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه أتت دابته لها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها الطريق أخرى (فانفرجت له نصفين) أي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب (حتى جاز بينهما) أي بين النصفين (وبقيت) الشجرة شجرتين (على ساقين) قائمة (الى وقتنا) أي الى زمن أدركه ابن فورك (وهي هناك) أي في الارض التي فيها من الطائف (معروفة معظمة) لانها من آثار معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن ذلك) أي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي وهو (حديث أنس أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا) جملة حالية أي وقد رآه محزونا لعدم اطاعة قومه له في أول البعثة اذ عرض نفسه على القبائل (أتحب أن أريك آية) أي معجزة تزيل حزنك لانه اذا أطاع دعوته الجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تأخيره لحكم خفية (قال نعم) أحب ذلك ليزول حزني واعلم أن الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي) الذي كان فيه مع جبريل (فقال) جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم (ادع تلك الشجرة) أي مرها بان تأتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فأمرها (فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه) صلى الله تعالى عليه وسلم بمكان قريب منه (ثم قال مرها فلترجع) الى مكانها الذي كانت فيه فأمرها (فعادت الى مكانها) كما كانت (وعن علي) كرم الله وجهه (نحوه) قال السيوطي لم أجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله تعالى عنه (ولم يذكر فيها) أي في هذه الرواية (جبريل) وكلامه له (وانما) الذي فيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اللهم أرني آية) أي معجزة ملزمة لمن رآها دالة على اني مستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية (لا أبالي من كذبني بعدها) لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا أبالي بمعنى لا أعتد ولا ألتفت لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله تعالى في المجمل اشتبه على اشتقاق لا أبالي فرأيت قول ليلى الاخيلية

تبالي رواياهم هبالة بعدما * وردن المياه بالجم يرتمي

اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقاء يقال تبالى القوم اذا تبادروا الماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم لا أبالي معناه لا أبادر الى اقتنائه بل أنبذه ولا أعتد به انتهى (فدعى شجرة وذكر مثله) من مجيئها ورجوعها (وحزنه) بالنصب أي التعب والكدر كما مر (لتكذيب قومه) له في أول أمره

(وطلبه الآية لهم) أي لقومه المكذبين (لاله) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه على يقين من أمره وعلمه بقدرة ربه (وذكر ابن اسحق) مما رواه في سيره ورواه أبو نعيم والبيهقي عن أبي امامة بسند من طريقين مرفوعا ومرسلا (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) كما سنسمعه قريبا في الحديث الذي أذكره لك وركانة بضم الراء المهملة وفتح الكاف المخففة وألف تليها نون وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي أسلم عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين وأربعين وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صارعه فصرعه وأما مصارعته لرجل آخر يقال له أبو جهل فلم تصح كما قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي اضم بالمدينة وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذي تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك ما قتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك مني اليوم وأنا أدعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك على عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له اسلم فقال أكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها باني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن انغنم لك فقال لا حاجة لي بها وانطلق فلقيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أليس الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما أقره على مقالته ليريه آية يرجى بها اسلامه أو انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أو تحريه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح (وعن الحسن) في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصري رحمه الله تعالى (أنه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه) في أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله (وانهم يخوفونه) كما قال الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وهو عطف تفسيري لان المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغ ما أرسل به فلا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم على كمال يقين من الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس (وسأله آية) ومعجزة (يعلم بها ان لا مخافة عليه) ان هنا مخففة من الثقيلة وأصلها انه (فأوحى الله اليه ان ائت وادي كذا) من أودية مكة

(فطلبه) بالرفع أي واستدعاؤه (الآية) أي المعجزة (لهم) أي لاستقامة أمته أو اقامة حجته (لاله) أي لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه في معرفته وعدم تردده في طويته (وذكر ابن اسحق) أي امام المغازي وكذا رواه أبو نعيم عن أبي امامة (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد بن يزيد صحابي صارعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما ركانة المصري الكندي غير منسوب فمختلف في صحبته كذا حققه الفيروزآبادي (ومثل هذه الآية) أي المعجزة (في شجرة دعاها) أي طلبها (فأتت) أي جاءت اليه (حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت) أي الى محلها (وعن الحسن) أي برواية البيهقي مرسلا (أنه عليه الصلاة والسلام شكا الى ربه من قومه) أي بعضهم (وانهم يخوفونه) أي بضربه أو حبسه أو اخراجه أو قتله (وسأله آية) أي علامة (يعلم بها) أي يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة أي انه كذا ذكره الدلجي والظاهر ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى [illegible] عدم المخافة عليه من ايصال أذيتهم اليه (فأوحى اليه) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل وفي أخرى فأوحى الله تعالى اليه (أن ائت وادي كذا) وروي أرأيت وادي كذا أي أبصرت أو علمت وان مصدرية أو تفسيرية (فان

(فيه شجرة) أى عظيمة وهى بالرفع مبتدأ خبره الجار قبله قال التلمسانى أو بالنصب بفعل مضمر أى فانظر فيه شجرة أو أطلب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل عليه قوله (فادع غصنا منها) أى من الشجرة أو أغصانها (يأتك) وفى نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع أو مجزوم على لغة (ففعل) أى ما ذكر (فجاء) أى الغصن منها (يخط الارض خطا) أى يشقها شقا بانرها فى الاتيان اليه (حتى انتصب) أى وقف (بين يديه) أى امامه وقدامه وأغرب التلمسانى حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ما شاء الله) أى من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) أى على وجه خرق العادة (فرجع) أى يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يارب علمت ان لا مخافة على) أى بعد اراءتك لى هذه الآية وكان صاحب البردة أشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(ونحو منه) أى من مروى الحسن كما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى بسند حسن (عن عمر رضى الله تعالى عنه) أى ابن الخطاب وفى نسخة عن عمرو أى ابن العاص (وقال) أحدهما (فيه) أى فى مرويه أو وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه بعد قوله (اللهم أرنى آية لا أبالى من كذبنى بعدها أو ذكر) وفى نسخة فذكر أى الراوى المختلف فيه بقية الحديث (نحوه) أى نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى أرأيت) أى أخبرنى (ان دعوت

المعجمة أى هذا العذق) بكسر العين المهملة وسكون الذال العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذى تركبه الشماريخ وهى العيدان التى عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) أى الحاضرة وأجابنى (أتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف ويكسر وبالزاى أى فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى أتاه) أى أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى) بتشديد الراء أى أخرجه فى جامعه (وقال هذا حديث صحيح) ووقع فى أصل الدلجى وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضى صحته والاخرى حسنه أو حسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد روايته أو حسن لغة صحيح حجة

(فان فيه شجرة فادع غصنا منها) أى غصنا وطرفا من أطرافها (يأتك) مجزوم فى جواب الامر (ففعل) أى أتى الوادى ودعا الغصن كما أمر (فجاء يخط الارض خطا) أى يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطاء مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد بالخط أثر مشيه الذى يشبه خط الكتابة كقول الابوصيرى

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(حتى انتصب بين يديه) أى قام عنده (فحبسه ما شاء الله) أى جعله مدة من زمان أرادها الله قائما عنده (ثم قال له ارجع كما جئت فرجع) الى مكانه الذى كان فيه والتأم باصله (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (يارب علمت ان لا مخافة على) بتسخير الجمادات لامتثال أمرى الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه (ونحو منه) أى فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى بسند حسن ما هو قريب مما ذكر فى هذا الحديث مروى (عن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) عمر (فيه) أى فيما رواه (أرنى آية لا أبالى من كذبنى بعدها) أى لا أعتد وأهتم به لاطمئنان قلبى وذهاب خوفى (فذكر نحوه وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى مسندا (انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى أرأيت) بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى أخبرنى وقل لى وهو مجاز مشهور ورأى فيه علمية أو بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة (ان دعوت) ان شرطية أى أمرت (هذا العذق) اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وثمار بخها كما بينه بقوله (من هذه النخلة) وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين (أتؤمن بانى رسول الله) أى أتؤمن بى وبما أرسلت به وتقر بذلك (قال نعم) أشهد بانك رسول الله (فدعاه) أى العذق بان أمره بالمجىء اليه (فجعل) أى طفق وصار العذق (ينقز) بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها كما فى المحكم فنى الاقتصار على الضم قصور وآخره زاى معجمة ومعناه يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقى وقال ان الاعرابى من بنى عامر (حتى أتاه) ووصل الى مكان عنده بقربه (فقال) له (ارجع فعاد الى مكانه) الذى كان فيه (وخرجه) بالتشديد أى رواه بسند (الترمذى وقال هذا حديث صحيح) متنا وسندا

(فصل) (في قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد أي يقوي ويؤيد (هذه الاخبار) أي الاحاديث السابقة الواردة في كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث أنين الجذع) وفي نسخة حنين الجذع أي شوقه اليه وبكاؤه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم أصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجئ بقية القصة (وهو) أي وحديثه هذا (في نفسه) أي باعتبار مبناه مشهور أي عند السلف (منتشر) أي عند الخلف (والخبر به) أي بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) أي يفيد العلم القطعي لمن أطلع على طريق الحديث الاحادي المفيد بانفراده العلم الظني قال الحلبي وكذا قال غيره انه متواتر وقد أبعد التلمساني حيث قال أراد به التواتر اللغوي يقال تواترت الكتب أي جاء بعضها في أثر بعض من غير ان ينقطع والاول أظهر فتدبر وقد قال السهيلي حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف وكلهم نقل ذلك أو سمعه من غيره فلم ينكره أحد انتهى وسببه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء أي أخرجه (أهل الصحيح) أي من التزم الصحة في رواياته الواردة في كتابه كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح أي ثلاثة أو أكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) أي بعضهم وهم عشرة منهم (أبي بن كعب) وهو أقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعي وابن ماجه والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله) أي الصحابي ابن الصحابي وسيأتي حديثه (وأنس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه في الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو أشهر من ان يذكر

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ما اشتهر (في قصة حنين الجذع) الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس يقال حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قائما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قائما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما يأتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المصنف رحمه الله تعالى هنا وهذا الجذع من سوار المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما يأتي في رواية جابر رضي الله تعالى عنه ولا بدع في ان يخلق الله تعالى فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره (ويعضد هذه الاخبار) المذكورة في الفصل الذي قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أي يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها (حديث أنين الجذع) الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي تعبيره به اشارة الى أنه لحقه ألم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري في قوله يا أسنا فصحاء قد خرست * ان الجماد بفضله نطقا
واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي أن حقيقة الحنين في الابل فتحن اذا فارقت أولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار وأهلها * وحنينه أبدا لاول منزل

وأما الانين فانه مما لا يفهم كالتأوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كأنين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه (وهو) أي حديث الجذع (في نفسه) بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه (مشهور ومنتشر) أي شائع بين الخلف والسلف (والخبر به متواتر) لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطئهم على الكذب (خرجه أهل الصحيح) أي رواه مسندا أصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه الاحاديث الصحيحة عنده (ورواه من الصحابة بضعة عشر) تقدم ان البضع من الثلاثة الى تسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند أهل اللغة وهو كما مر بكسر الباء وفتحها (منهم) أي من الصحابة الذين رووه مرفوعا (أبي بن كعب) كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي (وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه البخاري (وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) كما رواه عنه الترمذي وصححه (وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه عنه البخاري

(وعبدالله بن عباس) أى ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وأبو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (و بريدة) بالتصغير وقد سبق ذكره (وأم سلمة) أى أم المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن أبى وداعة) بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة (كلهم) أى جميع المذكورين وغيرهم (يحدث) أفرد ضميره باعتبار لفظ كل أى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) أى وان كانت ألفاظهم مختلفة فى باب التحديث وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث أنس صحيح) أى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر) أى ابن عبدالله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) أى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل) بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى دائما أو غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) أى معين (منها) أى من تلك الجذوع (فلما صنع له المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار أو غيره من أثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل أو التى أتى لحملها عشرة أشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر منه البكاء لما أحس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية أنس) أى وهى قوله فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور أى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم أى اضطرب وارتعد (المسجد) أى باهله (لخواره) بضم الخاء المعجمة و بالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها ألف وهو أظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام ففى القاموس جار جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة فمن صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما

(وعبدالله بن عباس رضى الله عنهما) كما رواه عنه أحمد فى مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمى والبيهقى (وسهل بن سعد) كما رواه عنه الشيخان (وأبو سعيد الخدرى) بالدال المهملة كما تقدم فى ترجمته رواه عنه الدارمى (وأم سلمة) أم المؤمنين كما رواه عنها البيهقى (والمطلب بن أبى وداعة) بفتح الواو والدال المهملة وألف وعين مهملة بعدها هاء ابن الحرث بن صبرة بن سعيد القرشى السهمى الصحابى عن أسلم عام الفتح رواه عنه أحمد والزبير بن بكار (كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث) فجميع رواياتهم متفقة بحسب المعنى وكأنه اشارة الى ان تواتره معنوى لا اصطلاحى لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه (قال الترمذى) صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته (وحديث أنس صحيح) انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفى صحة غيره حتى ينافى ما مر من رواية أهل الصحيح له أو لان فى بعض رجاله شئ (وقال جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه) فى روايته (كان المسجد) أى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة (مسقوفا) اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف (على جذوع نخل) جمع جذع وقد تقدم يعنى ان له سوارى وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) أى قام للخطبة (يقوم) مستندا (الى جذع منها) وكان هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا تفيد ذلك فى استعمالهم كقولهم كان حاتم يقرى الضيف وقال الله تعالى وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به فى كتب العربية والاصول وفى وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر محله ولا حاجة لنا به هنا (فلما صنع) بالبناء للمجهول وفى نسخة وضع (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (المنبر) بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القائم عليه به عن غيره (سمعنا لذلك الجذع) الذى كان يستند اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى خطبه (صوتا كصوت العشار) بكسر العين المهملة وشين معجمة وألف وراء مهملة جمع عشراء كنفساء وهى الناقة التى أتى عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع و بعد وضعها أيضا والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة هنا لما عرفته من ان الحنين أصله فى النوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله تعالى عليه وسلم كانه فى النوق كذلك و يزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع فقط كما قيل (وفى رواية أنس) انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع (حتى ارتج المسجد) بهمزة الوصل وسكون الراء المهملة وفتح التاء الفوقية وتشديد الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف أى أهله أو هو على ظاهره بان تتحرك حيطانه و جدرانه لشدة صوته اما حقيقة أو لظن ذلك ممن هو فيه (لخواره) بضم الخاء المعجمة وفتح الواو بعدها ألف وراء مهملة بوزن فعال وهو

بالخاء المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا أعلم به رواية انتهى والحلبي جعله أصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش واليمنى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم أعم وفى الدراية أتم والله تعالى أعلم (وفى رواية سهل) أى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) أى من الحنين والانين من جهة التبعد عن خدمة سيد المرسلين أو من خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم ويجوز بفتح اللام وتشديد الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) أى ابن أبى وداعة السهمى وزيد فى نسخة صحيحة وأبى ويشير اليه قول الحلبي وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) أى أتاه (أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) أى تسلية لما لديه (فسكت) أى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه عانقه بيديه (زاد غيره) أى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن أبى بن كعب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين أى بعد (من الذكر) أى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) أى غير ذلك الغير وفى رواية أبى يعلى عن أنس (والذى نفسى بيده) أى بتصرف قدرته وقبضة ارادته (لولم التزمه) أى اعتنقه (لم يزل هكذا) للعباس
أى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن الزائد على الصبر (على رسول الله) أى على فراقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) وما أحسن من قال من بعض أرباب الحال

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) أى حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من أثر الخير

بناء مطرد فى اسماء الاصوات والخوار فى الاصل كما قال الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه فى أصوات جميع البهائم وفى بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجأرون من جأر اذا أفرط فى الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد أى صاح (وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به) البكاء يمد ويقصر معروف وما موصولة والعائد محذوف أى رأوا بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئى حركته ونحوها والباء بمعنى فى أو سببية وفيه تجوز اى للذى رأوا آثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية (وفى رواية المطلب) ابن أبى وداعة (وأبى) بن كعب (حتى تصدع وانشق) عطف تفسيرى لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الرأس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة فى شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد الاول قوله (حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نزل عن منبره وأتى له (فوضع يده عليه فسكت) أى ترك خواره لما زال ألمه بقربه صلى الله تعالى عليه وسلم منه ومشيه له (زاد غيره) أى غير المطلب وهو فى رواية أبى بن كعب (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر) فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود فهو أخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله أو الموعظة أو القرآن وجوز ان يكون نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أطلق عليه الذكر أيضا (وزاد غيره) أى غير الغير أو من ذكر (والذى نفسى بيده) قسم بالله على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده بمعناه بقبضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى أراد (لولم التزمه) هو افتعال من اللزوم وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما فى الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه اليه (لم يزل هكذا) أى له صراخ وجؤار (الى يوم القيامة تحزنا على) مفارقة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف (فامر به نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمر بعض الصحابة باخذه أو بدفنه (فدفن تحت المنبر) وانما أمر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول وفيه اشارة الى انه سينبت فى الجنة كما سيأتى وان بعض أغصان الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض * واعلم ان سوارى المسجد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم معدودة مفصلة فى تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه أشجار وفى النجار الذى صنعه له صلى الله تعالى عليه وسلم أقوال كثيرة فقيل انه قبيصة المخزومى وقيل انه غلام

(كذافى حديث المطلب) أى السهمى (وسهل ابن سعد) أى الساعدى (واسحق) أى ابن عبد الله ابن أبى طلحة وهو تابعى روى عن أبيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة أخرج له الأئمة الستة (عن أنس) وهو عمه من أمه (وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت فى السقف) أى فى سقف المسجد شك من الراوى ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفى أصل التلمسانى فدفن قال وفى طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقى انما دفنه وهو جماد لانه صار فى حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق أول ليلة من رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من أعظم مصيبة (وفى حديث أبى) أى ابن كعب (فكان) أى أولا (اذا صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه) وهو لا ينافى انه عند خطبته كان يعتمد عليه (فلما هدم المسجد) أى عند ارادة تجديده وتوسيعه فى تجديده وهو فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة أو فى أيام اباحة يزيد المدينة فى أحد الايام الثلاثة (أخذه أبى فكان عنده الى ان أكلته الارض) كذا فى النسخة المصححة والمراد بها الدابة التى يقال لها الارضة سميت بفعلها وأضيفت اليه فى آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزى المشهور عند أهل الحديث الارضة

للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم أو باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الدارى وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امرأة انصارية وقول الكرمانى رحمه الله تعالى انه غلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لا مستند له فيه وقيل انها عائشة الانصارية وقيل هى من بنى سعد وكان وضع منبره صلى الله تعالى عليه وسلم فى السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون التاسعة لانه أسلم سنة تسع الان يقال عمله قبل اسلامه وهو أول منبر فى الاسلام وكان له درجة ثلاثا ومن قال اثنتين أسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان أكثر من ثلاث وكان طوله أكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة فى قيامه ولما حج معاوية رضى الله تعالى عنه كساه قباطى ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بنى العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل فى تاريخ المدينة (كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس) وفى بعض النسخ هنا وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره أو جعلت فى السقف انتهى وضميره دفنت وجعلت على هذه الرواية لاعواده أو لتأويل الجذع بالخشبة واسحق المذكور هو ابن عبد الله بن أبى طلحة الانصارى أخرج له الستة وتوفى سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره أو تسمح فيه لانه قيل دفن فى يسار المنبر وروى دفن فى المسجد (وفى حديث أبى فكان اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه) أى استقبله وجعله كالسترة للمصلى من المارين (فلما هدم) بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض البناء ونحوه (المسجد) أى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وهدمه فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه لان بناءه فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضى الله تعالى عنه وزاد فيه كما ذكر فى تاريخ المدينة (أخذه أبى رضى الله تعالى عنه) هذا لا ينافى ما مر من انه جعل فى السقف أو دفن تحت المنبر أو فى المسجد قريبا منه لجواز وضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع فى السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم حين الهدم أخذه أبى تبركا به (وكان عنده الى ان أكلته الارض) ووقع فى رواية الارضة بفتحات وهى دويبة صغيرة تأكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهى العثة وقال الامام المزنى ان هذه الرواية هى المشهورة عند المحدثين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور ولانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل أو هو بتقدير أى دابة الارض وهى تلك المتقدمة بعينها أو مصدر أرض يارض أرضا اذا أكلته الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تأكل منسأته كما ذكره السيوطى ولابن عنين

ياأهل مصر وجدت أيديكم * عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكم * أكلت كتبى كأنى ارضه

فليس فى كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قاله القسطلانى * فان قلت هذا يخالف قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم التزمه بقى هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وان لم يقع وهذا مالا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاءه على عدم فعله به ما فعله فاذا فعله تغير وفنى وقد علم الله بما

(وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية أى وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبي قوله الى أن أكلته الارض كذا مافى النسخة التى وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور أعنى حديث أبي وهو مطول فى مسند أحمد وفيه الارضة وهى دابة تأكل الخشب وهو باختصار فى سنن ابن ماجه فى الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله فى السقف وينبغى ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان أكلته الارض عند أبي حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما أحسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل فى روضه (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وتكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد فى العجم فى خراسان وفى نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به أبو اسحق ويحتمل انه أبو خالد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها أى يشق (الارض فالتزمه) أى اعتنقه تودعا منه (ثم أمره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد فى المآل وما وقع فى ألفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت تقول الرجال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (وفى حديث بريدة فقال يعنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى خطابا للجذع (ان شئت أردك الى الحائط) أى البستان (الذى كنت فيه) أى أولا على وما حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول أى يخرج لك (عروقك) وتثبت فى محل أصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة أى ويتم (خلقك) أى خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت أغرسك) بكسر الراء (فى الجنة) أى الموعودة (فيأكل أولياء الله تعالى من ثمرك) أى تمرك (ثم أصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ألقى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) أى مما يرده عليه

ذكر (وعاد رفاتا) عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو أحد معنييه كما بين فى كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة وفاء ومثناة فوقية كالقناة وهو ما تكسر وتفرق (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وألف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو أبو اسحق لانه اذا أطلق فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الائمة كابى حامد وطاهر بن محمد (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أى دعا الجذع المذكور (الى نفسه) أى أمره بان يأتيه ويقبل ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع فى غير افعال القلوب وما ألحق بها كام وقد أورد عليه نحو قوله وهزى اليك بجذع النخلة وصرهن اليك وقد أجيب عنه بما يطول وقد فصلناه فى السوانح والمقام يضيق عنه هنا (فجاءه يخرق الارض) أى يشقها بمشيه فيها (فالتزمه) واعتنقه (ثم أمره) بالرجوع لمحله (فعاد الى مكانه) الذى كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الرأى وهو امام ثقة على ان هذا رواه الامام البيهقى فى دلائله والحافظ أبو القاسم فى تاريخه عن العباس كما فى الشرح الجديد ولو وقف عليه المصنف عزاه له (وفى حديث بريدة) علم منقول من تصغير البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج السلمى واختلف فى كنيته فقيل هو أبو عبد الله وقيل أبو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابى أسلم حين مر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة وأخرجه أحمد فى مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمى كما توهم فانه تابعى روى أحاديث مرسلة فظن انه صحابى وله ترجمة فى الميزان (فقال يعنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) للجذع حين سمع حنينه (ان شئت) بتاء الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا (أردك الى) مكانك (الحائط الذى كنت فيه) هو فى الاصل اسم فاعل من حاطه اذا أحاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذى فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذى كنت فيه (ينبت لك عروقك) بدل من قوله أردك أو مستأنف لبيان علة الرد الى مكانه الذى نبت فيه (ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة) الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهى كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة أى تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها (وان شئت) مفعوله مقدر أى غرسك فقوله (أغرسك فى الجنة) جواب الشرط مجزوم (فيأكل أولياء الله من ثمرك) معطوف على الجواب وهو مرتبط بقوله فالتزمه فى الكلام الذى قبله فخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية (ثم أصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصاد مهملة وغين معجمة أى أمال رأسه وقربها منه (يستمع ما يقول) أى ليسمع قوله

(فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله تعالى) أي في دار النعمة (وأكون) أي ثابتا أو نابتا (في مكان لا أبلى فيه) بفتح الهمزة واللام أي لا أخلق ولا أعتق ولا أفنى قال الحلبي ابلى بفتح الهمزة ووقع في النسخة التي وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح أن يكون مجهولا من ابلاه متعدي بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) أي كلام الجذع (من يليه) أي يقرب به والضمير له أي للنبي عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضي الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمساني (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) أي قبلت أو جزمت على هذا الفعل أو غرست كما أردت (ثم قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) أي البصري (اذا حدث بهذا) أي الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) أي مع كونها في حد ذاتها ليست من أهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون أي تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) أي لمكانة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى أو لاجل مكانه المتبعد من مكانها (فأنتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من أهل الفضائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

(رواه) أي الحديث الذي مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبي ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك يروي عن جده وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال أبو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر في البخاري

وما يجيبه به وهو من الصغي بمعنى الميل كما علم يقال صغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء وأصغيته اذا أملته وأصغيت الى فلان ملت بسمعي نحوه وحكي صغوت اليه أصغو واصغوا وصغيت أصغى قاله الراغب (فقال) أي الجذع (بل تغرسني في الجنة) أي تصيرني من غراس الجنة وتغرسني بيدك (فيأكل مني) أي من ثمري (أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه) أبلى كأفنى لفظا ومعنى من البلاء بالكسر وهو الفناء فاختار الحياة الباقية كسائر أهل الجنة وأشجارها وأبلى بفتح الهمزة وضمها خطأ (فسمعه من يليه) أي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) بضم التاء للمتكلم أي أجعلك من غراس الجنة (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اختار دار البقاء) وهي الجنة كما تقدم (على دار الفناء) وهي الدنيا (فكان الحسن) البصري التابعي الامام المشهور (اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة) يعني الجذع (تحن الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم تفسير الحنين (شوقا اليه) مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا أو مفعول له والاول أولى لان قوله (لمكانه) لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا أي الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحياء عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحياء عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة أو بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشرنا اليه (فأنتم أحق) من الجماد (ان تشتاقوا الى لقائه) ونقل عن صاحب القاموس انه استأذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكتب اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يحل بالمؤمن ان يمر عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق ما شب عمره عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الاعظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب الى آخر ما قاله وقلت أنا حين وقفت على ما كتبه

الا أحن الى المختار من اضم * والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
اني لأعجب من خشب مسندة * ما هزها الشوق أحيانا لروضته

والشوق نزاع النفس للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول كلب أحب أهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقرب بحبيبه (رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص) بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك وهو يروي عن جده وروى عنه أصحاب السنن وقال أبو

(وأيمن) الحبشي مولى ابن أبي عمرة المخزومي قال الذهبي في الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه أبو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد أخرج البخاري وحده لايمن (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعي يروي عن علي مرسلا وعن ابن عباس وأبي سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبي وقع في نسخة التي وقفت عليها الآن بالشفاء أبو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شيء لانعرفه ولا أعلم أبا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابي غفاري وليس له شيء عن جابر فيما أعلم (وابن المسيب) تابعي جليل (وسعيد بن أبي كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفي نسخة بفتح فسكون وهو همداني وثق (وكريب) بالتصغير يروي عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة ووثقوه (وأبو صالح) أريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) أي الحديث الذي سبق (عن أنس بن مالك الحسن) أي البصري (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن أبي طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) أي مولاه وهو من اعلام التابعين (وأبو حية) بتشديد التحتية كابي كوفي روى عن عمر وهناك أبو حية روى عن علي (ورواه أبو نضرة) وهو الذي سبق ذكره قال التلمساني وهو في الموضعين في الاصل بموحدة من أسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبي والانطاكي (وأبو الوداك) بتشديد الدال أي رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن أبي سعيد وعمار ابن أبي عمار) بتشديد الميم أي روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وأبو حازم) بكسر الزاي وهو سلمة بن دينار الاعرج المديني أحد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) أي ابن سعد الساعدي كلاهما (عن سهل بن سعيد) أي عن أبيه (وكثير بن زيد) أي الاسلمي أو الايلي (عن المطلب) أي ابن أبي وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضي مرو وعالمها (عن أبيه والطفيل بن أبي) بالتصغير فيهما كنيته أبو بطن لعظم بطنه (عن أبيه) أي أبي بن كعب (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه أخرجه) وفي نسخة خرجه (أهل

حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده (وأيمن) الحبشي والد عبد الواحد بن أيمن مولى بن أبي عمرة المخزومي وقد وثقه أبو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن حبان خلط في ترجمته وأيمن منقول من أفعل التفضيل من اليمن وهو البركة (وأبو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا أبو بضرة غير أبي نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي وأبو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن ابن عباس وغيره وأخرج له أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة (وابن المسيب) سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان يائه تفتح وتكسر (وسعيد بن أبي كرب) بكاف وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان (وكريب) مثله الا انه مصغر وهو ابن رشد بن مولى ابن عباس (وأبو صالح) وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته (ورواه عن أنس بن مالك الحسن) البصري وقد تقدمت ترجمته (وثابت) البناني وقد تقدمت ترجمته (واسحق بن أبي طلحة) السابق بترجمته (ورواه عن ابن عمر نافع) أبو عبد الله مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له الستة (وأبو حية) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه حيي الكلبي الكوفي الامام الثقة والد أبي حباب يروي عن ابن عمر ولهم أبو حية آخر يروي عن علي وترجمته في الميزان (ورواه أبو نضرة) السابق ذكره قريبا (وأبو الوداك) بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم ألف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي وله ترجمة في الميزان (عن أبي سعيد) الخدري رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته (وعمار بن أبي عمار) مولى أبي هاشم وهو ثقة أخرج له مسلم (عن ابن عباس وأبو حازم) بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة أحد الاعلام أخرج له الستة (وعباس) بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وألف (ابن سهل) بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين وأخرج له أصحاب السنن (عن سهل بن سعد) أبو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره (وكثير) بفتح الكاف ومثلثة وراء مهملة (ابن زيد) الاسلمي أبو محمد المدني وله ترجمة في الميزان (عن المطلب) السابق ذكره وروايته كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان (وعبد الله بن بريدة عن أبيه) عبد الله قاضي القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان (والطفيل) بصيغة تصغير طفل (ابن أبي عن أبيه) أبي بن كعب وكنيته أبو بطن لعظم بطنه (قال القاضي أبو الفضل) وهو عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه فهذا) يعني حديث حنين الجذع (حديث كما تراه) يعني انه علم بما ذكره من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه (خرجه أهل

(الصحة)

الصحة) أي من أرباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) أي من أجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) أي زائد عليهم أو قدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) أي للاختصار أو لعدم الاستحضار أو لعدم الاشتهار (ومن دون هذا العدد) أي ويجمع أقل من هذا العدد المذكور وفي نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) أي القطعي (لمن اعتنى بهذا الباب) أي اهتم بشأنه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها أي من شاء من عباده (على الصواب)

* (فصل) * (ومثل هذا) أي ما ذكر من حنين الجذع (وقع له في سائر الجمادات) أي بقيتها أو جملتها من غير النباتات التي هي قريبة من الحيوانات فهو في باب المعجزة أقرب وفي خرق العادة أغرب (حدثنا

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) وفي نسخة ابن محمد (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له أبو عمرو الداني (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسي) بكسر الموحدة (ثنا المروزي ثنا الفربري) بفتح الفاء وكسر (ثنا البخاري) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا أبو محمد الزبيري) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد ابن الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني أسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) أي ابن يونس ابن أبي اسحق اسمعيل السبيعي الكوفي أحد الاعلام وثقه أحمد وغيره وضعفه ابن المديني وغيره أخرج له الأئمة الستة (عن منصور) أي ابن المعتمر أبو عتاب السلمي من أئمة الكوفة يروي عن أبي وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) أي ابن يزيد النخعي (عن علقمة) أي ابن قيس (عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال لقد كنا) أي نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا قد ساقه القاضي كما رأيت من رواية البخاري وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد أخرجه الترمذي في المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبي (وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفي أصل الدلجي وفي رواية عنه أيضا وقال كما في الترمذي (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الصحة) أي الثقات من المصنفين الذين التزموا في كتبهم رواية الأحاديث الصحيحة (ورواه من الصحابة من ذكرناه) في هذا الفصل (وغيرهم من التابعين ضعفهم) بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما فصل فاذا ضممتهم (الى من لم نذكره) فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره (و) من (دون) وفي نسخة وبدون (هذا العدد) الذي ذكره (يقع العلم) أي يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به (لمن اعتنى) أي اهتم به وتقيد (بهذا الباب) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (والله المثبت) بضم الميم وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة أي توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته (على الصواب) وهو ضد الخطأ

* (فصل ومثل هذا) * من حنين الجذع واشتياقه ونطقه (في سائر الجمادات) أي جميعها أو بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده أو فاعل فعل مقدر أي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واستشهد بحديث رواه البخاري وهو ما أشار اليه بقوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم بيانه وترجمته قال (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط) بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين وأربعمائة وكان متفننا في العلوم سمع من المهلب والداني وغيرهما قال (حدثنا المهلب أبو القاسم) والمهلب بصيغة المفعول هو ابن أبي صفرة وفي التكنية بأبي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم وسيأتي بيانه أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) علي بن محمد بن خلف الحافظ المغافري كما تقدم قال (حدثنا المروزي) أبو زيد كما تقدم قال (حدثنا الفربري) تقدم بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح وقد تقدم بيانه قال (حدثنا محمد بن المثنى) وهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان قال (حدثنا أبو أحمد الزبيري) بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني أسد توفي سنة ثلاث ومائتين قال (حدثنا اسرائيل) بن يونس بن اسحق السبيعي الكوفي أبو يوسف الثقة أخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن منصور) أبي عتاب بن المعتمر السلمي من أئمة الكوفة (عن ابراهيم) بن يزيد النخعي (عن علقمة) بن قيس تقدم بيانه (عن عبد الله ابن مسعود (قال) أي ابن مسعود (لقد كنا) معاشر الصحابة (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية أي في حال أكلنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي غير هذه الرواية) يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي (عن ابن مسعود) أيضا (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أى قوله سبحان الله وهذا مما يستأنس به لان معنى قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تسبيح حقيقى بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن أخرجه الترمذى عن ابن يسار أيضا من طريق آخر وفى قوله كنا الى آخره دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفى هذا معجزة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة أعظم من معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفى الدر المنثور للسيوطى ان كل شئ يسبح الا الكلاب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به وأهل الظاهر أولوا الآية بلسان الحال كالزمخشرى وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف رحمه الله هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته (وقال أنس) فى حديث أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا) أى مقدار ملء الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر أى ملء كف (من حصى) جمع حصاة وهى صغار الحجارة (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفى نسخة فى يده (حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أى وضعهن وهو استعارة شائعة فى الاجرام الصعبة كصببنا الصبرة من المكيل وأصله فى المائعات كالماء (فى يد أبى بكر فسبحن) جملة حالية (ثم) صبهن (فى أيدينا فما سبحن) وفى قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل أبى بكر رضى الله تعالى عنه على غيره وايماء الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن أو ان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول أولى (وروى مثله أبو ذر) رضى الله تعالى عنه رواه الطبرانى والبيهقى والبزار والمثلية فى مجرد تسبيح الحصى فلا ينافى قوله (وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان) رضى الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن أبى ذر فى دلائل البيهقى قال كنت أتتبع خلواته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم جاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسلم وجلس عن يمين أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعهن فى كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكر رضى الله تعالى عنه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن فى يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا أخرجه الحافظ أبو القاسم فى تاريخه مسندا عن أنس رضى الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن فى أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفى رواية صبهن فى أيدينا رجلا رجلا الى آخره وفى الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها فى يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن أيضا وأجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة أو لان خلافته أدركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه رضى الله تعالى عنه مع ماله من المناقب * أقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية أبى ذر انه لم يكن ثمة غيره وما فى رواية البيهقى يقتضى انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم على رضى الله تعالى عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا (وقال على) رضى الله عنه فى حديث رواه الدارمى والترمذى بسند حسن (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الطعام ونحن نسمع تسبيحه) أى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال أنس) وفى نسخة وعن أنس كما روى ابن عساكر فى تاريخه (أخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصى) أى حجارة دقاق (فسبحن فى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) أى حولهن واضعا لهن (فى يد أبى بكر فسبحن ثم) أى بعده وقعن (فى أيدينا فما سبحن وروى مثله) مثل حديث أنس (أبو ذر رضى الله تعالى عنه) على ما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط والبيهقى عنه (وذكر) أى أبو ذر (انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما) ولعل القضية متعددة (وقال على) وفى نسخة وعن على (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فخرج الى بعض نواحيها) أى جهاتها واطرافها (فما استقبله) أى ماواجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولاجبل) أى حجر كما روى (الاقال له السلام عليك يارسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله تعالى عليه وسلم من النبوة (وعن جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يارسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسى وقال انه الحجر المبنى للجدار المقابل لدار أبى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) أى شرعت (لاأمر) بفتح همزة وضم ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولاشجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الاقال السلام عليك يارسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولاشجر الاسجد له) أى انقاد وتواضع له بنحو السلام أوسجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له أو كالملائكة لآدم عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على مارواه البيهقى أيضا (اذا اشتمل عليه) أى على عمه (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه) أى بنى عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ريطة كالملحفة قطعة واحدة وأما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو قلم من أثر وهم نشأله تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة ممدودة (ودعالهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول قوله

فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله) وفى بعض النسخ فما استقبلته (شجرة) أى وقعت فى مقابلة وجهه قريبا منه (ولاجبل الاقال له) كل واحد منهما (السلام عليك يارسول الله) بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لاتلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة أيضا وهذا كما قاله ابن اسحق رحمه الله تعالى كان فى بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته (وعن جابر بن سمرة) رضى الله تعالى عنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على) أى يقول السلام عليك يارسول الله ونحوه (قيل انه الحجر الاسود) فقد قال السهيلى وغيره روى فى المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف الى الآن بمكة فى محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون انه الذى كان يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه المعجزة أعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام فى قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفى يد من أراده من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما الا انه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفائدة فى ذكر حجر واحد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايمر بحجر ولاشجر الاسلم عليه كما أشار اليه بقوله (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البزار فى مسنده (لما استقبلنى جبريل) عليه الصلاة والسلام أى نزل على وأتانى (بالرسالة جعلت) أى صرت (لاأمر بحجر ولاشجر الاقال السلام عليك يارسول الله) تشريفا له وتطمينا وانه لعموم رسالته وأمر يقربه الحجر كيف ينكره البشر (وعن جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البيهقى (لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء بعثته (يمر بحجر ولاشجر الاسجد له) أى انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله سبحانه وتعالى انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد التصريح به فى الحديث السابق ومثله لايقال من قبل الرأى فلا حاجة الى ان يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوى شاهد ذلك فى حال مروره معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى حديث العباس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البيهقى رحمه الله تعالى عن أسيد الساعدى (اذا اشتمل عليه) الضمير للعباس رضى الله تعالى عنه أى الحديث الذى ذكر فيه انه كان فى وقت اشتمل أى ضمه (صلى الله تعالى عليه وسلم) فى رداء له (وبنيه) وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهى الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذى له شقتان فان كان له شقة واحدة فهى ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط (ودعالهم) أى للعباس وبنيه (بالستر من النار) الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره ثم شبه بعد التجوز فى

(كستره اياهم بملاءته) كأن قال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بتشديد الميم أي تكلمت بكلمة آمين (أسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أي عتبته (وحوائط البيت) جمع

حائط نعني الجدار أي وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كررا اماتا كيدا أو تقريرا لوقوعه مكررا أو باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبني على الفتح ومعناه استجب أو افعل وفي حديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) أي الصادق (ابن محمد عن أبيه) أي محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه) جبريل (بطبق) أي من سعف أو غيره (فيه رمان وعنب) أي من فواكه الدنيا أو الجنة (فاكل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من مجموعهما أو من كل منهما أو من طبقهما (فسبح) أي ما في الطبق عندا كله قال الدلجي لم أدر من رواه قلت يكفي انه رواه المصنف وهو من أكابر المحدثين ولولا ان الحديث له أصل لما ذكره ولذا قال القسطلاني في المواهب ذكره القاضي عياض في الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ أبو الفضل في فتح الباري (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان

قوله (كستره) صلى الله تعالى عليه وسلم (اياهم بملاءته) اذ قال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه (فامنت) بفتح الهمزة والميم المشددة والنون أي قالت آمين طلبا الاستجابة دعائه (أسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على أسكفة عينه أي جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد فيه (وحوائط البيت) جمع حائط وهو معروف أي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه (آمين آمين) هو اسم فعل أمر بمعنى استجب وفيه لغات أشهرها مد الهمزة وتخفيف الميم وروى قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وآمين آمين اماه معمول لمقدر أي وقالت آمين أولامنت لتضمنه معنى القول وتكريرها على التوزيع أي قالت الاسكفة آمين والحوائط آمين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله آمين تأكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا أبا الفضل لا تفارق أنت وبنوك بيتك حتى آتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما أتاهم قال كيف أصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فخمهم معه في ملاءته وقال يارب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى آخر ما ذكره المصنف رحمه الله وفي دلائل أبي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة أبو الخلفاء وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وأم حبيبة أختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل * كستة من بطن أم الفضل

أكرم بها من كهلة وكهل * عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث أهل الكساء في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لخمسة من أهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كساء له ويقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان معهم كما قيل أفضل من تحت الفلك * خمسة رهط وملك

وقال الخالدي أعاذلي ان كساء التقا * كسانيه حبي لآل الكساء

وقال أبو علي الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من غزل من هذا الكساء ونسج من * هل في عمان طرازه أم في عدن

ولاي وقت بعد ريح قرة * هبت وأمطار ألمت تحتزن

أم ذا كساء العز آل محمد * فالضن عن بذل له أحسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا أعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل (وعن جعفر بن محمد عن أبيه) محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم أجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف رحمه الله تعالى عليه (مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب) المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطاء والمراد به هنا الوعاء مجاز الانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الآخرة لم يفن لقوله أكلها دائم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة أولا (فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح) أي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا (وعن أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه في حديث رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجة (صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر

الفضل في فتح الباري (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد والبخاري وعثمان
والترمذي وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين أي طلع (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر

وعثمان رضي الله عنهم أحدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم أي اضطرب من هيبتهم وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت أحد) أي يا أحد (فانما عليك نبي) أي ثابت النبوة (وصديق) أي مبالغ في ثبوت الصداقة (وشهيدان) أي ثابتان في مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع في أصل الدلجي بعد قوله فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود في النسخ المعتبرة وفي أصل التلمساني أو صديق أو شهيد فهي كالواو للمصاحبة أو للتفصيل

وعثمان أحدا) بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه وأخبر انه سيكون في الجنة (فرجف) الجبل (بهم) أي تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه امالهابته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخوفه من الله تعالى أو انه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه (فقال اثبت أحد) بضم آخره من غير تنوين أي يا أحد فأمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل أمره وهو محل الشاهد في هذا الحديث أي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال (فانما عليك نبي) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم (وصديق) يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه (وشهيدان) يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما لانهما ماتا قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضربه برجله أي ركضها (ومثله) أي مثل الحديث الذي في أحد ما رواه مسلم (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حراء) بالمد والقصر والتذكير والتأنيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة أميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه (وزاد) في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وأبي بكر رضي الله تعالى عنهم (ومعه علي وطلحة والزبير) وفي رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بدل علي (وقال) في هذه الرواية (فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد) أو هنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المصنف رحمه الله تعالى عند سياقه هذه الرواية فيما يأتي فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد ويأتي الكلام عليها ثمة وأراد بذلك ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله تعالى عنه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله تعالى عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله تعالى عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله تعالى عنه اعتزل الناس فأصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهداء حقيقة وحكما وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اسكن حراء أو اهدأ حراء الى آخره كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما سيأتي (والخبر) الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان) بن عفان رضي الله تعالى عنه (قال) عثمان رضي الله تعالى عنه في هذه الرواية (ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم وزاد) في رواية عثمان (عبد الرحمن) ابن عوف (وسعدا) ابن أبي وقاص (قال ونسيت الاثنين) تتمة العشرة وهما طلحة والزبير (وفي حديث) آخر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (سعيد بن زيد أيضا) ابن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرة (مثله) أي مثل حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد أنصاري أسلمي وهو غير هذا لانه لا يعرف له رواية (وذكر) في هذه الرواية أيضا (عشرة وزاد نفسه) فيهم (وقد روي) في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يسنده السيوطي هنا (انه) صلى الله عليه وسلم (حين طلبته قريش)

(ومثله) أي مثل ما روى أنس في أحد روي (عن أبي هريرة في حراء) بكسر الحاء ومد الراء منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) أي أبو هريرة (معه) أي مع ما ذكر (وعلي) أي قوله وعلي بالعطف على ما قبله والمعنى روي ومعه علي (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية وسعد ابن أبي وقاص بدل علي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) أي الذي رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي والنسائي (في حراء أيضا عن عثمان قال) أي عثمان ومعه عشرة من الصحابة (أنا فيهم وزاد) أي عثمان (عبد الرحمن) أي ابن عوف كما في نسخة

(وسعدا) وهو ابن أبي وقاص (قال) وفي نسخة وقال أي عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفي حديث سعيد بن زيد) أي كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه (أيضا مثله) أي مثل الخبر المروي قبله (وذكر عشرة وزاد) أي سعيد (نفسه) أي ذكرها فيهم (وقد روي) بصيغة المجهول أي في حديث الهجرة من السيرة (انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش

لما خرج مهاجرا وأرسلوا خلفه من يطلبه منهم (قال له ثبير) بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى منى ولهم جبال أخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمى ثبيرا من الثبور وباسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمى باسمه (اهبط يا رسول الله) أى انزل من على ظهرى واذهب الى مكان آخر تختفى به عنهم ثم علل أمره بالهبوط والنزول منه الى مكان آخر بقوله (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله) بالنصب معطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشامنه يستحق به العذاب أولانه لو قتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على أرض ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التى لا وجه لها كما قيل (فقال له حراء) اسم جبل كما تقدم (الى يا رسول الله) بتشديد الياء المفتوحة تقديره ائت الى أوهو اسم فعل بمعنى أقبل وقال له ذلك لانه ألهمه الله ان يقدره على ان ينشق له ويستتر فى جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله تعالى عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه صلى الله تعالى عليه وسلم الى غار ثور الذى اختفى فيه عند الهجرة (و روى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده وما ذكره المصنف هو رواية أحمد بلفظه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ على المنبر) آية (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض أحبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع و يقول أنا الملك أنا الله فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرأ وما قدروا الله الآية ونحوه منه فى جامع الترمذى وقال الخطابى انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات أصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما تلى الآية (يمجد الجبار نفسه) أى يعظم وينزه ذاته وروى يحمد بالحاء المهملة من الحمد والثناء الجميل وفى ذكره الجبار موافقة للقرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهى وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة كما ورد فى القرآن أيضا وليس من قبيل قوله تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفى على كثير من الفضلاء يعنى المقصود من الآية تعظيم كبريائه توفيقا العباده على كنه ذاته فلذا قال (أنا الجبار أنا الجبار) وكرره للتأكيد والتهويل (أنا الكبير المتعال) أى المتعالى فى عظمته عما يخطر بالعقول وحذف الياء فى الوقف وهو جائز أى أنا الجليل المتكبر العلى الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته (فرجف المنبر) أى اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى قلنا) أى قال من كان حاضرا (ليخرن عنه) أى ليقع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه أوليهد المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو

قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار الذاهب الى عرفات وأما قول التلمسانى جبل بمزدلفة فغلط لانه متصل بآخر مزدلفة وأما قول الحجازى جبل عظيم بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فالظاهر انه وقع سهوا وهو من أسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يا رسول الله) أى انزل عنى (فانى أخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) أى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل منى (فقال حراء الى) أى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يا رسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء (وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) أى على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) أى وما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى ألوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم أى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد (يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (أنا الجبار أنا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق ما أراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (أنا الكبير) أى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى أنا الجبار محل مرتين وأنا الكبير ويروى مرتين (المتعال) أى المتعال وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) أى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون أى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عنه) أى عن المنبر

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) أى على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة أو المشددة أى مستمرة (بالرصاص) بفتح الراء على ما فى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) أى من أحجار البيت ولا يبعد أن تكون الاصنام موضوعة على حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه أيضا قال الدلجى وروى أبو يعلى نحوه أى عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى المسجد الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حولها من البقعة (عام الفتح) أى سنة فتح مكة (جعل) أى شرع (يشير بقضيب) أى بسيف لطيف أو عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل أن يكون من حيثية طوله وعرضه أو من جهة انحراف فى وسطه (ولا يمسها) أى بيده تجنبا عنها الا بعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) أى ما أمره الله به أن يقول (جاء الحق) أى ظهر الحق وأهله (وزهق الباطل) أى اضمحل وذهب أصله (الآية) أى ان الباطل كان زهوقا أى غير ثابت فى نظر أهل الحق دائما (فما أشار) أى به كما فى نسخة أى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) أى ولا أشار به (لقفاه الا وقع لوجهه) أى سقط عليه هيئة مما أشار به اليه (حتى ما بقى منها صنم) أى الا خر ساقطا اما على وجهه واما على قفاه (ومثله فى حديث ابن مسعود) أى على ما رواه الشيخان عنه (وقال) أى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين ويضم وهو أولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه

محل الشاهد (وعن ابن عباس) فى حديث أخرجه الشيخان والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر وابن مسعود أيضا (كان حول البيت) فى الجاهلية وقبل الفتح (ستون وثلثمائة صنم) اتخذها قريش آلهة يعبدونها من دون الله (مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة) أى قيدت أرجلها ومكنت فى الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهرى بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد فى كثير من الروايات (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) أى مسجد مكة المشرفة (عام الفتح) أى فتح مكة (جعل) أى شرع وطفق (يشير بقضيب) وعصا كانت (فى يده اليها) أى الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير (ولا يمسها) بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلى الله تعالى عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها (ويقول) حال من فاعل يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف أى قائلا (جاء الحق وزهق الباطل الآية) والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت (فما أشار) بالقضيب (الى وجه صنم) أى ما هو على صورة وجه مقابل له (الا وقع) خر ساقطا (لقفاه) أى على قفاه فاللام بمعنى على كقوله

* وخر صريعا لليدين وللفم * والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى فى حال من الاحوال الا حال سقوطه (ولا) أشار (لقفاه الا وقع لوجهه) أى أى جهة أشار صلى الله تعالى عليه وسلم اليها من الصنم وقع على مقابلها (حتى) سقطت كلها و (ما بقى منها صنم) قائم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده فى لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل أشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا فيما كان حول البيت وأما ما كان فى جوفه فأمر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه وسلم البيت حتى أخرجت منه ومحيت الصور التى كانت فيه ولم يتعرض له المصنف مع انه فى الصحيحين لان كلامه فى اطاعة الجمادات له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو أراد أحد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المصنف رحمه الله وأشار اليه بقوله مثبتة بالرصاص (ومثله) أى مثل هذا الحديث وبمعناه (فى حديث ابن مسعود) الذى رواه الشيخان (وقال) أى ابن مسعود فى روايته (فجعل يطعنها) أى الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول أشهر وأفصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهى متقاربة والذى مر فى الرواية السابقة انه أشار اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصا ونحوها وهذه الرواية تقتضى انه مسها بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها بأشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فأشار لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض فى الروايات

(ويقول) أى كما به فى آية أخرى (جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد) أى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابداء ولا اعادة أو مايبدئ الصنم خلقا ولا يعيده أو لا يبدئ ضر الاهله فى الدنيا ولا يعيده فى العقبى (ومن ذلك) أى من قبيل ماذكر عن الجمادات (حديثه) أى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس أو جرجيس بزيادة ابن عبد القيس من نصارى تيماء أو بصرى ذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء أمره) أى أمر ظهوره (اذخرج تاجرا) ظرف لحديثه معه أو لابتداء أمره (مع عمه) أى أبى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى أحد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) أى بحيرا (لايخرج) أى فى عادته (الى أحد) أى ممن كان ينزل المكان (فخرج) أى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) أى شرع يطلب أحدا فى خلال من كان فى تلك المحال (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش) (ثم) أى من المشركين (ماعلمك) أى ماسبب علمك به و بقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) أى الاشجار والاحجار (الا لنبى وذكر القصة) أى على ما أوردها أهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه

(ويقول) معطوف أو حال بتقدير وهو يقول (جاء الحق) أى الدين الحق والتوحيد أو وعد الله بفتح مكة (ومايبدئ الباطل ومايعيد) الابداء الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد آخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة أخرى وماهنا جوز فيها أن تكون نافية أى ان الشرك هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفى أيضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث ابن مسعود لانه فى الصحيحين وقدم الاول لانه أوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهى مقبولة (ومن ذلك) أى مما ذكر من أمر الجمادات (حديثه) الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيراء واسمه جرجس ويقال جرجيس بياء ابن عبد القيس من نصارى تيما أو بصرى وهو ممن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفى المسئلة اختلاف ذكره البرهان فى النبراس وغيره وقيل ان بحيراء يهودى واسمه بفتح الباء مقصور و يروى ممدود وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهى الزهد فى المأكل وغيره لشدة رهبته أى خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى (فى ابتداء أمره) صلى الله تعالى عليه وسلم أى وهو صغير السن لم يبعث (اذخرج تاجرا) أى لاجل التجارة (مع عمه) أبى طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له تتركنى وليس معى أحد فأخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة رضى الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر فى الصحابة وقد مات قبل البعثة وفى هذه الخرجة لقى راهبا آخر وهو نسطورا وقصته مشهورة أيضا ففى كلام المصنف رحمه الله تعالى مالا يخفى وما قيل فى الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه أو حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم المستتر فى خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذى خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا (وكان الراهب لايخرج) من صومعة له كان يترهب فيها (الى أحد) ممن يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش فى ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادتهم (فخرج) على خلاف عادته لما نزل قريبا منه أبو طالب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه وأبصرهم (فجعل) أى صار (يتخللهم) بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة أى يدخل فى خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما فى الصحاح (حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أمسك بيده الشريفة (فقال هذا سيد العالمين) أى أشرف المخلوقات كلهم لما رأى فيه من الصفات التى علمها من كتبهم (يبعثه الله) أى يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه (رحمة للعالمين) أى لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم فى الدنيا والآخرة كما تقدم (فقال له) أى للراهب (أشياخ من قريش) جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع فى الشريف المتقدم على غيره (ماعلمك) بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة أى من أين عرفت هذا (فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له) وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم بأحوالهم فى السفر (ولا تسجد الا لنبى) تعظيما له اذا مر بها أو نزل عندها والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو فى حق العقلاء دون غيرهم كما مر فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له (وذكر القصة) الى آخرها مفصلة كما فى السير وشهرتها تغنى عن ذكرها

(ثم قال) أى الراهب أو الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال أنظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فىء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة أى الى ظلها (فلما جلس مال الفىء) أى فىء الشجرة (اليه) فقال أنظروا مال الفىء اليه ثم قال أنشدكم الله تعالى أيكم وليه قالوا أبو طالب واذا بسبعة من الروم قد أقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبى قد خرج من بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال أفرأيتم أمراً أراده الله تعالى أيقدر أحد يدفعه قالوا لا فقاموا عنده ثلاثة أيام ولم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر أبى بكر وبلال فيه وهم

(فصل) (فى الآية) أى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنيع المعجزات (فى ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا أبى) قال الحلبى تقدم أبوه فاضبط فى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضى أبو يونس ثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم ابن ثابت عن أبيه عن جده) أى كليهما (قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح وقع فى أصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس بن عمرو) بالواو وقال أبو معين ثقة وقال أبو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكر ان يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وأبو حاتم الرازى وحديثه عنها فى الصحيحين وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى أعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهى المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا مؤخر (قر وثبت مكانه) أى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) أى ولم يغير شانه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما

(ثم قال) أى الراهب (فاقبل) صلى الله تعالى عليه وسلم للمنزل (وعليه غمامة تظله) دون من معه من رفقته (فلما دنا من القوم) المرافقين له الذين نزلوا قبله (وجدهم سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس) صلى الله تعالى عليه وسلم (مال الفىء اليه) أى الى جانبه لذى جلس فيه والفىء هو الظل أو الظل بالغداة والفىء بالعشى لانه من فاء اذا رجع وهذا هو أصل معناه لكن توسعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الآخر والغمامة السحابة أو البيضاء والمراد الاول وخبر بحيراء صحيح روى من طرق صحيحة الا أنه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستقبلهم بحيراء وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم أرأيتم أمراً أراده الله هل يستطيع أحد رده قالوا لا فصدهم عما أرادوه وأقاموا معه ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله تعالى عنهما وقال الذهبى انه حديث منكر وانما طعن فيه لان أبا بكر رضى الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث آخر والآفة فيه من رواته * وما آفة الاخبار الا رواتها *

(فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات) الآيات جمع آية وهى العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبى والضروب جمع ضرب وهو النوع (حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ قال حدثنا أبى قال حدثنا القاضى يونس) رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى أسمائهم فلا حاجة لتكرار الممل (قال حدثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاوسى * تأجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطأ وان ذكره البرهان ظنا منه عنده (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو) كذا فى النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما فى بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم وأصحاب السنن الاربعة وترجمته فى شرحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحق السبيعى وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته فى الميزان توفى سنة تسع وخمسين ومائة (قال حدثنا مجاهد) وفى نسخة عن مجاهد (عن عائشة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه (قالت) عائشة (كان عندنا داجن) من المداجنة وهى لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تألف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التى تربى فى البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزلها الذى تسكنه وكذا فى قوله (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قر وثبت مكانه) أى وقف أو ربض فى مكانه

لا يتحرك تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من منزله (جاء وذهب) أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتياقا لرؤيته وهذا حديث صحيح رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والبيهقي والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل ومهابتها له وروى داجنة بالهاء وراجن بالراء وقد علم ان قر من القرار وهو السكون وعدم الحركة (وروى عن عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروى أيضا عن عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع (من أصحابه اذ جاء اعرابي) أي دخل بغتة عليهم رجل من أهل البادية غير معروف (قد صاد ضبا) جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة حيوان بري أكبر من الجرذ دون بيض والاعراب تصطاده وتأكله (فقال) الاعرابي للصحابة (من هذا) سأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ينكره أو لم يعرفه (قالوا) له جوابا (نبي الله) أي هو نبي الله ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضائره * البيت يعرف من أنكرت والحرم

(فقال واللات والعزى) وهما صنمان عبدا في الجاهلية وأصل اللات اللاه فحذفوا الهاء وأدخلوا تاء التأنيث عوضا عنها وهو من لوى سمي به لالتوائهم في طوافهم حولها وكان بنخلة والطائف لقريش وثقيف والعزى تأنيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد أهانك ثم أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا واقسم الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده من قوله (لا آمنت بك) أي بانك رسول الله (أو يؤمن بك هذا الضب) بنصب يؤمن أي الا أن يؤمن هذا الضب فأومن أنا بك أيضا بعد رؤيته معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك وأو بمعنى الا أو الى غاية لانتفاء ايمانه وهما انما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدل أو (وطرحه) أي رمى الاعرابي الضب (بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم) أي في مقابلته قريبا منه (فقال) صلى الله عليه وسلم (له) أي للضب (يا ضب) بالضم لانه منادى مفرد (فاجابه بلسان بين) كلامه أو بكلام ظاهر مفهوم (يسمعه القوم) الذين عنده (جميعا لبيك) أي اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة (وسعديك) أي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة (يا زين من وافى القيامة) أي من تزين وتحسن من كل من جاء الى القيامة والموافاة الحضور والمجيء والقيامة معروفة وانما جعله زينا أي مزينا لاهلها ومن بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شائعة في لسان عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم وأحسنهم (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للضب (من تعبد) سأله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل أحد (قال)

(واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) أي تردد واضطرب وهذا الحديث رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي والدارقطني وهو صحيح وفي المدعى صريح (وروى عن عمر) رضي الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعار بضعفه فقد قال الحافظ المزي لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلاني قد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع فممن رواه الطبراني والبيهقي قال وروى أيضا باسانيد عن عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وما ذكرناه ومثلها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل) بفتح الميم وكسر الفاء أي مجتمع (من أصحابه اذا جاء اعرابي قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب وأطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول في كل أربعين يوما قطرة (فقال) أي الاعرابي (من هذا قالوا نبي الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما في وسط الكعبة (لا آمنت بك) أي بنبوتك ورسالتك وفي نسخة لا أومن بك (أو) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب أي الى أن يؤمن أو حتى يؤمن كما في نسخة (بك هذا الضب) أي فأومن أنا أيضا بك حينئذ (وطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ألقى الضب بين جهتي يديه يعني قدامه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له يا ضب فاجابه بلسان مبين) أي بين أو مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) أي اجابتي لك مرة بعد مرة (وسعديك) أي ومساعدتي لطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) أي يا زينة من أتاها وحضر (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) أي ممن يسمى الها (قال

أعبد

أعبد (الذى فى السماء عرشه) وهو فى الاصل سرير الملك والعرش والكرسى اجسام معلوم وتحقيقه فى كتب التفسير والمراد بالسماء ما يقابل الارض أو جهة العلو مطلقا فلا ينافى ما ورد من انه فوق السموات كما قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وللكلام فى هذا مقام آخر لا تحيط به ظروف الحروف (وفى الارض سلطانه) أى فى الارض ومن فيها ظهر عدله وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر فيهما والسلطان فى الاصل مصدر من التسلط والقهر (وفى البحر سبيله) أى طريقه التى جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال الله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيها سواه كما قال الله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (وفى الجنة رحمته) المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والآخرة (وفى النار عذابه) وفى نسخة عقابه فلما آمن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ليكمل ايمانه (فمن أنا) أى اذا آمنت بى فمن انا (قال رسول رب العالمين) اشارة الى عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات (وخاتم النبيين) فلا نبى بعدك كما تقدم (وقد أفلح) وفاز بسعادة الدارين (من صدقك) وأقر برسالتك (وخاب من كذبك) بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك (فاسلم الاعرابى) لما رأى معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله تعالى والاقرار برسالة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقى وفيه ان الاعرابى من بنى سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه ويأكله فلما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقع له معه ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اسلامه وقال لا أتبع أثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض أبغض الى منك وأنت اليوم أحب الى من نفسى وولدى فلما أسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى هداك ان هذا الدين يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن ثم أعلمه الصلاة والقراءة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع (ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تسخير الحيوانات وانطاقها (قصة كلام الذئب المشهورة) التى رواها أحمد والبزار والبيهقى وصححها (عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه هو سعيد بن مالك الصحابى كما تقدم (بينا راع) تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع أو كافة عن الاضافة فراع فى محل رفع أو جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم ونحوها وهو معروف وقوله (يرعى غنماله) ذكره لبيان ان الغنم له فليس باجنبى وانه كان يرعى غنما فان الراعى قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف فى اسم هذا الراعى فقيل انه اهبان بن أوس وقد جرى عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى وانه وقع مثل هذه القصة لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فى ذئب أخذ ظبيا ولابى جهل وأصحابه وفى حديث آخر ان الذئب أخذ شاة فتبعه الراعى فقال له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وان الذى كلمه الذئب اهبان بن أوس الاسلمى وقيل أهبان بن عقبة عم سلمة بن الاكوع أحد أصحاب الشجرة وقيل أهبان بن الاكوع وعند السهيلى انه رافع بن ربيعة وقيل هو أهبان بن عباد الخزاعى وقيل الذى كلمه الذئب سلمة ابن الاكوع ويأتى بيان ذلك كله وقيل أهبان ابن صيفى وعن ابن عساكر ان الذى كلمه الذئب رافع بن عميرة الطائى كلمه الذئب وهو فى ضأن له يرعاها ودعاه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره باللحوق به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال

رعيت الضأن أحميها زمانا ۞ من الضبع الخفى وكل ذئب

الذى فى السماء عرشه) أى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) أى ملكه المظهر شانه (وفى البحر سبيله) أى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجاياته (وفى الجنة رحمته) أى ثوابه من أثرها للطيعين (وفى النار عقابه) أى من أثر سخطه للعاصين (قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) أى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين (وقد أفلح) أى فاز (من صدقك) بتشديد الدال أى أطاعك (وقد خاب) أى خسر (من كذبك) أى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن أبى سعيد الخدرى) كما رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زائدة كافة واما ألف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راع يرعى غنماله

عرض الذئب لشاة منها) أى وقت رعى غنمه فاجاء عروض الذئب أى ظهوره فى تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) أى الراعى (منه فاقعى الذئب) أى ألصق أسته بالارض ونصب ساقيه وفخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعى ألا تتقى الله) أى أما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفى المقيد لتحقق مابعده كماذكره الدلجى (حلت بينى وبين رزقى) بضم الحاء أى منعت رزقى عنى وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) أى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) أى فى مقام الانس (فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك) أى وأغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهى ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة مابدل من وانما كان أعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره) أى بكلام الذئب له فقال النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى للراعى (قم فحدثهم) أى الحاضرين والغائبين (ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى أو قبله (صدق) أى الراعى فى قوله وبالحق نطق فى نقله (والحديث فيه قصة) أى طويلة أو عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) أى فى بعض ألفاظه طول أى ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه ثم وسوطه بما احدث أهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما احدث أهله بعده (وروى حديث الذئب عن أبى هريرة) أى من طرق (وفى بعض الطرق عن أبى هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك) حال

فلما ان سمعت الذئب نادى * يبشرنى باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبى * عن الساقين قاصدة الركيب
فالقيت النبى يقول قولا * صدوقا ليس بالقول الكذوب
فصيرنى لدين الحق حتى * تبينت الشريعة للمنيب
وأبصرت الضياء يضىء حولى * أمامى ان سعيت وعن جنوبى
الا ابلغ بنى عمرو بن غوث * واخوتهم جذيلة ان أجيبى
دعاء المصطفى لا شك فيه * فانك ان أجبت فلن تخيبى

وقد علم ان قصة كلام الذئب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم (عرض الذئب لشاة منها) أى أتاها لاختطافها وأخذها (فاخذها الراعى منه) أى أدركه وانتزعها من يده وردها (فاقعى الذئب) أى مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف فى اقعاء الكلب والذئب وللاقعاء معنى آخر كما ذكره الفقهاء فى كتاب الصلاة (فقال) الذئب بعد اقعائه (للراعى ألا) حرف استفتاح هنا (تتقى الله) أى تخافه وتحذره (حلت) بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح تاء الخطاب أى فصلت وفرقت (بينى وبين رزقى) الذى رزقه الله لى (قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس) وفى نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك (فقال الذئب) مجيباله (ألا أخبرك بأعجب من ذلك) أى من كلام حيوان أعجم (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وتاء تانيث مثنى حرة وهى ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة (يحدث الناس بانباء ما سبق) وفى نسخة من سبق أى الامم السابقة وأحوالهم وانما جعله أعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده أعجب من نطق حيوان أنطقه الله الذى أنطق كل شئ وكون الاول أعجب يختلف باختلاف الاسباب والانباء جمع نبأ وهو الخبر (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) بكلام الذئب وقصته معه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للراعى قم) من عندى فاذهب للحاضرين (فحدثهم) بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته (ثم قال صدق والحديث فيه قصة) لما فيه من الغرابة وانه من أشراط الساعة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذه بما حدث فى أهله ولما لم يكن فى هذا الاستشهاد لما هو بصدده أسقطه واعتذر عنه بقوله (وفيه) أى فى بعض رواياته (طول) ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا (وروى حديث الذئب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) رواه أحمد والبزار والبيهقى وصححه والبغوى وأبو نعيم بسند صحيح (وفى بعض الطرق) بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية (فقال الذئب) للراعى (أنت أعجب) أى حالك أعجب من حالى فى حال كونك (واقفا على غنمك) أى مراعيا وحافظا

(وتركت) أى والحال انك قد تركت (نبيا) أى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا) أى رفعة ورتبة (قد فتحت له أبواب الجنة) أى وكذا لمن تبعه من أكابر الامة (وأشرف أهلها) أى اطلع أهل الجنة (على أصحابه ينظرون قتالهم) أى فى الغزوة وينتظرون وصالهم الشهادة وحسن مآلهم فى الجنة (ومابينك) أى والحال انه لا حائل بينك (وبينه الا هذا الشعب) بكسر أوله أى قطع هذا الوادى وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) أى أحزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن (لى بغنمى) أى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) أى الراعى (قصته) أى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة أى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر أى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أى بتمامها وكمالها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) أى كما أخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن أوس) بفتح أوله أى وروى عنه أيضا (وانه) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (كان صاحب القصة) أى الحكاية (والمحدث بها وبكلام الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما فى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة أيضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) أى فى هذه الرواية

وحافظها (وتركت نبيا) أى وقد تركت الى آخره فالجملة حالية بتقدير قد (لم يبعث الله نبيا) من أنبيائه السالفة (قط أعظم منه عنده) أى أجل (قدرا) ومنزلة عند ربه وهو تمييز النسبة أعظم (وقد فتحت له أبواب الجنة) بتشديد تاء فتحت وتخفيفها أى هيئت وأعدت له والجملة حالية أيضا وقوله (وأشرف أهلها) يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها من الملائكة والاشراف النظر من مكان عال مأخوذ من الشرف وهو المكان العالى (على أصحابه ينظرون قتالهم) أى ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون فى القتال كصفوف الملائكة (ومابينك وبينه الا هذا الشعب) بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعنى انه قريب منك لا عذر لك فى التخلف عنه (فتصير فى جنود الله) اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع العجب من نطقى الذى تعجبت منه (قال الراعى) للذئب لما أشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن لى بغنمى) أى اذا ذهبت اليه من يتكفل لى بحفظ غنمى حتى أجئ (قال الذئب أنا أرعاها) أى أحفظها وأحرسها (حتى ترجع) اليها من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (فاسلم الرجل) وهو الراعى (اليه غنمه) أى سلمها للذئب وتركها عنده (ومضى) الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر) له (قصته) مع الذئب وما كلمه به وما فعله معه (واسلامه) الغنم له (ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل) كما قال له الذئب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما قص قصته عليه وأسلم وآمن به صلى الله تعالى عليه وسلم (عد الى غنمك تجدها بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء أى بتمامها وكمالها لم ينقص منها شئ من قولهم أرض وفرة لم يرع نباتها (فوجدها كذلك) أى تامة غير ناقصة (وذبح للذئب شاة منها) جزاء له على صنيعه وارشاده له (وعن اهبان بن أوس) عطف على قوله عن أبى هريرة وهو بضم همزة اهبان وأوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه عنه (وانه كان صاحب هذه القصة) المذكورة فى كلام الذئب (و) انه (المحدث بها وبكلام الذئب) كما فى الروض الانف وانه كان فى غزوة ذى قرد (و) روى أيضا (عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه) أى ابن الاكوع لاسلامه كما فيل يجوز فتح همزة انه وكسرها (كان صاحب هذه القصة أيضا) يعنى انها تعددت (و) كانت (سبب اسلامه) وفى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو مكلم الذئب فى رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو أهبان بن الاكوع وعن الواقدى هو أهبان بن أوس الاسلمى الصحابى رضى الله تعالى عنه من أسلم نزل الكوفة وتوفى فى خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذئب اهبان بن عبادة بن ربيعة بن كعب بن أمية بن نقطة بن خزيمة من أسلم وذكر جدى فى التلقيح ان من اسمه اهبان أربعة اهبان بن الاكوع أبو عقبة واهبان بن أوس الاسلمى واهبان بن صيفى الغفارى واهبان بن عباد الخزاعى مكلم الذئب قال وقيل ان مكلم الذئب اهبان ابن أوس انتهى ولم يذكر فى الرواية منهم سوى اهبان بن صيفى والحاصل ان مكلم الذئب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقدى اهبان بن أوس الاسلمى وعلى قول ابن الاشعث اهبان ابن صيفى الغفارى انتهى ففيه أقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدى فان كانت القصة تعددت فلا

(بمثل حديث أبى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلاف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن أوس السلمى أبو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من أصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة ابن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) أى مثل ما جرى فى أخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) أى والد معاوية (وصفوان بن أمية) بالتصغير (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) أى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم أى فتعجبا (من ذلك) أى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب أعجب من ذلك) أى مما تعجبا (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) أى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) أى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن من آل فرعون وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لاجرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولافى الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال أبو سفيان) أى لصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) أى الخبر (بمكة) أى فيما بين أهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام أى بلا راع ولا حام كذا فى النهاية ويقال حى خلوف اذا غاب رجالهم وبقى نساؤهم وقيل أى متغيرة أخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان أهلها بعد سماعهم هذا تغيرت أحوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق أحد منهم الا دخل فى الاسلام معهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم فى آخر أمرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) أى الذى جرى لابى سفيان وأحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابى جهل وأصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية فى كتابه هذا وعند ابن القاسم عن أنس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فشردت على منه غنمى فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة أطعمنيها الله تعالى تنزعونها منى فبهت القول فقال ما تعجبون الحديث وفى الروض أيضا فى غزوة ذات السلاسل وهى فى آخر الكتاب ما لفظه وذكر فى هذه السرية صحبة رافع ابن أبى رافع لابى بكر وهو رافع بن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكلم الذئب له وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب ألا أدلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع وأسلم

وتعجبوا

خلاف وليس فى الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من أبى عقبة فليحرر (بمثل حديث أبى سعيد) الخدرى أى روى سبب اسلامه بمثله (وروى) عبد الله (ابن وهب) السابق ترجمته (مثل هذا) المذكور من كلام الذئب (انه جرى) أى وقع واتفق (لابى سفيان بن حرب) والد معاوية وأم حبيبة المشهور رضى الله تعالى عنهم (وصفوان بن أمية) الصحابى المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من أشد الناس عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل اسلامهما فلما أسلما صار صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليهما من نفسهما (مع ذئب وجداه أخذ ظبيا) أى أراد أخذه فجرى خلفه فى الحل ليأخذه بقرينة قوله (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) عنه لانه فى الحرم المحرم صيده أو انه انفلت منه بعد أخذه (فعجبا من ذلك) أى من كون الذئب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلاء (فقال الذئب) لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما (أعجب من ذلك) الفعل الذى صدر منه (محمد بن عبد الله) موجود (بالمدينة يدعوكم الى الجنة) بدعوته للاسلام الذى هو مقتضى لدخولها (وتدعونه الى النار) بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد آلهتنا مما هو سبب للخلود فى النار وانما كان هذا أعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان أعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب كهذا فى النظر السديد والعقل السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة (فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت) بضم التاء وفتحها (هذا) أى تكلم الذئب وما قاله (بمكة) أى ذكرته لاهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام والفاء مصدر أو جمع خالف والمراد تركها خالية من أهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله تعالى عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد فى صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة من أتبعه أو المراد يدعها وأهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين أهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم أتيت الحى فوجدته خلوفا أى ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن يخلفن الرجال والثانى من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أى رائحته تغيره (وقد روى مثل هذا الخبر) الذى وقع لابى سفيان وصفوان (وانه جرى لابى جهل وأصحابه) أى انهم شاهدوا مثله

(وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر
الضاد المعجمة ويفتح وميم مخففة فألف فراء ذكره الصغاني وغيره وفي نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار أو بيان فانه اسم
لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) أي ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) روى ان
مرداس لما احتضر قال لابنه عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فذكر عباس يوما عند ضمار
وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مدة
قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبائل من سليم كلها
أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم (فاذا طائر سقط) أي وقع ونزل بين يديه (فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) أي بتخلفك عن مورث انسك (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفي نسخة صحيحة يدعوك (الى
الاسلام وأنت جالس) أي بعيد عن مقام المرام (فكان) أي كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما في الطبراني الكبير بسند
لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقي عنه (عن رجل) وهو أسلم أو يسار وهو رجل أسود استشهد في
غزوة خيبر كما ذكره أبو الفتح اليعمري في سيرته (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) أي النبي عليه الصلاة والسلام
(على بعض حصون خيبر وكان) أي الرجل (في غنم يرعاها لهم

وتعجبوا منه ولكن الله أشقاه وأشقاهم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر
مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق رضي الله تعالى عنه وجماعة
الا انه كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور الله قلبه (لما تعجب) لما ظرف متعلق بمقدر أي
وقع ذلك أو شرطية جوابها قوله فاذا طائر الخ فان جواب لما قد يقترن بالفاء لكنه نادر (من كلام ضمار)
بكسر الضاد المعجمة وميم وآخره راء مهملة بوزن كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ الذيل والصلة
للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي (صنمه) بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان
يعبده مرداس ورهطه (وانشاده) بالجر معطوف على كلام (الشعر) بالنصب مفعول المصدر (الذي
ذكر فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة الشعر وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما
احتضر قال لابنه يا عباس أي بني أعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار
وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح بأعلى صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي أقوم فصاح صائح من
جوف الصنم

أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد
قل للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا طائر سقط) أي خر من الجو بغتة عليه
(فقال) الطائر (يا عباس أتعجب من كلام ضمار) بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير
مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه لانه
كلام شيطان في جوفه وكلام الطائر أعجب منه (ولا تعجب من نفسك أن رسول الله يدعو الى الاسلام)
حذف مفعوله للتعميم أي كل أحد اليه (وأنت جالس) في منزلك متخلف عن اجابة دعوته صلى الله
تعالى عليه وسلم التي هي السعادة العظمى (فكان ذلك) المذكور مما سمعه من الصنم والطائر (سبب
اسلامه) لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم تبسم وقال له يا عباس حدثنا بما رأيت فقص عليه القصة وأسلم وقيل ان ضمارا كان صنما
لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكأنه صنم آخر والقصة ونطق الاصنام
وأخبارها ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقعت مرارا وفيها أخبار مذكورة في السير قيل انما تركها
المصنف لان النطق المسموع منها من الجن (وعن جابر بن عبد الله) رضي الله تعالى عنهما في حديث
رواه البيهقي (عن رجل) اسمه أسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار وهو رجل أسود كما يأتي قاتل بخيبر
حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به
وهو على بعض حصون خيبر) قوله وهو جملة حالية أي وهو صلى الله تعالى عليه وسلم مقيم عنده لفتحه
والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها لا القصر كما قيل ولا حذف في هذا الكلام وقيل
الضمير للرجل ويبعده قوله (وكان في غنم يرعاها لهم) أي لاهل خيبر والظرف فيه بمعنى المعية أو هي

فقال يارسول الله كيف بالغنم) أي مع أصحابها (قال أحصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد أي ارم بالحصباء وهي دقاق الحصى (وجوهها) أي لترجع الى دورمالكيها (فان) أي لان وفي نسخة بان أي (بسبب ان الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها الى أهلها) أي بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) أي في طريقها (حتى دخلت الى أهلها وعن أنس) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصاري) أي بستان واحد من الانصار (وأبو بكر وعمر وعثمان ورجل من الانصار) أي معه (وفي الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكر والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها) أي فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن أمرنا توقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتي تمامه (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) أي أبو هريرة (مثله) أي مثل حديث أنس لا مثل حديث ابي هريرة كما توهم الدلجي فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لماله من الحق عليها

لبشر

مجازية لقوله واذا كنت فيهم الآية (فقال يارسول الله فكيف بالغنم) أي كيف أفعل بالغنم اذا أسلمت وهي ملك غيري وأنا أجير (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (احصب وجوهها) أي ارمها في وجوهها بالحصباء وهي صغار الحجارة ودقاقها وما قيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى الفعل في قوله

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لذليل

ومنه الاحصاء بمعنى العد أو أخذ العلم والهداية لها الى أهلها هذيان لا معنى له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم للرجوع لمنازل أصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما أشار اليه بقوله (فان الله سيؤدي عنك أمانتك) وهي الغنم التي أسلمت لك أي يوصلها ويبلغها (ويردها الى أهلها) وهم أصحابها المالكون لها فتخرج أنت عن عهدة ضمانها (ففعل) ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها) وانما كان هذا لانه كان مستأمنا وفي يده أمانة لاهل خيبر قبل فتحها فاذا ردها صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعي كان عبدا أسود رقيقا لبعض أهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود جاء وأسلم أي أظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد في تلك الغزوة بحجر أصابه أو سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وأخبر انه رأى عنده حوريتان من الحور العين كما رواه مفصلا في دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم الظاهرة كما لا يخفى (وعن أنس) في حديث صحيح مسند رواه أحمد والبزار (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط أنصاري) الحائط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا (وأبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي الحائط) أي البستان (غنم فسجدت له) صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما له لما شاهدت من نور نبوته وألهمها الله تعالى معرفته (فقال أبو بكر) لما رأى سجودها له صلى الله تعالى عليه وسلم (نحن أحق بالسجود لك منها) يعني لو كان السجود لغير الله تعالى والجار الاول متعلق بالسجود والثاني بأحق وفي بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله (الحديث) وتتمته أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد وأحد المخصوص بالنفي يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلاء كما صرحوا به ففي ذلك اشارة الى ان الغنم ونحوها من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة والسلام (وعن أبي هريرة) قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة بن مالك الآتي رواه أبو نعيم وحديث جابر رواه أحمد والدارمي والبزار والبيهقي وحديث يعلى بن مرة رواه أحمد والحاكم والبيهقي رحمهم الله تعالى بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وأبو داود وحديث عبد الله بن أبي أوفى رواه أبو نعيم والبيهقي (دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا) أي بستانا (فجاء بعير) كان في البستان (فسجد له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر مثله) أي مثل الحديث الذي قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق ان نسجد لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصلح

(ومثله) أى مثل حديث أبى هريرة (فى البعير) وفى نسخة صحيحة فى الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه أبو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن أبى مالك غيره واسم أبى مالك عبد الله (وجابر بن عبد الله) كما رواه أحمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه أحمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبد الله بن جعفر) كما رواه مسلم وأبو داود عنه قال أبو هريرة (كان لايدخل أحد الحائط) أى

البشر أن يسجد لبشر ولو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لماله من الحق عليها (و) روى (مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك) الصحابى وهو ممن استشهد باحد لكن الذى ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن أبى مالك القرظى وأبوه قدم من اليمن على دين اليهودية فنزل على بنى قريظة فنسب اليهم ثم أسلم فقول ابن مالك صوابه ابن أبى مالك (وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر) فحديث الجمل وسجوده روى من طرق متعددة مرويه عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطى (قال) كل منهم أو عبد الله بن جعفر (وكان لايدخل أحد الحائط) من غير أصحاب البستان (الاشد عليه الجمل) شدها يعنى أسرع وحمل حملة عليه قال الراغب يقال شد واشتد اذا أسرع وشد عليه حمل يعنى انه كان عقورا هائجا على كل من استقر به (فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم عليه) أى على الجمل فى البستان (دعاه) وأمره بالاقبال عليه (فوضع مشفره فى الارض) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو فى الابل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطوم للسباع والمنقار للطير كما بينه أهل اللغة فى الفروق (وبرك بين يديه) البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه (فخطمه) أى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وانقاد له متذللا بعدما كان لا يطاق (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن عنده (مابين السماء والارض شئ) من الحيون والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل الاراضى السبع (الا يعلم) وفى نسخة الاو يعلم (انى رسول الله) بعلم خلقه الله فيه ويلهمه له (الا عاصى الجن والانس) أى الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتى انى رسول الله حقا وعاصى يجوز ان يكون مفردا وأصله عاصين فحذفت النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان أول من عصى الله ابليس والا كثر حيث اجتمعا تقديم الجن فى القرآن (ومثله عن عبد الله بن أبى أوفى) هو وأبوه صحابيان رضى الله تعالى عنهما شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى دعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين أتى اليه بصدقته وقال اللهم صل على آل أبى أوفى وحديثه مذكور فى دلائل النبوة لابى نعيم والبيهقى كما علمت ولفظه قريب مما ذكره أولا (وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) لما أتى منهم وبطش بكل من قرب منه (فاخبروه) وفى نسخة فاخبر بالبناء للمفعول (انهم أرادوا ذبحه) لانه ضعف كما سيأتى (وفى روايه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف) وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات (وفى روايه انه شكى الى انكم أردتم ذبحه) ونحروا كثرما يستعمل فى الابل النحر وفى غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل كل منهما بمعنى الآخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام (بعدان استعملتموه) أى أكثرتم العمل به من التحميل ونحوه (فى شاق العمل) أى فيما يشق أى يصعب عليه من العمل وقولهم عمل مشق غير مسموع فكانه مبنى على ان التعديه بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور فى كتب اللغة (من صغره)

ذلك البستان من غير أهله (الاشد عليه الجمل) أى حمل وصال عليه حفظا لحائطه واستغرابا لداخله ورعاية لصاحبه (فلما دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) أى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء أى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء أى ناخ (بين يديه فخطمه) أى فوضع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال مابين السماء والارض شئ) أى من حيوان أو غيره (الايعلم) أى الا أنه يعلم وفى نسخة لايعلم أى ليس يوجد بينهما شئ لا يعلم قال المزى المعروف الا يعلم وقد يكون روايه (انى رسول الله) أى اليه أو الى غيره (الاعاصى الجن والانس) أى الا كفر الثقلين والصيغة يحتمل الافراد والجمع بان حذفت نونه للاضافة (ومثله) أى مثل هذا المروى بعينه (عن عبد الله ابن أبى أوفى

وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شانه) أى حاله معهم فى ما ألهم (فاخبروه انهم أرادوا ذبحه) الاولى نحره وكانه أراد ذبحه اللغوى (وفى روايه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) أى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى روايه انه) أى الجمل (شكا الى أنكم أردتم ذبحه بعدان استعملتموه فى شاق العمل من صغره

فقالوا نعم) قال بئس الجزاء أرادوه له كذا نقله الدلجي والظاهر أردتموه له وفي أصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى أعلم (وقد روى في قصة العضباء وهي الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروزأبادي فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب (وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) أي بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها في الرعي) أي في رعيها (وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر ونداؤها (لها انك لمحمد) أي في زمان حالك أو في مآلك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرائني) حكى ابن عباس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة في الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يازين القيامة يارسول رب العالمين قال فالتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يارسول الله اني كنت لرجل من قريش يقال له أعضب فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احترستني السباع فنادت بعضها بعضا لاتؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أصبحت وأردت ان أرتع نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يارسول الله ان لي اليك حاجة قال وماهي قالت تسأل الله ان يجعلني من مراكبك في الجنة كما جعلني في الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمساني (وروى ابن وهب ان حمام مكة

الى ان بلغ الكبر وعجز عن العمل (فقالوا نعم) اعترافا بما ذكر فبئس الجزاء الذي أرادوه وهذا الحديث أخرجه الطبراني وابن ماجة في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم ما هكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابتاعه منه وأرسله يرعى في الشجر حتى قوى والحديث فيه طويل (وقد روى) بالبناء للمجهول قيل وهذه القصة بهذا التفصيل الآتي لا يعرف راويها (في قصة) الناقة (العضباء) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي اسم ناقة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته العضباء والقصواء والجدعاء بالمد فيهما أيضا هل هن ثلاثة أو واحدة لها ألقاب متعددة أو اثنتان فذهب التيمي والعراقي في منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع أي شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب أي شق وفي البخاري ان الجدعاء هي التي هاجر عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصواء وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت السلام عليك يانبي الله يازين القيامة يارسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت اني كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت في مفازة فكان اذا غشيني الليل احتوشني السباع ينادي بعضها بعضا الاتؤذوها فانها مركب محمد فاذا أصبحت رتعت نادتني كل شجرة الي الي فانك مركب محمد حتى وقعت ههنا فسميت عضباء باسم صاحبها وفيه انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله أن يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضباء وقصواء وجدعاء بدال مهملة وصلما ومخضرمة والكل متقاربة المعاني والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها ألقاب لناقة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس (وكلامها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعوله (وتعريفها له بنفسها) كما سمعته آنفا (ومبادرة العشب اليها) بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان يناديها الي الي فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف (في المرعى) أي مكان رعيها (وتجنب الوحوش لها) أي عدم أذيتها وأكلها لها كامر (وندائهم لها انك) معدة (لمحمد) ولركوبه وضميرهم للعقلاء وعبر به لصدور فعل العقلاء منها وهو النداء كما في قوله تعالى رأيتهم لي ساجدين (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ماتت) من الحزن والاسف على فراقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انها التي اشتراها أبو بكر رضي الله تعالى عنه من بني الحريش مع أخرى بثمانمائة درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله تعالى عليه وسلم منه بأربعمائة درهم وقد ذكر قصتها مفصلة أبو سعيد في كتاب الشرف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نوق أخر كما بينه أصحاب السير (ذكره الاسفرائني) رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته (وروى ابن وهب) رحمه الله تعالى وهذا الحديث لم يخرجوه وأما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته (ان حمام مكة) الموجود بحرمها الى الآن والحمام كل ذات طوق برى أو أهلي وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه كل ما عب وهدر والعب

أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفي نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقيل انها من نسل الحمامة التي باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجي واما قصة العضباء فلم أدر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروى عن أنس) في نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة) على ما رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عنهم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمر الله ليلة الغار شجرة) وفي نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو أي قبالته التي تقتضي مواجهته قال الدلجي هو مجاز عن انباتها كما في كونوا قردة فات الظاهر انه أمر تكوين وانه على حقيقته كما حقق في قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون (فسترته) أي تلك الشجرة عن أعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه أبو بكر أنبت الله على بابه الراءة مثل القاعة قال قاسم بن ثابت وهي شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلي والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبس على ما في القاموس (وأمر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين أي نزلتا (بفم الغار) أي لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من أصحابه الكبار وقال الدلجي فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما أي دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفي حديث آخران) وفي نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) أي على فم الغار (فلما أتى الطالبون له) أي لسيد الاخيار (ورأوا ذلك) أي ما ذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لو كان فيه أحد) أي ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) أي ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) أي ولم يدركوا مرامهم وفي مسند البزار ان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين

كرع الماء من غير نفس والهدير وقيل الهديل ترجيع صوت الطائر المعروف (أظلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها من نسل حمامتي الغار وسيأتي (يوم فتحها) أي فتح مكة (فدعا لها بالبركة) فاجاب الله دعاءه فيها وكانت محترمة لا تصاد كما تقرر (وروى عن أنس) رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم (وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة قال أمر الله ليلة الغار) منصوب على الظرفية والغار غار ثور الذي اختفى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان (شجرة فنبتت) من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة المأمور المختار وروى بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى الراء كما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر أبيض وبها شئ شبه القطن يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءة كما في كتاب النبات قال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم * كمثل الراء لبده الصقيع

(تجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) تقدم ان التجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو وأصله وجاه أي في مقابلته وجهة باب الغار (فسترته) عمن ينظره بحيث لا يراه من طلبه من كفار قريش (وأمر) أي ألهم الله (حمامتين) ذكرا وأنثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة (فوقفتا بفمه) أي بفم الغار لان مثله لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم أي دعا لهما بالبركة فانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا أي اذا بدأتم بالاكل فكلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسمتوا أي ادعوا لمن أكلتم عنده وقيل ان الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر تشق الارض كما أشار اليه القائل

قامت اليه سرحة سترته من * نظر العدو باحسن الاغصان

(وفي حديث آخر) رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شئ في الحرم كما تقدم (ان العنكبوت نسجت على بابه) أي على باب الغار وفمه (فلما أتى الطالبون له) صلى الله تعالى عليه وسلم الذين قصوا أثره واتبعوه ليأخذوه (ورأوا ذلك) المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار (قالوا لو كان فيه) أي في هذا الغار (أحد) من الناس (لم تكن الحمامتان) يقران (ببابه) الذي منه المرور (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم) لقربهم منه بحيث لو أمعنوا النظر رأوه (فانصرفوا)

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبد البر كان اسمه في الجاهلية سلطانا فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة أي ادنى (الى النبي صلى ٨٤ الله تعالى عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكى بضمتين وهي ناقة أو بقرة ذكره الجوهري وزاد ابن الاثير وهي بالابل أشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجي وهي خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها في الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج يمنعانه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيها مكابرة ومنع الحديث وآية الحج لها مصادرة (خمس أو ست أو سبع) شك من الراوي (لينحرها يوم عيد) أي من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاي ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايتهن يبدأ) أي في نحرها قال المزي صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن أم سلمة كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء) أي بادية قفراء (فنادته ظبية يا رسول الله) فالتفت فاذا هي موثقة (في واعرابي نائم (قال) أي لها (ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير

راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيان من قريش مضوا خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعهم سراقة القائف يقص أثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل أحد لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طأطأ أحد رأسه رآه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها الشعراء كثيرا ويعجبني قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وانظر الى هذا مع قولي

على غار ثور عنكبوت بنسجه * لقد حاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه * وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان أخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته

أخرجوه منها وأواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن أي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحضداء أي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

(وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان أميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين وأخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم مسندا (قرب) بالبناء للمفعول أي أتى بعض الصحابة (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدنات) جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العز في انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها (خمس أو ست أو سبع) الشك من الراوي (لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه) افتعال من الزلف وهي القرب أبدلت تاؤه دالا لاجل الزاي أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله تعالى عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقياده بالهام من الله تعالى (بايتهن يبدأ) في الذبح وهذه معجزة باهرة (وعن أم سلمة) في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند اورملة كما تقدم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية) أي كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له (يا رسول الله) فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نائم (قال ما حاجتك) حتى ناديتني (قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان) مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته أمه

(فى ذلك الجبل فاطلقنى) بفتح الهمزة وكسر اللام أى من القيد وأرسلنى (حتى أذهب الى ولدى فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) أى اليك (قال أو تفعلين) بفتح الواو أى أتقولين هذا القول وتفعلين هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين فالهمزة مقدرة وفى رواية قال أخاف ان لا ترجعى قالت ان لم أرجع فانا شر ممن يأكل الربا وشر ممن ينام عن صلاة العشاء وشر ممن يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت) أى بعدما أرضعت (فاوثقها) أى فربطها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى المعالجة لها أو عندها (وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق) أى نعم هو ان تطلق أو هو خبر معناه أمر وفى نسخة صحيحة أطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء) أى تجرى (وتقول) أى الظبية (أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الأئمة حتى قال ابن كثير لا أصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وقد رواه أبو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناده فيه مجاهيل عن أم سلمة نحو ما ذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساقه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) أى باب طاعة الحيوانات من طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفى نسخة فى (تسخير الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أعتقته أم سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته أبو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه عليه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) أى كان التسخير حين أرسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) أى حال اقامته فيه لقضائه (فلقى) أى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء أى فذكره (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) أى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ أو غيره (فهمهم) بهاءين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهى الكلام بالخفية (وتنحى عن الطريق) أى وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى مرجعه (أيضا مثل ذلك) قال الدلجى لم أدر من رواه كذا وقد رواه البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى أرض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف

(فى ذلك الجبل) تشير لجبل بتلك الصحراء (فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وأرجع) بنصب الافعال الثلاثة (قال أو تفعلين) أى ترجعين الى ان أطلقتك (قالت نعم فاطلقها) والاعرابى نائم لا يشعر بذلك (فذهبت) وأرضعتهما (ورجعت فاوثقها) وربطها كما كانت (فانتبه الاعرابى) ورأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها) من وثاقها (فخرجت تجرى وهى تقول أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله) فالجملة حالية بتقدير مبتدأ وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق أخر فلا تلتفت لقول ابن كثير انه لا أصل له لان فى سنده مجاهيل وانما استأذنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو فى قوله أو تفعلين محركة عاطفة على مقدر أى أتقولين ذلك لى وترجعين الى أو استئنافية على القولين فى مثله وفى الحديث معجزات ظاهرة (ومن هذا الباب) أى باب المعجزات باطاعة الحيوانات (ما روى) قال السيوطى لم أقف على هذا الحديث هكذا وأخرج البيهقى انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان البخارى ذكره فى تاريخه كما قاله المصنف فلا اعتراض عليه (من تسخير الاسد) أى تذليله وانقياده (لسفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو من خدمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى لقبه سفينة لانه رآه فى بعض أسفاره حاملا الامتعة فقال له انما أنت سفينة فاشتهر بذلك واختلف فى اسمه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من أصحاب السنن وفى الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه (اذ وجهه الى معاذ) بن جبل حال كونه (باليمن) وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدى العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعتقه وقيل ان أم سلمة أعتقته فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة (فلقى الاسد) فى طريقه (فعرفه) أى قال له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) فالهمه الله تعالى فهم كلامه وكف عنه (فهمهم) الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه بحة وفى الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعنى عليه أو على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وتنحى عن الطريق) أى تأخر عنه فى ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا لخوفه (وذكر) أى سفينة (فى منصرفه) أى انصرافه ورجوعه من اليمن (مثل ذلك) أى مثل ما وقع له فى

(وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة كما رواه البيهقي والبزار (ان سفينة) أي من السفن (تكسرت به) أي وسفينة في تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهي أرض يتجزر البحر عنها (فاذا الاسد) أي حاضر والمعنى فاجأه بغتة (فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وتضم بعدها زاي أي يشير الي ويحرك على (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف أي بما بين كتفه وعنقه (حتى أقامني) أي دلني (على الطريق) وفي ايراده هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولي بمنزلة معجزة النبي من حيث الدلالة على صدق النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (أخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه أخذ عليه الصلاة والسلام (باذن شاة لقوم من بني عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) أي تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين أي صار أثر أصبعيه لها علامة وهو في الاصل الحديدة التي يكون بها ويجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز في العبارة ظاهر العلاقة (وبقي الاثر فيها) أي في أصل تلك الشاة (وفي نسلها بعد) بالضم أي بعدها قال الدلجي لا أدري من رواه (وما روى) أي ومن ذلك ماروى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) في سيرة مغلطاي كان له صلى الله تعالى عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر أعطاه سعد بن عبادة (أصابه) أي في سهمه وفي نسخة الذي أصابه (بخيبر وقال) أي الحمار وهو كان أسود (له اسمي يزيد بن شهاب) يعني ونعتي ان الله تعالى أخرج من نسلي ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك ان تركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي وكنت أعثر به عمدا وكان يجيعني ويضربني على ما رواه ابن أبي حاتم عن حذيفة وفي رواية يجيع بطني ويضرب ظهري (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفي نسخة بالتنوين وفي نسخة يعفور كيعقوب

ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين (وفي رواية أخرى عنه) أي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي في تخريجه (ان سفينة تكسرت به) في بعض أسفاره (فخرج الى جزيرة فاذا الاسد) أي فاجأه بها أسد لقيه فيها والجزيرة معروفة (فقلت) للاسد (أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) أي طفق وصار (يغمزني) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها وزاي معجمة وأصل الغمز الاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف وهو رأس الذراع ومابين الكتف والعنق (حتى أقامني على الطريق) أي حتى أتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى أجمة فيها أسد فرأيته أقبل الي فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبل نحوي حتى ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى أقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننته انه يودعني فكان آخر عهدي به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة أيضا رضي الله تعالى عنه (وأخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة) أي أمسكها وأخذ المتعدي بالباء بمعنى امسك بخلاف أخذه فهو تضمين (لقوم من بني عبد القيس) اسم قبيلة مشهورة (بين أصبعيه) بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت (ثم خلاها) أي نحى أصبعيه عنها وتركها (فصار ذلك) أي أخذه باذنها يعني أثره (ميسما) بكسر الميم أصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة وأثرها مجازا كما يطلق على العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث (فيها) أي الشاة (ونسلها بعد) بالبناء على الضم أي بعدها أو بعد أخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين (وماروى عن ابراهيم بن حماد بسنده) هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه ضعيف (من كلام الحمار) ونطقه له صلى الله تعالى عليه وسلم صريحا فقاله (الذي أصابه بخيبر) أي وجده بها لما فتحها (وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب) وانه من نسل ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت أتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي فكنت أعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني (فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعفورا) هو في أكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمي وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني أقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه أخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة ألا ترى ان يعفر بضم الياء

يصرف

(وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) أي يرسله (الى دور أصحابه) أي بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) أي يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) أي ودفن (تردى) أي رمى بنفسه (في بئر) أي لابي الهيثم بن التيهان (جزعا) أي فزعا (وحزنا) بفتحتين أو بضم فسكون (فمات) أي فصارت قبره رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي منظور وقال لا أصل له واسناده ليس بشيء وذكره ابن الجوزي في الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضي فقد نقلها السهيلي في روضه عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذ أراد أحدا من أصحابه أرسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد أرسل اليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه ان أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد أخرجه ابن عساكر عن أبي منظور وله صحبة نحو ما سبق وقال هذا حديث غريب وفي اسناده غير واحد من المجهولين ورواه أبو نعيم عن معاذ ابن جبل كما تقدم والله تعالى أعلم (وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبي وهو موضوع وفيه نظر (وفي العنز) أي وفي حديث العنز كما في نسخة صحيحة وهي الانثى من المعز (التي أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عسكره) أي حال كونه فيما بين جنده في غزوة له (وقد أصابهم عطش) أي شديد (ونزلوا على غير ماء) أي لضرورتهم (وهم زهاء ثلثمائة) أحوال متتابعة مترادفة أو متداخلة (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في أوزان الفعل يفعول وفي هذه المسئلة كلام في شرح التسهيل * واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البئر كما سيأتي ويقال هما واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفير كان أشهب وهو مما أهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار آخر أهداه له فروة كان يركبه وآخر أعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجويني في كتاب الشامل (وانه كان يوجهه الى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم يعني يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا لدقه الباب ورأوه علموا انه يطلبهم لانه يكلمهم لكنه يفهم ما أمره به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته اذ سخره وفهم مراده (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات تردى) الحمار أي ألقى نفسه وطرحها (في بئر) كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم بن التيهان فكانت البئر قبره والتردي تفعل من الردي وهو الهلاك وهو مخصوص بهلاك من ألقى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البئر اذا سقط أو ألقى نفسه فيها (جزعا وحزنا) على فراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفقده (فمات) وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قال ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا أصل له (و) مما ذكر من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماد والبهائم ونطقها (حديث الناقة) الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع (التي شهدت) بنطق بين (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها) ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت (انه ما سرقها وانها ملكه) فحكم له صلى الله تعالى عليه وسلم بها لان للقاضي أن يحكم بعلمه أو نقول انه من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت غزونا معه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة أبصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى آخره (وفي العنز) أي في حديث العنز الذي أخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه (التي أتت رسول الله) صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في عسكره) حال أي وهو في عسكره (وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء) أي في مكان لا ماء فيه (وهم زهاء ثلثمائة) أي قريب عددهم تخمينا من ثلثمائة رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) يحتمل انه على

ظاهره وان يكون أمر بحلبها والاسناد مجازى (فاروى) بلبنها (الجند) بأجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى
زال ما كان بهم من العطش والرى ضده ومنه أروى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد
أروى للنبى صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فهو مجاز أيضا ان لم نقل فاعل أروى ضمير يعود
على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده (ثم قال) صلى الله عليه وسلم (لرافع) براء وعين مهملتين بينهما
ألف وفاء بزنة اسم الفاعل من الرفع علم لصحابى كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته (أملكها) أى
خذها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذ وجدت بأرض العدو ويحتمل أن يكون معناه شدها
وأوثقها من ملاك الامر أو ملك العجين ونحوه (وما أراك) مالكا لها أو فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبنى
للمفعول أى لا أظنك تملكها أو تحفظها (فربطها) وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع (فوجدها قد انطلقت)
أى انحل وثاقها ومضت وغابت عنه فالفاء فصيحة (رواه) أى حديث هذه العنز (ابن قانع) بقاف
ونون وعين مهملة (وغيره) من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقى وابن عدى عن جماعة من
الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر وكنا أربعمائة نزلنا فى موضع ليس
فيه ماء فشق ذلك علينا وأعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله تعالى عليه
وسلم فحلبها وشرب حتى روى وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذت لها
وتدا لها ونمت ثم قمت فى بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يسألنى
فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها وما قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هى ككبش
الفداء وانما سماها عنزا لكونها على صورتها لا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والذى
أوهمه ذلك قوله (وفيه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لرافع لما أخبره بانطلاقها (ان الذى جاء بها
هو الذى ذهب بها) يعنى الله أو الملك (و) من هذا القبيل ما روى أنه عليه الصلاة والسلام (قال
لفرسه) الفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه مؤنث سماعى وسمع فرسه وكان له صلى
الله تعالى عليه وسلم عدة أفراس مذكورة فى السير بأسمائها ومن أين ملكها ولا داعى لتفصيلها هنا كما
ذكره بعضهم (وقد قام الى الصلاة فى بعض أسفاره) والفرس غير مربوط ولم يأمر أحدا بامساكه بل
خاطب الفرس وقال له (لا تبرح) أى لا تزل من مكانك الذى أوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع
وبرح بمعنى ثبت فى مكانه وبمعنى زال وهو نفى معين فاذا دخل عليه صار لنفى النفى وهو اثبات كما هنا
فمعناه أثبت والزم كما حققه النحاة وأهل اللغة (بارك الله فيك) دعاء له من البركة وقد تقدم تحقيقها
وبأتى أيضا مع زيادة (حتى نفرغ من صلاتنا) ونتمها وهو غاية اثباته فى مكانه (وجعله قبلته) أى
جعله فى جهة قبلته ساترا ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار
بالحيوان والكلام عليه مفصل فى كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا (فما حرك) الفرس (عضوا) من
أعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف (حتى صلى) أى أتم صلاته (صلى
الله تعالى عليه وسلم) وفيه معجزة له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده
لعلمه بأنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض النسخ هنا زيادة وهى (ويلتحق بهذا) المذكور
من معجزاته أو من كلام الحيوانات لان فهم لغة لم يعرفها كفهم العربى كلام العجمى قريب منه

(فاروى الجند) أى جميع العسكر (ثم قال لرافع) أى مولاه كذا قاله الدلجى لكن مولاه أبو رافع ولذا قال الحلبى رافع هذا لا أعرفه
بعينه وفى الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (أملكها) بفتح الهمزة وكسر اللام أى أوثقها أو اربطها واحفظها
(وما أراك) بضم الهمزة أى ما أظنك تملكها وتحفظها (فربطها) أى وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت)
أى ذهبت برأسها
بحيث لم يدر أحد بها
(رواه ابن نافع) وقد سبق
ذكره (وغيره) منهم ابن
سعد وابن عدى والبيهقى
عن مولى أبى بكر رضى
الله تعالى عنه (وفيه) أى
وفى حديث ابن قانع
(فقال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ان
الذى جاء بها) أى الله
سبحانه وتعالى (هو
الذى ذهب بها) فيه
ايماء الى ان ايجادها
واعدامها كليهما من
خرق العادة (قال) أى
النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (لفرسه عليه
الصلاة والسلام) كذا
فى بعض النسخ
المصححة وانما محله قبله
بعد قال كما لا يخفى ثم قيل
كانت أفراسه صلى الله
تعالى عليه وسلم أربعة
وعشرين اتفق منها على
سبعة (وقد قام الى
الصلاة) أى والحال انه
قد أراد قيامه اليها (فى
بعض أسفاره) متعلق
بقام كما هو أقرب أو بقال
(وهو أنسب لا تبرح) أى
لا تفارق مكانك (بارك
الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) أى فى صوب قبلته أو فى جهة ومشابه
مقابلته (فما حرك عضوا) أى من أعضائه وهو بضم أوله ويكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حتى فرغ
منها كما فى أصل الدلجى والحق فى بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول أو المعلوم

ومشابه له (ماروى الواقدى) صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضى العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف ونسب الى وضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية الشافعى عنه دليلا على صحة مارواه وترجمته فى الميزان مفصلة وكذا فى أول سيرة ابن سيد الناس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله) جمع رسول (الى الملوك) من العرب والعجم أى أرسلهم لجهتهم وناحيتهم لما فشا الاسلام وقوى (فخرج ستة نفر منهم) أى ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع لثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه فى شرح الدرة وقد صرح به الكرمانى فى شرح البخارى وهو عربى فصيح أيضا وكان ارسالهم (فى يوم واحد) خرجوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فيه (فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) من غير مضى زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن أرسلوا اليه مفصل فى السير أيضا وهذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لشمول بركته لهم (والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة) رضى الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم ⁂ (خاتمة) ⁂ مما يلتحق بمعجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحيوانات والجمادات ما ذكر فى بعض الكتب وشاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما فى القدس ونقل منه لمصر فى أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر فيه الا أن هذا لم يضبط لان هذا أمر عدمى لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة وقد ذكر هذا السبكى فى تائيته وغيره وقال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء فى قصائدهم النبوية والبلغاء فى منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام فى حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب   وموطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه ⁂ على قدميه حافيا غير ناعل
وبما فى البخارى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه فى الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبى الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره صلى الله تعالى عليه وسلم السارى فيها ليكون أوضح فى الدلالة على انه أوتى مثل ما أوتى الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه ونقل المجد الشيرازى عن ابن بكار فى المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه فى غربى هذا المسجد أثر كأنه أثر مرفق يذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفى آخر أثر أصابعه انتهى وممن ذكر أثر البغلة السيد السمهودى فى تاريخ المدينة وقال انه مسجد بنى ظفر من الاوس شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار فى تاريخه أيضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقى فى سيرته ان هذا الاوجود له فى شئ من كتب الحديث وممن أنكره الشيخ برهان الدين التاجى وقال السيوطى فى فتاويه لم أقف له على أصل ولا سند ولا رأيت من خرجه فى شئ من كتب الحديث وتبعه تلميذه العلقمى فى شرح الجامع

(ماروى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس فى أول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) أى لتبليغ الرسالة اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) أى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) أى صار لما بلغ عندهم وأراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) أى من الملوك واتباعهم من غير تعلم للسانهم وتعرف بشانهم قال الكلاعى فى النقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله بعثنى رحمة كافة فادعوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال أصحابه وكيف اختلفوا يا رسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فامامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) أى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) أى ورد بطرق متعددة وقضايا متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) أى فى صحته وثبوته (وما وقع) أى وبما ورد (منه فى كتب الائمة) أى المعروفين بالسنة والسيرة

الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ المعتمدة فلا يسوغ نسبته له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد
تعقبه من علماء عصره الشيخ الصالح المحدث أحمد المتولي شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه
مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطي وقد قال في خصائصه الصغرى أن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ما وطىء على صخر الا وأثر فيه وعزاه للحافظ رزين العبدري انتهى * قلت لا سهو
ولا نسيان فان السيوطي رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما أنكر ما يؤثر بعينه في الاماكن
التي ذكروها وكذا ما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطي من قوله ما وطئ صلى الله تعالى
عليه وسلم على صخر الا وأثر فيه لا ينبغي لأن الظاهر انه كان في أول البعثة ككلام الحجر والشجر
الذي تقدم وأما كونه لا أثر لقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابوري
وغيرهما بسند ضعيف وقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم ألطف خلق الله وأخفهم ولذا لم يؤثر مشيه
في الرمل ولا ينافيه تأثيره في الحجارة فانما هو لابقاء أثره وتبكيت حاسديه وانهم أقسى من الحجارة الا
انه وقع في الاحياء ما يقتضي خلافه لانه نقل فيه أثرا فيه ان بعض الصحابة أنكر على أبي موسى رضي
الله تعالى عنه دعاءه على المنبر لعمر رضي الله تعالى عنه اذ لم يذكر أبا بكر رضي الله تعالى عنه فقام
بين الملأ بالمسجد وقال له أين من كان قبله فشكاه لعمر رضي الله تعالى عنه فأمر باشخاصه اليه من
البصرة فلما جاء دق عليه الباب فخرج اليه وقال له أزعجتني من وطني فسأله عن سبب شكاية أميره
منه فقص عليه القصة فبكى رضي الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابي بكر رضي الله عنه خير من
خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه
معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة أمامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفاء أثر أقدامه في الرمل
حتى لا يشعر به من يقص أثره * قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان
الدعاء للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشي قال في كتاب أحكام المساجد انه بدعة لا ينبغي تركها
لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوائد النفيسة الجليلة

* (فصل) * من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في احياء الموتى وكلامهم) له صلى الله تعالى عليه
وسلم واحياء مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله أو النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل
الحقيقي هو الله وهو أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره آياته عظما * أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت وأورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن وقد قال
صلى الله عليه وسلم آية من كتاب الله خير من محمد وآل محمد فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره
في الشرف وأجيب بان المراد بمعجزاته ما أحدثه الله تعالى على يديه والقرآن صفة لله قديمة ومعناه انه
لا يعد شيأ من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا أن يكون منها ان كل أحد لو دعا باسمه وتوسل به في احياء
الموتى وقع له ذلك بان يقول اللهم اني أسئلك بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان تحيي صاحب هذا القبر
وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم (وكلام الصبيان) الذين في المهد لم يصلوا
لسن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شأنهم الكلام وأخره لانهم
أحياء من شأنهم الكلام فهو دونه مرتبة (والمراضع) جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير
على القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد
وهو الام لانه ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن
ان يقول الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدأ رضاعه والاطفال كالصبيان
لا تؤدي مؤداه الذي قصده (وشهادتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة) أي قول من في المهد

* (فصل) *
(في احياء الموتى
وكلامهم) أي للاحياء
قال القرطبي في تذكرته
وكذا نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم أحيي
الله على يديه جماعة من
الموتى قال الحلبي وقد
ذكر القاضي فيما يأتي
جماعة منهم (وكلام
الصبيان) أي الاطفال
قبل آوان التكلم
(والمراضع) جمع راضع
على خلاف القياس وهو
أخص من الاول فتأمل
ويحتمل ان يكون العطف
تفسيريا ووقع في أصل
الدلجي وكلام الصبيان
المراضع بالوصف بدون
العاطف (وشهادتهم)
أي الصبيان (له بالنبوة)
أي المتضمنة للرسالة
(صلى الله تعالى عليه
وسلم

انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع فى اثبات ماذكره بحديث أورده أبو داود مسندا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فقال (حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه) أى المتبحر فى معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا (بقراءتى عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد) علم منقول من ضد الغى وهو محمد بن أحمد بن رشد الامام فى كل فن الجليل قاضى قرطبة تولى قضاها بعد أبى القاسم بن حمدين سنة احدى عشرة وخمسمائة ثم عزل سنة أربع عشرة وولى أبو القاسم وذلك فى سلطنة يوسف بن تاشفين (والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) الذى تقدمت ترجمته (وغير واحد سماعا واذنا) يعنى انه سمع منهم وأذنوا له فى الرواية عنهم (قالوا حدثنا أبو على الحافظ) الغسانى الذى تقدم قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى) بن محمد المعروف بابن العطار قال (حدثنا أحمد ابن سعيد) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم قال (حدثنا أبو داود) الامام صاحب السنن قال (حدثنا وهب بن بقية) الواسطى أبو محمد ويقال له وهبان توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وأبو داود والنسائى (عن خالد هو الطحان) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفى سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن محمد بن عمرو) بن علقمة وله ترجمة فى الميزان (عن أبى سلمة) أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (ان يهودية) من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بنى النضير وقيل انها زينب أخت عبد الله بن سلام (أهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) أى مشوية من صلاه بالنار اذا شواه وأصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها (سمتها) أى وضعت فيها السم يقال سممته أنا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رزقت بنتا ليتها لم تكن * فى ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال أصله سممتها بثلاث ميمات أبدلت الثالثة ياء على القياس (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها وأكل القوم) الذين كانوا معه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أى شرعوا فى الاكل (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ارفعوا أيديكم) أى كفوها عن الاخذ منها للاكل وأبعدوا أيديكم عنها وأصل الرفع الاعلاء فكنى به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه (فانها أخبرتنى انها مسمومة) وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شاء الله أسمعهم كلامها (فمات بشر بن البراء) بفتح الباء الموحدة والراء المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابى خزرجى شهد العقبة وبدرا قيل انه مات فى الحال وقيل لم يزل

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى أبو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) سبق (وغير واحد) أى وكثيرون من مشايخنا (سماعا) أى رواية (واذنا) أى اجازة (قالوا) أى كلهم (ثنا أبو على الحافظ) الظاهر انه أبو على الغسانى (ثنا أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر (ثنا أبو زيد) أى عبد الرحمن بن يحيى كما فى نسخة (ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابى) تقدم (ثنا أبو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية روى عنه مسلم والبغوى ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء أحد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد ابن عمرو) أى بن علقمة ابن وقاص الليثى يروى عن أبيه وأبى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله (الانصارى عن أبى سلمة) وهو أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال المزى فى الاطراف كذا وقع هذا الحديث فى رواية سعيد عن ابن الاعرابى عن أبى داود مسندا موصولا وعند باقى الرواة عن أبى سلمة وليس فيه أبو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهى زينب أخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (أهدت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية مشددة أى مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية أى وضعت السم فيها (فاكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها والقوم) بالرفع ويجوز نصبه وفى نسخة وأكل القوم أى منها أيضا (فقال ارفعوا أيديكم) أى عنها (فانها أخبرتنى) أى حينئذ (انها مسمومة فمات) أى من أكلها (بشر بن البراء) بفتح الباء وتخفيف الراء وهو ابن معرور واياك ان تعجمها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجى سلمى شهد العقبة وبدرا وأحدا قيل انه مات فى الحال وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت فى أول السابعة أو فى آخر السادسة

(وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ما حملك) أى أيتها اليهودية (على ما صنعت قالت) أى حملنى ما تردد فى باطنى من انك (ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام أى ممن يدعى ملكا (أرحت الناس منك قال) أى أبو هريرة كما رواه البيهقى عنه موصولا وأبو داود عن

أبى سلمة مرسلا (فامر بها) أى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (أنس) كما فى الصحيحين (وفيه قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك) ويروى ليسلط على ذلك ويسلطك على أى على قتلى فانى نبى موعود لاكمال دينى وعصمة روحى (فقالوا أنقتلها) وفى رواية الا نقتلها (فقال لا) أى لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات أمر بقتلها به (وكذلك روى) أى هذا الحديث وفى نسخة وكذلك عن أبى هريرة (من رواية غير وهب) أى ابن بقية وهو شيخ أبى داود (قال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (فما عرض لها) أى فما تعرض لها ولم يامر بقتلها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما رواه أبو داود والبيهقى عنه (وفيه) أى فى حديثه (أخبرتنى به هذه الذراع قال) أى جابر (ولم يعاقبها) أى ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفى رواية الحسن) البصرى (ان فخذها كلمنى انها مسمومة) قلت

في

وفى الجمع بينهما نصاب الشهادة (وفى رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن فقالت) أى الشاة بكمالها أو ببعض اجزائها (انى مسمومة) أى فلا تأكل منى (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) أى المغازى (وقال فيه) أى فى حديثه (فتجاوز عنها) أى عفا ابتداء

مريضا حتى مات بعد سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لليهودية ما حملك على ما صنعت) من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال الله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى كلفوا أن يقوموا بحقها فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا (قالت) الداعى انى أردت معرفة حالك واختبارك (ان كنت نبيا لم يضرك ما) وفى نسخة الذى (صنعت) من وضع السم وأكلك له (وان كنت ملكا) بكسر اللام أى سلطانا (أرحت الناس منك) بموتك فلما لم يضر السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبى وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله عصمه من أذى الناس ولم يكن أحدا من قتله صلى الله تعالى عليه وسلم باى طريق كان فانما احتجم بعده كما روى هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل وليبنال مرتبة الشهادة العظمى من غيرها انه له صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى السم هل كان فى الشاة كلها وفى الذراع زيادة على غيره لانها سألت ما أحبها اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الذراع أو كان فى الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما سئلها صلى الله تعالى عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود عهد وهذا نقض له (قال) أى أبو هريرة راوى الحديث كما ذكره البيهقى وان كان رواه مرسلا فى محل آخر (فامر بها) أى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث) أى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من طريق آخر فى الصحيحين (عن أنس) بن مالك (وفيه) أى فيما رواه أنس (قالت أردت قتلك) ان لم تكن نبيا كما زعم (فقال) لها (ما كان الله ليسلطك) من التسليط والسلاطة وهى التمكن من القهر والاذية كما قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم (على ذلك) أى القتل وروى على مشددا بجر ياء المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمسانى (فقالوا أنقتلها) وفى نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفى أخرى الا نقتلها (قال لا) تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية أبى هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها للبراء الآن يقال ان البراء عفى عنها أو على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل فى كتب الفقه (وكذلك روى) بالبناء للمجهول أى روى هذا الحديث (عن أبى هريرة من رواية غير ابن وهب) بن بقية شيخ أبى داود انه روى و (قال فما عرض لها) عرض بفتحتين بمعنى تعرض المشدد أى تركها (ورواه أيضا جابر بن عبد الله) كما فى سنن أبى داود والبيهقى (وفيه) أى فيما رواه جابر (أخبرتنى به) أى بالسم الذى فيها (هذه الذراع) أى ذراع الشاة وهو مؤنث سماعى ولذا قال هذه وكذا الفخذ الآتى مؤنث (قال) جابر رضى الله تعالى عنه (ولم يعاقبها) أى لم يقتلها وفى بعض النسخ (وفى رواية الحسن) البصرى (ان فخذها) هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق (كلمتنى) أى قالت لى (انها) أى الشاة (مسمومة) اما لان السم عمها أو فى ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافى ما مر من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للفخذ بناء على أحد الوجهين (وفى رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك) أى مثل هذه الرواية (وذكر الخبر) السابق (ابن اسحق) فى سيرته (وقال فيه فتجاوز عنها) أى عفى عنها ولم يقتلها

(وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فما زالت أعرفها) أى أثر سمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف أقصى الفم (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) فى وجعه الذى مات فيه وفى نسخة منه (مازالت أكلة خيبر) بضم الهمزة أى لقمتها وخيبر بلدة على أميال من المدينة السكينة أكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى) بضم التاء وتشديد الدال أى ترادنى وتراجعنى وتعاودنى ألم سمها فى أوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفى نسخة والآن أى وهذا الزمان الذى أنا فيه (أوان قطعت أبهرى) والاوان بفتح الهمزة وتكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله * على حين عاينت المشيب على الصبا * أو بضمها على انه مرفوع على الخبرية أى فهذا الزمان أوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله أبهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو والذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى الوتين فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا أوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع أبهره كذا ذكره التلمسانى والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى أبهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه قال ابن الاثير وليس ببين لان نقص الذوق ليس بألم قلت هو ألم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم

فى أول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قتلها به كما مر فى الجمع بين الروايتين أو لم يقتلها بسببه اما لانه لا يوجب القتل أو لامر آخر رآه (وفى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (عن أنس انه قال فما زلت أعرفها) أى أعرف الفعلة التى فعلتها اليهودية (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن قناة وهى لحمة فى أقصى سقف الفم تنطبق على آخر اللسان وأول الحلق وهى لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما فكأنه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاول كما فى قولهم اللهى تفتح اللهى فكان لها أثر فى ظاهره من بثر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد انها أثرت فى صورته تأثيرا قليلا يظهر لمن تأمله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث فى البخارى وفيه كلام فى شروحه والحاصل انهم اختلفوا فى قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها أسلمت فتركها لاسلامها وفى الروض الانف انه تركها أولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهاءنا والشافعى قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فأكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة أو لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة والذى فى البخارى ان اليهود سموها الا ينافيه لانه كان بأمرهم واتفاق منهم (وفى حديث) عن (أبى هريرة) رضى الله عنه الذى رواه عنه ابن سعد بسند صحيح (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه) يعنى مرضه فعبر عنه بلازمه (الذى مات فيه) أى مات متلبسا به أو فى زمنه وروى منه بدل فيه (مازالت أكلة) بضم فسكون وهى ما يؤكل كالغرفة لما يغرف لان فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للقدار كما قاله النحاة (خيبر) بمنع الصرف بلدة على أميال من المدينة أهلها يهود (تعادنى) بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وألف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم أى تعود الى مرة بعد مرة أخرى فى أوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما يأتى لوقت كالحمى والسم وقال السهيلى تعادنى بمعنى تعتادنى وقيل هو ما يهيج بعد سنة من ألم اللدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص فى الذوق لانه لا يعد مثله ألما وما قيل من انه المراد مكابرة فى المحسوس لا وجه له مع انه لا ينافى قوله (فالآن) مبنى على الفتح ولا يستعمل بغير أل وهو الزمن الحاضر (أوان قطعت) أى الاكلة بسمها وتأثيره (أبهرى) بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق كبير متصل بالقلب أو داخله وهما أبهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس الى آخره لانه قبل نزول هذه الآية بل لان المراد عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوه ومجاهرة بحيث يظهر فى وقته وهذا مع انهم ساعة لم يظهر فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء أثره وانما قدر الله تعالى تأثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله تعالى الشهادة وهذا مما لا دخل لمخلوق فيه ومرضه الذى مات فيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى أبو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وأورد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لد بقسط وزيت فلما أفاق صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنتم ترون ان بى ذات الجنب ما كان الله تعالى ليجعل لها على سلطانا والله لا يبقى أحد فى البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات

(وحكى ابن اسحق) أى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة أى ان الشأن (كان المسلمون) أى الصحابة والتابعين (ليرون) بفتح اللام وضم الياء أى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء أى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) أى نوعا من الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة) أى لئلا يخلو من نوع من أبواب السعادة وهذا لاينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على أيديهم واما مادونه فقد احتمل صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حين أصيبت أصبع رجله بحجر فى طريقه

هل أنت الا أصبع دميت
وفى سبيل الله مالقيت

وقد أجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى أعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) وهو محمول على آخر أمرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتداء حالها فقول الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث أنس وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بن بقية ليس فى محله اذ سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البراء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) أى بحسب مايتبين التخالف هنالك (عن أبى هريرة وأنس وجابر) أى ابتداء لا انتهاء كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها الاولياء بشر بن البراء فقتلوها) أى بعد موت البراء فارتفع النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) أى مثل هذا الاختلاف أو نحوه قد اختلف (فى قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه أثبت عندنا) أى من قتله (وروى) وفى نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه أولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره أو لدفع ضرره عن المسلمين فى آخر أمره أو أوحى اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) أى حديث الشاة المسمومة

الجنب من الشيطان وأجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون فى مستبطن الحشاء وهو المنفى وآخر يكون بين الاضلاع وهو المروى فى الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم (وحكى ابن اسحق ان) بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر أصله انهم (كان المسلمون ليرون) بفتح اللام وهى لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية أى يجوزون ويجوز فتحها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات شهيدا) بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة (مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون) بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام المالكى الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم (أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته) كما مر فى بعض الروايات مع مافيه ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى مأولة عنده كامر لاتصفى كدره واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله (وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك) الدال على خلاف ماقاله ابن سحنون (عن أبى هريرة وأنس بن مالك وجابر) وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وماذكر فى الحديث الذى قبل هذا من كون آثار السم تشاهد فى لهواته من تتمة القصة فلا ينافى كون الفصل معقودا لاحياء الموتى كما توهم وكذا ماذكر فى هذا الحديث (وفى رواية ابن عباس) التى رواها ابن سعد (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دفعها) أى سلم المرأة التى سمته (لاولياء بشر بن البراء فقتلوها) يعنى ورثته الذين لهم دعوى القصاص (وكذلك) أى مثل ما اختلف فى قتل من سمه وحكمه (قد اختلف فى قتله من سحره) وفى نسخة الذى سحره وهو رجل يهودى من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان يخيل له ان يفعل الشئ وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتى الكلام على قصته فى كلام المصنف رحمه الله تعالى (وقال الواقدى وعفوه عنه) أى الساحر (أثبت) أى أقوى وأصح وأصل معناه أشد ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر (عندنا) معاشر أهل السنة والحديث (وروى عنه انه قتله) وفى الوفاء عن زيد بن أرقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودى فاشتكى لذلك أياما فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا فى بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كأنما نشط من عقال فاذكر لذلك اليهودى ولا أراه فى وجهه قط وقال الثعلبى انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم أما تأخذ الخبيث فنقتله فقال أما أنا فقد شفانى الله وأكره ان أثير على الناس منه شرا بسببى وقتل الساحر ذكره الفقهاء مفصلا فى الفروع وفى السحر وجواز تعلمه كلام مشهور بيناه فى غير هذا المحل (وروى الحديث) أى حديث الشاة

المسمومة

(البزار عن أبى سعيد) أى الخدرى (فذكر مثله) أى نحو ما سبق (الا انه قال) أى أبو سعيد (فى آخره) أى فى آخر حديثه (فبسط) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) أى مدها (وقال) أى لاصحابه كما فى نسخة (كلوا بسم الله) أى مبتدئين باسمه ومستعينين بذكره (أكلنا) أى منها (وذكرنا اسم الله) أى عليها (فلم تضر منا أحدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره الدلجى ولعل وجه الانكار عموم نفى الاضرار مع انه ثبت فى الصحيح موت البراء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفى بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزرى أيضا فى الحصين بلفظ وأمر الصحابة فى الشاة المسمومة التى أهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فأكلوا ولم يصب أحدا منهم شئ وأسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى وقال صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين أصحاب الحديث وأرباب السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أحد من الصحابة الا بشر بن البراء أكل منها القمة ومات منها وأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى أعلم بالاسرار (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) أى الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) أى البقية من أصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) أى بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف أئمة أهل النظر) أى من المتكلمين وغيرهم (فى هذا الباب) أى باب خلق الله تعالى الكلام فى الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) أى فى محل من الموجودات أعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (فى الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (أو الحجر أو الشجر) ذكرها بلفظ أو للتنويع (وحروف وأصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) أى يوجدها فى هذه الاشياء بلا حياة لها العدم توقف ماذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم أى من شاء من خلقه (منها) أى من الاصوات والحروف (دون تغير أشكالها) أى أنواع صورها (ونقلها عن هيئتها) أى حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) أى هذا القول (مذهب الشيخ أبى الحسن) أى الاشعرى (والقاضى أبى بكر) أى ابن الطيب الباقلانى (رحمهما الله تعالى) أقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح أن يكون مستند الاحياء الموتى على ماساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى

المسمومة السابق لا لحديث السحر كما توهم (البزار عن أبى سعيد) الخدرى (فذكر مثله الا انه قال فى آخره فبسط يده) ومدها صلى الله تعالى عليه وسلم ليتناول من لحمها (وقال) لمن عنده من الصحابة (كلوا) متبركين (بسم الله فأكلنا منها فلم يضر منا أحدا) وهو مصادم لحديث البراء الصحيح الذى تقدم وقال السيوطى نقلا عن الشيخ ابن حجر ان هذا الحديث منكر (قال القاضى أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (رضى الله تعالى عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح) الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته (وخرجه الائمة) فى كتبهم كأصحاب السنن (وهو حديث مشهور) بين المحدثين (واختلف أئمة أهل النظر) من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث (فى هذا الباب) أى باب خلق الله الكلام فى أجسام غير ناطقة ثم بين وجوه اختلافهم بقوله (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله فى الشاة الميتة) بالتشديد والتخفيف (أو الحجر أو الشجر) ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظى والنفسى بالاشتراك أو بالحقيقة فى الاول والمجاز فى الثانى أو بالعكس أشار الى أن المراد الاول بقوله (وحروف وأصوات) أى هواء يخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام (يحدثها) أى يوجد تلك الحروف والاصوات (فيها) أى فى تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها العدم توقفها عليها (ويسمعها) بضم التحتية أى يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحياء (منها) أى من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل (دون تغيير اشكالها) جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال الله تعالى وآخر من شكله أزواج أى هو مثله فى الهيئة ومنه قولهم الناس أشكال وآلاف وهو من الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قال الراغب فقوله (ونقلها من هيأتها) أى نقلها من هيأتها الاصلية الى هيئة أخرى لذوات الارواح والنطق (وهو) أى عدم لزوم ماذكر (مذهب الشيخ أبى الحسن) الاشعرى امام أهل السنة (والقاضى أبى بكر) الباقلانى فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام فى الاجسام (و) قوم (آخرون) من أهل السنة (ذهبوا الى) اشتراط ذلك والى

ايجاده) أى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها أوّلا (ثم الكلام) بالنصب أو الجر أى ثم ايجاد الكلام (بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها مع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا) أى معشر أهل السنة (أبى الحسن) أى الاشعرى (وكل) أى من القولين (محتمل) أى لايجاد الحياة فيها أو لعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاوّل على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه بقوله (والله أعلم اذ لم نجعل) أى نحن ويجوز بصيغة الغائب أى أبو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) أى فيه (فأما اذا كانت) أى الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسى فلابد من شرط الحياة لها) أى للاصوات (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) أقول وظاهر الآيات والاحاديث يؤيد القول الاوّل فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه أى فلان هل مر بك أحد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هناك خرق للعادة فالصحيح من مذهب أهل السنة والصريح من مشرب الصوفية أن الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها ألسنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسها ومن أراد الله ادراكها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها ألف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام وأخذه عن يعقوب بن عبدالله الشحام

(ايجاد الحياة بها أوّلا) قبل نطقها وصدور الكلام منها (ثم الكلام بعده) أى بعد ايجاد الحياة بها (وحكى هذا أيضا عن شيخنا أبى الحسن) الاشعرى كما حكى القول الاوّل عنه فله قولان فى هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم أن يكون المصنف رحمه الله تعالى أدركه وتلمذ له كما لا يخفى فى مثله (وكل) من القولين (محتمل) اسم مفعول أى جائز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ماقررناه فى كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل أحد قوليه على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والآخر على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى (اذ لم تجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات) وحينئذ يحتمل أنه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه أنطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه (اذ لا يستحيل) ويمتنع عقلا (وجودها) أى الحروف والاصوات (مع عدم الحياة بمجردها) أى وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها (فاما اذا كانت) أى الحروف والاصوات أو هذه العبارة التى هى الكلام فالتأنيث لمراعاة الخبر فى قوله (عبارة) أى معبرا بها والظاهر الثانى (عن الكلام النفسى) الذى يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسى والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل فى علم الكلام يضيق طوق المقام عنه (فلابد من شرط الحياة لها) لانها العلم أو مستلزمة له وعلى كل حال فلابد من الحياة فيها (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) اذ لابد له من نفس تقوم به والنفس لا تكون الا ذات حياة وأما الكلام اللفظى فلا يشترط فيه ذلك (خلافا للجبائى) بضم الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وياء نسبة الى الجباء قرية بالسواد وهو أبو على محمد بن عبدالوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد بن حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان البصرى رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق أهل السنة والمعتزلة فانه تفرد (فى احالة وجود الكلام اللفظى) أى عده محالا عقلا وعادة (والحروف والاصوات الا من حى مركب) قائم بحسب الصورة (على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات) بأن يكون جسما له آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال دفعا له يلتزمه واليه أشار بقوله (والتزم ذلك) أى وجود التركيب المذكور (فى الحصا) بمهملتين جمع حصاة (والجذع والذراع)

الذى

البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعدما أقام على الاعتزال معه أربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب أهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى أخذ فقه الشافعى عن أبى اسحق المروزى توفى عام ثلاثين وثلثمائة وأما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (ومن بين سائر متكلمى الفرق) أى فرق الاسلامية اذ لم يوافقه أحد منهم (فى احالته) أى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى) (والحروف والاصوات الا من حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات (والتزم) أى الجبائى (ذلك) أى ماذكره من التركيب (فى الحصى) أى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) أى الذى حن وأن (والذراع) أى الذى تكلم وبين

(وقال) أى الجبائى (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء أى شق ويروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) أى عالية وقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفى نسخة أمكنها أى أقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) أى ما ادعاه دعوى بلا بينة فانه كما قال المصنف (لو كان) أى وجد ذكره (لكان نقله والتهمم به) أى الاهتمام بنقله (أو كد) لكونه أغرب وأعجب فنقله أهم (من التهمم بنقل تسبيحه) أى الحصى فى يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) أى الجذع اليه (وأخباره) أى الذراع له كذا فى شرح الدلجى ولم يوجد لفظ وأخباره فى الاصول المعتمدة (ولم ينقل أحد من التفسير) أى شراح الحديث وفى نسخة من أهل السير أى أرباب التواريخ (والرواية) أى من المحدثين (شيأ من ذلك) أى مما ادعاه الجبائى (فدل) أى عدم نقلهم ما ادعاه (على سقوط دعواه مع انه لاضرورة اليه فى النظر) أى فى نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة

وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) أى لتيسير كل عسير وفى نسخة والموفق الله لاسواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفى نسخة بصيغة الفعل أى رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء فى أوله وبالدال فى آخره وفى نسخة بالراء وكلاهما لا يعرف على ما ذكره الدلجى تبعا للحلبى وفى المواهب عن مهد بالميم والدال واعله تصحيف وانما رواه البيهقى عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم فى آخره راء عن بعض أشياخه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبى) أى جئ به اليه (قد شب) أى صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من أنا فقال رسول الله) أى أنت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقى وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر أوله كانه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفى نسخة معيب بخلاف الياء الثانية (رأيت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفى المواهب أسند الحديث الى معيقيب اليمانى قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا أى خرق عادة متضمنا لكرامة (جئ) أى اليه (بصبى يوم ولد فذكر مثله) أى قال له من أنا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجى ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقى وابن عساكر فتأمل فانه محل زلل

الذى نطق له صلى الله تعالى عليه وسلم لتواتره (وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما) أى أبدعه وميزه عن غيره من الاعضاء كما خرق سمعه وشقه اذا أبرزه وصوره (ولسانا وآلة للكلام (أمكنها) أقدرها وجعلها متمكنة بها (من الكلام) والنطق (وهذا) أى المذكور من الآلة والاعضاء دعوى بلا بينة اذ (لو كان) أى ما ادعاه وقع فى الخارج (لكان نقله) أى وجد نقله وسمع فكان فيهما تامة (والتهمم به) تفعل من الهم أى الاهتمام والاعتناء به (آكد) بالمد وأوكد بالواو بمعناه أى أقوى وأشد (من التهمم بنقل تسبيحه) أى تسبيح الحصا (وحنينه) أى الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شائعا ولم ينقل انه روى له فم ولا لسان فاذكره مكابرة فى المحسوسات ودعوى شهد الحس بخلافها (ولم ينقل أحد من أهل السيرة) أى رواة الحديث والسير النبوية (والروايات) وفى نسخة الرواية (شيأ من ذلك) المذكور الذى ادعاه (فدل) عدم نقلهم (على سقوط دعواه) أى بطلانها (مع انه لاضرورة) داعية (اليه فى النظر) والفكر فى الامور المعقولة وأما كون الله خلق ذلك وأخفاه فاوهى من دعواه (والله الموفق) للصواب (وروى وكيع) بفتح الواو والكاف المكسورة هو أبو سفيان بن الجراح بن مليح بن عدى الراسى (رفعه) أى رواه مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن فهد بن عطية) هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة وفى نسخة راء مهملة قال البرهان لا أعرفه بدال ولا براء والذى فى البيهقى انه عن سمى بن عطية عن بعض أشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بصبى قد شب) أى كبر وصار شابا وهو (لم يتكلم قط) من طفوليته لشبابه لانه خلق أخرس (فقال) له (من أنا فقال أنت رسول الله) فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعدما كان أبكم وذكر هذا فى الفصل الذى بعده أظهر وان كان هذا بتنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق (وروى عن معرض بن معيقب) بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم الفاعل وقيل الراء مكسورة مشددة وروى معيقب بباء وقيل معيقل بلام (رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم عجبا) أى أمرا عجيبا وقع عنده وهو انه (جئ) بالبناء للمجهول أى جاء اليه بعضهم (بصبى يوم ولد) مجهول أيضا (فذكر) راويه وهو معرض (مثله) أى مثل ما مر من انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أنا فقال له أنت رسول الله (وهو) معروف فى المعجزات بانه (حديث مبارك اليمامة) وفى نسخة وكان يسمى أى ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله تعالى

(ويعرف) أى حديث المبارك أيضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو وفنون فتاء وضبط فى بعض النسخ بتحتية بدل النون وفى أخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو أبو عبيد من أهل اليمن (اسم راويه) أى راوى حديث المبارك قال الحلبى هذا الصبى هو مبارك اليمامة وهو مذكور فى الصحابة قال الذهبى فى تجريده فى الصحابة مبارك اليمامة فى حديث معرض الصحابة (وفيه) أى فى مروى شاصونة (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) أى فيما نطقت (بارك الله فيك) أى فى عمرك أو فى أمرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) أى بعد هذه الكلمة أو الشهادة (حتى شب) أى بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى أن المراد بالغلام هنا هو الصبى قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبى الذى تقدم والله تعالى أعلم (فكان) وفى نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) أى لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة أضيف الى اليمامة لانه كان من أهلها وفى القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام وبلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهى أكثر نخيلا من سائر الحجاز وهى دون المدينة فى وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطى رحمه الله تعالى جميع من تكلم وهو صغير فى هذه الابيات

تكلم فى المهد النبى محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليهم بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

(وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهى سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) أى البصرى (أتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وأسلم هو وامرأته (فذكر) أى الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له فى وادى كذا) يعنى وانها هلكت على ظنه بها أو تردد فى حياتها ومماتها (فانطلق) أى فذهب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا مؤخر فى النسخ كما سيأتى (ويعرف) ذلك الحديث (بحديث شاصونة) بشين معجمة وألف وصاد مهملة وواو ساكنة تليها نون وهاء وهو (اسم راويه) أى راوى هذا الحديث وبيانه ماقاله السيوطى فى خصائصه الكبرى قال الخطيب أخبرنى على بن أحمد الرزان قال حدثنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم املاء قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى الكديمى املاء قال حدثنا شاصونة بن عبيد أبو محمد اليمامى منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامى عن أبيه عن جده حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه فى خرقة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا غلام من أنا فقال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال أبى فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة سمعت هذا الحديث منه منذر ثمانون سنة ولم أسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطنى كان الكديمى يتهم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بينى وبينه عقدة لا أحلها الا بين يدى الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمى لما أملى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا أنه قد وقع الينا من غير طريق الكديمى ثم ساقه بسنده الى آخره قال السيوطى فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع فى حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطى هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف (وفيه) أى فى هذا الحديث (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى للصبى حين تكلم (صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد) مبنى على الضم أى بعد ذلك الكلام (حتى شب) أى كبر ووصل سن النطق (فكان يسمى مبارك اليمامة) لدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له بالبركة (وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها آخر حجه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب أجله وانه يودع فيها أمته (وعن الحسن) البصرى وقدمنا ترجمته وهذا الحديث لم يخرجه السيوطى (أتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له) تصغير بنت (فى وادى كذا) لم يعينه راويه أى رماها ثمة فماتت وقيل انه وأدها على عادة الجاهلية (فانطلق) أى مشى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معه)

(معه الى الوادي) أى المعهود (وناداها) أى البنية أبوها أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يا فلانة أجيبي) أى دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باذن الله تعالى) أى بامره وتيسيره (فخرجت) أى من الوادي وظهرت فيه (وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) أى بالحياة الاصلية أو المجددة رددتك عليهما او الافتركتك على حالك (فقالت) وفي نسخة قالت (لا حاجة لى بهما) وفي نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لى منهما) والحديث عن الحسن لم نعلم من رواه كذا ذكره الدلجى ثم سياقه محتمل ان يكون من كلام الصغار أو في احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب في هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر أولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتي بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث في دلائل البيهقي صريحا في احيائها

حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لى ابنتي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أرنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فكان حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ في صدر الباب ليكون مطابقا لعنوان الكتاب ثم يذكر ما اخرجه أبو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احياء أبويه وايمانهما به على ما رواه الطبراني وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطي وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته في رسالة مستقلة لتحقيق هذه المسئلة ردا على العلامة السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة وبيانا الدلائله المضعفة (وعن أنس) كما رواه ابن عدي والبيهقي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم (ان شابا من الانصار توفي وله أم عجوز) أى مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم أى غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاى أى أمرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابنى) أى أمات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) أى من نيتي في هجرتي (انى هاجرت اليك والى رسولك

(معه الى الوادي) الذي ذكره (وناداها) أى نادى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنت ذلك الرجل (باسمها يا فلانة أجيبيني باذن الله تعالى) أى بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر نحوا زا مشهورا (فخرجت) حية من قبرها (وهي تقول لبيك وسعديك) أى اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم (فقال لها) لما اجابته (ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما) بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما (قالت لا حاجة لى فيهما) ولا أريد الرجوع اليهما (وجدت الله) وما عنده من الخير (خيرا لى منهما) ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احياء الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير أيضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسيأتي تمامه واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال كثير عدوا منهم عيسى ابن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة بنت فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والجبار وما ذكره المصنف رحمه الله وقد نظمهم السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك أيضا (وعن أنس) في حديث رواه البيهقي وابن عدي مسندا (ان شابا من الانصار توفي وأمه عجوز عمياء) وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها المحوج لولدها (فسجيناه) بالسين المهملة والجيم أى غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض أو كفناه (وعزيناها) أى صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية أهل الميت عنه وهي سنة معروفة (فقالت لهم) لما عزوها (مات ابنى) فيه استفهام مقدار أى أمات ابنى وانما قالته املا لانه لم تعلم أو لتذكر ما بعده أو لذهولها بالمصيبة (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت) الهجرة الانتقال من بلد الى آخر وهذا الا ينافي كونها من الانصار لانها قد تسكن في مكان بعيد هاجرت منه (اليك والى نبيك) الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فالله معها أينما

رجاء) بالنصب أي من أجل أملي (ان تعينني على كل شدة) أي واقعة لي (فلا تحملني على) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذ لست لحملها مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد أبعد الدلجي بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء أي ما ذهبنا من مكاننا ولا نزلنا في موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا

في أصل الدلجي أي الى ان كشفه وفي الاصول المعتمدة ان كشف الثوب أي فما زلنا كشفه وما فارقنا رفعه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين أي فعاش مدة بدعائها وأكل مما أكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هي أبلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماتته لاحتمال اغمائه مع وجود سكته لكن زال الغم بدعاء الام (وروى) أي على ما نقله البيهقي (عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبي ثابت هذا انصاري خطيب الانصار وقد شهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم اني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة روى عنه بنوه وأنس (وكان) أي ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق (فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول

كانت (رجاء ان تعينني) بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين (على كل شدة) الشدة بمعنى الصعوبة هنا أي على كل أمر شاق يصعب علي ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها في هجرتها الله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شأنه ان يشك فيه لا لانها لا تعلم ذلك لانه ينافي توصيلها به الى الله أو باعتبار القبول أو تجاهلا رجاء للاجابة ورجاء منصوب مفعول له (فلا تحملني) بالحاء المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكاليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (على) بجر ياء المتكلم (هذه المصيبة) يعني موت ولدها في هذه الحالة (فما برحنا) أي ما ذهبنا من مكاننا الذي كنا فيه (حتى كشف) ولدها (الثوب عن وجهه) بعد ما غطي به (فطعم وطعمنا) أي قدم لنا طعام أكل منه ولدها وأكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بقي بعده كما ذكره ابن أبي الصيف وفيه معجزة حيث انه أحيي الميت للدعاء باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبي (وروى) الراوي له البيهقي رحمه الله تعالى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري) بتصغير الثاني (كنت فيمن دفن ثابت بن قيس) أي حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج الانصاري المدني الصحابي وكان خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة (وكان قتل باليمامة) وروى له البخاري والنسائي وأبو داود وكان جهوري الصوت فلما نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي احتبس عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب ذلك فقال قد علمتم اني أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخشى ان أكون من أهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة وقال التلمساني انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما مر وهي بلدة مسيلمة الكذاب وهي على ستة عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه أوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية أحد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت أنفس درعيه فرأى رجل ثابتا في منامه فقال أوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها اني قتلت أمس فمر بي رجل فاخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفئ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا يعني أميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا للناس مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رقيقي فلان حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف وأخبر أبو بكر بوصيته فاجازها (فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول) أي سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر أو الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثاني على ما ذهب اليه أبو علي الفارسي من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر والجملة حالية أو مستأنفة وقد خطأ ابن السيد أبا علي في هذه المسئلة في كتاب الحلل

محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفي نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) أي البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) أي مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن مندة عنه وابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن أنس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) أي سقط من قيام أو قعود حال كونه ميتا وجوز أن يكون التقدير وقد خر حيا فمات به في عقبه ويؤيده ما في رواية ابن أبي الدنيا على ما نقله عنه القسطلاني فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي (في بعض أزقة المدينة) بكسر الزاي وتشديد القاف جمع زقاق أي بعض طرقها المسلوكة في داخلها (فرفع) أي جسده (وسجى) أي غطى وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء أي يبكين بصياحهن (حوله) أي ومعهن رجال من أهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما أي اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل أي كشف غطاءه (عن وجهه) وفي نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه في رواية فحسروا عن وجهه (فقال) أي القائل على لسانه كما في رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم (كان ذلك) أي كونه رسولا نبيا أميا وخاتما كليا (في الكتاب الاول) أي اللوح المحفوظ أي الذي كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) أي زيد (صدق صدق) أي رسول الحق والتكرير للتأكيد وصدق فيما أخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء

كما نصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه (محمد رسول الله أبو بكر الصديق) مبتدأ أو خبر أي الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في تصديقه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسيأتي تحقيقها (عمر الشهيد) أي المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفاء لان قاتله كافر مجوسي وهو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهو شهيد أيضا (عثمان) بن عفان (البر الرحيم) ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم أيضا أي ذو رحمة ورأفة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته (فنظرنا اليه) لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته (فاذا هو ميت) أي فاجأنا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما أنطقه الله الذي أنطق كل شيء لتحقق حياة الشهداء قيل وقوله هذا كان عند سؤال الملكين اما ان قلنا ان الشهداء يسئلون وفيه نظر (وذكر) بالبناء للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وأبو نعيم وابن منده ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا (عن النعمان ابن بشير) الصحابي الانصاري الخزرجي البدري وهو أول من بايع أبا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان أول مولود بعد الهجرة ولد بعد أربعة أشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة أربع وستين وولاه معاوية حمصا والكوفة (ان زيد بن خارجة) هذا أصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة وان كان من بني الحارث بن الخزرج لانه زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحارث ابن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال أبو نعيم الاصبهاني خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير في أسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم أبوه زهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن أبي الدنيا جزء وأفرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه (خر ميتا) أي سقط من قيام في حال كونه ميتا وأصل معنى خر سقط سقطة وطايسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الماء والريح ونحوه مما سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا (في بعض أزقة المدينة) جمع زقاق كغراب وهو الطريق (فرفع) بالبناء للمجهول أي أخذ من مكانه الذي سقط فيه (وسجى) بالبناء للمجهول أي غطى (اذ سمعوه بين العشائين) اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب والعشاء على التغليب (والنساء يصرخن) بالصاد المهملة والخاء المعجمة ونون النسوة (حوله يقول) مفعول ثان لقوله سمعوه أو حال أو هو جملة مستأنفة كما مر ومقول القول (انصتوا انصتوا) أي استمعوا وكرره للتأكيد (فحسر عن وجهه) بضم الحاء وكسر السين والراء المهملات أي كشف عنه بعدما كان عليه غطاء (فقال) لما كشف عن وجهه (محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين) أي آخرهم بعثا كما مر (كان ذلك) المذكور من كونه رسولا ونبيا أميا خاتما للرسل (في الكتاب الاول) أي في جنسه من الكتب المتقدمة أو اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى (ثم قال) زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده أو ان يصح ان يتوجه الخطاب اليه أو مجردا من نفسه مخاطبا مأمورا ان كان قوله (صدق صدق) أمرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رأيناه بضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد وقال فاعله ضمير

(وذكر أبا بكر وعمر وعثمان) أي بخير وبأنهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه أو بأنهم ممن قال تعالى فيهم والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وذلك لما كشف له من أحوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجي حيث قال صدق صدق أمر مخاطب (ثم قال) أي زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه في رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمساني روي تركناه أقول الظاهر انه تصحيف (ثم عاد ميتا كما كان) أي عود البدء واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر في زيد ابن خارجة بن زيد انه هو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك قال الذهبي وهو الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد قال ابن عبد البر توفي في زمن عثمان فسجي بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم فقال أحمد أحمد في الكتاب الاول صدق صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوي الامين في الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجه مضت أربع وبقي سنتان أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد ابن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أبو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل) (في ابراء المرضى وذوي العاهات) أي الآفات (قال) أي المصنف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال) أي أبو الحسن أو كل منه ومن غيره (ثنا أبو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا أبو محمد بن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوي سيرة ابن هشام

(عن

مستتر عائد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالامر ظاهر أي صدق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ابلغ عن الله (وذكر) بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا بكر وعمر وعثمان) وكأنه لم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفي في زمن عثمان كما ذكر ومراده الثناء عليهم رضي الله تعالى عنهم بما فعلوه وأيدوا به الدين الذي بلغه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه (ثم قال السلام عليك يا رسول الله) دعاء له صلى الله تعالى عليه وسلم وأصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدأ للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق أنواع السلام الذي توجه للانبياء وزيادة ومعناه السلامة من النقائص والتكريم والتشريف بما يليق بجنابه كما بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم (ورحمة الله وبركاته) والرحمة بمعنى الانعام والاحسان أو ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافا لمن أباه لورودها في حديث التشهد كما مر ويأتي بيانه أيضا والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب أصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير ألقى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركات القتال مكان يلزمه الابطال وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء قال الله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة (ثم عاد ميتا كما كان) قبل تكلمه حين سجي وكفن * فان قلت الاتمام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى وانطاق من ليس من أهل النطق له وما في هذا الحديث ليس كذلك * قلت هو من امته صلى الله تعالى عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ما قبله ومؤكد له لانه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل) من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (في ابراء المرضى) جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم زوال مرضهم وحصول شفائهم وأصل البرء والبراءة والتبري التفصي عما يكره ولذلك قيل برئت من المرض اذا خلصت منه (وذوي العاهات) جمع عاهة وهي الآفة ويقال عاه الزرع اذا أصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض عما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون أتم فائدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض الاعضاء كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا أيضا وهذا هو المعروف (أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه وقرأته على غيره) تقدم الكلام على هذا وعلى معنى الاجازة قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بحاء مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة أيضا كما تقدم قال (حدثنا ابن الورد) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد بن زنجويه راوي سيرة ابن هشام

(عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الراء هو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن أبى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بكمال العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب وأصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جد له اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على أمه وهى تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل أمى روى عنه أحمد وقال ابن معين لا بأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو أحد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر ابن قتادة) أى ابن النعمان الظفرى يروى عن أبيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة (وجماعة) أى آخرون (ذكرهم) أى ابن اسحق (بقضية أحد) أى فى غزوته (بطولها) أى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى أيضا (قال) أى ابن اسحق (وقالوا) أى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن أبى وقاص) أى فى غزوة أحد وهو أحد العشرة المبشرة (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى السهم لا نصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) أى فارمى به فيقتل من أصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف أى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (وأصيب) وروى وأصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان) بضم النون هو تفسير من الراوى

(عن البرقى) هو أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى ذرعة البغدادى الزهرى مولاهم المعروف بابن البرقى نسبة لبرقة اسم مكان (عن ابن هشام) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الامام الاديب النحوى صاحب السيرة وهو حميرى معافرى بصرى وسكن مصر وتوفى بها سنة ثلاث عشرة ومائتين وله تآليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب أشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفى تاريخ وفاته اختلاف (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى البكائى لانه دخل على أمه فرآها تحت أبيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان أبى قتل أمى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له أصحاب السنن وترجمته فى الميزان مفصلة (عن محمد بن اسحق) الامام صاحب المغازى والسير كما تقدم قال (حدثنا ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى شيخ ابن اسحق الامام المشهور كما تقدم ووقع فى بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما فى المقتفى (وعاصم بن عمر بن قتادة) بن النعمان الظفرى الثقة امام رواة المغازى توفى سنة تسع أو سبع وعشرين أو عشرين فقط ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان (وجماعة ذكرهم) فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهرى (بقضية أحد بطولها) متعلق بذكرهم والباء بمعنى فى وقضية أحد غزاتها وما وقع فيها (قال وقالوا) أى الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق ابن اسحق التى أسندها المصنف رحمه الله عنهم ورواه البيهقى أيضا (قال سعد بن أبى وقاص) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه فى قصة أحد التى رواها بطولها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولنى) أى يعطينى بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية (السهم الذى لا نصل به) بفتح النون وسكون الصاد المهملة قبل لام وهو حديدة فى طرف السهم والرمح وفى بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول والثانى لا يتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكأنه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح أيضا لان النضل رمى السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا (فيقول) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له (ارم به) بكسر الهمزة والميم أمر من الرمى والضمير للسهم وفى الكلام مقدر أى فيرمى به ويقتل من أصابه سهمه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان لم يكن محل الشاهد (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ) أى يوم أحد (عن قوسه) يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه (حتى اندقت) أى انكسرت والقوس مؤنثة سماعية وأصل معنى الدق الرض بجرم صلب (وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان) أصيبت مبنى للمجهول أى أصابها سهم فأخرجها أو أذهبها وروى أصيب بدون

(حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح أفصح أي سالت على أعلى خده فأتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم أكسه جمالا وفى رواية انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ماهذا يا قتادة فقال هذا ماترى يارسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة أجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكنى أكره ان أعير بالعور فردها الى وأسأل الله لى الجنة فقال افعل فأعادها الى موضعها ودعا لى بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمرو بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن أبى سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) أى عينه المردودة (أحسن عينيه) لانها المقبولة وكانت أيضا أحدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولذا ظهر ضعف قول التلمسانى يجوز أن يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما أصيبتا معا فردهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أبونا الذى سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها
فياحسن ما عين وياحسن ماخد

فوصله عمر وأحسن جائزته وقال

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا (وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) أى كما تقدم قيل وهو الذى قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ ولم يعرف فى رواة الحديث بل ولا فى حملة العلم أحد يقال له يزيد بن عياض ابن عمر بن قتادة وقال الحلبى الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن ذلك لان عاصم بن عمر شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثى حجازى حدث عن نافع وابن شهاب والمقبرى وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة وعنه على بن الجعد وشيبان وعدة قال البخارى وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد أخرج له الترمذى وابن ماجه ولا يحتمل أن يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يرو عنه الا ولده عاصم ولا يعرف الا برواية عنه وجده ذكره ابن حبان فى الثقات

تأنيث للتأويل بالعضو أو للفاصل بينهما (حتى وقعت) عينه (على وجنته) الوجنة أعلى الخد وما يلى العين من الوجه ويطلق على الخد كله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده) أى أعاد حدقة عينه التى سالت لمكانها (فكانت) العين المردودة بيده صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسن عينيه) أى أجملهما وأقواهما حسنا أى أحسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما أصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشئ لا يكون أحسن من نفسه وقوله أصيبت عينه ظاهره انما أصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروى ان عينيه أصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما بأحدهما وهو فصيح مشهور كما قال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروى ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فقال له من أنت فقال بديهة

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ما عين وياحسن مارد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال يارسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكنى أكره العور فردها واسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسى اختلف أهل السير فى عددها فقيل سبع وقيل ست وهى الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند الرنان لصوتها والتى انكسرت بأحد هى الكتوم كما فى الهدى النبوى والكلام على قسيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أين صارت وتوجيه تسميتها مذكور فى السير وشروحها (وروى قصة قتادة) المذكور فيها رد عينه وهى قصة فيها طول اقتصر المصنف منها على محل الشاهد وذكر أولها لما فيه من المعجزة أيضا (عاصم بن عمر بن قتادة) صاحب القصة (ويزيد بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ كما قاله

(ورواها) أى قصة قتادة (أبو سعيد الخدرى عن قتادة) فهى رواية الاكابر عن الاصاغر (و بصق) أى بزق (على أثر سهم فى وجه أبى قتادة) كما رواه البيهقى من حديث أبى قتادة وهو الحارث بن ربعى وقيل غير ذلك (فى يوم ذى قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلى عن أبى على الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها و بين خيبر و يقال لها غزوة الغابة كان يومه قبل خيبر بثلاثة أيام ذكره الحجازى قال ابن سعد كانت فى الربيع الاول سنة ست وفى البخارى بعد حنين بثلاثة أيام وقبل الحديبية وفى مسلم نحوه وقال ابن القيم فى الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازى والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ماقاله بما أورده فيه (قال) أى أبو قتادة (فما ضرب على) أى ضربا (ولاقاح) من القيح وهى المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى النسائى) بالقصر وبمد باسناده فى سننه وهو الذى تأخر بعد الثلاثمائة من أصحاب الكتب الستة سمع قتيبة وطبقته وأصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكتانى وابن السنى (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة وفتح نون وعثمان هذا هو أخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد أحدا ومابعدها وهو أحد من تولى مسح سواد العراق لعمر وولى البصرة على

البرهان الحلبى والصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط لان عاصما شيخ يزيد أو سقط عن عاصم و يزيد بن عياض الليثى الحجازى حدث عن نافع الى آخره وكذا وقع فى نسخة على الصواب (ورواها أبو سعيد الخدرى عن قتادة) رضى الله تعالى عنه وأبو سعيد هو أخو قتادة لامه وقتادة بن النعمان أنصارى أوسى وشهد مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وأحدا وغيرهما من المشاهد وكانت واقعته يوم أحد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما هل قلعت عينه أو عيناه والمشهور الاول ووقع الثانى مصرحا به فى بعض الروايات أيضا كما رواه أبو نعيم الاصبهانى ونقله السهيلى وقال الدارقطنى انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر فى شرح الهمزية وهى زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف أيضا هل انفصلت أولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل سقطت فاتى بها أو بهما فى كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يارسول الله انى محب للنساء وعندى امرأة أحبها فاخشى ان تقذرنى فردها وادع الله لى بالجنة ففعل فكانت أقوى عينيه وأحسنهما وتوفى وهو ابن خمس وستين سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهما (و) روى البيهقى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (بصق على أثر سهم) أى جعل ريقه ومافيه على جراحة (فى وجه أبى قتادة) الحارث بن ربعى الانصارى السلمى الصحابى توفى بالمدينة وهو ابن أربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفى وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق أو مستقر حال أو صفة لسهم (فى يوم ذى قرد) بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروى بضمتين كعنق وهو اسم ماء بينه و بين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردى المتجعد فسمى به لانه معاطن فيها ذلك أو لكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال أيام العرب وقد تقدم و يقال ذو القرد معرفا وهى غزوة تسمى أيضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها ورده فى الهدى النبوى والقرطبى فى شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن أبى ذر وامرأة من غفار فاغار عليها عيينة بن حصن الفزارى فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر وسبوا المرأة فركبت المرأة ناقة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال لا نذر فى معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونودى ياخيل الله اركبى وكان أول ما نودى به فادركهم فى خمسمائة وقيل سبعمائة فاستنقذ منهم عشرا وفروا بباقيها كما فصل فى السير (قال) أبو قتادة (فما ضرب) الجرح وأثر السهم (على) أى ما آلمنى ولا أوجعنى ضربانه ولا سلط على ضربانه من الضر بان يقال ضرب الدهر بمعنى ألم (ولاقاح) أى سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شئ كالماء أصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذى والبيهقى (وروى النسائى) والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه والنسائى بالهمزة نسبة لنساء بلدة و يقال نسوى بالواو أيضا وأبو عبد الرحمن ابن أحمد بن شعيب بن على بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفى سنة ثلاث وثلاثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتأخر عن الثلاثمائة من أصحاب السنن غيره (عن عثمان بن حنيف) بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغرا وهو أخو عباد وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه أحمد وأصحاب

السنن وهو من الاشراف ولى سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرره هذا الحديث قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغى للقاضى ان يذكر سنده ليعلم انه صحابى لئلا يتوهم ان النسائى سمع منه ومثله سهل (ان أعمى) لم يذكروا اسمه (قال يا رسول الله أدع الله لى ان يكشف عن بصرى) المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها أو شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات والرؤية بازالته ففيه استعارة (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمراله (انطلق) أى قم من مجلسك هذا (فتوضأ) أمر بالوضوء (ثم صل ركعتين) نافلة وتسمى صلاة الحاجة ومنه أخذ ان كل من أهمه أمر ينبغى له ويستحب ان يصلى قبل الدعاء تقربا الى الله (ثم قل اللهم) أى يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه فى غير هذا المحل (انى أسالك) وأطلب منك حاجتى هذه (وأتوجه اليك) أصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد لاخلاص فى القصة للدعاء والتوسل (بنبيك) وفى بعض النسخ بنبيي بالاضافة الى ياء المتكلم (محمد نبى الرحمة) بدل من نبيك أو عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى خطاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه واسطة فى كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهى (يا محمد انى أتوجه بك الى ربك) أى أتوسل بك فيما طلبته من الله وهو (ان يكشف عن بصرى) حجابه المانع له عن الرؤية وفيه مقدر أى فدعا فابصر ونداؤه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن فى الدعاء مأثورا مأمورا به كما هنا لقوله تعالى قل اللهم الى آخره فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداءه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه تحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدل صلى الله تعالى عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا الامته وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى وهذا الحديث مسند صحيح أخرجه الترمذى والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكى فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعا به من غير تأخر وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه (اللهم شفعه) أى أقبل شفاعته (فى) وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فى الدنيا برد بصره أو شفاعته له فى الآخرة أو ما يشملهما وهذا أولى ومنه علم استحباب الدعاء عقب الصلاة (وروى) بالبناء للمجهول والراوى له الواقدى وأبو نعيم عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) قال البرهان الحلبى ان ابن ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته وأما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة سمى ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد فى طرف الرمح يعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمى بذلك لانه فى يوم سوبان برنة طوفان وهو يوم كان فيه بين قيس وتميم وقعة وكان أخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر فى ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت وأسلمت ابن مالك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو أبو براء عامر وذكره بعضهم فى الصحابة وقال الذهبى الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترس (أصابه استسقاء) أصل

ان أعمى قال يا رسول الله أدع الله ان يكشف لى عن بصرى أى يزيل عنه ما حجبه (قال انطلق) وفى نسخة صحيحة فانطلق أى اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك) أى ملتجئا ومتوسلا (بنبى) وفى رواية بنبيك (محمد نبى الرحمة يا محمد) فيه التفات (انى أتوجه بك الى ربك ان يكشف لى عن بصرى اللهم) التفات آخر (شفعه فى) بتشديد الفاء والياء أى اقبل شفاعته فى حقى (قال) أى عثمان الراوى (فرجع) أى الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من باب سوء الادب فى ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجى بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه أو قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذى أيضا وقال حسن صحيح غريب والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه فى الصلاة والحاكم والبيهقى وصححاه (وروى) كما رواه أبو نعيم والواقدى عن عروة (ان ابن ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح أيضا وتعبيره بالملاعب أبلغ من اللاعب سمى به لتقدمه وشجاعته فكانه يلاعبها قال الحلبى لا أعرف ابنه وأما هو فعامر بن مالك عم عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم فى الصحابة لكن قال الذهبى فى تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام فى قصة بئر معونة (أصابه استسقاء) أى المرض المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء أصفر فى البطن

معناه

(فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى واحدا يستشفيه (فاخذ) أى النبي عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة فى حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثوه ويحثيه والمعنى أخذ قبضة منها (فتفل عليها) أى بصق قال أبو عبيد النفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) أى الذى جاء من عنده (فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء أو فتحها أى يظن أو يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاى فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضمير به راجع الى ابن الملاعب وذلك لما شاع فى هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) أى بالحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا ومنونا وهو حرف كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار أى حرفها وطرفها ويقال أشفى المريض على الموت وما بقى الا شفا أى قليل وأشفى عليه أشرف أى والحال انه مشرف على الموت (فشربها) أى بانضمامها الى ما عنده من الماء فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) أى عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلى) بضم المهملة وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان أبو جعفر العقيلى مكى ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم فى الحفظ توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) أى بالراء وبالاول رواه البيهقى والطبرانى ورواه ابن أبى شيبة بالثانى واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا (ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيأ) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما أصابه فقال كنت أمرن جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى نفخ (فى عينيه فابصر) أى بهما (فرأيته) أى أبى بعد ذلك (يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين) أى سنة كما فى رواية وفى رواية وان عينيه لمبيضتان فى المواهب رواها ابن أبى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وأبو نعيم

معناه طلب السقى وهو اسم مرض معروف قال فى الاساس سقى بطنه واستسقى وبه سقى بكسر السين وهو ان يقع الماء الاصفر فى بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من أصابه منه (فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه أسلم بخلاف أبيه كما مر (فاخذ) صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده أمره (بيده) الشريفة (حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء أيضا وهو ملء يده أو يديه وهو من التراب هنا (فتفل) بفتح المثناة الفوقية والفاء وفى نسخة بصق (عليها) أى الحثوة من ماء فمه المبارك (ثم أعطاها) أى حثوة التراب (رسوله) الذى أرسله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذها متعجبا) مما أعطاه وان مثله لا يداوى به الاستسقاء بل يزيده لان مبدأه سدة فى الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين (يرى) بفتح الياء وضمها أى يظن (ان قد هزئ به) الضمير للرسول أو لمرسله وهزئ بالبناء للمجهول ويجوز فيه بناء الفاعل أيضا (فاتاه بها) أى بالحثوة (وهو) أى ابن ملاعب الاسنة على (شفا) بفتح الشين المعجمة والفاء مقصور أى قريب من الموت وأصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر قال الله تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله (فشربها فشفاه الله) تجنيس بديع أى وضعها فى ماء وشربها فشفاه الله ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وذكر العقيلى) بالتصغير وهو الامام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكى صاحب كتاب الضعفاء الذى رتبه الهيثمى وهو ثقة جليل توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) حبيب بفتح الحاء المهملة وبموحدتين بينهما ياء مثناة تحتية وقيل انه بخاء معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفاء ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل براء مهملة ذكره الذهبى فى الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلامانى وقد اضطرب فيه وفى اسمه وأخرج حديثه هذا البيهقى والطبرانى وابن أبى شيبة فى مسنده عن رجل من بنى سلامان عن أمه أن خاله حبيب بن فديك حدثها ان أباه خرج به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعيناه مبيضتان فسأله ما أصابه فقال كنت أقود جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فاصيب بصرى فلا أبصر شيأ والى بعض ما ذكر من الاختلاف فى اسمه أشار بقوله (ويقال فويك) بواو وبراء بدل الدال (ان أباه ابيضت عيناه) لغشاوة غطتهما أو هو عبارة عن العمى (فكان لا يبصر بهما شيأ فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمثلثة أى تفل ريقه (فى عينيه فابصر) بهما وذهب عنه عماه فى ساعته (فرأيته يدخل الخيط فى الابرة) لقوة بصره وصحته (وهو ابن ثمانين سنة) وهو ممن يضعف فيه بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس فى الحديث ان البياض لم يزل بعينيه مع شدة نظره وقوته وانه أعظم فى المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح به

(ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد فى نحره) أى صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء وبكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجى لا أدرى من رواه انتهى قال الحلبى كلثوم بن الحصين أبو رهم الغفارى شهد أحدا وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فى عمرة القضاء وعام الفتح وأصيب بسهم فى نحره فسمى المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهرى عن ابن أخيه عنه وقد أخرج له أحمد فى المسند والبخارى فى كتاب الادب المفرد وليس له فى الكتب الستة شئ (وتفل) أى بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم (على شجة عبد الله بن أنيس) بالتصغير والشجة الضربة فى الوجه والرأس فقط وقد يسمى بذلك ما يكون فى سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من أمد الجرح صارت فيه مدة أى قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح فى ذلك الجرح والحديث رواه الطبرانى وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك وا كرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة أميال من خيبر ندم اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطعن له عبد الله بن أنيس وهو يدير السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل فى عينى على يوم خيبر وكان) أى على (رمدا) بفتح الراء وكسر الميم أى ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفى الحديث لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (فاصبح بارئا) بكسر الراء بعدها همزة أى فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى ففى البخارى فى غزوة خيبر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أين على ابن أبى طالب فقالوا يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن أبيه قال فارسلنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى على فجئت به أقوده أرمد فبصق فى عينيه فبرأ وعند الطبرانى من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم من حديث على فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومى هذا

لا

لانه معلوم (ورمى) بالبناء للمجهول (كلثوم بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو أبو رهم الغفارى الصحابى وهو من أصحاب الشجرة وشهد أحدا واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح (يوم أحد) لما وقع السهم فى نحره وخشى الموت من وقوع السهم (فى نحره) أى مقدم عنقه عند حبل الوريد الذى لا يعيش من جرحه (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى فى نحره ومحل جراحته (فبرأ) بفتحات وهمزة مقصورة آخره يقال برئ أيضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت أى حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجوه (و) روى الطبرانى حديثا مسندا فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (تفل) بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات أى بصق (على شجة عبد الله بن أنيس) الشجة بفتح الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة ضربة فى الوجه أو الرأس وقد تطلق على ما فى غيرهما من الجسد والمعروف الاول وأنيس مصغر بن أسعد بن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهنى الانصارى الصحابى شهد أحدا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما جمع جمعا من غطفان لغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن أنيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن أنيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن أنيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تفل فى شجته (فلم تمد) بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة أى لم يبق فيها مادة وقيح يقال أمد الجرح اذا صارت فيه مدة وهى القيح كما فى الصحاح وغيره والمدة بكسر الميم (وتفل فى عينى على) ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد (يوم خيبر وكان رمدا) بزنة حذر منصوب منون أى به رمد والرمد وجع العين (فاصبح بارئا) أى صار بارئا فى الحال لانه تأخر برؤه الى وقت الصباح وأصبح له معنيان هذا أحدهما والحديث بتمامه فى الصحيحين وغيرهما وفى دلائل البيهقى عن بريدة كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربما أخذته الحمى فيمكث اليوم أو اليومين

لايخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج فاخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم أخذها عمر رضى الله تعالى عنه وقاتل فلما خرج وأخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح وجاء على وقد عصب عينيه فقال ادن الى وتفل فى عينيه ففتحهما وأعطاه الراية وروى انه وضع رأسه فى حجره ثم بصق فى راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال به لتفضيل على مشهور وغير محتاج للبيان (و) فى صحيح البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) من حينها والضمير للساق لانها مؤنث سماعا أوللضربة وبرءها بذهاب أثر الجراحة والتحامها (و) روى عبد بن حميد فى تفسيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نفث (فى) جراحة (رجل زيد بن معاذ) أى جعل ريقه عليها (حين أصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت) رجله أى جراحتها واعترض البرهان الحلبى على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة فى السير ورواها مسلم فى الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا فى قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لايعرف فى الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الى أحد أجداده والى جد اعلى له وهو خلاف الظاهر والجرح الذى فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قصة كعب انما هو الحارث بن أوس ابن معاذ بن النعمان بن أخى سعد بن معاذ الاشهلى وقد سمى البخارى الذين قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن أوس بن سعد بن النعمان وهو الذى تفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن أوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمسانى ان العزيزى نقل فى تفسيره فى سورة الحشر ماذكره المصنف بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو وابن أخى سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ماقاله الاعن تحقيق وقع له ولايخفى مافيه فانه مصادم للمنقول الصريح ومثله لايقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودى من بنى نبهان وقصته كما فى السير انه لما أصيب أصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكى أصحاب القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى أذاهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من لابن الاشرف فانه أذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الاشهل أنا لك به يارسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع وأقام ثلاثا لايأكل الطعام ولايشرب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لاأدرى أفى به أم لا قال عليك الجهد فقال لابد ان نقول فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم فى حل من ذلك فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة وسلكان ابن سلامة أبو نائلة الاشهلى وكان أخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وأبو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك ياابن الاشرف انى جئتك لحاجة أذكرها لك فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد أخبرتك ان الامر سيصير لما أقول فقال انا لانحب ان ندعه حتى ننظر لم يصير شانه وانى قد جئتك أستسلفك وقال الدمياطى الذى تحدث معه أبو نائلة وهو الذى نزل له كعب من

(ونفث) أى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت) بفتح الراء وفى نسخة فبرئت بكسر الراء وهى لغة أهل الحجاز وفى نسخة فبرأ وفى رواية فما اشتكاها قط رواه البخارى (وفى رجل زيد بن معاذ) أى ونفث فيها (حين أصابه السيف الى الكعب) أى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى وقصته مشهورة (فبرئت) أى رجله رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى أيضا لكن قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن أوس ورواه البيهقى من حديث جابر وذكر بدله عباد بن بشر وهو ممن حضر قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبى لاأعرف انه ذكر فى هذه الواقعة بل ولا فى الصحابة أحد يقال له زيد بن معاذ الا ان يكون أحد نسب الى جده أو جد له أعلى بل الذى جرح فى رأسه أو رجله على الشك من الراوى فى قتل كعب ابن الاشرف انما هو الحارث بن أوس بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم أحد وله ثمان وعشرون سنة وقيل الذى حضر كعبا هو الحارث بن أوس بن النعمان الحارثى وقد حكى الذهبى القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى فى رواية البخارى الذين قتلوا كعبا منهم الحارث بن مسلم وكذا مسلم فى الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن أخى سعد بن معاذ وانه نقله غير القاضى كذلك ولعلهما اطلعا على المراد

حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك ما تثق به قال ارهنوا أبناءكم ونساءكم قال أردت ان تفضحنا فانت أشب أهل يثرب وأعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها الوفاء وأراد ان لا ينكر بمجيئهم مسلحين ولى أصحاب جاؤا لذلك فرجع الى أصحابه وأمرهم ان يأخذوا السلاح ويجتمعوا اليه فلما اقبلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع في ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به أبو نائلة وكان كعب حديث عهد بعرس فقالت له امرأته انك رجل محارب لا ينبغي لك الخروج في مثل هذا الوقت وان في الصوت لسواء وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعي لطعنة ليلا أجاب * والبلاء موكل بالمنطق * فقال لها انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني وبرز لهم في ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا امش بنا الى شعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة ثم وضع أبو نائلة يده على رأسه ثم شمها وقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر من هذا ثم تماشى ساعة وفعل مثل ذلك ثم أخذ بفود رأسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة أشرف عليه أهل الحصون فلما قتلوه أتوا برأسه ويقال انها أول رأس حملت في الاسلام وقيل بل هي رأس أبي عزة الجمحي وقيل رأس عمرو بن الحمق فأصاب الحارث بن أوس سيف من أصحابه برجله فابطأ عليهم ثم أتاهم يتحامل فحملوه آخر الليل وأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فأخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المصنف على ما فيه وفي هذه القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بما لا يجوز بما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد أجاب عنه الفقهاء وغيرهم بانه لم يقصد ظاهره وهو من المعاريض التي تجوز لمصلحة واذا تأملت ما قالوه تجده يحتمل المدح وقد أذن لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وسيأتي تفصيله في محله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفي قوله الى الكعب نكتة يعني ان الصدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكانه قصد تجنيسا لان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكانه قال جرح الى الكعب في قصة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتأمل (و) نفث (على ساق علي بن الحكم يوم الخندق) علي هذا صحابي وهو أخو معاوية بن الحكم السلمي وهذا الحديث أخرجه أبو القاسم البغوي في معجمه كما قاله السيوطي ويوم الخندق هذا كان في غزوة الاحزاب سمي به لان سلمان رضي الله تعالى عنه أشار على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يعمله ملوك الفرس قال الطبري ان أول من عمله منوشهر بن أيدج بن فريدون وهم يزعمون ان فريدون ابن اسحق وأكثرهم على خلافه وخندق معرب كنده ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية (اذ انكسرت) أي ساقه لانها مؤنثة وهي ما بين القدم والركبة (فبرئ) أي صح وزال ما به من الكسر ويقال برئ كعلم وبرأ كضرب وآخره مهموز (مكانه) بالنصب على الظرفية أي كائنا في مكانه وسرجه الذي ركب عليه (وما نزل عن فرسه) الذي كان عليه لما جاءه يستشفيه قال أبو القاسم البغوي باسناده عن معاوية بن الحكم عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل أخي علي بن الحكم فرساله الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال بسم الله فما أذاه شئ منها وقد عده أبو حاتم البغوي في الثقات (و) روى البيهقي في الدلائل عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه قال (اشتكى علي ابن أبي طالب) رضي الله تعالى عنه مرضا والمرض يسمى شكاة (فجعل يدعو) الله تعالى لما ضجر كما سيأتي (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمعه (اللهم اشفه أو عافه) شك من الراوي في لفظه والمعنى واحد (ثم ضربه برجله) ليقوم من مضجعه (و) قام و (ما اشتكى ذلك الوجع بعد) مبني على الضم أي بعد ضربه أو دعائه أو هما ولفظ البيهقي عن عبد الله بن سلمة قال سمعت

(وعلى ساق علي بن الحكم) بفتحتين صحابي وهو أخو معاوية بن الحكم السلمي (يوم الخندق اذ انكسرت) أي نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفي نسخة فبرئ (مكانه) أي ولم يتعد زمانه (وما نزل عن فرسه) أي والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه اذ جاءه يستشفيه رواه أبو القاسم البغوي في معجمه (واشتكى علي ابن أبي طالب) أي مرض أو اشتكى وجعا (فجعل) أي شرع على أو قصد (يدعو) أي يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روي بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (أو عافه) والشك من الراوي (ثم ضربه برجله) أي لتصيبه بركة فعله بعد أثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال أي ما شكا بعد دعائه واصابة رجله لبعض أجزائه رواه البيهقي

(وقطع أبو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبي والمعروف ان ابن أبي جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وكذا نقله أبو الفتح اليعمري ابن سيد الناس عن القاضي عياض ثم قال معوذ صحابي معروف قتل يوم بدر وهو من جملة أربعة عشر قتيلا من المسلمين في وقعة بدر رضي الله تعالى عنهم أقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) أي معوذ أو معاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عليها (فألصقها فاصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته أيضا) وكذا رواه البيهقي عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفي نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح وأما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير في النسخ وهو موافق لما في القاموس ومطابق لما ذكره الحلبي وضبطه الدلجي بمهملة وبيائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح أوله وكسر ثانيه (أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حال كونه معه أي بقربه (بضربة على عاتقه) أي ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف أي أحد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) أي التأم قال الحلبي وخبيب هذا خزرجي شهد بدرا وأحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه في الطريق فأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك الى النار وتوفي في خلافة عثمان

عليا رضي الله تعالى عنه يقول أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا شاك أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فأعدت عليه فقال اللهم اشفه أو قال اللهم عافه قال علي رضي الله تعالى عنه فما اشتكيت وجعي ذلك بعد (وقطع أبو جهل يوم بدر) اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان المعروف ان القاطع عكرمة ابن أبي جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب أباه وقد نقله ابن سيد الناس عن المصنف رحمه الله (يد معوذ) بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة (بن عفراء) بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة ومدة اسم أمه وهو من جملة شهداء بدر وهم أربعة عشر ومعوذ بن الحارث بن رفاعة النجاري الانصاري رضي الله تعالى عنه وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بأمه هو وأخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ ابن عفراء الى زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفراء قتل أبا جهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه وأجهضه القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما آذته وضع عليها قدمه فقطعها (فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألصقها فاصقت) كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي تفله عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله (رواه ابن وهب) وقد علمت مخالفة ما رواه ابن اسحق وصححه ابن سيد الناس والمصنف رحمه الله تعالى في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه يخالف ما قاله ابن اسحق لجواز كون معاذ قطعت يده أيضا وعكرمة قطع يد أخيه معاذ وأبو جهل نفسه قطع يد معوذ وألصقها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغي ذكره من غير تثبت (ومن روايته) أي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي (أيضا) كروايته الاولى (ان خبيب) بالتصغير وخاء معجمة وموحدتين تصغير خب وهو المغفل (ابن يساف) بكسر الياء آخر الحروف وسين مهملة وألف وفاء ويقال اساف بهمزة مكسورة (أصيب) بالبناء للمجهول أي أصابته ضربة بسيف (يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة على عاتقه) وكتفه (حتى مال شقه) الذي أصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رد عضوه الى مكانه الذي كان فيه (ونفث عليه حتى صح) أي التأم وعاد كما كان فيه ويساف هو ابن عيينة بن عمرو الخزرجي شهد ابنه خبيب بدرا وأحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه وأسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتأم فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل أباك

(وأتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبي به بلاء) أي عارض (لا يتكلم) أي بسببه (فأتي بماء فمضمض فاه) أي فمه (وغسل يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم أعطاها اياه) أي الماء (وأمرها بسقيه) أي بشرب الصبي منه (ومسه به) أي مسحه بلله ووقع في أصل الدلجي وأمرها ان تسقيه ومس به أي مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبي بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الضاد المعجمة وتفتح أي يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن أبي شيبة عن أم جندب مرفوعا (وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) أي النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما أي قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفي) بصيغة المجهول أي برئ من جنونه وفي نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملتين أي مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب أو المبتلى وهو الانسب والحديث رواه أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ففي مسند أحمد حدثنا حماد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا فقال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو والاسود فشفي وقد ذكره أحمد أيضا من طريق أخرى فقال حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع أي سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئة أي فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء أي انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فموحدة وفي نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة قيل هو أول من سمي في الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل

عليه)

الى النار والى ذلك أشار المصنف بما ذكر (و) روى ابن أبي شيبة عن أم جندب أنه صلى الله عليه وسلم (أتته امرأة من خثعم) بخاء معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منهم هذه المرأة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم (معها صبي) وهو ابنها (به بلاء) وهو ما يبتلى به الناس وفسره بقوله (لا يتكلم) فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان أخرس أو أبكم وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستأنف وهذا هو المراد كما سيأتي (فأتي بماء) بالبناء للمجهول أي أمر من يأتيه بماء في أناء فأتاه به (فمضمض فاه) مضمض متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الماء في الفم فذكر الفم بعده تجريدا وهو لازم ضمن معنى غسل (وغسل يديه) بذلك الماء (ثم أعطاها اياه) أي أعطى المرأة ذلك الماء الذي رده في أنائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه (وأمرها بسقيه) أي أمر المرأة بان تسقي الصبي من ذلك الماء (ومسه به) مصدر مضاف للمفعول أي مسحه بالماء (ف) لما فعلت ما أمرها به (برأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بزنة يقعد ويرقد (عقول الناس) أي يزيد على عقول الناس الذي من أمثاله وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما أي جنونا يأخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة أي تقيأ فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكر القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم صدره) بيده المباركة الشريفة (فثع ثعة) بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة أي قاء مرة واحدة كذا قاله أهل اللغة وقال بعض أهل اللغة ثع بمعنى سعل وروى الحديث من طرق متعددة (فخرج من جوفه) وبطنه (مثل الجرو الاسود) بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء أيضا وهو يحتمل هنا وجمعه أجر كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها ياء (فشفي) بالبناء للمجهول أي شفاه الله (و) في حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا مصححا فيه انه (انكفأت) بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تأنيث ساكنة أي انقلبت (القدر) التي يطبخ فيها أي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة (على ذراع محمد بن حاطب) بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو أول من سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي لذلك (وهو طفل) صغير والجملة حالية وفيه تقدير أي فخرق ذراعه (فمسح عليه) أي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح على ذراع محمد أو على محمد نفسه (ودعا له وتفل

عليه) أى نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفى نسخة وتفل فيه (فبرأ لحينه) من غير بطء ومثله يكون فى أيام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابى ابن صحابى توفى عام أربع وسبعين بمكة وقيل بالكوفة (و) فى حديث رواه الطبرانى والبيهقى مسندا (كانت فى كف شرحبيل) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب عن الاصمعى شرحبيل أعجمى وكذا شراحيل وايل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند أهل اليمن ورأى أكثر البصرية خلافه بل شرحبيل كقذعميل وشراحيل كسراويل جمع سمى به أو بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربى غير منصرف (الجعفى) بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابى ذكره الذهبى (سلعة) بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح أراد الشجة لا وجه له فانها لغة والكل بمعنى ولا ينافى كون السلعة بمعنى الشجة كما فى القاموس والسلعة المتاع الذى يباع أيضا (تمنعه) أى تلك السلعة لكونها فى داخل كفه (القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به الفرس ونحوه (فشكاها) أصله شكى منها لضررها له (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها) أى يريد كفه الشريف عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء ونون كسأل يسأل (حتى رفعها) أى حتى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) فى كفه يضره ويمنعه وفى قوله يطحنها استعارة (و) فى حديث رواه الطبرانى عن أبى امامة انه صلى الله عليه وسلم (سألته جارية طعاما) أى امرأة صغيرة السن أو خادمة لبعض أهل المدينة (وهو يأكل) جملة حالية أى حال تناوله من طعامه (فناولها) أى أعطاها (من بين يديه) أى من طعامه صلى الله عليه وسلم الذى كان بين يديه (وكانت) الجارية (قليلة الحياء) من الناس لوقاحتها (فقالت) الجارية له صلى الله تعالى عليه وسلم (انما أريد) بسؤالى ان تناولنى (من الذى) وضعته من الطعام (فى فيك) وقصدت التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى (فناولها ما فى فيه) ولم يحرمها ولم يردها بعنف (ولم يكن) صلى الله عليه وسلم (يسأل) بالبناء للمفعول أى يسأله أحد (شيأ فيمنعه) بالنصب فى جواب النفى فلما استقر) الطعام الذى ناولها من فيه (فى جوفها ألقى) بالبناء للمفعول أى ألقى الله (عليها من الحياء) بالمد وأما بالقصر فهو المطر (ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها) أى حياء لم يكن فى امرأة غيرها لشدته ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم فما موصولة أو موصوفة فى محل رفع نائب فاعل ألقى والجملة صلة أو صفة بتقدير العائد أى ما لم يكن به أى بسببه وذكر هذا الان قلة الحياء من العاهات النفسية والجبلة الخبيثة التى يصعب زوالها فمناسبة الحديث ظاهرة هنا وفى هذا الباب من أمثال ما ذكر أحاديث كثيرة من أرادها فعليه بالنظر فى مطولات كتب الحديث

* (فصل فى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم) * أى دعائه للناس وعليهم (وهذا) الامر المذكور هنا والاجابة وذكرها رعاية للخبر فى قوله (باب واسع جدا) بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو فى الاصل ضد الهزل ثم استعمل فى معنى الزيادة المفرطة المحققة هنا وهو ظاهر (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة) أى لاجل ناس استحقوا ذلك سواء كان ذلك لهم أو عليهم كما أشار اليه

فيه فبرأ لحينه) أى على فوره رواه النسائى والطيالسى والبيهقى (وكانت فى كف شرحبيل) بضم أوله ويقال له شراحيل (الجعفى) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهى زيادات تحدث فى الجسد بين الجلد واللحم كالغداة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين أى لجامها أو زمامها (فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء أى يعالجها ويفحصها بكفه (حتى رفعها) أى أزالها من كفه (ولم يبق لها أثر) أى فى محلها رواه الطبرانى والبيهقى (وسألته جارية) أى بنت أو مملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) أى بعض ما لديه (وكانت) أى قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها لخلل كان بعقلها (فقالت انما أريد من الذى فى فيك) أى فى فمك (فناولها ما فى فيه ولم يكن أى من عادته يسئل شيأ فيمنعه) بالنصب على جواب النفى (فلما استقر) أى مأكولها الذى ناولها (فى جوفها ألقى عليها من الحياء ما) أى شئ عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة فى المدينة) أى فضلا عن غيرها (أشد حياء منها) أى ببركته ويمن همته

* (فصل) * (فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) أى لقوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) أى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر أى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما

فدعالهم) أي بالخير تارة (وعليهم) أي بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمساني فكأنه أوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا أمر متواتر في الجملة) وفي نسخة على الجملة أي لا على التفصيل (معلوم ضرورة) أي عند أهل السيرة (وقد جاء في حديث حذيفة) أي من رواية أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا الرجل أدركت الدعوات) أي أثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر أبيه ويؤيده قوله تعالى وكان أبوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال) المصنف (حدثنا أبو محمد العتابي) بتشديد الفوقية (بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بكسر التاء (ثنا أبو الحسن) وفي نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (القابسي) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري صاحب الجامع وقد أخرجه مسلم أيضا (ثنا عبد الله بن أبي الاسود) أي البصري من رواية مالك (ثنا حرمي) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته أبو عمارة ابن أبي حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قالت أمي) وهي أم سليم بنت ملحان (يارسول الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله) أي حلالا (وولده) أي صالحا (وبارك له فيما آتيته) أي أعطيته من المال والولد فاوتي مالا كثيرا وأولادا مات له في الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير أولاد أولاده

بقوله (دعا لهم وعليهم) فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه أوصل لهم بدعائه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضرر كأنه أنزل عليهم البلاء وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما أعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعائه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التشخيصي وقد أدرج شيأ مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى (متواتر على الجملة) أي متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده (معلوم ضرورة) أي بعلم ضروري غير محتاج لدليل (وقد جاء) أي ورد في حديث رواه أحمد بن حنبل (في حديث حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا الرجل أدركت) أي وصلت وأثرت (دعوته) المستجابة (ولده وولد ولده) فوصل أثرها لهم وظهر فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (حدثنا أبو محمد العتابي) هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما تقدم (بقراءتي عليه) من صحيح البخاري قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) الذي تقدمت ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالجمع بين الاسم والكنية قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) الحافظ السابق ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزي) نسبة لمرو كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري قال (حدثنا عبد الله بن أبي الاسود) واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حرمي) بفتح الحاء والراء المهملتين وهو حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين قال (حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس) رضي الله تعالى عنه تقدم تراجم هؤلاء كلهم (قال) أنس رضي الله تعالى عنه (قالت أمي) لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسم أمه رميلة وقيل الرميصاء وهي أنصارية صحابية وهي أم سليم (يارسول الله خادمك أنس) بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته أبو حمزة وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا أعلم أحدا مات بعده غير أبي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا فروى عنه ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا (ادع الله تعالى له) ولم تعين الدعوة بل فوضته اله صلى الله عليه وسلم (قال اللهم أكثر ماله وولده) أكثر وكثر بمعنى (وبارك له فيما آتيته) أي فيما أعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغنى على الفقير وارتضوا ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي * ان

من

من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ودعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما أوتي لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق وهو غنى محمود (ومن رواية عكرمة) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كما أخرجه مسلم (قال أنس فوالله ان مالي لكثير) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان ولدي وولد ولدي) لكثير لما مر (ليعادون اليوم) المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم الياء المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة وألف بعدها دال مهملة مشددة وواو جماعة ونون أي يزيدون (على نحو المائة) وهو مفاعلة من العدد وروي في الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفاء بالروايتين أيضا وفي الاساس بنو فلان يتعادون على بني فلان أي يزيدون انتهى كأن بعضهم يعد بعضا ثم عبر عما ذكروا قيم والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق (وفي رواية) قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها (وما أعلم أحدا أصاب) أي وجد عنده (من رخاء العيش) أصل الرخاء بفتح الراء المهملة وخاء معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى المعيشة (ما أصبت) أي كالذي أصبته أنا (ولقد) جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم (دفنت بيدي) بالتثنية (هاتين) اشارة ليديه ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف (مائة من ولدي) ثم بين ان المراد بالولد أولاده الكبار اصلبه فقال (لا أقول) ان الولد كان (سقطا) بتثليث السين المهملة وهو ما سقط من بطن أمه قبل مدة تمام حمله وأوان ولادته (ولا ولد ولد) نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر أي لا أقول دفنت سقطا الى آخره والجملة مقول القول وحديث أنس هذا صحيح روي من طرق مختلفة في ألفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة وفي الوفاء لابن الجوزي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في دعائه له واطل حياته وان أنسا قال فأكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمي وأم حرام خالتي فقالت أمي يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا لي اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه أيضا جاءت أمي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقال هذا ابني أتيتك به يخدمك فدعا له وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر بأمي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها ه (تنبيه) قال ابن قتيبة ان ثلاثة من أهل البصرة رزق كل منهم مائة ولد لصلبه أنس وأبو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان ان تميم بن المعتز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى (ومنه) أي من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقي (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف) الصحابي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو من أغنياء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وترجمته معروفة (بالبركة) أي بأن يبارك الله تعالى له فيما رزقه (قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي (لرجوت) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان أصيب) وأجد

(ومن رواية عكرمة) أي على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفي اليمامي وكان مجاب الدعوة (قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال أي يعد بعضهم بعضا وليزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمساني وفي رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفي رواية) وهي غير معروفة (وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش) أي سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما أصبت) أي ببركة دعوة صاحب النبوة وأثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر وأجيب بأنه مختص بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدي) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذي يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) أي لا أحسبها في العدد قال الحلبي واعلم ان في البخاري في الصوم من رواية حميد عن أنس قال حدثتني ابنتي أمينة انه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة عشرون ومائة قيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك أولاد كثيرة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن أبي صفرة البصري ثلاثمائة ولد (ومثله) وفي نسخة صحيحة ومنه أي ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقي (قال) أي عبد الرحمن كما في نسخة صحيحة (فلو رفعت حجر الرجوت ان أصيب

(تحته ذهبا وفتح الله عليه) أى يسر له أمور الدنيا بسهولة وتقدم ان أصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال الله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شئ أى وسعنا عليهم باقبال أنواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة آخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى مالا كثيرا (ومات) فى سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس أو ثلاث أو اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع (فحفر الذهب من تركته بالفؤس) الحفر معروف وهو فى الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعه لانه فى صدر الاسلام لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تأتى من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة سبائك وقطعا توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما أريد قسمتها كسرت والتركة بفتح أوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤس بضم الفاء والهمزة تليها واو ساكنة بزنة كؤس جمع فاس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل ألفا (حتى مجلت فيه الايدى) بفتح الميم والجيم ويجوز كسرها وفى آخره لام وتاء تأنيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمجل تغير يكون فى اليد من كثرة العمل حتى خرج فى أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم (وأخذت كل زوجة) واحدة من زوجاته (ثمانين ألفا) لم يبين هل هى ذهب أو فضة وهل هى مثاقيل أو دراهم الا أنه وقع التصريح فى رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم (وكن) أى زوجاته التى مات عنهن وورثنه (أربعا) من النسوة (وقيل) ان نصيب كل واحدة من هؤلاء الزوجات الاربع (مائة ألف وقيل بل صولحت) بالبناء للمجهول (احداهن) أى صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة (لانه طلقها فى مرضه) الذى مات فيه والمطلقة فى مرض الموت ترث اذا مات وهى فى العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها بشروط مفصلة فى كتب الفقه وهو مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى عليه وخالفه فى ذلك الشافعى رحمه الله تعالى عليه فى أحد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل فى كتب الفقه وليس هذا محله (على نيف) بفتح النون وتشديد الياء المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه (وثمانين ألفا) من الدنانير (وأوصى بخمسين ألفا) من الدنانير كما ذكره الطبرانى فى الرياض النضرة قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار فى سبيل الله وأوصى بحديقته لامهات المؤمنين فبيعت باربعمائة ألف وأوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وبالف فرس فى سبيل الله وهذا كله (بعد صدقاته الفاشية) أى الظاهرة المشهورة من فشى السر اذا شاع (فى حياته وعوارفه العظيمة) جمع عارفة وهى ما يعتاد من الاحسان والعطايا بجعل المعروف عارفا مبالغة فى مدحها وهو من لطائفهم المشهورة ثم أشار الى شئ مما ذكر فقال (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير) بكسر العين المهملة وهى الجمال التى تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أى جاءته مع قافلة أرسلها للتجارة (تحمل من كل شئ) أى عليها أحمال من أمور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفى أى من كل ما عهد جعله للتجارة (فتصدق بها) أى بالابل (وبما عليها) من طعام وغيره (باقتابها) جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير ايقيه

تحته ذهبا وفتح الله عليه) أى فتوحات كثيرة وأموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول أى استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر أى متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فأس بالهمزة ويبدل كراس ورؤس وكأس وكؤس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر أى تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى وأخذت كل زوجة) أى من زوجاته (ثمانين ألفا وكن أربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون ألفا (وقيل مائة ألف) بالنصب أى أخذت كل واحدة منهن مائة ألف فجملته أربعمائة ألف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه) أى الذى مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها أى زيادة بمعنى كسر (وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا) أى ألف دينار فى سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا أوصى بالف فرس فى سبيل الله كما ذكره الحجازى وغيره (بعد صدقاته الفاشية) أى الكثيرة الشائعة (فى حياته وعوارفه العظيمة) أى معروفاته الجزيلة قبل مماته (أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين أى بقافلة (فيها سبعمائة بعير وردت عليه) أى جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) أى من أجناس الاموال وأنواعها (فتصدق بها) أى بالابعرة السبعمائة (وبما عليها) أى من أنواع البضائع المختلفة (وباقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف لغيره.

من الاذى (وباحلاسها) جمع حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا اوائل ما ذكر فى مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصى وكان أهل المدينة عيالا عليه يصلهم دائما ويقضى ديونهم ويقوم بمؤنة فقرائهم وليس هذا محل تفصيله (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمعاوية) بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما (بالتمكن فى البلاد) التمكن تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له قال الله تعالى ولقد مكناكم فى الارض (فنال الخلافة) أى صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه أبو سعد فيه انه قال اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ومعاوية رضى الله تعالى عنه أسلم هو وأبوه وأمه هند وأخوه يزيد فى فتح مكة وقال معاوية انه أسلم فى يوم الحديبية وكتم اسلامه عن أبويه وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنائم هوازن أربعين أوقية ولما بعث أبو بكر رضى الله تعالى عنه الجيش الى الشام سار هو وأخوه يزيد معهم فاستخلفه أبو بكر على دمشق ثم أقره عمر عليها ثم أقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا الطلبه بدم عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى فى وقعة صفين مما ينبغى الكف عنه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث أخر فكان فى أول أمره أميرا لابى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل أمر على كرم الله تعالى وجهه لاجتهاد أداه لذلك فلما قتل على واستخلف ابنه الحسن رضى الله تعالى عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم رأى ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه فرجع الى المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة وأتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمى ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعدما كان الحق مع على كرم الله وجهه كما ارتضاه القاضى أبو بكر بن العربى لا متغلبا كما أشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة أو الملك لقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسيأتى الكلام على ذلك كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد أبيه ستة أشهر وقيل الخلافة بالمعنى اللغوى لانه خلف من قبله أو الخلافة اتباع السنة (و) دعا صلى الله تعالى عليه وسلم (لسعد بن أبى وقاص) أى دعى دعاء مستجابا لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه كما ورد فى حديث رواه الترمذى مسندا متصلا عن سعد والبيهقى عن قيس بن أبى حازم مرسلا وحسنا وأبو وقاص كنية أبيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهرى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أول من أراق دما فى الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآخر العشرة موتا مات سنة خمس وخمسين وله بضع وستون أو سبعون سنة وثمانون ودفن فى البقيع ومناقبه مشهورة (ان يجيب الله دعوته) أى كل دعوة له (فما دعا على أحد الا استجيب له) بالبناء للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

(وباحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلى ظهر البعير تحت القتب وفى ذكرهما مبالغة فى الاستيفاء وتأكيد للاستقصاء هذا وقد قال الحلبى الذى استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف ثم بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفى الترمذى انه أوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف قال الترمذى حديث حسن وقال الزهرى أوصى لمن بقى من أهل بدر الكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذ وأوصى بالف فرس فى سبيل الله انتهى وروى انه رضى الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى ماله (ودعا لمعاوية) أى ابن أبى سفيان (بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة) أى أصابها فى الجملة أو على وفق ما أراد اذ الصحيح انه لا يسمى خليفة على خلاف بعد نزول الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد أبيه بستة أشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذى بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه فى البلاد وقه العذاب وروى انه عليه الصلاة والسلام قال ان يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته (ولسعد ابن أبى وقاص) أى دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) أى سعد (على أحد الا استجيب له) رواه الترمذى موصولا ورواه البيهقى عن قيس ابن أبى حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعا حسنه فما استجيب له دعاء

دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا نال من علي كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخاري انه دعا على أبي سعدة اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا اسقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر ١١٨ أو بابي جهل فاستجيب له في عمر) رواه الامام أحمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم أيد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابي جهل أو بعمر ابن الخطاب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ أعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واما ما يدور على الالسنة من قولهم اللهم أيد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له أصل في المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم أبي جهل وكان يكنى أولا أبا الحكم فكناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفي نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا أعزة) جمع عزيز أي أقوياء وعظماء أو ظاهرين قاهرين (منذ أسلم عمر) قلت وفي الآية أي اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند اسلامه قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضي الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (وأصاب الناس في بعض مغازيه) أي سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) أي شديد (فسأله عمر الدعاء) أي الاستسقاء (فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب أي قدر كفايتهم (ثم أقلعت) بفتح الهمزة واللام أي اقشعت السحابة وانجلت (ودعا في الاستسقاء) أي يوم جمعة على المنبر في المدينة كما رواه الشيخان عن أنس (فسقوا) بصيغة المفعول

وداع دعا يا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وأصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله تعالى عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد الحديث ودعواته مشهورة مأثورة وقد أجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (بعز الاسلام) بان الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين (بعمر) رضي الله تعالى عنه (أو بابي جهل) لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما أو بتفرسه فيهما الا على التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين (فاستجيب له في عمر) بان هداه الله تعالى وأعز به دينه فسبقت له السعادة وسبقت الشقاوة لابي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز أهله والا فهو دائما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة وتشريكه صلى الله تعالى عليه وسلم له في الدعاء مع أبي جهل لانه لم يتعين عنده أحدهما أو لم يعينه لامر ما وقد روي من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم خص عمر بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعصى أمرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة في السير (قال ابن مسعود مازلنا أعزة منذ أسلم عمر) لانه أظهر ذلك وقاتلهم في بلدهم كما فعل حمزة أيضا رضي الله تعالى عنه فكان ذلك ابتداء الظهور وكان ما كان مما لم يجل في خواطر الامكان (و) مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة دعائه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه عن عمر رضي الله تعالى عنه (أصاب الناس في بعض مغازيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش فسأله عمر الدعاء) للناس ان يسقيهم الله من فيض فضله (فدعا فجاءت سحابة) أي ظهرت سحابة عقب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسمع نداءه فجاءه فهي تصريحية تبعية أو تخييلية كما في قوله (فسقتهم) أي شربوا من ماء مطرها وقوله (حاجتهم) مفعوله لتضمينه معنى أعطتهم حاجتهم وهي الماء الذي يزيل عطشهم (ثم أقلعت) أي انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من سائها قيل هذه الغزاة هي غزاة بدر المشار اليها بقوله في سورة الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفاء وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الاستسقاء) أي في دعائه وطلبه ان يسقيهم (فسقوا) بالبناء للمجهول

أى سقاهم الله تعالى عقب دعائه ودام السحاب يمطر (ثم شكوا اليه المطر) من كثرته ودوامه المضر بهم (فدعا) لله بأن يكف المطر ويقلع السحاب (فصحوا) أى صحت السماء وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازى وهو بفتح الحاء بزنة رموا وروى بضمها وأصله صحووا فنقل وحذف (ودعا لابى قتادة) الحارث بن ربعى الصحابى وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقى فى الدلائل وبين دعاءه بقوله (أفلح وجهك) الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوى وهو نيل ما يطيب به حياة الدنيا والبقاء فى عز وغنى وأخروى وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما فى قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (اللهم بارك له) أى لابى قتادة رضى الله تعالى عنه وتقدم معنى البركة (فى شعره وبشره) والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكنى بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يبقى معمرا على أحسن تقويم كاملا جميع أعضائه (فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة) فى نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوى وأخروى وما ذكره من تمام خلقته دنيوى فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروى لان الكريم اذا طلب منه أمران فعجل باحدهما دل على انه يعطى الآخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما أحسن الله فيما مضى * سيحسن الله فيما بقى

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للنابغة) الجعدى وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله بن عمر بن عدس بوزن عمر وفى الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبيانى ولكنه اذا أطلق يراد به هذا وهو أحد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين سنة وقيل مائتين وأربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما يأتى واجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم وأخرج له بقى بن مخلد حديثا ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهى نحو مائة بيت فى غاية البلاغة أنشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى أين يا أبا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله تعالى ثم لما أنشده صلى الله تعالى عليه وسلم قوله

ولا خير فى علم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

قال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) وروى لا يفضى الله فاك بضم أوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها ياء ساكنة مضارع أفضى كأعلى يعلى قال المرزوقى فى شرح الفصيح تقول العرب فى الدعاء عليه فض الله فاه وفى الدعاء له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضى الله فاك أى لا يجعله فضاء خاليا من الاسنان وهذا كقوله

* قد ترك البرنى فاه بادا انتهى * فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثانى على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ فى الشعر أى فاق أقرانه والهاء للمبالغة كعلامة (فما سقطت له سن) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة السن نقص فى السن فالسن الاول العمر والثانى واحد الاسنان (وفى رواية) لحديث النابغة المذكور (فكان أحسن الناس ثغرا)

(ثم شكوا اليه المطر) أى كثرته حيث خيف ضرره فى الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) أى بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم الحاء وفتحهما أى فانكشف ما بهم من السحابة (وقال لابى قتادة أفلح وجهك) جملة خبرية فى المبنى دعائية فى المعنى أى بقى وفاز وظفر (اللهم بارك له) أى لابى قتادة (فى شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين أى ظاهر جلده حتى يستمر أحسنين (فمات) أى أبو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكأنه ابن خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (للنابغة) أى الجعدى واسمه قيس بن عبد الله وقيل عكسه حين أنشده قصيدته الرائية (لا يفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية على ان لا ناهية وضمها على ان لا نافية وهى أبلغ أى لا يسقط وقيل لا يكسر من فض كسر وفرق وروى لا يفض الله فاك من الفضاء وهو الخلاء أى لا يجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) أى اسنانك أو اسنان فيك باعتبار أحد المجازين كقوله تعالى واسئل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقى وابن أبى أسامة وروى مثله عن عمه العباس قال يا رسول الله انى مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فأنشد الابيات السابقة (وفى رواية فكان) أى النابغة (أحسن الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة أى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيده الاول عموم قوله

(اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة) هو لغة في مائة وعشرين (وقيل أكثر من هذا) فقيل عاش مائة وثمانين سنة
وقيل مائتين وأربعين سنة وكان في الجاهلية يصوم ويستغفر وبقي الى أيام ابن الزبير وأخرج له بقي بن مخلد حديثا واحدا وفي
الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهم النابغة واذا أطلق فهو المراد واختلف في سبب الدعاء له فقيل قوله

بلغنا السماء في مجدنا وسناؤنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال الى أين يا أبا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله
ولا خير في علم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
تأن اذا ما أورد الامر أصدرا
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه في الدين) أي علمه ما يحتاج اليه في أمر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) أي تأويل الكتاب والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه وأريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمى) أي ابن عباس (بعد) بضم الدال أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (له الحبر) بفتح الحاء وتكسر أي حبر الامة وهو عالمها سمي به وهو المداد لزاولته له غالبا في اداء المراد وفي نسخة البحر بدل الحبر أي بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح التاء وضم الجيم وضمهما وحكي فتحهما أي مفسره ومعبره والترجمان في الاصل من يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى لغة أخرى وفي القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان

عليه

بثاء مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال أثغر الغلام بتشديد المثلثة وأتغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب تمييز (اذا سقطت له سن نبتت له أخرى) مكانها لا يخلو فمه من الاسنان (وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا) فقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وأربعين وقيل مائتين وثمانين لان دعاءه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه وأكثر أعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان لمن مدحهم بعطية وجائزة أو بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة بليغة رواها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة أوردناها هنا (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابن عباس) في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر بنيه وقوله (اللهم فقهه في الدين) معمول مقدر أي فقال أو قائلا الى آخره أي فهمه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى (وعلمه التأويل) أي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو كبار الصحابة والتأويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشيء الى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والفعل كقوله * وللنوى قبل يوم البين تأويل * وقوله تعالى يوم يأتي تأويله أي بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير وأحسن تأويلا بمعنى أحسن معنى وترجمة وقيل أحسن ثوابا في الآخرة فدعاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فأجاب الله دعاءه حتى كان معول الناس عليه في ذلك (فسمى بعد) بالبناء على الضم أي بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له أو بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم (الحبر) مفعول سمى وهو بكسر الحاء وفتحها ومعناه العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده وأصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه أي كان الصحابة وسائر الناس يسمونه بذلك لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر أو ثلاث عشر أو خمس عشرة سنة على اختلاف فيه (وترجمان القرآن) ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح أوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات أخر وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القرآن ناظر لعلم التأويل والتفسير ودعاؤه صلى الله تعالى

(ودعا لعبد الله بن جعفر) أي ابن أبي طالب (بالبركة في صفقة يمينه) أي تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من البايعان يده في يد الآخر فلو عادة (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) أي ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفي نسخة صحيحة عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهي جوالق (من المال) رواه البيهقي في الدلائل عن بضاعة بنت الزبير (ودعا بمثله) أي بمثل ما دعا للمقداد من البركة (لعروة ابن أبي الجعد) قال ابن المديني أخطأ من قال فيه عروة ابن الجعد وانما هو ابن أبي الجعد انتهى وهو صحابي مشهور وحديثه هذا رواه البخاري (قال) أي عروة كما رواه أحمد (فلقد كنت أقوم) أي أقف كما في نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع أوسوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم (فما أرجع) أي عنها (حتى أربح) بفتح الموحدة أي أستفيد أربعين ألفا يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخاري في حديثه فكان) أي عروة (لو اشترى التراب) أي مثلا (ربح فيه وروى مثل هذا) أي الدعاء بالبركة (لغرقد) بغين معجمة فراء ساكنة (أيضا) قال الدلجي لا أدري من رواه (وندت) بنون وتشديد دال أي نفرت وذهبت على وجهها شاردة (له) أي لغرقد (ناقة فدعا) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام

عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروى من طرق صحيحة منها ما روى عنه انه قال أتى صلى الله تعالى عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءا أي ماء يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى آخره قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه اعلمه بانه يحتاج لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له صلى الله تعالى عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضمه لصدره وأول من لقبه بترجمان القرآن ابن مسعود وكان أعلم الناس بالفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها وكان يجلس لامادته فكان لا يسأل عن شئ الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث (لعبد الله بن جعفر) بن أبي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي سنة تسعين أو ثمانين وروى عنه أحاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين وكان عبد الله ولده من أسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخاء (بالبركة) أي الزيادة والنماء (في صفقة يمينه) أي في بيعه وشرائه ومعاملته وسمى ذلك صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق أحدهم يده بيد الآخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطاء بها تيمنا (فما اشترى شيأ الا ربح فيه) أي وجد فيه ربحا وفائدة (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم (للمقداد) بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة ويأتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه (بالبركة) أي الزيادة في ماله (فكان عنده غرائر من المال) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري أظنها معربة قال أبو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد انتهى (ودعا بمثله) أي بمثل ما دعا للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني وأحمد في مسنده (لعروة بن أبي الجعد) البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة بن أبي الجعد وهو صحابي مشهور أخرج له الستة وأحمد وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له قيل من قال ابن الجعد فقد أخطأ وولاه عمر قضاء الكوفة (قال) عروة (فلقد كنت) جواب قسم مقدر (أقوم بالكناسة) بضم الكاف معناها القمامة ثم صارت علما لسوق مشهور بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته أي أقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد (فما أرجع) أي أعود من المحل الذي قمت فيه (حتى أربح أربعين ألفا) مما يبيعه ويشتريه (وقال البخاري فيه) أي في حديث عروة (فكان) عروة رضي الله تعالى عنه (لو اشترى التراب ربح فيه) ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مثل هذا) أي مثل حديث عروة المذكور (لغرقدة أيضا) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاه وبه سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة أهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى أبا شبيب روى عنه ابنه (وندت له ناقة) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وندماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها وأصل معناه انفردت عن اندادها وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال

ندالرجل وليس ضميراله لغرقدة كما توهمه بعضهم (فجاءبها أعصار ريح) الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السماء كأنها عمود وهى الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا (حتى ردها) الاعصار (عليه) أى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لغرقدة لايناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه وليس من هذا أيضا كما فى الشرح الجديد ما وقع فى غزوة بنى المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت ليلا فقال له صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة بن زيد فقال بعض المنافقين أيزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته فاتاه جبريل وأخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى آخر القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق آخر فيه رد الريح (ودعا) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم فيه انه دعا (لام أبى هريرة) رضى الله تعالى عنهما بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة (فاسلمت) وهداها الله للاسلام وحازت شرف الصحبة واسمها أميمة بنت صبيح بن الحرث بن دوس كما ذكره ابن بشكوال وأبوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفاء وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين ابن الاثير فى أسد الغابة وأما أبو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه وكان رضى الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره فى حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكى وقال له انى كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما أكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد أم أبى هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صبها الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرحا وقال أبشر يا رسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله تعالى أمى للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله أدع الله أن يحببنى أنا وأمى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به أحد أو يراه الا أحبه كما ذكره مسلم والبيهقى فى دلائله (ودعا) صلى الله عليه وسلم (لعلى) بن أبى طالب فى حديث رواه البيهقى وابن ماجة بسند صحيح متصل بعلى رضى الله تعالى عنه (ان يكفى) بالبناء للمجهول أى أن يكفيه الله تعالى بفضله (الحر والقر) أى المهما وهو بفتح الخاء وتشديد الراء المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة تعرض للهواء من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض للبدن من الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الراء هو البرد ويخص ببرد الشتاء كما يخص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج وأصله من القرار لان البرد يقتضى السكون والحر يقتضى الحركة كما قاله الراغب (فكان) على رضى الله تعالى عنه بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (يلبس) فى زمن (الشتاء ثياب الصيف) الخفيفة كالقميص الواحد (وفى) زمن (الصيف ثياب الشتاء) وهى المضربات المحشوة والثياب الثخينة (ولا يضيبه) أى لا يجد ويحس (حر ولا برد) أى المهما ويقصد باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف به غيره لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما فى الحجاز ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم له بخيبر لما أصابه بها رمد شديد قال عبد الرحمن ابن أبى ليلى كان على رضى الله تعالى عنه يلبس فى الحر القباء المحشو والثخين ولا يبالى بشدة الحر ويخرج فى البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالى فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم أعطى الراية يوم خيبر أبا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال

(فجاءبها) وفى نسخة صحيحة فجاءبها (أعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير فى الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود (حتى ردها) أى الاعصار الناقة (عليه) أى على غرقد (ودعا لام أبى هريرة) أى بالهداية كما رواه مسلم وغيره (فاسلمت) فعن أبى هريرة قال دعوت أمى يوما الى الاسلام وهى مشركة فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله ادع الله أن يهدى أم أبى هريرة فقال اللهم اهدى أم أبى هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت أمى خشف قدمى فقال مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أبكى من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا لعلى ان يكفى) بصيغة المفعول أى يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها وتكسر البرد أو شديده أى شرهما (فكان) أى على (يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه) ويروى ولا يسيئه ويروى ولا يسوءه (حر ولا برد) أى مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه والبيهقى

لاعطين

ودعا فاطمة ابنته ان لايجيعها) أي جوعا شديدا (قالت فما جعت بعد) أي بعد ذلك الدعاء أبدا رواه البيهقي عن عمران بن حصين (وسأله) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة (الطفيل) بالتصغير أي ابن عمرو كما في نسخة وهو ابن طريف الازدي الدوسي قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا في قومه روى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة انه قال لما قال الطفيل ابن عمرو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم أهد دوسا (آية) أي علامة تكون كرامة (لقومه) أي عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) أي ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يارب اني اخاف أن يقولوا مثلة) بضم الميم ويفتح ويكسر وسكون المثلثة أي تنكيل وعقوبة وهي مرفوعة وقيل منصوبة (فتحول) أي فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضئ في الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمى ذا النور) كالحسنين ابنى على وأسيد بن حضير وعباد ابن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كل سمى بذلك واما ذو النورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي

لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد شكوته له صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما ألما بعد ذلك وانما دعا له برفع الحر والبرد مع ان تألمه رضي الله تعالى عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة لدم الذى حصل له من الحر فدعا له بدفع سبب ذلك وزاد عليه دفع ألم البرد لانه ضده فربما أذاه لقوته بعدم ضده وروى يبيته من الاساءة ونحوه من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لفاطمة ابنته) رضي الله تعالى عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين (الله) مفعول دعا وفي نسخة ان الله (ان لايجيعها) أي ان لايجعلها متألمة من الجوع وترك الطعام وأكله (قالت) فاطمة رضي الله تعالى عنها (فما جعت) بضمير المتكلم (بعد) مبني على الضم أي بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله تعالى عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت لي ما جعت بعد يا عمران قال البيهقي بعدما ذكر الحديث هذا كان قبل نزول آية الحجاب وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من المناسبة مما لا يخفى (وسأله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي (الطفيل بن عمرو) بضم الطاء المهملة المشددة والفاء المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو النور وقتل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثنتى عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وهو من كبار الصحابة ومن أصحاب النور وهم ستة أسيد بن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كما يأتي والطفيل هذا والحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم ولكل منهم قصة مذكورة في محلها (آية لقومه) مفعول سأل أي سأله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة تكون معه يؤمن بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يارسول الله ان دوسا قد عصت وأبت فادع عليها فقالوا هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم أهد دوسا فعلم ان الله تعالى سيهديهم ببركة دعائه فطلب الطفيل منه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها (فقال اللهم نور له) الضمير للطفيل أي اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضي الله عنه (فسطع له نور بين عينيه) أي ظهر بين عينيه نور ساطع وأصل معنى السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا (فقال) أي الطفيل لما علم بذلك النور الذى بين عينيه (يارب اني أخاف) من قومي اذا رأوا ذلك النور (ان يقولوا مثلة) خبر مبتدأ مقدر أي هو أو هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا أي خشى ان يعدوه عارا لتوهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم نصبه وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لاداعي له (فتحول) ذلك النور (الى طرف سوطه) أي لما شكى الى الله تعالى منه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل بمعنى الخلط فسمى به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف (فكان) أي سوطه (يضئ في الليلة المظلمة) كالشمع والمصباح (فسمى) الطفيل (ذا النور) أي صاحب النور لذلك وروى الظلماء بدل المظلمة ولا اشكال في شئ من هذا كما توهمه بعضهم وأغرب منه انه قال روى صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم

تكلم فى تاويله بخرافات لا ينبغى تسويدها الوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا فى قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصيبك فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فمازالوا بى ونى ويحذرونى منه حتى قلت لهم لا أدخل المسجد الا ساداأذنى خشوتهما كرسفا أى قطنا ودخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائما يصلى فقر يبا منى وأبى الله الا أن يسمعنى قوله فقلت فى نفسى ان هذا المعجز وأنا امرء ثبت لا يخفى على الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا أخذته أو غناء تركته فنزعت ما باذنى واستمعت له فلم أسمع احسن وأحلى مما قاله فانتظرته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع فى نفسى انه حق فاعرض على دينك وما تأمر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يا رسول الله انى راجع لدوس وأنا فيهم سيد مطاع وأنا داعيهم الى الاسلام فادع الله تعالى ان يجعل لى آية تكون عونا لى عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى أشرفت على حاضرة دوس ولى هناك أب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عينى نور كالشهاب فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوه مثلة لفراق دينهم فتحول فى رأس سوطى فلقد رأيتنى أسير وانه على رأس سوطى كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم أتانى أبى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى فانى أسلمت واتبعت دين محمد فقال أى بنى ان دينى دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها كما قلت لابى فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت على فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم أهد دوسا فرجعت اليهم وأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم الى الاسلام حتى استجاب لى منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أحد والخندق بثمانين أو سبعين من أهل بيتى حتى فتحت مكة وأرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه وأقام معه حتى قبض ثم بعثه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه كما تقدم (ودعا على مضر) أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ورد فى حديث صحيح رواه الشيخان والنسائى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفى وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا أبوهم أوصى لمضر بالذهب وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمراء وأعطى ربيعة الخيل فقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم فى الحرب العمائم والرايات الحمر وشعار أهل اليمن الصفر وبه فسر قول أبى تمام فى الربيع

محمرة مصفرة فكأنها * عصب تيمن فى الوغى وتمضر

ومضر أبو قريش (فاقحطوا) بالبناء للمجهول أى أصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون وتهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية (حتى استعطفته قريش) أى سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع القحط عنهم وما حل بهم من البلاء (فدعا) الله (لهم) ان يمطرهم ويزيل قحطهم (فسقوا) أى سقاهم الله تعالى عز وجل وأمطر أرضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجراد والدم والعظام

(ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول أى فدخلوا فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) أى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) أى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول أى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن مسعود وأصله فى الصحيحين

فقال له أبو سفيان أو كعب بن مرة انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه أبو نعيم في الدلائل (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (على كسرى) بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من أولاد أنوشروان وان قيل ابرويز معناه المظفر وأنوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله (حين مزق كتابه) الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه يحثه فيه على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا به وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى تمزق تجبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب * بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له أرسله الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعاء بعده حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين يطلق على مطلق المدة كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر أو المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من أجل تمزيقه كتابه ليس بشئ (ان يمزق الله ملكه) معمول دعا أى بان يمزق الى آخره باهلاكه وانتقال ملكه لغيره فمزق كل ممزق (فلم يبق له) أى لكسرى أو لملكه (باقية) أى نفس باقية من عقبه أوهو مصدر بمعنى بقية وبقاء والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا (ولا بقيت لفارس) هو معرب بارس بالباء العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم (رياسة) أى ملك ونفاذ كلمة (فى اقطار الدنيا) وفى نسخة البلاد أى فى جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وأفناهم بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لما عصوه وتجبروا فلم يزل أمره فى انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده بزمن يسير ومالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل فى التواريخ والحديث فى البخارى والكلام عليه مبسوط فى شروحه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود والبيهقى انه دعا (على صبى) صغير قال ابن حبان اسم الصبى يزيد بن بهرام وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبى أظنه موضوعا لانه أشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه مع رأفته به وما أجاب به البرهان الحلبى من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ بعد أحد كما قاله التقى السبكى أو بعد الهجرة كما قاله غيره أو هو من باب خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعد وأبعد منه وأغرب ما قيل ان الله أطلعه صلى الله تعالى عليه وسلم على حال هذا الصبى وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك أضر بالناس فلذا دعا عليه كما أطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذى قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر أئمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن أحيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد أفرده السيوطى بجزء ألفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه (قطع عليه صلاته) بمروره بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم وقطع الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلى اذا صلى فى غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغى ان تكون مرتفعة ارتفاعا مافكانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له سترة فى هذه الصلاة أو كانت ومر الصبى بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان أو حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه

(ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا ابرويز بن هرمز قال الطبرى وتفسيره المظفر بن هرمز بن نوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاى أى شقق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) أى بتمزيق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) أى نفس باقية أو أثر وبقية قال السهيلى ولما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع أمره فى الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذى قتله بعد أبيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلنى فانا أقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما قتل أباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر أولاده وأكثر أقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة أشهر ومالت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا أى لاهل فارس (رياسة فى سائر أقطار الدنيا) أى نواحيها رواه البخارى من طريق ابن عباس (ودعا على صبى قطع عليه) أى بمروره بين يديه (الصلاة) أى صلاته كما فى نسخة

(ان يقطع الله أثره) ومن جملته مشى قدميه كما قال تعالى ونكتب ماقدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول أي صار مقعدا لا يستطيع النهوض وفي رواية قطع صلاتنا قطع الله أثره وفي أصل الدلجى دابره بدل أثره فتكلف في وجهه بان الدابر في الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق أحد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا بسبب قوة مشيه هذا والحديث رواه أبو داود والبيهقي ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبي أظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبي وهو غير مكاف بالاحكام مع ان القاضي جزم بذلك في مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقي في المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبي وفي كلام السبكي انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احكام ثم قال الحلبي أو يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لا يشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكي وقرره التلمساني وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال في حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجي وأجيب بنا لا يشفي ثم أقول ولعل الصبي كان من أولاد الكفار وقد أمره أهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهارا للمعزة ودفعا للمذلة أو كان الصبي مراهقا فظنه عليه الصلاة والسلام وليس بالغا وفي قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا فاجرا أو يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعي العير الاشجعي قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا أستطيع) أي ان آكل بيميني لعذر بي (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعاء عليه لكونه كاذبا فيه الدعاء (فلم يرفعها) أي يمينه بعد ذلك (الى فيه) أي فمه لا عند أكله ولا في حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمين ولا دلالة فيه عند المحققين

يقطعها لانه ورد في أحاديث صحيحة منها مارواه أبو ذر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا قام أحدكم يصلي بسترة مايضعه بين يديه مثل آخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مؤول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شئ فعله تشريعا للامة (ان يقطع الله أثره) معمول دعا أي دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله أثره والاثر بفتحتين مايؤثره بمشيه وغيره ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية فيقال مابقي له عين ولا أثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع أثره كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما أشار اليه بقوله (فاقعد) الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي ليبس أعصاب رجله التي يتحرك بها وروى ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الآخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم فلم يبق منهم أحد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال (لرجل) قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملة ومن أعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي (رآه يأكل بشماله كل بيمينك) ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الى آخره مقول القول (فقال لا أستطيع) أي لا أقدر على الاكل بيميني (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا استطعت) بتاء الخطاب وهو دعاء عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين (فلم يرفعها) أي يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا أي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى (الى فيه) ويحركها لانها شلت وبطل عمله بها لانه صلى الله عليه وسلم أمره بالتيمن وهو سنة بالاكل والشرب لقوله اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل أمره الا تكبرا ولذا قال المصنف في شرح مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في أول أمره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب وأخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشئ لان مخالفة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا تجوز

(وقال لعتبة) بضم أوله وفي نسخة بالتصغير (ابن أبي لهب) أي ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد) أي ليلا وهو مسافر وقد جعله أصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن زبير عن هبار بن الاسود والحاكم من حديث أبي نوفل ابن أبي عقرب عن أبيه والبيهقي من طرق عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي

وليس هذا الرجل جاهلا كما توهم هذا القائل وخبط وخلط هنا على عادته وليس في قوله قال دون دعا اشارة لما توهمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة مسندة (لعتبة بن أبي لهب) الجهنمي عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة أولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب أسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فطلقها وآذاه فدعا عليه بما يأتي فافترسه الاسد بالزرقاء من أرض الشام كما رواه الحاكم من حديث أبي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز أبو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا على أنفسكم فقال أبو لهب لمن معه أنتم قد عرفتم سني وحقي قالوا أجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجاء أسد فشم وجوههم ووثب على عتبة فقطع رأسه وذهب وقيل انه لم يأكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة أسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذي في نسخ الشفاء بالتكبير وكذا صححه بعضهم وقال الذي أسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي كما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في بعض أحواله ويرفع رجله اذا بال فلما أضاف الكلب الى العظيم علم انه أعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك أشار بقوله (فأكله الاسد) وفي دلائل النبوة للبيهقي كانت أم كلثوم ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية تحت عتبة بن أبي لهب وأختها رقية تحت أخيه عتيبة فلما نزل تبت يدا أبي لهب وتب قال أبو لهب لابنيه رأسي من رأسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت أمهما حمالة الحطب مثله فطلقها عتيبة وأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له اني طلقت ابنتك فاني لا أحبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط الى آخره ثم خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفي روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف في أصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله تعالى عنه في شعره (وقال) صلى الله عليه وسلم (لامرأة أكلك) وفي نسخة أكلك (الاسد فأكلها) الاسد قال البرهان الحلبي هذه المرأة لا أعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصارية فانها أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مول ظهره الشمس فضربت منكبه فقال من هذا أكله الاسد فقالت أنا ابنة مطعم الطير ومباري الريح أبو ليلى جئت لاعرض نفسي عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها وأخبرتهم الخبر فقالوا أنت امرأة غيرى وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نساء فيدعو عليك فرجعت وقالت له أقلني فأقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذئب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ (و) من ذلك (حديثه) صلى الله تعالى عليه وسلم (المشهور) الذي رواه مسلم والبخاري (من عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش) قبل

الله تعالى عنهم قال الحلبي واعلم ان عتبة أسلم يوم الفتح وكذا أخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذي أسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي والله تعالى أعلم وسبب دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى عروة ابن الزبير ان عتبة ابن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد وهو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله هذا وفي النسخ زيد هنا وقال (لامرأة أكلك الاسد فأكلها) قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) أي كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش

حين وضعوا له السلا) بفتح المهملة مقصور وهو للبهيمة كالمشيمة لبني آدم وهي جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه
قال الشمني ان سقطت عن وجه الفصيل ساعة ينتج والا قتلته وكذا اذا انقطع السلا في البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم
الولد وان انقطع في بطنها هلكت

وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم

الهجرة بمكة (حين وضعوا) أي حين اذ وضع بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل (السلا)
بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن أمه ملفوفا فيه قيل
وهو كالمشيمة من المرأة وفي النهاية الاول أشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان
نزع عنه ساعة يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا أيضا تسمية له
باسم محله ويكون فيه دم ونحوه (على رقبته) الشريفة والرقبة مؤخر أصل العنق عند الكتفين (وهو
ساجد) عند البيت في صلاته والجملة حالية (مع الفرث والدم) حال من السلا والفرث بالفاء وراء مهملة
وثاء مثلثة هو السرجين مادام في الكرش (وسماهم) فاعل سمى ضمير ابن مسعود وضمير المفعول
لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما أشرنا اليه وهم المستهزؤن المذكورون في الآية
وكانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق
أهل الحديث (فقال) أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله
تعالى عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيحين كما مر قال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس فقال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني
فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حتى سجد فجعله بين كتفيه وأنا أنظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرفع رأسه
حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف ثم قال اللهم
عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف
وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا وألقاه عقبة وهو أشقاهم لمباشرته الفعل
كأشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري وأما استمراره صلى الله تعالى عليه وسلم
في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد أجابوا عنه بأجوبة منها أنه صلى الله تعالى عليه
وسلم لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في آخر الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة
وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا في قليبها فان عقبة بن
أبي معيط أسر ببدر ثم قتله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات
بالحبشة فقيل انه باعتبار أكثرهم وغالبهم على ما فيه (ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه
البيهقي مسندا من طرق صحيحة (على الحكم ابن أبي العاص) بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي
القرشي الاموي وهو أبو مروان وعم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو ممن أسلم في الفتح (وكان)
أي الحكم (يختلج بوجهه) أي يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه (ويغمز) بعينيه أي يحركهما
مشيرا بهما وهو جالس (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه ممن
المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لا أصل له كما أشار اليه بقوله (أي لا)
فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه غير مناسب هنا وان كان ورد
بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب لانه كان يخبر المنافقين بأسراره صلى الله تعالى عليه
وسلم والا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم (فرآه) صلى الله

وسماهم) أي قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأمثالهم (فقال) وفي نسخة وقال أي ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) أي معظمهم فان أشقاهم عقبة بن أبي معيط الذي وضع على رقبته السلا حمل من بدر أسيرا فقتله على بعرق الظبية بأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة في تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة في أصحابه في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى قال الحلبي وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر أيضا وانما جرى له قصة مع النجاشي مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بأرض الحبشة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (ودعا على الحكم بن أبي العاص) أي ابن أمية ابن عبد شمس بن عبد
مناف وهو أبو مروان عم عثمان أسلم يوم الفتح وتوفي في خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه
ويغمز) بكسر الميم (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه
حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه أو حاجبه (أي لا) أي أراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) أي النبي عليه الصلاة والسلام مرة

تعالى

(فقال كن كذلك) وفي نسخة صحيحة كن (فلم يزل يختلج) أي يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقي من طرق عن عبد الرحمن ابن أبي بكر وعن ابن أبي عمرو عن هند بن خديجة وفي رواية فضربه فصرع شهرين ثم أفاق مختلجا قد أخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمساني قوله يغمز اما بعيب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لانه كان يحكي فعله صلى الله عليه وسلم في مشيه وأمره ونحوه أولا بالفتح وتشديد الواو وخلاف الاخير وروى أي لاباي التفسير به ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج أولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها ومعناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج أي يختلج أولا أي قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثاني زمن السقم فيكون خبرا لكان أو مفعول يختلج أو أولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثاني تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى أو الاحق وحاشا كل هذا موطن أو موطنين في غيبته أو حضوره والله تعالى أعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم

تعالى عليه وسلم وهو يختلج (فقال) له (كن كذلك) دعاء عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك كن (فلم يزل يختلج الى ان مات) بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عثمان أبا بكر رضي الله تعالى عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رده فوعدني به فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه انى لم أسمع ذلك ولم تكن معه بينة ثم لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سأله ذلك فقال كما قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضي الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكبار الصحابة في أمر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحاكي مشي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتغامز في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال في حق أخيها عبد الرحمن ما قال أما أنت فاشهد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه تشير الى ما روى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا قيل

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضي بما حكم الصديق في الحكم

(ودعا) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما قال بلغنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا (على محلم) بميم مضمومة وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم (ابن جثامة) بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة وألف وميم وهاء واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي أخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا ضربتم في سبيل الله الآية كما يأتي (فمات) أي محلم هلك عقب دعائه عليه (لسبع) أي عند سبع أو بعد سبع ليال من دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال السهيلي انه مات بحمص أيام ابن الزبير وسيأتي مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان الحلبي (فلفظته الارض) أي قذفته وطرحته وأخرجته من بطنها لعدم قبوله وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل أرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم (ثم ووري) بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية أي ستر وغطى وغيب فهو مجهول وأراه اذا غيبه (فلفظته) الارض (مرات) فكانوا كلما دفنوه أصبحوا رأوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا (فالقوه) أي ألقوا بدنه (بين صدين) مثنى

وتشديد المثلثة (فمات) في حمص أيام ابن الزبير على ما قاله السهيلي (لسبع) أي بعد سبعة أيام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء أي قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه في بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحى جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري) بضم أوله مجهول وارى أي ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف أي رموه (بين صدين) بفتح الصاد وبضم جبلين أو واديين

(ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة أي كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقي عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغني انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فامر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا فجرى ماجرى (وجحده رجل) أي من الصحابة على ما ذكره الدلجي ولعله كان منافقا (بيع فرس) أي أنكره (وهي) القصة (التي شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بانه اشتراه منه مع أنه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم أي بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أي فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) أي رافعة من سبب نفخها شاصا بصره أي شخص (وهذا الباب أكثر من ان يحاط به) أي بجميع فصوله من فروعه وأصوله

صد بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال المهملتين وهو ناحية الوادي أو الشعب أو الجبل (ورضموا عليه الحجارة) رضم بفتح الراء المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء والصد بالضم والفتح جانب الوادي وهو الارض الواسعة وهذا أحد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام انه بعثه في سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن أراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحي جبل حتى أكلته السباع قال الزبيدي الصوح الشق قال التلمساني والذي رواه ابن عبد البر مسندا الى القعقاع عن أبيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية الى أضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرناه نزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما نزل حمص ومات بها في زمن ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما ولهم اختلاف في سبب نزول الآية المذكورة وفيمن نزلت على أقوال كثيرة وقد اختلف في محلم هذا بعد تحقق اسلامه وصحبته هل كان منافقا أم لا (وجحده) صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل بيع فرس) أي أنكره وكان اشتراها منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل اعرابي يسمى سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابي والفرس المرتجز كما قاله الجوهري وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب (وهي) أي هذه الفرس (التي شهدت فيها) أي بيعتها (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خزيمة) بخاء وزاي معجمتين ويقال اسمه أبو خزيمة وهو صحابي مشهور وقتل بصفين مع علي رضي الله تعالى عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضي الله تعالى عنه (فرد الفرس) بالنصب مفعول رد (بعد) مبني على الضم أي بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هو فاعل (رد على الرجل) الذي جحد البيع وهو متعلق برد وانما ردها صلى الله تعالى عليه وسلم تعففا منه وتكرما (وقال) اذ ردها (اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) أي لا تجعل له بركة في فرسه (فاصبحت) أي الفرس (شاصية برجلها) الباء زائدة وشاصية بشين معجمة وألف وصاد مهملة ومثناة تحتية وهاء (أي رافعة) رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة والاسناد مجازي وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد في الجيف بعد أيام يقال شصا الميت اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله أهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد أيام فوقوعه بسرعة من الآيات أيضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه ويزيدون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابي ان كنت مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة أنا أشهد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أحضرتنا فقال بابي أنت وأمي أنا أصدقك في أخبار السماء أفلا أصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابي قبل اسلامه أو قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق (وهذا الباب) أي باب دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا وروي في أحاديث كثيرة (أكثر من أن يحاط به) أي لا يمكن أحد من علماء هذه الامة ان يعلم جميع دعواته صلى الله تعالى عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المصنف رحمه الله تعالى منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين وقوله أكثر

(فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان) أي بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى له (فيما لمسه أو باشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) أي أخبرنا كما في نسخة (أحمد بن محمد) أي ابن غلبون ١٣١ الخولاني (ثنا) أي حدثنا (أبو ذر الهروي اجازة وثنا القاضي أبو علي سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضي أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) أي وغير القاضيين أيضا (قالوا) أي جميعهم (حدثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر الهروي) سبق (ثنا أبو محمد) وهو السرخسي (وأبو اسحق) وهو المستملي (وأبو الهيثم) وهو الكشميهني (قالوا) أي الثلاثة (ثنا الفربري) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخاري) أي صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو أبو معاوية البصري الحافظ قال الحلبي وقد سقط واحد بين البخاري وبين يزيد ابن زريع فان يزيد ابن زريع ليس شيخا للبخاري وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبد الاعلى بن حماد وقد أخرج البخاري هذا الحديث الذي ذكره القاضي في كتاب الجهاد عن عبد الاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذي ساقه القاضي قال الحجازي وكذا وجدته في النسخة المعتمدة انتهى وعبد الاعلى هذا روى عن الحماد بن مالك وعنه الشيخان وأبو داود وأبو يعلى والبغوي (ثنا سعيد) أي ابن أبي عروبة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاي أي خافوا واستغاثوا (مرة) أي وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل الناس حين خرج من المدينة

من أن يحاط به كقولهم أكثر من ان تحصى ومثله كثير وتأويله مشهور فان ظاهره غير مراد اذ لا يعني انه أكثر من الاحاطة وقد بينوه في محله حتى أفرده بعض فضلاء العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشئ معناها استقصاء جميع أفراده • (تنبيه) • مر ان الدعاء معناه التضرع الى الله تعالى في جلب ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شئ بقضاء وقدر وقد جف القلم فما فائدة الدعاء وأجيب بانه أمر تعبدي محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعاء موقوفا عليه كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن أنكر الدعاء وقال انه لا فائدة فيه فقد ضل عن سواء السبيل فاعرفه

• (فصل في كراماته) • صلى الله تعالى عليه وسلم أي ما أكرمه الله تعالى سبحانه به من الامور الخارقة للعادة والكرامة أعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل أو بالقوة والكرامة لا يشترط فيها ذلك ويكون للنبي وغيره من أولياء الله تعالى سبحانه وان غلب في العرف جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك على ما عرف وما كان منها قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تأسيس للنبوة ومقدمة لها (وبركاته) أي ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته من الخوارق (وانقلاب الاعيان له) أي تبدل حقيقتها وماهيتها أو صورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان أعظمه فلا يقال لاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهي الذات (فيما لمسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة (أو باشره) المباشرة ان يلي الامر بنفسه فهي أعم من اللمس واللمس والمس متقاربان (أخبرنا أحمد بن محمد) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني شيخ المصنف رحمه الله توفي سنة ثمان وخمس مائة وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره قال (حدثنا أبو ذر الهروي) تقدم بيان ترجمته (اجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعا) أبو علي هو ابن سكرة السابق ترجمته (والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما) ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم (قالوا حدثنا أبو الوليد القاضي) الباجي الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو ذر) يعني الهروي المتقدم قال (حدثنا أبو محمد) السرخسي المتقدم (وأبو اسحق) المستملي المتقدم (وأبو الهيثم) الكشميهني المشهور (قالوا حدثنا الفربري) تقدم بيانه ونعته ونسبته قال (حدثنا البخاري) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا يزيد بن زريع) بالتصغير أبو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد ابن زريع وهكذا هو في صحيح البخاري فسقط منه راو من قلم المصنف قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد (عن قتادة) تقدمت ترجمته (عن أنس بن مالك) الصحابي المشهور (ان أهل المدينة فزعوا مرة) أي وقع بهم فزع بفتح الفاء والزاي المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما الخوف والذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ يقال فزع وأفزع وهو من الاضداد قال زهير

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم • طوال رماح لا ضعاف ولا عزل

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع والمراد هنا الاول أي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو أشهر معنييه (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما سمع

صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذى سمع منه الصوت ورأى الناس فى رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب (فرسا لابى طلحة) ركبها عريا من غير سرج عليه وأبو طلحة هو زيد بن سهل الانصارى النجارى الصحابى البدرى وهو أحد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه أحاديث كثيرة وتوفى سنة أربع وثلاثين من هجرته (كان يقطف أوبه قطاف) بكسر القاف وبالطاء المهملة والفاء والشك فيه من الراوى قال البرهان يقطف بضم الطاء فى قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشرى والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهرى القطوف فى الدواب البطئ وقال أبو زيد الضيق المشى وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب فى الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف (وقال غيره) أى غير انس (يبطأ) مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطأ والبطؤ ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطؤ وينسب اليه ذلك وهو مبنى للمجهول (فلما رجع) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الفزع واتى أبا طلحة (قال) له (وجدنا فرسك بحرا) أى كالبحر فى شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان فى علمه أى توسع (فكان) ذلك الفرس (بعد) مبنى على الضم أى بعد قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك ببركته (لا يجارى) مبنى للمجهول مفاعلة من الجرى وهو مما يوصف به الماء والحيوان أيضا فهو تجريد شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لا يسبق فكأنه لذلك لا يجاريه أحد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا (و) مما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نخس جمل جابر) بن عبد الله الانصارى الصحابى المعروف رضى الله تعالى عنهما ونخس بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه فى جنبه أو نحوه بعود أو نحوه وكان ذلك بمحجن فى يده الشريفة (وكان) ذلك الجمل (قد أعيى) أى تعب وقلت حركته من السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة فى الماضى وفتحها فى المضارع أى أسرع فى السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفى النهاية روى كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها اذا حللتها وفى الحديث كأنما نشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعنى ان الصواب هنا انشط من المزيد وأصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولا يخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فشبه الجمل بدلو فى بئر ويشبه نخسه له حتى جد فى سيره باخراجه من البئر كأنه جذبه وأبدا قوته التى لم تكن ظاهرة فيه (حتى كان) أى جابر أو الجمل (لا يملك زمامه) الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه اشتد نشاطه يجذبه من يده وينازعه فيه والحديث كما فى الصحيحين قال جابر رضى الله تعالى عنه انه كان معه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة فابطأ به جمله ومر به صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما شانك فقال له ابطأ بى جملى وأعيى فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته فى الحديث وشروحه وفى ثمنه اختلاف أيضا وفيه من بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ولطف معاملته مع أصحابه وكرمه.

(فرسا لابى طلحة) أى مستعارا منه (كان) أى الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر أى يقارب خطوه فى سرعة وزيد فى أصل الدلجى به فقال أى بابى طلحة (أوبه قطوف) بضم أوله شك ممن رواه عن أنس ذكر الدلجى أو ممن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطئ وقال أبو زيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) أى غير أنس (يبطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة أى اضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى ثبطا أى ثقيلا وقال أبو عبيد فى قوله تعالى فثبطهم أى عوقهم (فلما رجع) أى من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) أى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) أى واسع الجرى سريع العدو (فكان) أى ذلك الفرس (بعد) أى بعد ركوبه أو قوله هذا (لا يجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم أى لا يسابق ولا يبارى والمعنى لا يسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين أى طعنه عند دبره أو جنبه بمحجن أو نحوه (وكان) أى الجمل (قد أعيى) أى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه بفتحها أى خف وأسرع وفى النهاية وكثيرا ما يجئ فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) أى انتهى نشاطه الى ان صار جابر (ما يملك) ويروى لا يملك (زمامه) رواه الشيخان

وكرمه مالايخفى وهـذه الغزوة هى غزوة ذات الرقاع كما فى شرح البخارى (وصنع مثل ذلك) أى مثل ماصنع مع جابر رضى الله تعالى عنه فى حديث البيهقى (بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العـين المهملة وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابى الـكوفى وقيل اسمه جعال (الاشجعى) بشين معجمة وجيم وعين مهملة نسوب لاشجع وهى قبيلة وحـديثه هذا رواه عنه عبـد الله بن أبى الجعد قال كنت فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى أخريات النـاس فقال لى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ماشانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رأيتنى أول الناس ما أملك رأسـها وبعت من بطنها عدة كثيرة واليه أشار بقوله (فخفقها) رسـول الله صـلى الله تعالى عليـه وسـلم أى ضربها (بمخفقة) كانت (معه) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف وهاء اسم آلة من الخفق وهى الدرة وقيـل انهـا عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطائر بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجـع لهذا (وبرك عليها) بالتشديد تفعيل من البركة أى دعا مرارا بالبركة فيها (فلم يملك رأسها) أى لم يقـدر على ضبط رأسـها بلجامها القوة سيرها ومحاذبتها له وهذا من قولهـم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك مأخوذ من هـذا وهو حقيقته (نشاطا) أى من شـدة نشاطها (وباع من بطنها) أى مما ولدته وحصـل من نسلها الخارج من بطنهـا والبطن حقيقة الجوف ثم شاع فى الولد والنسـل (باثنى عشر ألفا) وهـذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسـل فيكون ذلك ولدها وولد أولادها وفيه لف ونشر فقوله يملك ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الى آخره ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائى وابن عبد البر فى الاستيعاب (و) فى حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبـد الله بن أبى طلحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ركب حمارا قطوفا) قليل السـير متقارب الخطا (لسـعد بن عبادة) الانصارى سيدهم المشهور (فرده) أى أعاده صلى الله تعالى عليه وسـلم لصاحبه بعـد ما ركبه أو معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل عملها كما صرحوا به فعلى الاول ما بعـده حال وعلى الثانى مفعول ثان (هملاجا) بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجـيم وهو فارسى معرب وهو من البراذين ما يسرع مشـيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعـامة يسمونه رهوان (لايسـاير) مبنى للمجهول أى يسـبق كل ما سار معه فعبر بمـا ذكر مبالغة كما مر فى قوله لايجارى (و) روى البيهقى انه (كانت شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما (فى قلنـسوة خالد بن الوليد) أى انه رضى الله تعالى عنـه وضعها فى داخـل قلنـسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السـين وفتح الواو وقبل هائه ما يوضع على الرأس وهى معروفة ويقال قلنسية كما فى الصحاح (فلم يشـهد بها) أى لم يحضر (قتالا) وحربا قاتل فيه (الا رزق النصر) أى الا نصره الله تعالى على أعدائه فيقتلهم أو يهزمهم ببركة تلك الشـعرات التى كانت فى قلنـسوته وجمـلة الا رزق الى آخره حال مستثناة استثناء مفرغا من أعـم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن أبى طاهر العلوى كان عنده أربعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم فبلغه ان بعض أمراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له وأهدى تلك الشعرات له فاكرمه ثم أتاه بعـد أيام فعبس فى وجهه ولم يلتفت اليه فسأله عن السـبب فقال له قال لى فلان ان هـذه الشعرات لا أصـل لها فسأله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا وقد فاتى بها فرمى شعرات منها فى النار فلم تحـترق بل صارت أحسن مما كانت فقبـل رجله وأنعم عليـه بنعم لاتحصى وأكرمه غاية الاكرام (وفى الصحيـح) أى فى

(وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعى خفقها) أى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء أى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء أى دعا بالبركة لها (فلم يملك) أى جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النـون أى من أجل اسراعها (وباع من نسلها) وفى نسـخة مـن بطنها (باثنى عشر ألفا) وهذا من أثر دعائه بالبركة لها وما قبله من أثر ضربه وتوجهه اليهـا فهـما نشر وافق مرتب لما قبلهما رواه البيهـقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) أى من محله الذى انتهى اليه أو مـن وصفه الذى كان عليـه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم أى سريع الهرولة فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لايساير) بصيغة المفـعول أى لاتسايره دابة الاسبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبـد الله ابن أبى طلحة (وكان شعرات من شـعره) بفتح العين ويسكن أى من شعراته كما فى نسخة صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم (فى قلنسـوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السـين ما يوضع عـلى الرأس مثل الكوفيـة (فـلم يشـهد بها) أى فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الا رزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر أى أعطى الفتح والظفر رواه البيهـقى (وفى الصحيـح) أى من رواية مسـلم وأبى داود والنسائى وابن ماجه

(عن اسماء بنت أبي بكر) أي الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها أخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي وفي
نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام وتثليث فارسي معرب وفي نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو اما من أصلها
واما المطر أعليها الان هذه الجبة صارت بيد أسماء بعد موت اختها عائشة وهي ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

الحديث الصحيح أو صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة (عن أسماء
بنت أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنهما (انها) أي أسماء (أخرجت) أي أظهرت وأرت الناس
(جبة) بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهي ثوب مخيط (طيالسة) قال النووي انه روي باضافة جبة
لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية ورفاهية
ويجوز نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة
كانت عند أختها عائشة أم المؤمنين فلما ماتت بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمسة وأربعين
سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية قيل انها ذات أعلام خضر ولذا روي جبة خضراء فوصفت
بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل
الطيلسان كساء أخضر يعرف بالساج وقيل الطيلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن
الطيلساني في الشتم (وقالت) اسماء (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها) أي كان يكثر
لبس هذه الجبة لانه كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون وليس بطريق
الوضع كما (فنحن نغسلها) ونأخذ غسالتها فنعطيه (للمرضى فنستشفي) المرضى (بها) أي بمائها بان
يشرب منه ويمسح به الابدان تيمنا بآثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفاء ببركته وفي مسلم انها
جبة كسروانية نسبة لكسرى أي عجمية وانها كانت مكفوفة بالديباج واستدل به بعضهم على
حل السجاف من الحرير وقيده بعضهم بالا يزيد على أربعة أصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة
ما قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال
(وحدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة وقد تقدم (عن شيخه أبي القاسم بن المأمون) بن محمد بن
هشام الرعيني السبتي المعروف بابن المأمون الامام المشهور (قال كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ولا
تكسر كما هو وهي الجفنة المعروفة وتختص في العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت
تسع عشرة والقائل ابن المأمون فيحتمل انها كانت عنده ووصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل
انها كانت بديارهم وبلادهم (من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف كجمع جفنة
وجفان ويجمع على قصع أيضا وقصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا صفاتها لانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يعتني بها ولا يعدها ولا يدخرها (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى) جمع مريض
(فيستشفون بها) أي يطلبون الشفاء فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها البركة آثارا آثاره (وأخذ
جهجاه الغفاري) جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الاخيرة ألف وهاء وقيل ان صوابه
جهجا مقصور ولا هاء في آخره والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم
أبيه فقيل هو ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس
وهو صحابي مهاجري مدني روى عنه أحاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بسنة (القضيب) يعني قضيب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي كان مع الخلفاء والقضيب عصا قصيرة (من يد عثمان)
ابن عفان لما قام عليه قيل يوم الدار فقيل أخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله

بنحو خمس وأربعين
سنة وفسرت بالاكسية
وبالخضراء ثم طيالسة
بالتنوين لانها في زنة
رفاهية وثمانية (وقالت)
أي أسماء (ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يلبسها) بفتح
الموحدة (فنحن نغسلها
للمرضى يستشفى بها)
جملة حالية أو مستأنفة
مبينة وهي بصيغة
المفعول وفي نسخة
بصيغة المتكلم هذا وقال
المصنف (وحدثنا
القاضي أبو علي) وهو
ابن سكرة (عن شيخه
أبي القاسم ابن الميمون)
أخذ عن أبي محمد الباجي
(قالت كانت عندنا
قصعة) بفتح القاف
ومن اغانيف كلام
أرباب اللغة لا تفتح
الجراب ولا تكسر
القصعة (من قصاع
النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم) بكسر القاف جمع
(فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى يستشفون) وفي
نسخة فيستشفون (بها)
أي فيشفيهم الله تعالى

ببركة نيتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد منصرفا
أو سعيد أو مسعود وقال الطبري المحدثون يزيدون في آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء في آخره (الغفاري) بكسر أوله حضر
بيعة الرضوان روي عن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما أسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبي التي كان الخلفاء
يتداولونها (من يد عثمان) أي وهو على المنبر

منصرفا داره (ليكسره) أي أخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض أهل السير انه كسر (على ركبته) أي اتكئ على ركبته في كسره كما هو معتاد (فصاح به الناس) ليمنعوه ومن كسر قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أمر عظيم وجرأة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح كسر العصا عمن أطاع أو عصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب وكذا الخلفاء بعده (فأخذته) أي أصابته ووقعت به وأصل معنى الاخذ التناول فتجوز به عما ذكر (الاكلة) كفرحة وهو داء يصيب بعض الاعضاء فيتأكل أي يتفتت ويتقطع وهو نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقد قيل انه خطأ الا ان الثعالبي أنشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن أنت هل أنت الا امرأ * اذا صح نسلك في باهلة

وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكلة

ولم يخطئه فيه وهو من أئمة اللغة فيصح ان تقرأ عبارة المصنف رحمه الله تعالى به الا ان تعارضه الرواية (فقطعها) أي قطع جهجاه ركبته أو رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض يعالج بقطع العضو كما قيل * القطع طب كل عضو فاسد * فلا حاجة لما قيل ان ضمير الفاعل للاكلة وذكره بتاويل المرض ونحوه (ومات) الجهجاه من قطعها (قبل) تمام (الحول) أي السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة وهو مناف لكلام المصنف رحمه الله تعالى من وجهين لان ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله تعالى عنه حين أخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو أيضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه أخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفاء الراشدين ثم خرج في آخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم أبو أمامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القائمين عليه الجهجاه وشأنهم بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جرأته على قضيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله تعالى عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله تعالى عنه لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان رضي الله تعالى عنه كان مجتهدا مثابا فيما أنكروه عليه وما هذه الا ذلة عظيمة لا تليق بمن كان مؤمنا صحابيا (و) روى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه حديثا متصلا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (سكب من فضل وضوئه) السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله تعالى روحه في كتابه الرزان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح أولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضأ وضوأ وتطهر طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من أسماء الماء كالوقود ولم يحك عمن يوثق به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرأ منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهم لم يحرراه انتهى ما قاله شيخنا فلك هنا الفتح والضم (في بئر قباء) بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه أيضا باعتبار المكان والفه ليست للتأنيث وقال في التبصرة انه اسم أماكن ثلاثة وينسب اليه قباي والى قبا فرغانة قباوي

(ليكسره على ركبته) أي معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفي نسخة فصاح الناس به (فأخذته فيها الاكلة) بفتح وكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين أي الحكة وفي نسخة بمد فكسر (فقطعها) أي ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه أبو نعيم في الدلائل وابن السكن في معرفة الصحابة وقال ابن عبد البر هو الذي تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفي بعد عثمان بسنة ذكره الحلبي ثم كسر العصا ليس صريحا في كلام القاضي وهو صريح في كلام ابن عمر ولكني رأيت في حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلي عن ابن دحية نقلا عن ابن العربي في كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا عمن أطاع ولا من عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضي مات قبل الحول وقال ابن عبد البر توفي بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (وسكب) أي صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو وبضم أي ماء وضوئه (في بئر قبا) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر واهلها بئر اريس

(فما نزفت) أى ما فنيت ولا نقصت وفى نسخة بصيغة المجهول ففى الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هى فيتعدى ولا يتعدى ونزفت أيضا على ما لم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) أى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقى عن أنس (وبزق فى بئر كانت فى دار أنس فلم يكن) أى ماء (بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (أعذب منها) أى أطيب وأحلى ماء من تلك البئر رواه أبو نعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل ١٣٦ ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

والقصر لغة فيه أيضا (فما نزفت) البئر أى انقطع ماؤها (بعد) مبنى على الضم أى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله تعالى عليه وسلم ونزفت بفتح الزاى المعجمة ويجوز كسرها فهو مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر على الثانى فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله تعالى فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها فى السوانح والمصنف رحمه الله تعالى قال انه صب فضل وضوءه أى بقيته ووقع فى رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تفجير الماء فى بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع التحدى لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدى كما قيل (و) روى أبو نعيم فى دلائله أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (بزق) بزاى وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه (فى بئر كانت فى دار أنس) ابن مالك خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يكن بالمدينة) بئر من آبارها (أعذب منها) أى أحلى وألذ من مائها وهذا كان بين أظهر المؤمنين فلذا لم يعده معجزة كما أشرنا اليه (ومر) صلى الله تعالى عليه وسلم (على ماء) فى بعض أسفاره (فسأل عنه) أى عن اسمه (فقيل) له (اسمه بيسان) بموحدة مكسورة وقال التلمسانى بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الآتى ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة وألف ونون (وماؤه ملح) جملة حالية أى لا عذوبة فيه فلما سمى بما يوهم البؤس ضد النعيم لم يحب صلى الله تعالى عليه وسلم بما يتشاءم به فغيره لانه كان يحب الفال الحسن (فقال بل هو نعمان) بفتح النون فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان أحدهما بالشام وهو فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة ذى قرد وهو المذكور هنا فغير اسمه فغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضى الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكى فى حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفى الشرح الجديد انه بكسر النون فكأنه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة أيضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها فى النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة أوردنا ذلك (وماؤه طيب) هذا من جملة مقوله صلى الله تعالى عليه وسلم والا تناقض كلامه (فطاب) ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب (و) روى ابن ماجه فى حديث آخر مسندا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتى) بالبناء للمجهول أى أعطاه بعض أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وجاء له (بدلو) مملوء (من ماء زمزم) ورواه البيهقى عن وائل الحضرمى الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم (فمج فيه) أى ألقى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فمه وريقه (فصارت) رائحته (أطيب من رائحة المسك) وقريب منه قصة نافع أحد القراء السبعة المذكورة فى شروح الشاطبية (و) من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة انه (أعطى الحسن والحسين لسانه) الشريف أى وضعه فى فمهما (فمصاه) أى جذبا ريقه وشرباه منه (وهما يبكيان) جملة حالية أى باكين

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) أى له كما فى نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة وتفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح أى أجاج (فقال بل هو نعمان) بضم أوله وفى نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمسانى للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه اقتضته حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر أولها أو فتحها (وماؤه طيب فطاب) أى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان أحدهما بالشام وهو المراد فى حديث الدجال والآخر بالحجاز وهو الذى مر به عليه الصلاة والسلام فى غزوة ذى قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه الصلاة والسلام طلحة الفياض (فأتى) كذا فى نسخة صحيحة والظاهر وأتى بالواو كما فى بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول أى وجىء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم أى ألقى من فيه ماء (فيه) أى فى الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما فى القاموس (فصار أطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقى عن وائل الحضرمى ولم يقل من ماء زمزم (وأعطى الحسن والحسين) أى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان

(عطشا)

(عطشا) تمييز أو مفعول له والعطش حرارة تقتضي اشتهاء ما يشرب (فسكنا) فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في أفواه الصبيان الى آخره (و) في حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه (كان لام مالك) الانصارية الصحابية وهي أم سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول أم أنس بن مالك وفي الصحابة أم مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان أم مالك هذه ليست أم أنس وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان أم مالك في الصحابة اثنتان أم مالك الانصارية وأم مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى (عكة) بتثليث العين المهملة والمشهور ضمها وهي صفن من الجلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة (تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا) أي ترسل به اليه على طريق الهداية وهو بفتح السين المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزبيدي السمن للبقر غالبا ويكون للمعزى أيضا وفي القاموس ان سلاء الزبد ولم يقيده (فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها) الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصرها نهي لا أمر أو هو باعتبار لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر بكسر الصاد كضرب يضرب (ثم دفعها) أي دفع صلى الله تعالى عليه وسلم العكة (اليها) أي الى أم مالك المهدية له (فاذا هي مملوءة سمنا) أي فاجأها بغتة ملؤها من ذلك فمملوءة بزنة المفعول مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها (فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يؤتدم به مع الخبز كالسمن والعسل واختلاف الفقهاء في اللحم هل يسمى اداما عرفا أم لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا والآخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام (وليس عندهم شئ) يعني من الادام (فتعمد اليها) أي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح للبلي (فتجد فيها سمنا) كما كانت فلا تنقص (فكانت تقيم ادمها) أي تجده قائما أي باقيا على حاله (حتى عصرتها) غاية للاقامة أي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة وفقدته وذهبت بركته لما خالفت أمره صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها الله تعالى بزوال ما أنعم به عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت أم مالك وفي أسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فلما أخذتها اذا هي مملوءة فاتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بي شئ فقال ما ذاك يا أم مالك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا وسأله عن ذلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك يا أم مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بلاحظة عليه السلام كما قيل فتدبر (و) في حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم (كان يتفل) بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة الفوقية وضم الفاء وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشوراء (في أفواه الصبيان) وافواه جمع فم باعتبار أصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد بهم الصغار الذي يرضعون ولهذا قال (المراضع) بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع على مفاعل وادعاء انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي

(عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول به من أجله لا تمييز كما اختاره الحلبي (فسكتا) أي بسكون عطشهما رواه الطبراني عن أبي هريرة (وكان لام مالك) أي الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل أو البهزية روى عنها طاوس والظاهر ان المراد بها الاول وقال الشارح الصواب أم أنس بن مالك فقط ذكر أنس قاله أبو علي الغساني وهي أم سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدي) بضم التاء وكسر الدال أي ترسل (فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) أي ليتأدم به (فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد أي أمرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسئلونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس عندهم شئ) من الادام أو من السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم أي تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها) وفي نسخة أدمهم أي تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها (في افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم أولاد المراضع كما قاله الحلبي وهو الظاهر وقال الدلجي جمع رضيع يعني مرضع اسم مفعول

(فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاي فهمزة وتسهل لا كما قال الدلجي بفتح التحتية أي يكفيهم (ريقه الى الليل ومن ذلك) أي من
قبيل كراماته (بركة يده) أي الحاصلة (فيما مسه) أي مسه بها مطلقا (أي غرسه) أي من شجر وغيره كما في
أصل الدلجي وفي النسخ المصححة وغرسه (وسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل رواه البيهقي عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرس له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود وأصله من فارس من قوم مجوس فخرج يطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى أخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه (على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع أي جميعها (تعلق) بفتح اللام وتضم أي أي تمسك أو تحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين أي تعطى الثمرة أو تدرك (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو في لغة وهي كانت أربعين درهما من فضة في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها (من ذهب قال) الحلبي انما
كاتب سلمان مولاه ففيه مجاز ولكن جاء في بعض طرقه وهو في المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم (وغرسها
من اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبي صلى الله عليه وسلم

بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم
الان ابن عصفور قال انه شاذ وادعاء بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها
وما قيل ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطأ اللهم الا ان وقع له رواية صبيان
المراضع بالاضافة ولم نجده في شيء من النسخ (فيجزيهم) بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاي
المعجمة وهمزة أي يكفيهم وأهل الاصول فسروا الاجزاء بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق
بين الاجزاء والصحة (ريقه) الشريف (الى الليل) أي فيكفيهم عن الرضاعة النهار كله ببركته صلى
الله تعالى عليه وسلم فيقوم المص منه مقام لبن الام الكثير (ومن كراماته) أي من كرامات النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ما رواه البيهقي (بركة يده فيما لمسه) اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على
الشيء فقوله بيده تأكيد أو تجريد كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم (وغرسه
لسلمان الفارسي) أي لاجله كما سيأتي والغرس وضع أصول الشجر في الارض لينمو وفي نسخة أو
غرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو أبو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو من قرية يقال لها جي من قرى أصبهان أو رام هرمز لم يتخلف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعد ما أعتقه وكان من علماء الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضي الله تعالى عنه يعمل
الخوص ويأكل منه مع ان عطاءه من بيت المال خمسة آلاف كل سنة وكان اذا أخذها تصدق بها قال
النووي اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن بها
سنة خمس أو ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فاشتراه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منه وقصته مشهورة
(حين كاتبه مواليه) من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه وجمع
الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوز أو قد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه
نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان أخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب
الفقه (على ثلاثمائة ودية) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهي صغار
النخل (يغرسها لهم كلها تعلق) بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام ثم قاف أي تنبت
بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المرأة اذا حبلت وقال بعض الشراح تؤكل ثمرتها من علق يعلق
كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين والمراد الا كل هنا وهو الظاهر وجملة
كلها تعلق بدل مما قبله وقوله (وتطعم) أي يوجد فيها ما يؤكل من ثمرها ويؤيد ان المراد بما قبله تدرك
وان جاز ان يكون عطف تفسير وهو بوزن يكرم (وعلى أربعين أوقية) بضم الهمزة وتشديد الياء
ويقال وقية أيضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية أفعولة فاصلها أوقوية فاعلت أو
فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد أربعون درهما كما في كتب اللغة وعند الاطباء وهو
المتعارف الآن انها عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان وأربعون درهما انتهى
وقيل انها سبعة مثاقيل (من ذهب) بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث
رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها المشهورة بين
العوام فلا ينافي تصحيح أهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد الشين المعجمة
عشرون درهما (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من مجلسه الى محل عين لغراسها فيه

(وغرسها له بيده) الشريفة تبركا (الا واحدة) منها (غرسها غيره) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما غرساها معا أو ان كل واحد منهما غرس واحدة (فاخذت كلها) بمعنى انها طلعت وادركت فهو مجاز كانها أخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام (الا تلك الواحدة) التى غرسها غيره (فقلعها) من محلها (وردها) أى اعادها الى محلها (فاخذت) أى نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته الباهرة صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانه غرس كل واحد منهما واديه وفى السير انه صلى الله تعالى عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغى ان يحمل على القصة اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما (وفى كتاب البزار) بموحدة وزاى معجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور (فاطعم النخل) أى أثمر ذلك النخل الذى غرسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (من عامه) أى فى سنته التى غرس فيها ومن ابتدائية (الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها) واضافة العام لها حقيقية لوقوع الغراس فيه (وأعطاه) أى أعطى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان مما كوتب عليه (مثل بيضة الدجاجة) أى قدر حجمها لا وزنا كما قيل (من ذهب) جاءه من الغنائم (بعد ما أدارها على لسانه) الشريف ليحصل فيها بركته ولا حاجة الى ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولم يسمع فانه لا يقال مثله بالرأى (فوزن) سلمان رضى الله تعالى عنه (منها لمواليه) أى لمن كاتبه كما مر (أربعين أوقية وبقى عنده مثل ما أعطاهم) وهى أربعون أخرى وكانت فى رأى العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا بقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضى الله عنه طويلة مفصلة فى السير وحاصلها انه كان بجى وهى قرية بفارس كان أبوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فرأى سلمان رهبانا فى كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه أمرهم وقال هذا خير من ديننا فلما أخبر أباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الى الشام فاخبرونى به وكانوا قالوا له ان دينناهذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الى ان مات فذهب لآخر بعمورية ثم لآخر بالموصل ومكث عنده فمرض وأشرف على الموت فقال له ان مت ما أفعل قال ان ديننا هذا قديم وقد دنا زمن نبى على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم النبوة ولا يأكل الصدقة ويأكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى أرض العرب فغدروا به وأسروه وباعوه من يهودى وقيل ابتاعته امرأة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وغرسها له) أى لسلمان أو لمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ما ذكره ابن عبد البر بسنده فى الاستيعاب وهو فى مسند أحمد أيضا وفى طريق أخرى ذكرها البخارى فى غير صحيحه ان الذى غرسها سلمان فيجمع بينهما بان واحدة غرسها عمر وأخرى غرسها سلمان أو ان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوى مرة عزا غرسها العمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوى واحدا وهو بريدة كما رواه أحمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه الحلبى ويؤيد الثانى من القولين قوله (فاخذت كلها) أى نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها) أى بيده الكريمة (فاخذت) أى أخذت عروقها ونبتت فى محلها (وفى كتاب البزار) بتشديد الزاى وفى آخره راء (فاطعم النخل) أى جنس ما ذكر (من عامه الا واحدة) أى التى غرسها غيره عليه الصلاة والسلام (فقلعها وغرسها فاطعمت من عامه وأعطاه) أى سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال ويثلث أى مقدارها وزنا أو حجما (من ذهب بعد أن ادارها) أى تلك القطعة التى هى كالبيضة (على لسانه) أى مبالغة للبركة فى شانه واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجى لعله أراد بذلك انه برك عليها أى دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما أرادها عليه (فوزن) أى سلمان (منها لمواليه أربعين أوقية وبقى عنده مثل ما أعطاهم) أى كمية وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل أربعمائة سنة فى المجوسية ومائة فى اليهودية ومائة فى النصرانية ثم لما أسلم قال يارب عمرنى فى الاسلام مائة سنة فعاش مائة فى الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وما ترك شيئا يورث عنه

المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جاء الى سيده المذكور وقال هل سمعت مافعله الانصار وقدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقباء الآن فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسأل الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما رأى العلامات المذكورة جاء وكاتب سيده على ماذكره المصنف رحمه الله تعالى فان قلت تقدم في الحديث انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سلمان منا أهل البيت فكيف يكون هذا وهو مكاتب وكيف أكل صلى الله تعالى عليه وسلم مما أتى به والعبد لايملك شيأ قلت أجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه منه مماذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو مولى موالاة لامولى رق ولذا قبل صلى الله تعالى عليه وسلم ما أهداه له لانه أجرته أو أذن له سيده في دفعه لمن يريد (وفي حديث حنش) بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق) بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى و يطحن ثم يجعل في ماء ونحوه من المائعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول به لامفعول مطلق كما قيل (شرب) صلى الله تعالى عليه وسلم (أولها وشربت آخرها) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته (فما برحت) أي لم أزل بعدما شربت سؤره (أجد شبعها) أي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو معروف (اذا جعت) أي اذا جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام (وريها) بكسر الراء وهو برد يحصل في الجوف من الماء ونحوه يغني عن الماء (اذا عطشت) أي جاء وقت الحاجة الى الشرب والضميران للشربة (وبردها اذا ظمئت) بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظمأ وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا أي لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سؤره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) في حديث صحيح رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أعطى قتادة بن النعمان) بن زيد ويكنى أبا عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو الذي ردت عينه كما تقدم وهو من الانصار (وصلى معه العشاء) جملة حالية بتقدير قد أي وقد صلى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العشاء (في ليلة مظلمة مطيرة) أي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى (عرجونا) بضم العين وسكون الراء المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وفتح كفردوس وبهما قرئ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لقتادة (انطلق به) أي خذ العرجون واذهب به لمنزلك (فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا) أي مقدار عشرة أذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل (فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) وهو ضد البياض والمراد جسم أسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رأيته

(وفي حديث حنش) بمهملة فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح وكسر القاف وفي بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل رواه قاسم بن ثابت في الدلائل من طرق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال الشارح لم أر له أثرا في كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه ان يرسمه هنا (سقاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء أي مازلت (أجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها) بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد من كثرة الحر أو شدة الحرارة (وأعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة) جملتان معترضتان وردتا اعتراضا بين أعطى ومفعوله الثاني كذا ذكره الدلجي والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله في ليلة ظرف لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم و بكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) أي عشرة اذرع أو نحوها والعدد اذا حذف مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) أي جسما ذا سواد أو جسما وشخصا (فاضربه

(فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاءله العرجون) هو أصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) رواه أحمد عن أبي سعيد بسند صحيح وفي توثيق عرى الايمان للبارزي فانه قنفذ بدل فانه شيطان ولا تنافي فلعله تمثل بصورته أسود (ومنها) أي ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) أي اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة أي أصل شجرة وأراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة أو الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) أي زمن وقعته (فعاد) أي فتحول (في يده سيفا) وفي نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذلم يكن قط سيفا فيعود (صارما) أي قاطعا (طويل القامة أبيض) أي بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهي القوة أو قوي الظهر فان المتن هو أصل الشئ الذي به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) أي في وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) أي لقتال الكفرة (الى ان استشهد) أي عكاشة (في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفي نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة أو بمعنى المعين أو المعان والله المستعان رواه البيهقي وقال الخطابي يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول أبي هريرة وكفر من كفر وهم أصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم في انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وأنكروا الزكاة يعني اعطاءها لا وجوبها وهؤلاء هم أهل بغي وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم في غمار أهل الردة بخلاف الميلمين فاضيف الاسم في الجملة الى الردة اذ كانت أعظم الامرين خطبا وصار مبدأ

(فاضربه حتى يخرج) من البيت (فانه) أي السواد المرئي (الشيطان) تصور بهذه الصورة (فانطلق) قتادة (فاضاءله العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج) من بيته كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم قيل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء وهاجت السماء وأظلمت وبرقت فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتادة فقال له قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان أشهدها فقال له اذا انصرفت فأتني فلما انصرف أعطاه عرجونا وقال خذه فيضيء امامك عشرا وخلفك عشرا الحديث ويضيء جاء متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان المراد به واحد من الجن المردة أو ابليس بعينه (ومنها) أي من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم في قلب الاعيان مارواه البيهقي في حديث مسند وهو (دفعه لعكاشة) ابن محصن الصحابي المشهور وهو بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول وأصله العنكبوت أو بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع أصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطاء والتسليم كما يقال دفع له المال (جذل حطب) بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر ومنه المثل أنا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجرباء فاستعير لمن يرجع لرأيه ويستشفى بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام آخر فقال مثل ماقال فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من خيار المهاجرين وأيضا ورد انه انما قال للثالث ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت أو لانه عرف صلى الله تعالى عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال وعم مثله الناس وهو مما يكتم (وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر) أي في وقعة بدر كما مر في اطلاق اليوم على مثله (فعاد في يده سيفا) أي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله (صارما) أي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة (طويل القامة) أي طويلا مستقيما (أبيض) اللون (شديد المتن) أي قوي الجرم صلبا من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضاء وقوامها به (فقاتل به) ببدر حتى انقضت (ثم لم يزل) السيف (عنده) أي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة وتردادها ان أخرمنها هذا (يشهد) أي يحضر (به المواقف) أي قتال الكفرة (الى ان استشهد في قتال أهل الردة) واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى آخره غاية لبقائه في يده فلا ينافيه بقاؤه عند أهله بعده كما توهم (وكان هذا السيف يقال له العون) سمي به هذا

قتال أهل البغي مؤرخا بايام علي رضي الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين في عصره ولم يختلطوا باهل شرك في دهره (ودفعه) أي ومنها
دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبدالله بن جحش) بفتح الجيم فسكون مهملة (يوم أحد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية
(عسيب نخل) أي جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) أي انقلب (في يده
سيفا) رواه البيهقي وفي سيرة ابن سيد الناس انه أعطى سامة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان في
يده فاذا هو سيف جيد
فلم يزل عنده حتى قتل
يوم جسر أبي عبيدة
انتهى ونقله الواحدي
باسناده (ومنه) أي ومن
هذا النوع (بركته في
درور الشياه الحوائل)
بالهمز جمع الحائلة وهي
الشاة العديمة اللبن
(باللبن الكثير كقصة
شاة أم معبد) بفتح
الميم والموحدة وقصتها
ما رواه ابن سعد
والطبراني عن أبي
معبد الخزاعي انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لما
هاجر ومعه أبو بكر
ومولاه عامر بن فهيرة
وعبدالله بن الاريقط
استأجره دليلا وهو على
دين كفار قريش
فاخذ بهم طريق
الساحل فروا بقديد
على أم معبد عاتكة
بنت خالد الخزاعية
وكانت برزة تحتبي بفناء
بيتها فتطعم وتسقي من
مر بها وكانوا مرملين
مسنتين فطلبوا منها
لبنا فلم يجدوا فرأوا
عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم وهو
فقال أتأذنين لي ان أحلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه
ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها أبو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن
هزالا فرأى اللبن فعجب فقال أنى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث

المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب وأهل الصدر الاول انهم يسمون آلات حربهم
وخيولهم باسماء كالاناسي (ودفعه) مصدر مرفوع مبتدأ خبره مقدر أي من كراماته صلى الله عليه وسلم
دفعه أو هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو الاولى (لعبدالله بن جحش يوم أحد) أي في وقعة
أحد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله تعالى عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين
بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع أنفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته
مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة (وقد ذهب سيفه) جملة حالية أو معترضة فاعطاه صلى الله تعالى
عليه وسلم (عسيب نخل) عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة
قيل وهي جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم
ينبت عليه خوص كعسب الذنب (فرجع) أي صار العسيب وهو أحد معنيي الرجوع ويكون لازما
ومتعديا (سيفا) مفعول رجع قال ابن عبد الله البر في الاستيعاب انقطع سيف عبدالله بن جحش يوم
أحد فاعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قائمه
كان منه فبقي الى ان بيع من بغاء التركي بمائتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية
تدل على ان العسيب أصل العرجون لا الجريد كما قيل وهذه أعظم من معجزة موسى عليه الصلاة
والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت
مرارا في عصى متعددة وتلك عصا واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن أسلم يوم بدر (ومنه)
أي من هذا النوع من الكرامات والبركات (بركته) صلى الله عليه وسلم (في درور الشاة) ودرور بدال
وراءين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا اسال لبنها من ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره
ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم وأصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا
والشياه بزنة رجال جمع شاة (الحوائل) جمع حائل وهي التي لم تحمل مطلقا أو ما حمل عليها فلم تحمل
وقيل انها ما لم تكمل سنة أو سنتين وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها
أبعد من الدر (باللبن الكثير) ذكره للايضاح والتأكيد أو أراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد
والمجاز المرسل (كقصة شاة أم معبد) عاتكة بنت خالد الخزاعي أخت حبيش الصحابي المعروف بالاشعر
وأبو معبد أسلم ومات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف
اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن أبي الجون ومنزله بقديد وقصة أم معبد مشهورة
وتقدمت الاشارة اليها وأفردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي
غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه
وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله
تعالى عليه وسلم المدينة بولد صغير لها وأسلمت كما بيناه سابقا وتفصيله في السيرة وشرحها

(وأعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز أى شاة أنثى وفى أصل العزفى المصحح من أصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبرى فى كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه وأعطاه اعنزا عفرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور فى أبيه

وأبى الذى مسح الرسول برأسه * ودعاله بالخير والبركات

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة أنس) أى وقصتها (وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهى المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه أبو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) أى كما رواه البيهقى (وكانت) أى تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاى أى لم يثب ولم يعل (عليها فحل) أى للضراب وروى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حامل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما فى صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة أم معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روى عنه انه قال أقبلت أنا وصاحبان لى وقد ذهب اسماعنا وأبصارنا من الجهد يعنى الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاث أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب كل انسان نصيبه ونرفع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجىء من الليل فيشربه فوقع فى نفسى ذات ليلة ان نبى الله يأتى الانصار فيتحفونه ما به حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على ما فعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو على فأهلك وجعل لا يجىء النوم وأما صاحباى فناما فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو على فقال اللهم اطعم من

وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا (و) منها قصة (أعنز) جمع عنز (معاوية بن ثور) بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكاء والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وفى نسخة العزفى انه معونة بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره الحافظ الحلبى ونقل خلافه عن الذهبى وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ولده بشر ومعه الضحيع بن البكاء والاصم بن كعب فقال يا نبى الله بأبى أنت وأمى أمسح على وجه ابنى فمسح عليه وأعطاه أعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات قحط وغلاء أصاب بنى البكاء فأصابتهم بركته صلى الله تعالى عليه وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بنى بشر المذكور وفيه قصة الاعنز وفى ذلك يقول بشر رضى الله عنه

وأنا الذى مسح الرسول برأسه * ودعاله بالخير والبركات

(وشاة أنس) وقصتها كقصة شاة أم معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطى فى تخريجه أيضا لعدم الوقوف عليها (وغنم حليمة مرضعته) صلى الله تعالى عليه وسلم أى قصة غنمها التى رواها أبو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه فى سنة كان فيها قحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تأتى من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتى عجافا جائفة الضرع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة هى بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها والحارث بن عبد العزى وقد أسلمت هى وزوجها وأولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة (وشارفها) بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة المهرية وقيل انها تشمل الذكر والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم شارف ليس فى ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما أخذت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت انى والله أرجو بركته الى آخر القصة (وشاة عبد الله بن مسعود) التى روى قصتها البيهقى وابن مسعود من كبار المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فرعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال له هل عندك لبن قال نعم لكنى مؤتمن فقال ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابى بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه (وكانت لم ينز عليها فحل) نزا الذكر على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهائم والسباع والفحل الذكر فيصح فى ينز أن يكون بفتح الياء التحتية وضم الزاى المعجمة مبنى للفاعل ويصح ضم أوله وفتح آخره بالبناء للمجهول وهو مبالغة فى عدم اللبن بنفى اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها (وشاة المقداد) بالجر أى قصتها التى رواها مسلم

أطعمني واسق من سقاني قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز أيتها أسمن أذبحها له فاذاهن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت أن النبي قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الارض فقال احذر سوءتك يامقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فماهي قال فقلت يارسول الله كان من أمري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماهذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) أي من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه سقاء) بكسر أوله أي وعاء (ماء بعدان أوكاه) بألف بعد الكاف أي ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة أي ففتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذابه) أي فيه وفي نسخة فاذاهو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة) بتاء وحدة وفي أصل الدلجي زبده بالاضافة أي زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه أي في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام أبو سلمة أحد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما أعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القصة عنهما ففي كل نسخة اشارة الى أحدهما بل روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر

والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما يأتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها اللبن بيننا فكنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم وقد نام صاحباي فجاء صلى الله تعالى عليه وسلم لعادته ليكشف الاناء فلم يجد شيأ ورفع بصره الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ماسمن منها فاذاهن حفل كلها فحلبت اناء حتى علت رغوته وجئت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم احذر سوآتك يامقداد يعني انك فعلت سوءة فماهي فقلت يارسول الله كان مني كذا وكذا فقال ماهذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من أخطأت من الناس (ومن ذلك) أي من كراماته وبركاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلا (تزويده أصحابه) أي اعطاءهم مايتزودونه أي يكون زادا والزاد يشمل الماء والطعام والمراد الاول لقوله (سقاء ماء) السقاء ككساء جلد كالقربة وضع فيه الماء واللبن ونحوه وضمن تزويد معنى اعطاء ولذا نصب السقاء أو هو على التسمح وقوله سقاء ماء المراد به سقاء فيه ماء كما يشهد له مابعده (بعدان أوكاه) أي شده بالوكاء وهو مايربط به القربة ونحوها (ودعا فيه) أي دعا في شانه وأمره وبسببه وبعد متعلق بتزويد (فلما حضرتهم الصلاة) أي دخل وقتها حتى كأنها جاءتهم وهذا يقتضي انه كان مايصلح للوضوء (نزلوا فحلوه) أي حلوا وكاءه ليستعملوا ماءه (فاذاهو لبن حليب) أي فاجأهم كونه لبنا اصابعد ماكان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وزبدة) بتاء الوحدة أو بالاضافة لضمير اللبن أو للسقاء بادنى ملابسة (في فمه) أي في فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته وانما أوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقاء معهما وهذا الحديث (من رواية حماد بن سلمة) بن دينار الامام أبو سلمة أحد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من روايته على خلاف المعتاد من أسلوبه في تحريره قبل بيانا الشان هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم من أجله وروى عنه والمغاربة والمصنف رحمه الله تعالى من أجلهم يمشون أثر مسلم فلا يعتدون بمن غض منه وقال ان البخاري لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر (ومسح على رأس عمير بن سعد) أي مر صلى الله تعالى عليه وسلم يده على رأسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو أبو كبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة ايضا ولا أعرف من جرت

له

(وبرك) أى دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) أى رأسه خصوصا أو شعره عموما والله تعالى أعلم (وروى مثل هذه القصص) أى الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) أى عن كثيرين من الصحابة (منهم السائب بن يزيد) وقد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزارى مولاهم أسلم مع مواليه علق البخارى حديثه وقيل هو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان فى ثقاته فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس أبى سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسود وسائر رأسه أبيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) أى ابن يربوع السلمى له صحبة ولى الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وأما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبى (طيب يغلب طيب نسائه) أى رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقى والطبرانى (وسلت الدم) أى مسحه وأماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمز (ابن عمرو) أى ابن هلال أبو هبيرة المزنى بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) أى وقد كان (جرح يوم حنين) وفى نسخة يوم أحد (ودعا له فكانت) أى بعده كما فى نسخة أى بعد سلته من موضعه (له

له هذه القصة منهما وقال السيوطى ان الذى رواه الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفى نسخة التلمسانى عمر بن سعيد وقال انه أبو يحيى النخعى الكوفى مات سنة خمس عشرة ومائة (وبرك) بالتشديد أى دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة فى عمره وصحته (فمات وهو ابن ثمانين) أى وقد بلغ سنه الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما قال الايالى حبالى قال

فخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(فما شاب) أى ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم ففى الهرم بنفى الشيب لانه من لوازمه (وروى) بناء للمجهول نائب فاعله (مثل هذه القصص) من بركاته صلى الله عليه وسلم (عن غير واحد) أى عن كثير ففى الواحدة كناية عن الكثرة (منهم السائب بن يزيد) بن سعد بن ثمامة بن الاسود (ومدلوك) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو وتليها كاف وهو أبو سفيان الفزارى له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم مع مواليه وعلق البخارى حديثه فى غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك أبو سفيان كان يسكن الشام وأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فمسح برأسه فكان ما مست يده أسود وسائر رأسه أبيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقار الانه مدحه لدلالته على الصحة كما روا لكل شئ جهة مدح وجهة ذم وقد أفرد ذلك الثعالبى فى كتاب سماه مدح الشئ وذمه (و) روى الطبرانى والبيهقى انه (كان يوجد لعتبة بن فرقد) أى كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية وهو أبو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمى الصحابى شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولى الموصل (طيب) نائب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف أى رائحة طيب يشم من جسده ويفوح فى مجلسه (يغلب طيب نسائه) أصل معنى الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتى غضبى وروى سبقت فالمراد ان رائحته تزيد على رائحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روى كما فى الدلائل والاستيعاب عن زوجته أم عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا فقلنا له فى ذلك فقال أصابنى الشرى على عهده صلى الله تعالى عليه وسلم فاقعدنى بين يديه وتجردت من ثيابى فتفل فى كفه ودلك الاخرى ثم أمرهما على ظهرى وبطنى فعبق بى ما ترون واليه أشار بقوله (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره) وهو متعلق وتعليل لقوله يغلب (وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو) أى مسح صلى الله تعالى عليه وسلم وجهه بيده متمكنا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المائع والرطب الملتصق بشئ آخر يقال سلت القصعة اذا أمر أصابعه على جوانبها لتنظف كما فى صحاح الجوهرى وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعائذ بعين مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمى به وهو عائذ بن عمرو بن هلال المزنى الصحابى من أصحاب الشجرة وهو مزنى وحديثه هذا رواه عنه الطبرانى (وكان) عائذ (جرح يوم حنين) أى فى وقعته التى وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل فى السير وحنين اسم موضع قريب من الطائف بينه وبين مكة ثلاثة أميال سمى باسم حنين ابن مهلائيل لنزوله به كما روجد له وكان الخ حالية (ودعا له) بجهاده فى سبيل الله (فكانت له

غرة) أي بياض في وجهه من غير سوء به (كغرة الفرس) وفي أصل الدلجي ولا كغرة الفرس أي بل أعلى منها رواه الطبراني
(ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) أي بالبركة (فهلك) أي مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض
وموضع كف النبي) وفي نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ومامرت يده عليه من شعره) أي بقية شعر رأسه (أسود
فكان) أي قيس بسبب تلك الغرة في جبهته (يدعى الأغر) أي تشبيها لما في وجهه من البياض كغرة الفرس ذكره ابن الكلبي
(وروى مثل هذه الحكاية) أي من مسح الرأس وظهور أثر المسح كما رواه البيهقي (لعمرو بن ثعلبة

الجهني) قال الحلبي هذا الآخر لا أعرفه وقال الدلجي لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وجه السعدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسه ووجهه لعل غالب مسحه كان على وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) أي لمعان عظيم (حتى كان ينظر في وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم والهمزة الممدودة رواه أحمد والبيهقي (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة ففتح تحتية وفي نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلمساني بخاء معجمة
مضمومة وراء مفتوحة وبمثناة من أسفل ساكنة قال وروى مثل ما قدمنا واخترناه قال وكذا ذكره أبو عمر وهو الذي روى صحبة
حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبي حديثه في مسند أحمد ولابيه صحبة وذكر في التجريد حنيفة والد حذيم لها صحبة ولابنه حنظلة
قيل ولابن ابنه أيضا لكن قال موسى لابن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزي وغيره ما نعلم أربعة أدركوا رسول الله صلى الله عليه تعالى
وسلم الا هؤلاء يعني أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق قال الحلبي ومحمد أبو عتيق الصحيح انه تابعي
ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وأمه أسماء وأبوها أبو بكر وأبو قحافة لكان صوابا فان هؤلاء لا خلاف في صحبتهم

غرة) بيضاء منيرة (كغرة الفرس) من أثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا
وعرضا في وجهه فان قلت سميت فرجة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة
والسلام والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس أي لا تشبه غرته لما فيه من النور
وليس كالوضح في البدن (و) ذكر ابن الكلبي انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مسح على رأس قيس بن
زيد) وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه وفي بعض النسخ
بزيد بباء في أوله وأبوه يسمى عامرا (الجذامي) نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة (ودعا له) صلى الله
تعالى عليه وسلم بما فيه بقاء صحته وعافيته (فهلك) أي مات فالهلاك والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت
غير مرض لكنه ليس معنى وضعيا (وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض) اشيبه (وموضع كف النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ومامرت عليه يده أسود) لم يشب ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان يدعى
الأغر) أي كان يسمى بالأغر لما في وجهه من النور تقول دعوت ابني محمدا اذا سميته به (وروى) بالبناء
للمجهول والذي رواه البيهقي (مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني) في مسحه صلى الله تعالى
عليه وسلم برأسه وبقاء أثره في وجهه وموته كما مات قيس على أحسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدي بن
مالك النجاري الزهري والجهني منسوب لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلائل البيهقي انه قال
لقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيالة فأسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو وقد أتت
عليه مائة سنة وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من وجهه ورأسه وسيالة
بوزن سحابة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم
(على وجه آخر) قال البرهان لا أعرفه وقيل لعله خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روى انه مسح على وجهه
فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن أم سليم فانه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بناصيته
فكان كغرة (فما زال على وجهه نور) من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم (ومسح) صلى الله عليه وسلم
(وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية
وترجمة (فكان لوجهه بريق) أي لمعان وصفاء بشرة من أثر مرور يده الشريفة عليه
(حتى كان ينظر) بالبناء للمجهول (في وجهه) أي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة
وجهه فيه لشدة صفاء بشرته (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروفة
والظاهر انه مبالغة في صفائه وحسنه وليس المراد حقيقته (ووضع) صلى الله تعالى عليه
وسلم يده (على رأس حنظلة) في حديث رواه البيهقي بطوله مسندا (ابن حذيم) قال ابن ماكولا
هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال انه حنيفة
ابن حذيم أبو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد حنيفة والد حذيم ولهما
صحبة ولحنظلة ابنه وذكر حذيما فقال حذيم ابن حنيفة بن حذيم الحنفي والد له فيما قيل

وبرك عليه) أي دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهني فهو في حكم النكرة أي برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء أي تورم وانتفخ (والشاة) أي وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح أوله أي ثديها (فيوضع) وفي نسخة فيضع أي محل الورم منهما (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من رأسه (فيذهب الورم) أي من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقي وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبمعجم ان لم يعتمد رش (في وجه زينب) أي ربيبته (بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفي نسخة فما كان يعرف (في وجه امرأة من الجمال ما بها) أي مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر في استيعابه وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كانت من الليلة الأخرى دخل في ظلمة فقال انظروا زبانبكم لئلا أطأ عليها أو قال أخروا حكاه السهيلي هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح في وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبي به عاهة) أي آفة من قرع ونحوه (فبرأ) أي زال ما به (واستوى شعره) أي على حاله بل أحسن منه في مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان أبا نعيم روى عن الاوزاعي انه انطلق الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوته له أعقل منه أي ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا أحسن منه ببركته ومسح وجهه هذا زيد في نسخة هنا وروى مثله في خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره أبو عمرو قيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبري هو والمهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمي المهلب (وعلى غير واحد) أي ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسر فعوفوا من مرضهم وجنونهم

صحبة ولابنه وابن ابنه صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم أربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزي لا يعلم أربعة ادركوه صلى الله تعالى عليه وسلم الا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى أبا عتيق انتهى والصحيح ان أبا عتيق تابعي وحرر عليه الذهبي في تجريده ولو قالوا عبد الله بن الزبير وأمه اسماء وأبوها أبو بكر وأبوه أبو قحافة كان صوابا انه لاخلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة أشخاص ولهم رابع ذكره العراقي في حاشية ألفيته وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي هذا محصل ما قاله البرهان (وبرك عليه) بالتشديد أي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك (فكان يؤتى) بصيغة المجهول أي يأتيه الناس (بالرجل) تعريفه للعهد الذهني المساوي للنكرة (قد ورم وجهه) جملة حالية أي أصابه مرض ورم منه وجهه (والشاة) بالجر من المعز والضأن (قد ورم ضرعها) وهو كالثدي للانسان وهو معروف (فيضع) محل الورم من الوجه والضرع (على موضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الذي مسه به (فيذهب الورم) الذي كان أصابه (و) روى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نضح في وجه زينب بنت أم سلمة) بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وأم سلمة هي أم المؤمنين وزينب بنتها ربيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالماء ونحوه (نضحة) أي رشة (من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة) أي ما كان يرى وينظر في وجه أحد من النساء أو يعلم بالاخبار ان لم يرها (من الجمال) أي حسن الوجه ورونقه (ما بها) أي ما كان بها من ذلك ببركة الماء الذي رشه صلى الله تعالى عليه وسلم في وجهها الان ذلك الماء كان مسه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وتقدم ان اسم أم سلمة هند وقيل رملة وأبوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها أمها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة المباركة (على رأس صبي) كان ذلك الصبي (به عاهة) أي آفة ومرض والمراد انه كان أقرع واسم هذا الصبي لا يعرف (فبرأ) بزنة ضرب وآخره مهموز وأما برى بمعنى خلق فمعتل أي زالت عاهته وشفي مما به (واستوى شعره) أي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح (ومثله روي في خبر المهلب بن قبالة ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على غير واحد) أي على كثير كما مر بيانه (من الصبيان المرضى) جمع مريض (والمجانين فبرؤا) أي زال ما بهم

من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل ابراء المرضى وذوي العاهات وأكثر فصوله متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد المصنف (و) في حديث لم يخرجوه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أتاه رجل به أدرة) بضم الهمزة وسكون الدال وبالراء المهملتين وهاء وهو انتفاخ في الخصيتين معروف (فامره أن ينضحها) أي يرش على أدرته (بماء من عين مج فيها) أي كان صلى الله عليه وسلم تفل ريقه فيها (ففعل) أي رش من مائها على ادرته (فبرأ) أي شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله تعالى عليه وسلم في الماء الذي خالطه فيه وضمير فيها للعين أي عين الماء لانها مؤنثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء أوللعين لتأويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها انفتاق فيها أو في أحد جانبيها وقد يكون بلحم يزيد فيها أو ريح كما يعرفه الاطباء وينضحها يجوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة الخفيفة ولام وروى هلب بن قنافة وهلب بضم الهاء وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفاء قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة ابن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه ونبت شعره فسمي المهلب لذلك (و) في حديث روى (عن طاوس) ابن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من ابناء الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القراء روى عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهما وكان رأسا في العلم والعمل توفي سنة ست أو خمس ومائة وأخرج له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج أربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من أجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أي لم يأته أحد (باحد به مس) سيأتي تفسيره (فصك في صدره) بصاد مهملة وكاف مشددة أي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب أو أشده (الاذهب) المس عنه وبرأ مما به وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية تاتي بالواو وقد وبدونهما (والمس الجنون) واللمس والمس متقارب بان الا انه يكنى به عن الجنون قال الله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال على كل ما ينال الانسان من الاذى كقوله تعالى مستهم البأساء والضراء (و) روى أحمد عن وائل بن حجر مسندا انه صلى الله تعالى عليه وسلم (مج) أي صب من فيه (في دلو) فيه ماء أخرج (من بئر ثم صب فيها) أي في البئر الماء الذي مج فيه ريقه (ففاح منها ريح المسك) الريح هنا بمعنى الرائحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو أتم منه وأطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته (و) في حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله تعالى عليه وسلم (أخذ قبضة) بفتح القاف وضمها (من تراب) أي ملء كفه من التراب (يوم حنين) أي في وقعتها المشهورة في السير (ورمى بها) أي بترابها (في وجوه الكفار) فاصابتهم جميعا

(وأتاه رجل به أدرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين أي نفخة في خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة أي يرشها (بماء من عين) أي ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) أي صب من فيه (فيها) أي في تلك العين وفي نسخة فيه أي في الماء أو في ذلك المكان (ففعل) أي النضح (فبرأ) قال الدلجي لا أعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمزة غلط فيهما وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم والعمل توفي بمكة سنة ست أو خمس ومائة أخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما جيء (باحد به مس) أي جنون أو وله (فصك) بتشديد الكاف أي ضرب (في صدره الاذهب) أي ما به من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم أي صب من فمه (في دلو) أي فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم أي كب الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) أي سطع وانتشر (منها ريح المسك) أي مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه أعلى أنواع الرائحة وان كان رائحة ما مجه أتم أصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه أحمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فج أطيب من المسك هكذا رواه وصوابه فصار أطيب أو فعاد أطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج أطيب من المسك (وأخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح أي مقبوضة منه (يوم حنين) وفي نسخة يوم بدر وهو أصل التلمساني قال وروى حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار (ومن) باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار) (وقال

وقال شاهت الوجوه) أى قبحت مأخوذة من الشوهة وهو القبح وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمسانى (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة وألف مقصورة جمع قذاة وهى ما يقع فى العين وغيرها من تراب ونحوه ونحوها أى يميطونها ويزيلونها (عن أعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع ١٤٩ (وشكا اليه أبو هريرة النسيان) أى نسيان ما يسمعه من الحديث والقرآن (فأمره ببسط ثوبه) أى بفتحه ونشره لديه (وغرف) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) أى تشبيها بمن أخذ شيأ وألقاه فى ثوبه ثم أمره (بضمه) أى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسى شيأ) أى من أمره فى عمره ٢ (وما روى عنه فى هذا كثير) أى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى ما روى عن أبى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو أربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبد الله) أى البجلى (ودعا له) أى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) أى جرير (ذكر له) أو كان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) أى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء أى شجعانهم وفى نسخة من أفرس العرب (وأثبتهم) أى على الخيل من ركبانهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) أى ابن أخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة أى قبيحا ودميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق بالفتح وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى

(وقال شاهت الوجوه) جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهى من الشوهة والتشويه وهو القبح قيل وأول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع مثله فى يوم بدر كما فى السير وهو شئ أقدره الله تعالى عليه كما قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا المقدار اليسير الى أعين هؤلاء الجم الغفير من صنع الملك القدير (فانصرفوا) أى ولى الكفار حال كونهم (يمسحون القذا) بفتح القاف والذال المعجمة وألف مقصورة وهو ما يقع فى العين من التراب ويكون أيضا ما يقع فى الماء المشروب ونحوه مما يكدره (عن أعينهم) أى يزيحونه ويزيلونه منها لتأذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفى الحديث يرى أحدكم القذاة فى عين أخيه ويعمى عن الجذع فى عينه وهو مثل يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونظمه بعض المتأخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه * ان ليالى عمره سارية

ينظر فى عين أخيه القذا * ولا يرى فى عينه السارية

وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا ولما وصل التراب الى أعينهم وقال شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى بعض النسخ انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرب صدر جرير بن عبد الله) البجلى الصحابى رضى الله تعالى عنه وليس هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب (ودعا له وكان) جرير (ذكر له) صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لا يثبت على الخيل) أى لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته (فصار) جرير رضى الله عنه حينئذ (من أفرس العرب) أى أقواهم (وأثبتهم) على ظهورها ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له فالفاء فصيحة أى فدعا له فصار الى آخره (ومسح) صلى الله تعالى عليه وسلم (على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) بن نفيل القرشى العدوى المدنى الصحابى (وهو صغير) وكان أتى به الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فحنكه (وكان دميما) بدال المهملة بمعنى حقير وأما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا (ودعا له بالبركة) أى بالزيادة فى خلقته وسائر أموره (ففرع) بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات (الناس) أى جنسهم وفى نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم (طولا) أى فى طول قامته (وتماما) أى بان تم سائر أعضائه وكمل الله خلقته بدعائه له صلى الله تعالى عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد فى الاصل ونقل من خط المصنف رحمه الله تعالى (وشكى اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو هريرة) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس (النسيان) مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثانى يتنبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطأ انه صدور أمر من غير قصد (فأمره) صلى الله تعالى عليه وسلم (ببسط ثوبه) أى ما كان لابسا له فى ذلك الوقت أى بان يضعه على الارض ويفرشه (وغرف بيده فيه) أى فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شئ ما يضعه فى آخر وضمير فيه للثوب الذى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ببسطه للامر الذى أراده له (ثم أمره) بعد ما غرف فيه (بضمه) أى ضم ثوبه على جسده (ففعل) أى ضمه عليه حتى كأنه صار بدنه ما غرفه له (فما نسى شيأ بعد) البناء على الضم لما تقرر فى محله فى علم

٢ قوله وما روى هذه الرواية لم توجد باصل الصلب الذى بايدينا فلتحرر اه مصححه

العربية أى لم ينس أبو هريرة شيأ مما كان يسمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما التقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخارى وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص فى العرف بالمخيط منه ومافعله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغرف ونحوه بجعل المعانى المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشئ عنده اغترف منه حتى ملأ رداءه وضمه اليه حتى يحيط به ويسرى من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف فى عالم الشهادة فوض اليه التصرف فى غيره أيضا وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف عليه الا بالكشف

(فصل ومن ذلك) أى من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته الباهرة (مااطلع عليه) هو اما مبنى للمجهول من الافعال أى أطلعه الله تعالى عليه أو من الافعال (٢) مبنى للفاعل بتشديد الطاء (من الغيوب) بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عنى كذا ويستعمل فى كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله عالم الغيب والشهادة أى ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب أى بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام (ومايكون) فى المستقبل وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير الله أو ماسيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات (والاحاديث) الواردة (فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الغيب الذى أطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (بحر) تشبيه بليغ أى فى كثرتها كالبحر (لايدرك قعره) بالبناء للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وأرضه أى لا يصل أحد الى نهايته (ولا ينزف) بمعجمة وفاء مبنى للمفعول أو للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى أى لا ينفد ويفنى (غمره) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الماء الكثير جدا (وهذه المعجزة) فى اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على الغيب (من جملة معجزاته) اشارة الى كثرتها فهى البحر حدث عنه ولا حرج (المعلومة) للناس (على) طريق (القطع) بتحققها بحيث لا يمكن انكارها أو التردد فيها لاحد من العقلاء وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار فى بعضها كالقرآن والى هذا اشار بقوله (الواصل الينا خبرها) جاريا (على) نهج (التواتر) المشهور (لكثرة رواتها) أى رواة مجموعها (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) أى الامور المغيبة وهذا لا ينافى الآيات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفى علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذى يبصر به فمن كان الحق بصره فاطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافى قول المرسى فى تفسيرها الا رسول أو صديق أو ولى ولا زيادة فيه على النص فان السلطان

اذا

فهملة أى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم ابن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن أبيه

(فصل)

(ومن ذلك) أى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة أى ما ألهم اليه (من الغيوب) أى الامور المغيبة فى الحال (ومايكون) أى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) أى فى هذا النوع من أنواع الكتاب (بحر لايدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير أى لا يحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) أى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) أى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) أى لدينا (لكثرة رواتها) أى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها الدالة على الاطلاع على الغيب) أى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا

(٢) قوله من الافعال لعل صوابه من الافتعال اه مصححه

اذاقال لايدخل على اليوم الا لوزير لاينافى دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولى اذا أطلعه الله على غيبه لم يرونورنفسه واغمارآه بنوررمتبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا أشار الغزالى فى أماليه على الاحياء ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرسول فى الآية ملك الوحى الذى بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة أوالقاء فى روع أوضرب مثل فى يقظة او منام ليطلع من أراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه أحدا من عباده الا على يدى رسول من ملائكته أرسله لمن فرغ قلبه لانصباب أنهار العلوم الغيبية فى أوديته حتى يصل لاسرار الغيب المكنونة فى خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه أشار القاضى فى تفسيره وبقى ثمه أسرار لاتسعها الحروف ثم انه بين ما أجمل بحديث رواه أبو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان رحمهم الله تعالى الشيخان لما فى طريقه التى رواه منها من الزيادة فقال (حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى) المعروف (اجازة) منه بروايته عنه (وقرأته على غيره) اشارة الى انه رواه من طرق متعددة قويه والقراءة والاجازة طريقان اختلف فى أيهما أقوى وقيل انهما متساويان وهو الظاهر (قال أبو بكر حدثنا أبو على التسترى) على بن أحمد بن على الامام المشهور أحد رواة سنن أبى داود وتستر كجندب بلد معروف وسينه مهملة واعجامها لحن قال (حدثنا أبو عمر الهاشمى) وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال (حدثنا اللؤلؤى) وهو أبو على محمد بن أحمد بن عمر السابق ترجمته قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهور كما تقدم قال (حدثنا عثمان بن أبى شيبة) بن محمد بن ابراهيم أبو الحسن الكوفى الحافظ توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن وغيرهم وترجمته فى الميزان قال (حدثنا جرير) ابن عبد الحميد الضبى صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفى سنة ثمان وثمانين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان وغيره (عن الاعمش) هو سليمان بن مهران كما تقدم فى ترجمته (عن أبى وائل) سفيان بن سلمة الاسدى المخضرم توفى سنة اثنين وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة أخرج له الستة (عن حذيفة) بن اليمان الصحابى المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبره بالفتن وما سيكون وروى عنه أحاديث كثيرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفى سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل فى الفتن مشهور واليه أشار بقوله (قال قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قائما أى قام ونحن عنده فالظرفية مجازية (مقاما) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمى فهو مفعول مطلق (فما ترك) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقامه هذا (شيأ) مما (يكون) أى يوجد ويحدث بعده مما يهم من أحوال المسلمين ومن يتولى أمورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيأ (فى مقامه ذلك) أى فى خطبته التى خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به (الى قيام الساعة) أى من أول زمنه الى آخره فقدره لدلالة المقام عليه (الاحدثه) أى الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفى نسخة حدث به والفعل فى تأويل الاسم كقولهم أنشدك الله لا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به فى الشئ وقيل انه منقطع بمعنى لكن (حفظه من حفظه) الضمير للحديث المفهوم من السياق (ونسيه من نسيه) أى حفظه بعض

(حدثنا الامام أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقراءته (على غيره) أى روايه (قال أبو بكر) احترازعن غيره (حدثنا أبو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لامعجمة كما فى لسان العامة وهو أحد رواة سنن أبو داود (حدثنا أبو عمر الهاشمى حدثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن أبى داود (حدثنا أبو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما أسند المصنف هنا من حديث أبى داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (حدثنا عثمان بن أبى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (حدثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن أبى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) أى ابن اليمان (قال قام فينا) أى خطيبا أو واعظا أو معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم فى مكان أو قياما (فما ترك) وفى نسخة ما ترك (شيأ) أى مهما (يكون) أى يحدث من العدم (فى مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الاحدثه) وفى نسخة حدث به أى حدث بوجوده (حفظه) ما ذكره (من حفظه) أى جميعه (ونسيه من نسيه) أى بعضه أو كله

(قد علمه) متعلق بيكون أى عرف هذا الخبر (أصحابى هؤلاء) أى من الصحابة الحاضرين أو الموجودين قال الدلجى لم أر هذه الزيادة من مختصات رواية أبى داود لان لفظه قد علمه أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) أى الشان (ليكون منه) أى ليحدث ويقع مما أخبرنا به (الشئ) أى الذى قد نسيته فأراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) أى انه مما أخبرنا به (واذكره) أى اتذكره بعد ما نسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رآه عرفه) أى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد أبو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن أبيه عن حذيفة وان كان صنيعه هذا يقتضى اتصاله به (ثم قال) أى حذيفة كما فى أكثر النسخ (ما أدرى أنسى أصحابى) أى حقيقة (أم تناسوه) أى تكلفوا انسيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهم بما هو أهم منه ولما أراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) أى أمير لها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة أو محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) أى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) أى فاكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) أى لاجلنا (باسمه واسم أبيه وقبيلته) أى التى تؤويه (وقال أبو ذر) أى على ما رواه أحمد والطبرانى بسند صحيح وأبو على وابن منيع عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف أى أفهمنا (منه) من ذلك الطائر أو تحريكه (علما) أى حكما اجماليا أو تفصيليا (وقد خرج أهل الصحيح) أى من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك وأحمد وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما أعلم به) مفعول خرج أى ما أخبر به (أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) أى الغلبة (على أعدائه) وفى نسخة على أعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما

(و)

السامعين له ونسيه بعضهم (قد علمه أصحابى هؤلاء) الحاضرون عنده أو المراد أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الزيادة فى رواية أبى داود ولم يذكرها البخارى (وانه) الضمير للشان (ليكون منه الشئ) أى يوجد شئ مما حدثنا به فى ذلك المقام فى الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فأراه بعينى بعد ما وجد (فاعرفه فاذكره) أى أتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما أخبرنا به رسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضاحا له (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه) فيه تقديم وتأخير أى كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه وهو فى مخيلته الا انه لم يذكره فاذا رآه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بتذكر بل بمنسى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا (ثم قال) حذيفة فيما رواه أبو داود وزاده على ما رواه الشيخان (ما أدرى أنسى أصحابى) هذا الحديث (أم تناسوه) أى أظهروا انسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه من الاسرار التى لا ينبغى ان يحدث بها كل أحد (والله) قسم أكد به ما بعده (ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد) بالقاف والدال المهملة ومن زائدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشى خلفه (فتنة) فيأتى للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من أصحاب البدع من زمنه (الى ان تنقضى الدنيا) أى الى ان تتم وتنتهى مدتها ويخرب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (يبلغ من معه) أى يصل من معه من اتباعه والضمير للقائد (ثلثمائة) رجل (فصاعدا الا قد سماه لنا) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باسمه واسم أبيه وقبيلته) بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روى من طريق آخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن الجوزى وغيره (وقال أبو ذر) الصحابى المشهور فى حديث رواه أحمد والطبرانى وغيرهما باسناد صحيح (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذهب عنا وانتقل الى الآخرة من بين أظهرنا ولم يدع شيأ الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شئ من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا أطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيأ الا بينه لاصحابه (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء) أى فى الجو وهو كناية عن بيان كل شئ (الا ذكر لنا منه علما) وفى نسخة الا ذكرنا منه علما أى تذكرنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا فى الارض وهذا تمثيل لبيان كل شئ تفصيلا تارة واجمالا أخرى (وقد خرج أهل الصحيح) أى رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين وأصحاب السنن والمسانيد (والائمة) الحفاظ الثقات كاحمد والشافعى وأبو حنيفة ومالك (ما أعلم به أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به) بيان لما (من الظهور على أعدائه) لغلبتهم وقلة شوكتهم (وفتح مكة) الذى أخبر به قبل وقوعه فحققه الله تعالى

(وبيت المقدس) كما رواه البخاري عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما في الصحيحين عن سفيان ابن ابي زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة أي ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة وأخرى عند نسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخاري عن عدي ابن أبي حاتم (وان المدينة) أي السكينة (ستغزى) بالغين والزاى على بناء المفعول وهو من الغزاوى ستحارب وتقاتل وفي رواية بمهملتين قال الحافظ المزى الرواية في الحديث بالعين المهملة والراء يعني من العرى أي تصير عراء والمعنى ستخرب ليس فيها أحد فقد رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمساني وقع هذا في زمن يزيد بن معاوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهي أرض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من أبناء المهاجرين والانصار وكانت في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدي على في غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) أي يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) أي ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح أي ملك فارس (وقيصر) أي وكنوزه وهو ملك الروم كما في الصحيحين من طرق عن أبي هريرة وغيره

(و) فتح (بيت المقدس) كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم تميما الداري بفتحها لما أسلم وأقطعه أرضا بها ثم فتح في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما أقطاعه في سنة ست عشرة من الهجرة (و) فتح (الشام و) فتح (اليمن و) الفتح (العراق) يعني ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة تمام والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية كما في كتاب مرج البحرين في أخبار المشرقين والمغربين وأصل معنى العراق شاطئ البحر وقيل انه معرب (وظهور الامن) في الممالك الاسلامية وهو مجرور أي أعلم أصحابه بظهور الامن (حتى تظعن المرأة) بظاء معجمة وعين مهملة ونون أي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال الله تعالى يوم ظعنكم وذكر المرأة لمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا أمنت علم أمن غيرها بالطريق الاولى (من الحيرة الى مكة) بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة أخرى بقرب نيسابور (لا تخاف) المرأة (الا الله) كناية عن انه لا تخاف أحدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم (وان المدينة) يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها وأصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس (ستغزى) روى بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الآتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروى بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى أي تخرب وتخلو فتصير عراء ليس فيها أحد والعراء الفضاء الخالي من الناس قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى السياق فيه واشارة الى قصة الحرة أيضا فان الناس ارتحلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم أمنهم يزيد حتى عادوا لها (و) أعلمهم صلى الله عليه وسلم (بفتح خيبر على يد) على كرم الله تعالى وجهه (في غد يومه) أي أخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله تعالى على يديه فدعا عليا وكان أرمد فبصق في عينيه فبرأ وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شئ منه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (بما يفتح الله تعالى على أمته) أي بما ييسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم (من الدنيا) بكثرة المال والعزة (ويؤتون) بالبناء للمجهول أي يؤتيهم الله تعالى (من زهرتها) أي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة (وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر) الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزائنهما وأموالهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم أو نكرة وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم أطلق على كل ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان أمه ماتت حين أرادت وضعه فشق بطنها وأخرج

(ومايحدث بينهم) أي بين أمته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفي نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على مارواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس في الملك واختلاف أمر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من أهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) أي وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن أبي سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فسئل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) أي اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) أي طائفة كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن أبي هريرة قيل وأصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة شيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاثة فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) أي من تلك الفرق (واحدة) أي فرقة واحدة كما في نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي وهم أهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) أي الشان وفي نسخة وانها أي القصة وفي نسخة صحيحة وانهم وحسنه (سيكونون لهم) أي لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب من فراش ويغشى عليه الهودج أيضا وهذا في الصحيحين عن جابر وفي الترمذي عن علي (ويغدو) أي يصبح أو يمر (أحدهم في حلة ويروح) أي يمسي أو يرجع (في أخرى)

منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن أبي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله تعالى ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضي الله تعالى عنهم (ومايحدث بينهم) أي أعلمهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما يحدث بين أمته (من الفتون) بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما في أكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة أصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد بمعنى الفتنة أيضا وهو بطريق المجاز أي مطلق الميل (والاختلاف) في الكلمة والآراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان أحسن (والاهواء) بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا أطلق خص بالامور الباطلة (وسلوك سبيل من قبلهم) من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما أحدثوه من الضلال والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث (وافتراقهم) أي افتراق هذه الامة (على ثلاث وسبعين فرقة) أي ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى بنائية كما قاله الدواني في حواشي الشمسية في قوله رتبته على مقدمة الى آخره فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد بدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى أسلوبه فيقال بنى الدار على طبقتين أو يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور وعلى انحاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي (الناجية منها واحدة) أي الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان بني اسرائيل افترقت على ستين أو سبعين ملة فستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة واحدة أو فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم أي الناجون منهم قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق اشارة الى أنه ليس في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفاء الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى أن الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم في أمور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم أصول الدين وهذا من جملة ما أطلعه الله عليه من المغيبات (و) في حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه و(انهم سيكون لهم انماط) جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة (و) قوله (يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى) ومابعده من حديث رواه الترمذي عن علي

ويوضع بين يديه صحفة) أي اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) أي من بين يديه (أخرى) أي صحفة أخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا الاصحابه الكرام (آخر الحديث) أي في آخر الكلام (وأنتم اليوم خير منهم يومئذ) قالوا والعاطفة ردلقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا في طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وأنتم اليوم خير لان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهي مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى وفي نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة أو مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي بسببهم لهن (رد الله باسهم) أي شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) أي اطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) أي الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة أهل الشر في الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذي عن ابن عمر كما قاله الدلجي واماماذكره الحلبي من ان الحديث رواه الذهبي في ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفي الكرماني ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ماتقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفي الثبوت بطريق الحسن وهو كاف في الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى علي جماعة حتى قتله أشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرارا وانهم الحسين وأصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنو أمية سبعين سنة على بني هاشم ففعلوا مافعلوا

وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة سير أول النهار ويقابله الرواح والحلة هي الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما فوق الآخر كما ر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ماقلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته بعد ماكانوا عليه من التقشف كما ان قوله (ويوضع بين يديه) أي بين يدي احدهم (صحفة) بزنة قصعة وهي اناء الطعام (وترفع أخرى) أي صحفة أخرى اشارة الى تلون أطعمتهم وتعددها ونفاستها (ويستر بيوتهم) بالبناء للمجهول أي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة ويسترون بيوتهم (كما تستر الكعبة) وهذا كما تفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه (ثم قال) صلى الله عليه وسلم مخاطبا الاصحابه (في آخر الحديث) الذي رواه الترمذي وغيره (وأنتم اليوم) المراد به مطلق الزمان الحاضر (خير منكم يومئذ) أي أحسن منكم حالا من حالكم الآتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم فضلهم على أنفسهم باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلى به (و) مما أعلم به صلى الله عليه وسلم أصحابه (انهم اذا مشوا المطيطاء) كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا أن الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وألف ممدودة كما في الصحاح ويقصر أيضا كما في النهاية وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالثريا والمربطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد او من مطا يمطو كما بين في كتب اللغة (وخدمتهم بنات فارس والروم) أي اتخذوا الجواري والخدم منهم وخصهم لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا أو لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة أرقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم أيضا وهو معرب بارس بالباء المعجمة ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف أيضا سموا باسم أبيهم (رد الله بأسهم بينهم) جواب اذا والبأس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال بينهم لان الله كان أعطى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب اعدائه الكفرة وبقي من ذلك أثر فيمن اقتدى به من الخلفاء فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض وطلب كل منهم مافي يد الآخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب (وسلط شرارهم على خيارهم) الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى أخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الآن

(وقتالهم الترك) كما في الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اقواما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة أو وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر) أى وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاى فراء طائفة من الترك جمع أخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل أيضا فى كثير من النسخ واقتصر عليه الشمنى وفى حديث حذيفة كما فى بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيرى (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق فى الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجى لأدرى من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) أى ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) أى وذهاب قومه أى من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) أى ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما أخبر به من زوال ملكهما من أقليمهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر أعنى به هرقل قد انهزم من الشام فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه الى أقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادها ولله الحمد والمنة وأخذ السهيلى من هذا أن لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى وأراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان أول بالنكرة (وذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) أى كلما هلك قرن خلفه الى آخر قرن الدهر قال الفارسى معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد فى هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعده هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى

(و) أخبرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (قتالهم الترك) كما ورد فى حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطوراء وهى أمة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم من أولاد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا يأجوج ومأجوج وعلى كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقائع مشهورة كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة فى التواريخ (والخزر) بضم الخاء وسكون الزاى المعجمتين وراء مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم جمع أخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقائعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى الخزر بفتحتين أيضا وفى بعض نسخ الشفاء بخاء مضمومة وواو وزاى معجمة ساكنة وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت أو النظر بمؤخرها (والروم) أى مما وقع من أخباره صلى الله عليه وسلم أصحابه أخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحق سموا باسم أبيهم ثم قيل روم ورومى كزنج وزنجى وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان وأصل مساكنهم جهة الشمال (وذهاب كسرى) بفتح الكاف وكسرها كما مر أى ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه (وفارس) من أرض العراق وغيرها وقد تقدم بيانه (حتى لا كسرى ولا فارس) أى حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيامة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان نقول انه نكر كما فى هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى أى لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو أثره وفيه مقدر أى لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة (بعده) أى لا يكون بعده من جنسه (وذهاب قيصر) ملك الروم بذهاب ملكه وقومه (حتى لا قيصر بعده) وهذا مما رواه الشيخان أيضا بدون فارس الا انه وقع فى روايه من غير طريقهما (وذكر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما أخبر به من المغيبات التى كانت كما قال (ان الروم) أى جنسهم المعروف (ذات قرون) وفى نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة فى عصر واحد أى كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد أى كل ما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته روايه كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد بهم قرون شعورهم التى كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول همهم (الى آخر الدهر) أى يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه حين بعثه لهم كما هو مذكور فى السير وقد تقدم أيضا وهو مشاهد الى الآن ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك فى عهده كتب لكسرى فلما اقرأ كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

وكسر

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد * أذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما أتاه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم مع دحية قبله وأجله فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الآن عند ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم فى صندوق من ذهب وأوصى بعضهم بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قائما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم أخرجوه لابن الصائغ الحنفى لما أرسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عنده المنطاية وهو الى الآن عندهم ولكن الله يهدى من يشاء (و) أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه (بذهاب الامثل فالامثل من الناس) لامثل هنا بمعنى الاشرف لانه أكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب التفاضل لاثباته للاول ثم للثانى وهكذا الى ان يبقى حثالة لا عبرة بهم وفى الصحاح فلان أمثل بنى فلان أى أدناهم للخير وهؤلاء اماثل القوم أى خيارهم أى أعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفى البخارى يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة أى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة بالحاء المهملة والثاء المثلثة من كل شئ رديه (وتقارب الزمان) فى حديث رواه الترمذى عن أنس رضى الله تعالى عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومقارب وهذا يكون اذا قربت الساعة فى آخر الزمان كما ورد التصريح به فى بعض الروايات واختلفوا فى معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين وما زال الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مبالغة ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول أبى تمام

أعوام وصل كان ينسى طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام * ثم انبرت أيام هجر أعقبت
نحوى أسا فكأنها أعوام * ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وهذا المذكور هو الذى ارتضاه الخطابى واعترض عليه الكرمانى بانه لا يناسب قوله بعده (وقبض العلم) وقال ابن حجر انما احتاج الخطابى لتأويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص فى زمنه والذى تضمنه الحديث نجده فى زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام مالم نجده فى العصر الذى قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل كفى حزنا أن لا حياة هنية * ولا عمل يرضى به الله صالح

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شئ حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذى ارتضاه النووى رحمه الله تعالى وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن أهله أقصر أعمارا من أعمار القرن الذى قبله وقال البيضاوى فى شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه آخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن أوقاتهم ولا يشعرون بها * كما قلت

ان الزمان مقصر ذهبت به * بركاته اذ زادت الآلام
ماذاك الا انه قد فر من * خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده فى قوله (وظهور الفتن والهرج) وهى جمع فتنة وهى معروفة وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعنى أخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى الا ناس جهلة اذا

(وبذهاب الامثل فالامثل) أى الافضل فالافضل (من الناس) أى من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثانى وهكذا حتى تبقى حثالة لا يبالهم الله بالة (وتقارب الزمان) كما فى حديث الترمذى لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة أى العرفية والساعة كالضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشئ اذا قل وقصر تقارب أطرافه والظاهر انه أريد به زمن عيسى عليه السلام فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات أو زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لا يدرون كيف تنقضى أيامهم أو أريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم فى المنحة أو المحنة أو أريد به قلة البركة فى أعمالهم مع كثرة الحركة فى أحوالهم (وقبض العلم) أى بقبض العلماء لحديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة يتقارب الزمان بقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل

(وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث الشيخين عن أم المؤمنين زينب (ويل) أى هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان فى محنة المحاصرة وفتنة على مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) أى جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول فى نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها أى جمعها لى وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها والمعنى زويت لى جملة الارض مرة واحدة وستفتحها امتى جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) أى ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال أى انبثت أمته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كأن بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بدل أو بيان للمشارق والمغارب (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر أوله (وراءه) أى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) أى ما ملكته أمته (مالم تملكه أمة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم أى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل أى الى مطلع الثريا ولا

استغنموا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح الآتى لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله تعالى عز وجل فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل وأصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره فى الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم فى هرج ومرج (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (ويل للعرب من شر قد اقترب) أى قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر يشير بذلك الى أمر عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما وويل مبتدأ وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهى ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل فى العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد يأجوج ومأجوج لان الحديث أوله قالت زينب رضى الله تعالى عنها استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النوم محمرا وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الى آخره فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج أى السد وعقد تسعين يعنى بجعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه صلى الله عليه وسلم يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم المشهور ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط فى شروحه (و) أعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه أيضا (انه زويت له الارض) بالبناء للمجهول أى جمعت وضم بعضها البعض حتى يطلع على جميعها (فأرى مشارقها ومغاربها) أى جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير فى محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول أى أراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع كما فى قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة فى جهتى المشرق والمغرب وهكذا هو فى الواقع كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وفى قوله (وسيبلغ) أى يصل (ملك أمته) أى سلطانهم وحكمهم اشارة اليه (ما زوى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) أى الارض أو المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية بيانية أو تبعيضية لما مر (ولذلك كان) أى وقع ما ذكر من الامتداد (امتدت) ممالكتهم واتسعت أو أمته بمعنى انتشرت فى نواحيها (فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند) بيان للمشارق والمغارب أو بدل (أقصى المشرق) بيان لارض الهند أو بدل أيضا (الى بحر طنجة) بفتح الطاء المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة وراءه) أى انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين أى ليس بعده بلاد ولا جزائر معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام ثم استولى عليها النصارى فى سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم فلما رأى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدأ ومن أراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس (وذلك) الذى امتد لهذه الامة (مالم يملكه أحد من الامم) السالفة (ولم يمتد) الممالك الاسلامية (فى) جهة (الجنوب

(ولا فى الشمال) بكسر أوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) أى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ماهنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق أكثر وأظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) أى كما رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص مرفوعا (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق) أى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) أى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام أبو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ يروى عن أبيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وأبو داود والبغوى وأبو يعلى قال شيخه عبد الرحمن بن مهدى على بن المدينى أعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على بن المدينى والله لا تعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان أصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى ثم قال وأما المدينى فنسبة الى أماكن وساق سبعة وأما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وهذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) أى أهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) أى العظيمة وفى نسخة (وهو الدلو) غيره) أى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم أهل المغرب وقد ورد المغرب) أى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا

ولا فى) جهة (الشمال مثل ذلك) أى مثل امتدادها فى المشرق والمغرب فقيل فى تفسيره انه بلغ ملكها أقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه (لا يزال أهل الغرب) سيأتى تفسيره مفصلا فى كلامه (ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) غاية لاستمرار ظهورهم بتأييد الله تعالى لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين أصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا فى المشرق والمغرب أيهما أفضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل المغرب بهذا الحديث وأجيب بان الثابت لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل أوهو متعلق بظاهرين بتضمين معنى محافظين مداومين على اقامة الحق وشعائر الدين (ذهب ابن المدينى) فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح أبو الحسن امام أهل الحديث وأعلمهم به فى عصره وقال النسائى كأن الله تعالى لم يخلقه الا لهذا الشأن وقال البخارى رحمه الله تعالى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على بن المدينى الى آخره وكان من أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخارى رحمه الله تعالى وغيره من أصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدنى كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور وفرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مدنى والاكثر مدنى والمدينى نسبة الى مدائن سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهرى المدينى نسبة لمدينة الرسول والمدنى نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية المدينى نسبة الى مدينة أصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مدنى ولمدينة المنصور وأصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ القدسى قال البخارى المدينى الذى أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان منها انتهى (الى انهم العرب) مطلقا ووجه تسميتهم بأهل الغرب بقوله (لانهم المخصوصون بالسقى بالغرب) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة (وهى الدلو) العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام أيضا ومنه غرب الشام لحدته وللغرب معان كثيرة فى كتب اللغة (وغيره) أى غير ابن المدينى من علماء الحديث (يذهب الى انهم) فى الحديث (أهل المغرب) بميم فى أوله (وقد ورد المغرب كذا) أى بهذا اللفظ فى بعض الروايات وهو مؤيد للتفسير

فى الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفى حديث آخر من رواية أبى امامة) كما رواه أحمد والطبرانى عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من أمتى) أى أمة الاجابة (ظاهرين على الحق) أى مستعلين عليه غير مخفيين لديه (قاهرين لعدوهم) أى غالبين عليهم من قهره غلبة واللام للتقوية (حتى يأتيهم أمر الله) أى بفنائهم أو خفائهم (وهم كذلك) أى لابثون على هنالك (قيل يارسول الله وأين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المدينى على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد بأهل الغرب أهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة رواية وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد فى كل منهما جمع يقومون بأمر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد فى باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا ان يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (وأخبر) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بملك بنى أمية) فيما رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وفى سنده على بن زيد ابن جدعان وهو ضعيف وعن أبى هريرة وفى سنده الزنجى وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد بنى أمية بنو مروان بن الحكم ابن أبى العاص ابن أبى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأول خلفائهم وأفضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن أبى سفيان وهو أول الملوك بقى تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم ابنه يزيد ثلاث أجاد سنين وأشهر ثم معاوية بن يزيد ومات بعد أربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة أشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات فى شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع أخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة أشهر ثم بويع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم ومجموعهم أربعة عشر ما عدا عثمان رضى الله تعالى عنه (وولاية معاوية) أى ابن أبى سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله

الثانى ولا يعينه لاحتمال انه روى (فى الحديث بمعناه) فهو رواية بالمعنى ولولا هذا لم يفسره بغيره (وفى حديث آخر) من هذا القبيل رواه الطبرانى وعبد الله بن أحمد بن حنبل (من رواية أبى امامة) عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم) من الكفرة بالجهاد فى سبيل الله (حتى يأتيهم أمر الله) يعنى الساعة واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها أو المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرمانى وغيره (وهم كذلك) أى باقون على حالهم والجملة حالية (قيل يارسول الله وأين هم) من البلاد ومقرهم (قال ببيت المقدس) بالاضافة وفيه لغات فقدس كمرجع اسم مكان أو مصدر ميمى من القدس وهو الطهر أى المكان الذى يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر فيه للعبادة من الاصنام وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس أى التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الآثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخارى هم أهل العلم ونقل عنه أيضا انهم أهل الحديث وكل محتمل والتعميم أولى كما لا يخفى وفى شرح مسلم للقرطبى بعد ما ذكر رواية أهل المغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التأويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب من المدينة الى أقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفى رسالة للطرسوسى أرسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل أراد كم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا لما أنتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفاء أثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (بملك بنى أمية) وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وقد رواه البيهقى مرسلا من طريق آخر فى سنده ضعف (وولاية معاوية) بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولقد

أجاد المصنف رحمه الله تعالى اذ عبر فى بنى أمية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر فى معاوية رضى الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغليب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق لمن هو قرشى جامع لشروط الخلافة المذكورة فى الاصول والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما فى الحديث الآتى مع الكلام عليه الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان أولا أميرا ثم صار ملكا وهو أول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضى الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان رضى الله تعالى عنه من بنى أمية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان أبا سفيان كما علمت ابن حرب بن أمية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه أول ملوك بنى أمية ولكل وجهة وقد ورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأى مناما بنى أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بنى أمية كان ألف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله أمته فى كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب الواقعة فى تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف ذلك من ألهمه الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذى بصيرة (ووصاه) أى وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجع قال معاوية رضى الله تعالى عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فى قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضى الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقى عن معاوية انه قال ما حملنى على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روى انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل وروى ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (و) منه أيضا قوله و(اتخاذ بنى أمية مال الله دولا) كما ورد فى حديث رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول أى يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم أول من فعل ذلك فى الاسلام وأول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولى ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون (و) منه أيضا (خروج ولد العباس) بعد انقراض الدولة الاموية أى ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد فى حديث رواه أحمد والبيهقى بسند فيه ضعف وهو مما أخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثانى (بالرايات السود) اشارة الى ما فى هذا الحديث تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم وفى رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايلياء أى بيت المقدس وفى سنده ضعف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر العباس ان الخلافة تكون فى ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق أفردها السخاوى بتأليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بنى العباس السواد فى لباسهم ورواياتهم وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بذلك

(ووصاه) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حملنى على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فاحسن وضعفه البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعد بن العاص ان معاوية أخذ الاداوة فتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم يقول أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى أمية مال الله بينهم دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح أوله أى متداولة متناوبة فيها من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنو أبى العاص أربعين رجلا تخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن أبى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) أى ابن عبد المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس أى ظهورهم فى غلبة أمورهم (بالرايات السود) أى الاعلام الملونة بالسوادنة أولا بغلبتهم على اله اد

(وملكهم) بضم الميم أي تملكهم (أضعاف ما ملكوا) أي ملك غيرهم من ملوك البلاد فقد رواه أحمد والبيهقي بأسانيد ضعيفة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم في اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفي روايات تخرج الرايات السود من خرسان لا يردها شئ حتى تنصب بايليا وهي بيت المقدس في اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف وأما أولاده الخلفاء وأحفادهم الامراء فأولهم أبو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم أبو جعفر المنصور ثم المهدي بن المنصور ثم الهادي ثم موسى بن الهادي ثم الرشيد أبو جعفر هارون بن المهدي ومات بطوس ثم الامين محمد ابن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون أبو جعفر ثم المتوكل أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر أبو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهدي بالله أبو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد أبو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد أحمد بن أحمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفي علي بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد ابن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها في الاسلام قال بعضهم صليت في جامع المنصور ببغداد فاذا أنا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض قطن فيها وهو يقول أيها الناس تصدقوا على فاني كنت بالامس أميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لي انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضي محمد بن جعفر ثم المتقي بعد أخيه وهو من أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع للدين المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطايع عبد الكريم ابن الفضل بن المطيع القادر بالله ثم ولده القادر القائم بامر الله ثم ابنه المقتدي بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفي بالله وكان خلفاء بني العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدي) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبي واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما في الاحاديث انتهى وأصل أحاديثه في أبي داود في سننه وقيل من أولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به أحد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف في المكان وسيظهر في آخر الزمان ولا أحد المشايخ الذي انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد أفرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي رسالة مفردة في معرفة

وقيل سببه ان مروان الحمار آخر بني أمية لما بلغت دعوة أبي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما أحس بالقتل أوصى اتباعه بالثبات على أمرهم واستخلاف أخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن عليه وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم فلا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المأمون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين قام بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع أخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضي فمات ولم يتم أمره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا أول لبس العلويين الخضرة وليس مبدؤه كما توهمه المتأخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباسا أخضرا

وقال ابن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر كأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن (وملكهم) أي تملك بني العباس الخلفاء (أضعاف ما ملكوا) أي أضعاف تملك بني أمية وأضعاف خلفائهم فان أولهم السفاح بويع في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا نحو ثلاثين ببغداد انقضت تلك السنون وأهلها ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدي) في آخر الزمان كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن وغيرهم

المهدى فعليك بها وينبغي ان لا يتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس ولذا ذكر الدلجى أحاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه أحمد والبيهقى باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدى فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه أبو أسماء وهو ضعيف وفى رواية أخرى يخرج رجل من أهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال التلمسانى وعلامة وقته خسوف القمر أول ليلة من رمضان أو ثالثه أو السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض

(ومانال أهل بيته) أى ومايصيبهم من المحن كقضية الحسنين وبقية أئمة أهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) أى تطريدهم كما أخبر به فيما رواه الحاكم من حديث أبى سعيد ان أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى (وقتل على) كما رواه أحمد عن عمار بن ياسر والطبرانى عن على وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) أى اشقى الطائفة أو الثلاثة حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقتدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل أشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقى عليا أدخل عليه فقال أطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أعش فانا ولى دمى عفوا أو قصاصا وان مت فالحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين فلما مات على أخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم أمر به فقطع لسانه ثم جعلوه فى قوصرة واحرقوه بالنار (الذى يخضب) بكسر الضاد أى يصبغ (هذه من هذه أى لحيته من رأسه) يعنى بدمها قال الاسنوى فى المهمات تبعا للنووى فى تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة أو مكسورة (وانه) أى عليا (قسيم النار) أى والجنة كما قيل * (على حبه * قسيم النار والجنة) * فهو من الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل أولياؤه الجنة

من طرق كثيرة الا انه قيل ان أسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتأليف فقيل انه عباسى وقيل انه علوى وانه يملك سبع سنين وكنيته أبو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفى زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه وأحواله مبسوطة فى تذكرة القرطبى وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر (ومانال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم) يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستترا به ودلما وأهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير أى ماناله أهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات كما فى حديث رواه الحاكم ان أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم (وقتل على) بن أبى طالب كرم الله وجهه أى مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم قتل على كما رواه أحمد والطبرانى فى حديث فيه (وان أشقاها) أى أشقى الخلائق أو الدنيا أو الطائفة الخوارج أو اشقى هذه الامة (الذى يخضب هذه) أشار به الى لحيته (من هذه) اشارة لرأسه أى يضربه على رأسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووى فى تهذيبه وغيره (أى لحيته من رأسه) أى من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل على مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل أهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا (وانه) يعنى عليا كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه (قسيم النار) ظاهر كلامه ان هذا مما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه أحد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال فى النهاية الا ان عليا رضى الله تعالى عنه قال أنا قسيم النار يعنى أراد ان الناس فريقان فريق معى فهم على هدى وفريق على فهم على ضلال فنصف معى فى الجنة ونصف على فى النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره على لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه أنا ومن معى قسيم لاهل النار أى مقابل لهم لانه من أهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل أراد بهم الخوارج ومن قاتله كما فى النهاية (يدخل أولياؤه الجنة) أى من والاه ونصره وكان من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه فيرفع أولياؤه

وأعداء النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداء له فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار و يلائمه ما ضبط في نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوي معناه (فكان) أي علي (فيمن) وفي نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثني عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم لا تجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ما جاء في طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض علي رضي الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى مسلم تكون أمتي فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلها أولاهم بالحق وهم الذين قتلهم علي بالنهروان وكانوا أربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينسب) بالياء والتاء وروى ينتسب (اليه) أي الى حب علي كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) لتركه في زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهي حقه فكأنه رضي بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف) بضم الميم ويكسر ويفتح ورواه الترمذي عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) قوله بضم أوله (قميصا) أي خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) أي أهل الفتنة (يريدون خلعه) أي عزله عنها فامتنع من انخلاعها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) أي الشأن (سيقطر دمه) بضم الطاء وفي نسخة بصيغة المجهول أي ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى

أو ينصب أو تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريما له على الثاني لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث (و) يدخل (اعداؤه النار) لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات انه ينادي يوم القيامة أين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيؤتى بالخلفاء رضي الله تعالى عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم أو ما هو بمعناه (فكان ممن عاداه) أي أظهر العداوة له (الخوارج) وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثني عشر ألفا أصحاب صلاة وصيام وقد أخبر عنهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله تعالى عنه معهم وقائع مدونة في التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجي (والناصبة) أي الفرقة أو الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض علي وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج أيضا (وطائفة ممن ينسب) بالياء التحتية وبالمثناة الفوقية وروي ينتسب افتعال من النسبة (اليه) أي الى علي لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفة (من الروافض) من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة (كفروه) أي نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي حقه وهو زعم فاسد وجماعة وهم المنكرون التحكيم وقولهم لا حكم الا لله وهي كلمة حق أريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة أيضا وفي قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بني أمية والعباسيين أظهروا عداوته وسبه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (يقتل عثمان بن عفان وهو يقرؤ) القرآن (في) داره في (المصحف) وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله تعالى عنه وحسنه وهو من جملة ما أخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتي (وان الله عسى ان يلبسه قميصا) أتى بعسى هنا تأدبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم للترجي أي سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله (وانهم يريدون خلعه) وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا على خلعه فلم يرض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله تعالى بدمه سبعين ألفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه أي عثمان أصبح يحدث الناس فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما وقتل في يومه (وانه سيقطر دمه على

فيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبي انه موضوع لكن نقل المحب الطبري في الرياض ان أكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله في المصحف ونقل عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره أخرجه العقيلي الحافظ (وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) كما رواه البيهقي فهو سد باب الفتنة كما أخبر به حذيفة (ومحاربة الزبير لعلي) كما رواه البيهقي في دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وذكره به علي يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لتقاتله فقال قد حلفت ان لا أقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة أي صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية

قوله فسيكفيكهم الله) وهو السميع العليم أي يأخذ ثارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبري في كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الآية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع في مصحف فانه لم يكن في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان ابن سرحان وقيل الاسود التجيبي وهذه أول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى * وفي غير الايام ما وعد الدهر

(و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا) روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما والشيخان عن حذيفة ولقي يوما عمر رضي الله تعالى عنه أبا ذر فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا أبا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة ٭ أقول في هذا سر من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سأل ليعلم هل علمه غيره أم لا وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان أمير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا أراد ان يؤثر به غيري فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلى أو بذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركني واياكم أولئك الايام وبوانيه جمع بانية أي خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبدة أي كأنها عسل وزبد لما يجيء من أموالها وذي بلى وذي بليان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه فهو بذي بلى من بلى في الارض اذا ذهب أراد ان أمور الناس تضيع بعد عمر رضي الله تعالى عنه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو مما أخبر به من المغيبات (بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله تعالى عنه وقال ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وأنت لي ظالم قال نعم ولكن أنسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله وأتى برأسه كما فصله المؤرخون (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (نباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع وقرية فيه الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول فيه الحوأب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج

فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حولها) أى حول بعض الازواج وهى عائشة رضى الله تعالى عنها (قتلى كثير) أى جمع كثير
من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين ألفا وفى نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعد ما كادت) أى الى الهلاك كما رواه البزار
بسند صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها أى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) أى توجهها من
مكة (الى البصرة) كما رواه
أحمد وكذا البيهقى بلفظ لما
أتت الحوأب سمعت
نباح الكلاب فقالت
ما أظننى الا راجعة انى
سمعت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال
لنا أيتكن تنبح عليها
كلاب الحوأب ترجع لعل
الله ان يصلح بك بين
الناس (وان عمارا) وهو
ابن ياسر (تقتله الفئة
الباغية) رواه الشيخان
ولفظ مسلم قال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم
لعمار تقتلك الفئة
الباغية وزاد وقاتله فى
النار (فقتله) أى عمارا
(أصحاب معاوية) أى
بصفين ودفنه على رضى
الله تعالى عنه فى ثيابه
وقد نيف على سبعين
سنة فكانوا هم البغاة
على على بدلالة هذا
الحديث ونحوه وقد ورد
اذا اختلف الناس كان
ابن سمية مع الحق وقد
كان مع على رضى الله
تعالى عنهما واما تأويل
معاوية أو ابن العاص
بان الباغى على وهو قتله
حيث حمله على ما أدى الى
قتله فجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل حمزة (العبد
عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل أو نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم
انهم اجتهدوا وأخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة كما ظنه بعض الطائفة (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام

وأنا البرىء من الزبير وطلحة ❊ ومن التى نبحت كلاب الحوأب

وفى معجم البلدان أصل معناه الوادى الواسع وانما كان المراد عائشة رضى الله تعالى عنها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة الى الشرق فى كتيبة فكانت عائشة فى وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فخالفوها انه ليس بالحوأب والحوأب أيضا اسم مخلاف بالطائف قتلت فيه سلمى المراد به عتيقة عائشة وقيل أيضا انها المرادة بالحديث أيضا لانها كانت مع نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حدثهن به كما فى المعجم والصحيح خلافه لما يأتى فى بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلاب والتيس وقيل انه أى الحوأب سمى باسم حوأب بنت كلب الخ ولهابه كما قاله ابن ماكولا واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضى الله تعالى عنه لان عائشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين على فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (انه يقتل حولها) ممن كان معها (قتلى كثيرة) قيل كانوا نحو ثلاثين ألفا (وتنجو) أى تسلم هى (بعد ما كادت) أى قاربت عدم النجاة (فنبحت) كلاب الحوأب (على عائشة عند خروجها الى البصرة) وهذا الحديث صحيح كما مر روى من طرق عديدة فعن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنسائه ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحوأب فكان ما أخبر به لانه لما قتل عثمان رضى الله عنه وكانت هى وامهات المؤمنين حاجات فى ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عائشة رضى الله تعالى عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال له عسكر وودعتها أمهات المؤمنين يبكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوأب وأناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى وأخبرت بما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها الزبير يا أم المؤمنين أصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات (ان عمارا) بن ياسر الصحابى المشهور (تقتله الفئة الباغية) من البغى وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروى وقاتله فى النار (فقتله أصحاب معاوية) وكان هو مع على بصفين وهو صريح فى ان الخليفة بحق هو على رضى الله عنه وان معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضى الله عنه كان مع على وهذا هو الذى ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب فى عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضى الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تأول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من أخرجه ولذا قال على كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضى الله عنه لما أخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن العمادية واحتز رأسه ابن جزء ودفنه على رضى الله تعالى عنه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تقدم

(لعبدالله بن الزبير) لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم (ويل للناس منك وويل لك من الناس) وويل هنا للتحسر والتأسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطاه دمه وقال له ارقه في محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجرأة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق جريا على المقاتلة عليه تكثر أعداؤه بحساده وينال من الناس أذى ووقع له ذلك رضي الله تعالى عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى أراق دمه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في أخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان (في) حق (قزمان) بقاف مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتالا شديدا أعجب الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما أشار اليه بقوله (وقد أبلى مع المسلمين) وأبلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام وألف مقصورة فعل ماض من أبلى بمعنى اختبر ويقال أبلى بلاء حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله وأجاد والجملة حالية أي أبان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد أطلع الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله (فقال فيه انه من أهل النار) فعجب الناس من ذلك فاظهره الله له (فقتل نفسه) لما كثرت الجراحة فيه وأثخنته واختلفت الرواية في أي موطن قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته لرواية الشيخين له عن أبي هريرة فقيل انه كان ذلك بأحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها به خطأ وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض غزواته رأى رجلا فقال انه من أهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم أشد القتال حتى أثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه من أهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه ألم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فأخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله لينصر الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن أي مؤمن كامل أو قد علم منه انه منافق أو انه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله تعالى عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة أو بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل والاتكال عليه (و) روى الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال في) حق (جماعة) من الصحابة كانوا عنده (فيهم أبو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب آخركم موتا في النار) آخركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يموت وموتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر أو بالمصدر أو آخركم فاعل يموت وأما كونه مبتدأ وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفئوا منه فكان يأتوله قدر عظيم ماء يسخن ويجلس عليه ليدفا من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات في حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذي صححه السيوطي وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله (فكان بعضهم) ان بعض من قيل في حقه ذلك بما تقدم (يسال عن البعض) من رفقائه الذين قال صلى الله

(لعبدالله بن الزبير ويل للناس منك) أي مشقة وهلاك في الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) أي في الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه الشامي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (في قزمان) أي في حقه وهو بضم القاف وسكون الزاي ذكره الحلبي رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد أبلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية أبانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من أهل النار) فقتل نفسه أي في خيبر كما ذكره البخاري وصوبه المصنف وأقره النووي ومسلم في حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير في أحد وأقره النووي ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره في قضيته (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في جماعة فيهم) أي في حق جماعة من جملتهم (أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار) أي يكون موته في نار الدنيا لانه يدخل في نار العقبى كما توهم الدلجي على ما سيأتي نفعا له موتا وهو ايهام أو تورية وابهام (فكان بعضهم) أي تلك الجماعة (يسئل عن بعض) أي عن حياته ومماته كما رواه البيهقي عن ابن حكيم الضبي اذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا

عشرة في بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وفي رواية للبيهقي عنه وكان اذا أراد أحد ان يغيظ أباهريرة قال مات سمرة فيصعق و يغشى عليه ثم مات أبوهريرة رضى الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتاهرم وخرف) بكسر الراء فيهما أى أصابه خلل في بدنه وخبل في عقله (فاصطلى بالنار) أى استدفأبها (فاحترق فيها) وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة أصابه كزاز هوداء من البرودة أو بردشديد لايكاديدفأ منه فأمر بقدر عظيمة فملئت ماء وأوقد تحتها واتخذفوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق و يوافقه مارواه البيهقي عن بعض أهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أغرب الدلجى حيث استدل به بانه يدخل النار في الآخرة ثم يخرج منها ثم قال و يحتمل انه يوردالنار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى منها بايمانه بشهادة حديث البيهقي عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام وأهله قال عبدالله ابن صبيح لابن سيرين بهذا و بصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجوله بعد تحقيق قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخير انتهى ولايخفى ان هذا الحديث مايقتضى دخوله في النار ثم نجاته منها بل الظاهر نجاته منها ابتداء وان احتراقه في الدنيا يكون سبب خلاصه عنها في العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والافهو موجب زيادة درجة عالية في الجنة وغرفها ثم حضوره مجالس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لايدل على استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذلم يعرف انه كان راضيا بفعلهما او بما كان مكرها في حضوره عندهما هذا وللبيهقي انه استجمر فغفل عنه أهله حتى أخذته النار ولايخفى امكان الجمع بين هذا وماتقدم والله تعالى أعلم وأما حديث البيهقي عن أوس ابن خالد كنت اذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فسألت أبامحذورة عن سؤالهما اياى فقال كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا في النار فمات أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ثم أبو محذورة ثم سمرة فلايخلو من الاشكال لما سبق من معارضته في المقال والله تعالى أعلم بالحال (وقال) أى النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (في حنظلة) أى ابن أبي عامر الانصارى (الغسيل) أى مغسول الملائكة (سلوازوجته عنه) أى عن حاله قبل موته (فانى رأيت الملائكة تغسله) أى بعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لايغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غسلت أحد شقى رأسه وسمع الهيعة وكان قدابتنى بها تلك الليلة (وأعجله الحال عن الغسل) أى عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال

تعالى عليه وسلم فيهم مامر قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أباهريرة سألني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسألته عن ذلك وقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله (فكان سمرة آخرهم موتاهرم) بزنة علم أى كبر سنه وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة (وخرف) بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة أى فسد عقله وتغير من الكبر (فاصطلى) أصله أصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد أى تدفى (بالنار) أى بنار أوقدت له (فاحترق فيها) لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ماأخبر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطاء عن مراده ليجدوا في أعمالهم و يدوموا على الخوف والمراقبة أولانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ماذكر لم ير منقولا عن غير المصنف ولم يذكر أحد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان أحدا من الصحابة حرق الا بشر بن ارطاة أو ابن أبي ارطاة على القول بانه صحابي وقد نعى بشرا سفينة مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله البرهان (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال (في حنظلة) ابن أبي عامر الانصارى الصحابي المشهور بـ(الغسيل) فعيل بمعنى مفعول من الغسل سمى بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة ابن أبي عامر الراهب الذى لقبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاسق فرأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه شهيد فقال (سلوازوجة) يعني امرأته وزوجته فانه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح وقد يقال زوجة للفرق (عنه) أى عن حاله فانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابته وهى لايطلع عليها غيرها كما أشار اليه بقوله (فانى رأيت الملائكة تغسله) والشهيد لايغسل وكان ذلك باحد (فسألوها فقالت) انه (خرج) من بيته لاحد (جنبا) من جماع امرأته (أعجله الحال) أى محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الغسل) بضم فسكون أى عن ان يغتسل من جنابته

(قال أبو سعيد) أي الخدري (ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الخلافة في قريش) رواه أحمد والترمذي
ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها في طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده
وأما اذا أريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجي فلا يلائم سياقه
في هذا الباب كما لا يخفى على أولي الالباب ويؤيد ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن معاوية (وان يزال
هذا الامر) أي أمر الخلافة (في قريش ما أقاموا الدين) يعني فاذا لم يقيموا أمر الدين على ما ينبغي انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما
أخبرهم زاد البخاري في روايته ولا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه أي في الدنيا وفي العقبى قال النووي انعقد الاجماع في زمن
الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من أهل البدعة (وقال) أي النبي عليه
الصلاة والسلام (يكون) أي سيوجد (في ثقيف) بفتح فكسر هو أبو قبيلة من هوازن (كذاب ومبير)

جنابته لخوفه ان يمنعه عن حضوره معه صلى الله تعالى عليه وسلم فيفوته ذلك الوقت وفي رواية قالت
كان جنبا فغسلت احدى شقي رأسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي
جميلة بنت أبي بن سلول المنافق (قال أبو سعيد) بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا (ووجدنا
رأسه) أي رأس حنظلة لما قتل (يقطر ماء) من أثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب
وهذا ما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله
أم لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب آخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه مفصل في كتب الفقه
(وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه أحمد والترمذي وهو مما نحن فيه اذ فيه مع
الحكم اخبار ببعض المغيبات (الخلافة في قريش) ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى
الله تعالى عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع أو لم يقع وقد وقع كما أخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بني
العباس (و) في حديث آخر رواه البخاري (ان يزال هذا الامر) يعني الخلافة (في قريش ما أقاموا
الدين) بيان لغايته أي ما حموا شوكة الاسلام وأقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله تعالى
ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج الكلام
طويل طويناه خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة وما ظرفية مصدرية
أي مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش (وقال) رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي (يكون) أي يوجد بعده صلى الله تعالى عليه وسلم (في ثقيف)
قبيلة معروفة (كذاب ومبير) أي مهلك يكثر القتل بغير حق من البوار فهو الهلاك قال تعالى وكنتم
قوما بورا أي هالكين (فرأوهما) من الرأي أي رأى العلماء ان المراد في الحديث بهما (الحجاج) بن
يوسف الثقفي وهذا مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ففي حديث أسماء رضي الله
تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا أما الكذاب فقد رأيناه وأما
المبير فلا أخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله أجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان
انه قتل مائة وعشرين ألفا (و) الكذاب هو (المختار) بن أبي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمر بن عمير في

بضم فكسر أي مهلك
من أبار أهلك مأخوذ
من البوار وهو الهلاك
ومنه قوله تعالى وكنتم
قوما بورا أي هلكى
(فرأوهما الحجاج
والمختار) أي فرأى
السلف ان أحدهما
الحجاج وهو بفتح الحاء
كليب بن يوسف والآخر
المختار ابن أبي عبيد وان
الثاني هو الكذاب
والاول هو المبير فهما
لف ونشر مشوش ففي
حديث أسماء بنت أبي
بكر من طريق مسلم
وغيره انها قالت مشافهة
للحجاج حدثنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان في ثقيف كذابا
ومبيرا فاما الكذاب فقد
رأيناه وأما المبير فلا

 أخالك الا اياه وقال الترمذي في جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان
قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين ألفا انتهى وأما المختار فهو الكذاب حيث زعم ان جبريل يأتيه بوحي الكذاب فقد
رواه البيهقي عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسي فاهويت الى السيف فذكرت
حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أمن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر
يوم القيامة فكففت عنه قال النووي في شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن أبي عبيد وبالمبير الحجاج بن
يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكان
يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان أرسل ابن الاشتر بعسكر الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان في قتل
الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه في ذلك صرف وجوه الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر
الشر ولما ولي مصعب بن الزبير البصرة من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله

عبارته لف ونشر مشوش وأبوه أسلم في حياة النبي عليه السلام ولم يره ثم لم يعد من الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية واستحوذ على الكوفة وأظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم أمره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأمر الحجاج أشهر من ان يذكر (وان مسيلمة يعقره الله تعالى) أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما هو وهو رجل من بني حنيفة كنيته أبو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحي بقرآن فكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله فقال لو سألني هذه الشظية ما أعطيتها له فرجع معهم وتخرق بشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشركه معه في أمره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد أشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده أظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك * فانك في الامر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه * هواك هوى الاحمق الانوك
فما في السماء لك مصعد * ومالك في الارض في مبرك

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جمع جموعا فجهز له أبو بكر رضي الله تعالى عنه جيشا أميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله تعالى قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وشاركه فيه ناس والعقر أصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يذك ولم يزك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ان فاطمة) الزهراء بنته صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي الله عنها (أول أهله لحوقا) وروى لحاقا (به) أي أول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من أهل البيت فماتت بعده ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل مائة يوم وهي أصغر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحبهم اليه وهي أول من غطي نعشه من النساء في الاسلام وأول الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشئ فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت سارني أولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم سارني باني أول أهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى أحمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابها وكفنها وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكفنني أحد فامتثل أمرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت أم لا الا انه يعارضه ما روي من أنها أمرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفي اللآلي للسيوطي عن أم سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا أمتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي

(وان) وفي نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر اللام (يعقره الله) بكسر القاف أي يهلكه أو يقتله أو يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال أهل الردة زمن أبي بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) أي بنته الزهراء (أول أهله) أي أهل بيته كما في نسخة (لحوقا به) أي موتا ووصولا اليه ففي الصحيح عن الزبيري عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ستة أشهر

ثيابى الجدد فنا ولتها فلبستها وقالت قدمى الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت انى اليوم مقبوضة فلا يكشفنى أحد فقبضت مكانها واتى على فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزى انه موضوع ورد بانه رواه الطبرانى الا انه يعارضه ما روى بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرها به (وانذر بالردة) أى أعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان أيضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة أشهر وستة أيام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا أهل الحرمين والبحرين فكفى الله أمرهم بابى بكر رضى الله تعالى عنهم بعد ان قاسى منه أمورا شديدة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات فى حديث رواه أصحاب الكتب الستة مسندا وفيه (ان الخلافة) أى خلافة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهى (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أى تتحول الخلافة وتصير (ملكا) عضوضا أى سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها (فكانت) الخلافة الحقيقية (كذلك) أى كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وتمت المدة التى ذكرها (بمدة الحسن بن على) بن أبى طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه سنتين وأربعة أشهر وخلافة عمر رضى الله تعالى عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضى الله تعالى عنه اثنى عشر سنة الا اياما وخلافة على رضى الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر واياما وفى المغرب خلافة أبى بكر سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وعثمان اثنى عشر سنة الا اثنى عشر ليلة وعلى خمس سنين الا ثلاثة أشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع فى عشر رمضان الاخير سنة أربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية فى نصف جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فمدته كانت سبعة أشهر ونصفا واياما فبها تتم الثلاثون كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين المهملة صيغة مبالغة وروى ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرير الخبيث والملك السلطان والخليفة أمير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه خلفه فى القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه (ان هذا الامر) أراد به دين الاسلام وأمر الشريعة المحمدية (بدأ) بهمزة فى آخره أى ابتدأ فى أول أمره أو بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا (نبوة ورحمة) بالنصب على الحالية أو بنزع الخافض أى بدأ بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورحمته للعالمين انقاذهم من الضلال والكفر وأمور الجاهلية وهذا فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم تكون) بعده (رحمة وخلافة) فى زمن الخلفاء الراشدين وآخر الرحمة أولا لانها نشأت من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله

(وانذر بالردة) أى وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وخوفهم وعرفهم بانها ستكون كما فى حديث الشيخين لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفى حديث مسلم لاتقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان فوقعت الردة فى خلافة أبى بكر ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله أمرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان) وفى نسخة وبان (الخلافة) أى الحقيقية الحقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) أى تصير الخلافة (ملكا) أى سلطنة بالغلبة فقد روى أحمد والترمذى وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (فكانت) أى الخلافة (كذلك) أى ثلاثين سنة (بمدة الحسن ابن على) أى بمضى مدة خلافته وهى ستة أشهر تقريبا وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخارى فى تاريخه والحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة أبى بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة أشهر واربعة أيام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة على اربع سنين وعشرة أشهر وتسعة وبتمامها خلافة الحسن (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ان هذا الامر) أى أمر ملة هذه الامة (بدأ) بهمزة أى ابتدأ أو بالف أى ظهر (نبوة ورحمة) أى نبوة مقرونة بالرحمة العامة (ثم يكون) أى الامر (رحمة وخلافة) أى رحمة فى ضمن الخلافة

(ثم يكون) أي الامر (ملكا) قال التلمساني وفي أصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين أي سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة
على الرعية فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك ويعض بعضهم بعضا حثا على الهلاك وفيه ايماء الى ماقال عارف بهذا
الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفي النهاية ثم يكون ملك عضوض أي يصيب الرعية عسف وظلم فكأنهم يعضون فيه عضا
بأسنانهم أي يتحملون فيه محنة شديدة في شأنهم وفي رواية وسترون بعدي ملكا عضوضا وفي أخرى ثم يكون ملوك عضوض قيل
وهو جمع عض بالكسر أي شرير خبيث (ثم يكون) أي الامر (عتوا) بضمتين فتشديد أي تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من
الجبر بمعنى القهر مبالغة أي تجبرا وقهرا (وفسادا في الامة) أي في أمر دينهم ودنياهم هذا ولفظ البيهقي ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة
وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على
ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله تعالى وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا في

الزيادة الى يومنا هذا فيما
بين سلاطين البلاد والله
رؤف بالعباد (وأخبر)
أي النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم (بشأن أويس)
أي ابن عامر (القرني)
بفتحتين أي منسوب
الى بطن من مراد قبيلة
باليمن وغلط الجوهري
في نسبته الى قرن المنازل
روى أنه كان به بياض
فدعا الله فاذهبه الا قدر
دينار أو درهم وله أم كان
بها بارا ولو أقسم على الله
لابره وقال من لقيه
فليستغفر وعن عمر مرفوعا
يأتي عليكم أويس بن عامر
مع أمداد أهل اليمن من
مراد ثم قرن كان به برص
فبرئ منه الا موضع درهم
له والدة هو بها بر لو أقسم
على الله لابره فان
استطعت ان يستغفر لك فافعل قاله الارزنجاني في شرح المشارق الامداد
جمع مدد والمراد هنا القافلة قال وكان عمر اذا أتى عليه أمداد اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر فلما كانت السنة التي توفي فيها
عمر قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل الحجيج من اليمن أفيكم أويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ندري من أويس
ولكن ابن أخي يقال له أويس وهو أخمل ذكرا وأهون أمرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين أظهرنا فقال له عمر أين ابن أخيك
قال بأراك عرفات فركب عمر وعلي سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلي والابل حوله ترعى فسلما عليه وقالا من الرجل قال عبد الله قالا
قد علمنا ان أهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذي سمتك به أمك قال يا هذان ماتريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم أويسا القرني وأخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة
فابتدرا يقبلانه وقالا نشهد انك أويس القرني فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحدا من ولد آدم ولكنه

تعالى عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت (ثم يكون) بعد الخلافة (ملكا عضوضا) بفتح العين وضمها
كما تقدم في رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية أو مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية
بعض حيوان مفترس بعض من رآه (ثم يكون) بالتحتية والضمير للامر (عتوا وجبرية) العتو بضم
العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن
أيضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن
تعورف في الاكراه المجرد فقيل أجبرته على كذا وسمي الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي
في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء أي
قهرا وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة
وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير
وينصرون على ذلك ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي بالرفع فكان تامة
وروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة أيضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في
الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله في الحديث عتوا وجبروتا (وفسادا في الامة) يلزمه عطف الشئ
على نفسه وفي الكشاف معناه أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فساد كما انتهى وكونه أشد
الفساد يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهي عن
التمادي في حال الفساد انتهى ملخصه فيه بحث وانما تركناه لانه طال فيه من غير طائل وانا أقول لا يخلو
ما في كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره
فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان العثو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على
الفساد لان الاصل التأسيس وقد قرره في سورة البقرة في أمر المؤمنين بالايمان ومثله كثير (و) مما أخبر به
صلى الله تعالى عليه وسلم عن المغيبات ما أشار اليه بقوله و (أخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث
رواه مسلم (بشأن أويس) ابن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة (القرني) بفتحتين نسبة لقرن بن

ردمان

فى المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات باهذان قدأشهر الله لكمال حالى وعرفكما أمرى فن أنتما قال على أماهذا فعمر أمير المؤمنين واما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى اويس قائما وترحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا أمير المؤمنين ما أصنع بالنفقة والكسوة أماترى على ازارا ورداء من صوف متى أخرقهما وقد أخذت من رعايتى أربعة دراهم متى آكلها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودا لا يجاوزها الا كل ضامر مخفف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته ألا ليت عمر لم تلده أمه ألا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا أمير المؤمنين خذ أنت ههنا حتى آخذ عنها فولى عمر ناحية مكة وساق أويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية وأقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين أويس ولا ينافيه قول أحمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب لان مرادهم فى العلوم الشرعية لا فى أكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل أبى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض أصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وأبا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه أقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة الحديث اذلم يرشيا وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والمخالطة وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل طائفة مذهبهم

ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهرى فى نسبته لقرن المنازل كما غلط فى فتح راء قرن المنازل كما فى القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر فى فتح البارى بالغ النووى فى حكاية الاتفاق على تخطئته فى تحريك قرن المنازل وحكى المصنف رحمه الله تعالى عن تعليق القابسى ان من قال بالاسكان أراد الجبل ومن قال بالتحريك أراد البلد وقال الكرمانى أويس القرنى منسوب الى قبيلة بنى قرن ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفى طبقات الاولياء للشرجى انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وكان أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع امداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة أذكر بها نعمك على فمن أدركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على أبى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى أخمل ذكرا وأهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله تعالى عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل فقال راعى ابل أجير فقالا لسنا نسئلك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذى سمتك به أمك قال فما تريدان منى فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن أمة محمد خيرا واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضى الله تعالى عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائى وكسوة من ثيابى فقال لا ميعاد لى ولا ترانى بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وتوفى بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع أصحاب على رضى الله تعالى عنهم وقال ابن سلامة غزونا اذربيجان فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ومعنا أويس فلما رجع مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما رجعنا لم نجد له أثرا والاول أصح لقول أبى هريرة ان اجتماعه بعمر فى السنة التى توفى فيها فكيف يكون غزا فى أيامه وقيل دفن بدمشق والله أعلم انتهى وهذا هو المراد بشانه الذى أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وبما رعامت ان أويسا لم يدفن باليمن كما توهمه بعض الناس وانه أفضل التابعين وانه لقى عليا وعمر وأدرك زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد فى الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى وقال أحمد بن حنبل أفضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقى لعل أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وفيه انه ذكره فى مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووى أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية

(وبامراء) أي وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن أبي ذر ولفظه كيف أنت اذا كانت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد في رواية أخرى،

والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي أي عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا في زمن بني أمية (وسيكون في امتي) وفي أصل الدلجي في أمته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) رواه أحمد والطبراني والبزار منهم مسيلمة الحنيفي والاسود العنسي بالنون والمختار ابن أبي عبيد الثقفي وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية في زمن مسيلمة (وفي حديث آخر ثلاثون دجالا) وفي نسخة رجلا (كذابا أحدهم) وفي نسخة وهي الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) أي الاعور الذي يقتله عيسى ابن مريم كما رواه الشيخان عن أبي هريرة ولفظهما ان بين يديه الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفي نسخة يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبي وفي الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم في

سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه مسلم من طرق عن أبي ذر رضي الله عنه (بامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها) لفظ الحديث كيف أنت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها * قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل فانها لك نافلة في رواية والا كنت قد أحرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة أمره صلى الله تعالى عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء لغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان أو حاكم بلدة يؤم الناس في المكتوبات أو يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني أمية لانهم أول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وأنكر عليه ذلك (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه أحمد والطبراني والبزار رحمهم الله تعالى انه قال (سيكون في أمتي) وفي بعض النسخ في امته (ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة) ادخال النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد في حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والذي ذكره المصنف رواية أخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم أو المراد بالامة أمة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال لمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النساء لسجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون كذابون وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عدتهم بلغت ما ذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل أمره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة (وفي حديث آخر) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (ثلاثون دجالا كذابا) عطف بيان على ماقبله (آخرهم الدجال الكذاب) الاعور الذي يظهر في آخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه أقوال آخر أحدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر أمورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز (كلهم يكذب على الله ورسوله) كذبه على الله قوله انه أوحي اليه وعلى رسوله قوله انه بشر بي وأخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه أشركني في أمره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي وأوحى الي كذا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه (يوشك) بضم أوله مضارع أوشك بمعنى قرب ودنا وأسرع يقال وشك وأوشك (ان يكثر فيكم العجم) هم خلاف العرب مطلقا لان ألسنتهم عجم أي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل فارس والاول أقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال (يأكلون فيئكم) جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء

حديث آخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم أربع نسوة والدجل تمويه الشئ وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب أيضا لانه يدجل الحق بالباطل (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يوشك) أي يقرب (ان يكثر فيكم العجم) أي ضد العرب لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا أي أموالكم

(ويضربون رقابكم) أي يريقون دماءكم أو يبالغون في ايذائكم وقد وقع في دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبراني بسند صحيح (ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يسترعيهم مسخرين له كراعي غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الا ان في ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم في اطاعته (رجل) قال القرطبي في تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو أبو اليمن رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظهما لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان (خيركم قرني) ولفظهما خير أمتي وفي رواية خير الناس قرني وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل في الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك في الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وفي تغيير العبارة ايماء الى ما أشرنا اليه وفي رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة المجهول أي يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل وأما حديث خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضي ان عنده الشهادة حيث جهل أو شك صاحب الشهادة انها عنده أم لا أو هل يظهر الشهادة أم يخفيها وقيل يشهدون بالزور وقال الحلبي وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون كما قال في رواية أخرى يسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى فشهادة أحدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) أي بنذرهم وفي رواية ولا يفون من وفى يفي

عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم ما لهم الذي بايديهم سماه فيا لانه مما أفاءه الله لهم بغير مشقة عليهم (ويضربون رقابكم) أي يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه) أي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع الغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس وجهلهم فكأنهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا فلان أي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا (رجل من قحطان) أي من عرب اليمن وقحطان أبو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ أو يقظان وكان تجبر ومنع أرزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان أيضا (خيركم) المراد أمته ولفظ الصحيحين خير أمتي وهو المراد (قرني) أي عصري وزماني الذي أنا فيه والمراد أهله لقوله (ثم الذين يلونهم) أي يأتون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان (ثم الذين يلونهم) وهم تبع التابعين والقرن أهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في أعمارهم وجميع أحوالهم وفي تفضيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل أصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل فالافضل ولا شبهة في فضل العصر وجلة أهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم في آخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقرن فلا يتوهم وأهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه واعثمان وما كان في عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل (ثم يأتي بعد ذلك قوم) وروي ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) أي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسئلها فان هذا محمول على من كان عنده علم أو شهادة فيه وصاحبه لا يدري انها عنده فيخبره بما عنده ليشهده عند حاجته ولكل مقام مقال (ويخونون ولا يؤتمنون) هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن أو المراد ظهور خيانتهم حتى لا يأمنهم أحد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن أو المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كسرق أو غصب ونحوه (وينذرون) بضم الذال المعجمة وكسرها (ولا يوفون) بما نذروه من غير عذر

(ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما أنزل الله على بشر من شئ (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه قال الزبير أتينا أنسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم وفى رواية أشر منه وهو لغة كالخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال

لا بد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتاما ويكشف البلاء عنهم حينا ماقلت وهو ما ينافى ما سبق من التنزل فى أمر الدين كما هو مشاهد فى نظر أرباب اليقين فانه كلما يبعد عن النور تبقى الظلمة فى الظهور فالبعد عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أنس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك أمتى على يدى أغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام بمعنى صبيان (من قريش) وفى رواية أعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان أطعتموهم أذلتكم وان عصيتموهم أهلكتكم اذهم صغار الاسنان (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) أى لبينتهم وقلت لكم انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما أشاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الان فى العبارة اشارة بالكناية والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة أيام فقتل من خيار أهلها كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وبعده بنو مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما أوجب أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل أبى فلان ليسوا الى باوليائى ولكن لهم رحم سابلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وأصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى أعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن جرى مجراهم من احداث ملوك بنى أمية

ومانع لهم ويقال وفى وأوفى بمعنى (ويظهر فيهم السمن) أى عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم فى عواقب الامور وروى يأتى فى آخر الزمان قوم يتسمنون وفى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفى الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة أنشأه الله عليها القوة نطفة أبويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقى لانه ورد فى الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة أى اللواتى يستعملن السمنة وهى دواء يتسمن به وروى تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهى السمن (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) المستثنى جملة حالية يجوز فى مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدى أتينا أنسا رضى الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم عليه الصلاة والسلام وروى أشر على الاصل كأخير والمستعمل منهما خير وشر وسمع على الاصل نادرا وفى معنى هذا الحديث ما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابتا فى أحاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصرى لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لا بد للناس من تنفس يعنى ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء أحيانا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان (هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش) أغيلمة تصغير أغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو فى حكم المفرد وفى القاموس جمع غلام غلمة وأغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما فى النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد فى جمعه أغلمة ومثله أصيبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة لجمع قلة آخر فى التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا لما على انه سمع فيه أغلمة فلا حاجة للتعسف فى تأويله والمراد بهلاكهم ضياع أمورهم وهلاك بعضهم (وقال أبو هريرة راويه) أى راوى هذا الحديث (لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان) أى لو أردت ان أسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من خيار أهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة وأزيلت بكارة ألف عذراء وكبنى مروان بن الحكم وغيرهم من بنى أمية ولم يسمهم

(وأخبر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذي وأبو داود والحاكم أنه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح أمته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم مذهبهم فالمجوس أثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه أهرمن وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور أي خلقهما وأما القدرية فزعموا الخالقين خالق الخير وهو الله وخالق الشر وهو الانسان وقد قال تعالى انه خالق كل شيء وهو ما ينافي ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا (والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة أي وأخبر بظهور الطائفة الرافضة أي التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة الا انها تقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام أي بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة ويكفرون أهل السنة والجماعة او المعنى يتركون كمال الاسلام وجماله ان لم يصدر منهم ما ينافي أحكام الايمان وفي رواية يلفظونه أي يرمونه فاقتلوهم فانهم مشركون أي مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة أولها) أي وأخبر بظهور هذا الامر من الرافضة وقد رواه أبو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا بلفظ لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وللترمذي من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعن هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات

تتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع في الشر كما انه بالموحدة يستعمل في الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا ولعل مذمة الرافضة في بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوي الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة (وقلة الانصار) أي وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة وقد يتوسع ويراد بهم ذريتهم أيضا ولا يبعد ان يراد بهم أنصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم وقد رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار أي بعدي

يسعهم خوف الفتنة (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم (بظهور القدرية) في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم القائلون بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على أفعاله وشبههم بالمجوس لانهم أثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها أهرمز وهؤلاء لما نسبوا أفعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في الاصول وأما معنى القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه أولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما ينبغي ان يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهؤلاء القدرية هم المعتزلة وأما القدرية الذين أنكروا القدر وان الامر أنف أي مستأنف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هؤلاء لانهم انقرضوا ولم يبق منهم أحد (والرافضة) الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في أمتي قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروى يلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما أخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم لا آن منهم (وسب آخر هذه الامة أولها) أي أخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من أمته سيظهر سب أولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا فقال لاتذهب الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووقع من بني أمية سب علي كرم الله تعالى وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاولياء وعلماء السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض الفقهاء يسبون العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من أولياء الله تعالى حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم أعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم (و) أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بقلة الانصار) بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج سموا أنصارا لانهم نصروا الرسول

صلى الله تعالى عليه وسلم وآووه وهو جمع ناصر أو نصير غلب على هذه القبيلة وبذا نسب اليهم أنصارى ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار (حتى يكونوا كالملح فى الطعام) فمن ولى منكم شيأ يضر قوما فيه وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أى ان أهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه أفواجا أفواجا وهؤلاء يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الا كثر قليل فى كل جيل ولم تزل قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح فى الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الآن فى المدينة لم يبق منهم الا الأقل من القليل كما أشار اليه بقوله (فلم يزل أمرهم يتبدد) المراد بأمرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من أملاكهم وأموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق وينشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون (حتى لم يبق لهم جماعة) أى لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه أولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه (و) أشار لسبب ذلك بقوله (وانهم سيلقون بعده) أى يلقى الانصار بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أثره) بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل الثانى شدة الاستبداد أى يلقون بعده صلى الله تعالى عليه وسلم من يؤثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم فى العطاء من الديوان ويقل نصيبهم من الفىء فتضيق معيشتهم وفى نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد أمرهم قال ابن سيد الناس كان ابتداء هذا فى زمن معاوية رضى الله عنه ويجوز فى أثره ان يكون جمع آثر ككاتب وكتبة أى آثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقونى على الحوض والحديث طويل فى الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات (و) منه أخباره صلى الله عليه وسلم (بشأن الخوارج) الذين خرجوا على أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه رضى الله عنه بالنهروان وهم نحو أربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض أصحابه وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان (وصفتهم) بالجر عطفا على شان وهم فرق من أهل الضلال كالمحكمة الذين أنكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل أحوالهم وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم انهم أهل صلاة وصيام يحقر أحدكم صلاته فى جنب صلاته وصيامه فى جنب صيامهم الا أنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا وارتكبوا الكبيرة وأكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحى المغرب (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمخدج الذى فيهم) وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وروى بفتح الخاء وتشديد الدال والمعنى واحد وروى المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما فى حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم فى بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة أعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم أعدل خبت وخسرت فقال عمر رضى الله عنه ائذن لى اضرب عنقه فقال له دعه ان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته الى آخره وآيتهم رجل أسود احدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال على لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فشقوه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدى المرأة عليه شعرات سجد شكر الله تعالى اذ صدق نبيه

(حتى يكونوا كالملح فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين أهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيأ يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل أمرهم يتبدد) أى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) أى وأخبر انهم (سيلقون بعده أثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون أى ايثار الناس أنفسهم عليهم فيما هم أولى به من العطايا ومناصب القضايا فى الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (وأخبر بشان الخوارج) أى على على بالنهروان وكانوا أربعة آلاف فقتلهم على قتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الا تسعة (وصفتهم) أى وبيان حالهم وأفعالهم حيث قال فرقة يحسنون القول ويسيئون الفعل أو العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم (والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة وبالجيم أى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة مشددة أى بناقص الخلق (الذى فيهم) أى بان احدى ثدييه مثل ثدى المرأة

خطب

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل (وان سيماهم) بكسر السين المهملة وهى العلامة (التحليق) أى يحلقون شعور رؤسهم ولم يكن فى الصدر الاول حلق الرؤس الا فى النسك وهذه الاحاديث ظاهرة فى تكفيرهم كما قاله الخطابى وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم حلقا حلقا وليس بشئ وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبه اذكر ماعلم ان حلق جميع الرأس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم رأى صبيا حلق بعض رأسه فقال احلقوه كله أو اتركوه كله قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم وهو صريح فى اباحته وقال قال الفقهاء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه (و يرى رعاء الشاء) يرى بالتحتية مبنى للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهى معروفة (رؤس الناس) ورؤس جمع رأس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروى ترى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ويجوز رفعه ونصبه والعراة الحفاة العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس فى رجله نعل وهذا الحديث فى الصحيحين بمعناه وبعض ألفاظه فالمصنف رحمه الله تعالى رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى (يتبارون فى البنيان) أى يتناظر بعضهم بعضا فى بنائه فيريد كل منهم ان يزيد على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة له فى الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة بعضهم لبعض فى البناء العالى كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفى مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروى يتطاولون فى البناء يعنى ان من أشراط الساعة ان أهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس وأراذلهم يصير حاكما واليا عظيم الشان ولقد ظهر ما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا المغيبات وهو الآن عيان رأى العين وكنى بكونهم رعاء الى انهم مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروى يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد (وان تلد الامة) أى الجارية المملوكة التى اتخذت سرية (ربتها) بتاء التأنيث ورب وربت بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والمالك والمربى والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان أو أنثى وأنثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التى أخبر بها صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه وفى معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون أمه أمة من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد أحوال الناس فى آخر الزمان وكثرة بيع أمهات الاولاد حتى يشترى الرجل أمه وهو لا يدرى انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة قوية أو رقيقا بنكاح أو زنا و يعتق ويتداول الايدى أمه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستذل الولد على أمه استطالة السيد والذى عده من الاشراط على الاول كثرة التسرى فلا ينافى تسرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية وغيره وفى الشروح كلام مبسوط فى هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسرى والسبى بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غاية الانحطاط لايذانه بقيام الساعة وكل شئ بلغ الحد انتهى (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو (ان قريشا والاحزاب لا يغزونه أبدا) الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون

(وان سيماهم التحليق) أى علامتهم المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (ويروى) بصيغة المجهول وقال الدلجى بصيغة الخطاب العام (رعاء الغنم) وفى أصل الدلجى رعاء الشاء وهو نائب الفاعل أو المفعول الاول والثانى قوله (رؤس الناس) أى رؤساءهم (والعراة الحفاة) وفى نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء أى يتفاخرون (فى البنيان) أى فى اطالة بيوتهم وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان وللبخارى واذا تطاول رعاء الابل البهم فى البنيان وله أيضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراطها ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان أرباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون على أهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) أى سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها فهى بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبى وفى رواية ربها وفى رواية بعلها أى تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها أراد به كثرة السبى والسرارى فى أوقات السعة أو فى أزمنة الفتنة أو كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا) أى وأخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) أى سائر طوائف الكفار (لا يغزونه أبدا) ولعله بعد غزوة الخندق فمن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين أجلى الاحزاب

عنه الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم (وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) أى يبدؤهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها الا تغزى قريش بعده أى لا يكفرون فيغزون وقوله فى رواية أخرى لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة أى لا تعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ما قيل من ان المعنى لا يغزوها كفار أبدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا (وأخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح أى بالوباء (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حى الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية أى راية تحت كل غاية اثنى عشر الفا انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات به سبعون ألفا فى ثلاثة أيام وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم الذى ينسبون اليه كان أصفر وهو روم بن عيص ابن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكى ضمها الا انه لا يجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى أبو داود عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام أى ساحلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها أى نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير واول هذه الامور وردت معنوية أو ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها

فى الغزوة المشهورة (وانه هو الذى يغزوهم) بعد اخباره بذلك فى الاحزاب وهى غزوة الخندق وبعد أحد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله تعالى عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة وأتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة أى لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار فلا ينافى ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذى السويقتين قال الواقدى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا لسبع بقين من ذى القعدة (و) مما رواه الشيخان أيضا انه صلى الله عليه وسلم (أخبر بالموتان) بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه اسم يقابل الحيوان وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان أو أرض لم تحى بعد وبالضم موت يقع فى الماشية وتفتح انتهى يعنى ان فعلان بفتحتين فى المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو أول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون ألفا فى ثلاثة أيام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس هذه هى القرية التى بين الرملة وبيت المقدس مات فيها أبو عبيدة بن الجراح والحديث أوله عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء يموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى آخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما عرف فهو ههنا مجاز مرسل لمطلق الموت أو استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه آخر وهو شدة السرعة والمنافى له ذكر التشبيه فى ذلك المجاز بعينه وقد أشار لما قلناه الشريف فى حواشى الكشاف فى قوله كان اذنى قلبه خطلاوان وهو من الفوائد النفيسة (وما وعد من سكنى البصرة) بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة أو ذات حجارة والفتح أشهر وأفصح وهى بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير أيضا بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصرى بكسر وفتح ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه أبو داود عن أنس انه قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحى للنازلين بيطحائها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفى هذا من أعلام النبوة والاخبار بالغيب

(وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة) كما في الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت
ملحان من خالات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة ابن الصامت فدخل عليها يوما

بالغيب مما لا يخفى ويجوز كسر صادها ولهم بلدة بالمغرب تسمى البصرة أيضا والمراد الاولى ويكنى مصدر
كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها (و) من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيب أيضا في حديث
رواه الشيخان (انهم) أي أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (يغزون في البحر) بعده صلى الله تعالى عليه
وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا أطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره
الا نادرا (كالملوك على الاسرة) وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون
عليه ترفعا وتعظما ومؤخر المراكب المعدة للغزو والذي يقعد عليه رئيسهم يعمل على هيئة سرير الملك
بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم تكن ذلك بديار العرب ولم يره أحد منهم
فتوصيفه صلى الله تعالى عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن أنس
ابن مالك رضي الله تعالى عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام
عندها وما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتبسم فقالت لم ما
أضحكك يارسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة فقالت
ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فرأى ذلك فقال لها ما قال أولا ودعا لها وقال لها أنت من
الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر مع معاوية رضي الله تعالى
عنه فلما انصرفوا قربت لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة تم قد واختلف في زمنه فقيل في زمن
معاوية كما مر وقيل في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان رضي الله تعالى
عنه أمر معاوية رضي الله تعالى عنه بغزو البحر فغزاه بامر عثمان رضي الله عنه ثم لما ولي الخلافة غزاه
بنفسه وفي الحديث معجزات اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن غزو أمته في البحر وغلبتهم وظهور
شوكة الملوك فيهم وان أم حرام من أولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك
في كراهته للنساء في رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد
أجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزوة أول غزوة فيه وهي فتح قبرس وكان عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يأذن في ذلك أولا ثم لما ذكر له هذا الحديث أمره وجهز الاسطول كما هو
مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وأم حرام
رضي الله تعالى عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر بمثلثة وموحدة وجيم
وهو وسطه ومعظمه (و) أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الدين لو كان منوطا) أي معلقا (بالثريا
لناله) أي وصل اليه (رجال من أبناء فارس) أي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي
كواكب مجتمعة اختلف في عدتها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي أي الثريا مشهورة بالعلو في
السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان أو الشرع وما يتعلق
به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو
من اعلام النبوة أيضا لما ظهر فيهم من الاولياء والعلماء وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم
يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تجد فنا
الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه من
يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله تعالى عليه وسلم وفارس
جبل معروف ويقال لهم الفرس أيضا وهم من أولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا

فاطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج أي وسطه ومعظمه وقيل ظهره هذا البحر ملوكا على الاسرة أو كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال أنت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) أي واخبر بان (الايمان لو كان منوطا) أي معلقا (بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن أبي هريرة كنا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم

قالوا من هم يارسول الله فوضع يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان
المشار اليه واحد لارادة الجنس ولو هنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم وأراد بآخرين التابعين اللاحقين
بالصحابة السابقين وأعلاهم في هذا المقام الاخص هو الامام الاعظم والله تعالى أعلم

به ويطلق على بلادهم أيضا والحديث مروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يارسول الله وفينا سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان العلم وروى أيضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان رضى الله تعالى عنه لان المراد به الجنس أوهو بتقدير من جنس هؤلاء (و) من ذلك مارواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه (هاجت) أى هبت (ريح) بشدة (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزواته) أى فى غزوة من غزواته وهى غزوة تبوك وهو محل من أرض الشام كما قيل وفيه نظر (فقال انها لموت منافق) أى رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزى انه عم قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه وذكر عنه قتادة بن النعمان رضى الله تعالى عنه انه رأى منه مايدل على صحة اسلامه وقال الذهبى فى التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروى انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو أيضا محمول على ظاهره أوهو باعتبار ما فى قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق وكان ذلك فى رجوعه منها سنة ست أو أربع أو خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله تعالى كما فى ريح عاد التى أهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لا انه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله تعالى وقدره واطلع من أراد عليه والممنوع انما هو اسنادها او جعلها مؤثرة فيه (فلما رجعوا) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من تلك الغزوة (وجدوا ذلك) أى ما أخبر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك فى وقت اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه بسند صحيح (لقوم من جلسائه) من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء (ضرس أحدكم) أى واحد منكم أيها الحاضرون (فى النار) أى اذ كان فى جهنم (مثل أحد) أى كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان أحدهم يموت كافرا لما فى حديث آخر ضرس الكافر مثل أحد وجسم المعذب كلما ازداد عذابه فكان أشد عليه وكونه عبارة عن ثبات عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل فى غاية البعد (قال أبو هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى كان الخطاب له (فذهب القوم) الذين كانوا جلساءه أى ماتوا كلهم كما أشار اليه بقوله (يعنى) أبو هريرة بقوله ذهب القوم (ماتوا) فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يخص بالموت كقول قس * فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * (وبقيت أنا ورجل) منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء مهملة وحاء مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من أهل اليمامة (فقتل مرتدا) حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل (يوم اليمامة) أى فى حرب كان باليمامة وهى اسم أرض معروفة شرقى الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة أيضا وقيل قتله زيد بن الخطاب فى حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بنى حنيفة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوحى ارتد وشهد له بذلك (وأعلم) الصحابة رضى الله تعالى

(وهاجت ريح) أى هبت بشدة (فى غزاته) أى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوه تبوك من الشام على ما ذكره الدلجى أو غزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو أولى بالاعتماد (فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) أى موت المنافق على وفاق ما أخبر به هنالك وهذا المنافق هو رفاعة ابن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين كذا قاله أبو اسحق على ماذكره الحلبى (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع ابن خديج (لقوم من جلسائه) وهم أبو هريرة الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرحال ابن عنفوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس أحدكم) أى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار أعظم من أحد) أى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت أحدهم كافرا الحديث ضرس الكافر فى النار مثل أحد رواه مسلم وغيره (قال أبو هريرة فذهب القوم يعنى) أى يريد بقوله ذهبوا (ماتوا فبقيت أنا ورجل فقتل) ان ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (وأعلم) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى عنهم

(بالذى غل) أى خان فأخذ من الغنيمة قبل القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينظم من نحوها والمراد بها هنا فصوص من الحجارة (فوجدت) أى تلك الخرز (فى رحله) أى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (عن أبى هريرة) بالذى (غل الشملة وحيث هى) أى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل والفظهما أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر أى لا يدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين وبفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته أى قضيتها أو وحيث هى وناقته كما فى أصل التلمسانى والظاهر جرها أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) أى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) أى برسنها أو زمامها وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق أخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهى التى أخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه السلام وأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها وقال ما أزعم انى أعلم الغيب ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق

عنهم غيب عنهم وهو ماض مبنى للفاعل بوزن أكرم وفاعله ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كأن الايدى غلت أو من الغلل وهو الماء الجارى تحت النبات وكثر استعماله فى السرقة من الغنائم (خرزا) بخاء معجمة وراء مهملة وزاى معجمة واحده خرزة وهى حجارة تنظم ويزين بها وكل جوهر (من خرز يهود) ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهود بن يعقوب أخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفى بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه ومامعه (فوجدت) تلك الخرز التى غلها (فى رحله) أى فى منزله ومامعه بعد موته وهى لا تساوى درهمين وأصل الرحل ما يوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بامعه وهذا الرجل لا يعرف اسمه (و) اعلم أيضا بما هو من الغيب (بالذى غل) أى سرق كما مر (الشملة) وهى المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا بعض حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال أهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عائر فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى أخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعائر بعين وراء مهملتين اصابة من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا قفل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين أو كسرتين فمات فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو فى النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة غلها واقتصر السيوطى رحمه الله تعالى على الاول وانه الذى عناه المصنف وهو الظاهر والنووى فى المبهمات على الثانى والبرهان تبعه والذى أوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول فى الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام أو يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبنى على التعزير بأخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون (وحديث ناقته) أى مما أعلم به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذى رواه البيهقى عن عروة مرسلا (حين ضلت) ناقته وغابت عنه حتى لم يروها (وكيف تعلقت) ناقته (بالشجرة بخطامها) بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم طالبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله

تعالى عليه وسلم ما أزعم انى أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد اللصيب أو ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان أولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ووقع في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت وفي أخرى ومن ضلت ناقته حيث هي حين ضلت وكيف الى آخره فقال بعضهم هو مجرور وعطف على الذي أو مبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ وهي مبتدأ ثان خبره محذوف أي موجودة والجملة في محل جر باضافة حيث وأنت في غنى عن مثله (و) من المغيبات التي أعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بها ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حين أعلم (بشأن كتاب حاطب) بن أبي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي أرسله (الى أهل مكة) لما تجهز النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فأتوني به وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أخفى مسيره فأتوا المحل فوجدوا الجارية فأنكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيأ فهموا بالرجوع ثم بدا لعلي رضي الله تعالى عنه أن خبره صلى الله تعالى عليه وسلم صدق فهدد الجارية فأخرجت الكتاب من عقصتها فلما أتوا به قال عمر رضي الله تعالى عنه دعني أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا فان الله اطلع على أهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة أهلا ومالا خشي ضياعه فأراد ان يضع فيهم يدا يقتضي حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري والكتاب كان مع امرأة تسمى أم سارة (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني حين أعلم (بقصة عمير) بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) بن أمية بن خلف (حين ساره) أي أخبر عمير صفوان سرا في خفية لم يسمعه أحد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ يأتيه بغتة بحيث لم يشعر به أحد وكان شجاعا فاتكا (وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اشترط عليه ما يعطيه ان فعل ذلك (فلما جاء عمير الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر والسر) الذي كان بينهم لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة (أسلم) عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزات الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن أمية وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكروا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى ضياعهم لكنت آتي محمدا حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير عنده فاغتنمها صفوان فقال علي دينك أقضيه وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا فقال اكتم عني شأني ثم شحذ سيفه أي سنه وسمه وانطلق حتى أتى المدينة وأناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضي الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر وأخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له أدخله علي فاقبل عمر رضي الله

(و بشان كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن أبي بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى أهل مكة) وهي سهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل وصفوان ابن أبي هيعة من مسامة الفتح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلي ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما في نظم الدرر أنه عليه الصلاة والسلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين أخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذي منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك وأخجله هنالك (وبقصة عمير) وفي نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) أي ابن أمية ابن خلف (حين ساره) بتشديد الراء أي خاطب صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) أي جعل له جعلا (على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبي) وفي نسخة الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا القتله وأطلعه رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) أي الذي جاء بصدده (والسر) أي المخفي عن غيره (أسلم) أي عمير وكذا أسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني

تعالى عنه حتى أخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم أدخله فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أرسله يا عمر ادن
يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها
الله من سيوف وهل أغنت شيأ قال أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان بالحجر
فذكر أصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك
وجئت لتقتلني فقال أشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله
انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وتشهد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
فقهوا أخاكم دينه فاقرؤه القرآن واطلقوا أسيره وأما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا
فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير أبغض الناس اليهم فلما أسلم كان أحب الناس اليه وهو من سادات
قريش وفصحائها اقتسمت سيادته بالاسلام وله أحاديث في السنن (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن عائشة باسناد صحيح (بالمال الذى تركه عمه
العباس بمكة (عند أم الفضل) لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما
كنى العباس أبو الفضل وهى من أشراف الصحابة رضى الله تعالى عنها يقال انها أول امرأة أسلمت بعد
خديجة وكان كتم ماله عندها وأخفاه حتى عن أولاده كما أشار اليه بقوله (بعد ان كتمه) فلما أسر
ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفداء فقال لا مال لى فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما صنع
المال الذى وضعته عند أم الفضل (فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم) وقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى
لك مالك الذى افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالى وقد قيل انه أسلم قبله
ولكن كان يخفى اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفى بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير
وهو خطأ من الناسخ وأصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسرائهم فقال العباس يا رسول
الله انى كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله
يجزيك فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبى طالب
وحليفك عتبة واخى بنى الحارث قال ما عندى ما يفى بالفداء قال ما فعلت بالمال الذى دفنته عند أم
الفضل وقلت ان أصبت فى سفرى فالمال لولدى فقال والله يا رسول الله هذا شئ ما علمه غيرى وغيرها
واحسب لى ما أصبتم أى فانه جاء ان العباس خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ليطعم بها
المشركين فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين أوقية من فدائه فابى
وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال ذلك أعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله يا أيها النبى
قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية ومقتضى قول المصنف فاسلم انه ما أسلم الا حينئذ والذى قالوه انه
أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون
بمكة يتقوون وكان العباس يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحوال المشركين وأحب أن
يقدم عليه المدينة فكتب اليه مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر من لقى منكم
العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها (و) مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عن
عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه (أعلم انه سيقتل) بنفسه (أبى بن خلف) كما تقدم فجرحه بعنقه فى
أحد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندى فرس أعلفها كل يوم لأقتلك
عليها فيقول له صلى الله تعالى عليه وسلم بل أنا أقتلك ان شاء الله فلما كان يوم أحد أقبل يقول أين محمد
لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلوا سبيله
ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له

(وأخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند أم الفضل) أى زوجته وهى لبابة بنت الحارث أول امرأة أسلمت بعد خديجة وقيل بل هى فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة أم الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها أم الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) أى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) أى العباس (ما علمه غيرى وغيرها) أى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) أى فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم أكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا من مالى أقول ولعله أخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما أسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه أحمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه أى النبى عليه السلام (سيقتل) أى بيده (أبى ابن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد ابن المسيب مرسلا وسبق

انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف

(وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهى الصواب كما تقدم (ابن أبى لهب) أى وأعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شأنه (انه يأكله كلب
من كلاب الله) وفى نسخة يأكله كلب الله وأبعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه
مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع أهل بدر) أى وأعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع
فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) أى كما أخبر فى الحال (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى الشيخان وغيرهما من
طرق (فى الحسن) أى ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) أى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين أى جماعتين كثيرتين من أشياعه وأتباع

معاوية وقد بلغت كل فئة
أربعين ألفا قال الحسن
البصرى فلما ولى
ما أهريق بسببه محجمة
دم وقال هشيم لما أسلم
الامر لمعاوية قال له معاوية
قم فتكلم فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال أما بعد فان
أكيس الكيس التقى
وان أعجز العجز الفجور
الا وان هذا الامر الذى
اختلفت فيه أنا ومعاوية
حق لامرئ كان أحق
به منى أو حق لى تركته
لمعاوية ارادة اصلاح
المسلمين وحقن دمائهم
وان أدرى لعله فتنة لكم
ومتاع الى حين ثم
استغفر ونزل وفى رواية
خطب معاوية ثم قال قم
يا حسن فكلم الناس
فتشهد ثم قال أيها الناس
ان الله هداكم بأولنا
وحقن دماءكم بآخرنا
وان لهذا الامر مدة والدنيا
دول وان الله قال لنبيه
عليه الصلاة والسلام قل
ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ما تكتمون وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن بترك الامر حين صارت
الخلافة اليه وكان أحق بها وأهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من
القلة والذلة ان كان معه يومئذ أربعون ألفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين أهل الشام فرقة معاوية وأهل العراق
فرقة الحسن

مابك من بأس فقال لو بصق على محمد لقتلنى فقتل قاتله الله فى مرجعه من أحد (و) مما اعلم به صلى الله
عليه وسلم انه قال (فى عتبة ابن أبى لهب انه يأكله كلب من كلاب الله) فأكله الاسد وهو ذاهب الى الشام
والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما أضافه لله أفادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبى فى المضاف
والمنسوب وقد تقدم ان أبا لهب كان له أولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد
والمكبر أسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المصنف رحمه الله تعالى عتيبة بالتصغير الا ان من
علماء الحديث من قال مثل ما قاله المصنف رحمه الله تعالى فلا اعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المصنف رحمه
الله تعالى ذكر هذا فى فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضى انها خبرية
أخبر بها عن أمر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا
باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم اشتد عليك قال ان محمدا قال لى كذا وهو لا يقول
الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى (و) أخبر رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عن مصارع أهل بدر) أى محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعنى من
قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى
محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم أهلها لبقاء جثثهم فيها كما يقال أهل الدار لمن بها (فكان) ما أخبر
به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مصارعهم (كما قال) لم يتجاوز أحد منهم موضعه الذى عينه له
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى وأصل هذا الحديث كما فى صحيح
مسلم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على
الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلم يتجاوز
أحدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بأرجلهم وطرحوا فى القليب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان ابن فلان يناديهم بأسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا فقال الصحابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتكلم أجسادا لا أرواح لها فقال والذى نفسى بيده
ما أنتم بأسمع منهم لكلامى ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى
حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما (فى الحسن) بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (ان ابنى
هذا) سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه
(سيد) أى شريف رئيس مسود فى قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات
ويطلق على الله تعالى وعلى غيره كما تقدم تفصيله (وسيصلح الله به) أى بسببه سيقع الصلح والاصلاح
(بين فئتين عظيمتين) من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن

كان

كان مع معاوية رضى الله تعالى عنهما وفى صحيح البخارى عن الحسن عن أبى بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح روى من طرق وفى رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى فى الاستيعاب لما قتل على كرم الله وجهه ورضى الله عنه بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا على الموت وكانوا أطوع وأحب له من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وماوراء النهر ثم سار رضى الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءا الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له بشرطان لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان فى أيام أبيه فاجابه معاوية رضى الله تعالى عنه لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة أنفس لا أؤمنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا أبايعك وأنت تطلب أحدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رضى الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ماشئت وأنا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كل معاوية وساء ذلك أكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن ياذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال أخطب الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به منى أو حق لى تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل (و) مما أخبر به صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان من قوله (لسعد) ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مالك بن وهيب بن عبد مناف أحد العشرة وأصحاب الشورى ولتبادره اذا أطلق لم يقيده بما يخرج سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله فى الحسن أى قال لسعد (لعلك تخلف) وفى نسخة ان تخلف بالمصدرية فى خبرها حملا لها على عسى لانها اختها فى الترجى كما قال * لعلك يوما ان تلم ملمة * وكان سعد رضى الله تعالى عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها فاتاه صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده فقال يارسول الله أوصى بمالى كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى آخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشى ان يموت ثمة وذلك فى حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام أى تبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله (حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون) قال النووى فى هذا الحديث من المعجزات تحقق ما أخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى العراق وأتى بقوم ارتدوا وسجعوا واسجع مسيلمة لعنه الله تعالى فاستتابهم فتاب بعضهم وانتفع به وأبى بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تأويله عند بعضهم وقيل الرواية انما هى يضر بك آخرون والمصنف اراد باستفعل فعل وجعل المصنف الترجى أخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تأدبا منه وقد صرحوا بان الترجى فى حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البخارى عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما فى القاموس وهى اسم موضع بالشام كان فيه غزوة مشهورة واضافة أهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق كما قيل لانه انما أخبر بقتل ناس منهم قبل مجئ الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم والذى أتى بالخبر يعلى بن

(ولسعد) أى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن أبى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن أصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة أى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك أقوام) أى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول أى ويتضرر (بك آخرون) أى أقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته فيها (وأخبر) أى فيما رواه الشيخان عن أنس (بقتل أهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل

منه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم أخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعنى خالد بن الوليد ففتح الله تعالى عليهم فلما أتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرنى وان شئت أخبرتك فقال أخبرنى فاخبره ووصفهم له فقال والذى بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله (يوم قتلوا) متعلق باخبر (و) بينه صلى الله عليه وسلم و (بينهم) أى المقتولين بمؤتة (مسيرة شهر اوأزيد) ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لايمكن مجىء الخبر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يومه ولذا ورد فى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لى الارض حتى رأيت معركتهم وماقيل ان المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقتضى انه قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا او كسير الجمال فى القافلة باحمالها بخلاف الفرسان ويختلف أيضا بطول الايام وقصرها والامر فيه سهل (وبموت النجاشى) أى أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (يوم مات) متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعى على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذى أرسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم فى الهدى النبوى اذ قال ان الذى كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشى بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها (وهو بارضه) جملة حالية والضمير للنجاشى أى والحال ان النجاشى مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقت موت النجاشى كان بارضه أى المدينة فلا يحتمل انه رآه عادة وان أمكن ان يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل انه من خصائصه أيضا (وأخبر) أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر رواه البيهقى (فيروز) علم عجمى ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمى والديلم جيل من العجم (اذورد) أى جاء فيروز وقدم (عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم) بنصبه على الظرفية أى يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى (فلما تحقق فيروز القصة) التى قصها عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره بموت كسرى الذى هو رسوله (أسلم) فآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق وحاصلها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الى آخره فلما اقرأ كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث قهرمانه بانونة ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف معهما فلما أتياه قال ائتيانى غدا فلما أتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه فقتله فى وقت كذا فاخبر باذان بما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لننظرن ماقال فان تحقق فهو نبى مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه ابرويز وهذا ماذكره

(يوم قتلوا) أى أمراء غزوها فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن أبى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) أى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين أهل مؤتة وأمرائهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) أى بل أكثر ويؤيده مافى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو أو بمعنى بل ولعل الدلجى حمل أو على الشك من الراوى فقال بل أقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن وأخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن أبى هريرة (يوم مات) أى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن أصحابه وقد احضرت جنازته لديه (وأخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية أى وأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه أى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) أى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) أى فى يوم وروده فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) أى ماقصه عليه من موته فى وقته (اسلم) ففاز فيروز فوزا عظيما

(وأخبر أباذر) كما رواه أحمد (بتطريده) أى باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) أى كما وقع فى زمان عثمان بن عفان وفى أصل الدلجى فكان كما كان أى فكان اخباره بتطريده كما كان ثم لا ينافيه ما فى دلائل النبوة للبيهقى من ان امرأته أم ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج أبو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها انه يمكن حمل كلاميهما على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان أمكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هنالك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده فى المسجد) أى مسجد المدينة (نائما فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (له) أى لابى ذر (كيف بك اذا اخرجت منه) أى من هذا المسجد وما حواليه (قال أسكن المسجد الحرام) أى وما حواه من الحرم (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أى بطوله قيل كان أخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ثم رضى عليه فرده الى المدينة ثم أخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (ويعيشه وحده وموته وحده) أى وأخبران أباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما أخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه أحمد وابن راهويه وابن أبى اسامة والبيهقى واللفظ له قالت أم ذر لما حضرت أباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الارض وليس عندى ما يسع كفنا لى ولا لك قال فابشرى ولا تبكى فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات فى قرية وجماعة

المؤرخون وأصحاب السير واما ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فلم يشتهر ولم يقل أحد ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطى نقله عن دلائل النبوة للبيهقى فقيل انه ليس فيها ذلك وفى الاستيعاب ان فيروز الديلمى وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه الذى قتل الاسود العنسى وكذلك ذكر قصة فيروز على الوجه الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى الماوردى فى اعلام النبوة وأطال فيها (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم (أباذر) الغفارى كما رواه أحمد فى مسنده (بتطريده) أى بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريرى فى الدرة الفرق بين طرده وأطرده وطرده المشدد وانه انما يقال فى النفى الا مشددا كقول أبى سفيان ☆ وأنت الذى طردتنى كل مطرد ☆ وطرده وأطرده بمعنى نحاه وكثير من أهل اللغة لم يقولوه (كما كان) أى وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم بعينه (ووجده) أى وجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أباذر (فى المسجد) أى مسجد المدينة (نائما فقال له) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف بك اذا أخرجت منه) أى من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما سيجرى عليه وانما المراد اخباره بحاله وما يكون له لقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى والمعنى كيف ظنى أو علمى بك فى هذه الحالة (قال اسكن المسجد الحرام) يعنى مكة المشرفة (قال فاذا أخرجت منه الحديث) أى اقرأ الحديث أو اذكر الحديث الذى رواه أحمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينام فى المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فرآه نائما فقال له أراك نائما فقال أين أنام وهل لى بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا أخرجوك منه قال ألحق بالمسجد الحرام فقال له كيف بك اذا أخرجوك منه قال ألحق بالشام أرض الهجرة والحشر وأرض الانبياء فاكون رجلا من أهلها قال فاذا أخرجوك من الشام قال أرجع اليه فيكون منزلى قال فكيف بك اذا أخرجوك منه الثانية قال آخذ سيفى واقاتل حتى أموت فوكزه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقانى وأنت على ذلك واما تطريده رضى الله تعالى عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر أسندوا فيه لعثمان رضى الله عنه ما لا أصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابى ذر اذا رأيت المدينة بلغ بناؤها سلعا فاخرج منها وأشار الى جهة الشام فلما زاد بناؤها ذهب الى الشام ثم انه رضى الله عنه أنكر على معاوية بعض أموره فشكاه لعثمان فكتب اليه أقبل الينا فنحن أرعى لحقك فقدم عليه ثم استأذنه فى الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات والذى قيل ان عثمان أمر باخراجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على ما صدر منك قال أشهد ان رسول الله قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها قال أكثرهم لا أصل له (ويعيشه وحده) أى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفى نسخة عيشة بالتاء (وموته وحده) فكان كما قال لان البيهقى روى ان أم أبى ذر لما حضرته

فأناذلك الرجل فابصري الطريق فبينما أناوهو كذلك اذ أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم فالحقت بثوبي فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال أنتم تسمعون انه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي أولامرأتي لكفنت فيه اني أنشدكم الله ثم أنشدكم الله ان لا يكفنني رجل منكم كان أميرا أوعريفا أوبريدا أونقيبا وليس منهم أحد الاقارف ماقال الافتى من الانصار قال أنا أكفنك ياعم في ردائي هذا وثوبين في عيبتي من غزل أمي قال فكفني فكفنه وقاموا فدفنوه وعن ابن مسعود قال لماخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف أبو ذر يتلوم بعيره فقالوا يارسول الله تخلف أبو ذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فلما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتتبع أثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في شدة الحر وحده فلمارآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لمامات رضي الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلماغسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذ أقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فلمارآهم الغلام قام اليهم وقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكي رافعا صوته ويقول صدق رسول الله في قوله

(وأخبر ان أسرع أزواجه به لحوقا) أي وصولا عليه بعد موته (أطولهن يدا فكانت زينب) أي بنت جحش (أسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن أم المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا فكانت زينب أطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبي مرسلا فقال

الوفاة بكت فقال لها مايبكيك فقالت مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن أحدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وأنا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال أنشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا أميرا فقال غلام منهم أنا أكفنك ياعم في ردائي وثوبين في عيبتي (٢) من غزل أمي قال فكفنني فلمامات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه (وأخبر) صلى الله عليه وسلم فيمارواه مسلم (ان أسرع أزواجه به لحوقا) أي أول من يموت من أمهات المؤمنين بعده (أطولهن يدا) لم يقل طولاهن بالتأنيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل ان أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلمامات زينب رضي الله تعالى عنها علمن ان المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع مافيه من التورية لان اليد بمعنى النعمة (فكانت) أي أطولهن يدا وأسرعهن لحوقا به صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمها ضمير عائد على ماذكره وقوله (زينب) بالنصب خبرها وهي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها (لطول يدها بالصدقة) بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله تعالى عنها سنة عشرين أواحدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة التي كانت تدعى أم المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذن يتذارعن وفي رواية أخذن قصبة يذرعن بها أي يقسن أذرعتهن

قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا في الصدقة وللبخاري عن اظنهن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة أطولنا ذراعا فتوفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها في الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجي وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي مع منافاة ماأفاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما أفاد قولها كانت أطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة اظنها أولا ان المراد بالطول هو الحسي فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوي كما هو المعتبر عند أرباب النظر مع مافي العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح أبلغ من التصريح وان في التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ماورد في الصحيحين ان تكون احداها أسرع حقيقة والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هي الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما ألهمني الله من التحقيق والله ولي التوفيق ثم رأيت الحلبي قال زينب هذه هي بنت جحش توفيت سنة عشرين أواحدى وعشرين لا زينب بنت خزيمة التي تدعى أم المساكين لانها توفيت في آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة

٢ قوله عيبتي هي شئ يوضع فيه الثوب مثل الخرج وغيره اه مصححه

(وأخبر بقتل الحسين) أى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كأنه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من أهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

أنا على بن الحسين بن على ❊ نحن وبيت الله أولى بالنبى
❊ تالله لا يحكم فينا ابن الدعى ❊

وقتل من ولد أخيه عبد الله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن أخواته العباس بن على وعبيد الله ابن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو أصغرهم ومن ولد جعفر بن أبى طالب ومحمد بن عبد الله بن جعفر وعون بن عبد الله ابن جعفر ومن ولد عقيل ابن أبى طالب عبد الله ابن عقيل وعبد الرحمن ابن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار أربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر أبو الربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى فصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل ما من أحد أعان على قتل الحسين الا أصابه عذاب قبل أن يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال أنا ممن شهدها وما أصابنى أمر أكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه ففارت النار فأخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (وأخرج بيده تربة) أى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم ويكسر أى مقتله أو مدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله أمتك وان شئت أخبرتك بالارض التى يقتل فيها فأشار بيده الى الطف من العراق فأخذ تربة حمراء فأراه اياها (وقال) أى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم أوله المهملة من اختلف فى صحبته

لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت أكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده فقلن له أيتنا أسرع لحوقا بك قال أطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت أسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذى صححوه وفيه اضطراب أيضا لان أوله يقتضى ان المراد الطول الحقيقى وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرمانى ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة لليد أو شبهت الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضى حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من أهل اللسان ❊ أقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق وايصال البر ومن أوصله بشخص له طول فى يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدهما أو هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد فى لازمه وهو ايصال الانعام أو اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية (وأخبر) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى من طرق (بقتل الحسين) ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء المشددة المهملة وتشديد الفاء وهو مكان بناحية الكوفة (وأخرج) صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده تربة) أى مقدار ملء كف من تراب أراه لبعض أصحابه وأهل بيته (وقال) اذا خرجها (فيها) أى فى ارض هذا التراب منها أو فيها يموت ويقتل (مضجعه) أى مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول أقيس وأفصح وفى التعبير به ايماء الى انه رضى الله تعالى عنه حى شهيد لان أصله محل يضطجع فيه النائم وأصل الحديث عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابنى فقال ستقتله أمتك فان شئت أخبرتك بالارض التى يقتل فيها وأشار جبريل بيده الى الطف من أرض العراق وأخذ تربة حمراء فأراه اياها ولا ينافى ذلك ما جاء انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله فى عاشوراء وقتل معه جماعة من أهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها فى يوم قتله يظهر عليه دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله وأخزاه وجعل سجين مأواه ولابن العربى هنا مقالة أظنه برىء منها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن عدى والبيهقى مسندا (فى زيد بن صوحان) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وألف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى أخو صعصعة وله وفادة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه تابعى وقال الذهبى ومن خطه نقلت كان زيد بن صوحان مؤاخيا

(يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (فى الذين كانوا معه) أى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضى الله تعالى عنهم (على حراء) أى وقد تحرك بهم كما فى الانباء والمعنى قال فى حقهم وعلو شأنهم مخاطبا للجبل (اثبت) أى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبى وصديق وشهيد) وفى نسخة بأو فى الموضعين فهى للتنويع ولفظ مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد زاد بعضهم سعدا مكان على (فقتل على وعمر وعثمان) كذا فى النسخ ولعل تقديم على لثبوت شهادته بصريح الخبر وفى أصل الدلجى فقتل عمر وعثمان وعلى (وطلحة والزبير وطعن سعد) أى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة مثل الحديث وقال التلمسانى أى أصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجى ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على الافادة

لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما (يسبقه عضو) من أعضائه (الى الجنة) أى يدخل الجنة قبله لانه قطع فى سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع من أن يحفظها الله فى الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية أعضائه فى الجنة وأمور الآخرة لا تقاس على أمور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع فى سبيل الله أولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكره ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف (فقطعت يده) الشمال كما رواه الذهبى (فى الجهاد) لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل فى قتال المشركين وقد روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة أويس القرنى وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع على رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب أقوى وأبلغ فى اطلاعه على أمره قبل خلقه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه مسلم وغيره (فى الذين كانوا معه) أى حاضرين معه وهم (على حراء) اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة أميال يمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (اثبت) أى لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه كما فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد وزاد بعضهم سعدا وأورده بعضهم مكان على والمصنف رواه (انما عليك نبى وصديق وشهيد) والمعنى واحد والنبى معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب فى الحديث على وفق ما فى القرآن والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم فى تفسيره أقوال فقال ابن المظفر انه من صدق بأمر الله تعالى وبرسله بحيث لا يخالجه شك فى شئ وقال الكلبى رحمه الله تعالى الصديقون أفاضل الصحابة واختاره البغوى وقيل من صدق بالانبياء حين عاينهم واختار الرازى انهم أول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما عرضت الاسلام على أحد الا وله كبوة الا أبو بكر فله رضى الله تعالى عنه مزية بانه صار قدوة لغيره ولذا أجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية تلى مرتبة النبوة وقد أفرد ذلك بالتأليف الكمال ابن الزملكانى (فقتل على وعمر وعثمان) فقتل عليا كرم الله تعالى وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضى الله تعالى عنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة وكان عمر رضى الله تعالى عنه لا يأذن لمحتلم من المشركين ان يدخل المدينة فاستأذنه المغيرة فى غلامه هذا لانه كان نجارا وله صنائع ينتفع بها الناس فأذن له فى دخوله فضرب عليه سيده فى كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فسأله عن صنعته فأخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك وأضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلى فاستشهد وعثمان استشهد يوم الدار فى قصته المشهورة (وطلحة والزبير) أما طلحة بن عبدالله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلى وقيل كما انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم أصابه سهم فمات منه وأما الزبير رضى الله تعالى عنه فرجع عن قتال على بعد تذكيره له بما مر فقتله ابن جرموز نائما بوادى السباع كما تقدم (وطعن) بالبناء للمجهول (سعد) ابن أبى وقاص سنة خمس أو أربع وخمسين وهو آخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنتان وثمانون وطعن بمعنى أصيب بالطاعون وهو من أقسام الشهادة أيضا وان لم يكن

مثل غيره من كل وجه ولذا أخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب هنا الان يدخله في الصديقين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وفتح الراء المهملتين مخففة وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو أبو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي في كلام المصنف رحمه الله تعالى الاشارة لبعضها ثم أسلم وتوفي سنة أربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية وليس مثله لما يلبسه المترفهون من ملوك العجم آية عظيمة من آيات النبوة وعز الدين (كيف بك) كيف جواب عما أبهم من الاحوال وهو واستخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها الان كل أحد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا طر أعليه مالم يعهد مثله ونال مالم ينله أمثاله فكني بما ذكر وفيه من البلاغة ما لا يخفى (اذا لبست) أي وضعت في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل (سواري) مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال أسوار بضم الهمزة وكسرها أيضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنساء عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن (كسرى) تقدم انه كل من ملك العجم ويخص ببعضهم وهو كسرى الذي أدرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك (فلما أتي بهما) أي بسواري كسرى (لعمر) ضمن أتي بصيغة المجهول معنى أوصل فعدى باللام وفي نسخة عمر بدونها (ألبسهما اياه) أي سراقة تحقيقا لما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ألبسه اياهما وقيل وهو الاولى (وقال) عمر رضي الله تعالى عنه (الحمد لله) حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة أعدائه وما فتح الله على يديه (الذي سلبهما) من يدي (كسرى وألبسهما سراقة) وهو بدوي اعرابي متقشف هو من آحاد أمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل الحديث كما في دلائل النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما أتي بسواري كسرى بن هرمز وضعتا بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله أكبر الله أكبر وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لله الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز الا من أعزه وليس في هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لا يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه أبو نعيم في الدلائل والخطيب في تاريخه (تبنى) بالبناء للمجهول والباني أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس (مدينة) هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة وتكون أكبر من البلدة والقرية (بين دجلة) بدال مهملة مفتوحة أو مكسورة من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لخفاء أمره بتخليطه في أموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل (ودجيل) مصغر علم نهر بالاهواز حفره أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان بالمدائن عليه قرى كثيرة ومخرجه من أصبهان وقيل انه خليج متشعب من دجلة (وقطربل) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء المهملة وضم الباء الموحدة المشددة وقد تخفف

(وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضم شين (كيف بك) أي كيف حالك (اذا لبست سواري كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه أسورة وجمع الجمع أساور وهو ما يلبس في اليد وفيه تنبيه على هلاكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وأئمة أمته (فلما أتى عمر بهما) أي جيء بسواريه (ألبسهما اياه) أي سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) أي عمر (الحمد لله الذي سلبهما كسرى) أي ملك العجم (وألبسهما سراقة) أي واحدا من بدو العرب ولعل في تقديم المفعول الثاني ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجي ولو قال ألبسه اياهما لكان أولى (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن جرير ابن عبد الله والخطيب في تاريخه (تبنى) أي ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من أصفهان (وقطربل) بضم القاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق

(والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفي بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمني قال الحلبي والهراة كذا في الأصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفي القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروي محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة أي تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (ينخسف بها) أي يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم أهلها ولان بناءها أسس على شفا جرف هار (يعني) أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم (بها) أي بتلك المدينة (بغداد) مر بيان لغاتها وقد بناها أبو جعفر الدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس لكن قال أحمد بن حنبل لم يحدث به أي بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه منكر (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه أحمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخي أم سلمة من أمها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبد الملك ثم رأينا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجي وقال الحديث في مسند أحمد من حديث سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله تعالى عنه وسعيد اختلف في سماعه من عمر وقد ذهب أحمد الى أنه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزي في موضوعاته من طريق أحمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) أي كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهي الاسلام أو الخلافة فوقع كما أخبر في حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وأهل العراق مائة وعشرون ألفا فقتل منهم أربعون ألفا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام

وتشديد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر (والصراة) بفتح الصاد المشددة والراء المخففة المهملتين ثم ألف وهاء وهو نهر بالعراق أيضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بهاء بدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد (تجبى اليها) أي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامره (خزائن الارض) أي ما كان مخزونا في غيرها من البلاد بيد أهاليها (يخسف بها) أي يخسف الله أرضها او دورها باهلها وقد وقع ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله أعلم بامره (يعني بغداد) اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم أعجمي عزب وفيه لغات تقدم الكلام عليها (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام أحمد والبيهقي عن سعيد ابن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي أم سلمة من أمها غلام سموه الوليد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه (سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه) قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب اليه ما يقتضي الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الاان الثاني أشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما أشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكأنه ثبت عند المصنف رحمه الله تعالى فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وأظهر من فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين أمورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله تعالى عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (لا تقوم الساعة) أي لا يأتي زمانها ويقرب أوانها (حتى تقتتل فئتان) أي طائفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة (دعواهما) في اعتقادهما ودينهما (واحدة) وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ثم سرى ذلك الكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقائع التي لا تحصى الاان الوقعة الاولى أول مادهم أهل الاسلام من الامور المنكرة التي كانت ثلمة في الدين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم عن

(لعمر) أي ابن الخطاب كما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (في سهيل بن عمرو) أي في شأنه وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا في قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) أي الامر (كذلك) أي مثل ما أخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) أي عند الكعبة (مقام أبي بكر) أي في مرتبته وثبات حالته في المدينة (يوم بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام أي وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) أي بمثل خطبة الصديق في المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة أي حملهم على الثبات في الدين

(وقوى بصائرهم) بتشديد الواو أي

عن الحسن بن محمد مرسلا (لعمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (في سهيل بن عمرو) ابن عبد شمس ابن عبد ود أبو يزيد العامر القرشي أحد خطباء قريش أسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي في سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعني أنتزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان أعلم السفلى أي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله تعالى عنه أمر بديع فقال صلى الله عليه وسلم اتركه دعه (عسى ان يقوم مقاما) أي يقوم خطيبا في مقام ينفع بخطبته ويأتي بما يمحو مقاماته الاول وقدم ان عسى من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيق (يسرك يا عمر فكان كذلك) أي وقع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقق ما أخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما (قام بمكة مقام أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه أي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته (يوم بلغهم) أي بلغ المسلمين بمكة (موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبهم) في مقامه بمكة (بنحو خطبته) أي بخطبة مثل خطبة أبي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله (وثبتهم) أي ثبت المسلمين على دينهم (وقوى بصائرهم) باعلامهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وأبو بكر رضي الله تعالى عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن اسحق والبيهقي (لخالد) ابن الوليد (حين وجهه) أي أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها (لاكيدر) بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كصغرا كدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دومة الجندل ويقال دوماء بالمد وهي ايلياء وهو موضع بين مكة وبرك الغماة أو بين الحجاز والشام سميت بدومان ابن اسمعيل لانه كان ينزلها (انك تجده) أي تصادف اكيدر (بصيد البقر) أي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه في أربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعياء بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة أو غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة وأهلها فأتاه خالد رضي الله تعالى عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليه فاستأسرا كيدر وقاتل أخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات

وصار سببه التقوية كشف بصائرهم في اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وكانت خطبة أبي بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت الا ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه زاد عليه باتيان الآيات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله في الرتبة قال البيهقي ثم لحق في أيام عمر بالشام مرابطا في سبيل الله حتى مات بها في طاعون عمواس (وقال لخالد) أي ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم أي ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف في اسلامه وصحبته (انك تجده بصيد البقر) أي بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم أسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما

بانه أسلم ثم ارتد قال ابن منده وأبو نعيم الاصبهاني في كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا أسلم وأهدى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقي فيه ثم ان خالدا حاصره زمن أبي بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذري ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة وبرك الغماد والحجاز والشام فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله

(فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته) أى وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الان منها ما وقع فى حياته ومنها ما وقع أو سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) أى على نهج ما أخبر به عنه فى ذلك المقام من المعنى المرام (الى) أى منضمة أو منتهية الى (ما أخبر به جلساءه من أسرارهم) أى خفيات أفعالهم (وبواطنهم) أى مكنونات أحوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس فى القوم خير منك قال نعم وفى رواية ومواطنهم أى ومشاهدهم وفى أصل التلمسانى ومواصلتهم أى مواصلة الناس من أهل الاسلام ونقل ما يصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) أى والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) أى فيما بينهم (وكفرهم) أى من جهة تواطئهم كما ظهر منهم فى غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمه به فقالوا الا ما كنا فى شئ من أمرك بل كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله

وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (وقولهم فيه) أى ومن تكلمهم فى حقه عليه الصلاة والسلام (وفى المؤمنين) أى من أصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن أبى حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام انظروا كيف أرده ؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الآيات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) أى المنافقين (ليقول لصاحبه) أى رفيقه اذا طعن فى الاسلام وأهله (اسكت) أى من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) أى شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) أى صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبى عليه الصلاة والسلام فى البيت وأمر بلالا ان يؤذن فقال عتاب ابن أسيد لقد اكرم الله أسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث بن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفى رواية أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال أبو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عنى هذه الحصباء فلما اخرج قال لهم لقد علمت الذى قلتم وأخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

وامر

نصرانيا وقال البلادرى انه عاد الى دومة فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه أسلم وأهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر وعده ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق أهل السير وقيل انه أسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد فى الصحابة أيضا (فوجدت) بالبناء للمجهول (هذه الامور) المذكورة فى هذا الفصل (كلها فى حياته) بعد ما أخبر بها (و) وجد بعضها (بعد موته كما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مطابقة لخبره ومما ثلة له منتهية أو مضمومة (الى ما أخبر به جلساءه) من الصحابة (من أسرارهم) أى ما أسروه وأخفوه (وبواطنهم) أى أمورهم المخفية وقلوبهم وهو بيان لما أخبر به (وأطلع عليه) عطف على ما أخبر به (من أسرار المنافقين) أى ما اسروه فى أنفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم أو ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المؤمنون (وكفرهم) المضمر فى قلوبهم مع اظهارهم الايمان (وقولهم فيه) أى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى المؤمنين) وهو معطوف على أسرار المنافقين عطف تفسير كقول رأسهم ابن أبى لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد أبى بكر فقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثانى اثنين فى الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه (حتى ان) بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر (كان بعضهم) أى بعض المنافقين (يقول) وفى نسخة ليقول (لصاحبه) أى من هو معه منهم اذا أراد ان يتكلم بشئ فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سرا معه (أسكت) ولا تنطق بشئ من أمره ثم بين وجه أمره بالسكوت مقسما عليه ليحقق ما قاله فقال (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) بما يقوله فى شأنه من ملك أو جن يبلغه ما يقال فيه (لاخبرته حجارة البطحاء) وهى ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها من الحصباء يعنى ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة أيضا لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة

(واعلامه) أى ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) أى من يهود (وكونه) أى ومن كون سحره (فى مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة) وفى نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم أولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (فى جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء أى وعائه فى غشائه الذى يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع أو نخلة على ان التاء للوحدة كالنملة وليس بفعل ماض معلوم أو مجهول كما يتوهم من أقوال الدلجى (وانه) أى السحر فيما ذكر (ألقى فى بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهى بالمدينة بستان لبنى زريق ويقال له بئر ذى أروان كذا فى مسلم وكلاهما صحيح وما فى مسلم أصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووى وأما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) أى فوقع الامر (كما قال) أى من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) أى الهيئة من كونه فى مشط ومشاطة (واعلامه) أى ومن اخباره (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى (بأكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تأكل الخشب (ما فى صحيفتهم التى تظاهروا) أى تعاونوا وتناصروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها أرحامهم) أى قرابتهم من بينهم وبينهم نسب يجمعهم

وأمر بلالا رضى الله تعالى عنه بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب لقد أكرم الله أسيدا اذ لم يرهذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك به (واعلامه) بالجر معطوف على ما أخبر به وهو اشارة الى ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف أى اعلامه الناس (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) وهو يهودى من بنى زريق وقصة سحره مشهورة فى السير والتفسير (وكونه) أى السحر المذكور الذى وضعه (فى مشط) بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطاء مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها ممشط أيضا (ومشاطة) بضم الميم وهى ما يسقط من الشعر اذا سرح وفى نسخة مشاقة بقاف بدل الطاء وهما بمعنى أو الاول من الشعر والثانى من الكتان (فى جف) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشاء وفى نسخة جب بباء موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البئر وهو مضاف لقوله (طلع نخلة ذكر) والطلع ما يخرج من النخل فى ظرف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وأنثى تحمل بثمرها المعروف (وانه) بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور (ألقى فى بئر ذروان) أى وضع فى هذه البئر وهى بئر بالمدينة لبنى زريق وهى بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو بزنة فعلان (فكان) ما أخبر به صلى الله عليه وسلم (كما قال) عليه السلام (ووجد) السحر (على تلك الصفة) التى وصفها وهو من اخباره بالغيب بوحى من الله تعالى كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سحر قال أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب أى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى أى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال وأين هو قال فى بئر ذروان فجاءها صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناس من أصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤس نخلها رؤس الشياطين فقالت هلا أخرجته يا رسول الله قال قد عافانى الله تعالى فكرهت ان أثير على الناس منه شرا فأمر بها فدفنت قال أبو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعى هو خطأ وصوابه أروان بالهمزة انتهى وفى القاموس بئر ذروان بالمدينة وهى ذواروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفى مسلم بئر ذى أروان قال النووى وهو صحيح والاول أجود وأصح ويحتمل ان الاول مخفف منه (واعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى فى الدلائل (بأكل الارضة) بفتحات دودة تأكل الورق وتكون فيه اذا انطبق زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهى معروفة وعلى أنواع ومنها ما يأكل الخشب فمن فسرها هنا بدويبة تأكل الخشب قال الله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته والارض بالسكون مصدر أرض اذا كان به ارضة أضيفت لها لم يطبق الفصل وليست هى الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب (ما فى صحيفتهم) الاضافة للعهد أى الصحيفة المشهورة وسيأتى بيانها (التى تظاهروا بها) أى تعصبوا وتعاونوا باتفاقهم على عهود كتبوها فى تلك الصحيفة كما سيأتى (على بنى هاشم) وهم فخذ من قريش (وقطعوا بها رحمهم) أى قصدوا بما كتب فى الصحيفة قطع رحمهم أى قرابتهم أى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم

من بنى هاشم وأصل الرحم مقر الولد ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها (وانها) أى الارضة وهو معطوف على أكل الارضة أى واعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بانها (أبقت فيها) أى الصحيفة (كل اسم لله تعالى) دون غيره مما عاهدهم عليه فحته لانه باطل وابقت اسم الله تعالى تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستأتى وتوجيهها (فوجدوها كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به عن الغيب فهو من معجزاته وماذكره المصنف رحمه الله تعالى من انها أبقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه أمر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفى رواية أخرى انها لحست اسم الله تعالى وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله تعالى برىء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته فاذا صحت الروايتان أشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان فى التوفيق بينهما ان لم نقل ان رواية انها لحست اسم الله أقوى والمعول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما فى الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك فى رواية أصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم أمره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين قهرهم أرادوا قتله فلم يرض به أبو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا أو تعتزلوا عنا جميعا فى الشعب بحيث لا تقابلوننا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها فى الكعبة فكان كلما جاء أهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش وأراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى طالب يا عم ان الله أبطل عهدهم وأكلته الارضة فخرج اليهم فظنوه انه أتاهم ليسلم لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير وكان ذلك مما أطلعه الله تعالى عليه من غيبه وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف رحمه الله تعالى وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم نجد ما يشفى الصدور (ووصفه الكفار قريش) بعد الاسراء كما تقدم تفصيله (بيت المقدس) مفعول وصف وقوله (حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى اخباره بانه أسرى به لبيت المقدس (ونعته اياه) أى بيت المقدس (نعت من عرفه) بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصنف رحمه الله تعالى غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال فى غير الله تعالى ولا يقال نعت الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها (واعلامهم) بالجر أى اعلام الكفار (بعيرهم) بكسر العين أى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس بمراد هنا (التى مر عليها فى طريقه) لما رجع من الاسراء (وانذارهم بوقت وصولها) لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا وأصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب يعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل أورق كما مر (فكان ذلك كله) أى وجد ووقع (كما قال) صلى الله تعالى عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما أخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته (الى ما أخبر به من الحوادث) أى ما تقدم ينتهى أو ينضم لغيره مما أخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور (التى تكون) فى المستقبل (ولم تأت بعد)

(وانها) أى وبان الارضة (أبقيت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن أبى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسم الله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين أبو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة أو وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رأيت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله أقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والآخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما أمكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة وأخرى عندهم والله تعالى أعلم (فوجدوها) أى الصحيفة (كما قال) أى من أكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه أى ونعته عليه الصلاة والسلام (الكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) أى فى صبيحة ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) أى بيت المقدس لهم على ما مر (نعت من عرفه) أى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) أى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين أى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) أى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) أى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا أورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) أى فوقع ذلك (كله كما قال) أى كما أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) أى مع ما (أخبر به من الحوادث التى تكون) أى ستوجد ويأتى أمرها (ولم تأت بعد) بضم الدال أى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن آثاره

مبنى

(منها) أي من الحوادث التي تكون (ما ظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفي نسخة مقدماته (كقوله) أي فيما رواه أبو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين أي كثرة عمارته باستعلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) أي سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) أي علامة ظهور

الحرب والفتنة (وخروج الملحمة

مبني على الضم أي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها او بعضها لم تظهر فاذا جاء الابان تجئ فان خبره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتخلف (و) الى ذلك أشار بقوله (منها ما ظهرت مقدماته) بكسر الدال أي علاماته المتقدمة عليه (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود في سننه (عمران بيت المقدس) بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدمه بمعنى كونه مقدما فيه وهو مبتدأ خبره (خراب يثرب) بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عتابه السيف وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز في النسبة الاسنادية بحمل ما يقرب من الشئ ويلاصقه له كأنه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف أخبر به عنه (وخراب يثرب) الذي يعمر عنده بيت المقدس (خروج الملحمة) أي ظهورها والملحمة بميم مفتوحة ولام ساكنة وحاء مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا واللحمة أو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه أحكام النجوم وآثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في آخر الزمان (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) وفي نسخة قسطنطينية بغير ألف ولام وبعد النون الثانية ياء تشدد وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم أول ملك بناها وهو أول من أظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير احدى وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد ألبست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ماد يده اليمين فانها طالعة في الهوى لانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت وكفي مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة او تشديدها وحذفها فهي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول أبي تمام

حتى التوى من نقع قسطلها على * حيطان قسطنطينية الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه أم لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في آخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الدرر في أخبار المهدي المنتظر والذي أوقعهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه أشار بقوله (ومن اشراط الساعة وآيات حلولها) معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي والآية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس من صغار أمورها وعلامات

فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتأنيث كذا في النسخ المصححة وفي رواية السجزي بزيادة مشددة وهي دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة مستعقبة للاحقة وفي حاشية الحجازي وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا هل افتتحت أم لا فقيل كان ذلك في زمن عمر أو عثمان وقيل لا بل انما استفتح مع قيام الدجال والله تعالى أعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) أي والى ما أخبر به من علاماتها المتقدمة كما في الصحيحين ان من أشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) أي علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها لحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم

(وذكر النشر والحشر) أي ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما في أشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووي عن العلماء من ان آخر اشراطها في الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق أي الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما في حديث مسلم يحشر الناس أي أحياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا وأما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع في أصل الدلجي والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما أفناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه في الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر في علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق أولا ثم يفرق بينهم كما أخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق في الجنة وفريق في السعير (وأخبار الابرار) جمع بر أو بار أي وذكر أخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر وأخبارهم أي بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان التجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) أي ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) أي وذكر مواقفها من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان أردت تفصيل ذلك في الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي المسمى بالبدور السافرة في أحوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم أي حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله في الفضل (أن يكون ديوانا مفردا) أي دفترا منفردا (يشتمل على أجزاء وحده) أي متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما أشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية) أي غنية لمن له دراية (وأكثرها في الصحيح) أي رواية (وعند الائمة) أي من كتب أصحاب السنة (والله ولي التوفيق) أي بالهداية في البداية والنهاية

القيامة التي تكون في آخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غني عن البيان وهذا كله مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبي في تذكرته (وذكر النشر والحشر) الذي هو آخر الاشراط وآخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت ان يحيى فيقوم من قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب (واخبار الابرار) بالجر أي مما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من أخباره عن صلحاء أمته وفجارهم أو اخبارهم بما يسرهم وتقر به أعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم ويبكيهم فأخبار بفتح الهمزة جمع خبر أو بكسرها مصدر أخبر والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب وهو التقي الصالح (والفجار) جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر بالمعاصي والمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أمته بما يكونون فيه وهو كثير في الاحاديث (والجنة والنار) أي ذكر أحوالهما وأهلهما وما يكون فيهما (وعرصات القيامة) بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل موضع واسع لا بناء فيه أي مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان مواقف القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها (وبحسب هذا الفصل) الباء زائدة كما في قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدأ خبره (أن يكون ديوانا) أي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة في كثرته كما ذكره في أوله وانه لو ألف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن أمرا غريبا (مفردا) عن غيره من المعجزات (يشتمل) ذلك الديوان المفرد له (على أجزاء) بتمييز أنواعه وافراد كل نوع بباب (وحده) منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم افراده بالتأليف بقوله (وفيما أشرنا اليه) أي ما ذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم (نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها) أي لطائف ودقائق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله (كفاية) مبتدأ مؤخر ولو حذف قوله نكت كان أحسن لانه اذا كان مبتدأ كان قوله كفاية مبتدأ آخر أو بدلا أو صفة بتأويله بكافية وكله تكلف أي المقدار الذي اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتأليف (وأكثرها) أي النكت المذكورة في هذا الفصل منقول (في الصحيح) من كتب الحديث المعتمدة (و) موجود (عند الائمة) من علماء الاثر ومشايخ المصنف وفي تعبيره بالاكثر اشارة الى ان

فيه

فيه ما هو ضعيف أو لم يثبت كما بيناه لك فى أثناء شرحه

﴿(فصل فى عصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من الناس)﴾ أصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشئ واستعصم استمسك كأنه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله الانبياء حفظه اياهم بما خصهم من صفاء الجوهر ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى وفى الحفظ عن نيل المضرة من أعدائهم والمراد هنا المعنى الاخير كما أشار اليه بقوله (وكفايته من آذاه) أى كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد أذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه فى تفسير المعوذتين أو خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصدوا أذيته وتوله من أذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) يقتضى انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الآية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضرى فى الخصائص يرده ما روى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج بعث معه أبو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الآية فقال له يا عم ان الله عصمنى من الجن والانس فلا حاجة لى بمن تبعثه معى وهذا يدل على انها مكية وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة أى عند مقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبى وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذى عن عائشة كما أتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الآية الى آخره أى فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول أهل مكة وعلى الثانى أعم خلاف الظاهر ثم قال أكثر المفسرين ان هذا الذى كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان تشريعا لامته ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه كان لحكمة وهى كما ان يشارك المؤمنين فى المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد أحبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى وأما العصمة عن الذنوب فسيأتى فى محله والى ما قدمناه أشار فى الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله أكلة خيبر قطعت أبهرى وقالوا حكمته ان ينال أجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه وأجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين أكله فلم يؤثر فيه فلما قضى أجله أثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الآية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما فى كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدواه مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه وخصوصا ولم يظهر له أثر حال أكله ولا بعده مما اطلع عليه أعداؤه وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أمره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما أمر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من أحد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا أظهر مما فى الكشاف ومما قيل انه للمبالغة والتأكيد قال الراغب يقال فلان بعينى أى أحفظه وأراعيه كقولهم هو منى بمرأى ومسمع وقوله واصنع الفلك بأعيننا أى بحيث نرى ونحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله (وقال أليس الله بكاف عبده) فيه اثبات الكفاية الله له على أبلغ وجه لانه استفهام

﴿(فصل)﴾
(فى عصمة الله تعالى له) أى فى وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) أى وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفايته من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) أى يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أى بمرأى منا ومرعى فى حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها أو مبالغة فى تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفى انكار النفى مبالغة فى اثبات الكفاية

انكارى وهى نفى معنى ونفى النفى اثبات يعنى ان عبادى يحفظون عبيدهم فكيف لا أحفظ عبدى
ولما كان العبد غير معين هنا أشار بقوله نقلا عن السلف انه (قيل) ان معناه (بكاف محمدا) المراد
بعبده لان الاضافة عهدية (اعداءه المشركين) وبهذا يكون دالا على المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل
من انها نزلت لما قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أما تخاف ان تخبلك آلهتنا لكونك تعيبها اليس
مطابقا لهذا المقام وقوله أعداءه المشركين يأباه (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) كالقول بان المراد
انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ بكاف عباده بصيغة الجمع (و) مما يدل على عصمة
الله له قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر
من قريش كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت أذيتهم ودعا
عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون فى تفسير هذه الآية وهذا نوع
من حفظ الله تعالى له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الآية وبيان هؤلاء المستهزئين
وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الآيات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه ويذكر
بعض افراده المثبت لمراده (وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد تقدمت هذه الآية وبيان
معناها وانما أتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دأبه والمكر الحيلة والخداع ولا
يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهى اشارة الى ما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير
محتاج للبيان * واعلم ان الشيخ الاكبر قال فى بعض رسائله ان الله كما عصم نبينا فى حياته عصم رؤياه
فى المنام بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيل وتمثله فى صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تؤذيه
الاحلام وعبارته كل من يرى فى المنام فتمثله فى خيال الرائى الملك أو النفس أو الشيطان الا الانبياء
عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا فى حياتهم معصومين فى البواطن
من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا فى المحل الذين كانوا معصومين فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن
انتهى ثم شرع فى ذكر الحديث الذى رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها فقال (أخبرنا القاضى
الشهيد أبو على الصدفى) الاندلسى المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد فى وقعة بالاندلس
وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفى بفتحتين نسبة لصدف قرية بقرب قيروان (بقراءتى عليه)
لا بالاجازة (والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) هو القاضى أبو بكر بن العربى ويقال
ابن عربى أيضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربى بدون أل هو الشيخ محيى
الدين الصوفى نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وأبوه من كبار
أصحاب ابن حزم الظاهرى وابنه ممن أخذ عن الغزالى وغيره ورحل للاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفى
بفاس فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ونسبته لمغافر بغين معجمة وفاء وراء مهملة وميمه
مفتوحة وحكى فى اسم الحى الضم وأنكره ابن السكيت حى من همدان وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب
الثياب المغافرية (قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفى) المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما فى بعض
النسخ الحسن مكبرا خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو يعلى) بفتح المثناة التحتية
واللام وألف (البغدادى) نسبة للمدينة المعروفة قال (حدثنا أبو على السنجى) نسبة لسنج بسين مهملة
مكسورة

بالذين من دونه أى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) أى فى معنى الآية (غيرهذا) أى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى أيضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم أى بالاقوال والاحوال (أخبرنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقراءتى عليه والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المغافرى) بفتح الميم وتضم وكسر الفاء و الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) أى كلاهما
(ثنا أبو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا أبو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج
الحرة (ثنا أبو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة

(ثنا أبو العباس المروزى ثنا أبو عيسى الحافظ) أى الترمذى كما فى نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) أى الازدى سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخارى وأبو داود والدارمى (ثنا الحارث ابن عبيد) هو أبو قدامة الايادى البصرى روى عن ثابت الجونى أخرج له مسلم واستشهد به البخارى (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء روى عن أبى الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله بن شقيق) هو العقيلى البصرى يروى عن عمر وأبى ذر والكبار وعنه قتادة وأيوب قال أحمد ثقة تحمل عن على رضى الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبى أخرجه الترمذى فى التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أى يحفظ من الاعداء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) أى يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هى بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمنى ربى عز وجل) أى فقد تكفل بعصمتى ومحافظتى من كيد اعدائى من غير واسطة لى (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف أى يستريح

مكسورة ونون وجيم وهى قرية بمرو قال (حدثنا أبو العباس المروزى) وهو محمد بن أحمد بن محبوب راوى الترمذى وقد تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) ابن سعد الترمذى صاحب السنن امام الحديث المشهور وشهرته تغنى عن ذكره قال (حدثنا عبد بن حميد) بلا اضافة العبد وقد تقدم قال (حدثنا مسلم بن ابراهيم) الازدى الفراهيدى أبو عمرو الامام الحافظ الذى أخرجه الستة توفى سنة مائتين واثنين وعشرين قال (حدثنا الحارث بن عبيد) أبو قدامة الايادى البصرى له ترجمة فى الميزان (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الراء كالمصغر نسبة لجرير الضبى كما فى الكاشف للذهبى عباد وترجمته فى الميزان (عن عبد الله بن شقيق) التابعى العقيلى من كبار التابعين توفى سنة مائة أو ثمان ومائة (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول أى يحرسه الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج بيته (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) ونزولها بالمدينة لان سورة المائدة من آخر ما نزل وتقدم قول آخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفى بعض الحواشى عن ابن عرفة انهم اختلفوا فى صحة الدعاء بالعصمة لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والآية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقائه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدى الشهاب ابن حجر فى شرح الارشاد اختلف فى سؤال العصمة فقيل لا يجوز لقول مالك والشافعى فى الرسالة نسألك العصمة وكذا قول الشاذلى نسألك العصمة فى الحركات والسكنات وفى الحديث اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سأل التوقى عن جميع المعاصى والرذائل فى جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن عن أفعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كلام غير مهذب لان العصمة لها معنيان احدهما الحفظ من أذية الناس والثانى حفظه فى نفسه عن ارتكاب المعاصى وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جائز فيهما كاللهم اعصمنى من الكذب أو الزنا أو اللهم احفظنى من أسر الكفار واعصمنى من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه أيضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمنى من جميع الذنوب أو من جميع الناس فانه أمر مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذى اختصت به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء العصمتين ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) بالضم وتشديد الموحدة وهى كل مرتفع من البناء او الخيمة والخباء من قب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خباء كان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجانى فى شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه (فقال لهم أيها الناس انصرفوا) من حولى واتركوا حراستى (فقد عصمنى) وحفظنى (ربى عز وجل) فلا حاجة لى ان يحرسنى الناس (وروى) بصيغة المجهول (انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا) أى أقام به زمانا (اختار له أصحابه شجرة يقيل

(تحتها) من القيلولة وهى نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى أوهم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة فى حديث الهجرة الى المدينة

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد

أى نزلا فيها عند القائلة وهى وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابى) أى بدوى (فاخترط سيفه) أى سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابى (ثم قال من يمنعك منى فقال الله) أى الله يمنعنى منك (فارعدت) وفى نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفى نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابى) أى أصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفى اصل الدلجى وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) أى دما ونحوه (فنزلت الآية) أى آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) أى مثلها (فى الصحيح) أى للبخارى وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة ويهمل أوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما فى الرواية الأخرى وتقدم انه أسلم وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهلول وعينه مهملة ذكره التلمسانى (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس

نعمة

تحتها) من قال يقيل قيلولة اذا نزل فى وقت القائلة وهى الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام أم لا وان كثر فيها النوم (فاتاه اعرابى) هذه فاء فصيحة أى فاختار واله فى بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الى آخره والاعرابى رجل من أهل البادية تقدم بيانه (فاخترط سيفه) أى سله وأخرجه من قرابه ليضرب به وضمير سيفه اما للاعرابى فعناه سل سيفا كان معه أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابى أخذه وسله وهو صريح ما يأتى فى لفظ رواية الصحيحين وأصل معنى الاختراط ازالة ما على القضيب من ورق أو قشر فشبه ازالة غمده بذلك أو هو من اخترطه اذا أخرجه من خريطته بجعل الغمد كالخريطة (ثم قال) الاعرابى بعد اختراطه له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) الاستفهام انكارى بمعنى النفى أى لا يمنعك منى أحد لانى دخلت على حين غفلة وليس معك أحد وعطف بثم والظاهر الفاء اذ لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع أو كان أتاه من خلفه أو استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير (فقال الله) أى يمنعنى الله أو الله منعنى وحمانى (فارتعدت يد الاعرابى) ووقع فى بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبنى للمجهول أى أصابته رعدة بكسر الراء وفتحها وهى اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال التلمسانى انه الصواب يعنى لا رعدت الثلاثى وهو خطأ منه فان الذى صححه البرهان انه رعدت ثلاثى مبنى للمفعول وتبعه الشمنى وغيره وقالوا انه من الافعال التى لم يسمع فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة (وسقط سيفه) من يده لشدة ارتعاده من خوفه (وضرب) ذلك الاعرابى (برأسه الشجرة) لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها (حتى) تكسر عظم رأسه و(سال دماغه) لما كسر قحفه الذى كان فيه الدماغ (فنزلت الآية) المذكورة والله يعصمك من الناس الى آخره وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر رأسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن أى سال دما أو نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد فى الكتب المعتبرة عند أهل الاثر ولم يذكر وه فى أسباب النزول واليه اشارة ما بقوله (وقد رويت هذه القصة) يعنى قصة الاعرابى (فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح أو فى صحيح البخارى (وان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة فى المكبر ومثلثة (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه) وهذا يخالف ما قبله فى تلك الرواية من انه ضرب برأسه الشجرة الى آخره اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافى العفو عنه (فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) لما رآه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم رحمه الله تعالى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا قائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابى فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا فقال من يمنعك منى فقلت الله تعالى عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروى انه شام السيف أى أغمده وفى سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه ألا أقتل لكم محمدا اقتلك به فاقبل اليه وسيفه فى حجره فقال يا محمد اعطنى سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فنعه الله تعالى فقال يا محمد أما تخافنى وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك فرد السيف فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا

وقد حكيت) وفى نسخة وهى الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية بها)، فى نسخة وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) أى مثل قوله من يمنعك أو مثل

نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وروى ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال له كن خير آخذ واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس (وقد حكى مثل هذه الحكاية) وفى كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التأنيث لان المضاف يكتسب التأنيث من المضاف اليه كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدارى حكاية مثل هذه الى آخره كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفى بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهى ظاهرة بحسب اللفظ والاولى أظهر بحسب المعنى (وانها جرت له) صلى الله عليه وسلم أى وقعت (يوم بدر) أى فى وقعة بدر يقال جرا لنا كذا أى وقع وهو مجاز من الجرى فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله (وقد انفرد من أصحابه) جملة حالية من ضميره أى منفردا عنهم (لقضاء حاجته) كناية عن البراز مشهورة (فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله) بالنصب مفعول ذكر ومما اتفق له فى سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج أيضا (وقد روى) رواه ابن اسحق فى سيرته عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما (انه وقع له) صلى الله عليه وسلم (مثلها) أى مثل هذه الحكاية والواقعة (فى غزوة غطفان) بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهى قبيلة مشهورة غزاها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية نحو أربعمائة وخمسين فارسا فى ربيع الاول بعد خمسة أشهر من الهجرة (بذى أمر) بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذى أمر وانمار اسم ذلك المكان أيضا (مع رجل) متعلق بوقع (اسمه دعثور) بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير (ابن الحارث) وهو رجل من بنى محارب وتقدم انه غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس فى غزوة ذات الرقاع ان الخبرين والرجلين واحد وكان جمع بين ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فهربوا فى رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعى انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة (و) روى (أن الرجل أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) أى حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعصمه الله تعالى منه (وكان) ذلك الرجل (سيدهم وأشجعهم) جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك (قالوا له) جواب لما (أينما كنت تقول) انكار عليه لما هرب وقد كان يقول انى أقتل محمدا (وقد أمكنك) فاعله ضمير مستتر يرجع لما وأمكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه من السياق أى تمكنت منه لمساعدته له وحده ومعه سيف مسلول فى يده (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل) حال بينى وبينه و(دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) أى وقعت على ظهرى لشدة دفعه وقوته (وسقط السيف) الذى كان بيدى (من يدى فعرفت انه) أى الرجل الذى دفعنى (ملك) لانه لم يكن ثمة أحد حين هجمت عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته (وأسلمت) لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحق أصابه صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقال الدعثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على رأسه وقال من يمنعك اليوم منى فقال الله فتمثل له جبريل

ما حكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) أى كما فى سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام (مثلها فى غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى أمر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال لها غزوة نجد أيضا وولى المدينة حينئذ عبد الله بن أم مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) أى الغطفانى والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبى فى تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازى ويروى غورث (وان الرجل) أى المشار اليه (أسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه) من الاغراء أى الزموه وحثوه على فعله هذا وفى نسخة أغووه أى أضلوه (وكان) أى الرجل (سيدهم) أى رئيسهم (وأشجعهم) جملة معترضة (قالوا له أين ما كنت تقول) أى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد أمكنك) أى والحال انك قد تمكنت من القتل فيه (فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) وفى نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) أى من يدى (فعرفت انه ملك وأسلمت

قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم) أي قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكف أيديهم عنكم) أي فنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفي رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا أكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم

فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت

صلاة الخوف وقيل أتى صلى الله تعالى عليه وسلم بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن أمية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فجلس في صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفي رواية الخطابي) ان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبي وتبعه الحجازي وروى الخطابي ان غورث أو غويرث بن الحارث المحاربي على الشك أهو بالعين المهملة أو المعجمة ولم يشك في التصغير والمشهور ما ذكره الحافظ المزي ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما أورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم (المحاربي) بضم الميم وكسر الراء والموحدة (أراد أن يفتك) بكسر التاء الفوقية وتضم وحكى الفتح أيضا أي يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقتله فجأة (فلم يشعر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية أي سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) أي انقلب أو سقط ومن ابتدائية أو بمعنى على وفي أصل الدلجي فاكب لوجهه أي عليه (من زلخة) بضم زاي وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم أوله وكسر ثانيه مخففة أي من أجل زلخة (بين كتفيه وندر) أي خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) أي بحيث لا يتحرك من شدته وروي بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل في قصته) أي قصة غورث

عليه السلام ودفع في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا أحد وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام (قيل وفيه) أي في هذا الرجل وقصته (نزلت) هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهم الآية) وفي سبب نزولها أقوال أخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سيأتي (وفي رواية الخطابي) وهو حمد أو أحمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب أخي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وتآليفه جليلة مشهورة ككتاب الآثار وشرح السنن وغيره (ان غورث بن الحارث المحاربي) منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقدمنا ان ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي أمر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث الغطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان انه ضبب عليه فهو عنده غلط وفي هامش نسخته من الشفاء عوض دعثور غويرث وعليها علامة نسخة وصححت أيضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير (أراد ان يفتك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على أمر عظم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة (فلم يشعر به) أي لم يعلمه ويحس به في حال من الاحوال (الا وهو قائم على رأسه) المراد بقيامه على رأسه وقوفه خلفه متصلا به (منتضيا) بضاد معجمة ومثناة تحتية أي مجردا وسالا (سيفه) ليضربه به فلما رآه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اكفنيه بما شئت) الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة عائدها مقدر أي بالامر والسبب الذي شئته واردته والمراد تفويض أمر كفايته الى الله وتسليم أمره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو أقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه (ف) عقب قوله من غير مهلة (انكب لوجهه) اللام بمعنى على أي سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس واللام بمعنى على كما في قوله * فخر صريعا لليدين وللفم * وقوله (من زلخة) متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة وتاء كغيرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة (زلخها) بضم الزاي وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة معجمة وهاء ضمير للزلخة وقرأ بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله والمراد أوجدها الله حين سل السيف وقوله (بين كتفيه) لا ينافي تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من أعلى الظهر فهو تأسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا اشتد للكفين ضعفت اليد عن حمله (وندر سيفه من يده) أي من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة أي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف أو من بين أشياء (والزلخة وجع) يأخذ في (الظهر) فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان (وقيل) أي قال غير الخطابي (في قصته)

(غيرهذا) أى ماذكر من نوع آخر وهو ماروى انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه وقال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد أرنى سيفك فأعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد فقال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول أى وذكر بعضهم وفى أصل الدلجى ذكر بصيغة الفاعل أى ذكر الخطابى (ان فيه) أى فى غورث (نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) أى كما سبقت (وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) أى من ان يقتلوه أو يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) أى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس وما اخترنا من الجمع بينهما أولى مما قال الدلجى أى هذه الآية أو والله يعصمك (استلقى) جواب لما أى رقد على قفاه أو كناية عن استراح من أذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلنى) أو من شاء فلينصرنى فان ربى لا يخذلنى فالامر للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أو المعنى فليخذلنى أى فليقتلنى فانه لا يقدر على ذلك فالامر للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهى العوراء أخت أبى سفيان ابن حرب زوجة أبى لهب عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام أخت أبى جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفى آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا وهى أشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمى شوكها وقد تصحف على الحلبى حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين وهو مخالف لما فى الاصول المعتمدة والحواشى المعتبرة (وهى جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال حدتها فان الجمرة هى النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر فى معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال أهل التفسير انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على أحد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر أخرى أو كانت تجمع بينهما والله تعالى أعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى عليها (فكأنما يطأها كثيبا أهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهما بمعنى أى رملا سائلا حيث لم يتضرر بها

أى قصة غورث (غيرهذا) المذكور من ارادته الفتك فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم هربوا فى رؤس الجبال كما مر (وان) الامر والشأن فضميره مقدر (فيه) أى فى غورث (نزلت) آية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه) وهى يا أيها الذين آمنوا الى آخره أو قوله يعصمك من الناس (استلقى) أى نام صلى الله تعالى عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه أعداءه واطمئنان قلبه (ثم قال من شاء فليخذلنى) بخاء وذال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشاء بمعنى الخبر أى انى غنى عن المعين والحرس لان الله حمانى وضمن لى ان لا يضرنى أحد يصل الى واذا استلقى على ظهره وأظهر هيئة الامن والتبرى من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضى ان هذا الآية مكية لان خوفه من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم (وذكر عبد بن حميد) الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير فى تفسيره مرسلا (قال كانت حمالة الحطب) وهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب زوجة أبى لهب وسميت حمالة لانها كانت (تضع العضاة) بعين وضاد معجمتين واحدة العضاه وشجر له شوك اذا أوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار الغضا للنار القوية وقوله (وهى جمر) يحتمل أن يكون تفسير اللغضاة لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

وأن يكون حالا من الغضاة وجمر بمعنى متوقدة أى تضعه حالة كونه جمرا (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك أن يمشى عليه فيؤذيه ويؤثر فى قدمه وقد قيل فى تسميتها حمالة الحطب وجوه أخر مذكورة فى التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة فكأنما بزيادة ما (يطؤها) أى يضع قدمه على تلك الغضاة وهو حاف أو بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها (كثيبا) بالمثلثة ومثناة تحتية وحدة وهو ما اجتمع من الرمل (أهيل) مبنى للمجهول يقال أهال الرمل اذا أساله ولم يجمعه كالربوة والمشى عليه حينئذ أسهل وألين أى يجده صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نفيل

يمشين هيل النقا الانت جوانبه * ينهال حينا وينهال الثرى حينا

(وذكر ابن اسحق عنها) أي عن حمالة الحطب ورواه أبو يعلى والبيهقي وابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما (انها) أي حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب) وزيد في نسخة وتب (وذكرها) أي وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) أي بقوله وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما

وقفت عليهما) أي قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما أي ما رأت (الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أي صرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني (والله لو وجدته) أي حاضرا أو لو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) أي فمه فرجعت خائبة خاسئة (وعن الحكم ابن أبي العاص) والد مروان ابن الحكم عم عثمان بن عفان أسلم يوم الفتح وقد روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد عنه (قال تواعدنا) أي اجتمعنا وتمالأنا معشرا من الكفار (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على قتل النبي المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) أي في موضع (سمعنا صوتا خلفنا) أي صوتا عظيما من ورائنا (ماظننا انه بقي بتهامة) أي بارضها والمراد بها هنا مكة (أحد) أي حيا هكذا في والمراد الاصول بقي ووقع في أصل الدلجي لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان ألم به حرف النفي فليس بمنفي بل المنفي ظننا هو البقاء أي ظننا انه لم يبق بتهامة أحد هذا وتهامة أولها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) أي سقطنا (مغشيا علينا) أي من فزع ما سمعناه وهول ما ظنناه (فما أفقنا) أي ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) أي فرغ عليه الصلاة والسلام منها (ورجع الى أهله) أي مضى كما في نسخة (ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا) أي قاصدين له (حتى اذا رأيناه) أي خاليا في مكان (جاءت الصفا والمروة) أي حضرتا وتصور شيء بصورتهما

(وذكر ابن اسحق) امام أهل السير وهو محمد بن اسحق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره (انها لما بلغها نزول) سورة (تبت يدا أبي لهب وذكرها) مصدر مرفوع معطوف على نزول (بما ذكرها الله) به (مع زوجها من الذم) بيان لما وهو ما في السورة (أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملء الكف أو هو الحجر مطلقا وهو في قوله يهود خرجوا من فهرهم بيت دراستهم كلمة معربة أصلها بهر بالباء وقوله (من حجارة) بيان لفهر (فلما وقفت عليهما) أي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر (لم تر الا أبا بكر وأخذ الله ببصرها) أي قبض وحبس نظرها (عن نبيه صلى الله عليه وسلم) أي عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله تعالى عليه وسلم عن أذيتها وهذا يقتضي أن عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم (فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني) أي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة أو مجازا أو هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في حقها في سورة تبت (والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه) خصته لانه محل النطق بذمها فرجعت خاسئة وهذا رواه البيهقي وغيره عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحق (و) روى أبو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد (عن الحكم بن أبي العاص) والد مروان وهو ممن أسلم عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم أبيه ولكن المشهور هو هذا ولذا لم يميزه المصنف (تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم) أي تواعد هو وبعض الكفرة على قتله صلى الله تعالى عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فوقفنا نرقبه (حتى اذا رأيناه) أي لما قرب منا وأبصرناه بحيث تمكنا منه (سمعنا صوتا) أي صيحة عظيمة (خلفنا) أي من خلفنا (ماظننا انه لم يبق بتهامة أحد) ما يحتمل أن تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق أحد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وأن تكون نافية اذا أريد ان جميع أهل تهامة صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى انا تيقنا وجودهم خلفنا والمعنيان متقاربان والمآل واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها أرض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض أو شدة الحر والريح أو لتغير هوائها يقال تهم الدهر اذا تغير وهي أرض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية (فوقعنا مغشيا علينا) من هول تلك الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى (فما أفقنا) من ذلك الغشي (حتى قضى صلاته) أي فرغ منها وأتمها (ومضى الى أهله) أي رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر منه بشيء أردناه (ثم تواعدنا) على ما قصدناه وان نعود لذلك (ليلة أخرى فجئنا حتى اذا رأيناه) بقرب منا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى (جاءت الصفا والمروة) هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان

(فخالنا بيننا وبينه وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوى أسلم عام الفتح وصحب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان مقدما في قريش معظما وكانت فيه وفي بنيه شدة وقد أدرك بنيان الكعبة حين بناها ابن
الزبير فعمل فيها ثم قال قد عملت في الكعبة مرتين مرة في الجاهلية بقوة غلام يافع وفي الاسلام بقوة شيخ

والمراد بحيثهما انحراكهما من مكانهما حتى كانا بينهم وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله
(فخالت) أى الصفا والمروة (بيننا وبينه) فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة
مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وأفرد ضميرهما وكان الظاهر فخالتا وتأويله بحالت كل واحدة منهما وفي
هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرة (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (تواعدت
أنا) أكد ضميره ليعطف عليه قوله (وأبو جهم بن حذيفة) واسمه عامر أو عبيد بن حذيفة بن غانم بن
عامر العدوى أسلم عام الفتح وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان معظما في قريش توفي في أيام معاوية
رضى الله تعالى عنه وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية (ليلة) منصوب على الظرفية منون (قتل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) منصوب على انه مفعول له أو بنزع الخافض أى على قتله أو لقتله أو
بتقدير أى وأضمرنا قتله ونحوه (فجئنا منزله) ليلا خفية (فسمعنا اليه) وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا
أى أطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى أصغينا القرائته حتى نسمعها وهو
يقرؤ في صلاة الليل (فافتتح) ابتدأ قرائته (وقرأ الحاقة ما الحاقة) حتى انتهى (الى) قوله (فهل ترى
لهم من باقية) يعنى قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا
بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية أو الساعة التى وقعت فيها
من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما أدراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة
الحد وهى الصيحة أو الرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم أيام نحسة من صبيحة يوم
الاربعاء الى أربعاء آخر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفى أى ماترى لهم بقية أو بقاء على
انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم أو نفسا باقية (فضرب أبو جهم على عضد عمر رضى الله تعالى
عنه وقال) لعمر رضى الله تعالى عنه (أنج) أى قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما
ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب أولئك رسلهم (وفرا هاربين) أى قاما من محلهما
مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله تعالى فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى
الاول هو تجريد نحوى (فكان) أى ما ذكر من هذه القضية (من مقدمات اسلام عمر رضى الله تعالى عنه)
لتأثيرها في قلبه فأسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند أحمد بما يقرب
منه وهو ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال خرجت ليلة لا تعرض رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجعلت أعجب من
تأليف القرآن وقلت والله ماهو بشاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون فقلت هو كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخره
فوقع الاسلام في قلبى كل موقع وليس فيه انه صحب أبا جهم وفي التعبير بمن التبعيضية اشارة الى ان له
مقدمات أخر الى ان أسلم لما سمع سورة طه في بيت أخته في قصته المشهورة (ومنه) أى مما يشهد لان الله
تعالى عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم من أعدائه (العبرة المشهورة) بكسر العين المهملة وسكون
الموحدة وهو الامر العجيب الذى يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هى الحالة التى يتوصل بها من

فان وهو صاحب الانبجانيه (ليلة) أى من الليالى حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما في نسخة صحيحة (فجئنا منزله) أى لنتفحص حاله (فسمعنا له) أى صوتا وفي نسخة فتسمعناله أى لصوته (فافتتح) أى ابتدأ القراءة (وقرأ الحاقة) أى الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها وتحقق الامور فيها وتعريف حقيقتها (ما الحاقة) خبر المبتدأ أى أى شئ هى فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية) أى ماترى لهم من بقية أو بقاء أو نفس باقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره مما لا يحتاج الى البيان (فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) أمر من نجا ينجو (وفرا) وفي نسخة ففرا
أى ذهبا كلاهما (هاربين) أى شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) أى القضية وقال
الدلجى أى المواعدة أو قراءة الحاقة (من مقدمات اسلام عمر) أى مقتضياته وكذا من اسلام أبى جهم على ما تقدم (ومنه) أى ومن
قبيل أخذ بصر الاعداء محافظة لسيد الاحباء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهى ما يعتبر من القضية العامة

(والكفاية التامة عند ما أخافته قريش) أي خوفوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفي نسخة واجمعت أي عزمت
(على قتله و بيتوه) بتشديد التحتية أي دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقي
عنه عليه السلام (فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم) أي حجبها عن رؤيته (وذرا التراب) بذال معجمة فراء مشددة أي
نثره وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبي وكانوا امائة وفي نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف
(وخلص منهم) أي نجا وتخلص من غير ان يصيبه شئ وفي رواية انه خرج من ظهر البيت طاطأت له جارية اسمها مارية اسمها خادمته عليه الصلاة والسلام حتى تسور الجدار الذي للبيت من ظهره (وحمايته) أي ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) أي له ولابي بكر (في الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجي حال والتقدير وهما في الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله) أي قدره (له من الآيات) أي من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذي نسج عليه) أي على باب الغار وهو غار ثور جبل بمنة مكة (حتى قال أمية بن خلف) وهو من مات كافرا (حين قالوا) أي أصحابه (ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى أدخل فعل
أمر أي رجاء ان يكون فيه مخفيا (ما أربكم فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول أمية أي أي شئ وجوده
حاجتكم الداعية لدخولكم في الغار (وعليه من نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أي شئ أظن (انه قبل ان يوجد محمد)
أي كائن أو موجود على باب الغار وفي نسخة انه الاصل قبل ان يولد محمد وفي نسخة ما رابكم بدل ما أربكم أي أي شئ أوقعكم في الريبة وشبه
المظنة انه في الغار والحال الخ،

معرفة الشاهد الى الغائب من العبور ومنه العبارة وأشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين
المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين (والكفاية التامة) أي كون الله تعالى عصمه وصانه
صيانة تامة ليست ككفاية غيره كما قال الله تعالى عز وجل يا أيها النبي حسبك الله (عند ما أخافته قريش)
تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه وأخافه اذا فعل أو قال ما يدل على انهم بايقاع
المكروه به وفسره بقوله (واجتمعت على قتله) أي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا
(و بيتوه) أي قصدوا قتله وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا و يقال لكل
فعل دبر بالليل بيت قال الله تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم
يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى و يقال هذا أمر
بيت بليل أي دبر فعله ليلا ليوقع غيله على غيره (فخرج عليهم صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته)
وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحق والبيهقي (فقام على رؤسهم) أي وقف عندهم وهم نيام (وقد
ضرب الله على أبصارهم) أي لم يحسوا به و يروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا
أحاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام (وذر) بذال معجمة وراء مهملة مشددة أي نثر (التراب على
رؤسهم) اهانة لهم (وخلص منهم) أي نجا ممادبروه وهموا به وأصل ذلك كما قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان قريشا حين أسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتفاقم أمره عليه الصلاة والسلام عليهم
فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله و بيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار
مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكر فيها هؤلاء اجتمعوا و بينوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله
تعالى عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطأطأت له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي
من ظهر البيت (وحمايته) أي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من أعدائه ومنعهم
(عن رؤيتهم) اياه وأبا بكر وهما (في الغار) أي غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالمغار نقرة في
الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناف لنزوله به و يقال له ثور المحل وهو اسم جبل آخر خلف أحد
(بما هيأ الله) أي بما أعده و يسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية (من الآيات) بيان لما
أي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته (ومن العنكبوت الذي نسج عليه) نسج
سنين في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها في الهواء
لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمر به شئ (حتى قال أمية بن خلف) أحد صناديد قريش
وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف (حين قالوا) أي كفرة قريش لما قصدوا أثره
صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار (ندخل الغار) لتفتيشه لاحتمال انه مختف به (ما أربكم)
بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما
استفهامية أو نافية أي ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة (فيه) أي في الغار
(وعليه) أي على فم الغار ومدخله وروى ما أرابكم من الريبة أي ما أوقعكم في الشك فيما لا شك فيه (من
نسج العنكبوت ما أرى) بضم الهمزة وفتحها أي أظن واعتقد (انه) قديم (قبل ان يولد محمد) أي قبل

وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا فى مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل

القنى فى لظى فان احرقتنى ﴿ فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ﴿ ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيرى رحمه الله تعالى

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ﴿ من الدروع وعن عال من الاطم

(ووقفت حمامتان) ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا فى محل خال من الناس ووقفت بالفاء وروى بالعين المهملة من وقوع الطائر وهو نزوله بمحل (على فم الغار) أى مدخله (فقالت قريش لو كان فيه) أى فى الغار (أحد لما كان هناك الحمام) لما عرفته آنفا وفى نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله أمر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من فراخهما وفى المواهب ان الحمامتين باضتا فى أسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخله لانكسر البيض وزال النسج وروى أيضا كما تقدم انه نبت فى فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهى شجرة مقدار القامة لها زهر وشئ كالقطن يحشى به الوسائد كما أمرها الله بان تنبت لتسترهما لما أقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى أتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال أبو بكر لو نظر أحدهم الى قدمه رآنا فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة أثرهما فانتهى للغار فلما رآهم أبو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته لانه أحب اليه من نفسه وكل شئ واسع أبو بكر فى هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله فى الشقوق التى فى الغار وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه فتبعه سراقة ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله (وقصته) صلى الله عليه وسلم أى وما يدل على عصمة الله له وحمايته مسيرته الواقعة له (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين وروى فتح شينه أيضا وفى بعض النسخ شجعم بتقديم الشين كما فى المقتفى وفيه نظر وقصته فى الصحيحين وهى مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم جعلا عظيما وهو ان لكل من قتله أو أتى به ديته فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت قوائم فرسه الى ابطها فى الارض لدعائه عليه كما يأتى بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم فى مرجع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حنين وهو صحابى مدلجى حجازى كنانى وهو الذى أخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما رأى ذراعيه دقيقتين أشعرين فى حديثه المشهور المتقدم وقوله (حين الهجرة) أى فى وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تقدم (وقد جعلت قريش) جملة حالية وجعلت من الجعل وهو ما يعطى فى مقابلة عمل ما (فيه) أى فى شان رسول الله والاخبار به (وفى أبى بكر) لانه كان رضى الله عنه معه كما علمت (الجعائل) جمع جعيلة وهى كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وثلث الجعالة كما قال السهيلى كانت مائة ناقة أى جراء كما قاله الماوردى فى الاعلام (وانذر به) بالبناء للمجهول أى أعلم

(ووقفت) بالفاء وروى بالعين أى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش) أى كلهم أو بعضهم (لو كان فيه أحد لما كانت هنالك الحمام) أى لكمال نفرته عن الاناء (وقصته) أى ومن ذلك قصته عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) أى فى حق النبى (وفى أبى بكر) أى فى أخذهما (الجعائل) جمع جعيلة أو جعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا أو قولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فتدبر وقد عين السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يرد عليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول أى فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة

سراقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقال أنذرته بكذا بنون ومعجمة وراء أى أعلمته ويكون الانذار بمعنى التخويف أيضا وكيفية الاعلام مشهورة فى السير أيضا وحاصلها ان رجلا أتى سراقة وقال له انى رأيت اسودة بالساحل أظنهم محمدا وأصحابه فقال بعد ماعرف انهم هم ليسوا هؤلاء ثم أخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ماذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم فرسه) أى غاصت فى الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء معجمة فى آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة أهل اللغة وفى القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشئ رسب والارض بهم سيوخا انتهى وثاخت فى تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره فى فصله وقد تحرف على الشارح الجديد فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغى هذا والذى ينبغى ان يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس رجلاها ويداها (فخر عنها) أى سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتؤنث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض أهل السير ان الصديق رضى الله تعالى عنه له قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها * من مدلج قابس فى منصب وارى
يردى به مشرف الاقطار معتزم * كالسيد ذى اللبدة المستأسد الضارى
فقال كروا فقلنا ان كرتنا * من دونها لك نصر الخالق البارى
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه * فانظر الى أربع فى الارض غوار
فهيل لما رأى ارساخ مهرته * قد سخن فى الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسى * وتأخذوا موثقى فى نصح أسرارى

(واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهى قداح أى سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا فى الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعضها لا تفعل ويضعونها فى متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم أخرجوا منها زلما يتفاءلون به فيفعلون أو يتركون وهو معنى الاستقسام أى طلب ماقسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى وبعضها غفل أى خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل أعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام أخر أى سهام كانت فى الكعبة مكتوب عليها النوازل وهى التى استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التى كانوا يقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفأل بها والصحيح الاول (فخرج له) أى لسراقة (مايكره) أى مالم يرده لانه أتى ليرده صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر ويأخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم ينته (ثم ركب) فرسه ثانيا بعد ماسقط عنها وساخت قوائمها (ودنا) أى قرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سائر يقرؤ (حتى اذا سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت) له لعدم مبالاته ولاعتماده على ربه (و) كان (أبو بكر يلتفت) وراءه لخوفه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية أى تبعه رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء أى دنا منه (دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما رأى عليه من آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة أى غاصت وغابت فى الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) أى فسقط أو فنزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين أو بضم ففتح وهى سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب على أحدها أفعل وعلى الآخر لا تفعل وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما فى تفسير قوله تعالى وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يضعها فى متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم أخرج منها سهما فان خرج له أفعل فعل أو لا تفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد أمرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى والثالث غفل لا شئ عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها الذلك والاول اعرف وأصل معنى استقسم ضرب بها الاخراج ماقسم الله له من أمره ونهيه طلب معرفة تمييزه بكونه ان خرج له مايحب فعله أو خرج له مايكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له مايكره) أى من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك الحال (ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) أى النبى (لا يلتفت) أى اليه أو مطلقا (وأبو بكر يلتفت) أى الى سراقة أو الى جوانبه أو الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أتينا) بصيغة المجهول أي لحقنا من طلبنا أو لحقونا وأتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) أي ناصرنا ومعيننا أو معية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة (فساخت) أي قوائم فرسه (ثانية) أي مرة أخرى (الى ركبتها وخرعنها فزجرها) صاح عليها ونهرها (فنهضت) أي فقامت ونبتت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد أي من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) أي النبي والصديق وعامر ابن فهيرة مولى أبي بكر (بالامان) أي بطلبه (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب في الله قتل ببئر معونة والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام أسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن أبي الارقم ثم ما تقدم هو في الصحيح قال التلمساني اشتراه أبو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما أسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر في الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا وشهد بدرا وأحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من الطعنة (وقيل أبو بكر) أي ونقل في السيرة انه كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة أبي بكر لسيادته المعروفة في قريش وان عامرا مولاه قال الحلبي وكتابه عليه الصلاة والسلام نيف وأربعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة وأكثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن أبي سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحي وانما كتب غيره والله تعالى أعلم (وأخبرهم) أي سراقة (بالاخبار) أي أخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من

أو ليرى ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا الا انه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر (فقال) أبو بكر (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (أتينا) بالبناء للمجهول أي أتانا العدو وأدركنا من يطلبنا منهم (فقال) له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تحزن) وتخف من أتانا (ان الله معنا) أي مصاحبا لنا بتأييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعداء فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنه لانه أمر طبيعي ولا سيما انا قوله له في الغار فان المحب ظنين وضنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بل بغير طائل (فساخت) قوائم فرس سراقة مرة (ثانية) بعد المرة الاولى (الى ركبتيها) تثنية ركبة هي ما بان من يديها ورجليها (وخر عنها) أي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها (وزجرها) أي صاح عليها (فنهضت) أي قامت وخلصت قوائمها من الارض (ولقوائمها مثل الدخان) أي غبار مرتفع في الجو كأنه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة هو الغبار هنا او يكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخاء وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوائمها دخان وهو استعارة للغبار (فناداهم) أي نادى سراقة رسول الله وأبا بكر الصديق وعامر بن فهيرة رفيقهما (بالامان) أي رفع صوته به قائلا الامان الامان كما يقوله الناس والمراد تأمينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعداء أو طلب منهم والمراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحق والى الثاني أشار بقوله (فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) أي أمر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله (كتبه) أي كتاب الامان وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحق فكتب لي كتابا في عظم أو رقعة أو خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم رجعت (ابن فهيرة) مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى أبي بكرة رضي الله تعالى عنه وهو من مولدي الازد لولد للطفيل فاشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه منه وأعتقه وأسلم وكان يرعى غنما لابي بكر رضي الله تعالى عنه ويجيء لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة دفنته وقيل رفعته الى السماء (وقيل) كتبه (أبو بكر رضي الله تعالى عنه) وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه أولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة أبي بكر رضي الله تعالى عنه لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات وأفردهم ابن أبي الحديد بتأليف مستقل (وأخبرهم) أي أخبر سراقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأبا بكر رضي الله تعالى عنه وابن فهيرة (بالاخبار) أي باخبار قريش وما جرى منهم بعدخروجهم من مكة وجعلهم الجعائل لمن أتى بهم أو قتلهم ديتهم كما

الجعائل فيهما (وأمره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لايترك أحدا) أى ممن يلقاه من ورائه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم
ويلحق بالرفع وهو حال وفى

نسخة بالنصب ووجهه اسقاط ان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف)

(وأمره النبى صلى الله عليه وسلم) أى أمر سراقة (ان لايترك أحدا) من قريش أى لايدع أحدا و يمكنهم باخبارهم حتى (يلحق بهم) أى يسير خلفهم و يصل اليهم بان يقول لم أرهم ونحوهم ولو كذبا اذ قد يجوز عند الضرورة والحاجة وقد يجب وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقعد مكانك لاتتركن أحدا يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له (فانصرف) أى رجع سراقة عنهم حال كونه (يقول للناس) جملة حالية مضارعية لاتقترن بواو فى الفصيح أى قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله (كفيتم ماههنا) معناه ارجعوا كفيتم الطلب فانى لم أجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية أى ماهنا أحد وان كان المراد النبى ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما ههنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفى الشرح الجديد خلط هنا غنى عن الرد وذكر ابن سعد رضى الله تعالى عنه انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصرى بالطريق و بالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا (وقيل بل قال لهما) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر رضى الله تعالى عنه ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاءهما لاعتقاده فيهما (أراكما دعوتما على) فلذا كادت الارض تبتلعنى (فادعوا لى) بالسلامة فدعواله (فنجا) أى ذهب آمنا مما خافه (ووقع فى نفسه) أى خطر بباله و وقر فى قلبه واعتقد لما شاهده (ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ظهوره على أعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحق وقال أبو جهل لما بلغه ماالقى سراقة فلامه فى تركهم فانشده

بنى مدلج انى لاخشى سفيهكم * سراقة يستغنى بنصر محمد
عليكم به ان لايفرق جمعكم * فيصبح شتى بعد عز وسودد

فاجابه سراقة بقوله أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبى و برهان فمن ذا يكاتمه
عليك بكف الناس عنه فانى * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

كذا فى سيرة مغلطاى رحمه الله تعالى (وفى خبر آخر) يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لايعرف من رواه (ان راعيا) من رعاة الغنم فى البرية (عرف خبرهما) أى خبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بوقوفه على مكانهما فى الغار (فخرج) الراعى من محله (يشتد) أى يسرع فى مشيه قال الراغب اشتد اذا أسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما أسرع لاجل ان (يعلم قريشا) بخبرهما ومكانهما (فلما ورد الى مكة) أى جاءها من محله الذى رعى فيه الغنم وأصل الورود المجئ للماء فاستعير للغريب القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه (ضرب) بالبناء للمجهول أى ضرب الله (على قلبه) أى منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا على آذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة فى الارض ايضرب أوتادها وأصله ايقاع شئ على شئ كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل (فما يدرى) ويعرف (مايصنع) ويقول (وأنسى) مجهول أيضا (ماخرج له) أى ماجاء له من مكانه الذى خرج منه (حتى رجع الى موضعه) الذى جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية (و) فى دلائل أبى نعيم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم (جاءه فيما ذكر ابن اسحق) فى سيرته (وغيره أبو جهل) عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله تعالى وهو فاعل جاء وقوله (بصخرة) متعلق به أى حجر كبير (وهو)

أى سراقة (يقول للناس) أى المقبلين لطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماههنا) أى مايتصور وجوده فى جهتنا أو المعنى ليس أحد ممن تطلبونه ههنا وأغرب التلمسانى فى قوله أمنتم من خوفكم وعصمتم مما هنا (وقيل بل قال لهما) أى سراقة (أراكما دعوتما على) أى بالمضرة (فادعوا لى) أى بالمنفعة (فنجا) أى بعد مادعواله (ووقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فكان من مقدمات اسلامه (وفى خبر آخر) غير معروف عند أهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) أى من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) أى من مكانه (يشتد) أى يعدو عدوا سريعا (يعلم) أى حال كونه يريد ان يعلم وفى نسخة ليعلم (قريشا) أى باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول أى ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدرى مايصنع) أى من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسى ماخرج له) أى لاجله

أى

وفى نسخة اليه أى الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق) فى المغازى (وغيره) كأبى نعيم فى الدلائل عن ابن عباس انه أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (أبو جهل بصخرة وهو) أى والحال انه عليه الصلاة والسلام

(ساجد وقريش ينظرون) أى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (لزقت) بكسر الزاى أى اصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة أى جفت (يداه الى عنقه) أى مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة لديه فى طرحها عليه (وأقبل يرجع) أى وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الوراء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله أو تجريد لمعناه من أصله (ثم ساله) أى أبو جهل (ان يدعو له ففعل) أى دعا له ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما لما يقتضى لطفا ورحما (فانطلقت يداه) أى عقب مادعا الله تعالى (وكان) أى أبو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح صخرة عليه (وحلف) أى عندهم (لئن رآه) أى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) أى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شانه) أى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له أى ظهر (دونه) أى بين يديه أو حواليه (فحل) أى من الابل أو نحوه (مارأيت مثله) أى عظمة وهيبة (قط) أى أبدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) أى قصدنى (ان يأكلنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) أى تمثل له بصورة الفحل (لودنا) أى قرب منى (لأخذه) أى أخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة) وهو أبو جهل ابن هشام بن المغيرة أو أحد أقاربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى محا وقت نظره (فلم يره) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى أصحابه) أى وهو أعمى (فلم يرهم حتى نادوه) أى فعرف مكانهم ثم رآهم أو استمر على عماه

أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد (ساجد وقريش ينظرون) اليه مايصنع وكان ذهب (ليطرحها) أى ليرمى الصخرة (عليه) وفى نسخة هنا وقد كان حلف ان رآه ساجدا ليدمغنه أى ليضربنه بها ضربة تكسر رأسه وتقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة أحد الشجاج التى ذكرها الفقهاء فى الجنايات (فلزقت) الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولزق بلام وزاى معجمة لغة فى اصق بالصاد بمعنى التصق (ويبست يداه الى عنقه) أى تشنجت بحيث لايمكنه تحريكها (وأقبل) أى انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه (يرجع) أى راجعا (القهقرى) ومعناه (الى خلفه) موليا عن وجهته وفى العين القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع (ثم ساله) أى سأل أبو جهل لعنه الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعو له ففعل) أى دعا له صلى الله تعالى عليه وسلم لكرمه وحلمه (فانطلقت يداه) أى عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكان) أبو جهل (تواعد مع قريش بذلك) أى بطرح الصخرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رآه يصلى (وحلف لئن رآه ساجدا ليدمغنه) أى ليضربنه بصخرة يكسر رأسه ويخرج دماغه وهى أحد الشجاج يقال دمغه اذا أصاب دماغه فقتله وهذا مقدم فى بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الياء وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول (فسألوه) أى سأل قريش أبا جهل (عن شأنه) أى أمره ومامنعه عما قصده (فذكر) لهم (انه) أى الشأن أو أبو جهل (عرض لى) أى له كما فى نسخة ففيه التفات وقيل غاب معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال (دونه) ظرف أى حال بينى وبينه (فحل) أى جمل عظيم هائج وهو مخصوص بالبعير الذكر (مارأيت مثله) فى عظمته وشدته (قط) أى فى جميع الزمان الماضى وهى ظرف لتوكيد نفى الماضى بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة (هم بى) أى عزم على الحملة على والهجوم وقوله (ان يأكلنى) بدل اشتمال من ضمير المتكلم أى هم بأكلى (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) لما سمع مقالته لهم (ذاك جبريل) تمثل له بصورة فحل (لودنا) أى قرب أبو جهل من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالصخرة التى أراد طرحها (لأخذه) وأكله وأهلكه أخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما فى دلائل البيهقى والسيران أبا جهل قال يامعشر قريش ان هذا الرجل قد أبى الاماترون من عيب ديننا وشتم أبائنا وآلهتنا وتسفيه أحلامنا وانى أعاهد الله لاجلسن غدا عنده بحجر ماأطيق حمله فاذا سجد رضخت به رأسه فامنعونى واليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم فقالوا والله لانسلمك لاحد فامض لماتريد فلما أصبح جلس ينتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ماهو فاعل فلما جاء صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فعل ماذكره المصنف رحمه الله تعالى وله وقائع مثل هذه حماه الله منها وعصمه (وذكر السمرقندى) امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان رجلا من بنى المغيرة) بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم جد أبى جهل وهذا الرجل قال البرهان لاأعرفه وقال غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه أبو جهل (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) أى غطاه وغشاه حتى لم يره لانه أعماه وأذهبه بالكلية كما دل عليه قوله (فلم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه)

(وذكر) أى السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) أى قصة أبى جهل والتى بعدها وروى القضيتين (نزلت انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا الآيتين) وفى نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا اليأخذوه فاذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم واذاهم عمى لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) أى وغيره كما فى نسخة صحيحة كالكاى فى تفسيره (فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة) وقال الحجازى وغيره الذى ذكره ابن اسحق وغيره من أهل السير ان ذلك كان من بنى النضير وهو سبب غزوهم لا من بنى قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هرون أخى موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبى والصواب أن يقول بنى النضير كما فى سيرة ابن سيد الناس (فى أصحابه) وفى نسخة فى نفر من أصحابه أى مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة أى أبنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد وأما نقض بنى قريظة فسببه غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتى من عند السمرقندى انه خرج الى بنى النضير فذكر القصة فهذه هى الصواب (فانبعث) أى فقام وأسرع أشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء أو بكسر وتخفيف والشين معجمة فقتل كافرا (أحدهم) وفى نسخة منهم أى أحدهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتى (فانصرف الى المدينة) أى وتبعه أصحابه (وأعلمهم

باسمه فعرف مكانهم وأتاهم ثم رآهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمى وذهب بصره (وذكر) السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) أى قصة أبى جهل وقصة هذا الرجل (نزلت انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا الآيتين) يعنى فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوى فى تفسير هذه الآية نزلت فى أبى جهل ورفيقه المخزومى حين حلف ان رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ليرضخن رأسه وذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى غير قوله انه حال بينه وبينه فحل وقال المخزومى أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلى فأعماه الله الى آخر ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى وفى تفسير القرطبى انها نزلت فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر قصة أبى جهل وان صاحبه الثانى هو الوليد بن المغيرة وانه الذى أعمى الله بصره ولم ير أصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن رأسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن أمره فقال حال بينى وبينه فحل لو دنوت منه أكلنى وانه لم ير مثله فنزلت هذه الآية فقيل انه معارض لما ذكره المصنف رحمه الله تعالى فانه يقتضى ان الذى حال بينه وبينه الفحل الرجل الثانى لا أبو جهل وأما كونه من بنى المغيرة أو مخزوميا فلا منافاة فيه لان كلا نسبه الى أحد جديه كما مر وأجيب بان قصة أبى جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة مع غيره أو اقتصر فى هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والآية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمى بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الآية تعزير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله اصدق هذا على ما قبله ومن هذا علم ما فى كلام البيضاوى من سؤال يجاب كما بيناه فى حواشيه (ومن ذلك) أى حفظ الله وعصمته (ما ذكره ابن اسحق) امام أهل السير فى سيرته (وغيره) كالكاى فى تفسيره (فى قصته) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذ خرج الى بنى قريظة) بالظاء المعجمة وصيغة التصغير كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة (فى أصحابه) أى فى جماعة منهم أبو بكر وغيره (فجلس) مستندا (الى جدار بعض آطامهم) بالمد والطاء المهملة جمع أطم بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر (فانبعث) مطاوع بعثه فانبعث أى توجه وقام وأصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا أسرع واندفع (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة وآخره شين معجمة وهو من بنى قريظة قتل كافرا (أحدهم) أى بنى قريظة (ليطرح) من فوق الجدار (عليه) صلى الله عليه وسلم (رحى) يقتله بها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جلس تحت الحائط تخافتوا بينهم وقالوا ان تجدوه على مثل هذه الحالة أبدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك (فقام النبى صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة) وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم

(وأعلمهم بقصتهم) أى أخبر بنى قريظة فى نبذ عهدهم وأصحابه بعد انصرافه أو قبله وقد اعترض على المصنف رحمه الله تعالى بان هذه القصة ليست مع بنى قريظة كما فى السير وسيأتى أيضا فى هذا الكتاب وانما هو مع بنى النضير وهو سبب غزوة بنى النضير وأما سبب غزوة بنى قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بنى النضير ليستعين بهم فى دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى لحلف بينهم وبين بنى عامر فلما أتاهم قالوا نعينك يا أبا القاسم على ما جئت ثم خلا بعضهم الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روى ان بنى النضير لما توامروا وألقوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى ما فيه (وقد قيل ان قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم فى هذه القصة نزلت) وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبى صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت فى الكفرة لما كانوا غالبين على المؤمنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة فى بنى قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع فى بعض التفاسير فتأمله فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه (وحكى السمرقندى انه) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان فى كلام المصنف رحمه الله تعالى اشارة اليه (خرج) من المدينة (الى بنى النضير) بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر (يستعين) بهم (فى عقل الكلابيين) مثنى كلابى رجل منسوب لبنى كلاب وهى قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة وأصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما أشار اليه القائل

قد عقلنا والعقل أى وثاق ✽ وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها بفناء أهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله تعالى عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه فى الدية لما سيأتى (اللذين قتلهما عمرو بن أمية) وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل مفرد أيضا وعمرو بن أمية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعثه فى أموره وهو الذى ذهب للنجاشى بكتابه فاجابه وأسلم وزوجه أم حبيبة أسلم بعد أحد وشهد بئر معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الموافقة لما فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدى أحد نقباء ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببئر معونة فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه ونجا عمرو الضمرى وحده أو وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطأ وقدم قومهما على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وأبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم أجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتى لك بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما أشار الى

(وأعلمهم) أى بعد انصرافه أو قبله (بقصتهم) أى بمعاملهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) أى بتمامها (فى هذه القصة) أى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) أى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر أوله (اللذين قتل) أى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن أمية) أى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن أمية فالمراد به الجنس اذ صرح أبو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل أصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقة العامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أمية

ذلك بقوله (فقال له) أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه (حيي) بضم الحاء المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة (ابن أخطب) بزنة أفعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حاء حيي الكسر وهو من يهود بني النضير ومن رؤسائهم والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا) من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لأن الطعم بالضم في الاصل المأكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له أي عطية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر) وزاد أبو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحق في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ولا منافاة بين الروايات (وتوامر) بفتح التاء الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من الامر أي نظر كل أمر الآخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وآمره وقيل الواو لغة العامة (حيي معهم) أي مع بني النضير أي تشاوروا واتفقوا (على قتله) صلى الله تعالى عليه وسلم بالقاء الحجر عليه (فأعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) الذي أرادوه قبل وقوعه (فقام) من تحت الجدار بسرعة (كأنه يريد حاجة) أي أراهم صلى الله تعالى عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها كثيرا (حتى دخل المدينة) ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لؤي * حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر وأخذ منهم صلى الله تعالى عليه وسلم الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير أبي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما مر انهم ألقوه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول (وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبي هريرة) كما رواه مسلم والنسائي أي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى أهل التفسير الحديث عن أبي هريرة وهما أحسن مما في بعض النسخ وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير أي وذكره أهل الحديث وعلى هذا فقوله عن أبي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدأ والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو (ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا) جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله (يصلي) جملة حالية (ليطأن رقبته) أي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بالمسجد الحرام (اعلموه) أي اعلمه قريش به (فأقبل) متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن أعزه الله (فلما قرب منه ولى) ورجع عن مقصده حال كونه (ناكصا على عقبيه) أي متأخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم

(متقيا

(فقال) أي له كما في نسخة صحيحة (حيي) بالتصغير (ابن أخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية أم المؤمنين (اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك) أي نضيفك مع أصحابك (ونعطيك ما سألتنا) أي من الاستعانة في الدية (فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر) بالواو والهمزة وهو أفصح أي تشاور (حيي معهم) أي مع يهود (على قتله فأعلمه جبريل بذلك فقام) أي وحده (كأنه يريد حاجته) أي قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هي الاولى وكان هذه عند القاضي قضية أخرى والله تعالى أعلم بما هو أولى وأحرى هذا وحيي والد صفية أم المؤمنين يهودي قتل على كفره مع بني قريظة صبرا (وذكر أهل التفسير الحديث) السابق المروي (عن أبي هريرة) وفي نسخة ومعنى الحديث عن أبي هريرة وفي أصل الدلجي وعن أبي هريرة والحديث في صحيح مسلم وسنن النسائي (ان أبا جهل وعد قريشا) أي وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته) وفي نسخة على رقبته أي ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف أي والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجي (فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تلبس بالصلاة (اعلموه) أي أخبروا أبا جهل (فأقبل) أي على قصد أذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) أي أدبر (هاربا) أي فارا (ناكصا على عقبيه) أي راجعا الى خلفه مخالفا لحلفه

(منقيابيديه) أى ماد ايديه كى يدفع أمرا يتقيه وفى بعض النسخ ولى هاربانا كصاعلى عقبيه فهى حال متداخلة أو مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير اوعن شر يخاف عاقبته كما هنا الاانه قيل ان الثانى نادر وذهب الجوهرى وصاحب النهاية الاانه يختص بالاول وفى القاموس نكص عن الامر نكأ عنه واحجم وعلى عقبه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه أوهو فى الشر نادر انتهى وفى نفود السهم فيما فى الجوهرى من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت فى اللغة بقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه لادليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقدم الكلام عليه أيضا فى اعجاز القرآن فتأمله (فسئل) أى سأل قريش أباجهل (عن ذلك) أى عن رجوعه كذلك وما سببه (فقال) مجيبالهم (لما دنوت منه أشرفت) أى اطلعت قريبا منى (على خندق) حفير (مملوء نارا كدت أهوى) أى أقع واسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) أى أمرا مخوفا عظيما لم أرمثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذى أراد اهلاكه (وخفق اجنحة) أى اجنحة تضرب بعضها بعضا لها أصوات هائلة (قدملأت الارض) الذى كان فيها وهى اجنحة الملائكة التى أرسلت لحمايته ونصره صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار اليه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لودنا) أى قرب منه لايقاع ماقصده (لاختطفته) الملائكة (عضوا عضوا) أى مزقته وفرقت اعضاءه وهو منصوب على الحال بتأويل ممزقا مفرقا كقرأت النحو بابابابا كما فصله النحاة (ثم أنزل الله) وحيه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى شان ذلك فقال (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الى آخر السورة) يعنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخره ويناسب ماذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان أبو جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة فى صحيح مسلم فالذى ينبغى نقلها منه دون التفاسير وهو أمر سهل لاينبغى الاعتراض عليه وتفصيل معنى الآية فى التفاسير فلا حاجة لذكره (وروى) الراوى له أبو نعيم فى الدلائل (ان شيبة بن عثمان الحجبى) بفتح الحاء المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفى النسبة الى الجمع برد الى مفرده والقياس حاجبى لكنه لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصارى أولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى الصحابى المشهور وخادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد أولاده الى الآن أسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين وأخرج له البخارى وأحمد فى مسنده وأبو داود وترجمته معروفة ومافى بعض النسخ الجمحى بميم غلط من الناسخ (ادركه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لحق به ووصل اليه (يوم حنين) فى غزوتها وهو واد قريب من الطائف معروف (وكان) قبل ذلك (حمزة) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسيد الشهداء (قدقتل أباه) عثمان بن أبى طلحة (وعمه) طلحة بن أبى طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لواء الكفرة فلما قتل حمل اللواء أخوه عثمان فقتل الاانه قيل ان المروى فى السيران الذى قتل طلحة على بن أبى طالب فلما أخذ اللواء أخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبى فى تجريده ان الذى قتل أباشيبة على أيضا وهو مخالف

(منقيابيديه) أى متحفظا به الشئ ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) أى عن سبب رجوعه وانقائه (فقال لما دنوت منه) أى قربت (أشرفت) أى اطلعت (على خندق) أى واد أو حفير (مملوء نارا كدت) أى قاربت (أهوى) بكسر الواو أى أسقط (فيه وأبصرت هولا عظيما) أى أمرا شديدا يهول ويفزع (وخفق أجنحة) أى وأبصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قدملأت) أى الاجنحة لكثرتها (الارض) أى جميعها (فقال عليه السلام تلك) أى أصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) أى لاالطيور (لودنا) أى أبو جهل منى حينئذ (لاختطفته) أى أخذته الملائكة بسرعة (عضوا عضوا) أى بان وقع كل عضو وجزء منه فى يد ملك أو جمع منهم (ثم أنزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) أى حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) أى لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة وروى) بصيغة المجهول وفى نسخة وروى والحديث لابى نعيم فى الدلائل (ان شيبة) وفى نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفى نسخة الجمحى بالجيم المضمومة وفتح الميم مخففا وهى غلط كما صرح به الحلبى (ادركه) أى لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذى المجاز أو ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قدقتل أباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من أخذ الثار كما فى عادة الجاهلية

(فقال) أي عثمان (اليوم أدرك ثأري) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها أي دم حميمي من أبي وعمي بانتقامي فيه (من محمد) أي بان اقتله بدل حمزة فانه ابن أخيه وهذا يرد قول من قال انه أسلم يوم الفتح ولعله أظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ان التلمساني ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) أي اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (أتاه) أي عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) أي فيقتله (قال

فلما دنوت منه ارتفع الى) أي لدي (شواظ) بضم أوله ويكسر أي لهب (من نار أسرع من البرق فوليت هاربا) أي حذرا منه (وأحس بي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني) أي فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) جملة حالية (فما رفعها) أي يده (عني الا وهو أحبهم الي وقال لي ادن) أي أقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه أضرب) أي الناس (بسيفي وأقيه بنفسي) أي واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتقدية نفسي (ولو لقيت أبي) أي والدي فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) أي بابي وقتلته (دونه) أي دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه أو مدافعا ه وأعلم ان السيرة لابي الفتح اليعمري عن ابن سعد ان طلحة ابن أبي طلحة وهو كسر ابن الكتيبة صاحب اللواء قتله علي ثم حمل اللواء عثمان ابن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره أي رئته وفي التجريد والتهذيب للذهبي في

عن

ترجمة شيبة ابن أبي طلحة ان عليا قتل أباه يوم أحد ذكره الحلبي ففي نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء أي ابن الملوح الليثي وفي نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبي في الصحابة على ما حرره الحلبي والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس

لما قاله المصنف رحمه الله تعالى كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب أباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بدا سحره أي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره (فقال) أي شيبة لما ادركه (اليوم) المراد الوقت الحاضر (ادركه ثاري) بمثلثة وراء مهملة بينهما ألف وتهمز وهي الاصل وهو طلب الدم وأخذ حق من قتله (من محمد) لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه (فلما اختلط الناس) في القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيهم (أتاه من خلفه) بحيث لا يراه (ورفع سيفه) بيده (ليصبه عليه) أي ليضربه ويقتله ويأخذ ثاره ويشفي غليله ممن كان سببا لقتل أبيه وعمه وأصل الصب اراقة الماء واستعير للضرب بالآلة كالسيف قال الله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ويرشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده (قال) شيبة (فلما دنوت منه) أي لما قصدت ذلك (ارتفع الى) أي علا ووصل الي من جانبه (شواظ) أي لهب (من نار) والشواظ اللهب مطلقا أو لهب لا دخان له أو لا يخالطه غيره أو يخالطه شيء آخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان مؤكد لان اللهب لا يكون الا من النار (أسرع) في ارتفاعه (من البرق فوليت هاربا) خوفا من ان يحرقني (وأحس بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي علم رجوعي عنه (فدعاني) فجئته (فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي) لانه أسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل أبيه وعمه (فما رفعها) أي يده عن صدري (الا وهو أحب الخلق الي) فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد وأثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أحبه (وقال لي ادن) من العدو أو مني (وقاتل) في سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله تعالى عليه وسلم له (فتقدمت امامه) بين يديه (أضرب بسيفي) كل من لقيته من الكفار (وأقيه بنفسي) أي اجعلها وقاية له صلى الله تعالى عليه وسلم مانعة عنه (ولو لقيت تلك الساعة) التي قاتلت فيها (أبي لاوقعت به) سيفي وقتلته وفي بعض النسخ (دونه) وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى أعز الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل أبيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة وكان صالحا اذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار لحنين ليغتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزدد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم أعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى صار أحب اليه من نفسه وأهله وأبيه فلما رجع ودخل خباءه فدخلت عليه كغيري حبا لرؤيته وجهه فقال لي يا شيب الذي أراد الله بك خير مما أردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم أذكره فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك (وعن فضالة بن عمرو)

عن ابن اسحق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وأبوه عمرو وقال عمير بالتصغير ابن الملوح الليثي والتصغير أصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثاني في القاموس (قال أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح) أي فتح مكة (وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) الهمزة للنداء وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف النداء مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبره مبتدأ محذوف تقديره أأنت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره أو اجابة لندائه أو اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى (قال نعم قال ما كنت تحدث به نفسك) حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب (قلت لا شئ) أي لم يخطر بقلبي شئ مما ظننته (فضحك فاستغفر لي) أي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي (ووضع يده على صدري) ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام (فسكن قلبي) أي اطمأن وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة (فوالله ما رفعها) أي رفع يده عن صدره (حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه) وحديثه كما في سيرة ابن اسحق وابن سيد الناس انه أراد قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف عام الفتح فذكر ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ثم قال فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت أقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ❊ يأبى عليك الله والاسلام

أو ما رأيت محمدا وقبيله ❊ بالفتح يوم تكسر الاصنام

ورأيت دين الله أضحى بيننا ❊ والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بجرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد أخطأ (ومن مشهور ذلك) أي عصمة الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق (وأربد بن قيس) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو أخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر أيضا (حين وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك وأسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام أفواجا قدمت عليه وفود الناس أفواجا فوفد عليه أربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وغيرهما (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي ألهيه حتى تبطش به (فاضربه أنت) وخصه بضربه لما بينهما من الصداقة فامتثل أمره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما أمره به (فلم يره) أي لم ير عامر أربد (فعل شيأ) مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويلهيه (فلما كلمه) أي كلم عامر أربد (في ذلك) أي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذر اليه (قال له والله ما هممت ان أضربه) أي أضرب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف (الا وجدتك بيني وبينه) أي أرى جسدك حائلا بيني وبين النبي صلى الله تعالى

(أردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة) وفي رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ما كنت) في رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شئ) وفي رواية زاد كنت أذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لي) أي قال غفر الله لك ما خطر ببالك أو أراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفي رواية فضحك النبي ثم قال أستغفر الله

(ووضع يده على صدري فسكن قلبي) أي واطمأن بمعرفة ربي (فوالله ما رفعها) أي يده عن صدري (حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه ومن مشهور ذلك) أي مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وأبو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) أي ابن مالك العامري سيد بني عامر في الجاهلية كذا قال الذهبي في تجريد الصحابة وقال روى عنه أبو ذبابة ذكره المستغفري وأجمع أهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد أخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية قال الحلبي ولا شك فيما قاله الذهبي في قصته لما في صحيح البخاري بنحو من اللفظ الذي ذكره (وأربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابي وكان أربد شاعرا

أيضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي متفقين على قتله (وكان عامر قال له) أي لاربد (أنا أشغل عنك وجه محمد) أي الكلام معه (فاضربه أنت) أي من خلفه (فلم يره فعل شيأ) أي مما قاله (فلما كلمه في ذلك) أي المعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) أي ما عزمت (ان أضربه الا وجدتك بيني وبينه

عليه وسلم بحيث لو ضرب ضرب صاحبه (أفاضر بك) انكار له أى كيف أضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا فى قومه فقالوا له لما جاءت العرب أفواجا للاسلام ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال انى آليت لا انتهى حتى تتبع العرب عقبى أفاتبع عقب فتى من قريش ثم قدم هو وأربد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اه ما قصه المصنف رحمه الله تعالى فخرج جوارا جعين لبلادهم وفى الدلائل انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خالنى يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملأنها عليك خيلا ورجالا تواعدا منه ان يغزو المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنى عامرا فلما رجع أصابه طاعون فى عنقه فمات فى بيت امرأة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية يعنى أخس موتة فى أخس قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع أصحابه لقومهم فقالوا الاربد ما وراءك يا أربد فقال لاشئ لقد دعانا العبادة شئ ولقد وددت انه عندى الآن فارميه بالنبل حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة أحرقتهما فهلك كافرا كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عامرا قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد مع أصحابه وكان من أجمل الناس الا انه كان أعور فجعل الناس ينظرون لجماله وأخبروا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان يرد الله تعالى به خيرا يهده فقام وقال يا محمد مالى ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أتجعل لى الامر من بعدك قال ذاك ليس الى انما هو لله يجعله حيث شاء قال أتجعلنى على الوبر وأنت على المدر أى حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لى قال اجعل لك أعنة الخيل الغازية فى سبيل الله قال أوليس لى أعنة الخيل اليوم فقم معى أكلمك فقام صلى الله تعالى عليه وسلم معه وكان عامر وصى أربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروى ان الغدة كانت فى ركبته وروبت القصة على وجوه أخر هذه محصلها كما فى السير وكتب التفسير غير ان البغوى والقرطبى فى التفسير ذكرا ان أربد دار خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضى انه مات قبل عامر وفى هذين التفسيرين ان أربد بن ربيعة والمصنف رحمه الله تعالى قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفى أربد نزل قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما روى فى التجريد للذهبى عامر بن الطفيل بن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية روى عنه أبو امامة كما ذكره المستغفرى ونقله البرهان الحلبى وفيه نظر (ومن عصمته) أى حفظه الله تعالى له (ان كثيرا من اليهود والكهنة) جمع كاهن وهو الذى يخبر عن المغيبات وما يقع فى المستقبل بما يلقاه أو يعرفه بفراسته ويسمى الثانى عرافا (انذروا به) أى أخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه (وعينوه لقريش) أى بينوا ذاته الشريفة لهم (وأخبروهم بسطوته بهم) أى انه يغزوهم ويقتلهم (وحضوهم على قتله) أى حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه (فعصمه الله عز وجل) بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم بمفرده (حتى بلغ) الله تعالى بلطفه وحفظه له (فيه أمره) بان نصره وأظهر دينه على جميع الاديان ان الله تعالى بالغ أمره وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى أقصى الامد والمنتهى مكانا أو زمانا أو أمرا من الامور المقدرة انتهى (ومن ذلك) أى عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو (نصره بالرعب) أى بالقاء الخوف منه فى قلوب أعدائه ومن لم يتبعه (مسيرة شهر) أى فى مكان بعيد عنه أقل ما يقطع مسافته فى شهر أى فى ثلاثين يوما (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم)

أفاضر بك) الهمزة الاولى استفهام انكارى والثانية للمتكلم وهو أربد والمخاطب هو عامر قال البرقى فى غريب الموطأ وفد عامر وأربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعوه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان فى دينه فأبى عليه الصلاة والسلام فقال له أأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر فأبى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى اه) وفى نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) أى من أحبارهم ورهبانهم (والكهنة) أى ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) أى الكهنة اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) أى وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (وأخبروهم بسطوته بهم) أى بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) أى حثوهم وحرضوهم (على قتله) أى قبل ظهوره ونصره (فعصمه الله تعالى) أى من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام أى وجد وتم (فيه أمره) وفى نسخة حتى بلغ عنه أمره بتشديد اللام ونصب أمره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين ويضم أى الخوف فى قلب أعدائه (مسيرة شهر) أى من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما رواه الشيخان

أى انه ثابت بهذا اللفظ فى الحديث الصحيح كما تقدم وهو فى الصحيحين وفى مسند أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين أعدائه أكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله تعالى قال ان ذلك لامته من بعده أيضا ويؤيده ان فى مسند أحمد الرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر

٭(فصل)٭ مما أكرمه الله تعالى به صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن معجزاته) أى أموره الخارقة للعادة التى عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتاء المعجزة للمبالغة كهاء علامة أو للتأنيث لان المراد الآية والعلامة أو الخصلة المعجزة (الباهرة) أى البالغة أو الظاهرة على غيرها من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى أخفاها وهو تشبيه بليغ أو استعارة مصرحة (ما جمعه الله له من العلوم والمعارف) جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثانى بالامور الجزئية أو بما سبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز أن تكون تبعيضية والاول أظهر (وخصه به) أى جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص أمته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التأليف والتصنيف الذى لم يكن لامة من الامم مع قصر أعمارهم وضعف أبدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفى أيهما الاصل كلام مفصل فى حواشى المطول لا حاجة لنا به هنا (من الاطلاع) أى الوقوف والعلم وهو بيان لما (على جميع مصالح الدنيا والدين) متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به أمر المعاش ومصالح الدين معرفة أحكامه المصلحة لهم فى الدارين ولا ينافى هذا أى اطلاعه على مصالحهم ما فى قصة بدر فى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم الفداء وكان الاولى به ما رآه عمر رضى الله تعالى عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تأبير النخل فلم يثمر فى ذلك العام فقال أنتم أعلم بأمور دنياكم فى امالانه كما قيل كان له حالات وأطوار منها ما يغلب عليه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر لله والتوجه له بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضى الله تعالى عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله ٭ من عليه لانه من مائه

وما قيل من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أمره فى ذلك على الظن دون الجزم والانبياء قد يظنون فى أمور الدنيا المجردة عن الآخرة ما الامر على خلافه ليس بشئ وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقى الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد بقى والحكم بالدليل أقوى عنه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسى أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد فى ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك لانه أعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو فى غاية الحسن لمن تأمله وسيأتى تتمته ان شاء الله تعالى (ومعرفته) صلى الله عليه وسلم (بامور شرائعه) التى شرعها الله تعالى له وأعاده على لسانه جمع شريعة وهى فى الاصل طريق مسلوكة ومورد ما يباح نقلت لوضع الهى موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة (وقوانين دينه) جمع قانون وهى لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها أحكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب كما تقرر فى محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع

٭(فصل)٭ (ومن معجزاته الباهرة) أى آياته الظاهرة (ما جمعه الله له من المعارف) أى الجزئية (والعلوم) أى الكلية والمدركات الظنية واليقينية أى الاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) أى وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) أى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيأ أو أخرج شيصا فقال أنتم أعلم بامر دنياكم وأجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى أراد أنه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل وما هنا لك فلم يمتثلوا فقال أنتم أعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة أو سنتين لكفوا أمر هذه المحنة انتهى وهو فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرائعه) أى أحكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) أى من القواعد الكلية المندرجة تحتها الفروع الجزئية

(وسياسة عباده) أى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح أمته) أى المتعلقة بأمر زادهم فى حق عبادهم وزهادهم
(وما) أى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) أى من أحوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى مآلهم (وقصص الانبياء والرسل) أى من
دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) أى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) أى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم)
بضم الدال وسكون النون و بسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن أى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) أى زمن
الخاتم سيد العالم صلى الله عليه وسلم (وحفظ شرائعهم وكتبهم) أى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين أى واحاطة أنواع سيرتهم وأصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد أنبائهم) أى وذكر أخبارهم متتابعا (وأيام الله فيهم) أى وقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات أعيانهم) أى أفاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى أهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة أى أيام مكثهم فى الدنيا جملة (وأعمارهم) أى على اختلافها قلة وما
وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف أى والمعرفة بما صدر من أنواع الحكمة عن أصناف حكمائهم (ومحاجة كل أمة)
أى مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) أى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة
وكمحاجته نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية

مصالح الدنيا والدين فقد خص مما يخص به بشر قبله فيكون الثانى غير الاول فما وقع قوله ومعرفته
الى آخره لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه (وسياسة
عباده) أى القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربى من ساسه يسوسه اذا دبر
أمره ومن قال انه معرب من سه سا أى ثلاثة قوانين فقد أخطأ ولها معنى آخر عند الفقهاء وربما تجعل
مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفى القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا أمرتها ونهيتها
(ومصالح أمته) المراد أمة الاجابة وأمة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن أمورهم
وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم (و) معرفة (ما كان فى الامم قبله) مما وقع
لهم وجرى بينهم (من الاختلاف) أى مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التى لا يعلمها
الا القليل من أهل الكتاب وعلمائهم وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمى نشأ فى أمة أمية ولم يرتحل للبلاد
النائية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه أحسن بيان وقرره أحسن تقرير (وقصص الانبياء
والرسل) من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة أو
بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه (والجبابرة) جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار فى صفة
الانسان الذى يجبر نقصه بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى
وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم
ما فيه الكفاية (والقرون الماضية) قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه وأصله الزمان ثم
أطلق على أهله قيل يجوز ان يراد الامم التى هلكت ولم يبق منها أحد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن
نفسه (من لدن آدم الى زمنه) لدن ظرف زمان مبنى ومعرب فى لغة قيس وهو قريب من معنى عند
وبينهما فرق ذكره النحاة أى أحاط علمه بذلك وأخبر به أمته (وحفظ شرائعهم وكتبهم) ولم يقرأ ولم
يكتب (ووعى سيرهم) الوعى الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر وهى حالة الانسان غريزية أو
مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال الله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى أى الى حالتها الاولى أى
حفظه وجمعه فى ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه (وسرد أنبائهم) أى سوق أخبارهم للناس سوقا حسنا
منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها (وأيام الله فيهم) أى وقائعهم التى قدرها الله لهم والايام تطلق
على الوقائع والحروب كأيام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له
(وصفات أعيانهم) أى كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع فى الاسراء من ذكر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وصفات ذواتهم (واختلاف آرائهم) جمع رأى أى عقائدهم ونحوها (والمعرفة
بمددهم) جمع مدة وهى مقدار من الزمن أى كم كانت مدة كل أمة ومدة ملكهم وملوكهم وأنبيائهم
(وأعمارهم) جمع عمر بضم العين وفتحها وهى مدة الحياة (وحكم) جمع حكمة وهو قول الصواب
المتضمن للنصيحة أى موعظة (حكمائهم) جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة
فى عصره كحكماء الفرس والعرب وغيرهم (ومحاجة كل أمة من الكفرة) أى ذكر حجته وبرهانه

(ومعارضته كل فرقة من الكتابيين) أي من أهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما في كتبهم) كمعارضته يهود في دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبية أي تسويد وجوههما وحملهما على دابة مخالفا بين وجوههما بجعل ظهر أحدهما الظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله ما تجدون في التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم بأسرارها) أي واعلامه أهل الكتاب بأسرار كتبهم (ومخبئات علومهم) أي بخفيات أخبارهم وفي نسخة علومه (وأخبارهم) أي واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة والانجيل (وغيروه) أي بذكر أضداده

وبتصحيفه أو تحريفه لبناء أو معناه

ومحاجته بغيره بيل المراد محاجته فيه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه (ومعارضته) أي مخالفته مورد (كل فرقة) وطائفة (من الكتابيين) أي أهل الكتاب والمراد بالتوراة والانجيل لأن الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي بياء النسبة (بما في كتبهم) متعلق بمعارضته وجمعها لاشتمالها على ما في غيرهم ولان الجمع باعتبار المعنى كثير (واعلامهم بأسرارها) أي دقائق معناها التي لم يطلعوا عليها (ومخبآت علومها وأخبارهم) بكسر الهمزة مصدر مضاف لفاعل ويجوز فتحها أي ما خفي عليهم منها (بما كتموه) أي أخفوه كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقت رجم الزاني المشهورة (من ذلك) الاعلام وما معه (وغيروه) بتحريف لفظه وتأويله بغير معناه (الى الاحتواء) أي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجميع السابق أول الفصل لتضمنه معنى ضم أو الى بمعنى مع (على لغات العرب) جميعها من غير قوده (وغريب ألفاظ فرقها) جمع فرقة وهي الطائفة المتفرقة (والاحاطة بضروب فصاحتها) تركيبا وافرادا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم (وأمثالها) جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده (وحكمها) أي جوامع كلمها في نسخة فان العرب معروفة بذلك وحكماء العرب وحكمهم مشهورة (ومعاني أشعارها) فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها (والتخصيص) أي تخصيص الله اياه بنطقه (بجوامع كلام العرب) أي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة والمراد به القرآن وليس بمراد ومفرده جامعة (الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة) الامثال المتقدمة أمثال صادرة ممن قبله وهذه أمثال ابتدعها صلى الله تعالى عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر أو بدل مما قبله أو متعلق به مضمنة معنى الضم فيه الى بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فالكل الاعلى هذه الوجوه كما قرروه في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا صنعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف (والحكم البينة) أي الظاهرة في نفسها المشهورة لامور بديهية ومعان لطيفة (لتقريب التفهيم للغامض) أي المعنى الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم متعلق (والتبيين للمشكل) أي اظهار ما التبس وان كان غير غامض وأصل معنى الاشكال

(الى الاحتواء) أي مع احتوائه واشتماله علومه في بنائه (على لغات العرب) أي مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها في تأديتها من متحد أولاتها (وغريب ألفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء أي غرائب معاني طوائف العرب في شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) أي بأنواع فصاحتها في مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما في مخاطبته لاقيال حضرموت في محاوراتها (والحفظ لايامها) أي وقائع العرب في الحرب في أوقاتها (وأمثالها) أي كلماتها التي يضربون المثل بها كقولهم ضيعت اللبن في الصيف ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمي الوطيس أي اشتد حمي تنور الحرب

(وحكمها) أي والحكميات الواردة في لسانهم البالغة في شأن بيانها وسلطان برهانها (ومعاني أشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وكانشاده نحو قوله

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وأمثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) أي بما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت أربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) أي منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) أي من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) أي الخفي بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل) لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا لما نزل

كونه غير متميز عن اشكاله وأشباهه وهو متعلق وراجع للحكم البينة (الى تمهيد) أى بسطه بتوطئته له وبيان مقدمات (قواعد الشرع) أى أساسه وقضاياه وأصوله الكلية المحمدى الذى جاء بوحى من الله (الذى لا تناقض فيه) أى لا تخالف بين قضاياه وأحكامه لاحكامه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا تخاذل) بخاء وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة متعاضدة كما ان القرآن يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه لا يخذل أخاه اذا ظلم لاقتضاء قواعد الشرع استواء الرفيع والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل فى جريان أحكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يأت بشئ يعتد به (مع اشتمال شريعته) وتضمنها واحتوائها (على محاسن الاخلاق) أى على بيانها للناس وحث الناس على التحلى بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغيير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد (ومحامد الآداب) جمع محمدة وهو ما يحمد فعله والآداب بالمد جمع أدب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف أى الآداب المحمودة وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل (وكل شئ مستحسن) عند أرباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق (مفضل بزنة) اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله أو مفضل على غيره أو فصله للناس تفصيلا (لم ينكر منه ملحد) أى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ولا يبطله انتهى (ذو عقل سليم) مستقيم مدرك ادرا كا سالما عما يضعفه ويمنعه عن العدول عن الحق (شيأ) مفعول ينكر (الا من جهة الخذلان) تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله تعالى بعبده والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة أحواله ثم ترقى عما ذكره فاضرب اضرابا انتقاليا أو ابطاليا الانكاره باثبات ضده فقال (بل كل جاحد) أى منكر (له) أى لما ذكر مما قدمه (وكافر) بما جاء به (من الجاهلية) أى أهلها (به اذا سمع ما يدعو) صلى الله تعالى عليه وسلم الخلق (اليه) من الحق المبين (صوبه) أى اعتقد أنه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تأباها العقول السليمة والطباع المستقيمة (واستحسنه) أى عرف حسنه واعترف به (دون طلب اقامة برهان) وحجة (عليه) أى على ما أتى به لظهور حقيقته كنار على علم كعبد الله ابن أبى سلول وغيره مما ذكر فى كتب الحديث والسير (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبنى اسرائيل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعى الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة فى ذلك بالطباع السليمة (و) اشتمال شريعته على ما (صان به أنفسهم)

(الى) أى مع (تمهيد قواعد الشرع) أى مما شرع لنا من طريق الأصل والفرع (الذى لا تناقض فيه) أى فيما أرسل الينا وفى نسخة فيها أى فى قواعد لدينا (ولا تخاذل) أى ولا تعارض (فيما أنزل علينا) أى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) أى المضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) أى فى طريقته (ومحامد الآداب) أى المورثة لجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد أى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة أى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) أى من شرعه ولوه و(ملحد) أى جائر لكنه (ذو عقل سليم) أى أو طبع قويم (شيأ) أى أصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) أى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) أى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) أى كما سبق من كلام المغيرة وأبى جهل وأبى طالب (ثم ما أحل لهم من الطيبات) أى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما أحل لغيرهم كالخمر (وصان) أى وما حفظ (به أنفسهم) أى دمائهم

من

من المهلكات كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو فى العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو المراد واختلف فى معناه الحقيقى لغة فقيل هو ما يمدح به المرء أو يذم سواء وصف به دون اسلافه أم لا وفى الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفى حديث أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم فقد فسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعى يقال هو طيب العرض أى الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير (وأموالهم) فمن آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله (من المعاقبات) بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس (والحدود) كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر (عاجلا) أى فى الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود (والتخويف بالنار آجلا) فى الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفى بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار أى نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب فى الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة أم لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة أيضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد فى الحديث من أصاب من ذلك شيأ فعوقب فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيأ ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا أدرى الحدود كفارة لاهلها أم لا فقيل الاول أصح وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله (مما لا يعلم) بالبناء للمجهول أى لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من أول الفصل الى هنا (ولا يقوم به جملة) أى يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل (ولا بعضه) فضلا عن كله (الا من مارس الدرس) أى لازم دراسة الكتب واجتهد فيها (والعكوف على الكتب) السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشئ وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا انما يدل لانه منحة الهية خصه الله تعالى بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه فاعرفه فانه فى غاية الظهور (ومناقثة بعض هذا) الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما فى القاموس معطوف على الدروس والمعنى ظاهر وما فى بعض النسخ من انه بالفاء مفاعلة من النفث وهو تفل الريق من الساحر والراقى ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع فى الدقة وكأنه المراد أى والدقيق فى بعض هذه الامور وقوله مما لا يعلم الى هنا ساقط من أكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح (الى الاحتواء) أى مع اشتمالها أوضمه وما الى الاشتمال (على ضروب العلم) أى انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل أيضا (وفنون المعارف) أى أقسام المعرفة المتعلقة بأحوال الدنيا وأهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة فهو من عطف المتغايرين لا من عطف غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور (كالطب) أى معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الناس به كما فى طب النبوى وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان فى اللغة وهو مثلث الطاء مشدد الباء (والعبارة) بكسر العين المهملة أى تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض أهل اللغة الا انه سمع فى بيت أنشده المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل وهو قوله

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

كما فى الكشاف ووقع فى بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم أقف عليه (والفرائض) جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما لعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه أفرد بالتأليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرائضى (والحساب) هو علم يتعلق بالعدد ولا بتناء الفرائض عليه فى

(واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (وأموالهم من المعاقبات والحدود) أى المرتبة على أسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) أى فى الدنيا (والتخفيف) وفى أصل الدلجى والتحريق (بالنار عاجلا) أى فى العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) أى بعمل كله (ولا ببعضه الا من مارس الدرس) أى من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) أى القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومنافثة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون أى متابعة بعض ما ذكر (الى الاحتواء) أى مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين أى التعبير للرؤيا (والفرائض) أى المتعلقة بالارث (والحساب) أى كمية الاعداد

(والنسب) بفتحتين أى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) أى أنواعها الآتى بعضها (مما تخذ أهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى أى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح أى مقتدى (وأصولا) أى قواعد كليـة (فى علمهم) أى فى أساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على ماروه ابن ماجه عن أنس (الرؤيا لاول عابر) أى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا أصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع أخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهى) أى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه أبو داود والترمذى وصححه أى قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير أو شر أو نفع أو ضر وقال ابن قتيبة أراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبى وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الاول فكأنها سقطت و وقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى فقيل والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها أول عابر فكأنها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه أى حركاته فى عبادته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه

الاكثر قرنه به (والنسب) أى معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغير ذلك من العلم) وانواعه (مما اتخذ أهل هذه المعارف) وقال أهله كان أظهر وأشمل وأخصر (كلامه صلى الله عليه وسلم فيها) أى فى هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة أى فى شريعته وهو خلاف الظاهر (قدوة وأصولا) أى ادلة مثبتة لها أو قواعد وضوابط يرجعون اليها فى الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم (فى علمهم) أى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون (كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه (الرؤيا) أى ما يرى فى المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال فى غيره رؤية بالتاء ورأيا (لاول عابر) متعلق بمقدر أى مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها وأول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر أى فسروها بما يناسب ألفاظها كما اذا قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما فى النهاية وهى عند أهل السنة أمر يلقيه الله تعالى فى قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكماء ان الروح فى النوم تفارق البدن وتتصل بالملأ الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره ومنها أضغاث أحلام ودعابة الشيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيأ أسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له أيضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها وأقسامها مبسوط فى محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام أهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال قال أراه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضى الامر (و) قوله (وهى على رجل طائر) رواه أبو داود والترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه وصححه يؤيده بل بعينه وأول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا أو لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير أو شر قدر لصاحبها فكأنها بصدد وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع فى بعض الكتب الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا أدرى هل هى رواية بالمعنى تطرقا أو رواية وفيه تورية فى القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا أى ذكرها للعابر فوقع محتمل للمعنيين أيضا من الوقوع والسقوط وقد نظمه بعض المتأخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها * وافت كبدر قد طلع * على جناح الطائر * فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روى من طرق اختلاف العدد فيها فروى سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزأ والاخير من رواية البخارى وجعلها جزأ من النبوة لان رؤياهم وحى صادق

(وقوله) أي كما رواه الشيخان وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا المثال يضربها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء روي ان امرأة أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتي قد انكسر فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فأتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت أبا بكر رضي الله تعالى عنه فأخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على أحد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) أي ثلاثة أنواع (رؤيا حق) بالاضافة أي ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجهها أو على نحو تأويلها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها في منامه فهي أضغاث أحلام وخيالات منام (ورؤيا تحزن) بالجر وفي نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى في منامه ما يكون سببا لحزنه كما في حديث مسلم جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت في المنام كان رأسي قطع فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا ألم الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث به الناس وفي رواية اذا رأى في منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها أحدا فانها لا تضره (وقوله) أي فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفي رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالي على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان أصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوي الليل والنهار وفي بعض الاخبار أصدق الرؤيا بالاسحار رواه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة

فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله تعالى عليه وسلم أوحي اليه احدى وعشرين سنة ستة منها مناما والباقي وحي يقظة على أنواع بينوها وجاءت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رأيت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد أعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم رأتها بعد ذلك فقصتها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه غيبته فقال

فاسقط علينا كسقوط الندا ه باليل لا ناه ولا آمر

وأول العور بالبراغض بصره عن المحرمات وفي وقت كلامها لابي بكر رضي الله تعالى عنه كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد واختلف تأويله بحسب الحال وأمثاله كثيرة (وقوله) صلى الله عليه وسلم (الرؤيا ثلاث) أنواع (رؤيا حق) بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية أي رؤيا هي حق فالمعنى واحد (ورؤيا يحدث بها المرء نفسه) المراد انها خواطر تخطر بالبال لامور مفاضة من عالم المثال والمثال يشبه بمن تحاور غيره في خلوة لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما متغايران يعني انه رأى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من أضغاث الاحلام (ورؤيا تحزين من الشيطان) بأن يأتي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله تعالى من شره ويتفل عن يساره أو يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به أحدا قال السيوطي رحمه الله في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن أبي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال وأحب القيد وأكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا أدري أهو في الحديث أم قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا في ما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الى آخره فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على أبي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف رحمه الله تعالى فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها ارادة هو وتهويل الشيطان وخاصة ما وما يهم به المرء في يقظته ووساوسه وتلاعب الشيطان ووساوسه وما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشيء لانه راجع لما ذكر أو ما في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت (وقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة مسندا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)

التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتنفتح الازهار ويرق النسيم فتعدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال أهل التعبير أصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا اقتربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في أيامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا اسمتها عليهم أو لغير ذلك وذهب كل الترجيح أحد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الى آخره نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان ما لا يقرب من الوقوع أبلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والقرينة وأجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه أقوى وعقله أتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوض والمبشرات (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له (أصل كل داء) أي مرض وتغير مزاج (البردة) بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الا كثار من الطعام حتى لا تقدر المعدة على هضمه سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية أخلاطه والمراد بكونه أصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه في الغالب

فان الداء أكثر ما تراه ❊ يكون من الطعام أو الشراب

(وما روى) عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما يأتي بيانه والمصنف لم يثبته (في حديث أبي هريرة من قوله) صلى الله عليه وسلم (المعدة) بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر (حوض البدن) تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقي منه وقيل شبهها بعروق الشجر والبدن بفروعها وهو مكدر لما في الحوض من الصفاء والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله (والعروق اليها واردة) جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للماء مفرد أو جمع وارد فشبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود والعروق تنقسم الى شريانات واردة كما ذكره أهل التشريح (فان كان هذا حديثا) خبر كان وقوله (لا نصححه) أي لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قبل وروى حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب أولى (لضعفه وكونه موضوعا) بالجر ترق من ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدأ خبره (تكلم عليه) الامام أبو الحسن (الدارقطني) نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المصنف رحمه الله تعالى انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن أبي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الا زيد بن أبي أنيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الى آخره أي بحث في سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه أبو قرة الراوي عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن أبي هريرة وكلا الروايتين عن أبي هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر وقيل انه من كلام الحارث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن أبي الدنيا انه أجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية والحكماء على ان رأس الحكمة الصمت وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت الازمة داء والمعدة دواء وعودوا كل بدن ما اعتاده (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح السين وضم العين وواو وطاء مهملات وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد

على وفق ما قدمه من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطني في العلل عن أنس وضعفه وابن السني وأبو نعيم في الطب عن علي وعن أبي سعيد وعن الزهري مرسلا (أصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء أي التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام في العادة وعلاجه أولا بالقيء وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) أي عن النبي عليه الصلاة والسلام (في حديث أبي هريرة) كما رواه الطبراني في الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) أي تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لا بد ان الانام (وان) وصلية (كان هذا) أي الحديث (حديثا) وفي نسخة وان كان هذا الحديث (لا يصحح) أي لا نحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) أي لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) أي عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطني) أي مضعفا له والله سبحانه وتعالى أعلم (وقوله) كما رواه الترمذي عن ابن عباس (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل في الانف من الدواء

(والمدود) ما يسقاه المريض في أحد شقيه (والحجامة) بكسر أوله (والمشي) بفتح فكسر فتشديد المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمي به لحمله صاحبه على كثرة المشي الى الخلاء (وخير الحجامة) أي وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) أي من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر أي يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل في الوجود أيضا وفي قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه أصل هالك وأبعد الدلجي في قوله بحذف المميز كما في حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر وأما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفي العود) أي وفي قوله كما رواه البخاري عن أم قيس في العود (الهندي) قيل هو القسط البحري وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة أشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما في حديث وخص بالذكر لانه أصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) أي كما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدي كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد) أي بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفي أصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة

الدماغية ومنع النزلات (واللدود) بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة وهو ما يجعل في أحد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم يعتري الصبيان غالبا وهما في الاصل اسمان لمرضين في الرأس وأعلى الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف وكان النساء يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عنه وأمرهم بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو مأخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه أكثر الاطباء قديما فضلا عن زماننا وفي الهدى النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفاء للصدور (والحجامة) وهي مص الدم بآلة معروفة في الرأس وبين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ تورث النسيان وهي دواء للشقيقة في الرأس مع انه مرض مزمن وورد فيها أحاديث منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما مر ليلة الاسراء بملأ من الملائكة الا قالوا له مر أمتك بالحجامة (والمشي) بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا وسمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلاء وفي الحديث لو كان شيء فيه شفاء من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه (وخير الحجامة) أي أنفعها بعد نصف الشهر (يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وأبو داود عن أبي هريرة مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر أو ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة في يوم الاربعاء والسبت والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره الحجامة في هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر أنفع لان الاخلاط تهيج في أوله وتسكن بعده لهبوط القمر ولا استفراغ فيه أقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي أن يكون في الساعة الثانية أو الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع ولا شبع ولا في الصوم (وفي العود الهندي سبعة أشفية [2]) والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفاء على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع أمراض الكبد والربو والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) شبه البطن بالوعاء الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشر به في البطن محققة لانه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديره (فان كان لا بد) أي ان لزم وأصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة أي لا مفارقة ولا تحول فاريده لازمه (فثلث) من البطن (للطعام وثلث للشراب وثلث) يكون خاليا (للنفس) أي لدخوله وخروجه وهذا ايماء الى انه لا ينبغي ملؤه بتمامه وأن يكون ما فيه أقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن ماجه والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الى آخره وجعله من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن ورعايته وهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض أهل الكتاب ليس في كتابكم

٢ قوله منها ذات الجنب موجود بأصل الهامش فقط فليحرر اهـ

(وقواه) أى فى علم النسب كما رواه أحمد والترمذى (وقد سئل عن سبا) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدال الهاء ألفا كما قرئ بهما فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية (أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رجل) أى هو أبو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) أى ولد له

عشرة أولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) أى أخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا

الطب فقال له بعضهم قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب ولم يراع فى اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال (وقوله) عليه الصلاة والسلام فى حديث رواه الترمذى عن فروة وأحمد عن ابن عباس مسندا (وقد سئل عن سبأ) بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ألفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفى مسماه (أهو رجل أم امرأة أم) هو اسم (أرض) كان يسكنها او ينزل بها (فقال) هو اسم (رجل) سمى باسمه أرض وهى مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه أريد به قبيلته فان أريد به الارض فباعتبار البقعة (ولد عشرة) من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة (تيامن منهم ستة) أى سكن اليمن فتوالدمنه أكثرهم ونسبوا اليه وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب وأهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة (وتشأم أربعة) أى سكنوا الشأم بالهمزة وقد تمد وتبدل ألفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان كما قاله الواحدى فى تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها (الحديث بطوله) بالنصب أى أذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفى فيما أراده وترك الباقى لطوله والغنى عنه واختلف فى وجه تسمية الشأم شاما فقيل لانها فى جانب اليسار ويقال له شامى كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشأمة لسامات حمر وسود فيها (وكذلك) أى مثل ما تقدم من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالانساب (جوابه) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله وهو عمرو بن مرة (فى نسب قضاعة) فى حديث رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة أبو حى من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن أصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من أسماء الفهد أو كلب الماء (وغير ذلك) المذكور (مما اضطرت) بالبناء للمفعول وهو لغة القرآن الفصحى أو الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال الله تعالى * أمن يجيب المضطر اذا دعاه (العرب على) أى مع (شغلها) بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا أولى أى اشتغالها وتقيدها (بالنسب) أى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط أنسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا (الى سؤاله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عما اختلفوا فيه) لخفائه عليهم (من ذلك) أى معرفة ذلك أى مشكل أنسابهم ومعرفة ما أشكل عليهم مما جل أمرهم ضبطه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم (و) قوله (قوله) مبتدأ أو أى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزاز (حمير) وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن يشخب (رأس العرب) أى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الرأس من الجسد (ونابها) وهو سن كبير خلف الرباعية أى هم عمدتهم ومن أشدهم وهم

فيه وأكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمنية لان الايمان بدأ من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشأم أربعة) أى أخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) أى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) أى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل أو المفعول ورجحه التلمسانى أى اضطربت واختلفت والتجأت أو التجئت (على شغلها بالنسب) أى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) أى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك

ما رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو بن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من
من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال أقعد فقلت ممن نحن قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) أى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) أى أساسها وأصلها (ونابها) أى عمدة أهل كلامها الشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن خليل الرحمن

(ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما في القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة عبارة الدلجي بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهو وسط الرأس أي أشرفها أو رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتي في الحلق وهو اشارة الى تمكنهم في الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاي الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل أي عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ أي سادتها وقيل جماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها وبفتح وسكون الراء أي أعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) أي في علم الحساب كما رواه الشيخان عن أبي بكرة (ان الزمان قد استدار)

من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل (ومذحج) بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطي سميا باسم أكمة ولدتهما أمهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال الجوهري أصلية فوزنه فعلل ووهم فيه كما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله (هامتها) أي رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم وهاء وهي لحمة بين الرأس والعنق أو رأس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الرأس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة أشد ولنا ان نقول انه اشارة الى ان في حمير معظم الشرف شدة وقهر وفي مذحج لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ أو المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه في حديثه المشهور أمن هامها أم من لهازمها أي أشرافها أو أوساطها يدل على تفضيل حمير (والازد) بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين أفصح كما في القاموس أبو حي باليمن منه الانصار ويقال للازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث (كاهلها) بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من أعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الحمل والحمل وقيل ما بين كتفيه أو موضع العنق في الصلب (وجمجمتها) بضم الجيمين وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الرأس وتطلق على الرأس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة أيضا اسم قدح ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان أشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعاونتهم وحمل كدهم لان الانصار منهم (وهمدان) بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة (غاربها) هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف (وذروتها) بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أي أعلاها وسنامها وفيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها في الشرف والاحاطة بأحوالها ما لا يهتدي لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل أراد بالذروة أعلى السنام وان تخالل المضعف والنكارة لا تحجة على هذا الحديث لتكرره ذكر الرأس بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت أما انكاره من جهة الرواية فسلم وأما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال به وهو عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن أبي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالجر رواية عن المصنف وان جاز رفع بعضها (ان الزمن قد استدار) أي عاد لما كان عليه كالدائرة التي ترجع انتهاؤها الى ابتدائها (كهيئته يوم خلق الله السموات والارض) وتتمة الحديث السنة اثنى عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب منفرد بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا أهل حروب وغارات فربما أتاهم بعض الاشهر الحرم وهم يحاربون فيشق عليهم الترك فيجعلونه وينقلونه من شهر الى آخر ويستمر نقله من شهر لآخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة أبي بكر العام الثاني من حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الآن فخطب وأعلمهم ان حجه في هذا الشهر ليس اتفاقيا وانما وافقته لدور الشهور في الجاهلية وانما هو أمر شرعه الله وقدره في الازل وأمره نسخا لما كانوا يفعلونه وأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنفي النسيء

(۳۰ شفا ث) أي رجعت أشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسيء الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة التي استدار فيها (كهيئته) اي ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض

ونسخ وكانوا اذا أرادوا ذلك يقوم رجل من بنى كنانة لانهم أهل غارات على جمل بالموسم وينادى بأعلى
صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للشروع ولذا لم يحج صلى الله
تعالى عليه وسلم قبله وأرسل أبابكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر
ان حجة الوداع كانت والشمس فى الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة وقال
الصدر القونوى فى شرح الاربعين حديثا له ان فى هذا الحديث أسرارا الهية لا يطلع عليها الا بعض
الكمل ثم قال ان النوع الانسانى أوجد بالامر الالهى فى أول دور السنبلة ومدته سبعة آلاف سنة بعث
نبينا صلى الله عليه وسلم فى الالف الاخير منها الجامع بين أحكام السنبلة والميزان المختص بالآخرة
والبروج تتمازج بالقرب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالآخرة البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار
فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث الى طلوع
الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث ذكر ما
لا مساس له به ولا ينبغى ذكره وذكر هذا الحديث هنا تبعا لعلمه عليه الصلاة والسلام بالحساب فان
الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (فى الحوض) أى فى شأن حوضه الذى يكون يوم القيامة يشرب منه
العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ بعدها (زواياه سواء) جمع زاوية
وهو ما يحصل من تلاقى خطين من داخله وسواء بمعنى متساوية وهذا يقتضى انه مربع متساوى
الاضلاع مستقيمها فانه لا تتساوى زواياه الا اذا استقامت اضلاعه وهذا أمر مبنى على المساحة ودقائق
الهندسة وذكر ابن أبى الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وان منه قوله تعالى الى ظل
ذى ثلاث شعب فقال انه ايماء الى انه ليس بظل لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن
لكل مقام مقال وهذا لا ينافى ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعاء ومسافة شهر وغير ذلك كما لا
لانه أعلم باحواله شيأ بعد شئ كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته فهو كما فى المثل كالاجانبى مرمى
اليه طريق (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما (فى حديث الذكر) وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان
لا يحصيهما رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة
عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعقدها بيده فذلك
خمسون فهى مائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان فاذا أوى الى فراشه سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة
باللسان وألف فى الميزان فايكم يعمل فى اليوم ألفين وخمسمائة سيئة الى آخر الحديث (وان الحسنة بعشر
أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان) أى اذا جرت على اللسان وذكرت فى دبر كل صلاة من الصلوات
الخمس فانها ثلاثون مضروبة فى خمسمائة (وألف وخمسمائة فى الميزان) التى توزن به الاعمال والوزن اما
لصحفها أو لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة أجرها فان
الحسنة بعشر أمثالها كما ورد به النص وهو أقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا استدلال
من المصنف رحمه الله تعالى على معرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة
لمقامه وحدة ذهنه أمر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله تعالى عليه وسلم
مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وقال السيوطى فى رسالة سماها المنحة فى السبحة
انها سنة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عند بعض الصحابيات
نوى تعد به الذكر فاقرها عليه (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه

وقوله) أى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (فى الحوض) أى الكوثر (زواياه سواء) أى مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه (وقوله) أى فى معرفة جمع العدد كما رواه أبو داود (فى حديث الذكر) أي الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وتلك ثلاثون (وان الحسنة بعشر أمثالها فتلك) أى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة مجموعها (مائة وخمسون على اللسان وألف وخمسمائة فى الميزان وقوله) أى فيما رواه الطبرانى بسند ضعيف عن أبي رافع

الطبرانى عن أبى رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا (وهو فى موضع) جملة حالية وفى نسخة ومر بموضع (نعم موضع الحمام هذا) بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن فى عصره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا دليل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بحال البناء وهو باب الهوى ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله تعالى ونعم دار المتقين (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) القبلة تطلق على المسجد كما فى قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فى احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة أهل المدينة لانهم المخاطبون أو على من هى فى جنوبه أو شماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة أو جهتها فبحث طويل مفصل فى التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد فى الحديث انه يدل على علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث ذكره ابن الاثير فى النهاية ولم يخرجه السيوطى لانه لم يقف عليه (لعيينة) بن حصن الفزارى ويكنى أبا مالك وأسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين (أو لاقرع بن حابس) بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع فى رأسه وهو من المؤلفة أيضا وكان شجاعا فارسا شريفا فى قومه فى الجاهلية والاسلام أسلم وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وفد بنى تميم وهو الذى نزل فيه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقصته مذكورة فى السير والشك فى المقول له من الراوى وقال ابن الاثير انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال انا أعلم بالخيل منك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (انا افرس بالخيل منك) أى أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم لم يقل له لست كذلك لما يعلمه من انه اعرابى جافى (وقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) وكان له كتبة عديدة كما مر والمقول له منهم قيل انه معاوية رضى الله تعالى عنه وقد عدا برهان فى حاشيته هنا كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة وأربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقى وقال ان شيخه الجمال الانصارى أفردهم بتأليف قلت وقد وقفت انا أيضا على تأليف لابن أبى الحديد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا لان له مقاما آخر وكان المداوم

(وهو بموضع) أى فى موضع ليس به حمام وفى أصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة ومعرفة المساحة فكان أولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن أبى هريرة وصححه (ما بين المشرق والمغرب قبلة) أى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبه أو شماله قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل مدينة بين مشرقها ومغربها الان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع ما يقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة الكعبة لا تفى بما بينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة لمنافى عنها وهذا من جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لا عين الكعبة والاولا وجه للخصوصية فهو حجة للحنفية على الشافعية (وقوله) أى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان أحمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأساء الادب فصبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم أسر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان يتبعه عشرة آلاف قناة انتهى وقال غيره أسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (أو للاقرع) أى ابن حابس التيمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا أفرس) ماخوذ من الفراسة أى انا أعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا أعلم بالخيل منك فقال له وانا أفرس منك (وقوله) أى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (الكاتبه) أى لاحد من كتابه أو لكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى أبى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا وأربعين الا ان ابن أبى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة واختلف فى قاتله

علی الکتابة له صلی الله تعالی علیه وسلم زید ومعاویة رضی الله تعالی عنهما (ضع القلم علی اذنك) لم یعینها والمراد الیمین (فانه) أی وضعه کذلك (اذکر) أی أکثر ذکرا بکسر الذال وضمها وهو ضد النسیان (للمل) اسم فاعل أصله الممال وجوز فیه ان یکون اسم مفعول أیضا أی ما یذکر ویملی وأمل وأملی بمعنی وهو القاء ما یکتب علی الکاتب وبهما ورد القرآن قال الله تعالی فلیملل الذی علیه الحق وقال الله تعالی فهی تملی علیه والاصل أملت فقلب تخفیفا کما قاله الراغب واما قوله تعالی وأملی لهم ان کیدی متین فمعناه أمهلهم (هذا) أی خذ هذا أو اذکره وقیل ها اسم فعل بمعنی خذ من غیر تقدیر والرسم یخالفه وهی کلمة مستعملة فی الانتقال والتخلص من کلام لآخر أو ما یتممه وهی کذلك فی القرآن وکلام العرب أی معرفته صلی الله تعالی علیه وسلم بالکتابة وأحوالها (مع انه صلی الله تعالی علیه وسلم) أمی من أمة أمیة لا یکتب ولا یحسب فهو من معجزاته لانه کان لا یکتب کما تقدم بیانه وانه قیل انه کان ذلك فی أول أمره وانه کتب بعد ذلك فی الحدیبیة کما ذکره بعضهم وقد ردوه وشنعوا علیه کما فصله ابن حجر فی تخریج احادیث الرافعی وقد تقدم بیانه فی غیر ما موضع (ولکنه) صلی الله تعالی علیه وسلم (أوتی) بالبناء للمجهول للعلم بان المؤتی له هو الله تعالی (علم کل شیء حتی قد وردت آثار) جمع أثر وهو ما یؤثر ویروی مطلقا وقد یخص بما یقابل الحدیث المرفوع من کلام بعض الصحابة أو التابعین رضی الله تعالی عنهم (بمعرفته حروف الخط) أی کیفیة رسمها (وحسن تصویرها) أی صورتها المستحسنة عند أهلها ومن مارسها (کقوله) صلی الله تعالی علیه وسلم لکاتبه (لا تمد بسم الله الرحمن الرحیم) أی لا تجعل السین مدة طویلة من غیر بیان لسنانها فانه یلبس صورتها وفی نسخة لا تمدوا (رواه ابن شعبان من طریق ابن عباس) رضی الله تعالی عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحق المصری المالکی توفی سنة خمس وخمسین ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة فی المیزان وقال السیوطی حدیث ابن عباس رضی الله تعالی عنه لا تمد بسم الله الرحمن الرحیم لم أجده وللدیلمی من حدیث أنس رضی الله تعالی عنه اذا کتب أحدکم بسم الله الرحمن الرحیم فلیمد الرحمن وله من حدیث زید بن ثابت رضی الله تعالی عنه اذا کتبت فبین السین فی بسم الله الرحمن الرحیم (وقوله) صلی الله علیه وسلم (فی الحدیث الآخر الذی یروی) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله (عن معاویة) بن أبی سفیان رضی الله تعالی عنه أحد کتبته صلی الله تعالی علیه وسلم کما تقدم وفی نسخة الذی یروی معاویة أی یرویه عنه صلی الله علیه وسلم فیروی مبنی للفاعل علی هذا (انه کان یکتب بین یدیه) أی عنده وفی مجلسه (فقال له ألق الدواة) ألق أمر بفتح الهمزة وکسر اللام والقاف لالتقاء الساکنین یقال لاق الدواة یلیقها لیقة ولیقا والاقها ولاق یتعدی ولا یتعدی أی أصلح مدادها من قولهم لاق به اذا ألصقه ومنه یلیق بك کذا ولا یلیق ای یناسب واشتهر استعمال ذلك فیما یجعل فی الدواة من حریر أو لبد أو نحوه لانه یصلحها المنعه کثرة أخذ المداد فی القلم الذی قد یفسد الخط (وحرف القلم) أی اجعل قطه محرفا فانه أعون علی تصویر

(ضع القلم) أی اذا فرغت (علی اذنك) أی فوقها (فانه) أی وضعه هذا (اذکر) أی أکثر تذکرا قال الحلبی لانه یقتضی التؤده وعدم العجلة (للمل) بضم المیم الاول وکسر الثانی وتشدید اللام أی للملی کما فی نسخة من أملت وأملیت وبهما ورد القرآن ولیملل الذی علیه الحق فهی تملی علیه (هذا) أی ما ذکر مما جمع له صلی الله تعالی علیه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلی الله تعالی علیه وسلم کان لا یکتب) والاظهر ان الاشارة الی ما سبق من تعلیم بعض کتابه ما یتعلق بعلم الخط وآدابه واما عدم کتابته فلحدیث انا أمة لا نکتب ولا نحسب ذکره الدلجی وفیه ان نفی الشیء عن الجنس لا یوجب انتفاءه عن جمیع أفراده بدلیل انه کان فیهم من یکتب فالاولی هو الاستدلال بقوله تعالی وما کنت تتلو من قبله من کتاب ولا تخطه بیمینك اذا لارتاب المبطلون (ولکنه) أی مع کونه أمیا (أوتی علم کل شیء) أی لدنیا (حتی قد وردت آثار) أی أخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصویرها) أی من تطویلها وتدویرها (کقوله لا تمد) وفی نسخة لا تمدوا أی لا تطولوا (بسم الله الرحمن الرحیم) أی سینه من غیر تبیین سنه مخافة ان یظن باء ممدودة فیقرأ بالباء والمیم من غیر سین بینهما لما روی الدارمی عن زید ابن أنس اذا کتبت فبین السین فی بسم الله الرحمن الرحیم (رواه ابن شعبان) وهو ابن اسحق المصری المالکی له ترجمة فی المیزان قال فیها وهاه ابن حزم ولا أدری لماذا انتهی ومات سنة خمس وخمسین وثلاثمائة (من طریق ابن عباس وقوله) السنات

أی کما فی مسند الفردوس (فی الحدیث الآخر الذی یروی عن معاویة انه کان یکتب بین یدیه علیه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح الهمزة وکسر اللام أمر من ألاق الدواة اذا جعل لها لیقة وأصلح لها مدادها وهو بمعنی مجرده لاق علی ما فی القاموس فقول الجوهری والاق لغة أی قلیلة لاردیة (وحرف القلم) بتشدید الراء المکسورة أمر من التحریف أی اجعل طرف شقه الایمن أزید ان الطرف الآخر قلیلا لانه أسرع فی الکتابة وأبدع فی اللطافة

السنات ويكون تحريفه من جهة اليمين (وأقم الباء) أى اجعلها مستقيمة أو طولها قليلا لانها عوض عن ألف اسم (وفرق السين) أى اجعل اسنانها منفصلا بعضها من بعض (ولا تعور الميم) أى لا تجعل دائرتها مطموسة كالاعين العور وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة (وحسن الله) أى كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه (ومد الرحمن) لم يبينوا معنى المد فيه ويعنى مدا بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا أو المراد رسم الفها بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف العثمانى (وجود الرحيم) أى حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين ويختص فى العرف بتحسين الخط وفى عرف القراء بتحسين التلفظ بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس (وهذا) أى معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدأ خبره قوله الآتى فلا يبعد والفاء زائدة أو هو خبر مقدر أى محقق ونحوه والفاء فى جواب الشرط (وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب) بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجى من انه روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده فى الحديبية كما تقدم وانه لا يضر فى كونه أميا لانه كان فى بدء أمره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو معجزة أخرى له صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا يبعد) عقلا (ان يرزق علم هذا) أى علم الخط من غير تعليم (ويمنع الكتابة والقراءة) من المصحف قيل ولا يبعد ان يقع منه الكتابة والقراءة فى وقت معجزة أخرى له بشهادة ما فى البخارى رحمه الله تعالى انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فى عمرة القضاء وانه قال لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه أمح رسول الله لما أباه بعض المشركين فقال والله لا أمحوه أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجى أنكرها عليه أهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد مجالس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقرآن وكونه عدمن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فاجاب بانه صرح به فى حديث البخارى رحمه الله تعالى والتجوز خلاف الاصل وفى القرآن ما يشير اليه لان قوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضى كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافى كون أميته معجزة فى أول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخارى (واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب) جميعها قبائل وبطونا وكل أحد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق (وحفظ معانى أشعارها) وان كان لا يقول الشعر ولا ينشده وان أنشده

(وأقم الباء) أى طولها (وفرق السين) أى اسنانها (ولا تعور الميم) أى لا تطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة واما ما فى أصل الدلجى بالقاف بعد كونه عينا فاصلاح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف لما فى القاموس قار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوله (وحسن الله) أى جميع حروفه (ومد الرحمن) أى أكثر حروفه من الحاء والميم والنون أو آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) أى حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمى عن أنس اذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن أى مدا اليمد دله الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص أصحاب التوحيد (وهذا) أى ما ذكر مما يشهد لان مما أوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) أى من أحد رواة الحديث وأصحاب الدراية (انه عليه الصلاة والسلام كتب) أى بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) أى لحكمة تقتضى هنالك كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولا يبعد أيضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقع منه فى وقت معجزة له وكرامة بشهادة ما فى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى أمح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجازا لاشك فيه على ما قال له الحلبى وقال أبو الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسئلة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة أصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة أبى الفتح اليعمرى ما لفظه وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم أرها فى صحيح البخارى والله سبحانه وتعالى أعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة من الكتابة وقد أبعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم أى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده لا يخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى أشعارها) أى خصوصا

(فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه) أى بعض ماورد عنه فى لغات العرب لا فى اشعارها (أول الكتاب) وفى نسخة فى أول الكتاب أى على
ماسبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد أنشده كعب بن زهير فى لاميته قوله

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

فقال لاصحابه ما الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند العرب الاول فى الحرتين ومنها ماأنشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جزمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو أحسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ماقاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

(وكذلك حفظ كثير من لغات الامم) أى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشديد فهاء ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى أخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشدد نونها وخففها أبو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند أبى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى أخرى سناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الخميصة بيده ثم ألبسها أم خالد وقال لها أبلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها أخضر وأصفر فجعل يقول يا أم خالد سنا سنا بالحبشية حسن   من
وهى لغة انتهى وأم خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وأبوها أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أبو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهى) أى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) أى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمز به وقال عكرمة السنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد ابن الحسن والظهور (وقوله) أى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق

نادرا غير وزنه فى أكثر أحواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب المفلقون بمدائح يمدحونه بها وتنشد بين يديه فيصغى لها ويعلم منها مالم يعلمه غيره من فصحائهم الا ترى كعبا لما أنشده قصيدته وقال فيها

قنوان فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

قال الصحابة رضى الله تعالى عنهم الحريان العينان فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب ألا ترى قول علقمة

لها حريان يعرف العتق فيهما * كسامعتى مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفى ذكره الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم أتم معرفة ولم يتدنس به وهو من مقاصده الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه أمر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطى فى شرح منظومة المعانى والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال بعض الشافعية بحرمتها هل كان يحسنهما أو لا فقيل بكل من القولين كما فى الروضة والحفظ يتعلق بالمعانى والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معانى أشعارها كان أظهر (فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه فى أول الكتاب) فى فصل فصاحته كما تقدم (وكذلك) أى مثل معرفته للغات العرب (حفظه لكثير من لغات الامم) غير العرب وهذا ترق فى معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية (كقوله فى الحديث) الذى رواه البخارى عن أم خالد سنه سنه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم لام خالد بن سعيد بن العاص أمها أميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهى صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهى صغيرة ولذا لاطف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه أتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها اياها وقال لها ذلك كما فصله البخارى وفيها لغات سنه سنه كما ذكر وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وأنكر بعضهم تخفيفها وروى كسر سين سنا فقول الكرمانى انها عربية وأصلها حسنة فخففت بحذف الحاء كقوله كفا بالسيف شا أى شاهدا تأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسماء فى غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول (وهى) أى سنه بمعنى (حسنة) أنثها باعتبار الخميصة ولمناسبة سنه لفظا (بالحبشية) أى بلغة الحبشة وهم جيل معروفون (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان وغيرهما

(ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو القتل بها) أى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من أئمة اللغة فهو من توافق اللغتين وأما قول ابن قرقول الهرج بإسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض الرواة والا فهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث أبى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة الاولى منهما معجمة وفى أخرى دردم بميم فى آخره (أى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن

من طرق فى حديث الفتن المقدم (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء المهملة وجيم (وهو القتل بها) أى بلغة الحبشة فسره به صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن قرقول فى المطالع فسر فى الحديث بالقتل بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهى عربية صحيحة وأصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه ان يزال الهرج الى يوم القيامة والعبارة فى الهرج كهجرة الى انتهى وهو رد لما قاله المصنف رحمه الله تعالى ولمن توهم ان تفسيره مروى فى الحديث ومنه يعلم انه و رد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضى انه فارسى ولم يقله أحد وقيل انه من توافق اللغتين وهو أقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل هم فى هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تظرف القائل

أتى زمن الربيع فهاج قوم * الى الصهباء فى هرج ومرج

(وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث أبى هريرة) الذى رواه ابن ماجه عنه (اشكنب درد) وفى بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشكنب بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف رحمه الله تعالى بما يأتى وفى الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال شكنبة بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتى ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزوينى أعلم بلغته وثقة فى الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله (أى وجع البطن) فانه لو صح ذلك قال أى وجع بطن وفسره غيره بوجع بطنك وهو أنسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التعريب والذى رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو أصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفى سننه قال أبو هريرة هجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطى وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى علم القراآت وله تآليف مشهورة رحمه الله تعالى وروى اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لابى الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمسانى ولم يذكر وجه تكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمى فلعله أراد ستره ولذا ورد أنه قال ثم فسر لى وذكر البرهان بعض ما تقدم وقال انه فى بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله (بالفارسية) أى باللغة الفارسية نسبة لفارس ابن كومرث وكومرث ابن سام أو يافث

ودرد معناه الوجع ولعل أصله اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم فيكون فيه نوع تعريب أو لفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أبا هريرة اشكنب درد قلت لا الحديث أخرجه أحمد فى مسنده والاصح ما رواه المحاربى عن ليث عن مجاهد مرسلا فقوله لا يدل على استفهام مقدر أو ملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه لغة ويدل أيضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهو انه لا يظهر وجه خطاب أبى هريرة بهذه الكلمة اللهم الا ان يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة ثم رأيت التلمسانى ذكر الحديث ولفظه قال أبو هريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال اشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكى من اكمال ابن ماكولا عن أبى الدرداء قال رآنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا نائم مضطجع على بطنى فضربنى برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى أعلم هذا وحديث العنب دودو يعنى ثنتين ثنتين والتمر يك يعنى واحدة مشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة

(الى غير ذلك) أى مع غيرما ذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (ممالايعلم بعض هذا ولايقوم به) أى بكله (ولا ببعضه) أى عادة (الامن مارس الدرس) أى دوام المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) أى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة أهلها) بالمثلثة والفاء والنون أى مجالسة أهل العلوم وفى نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب أى فى جميع أيام عمره من غير ضياع دهره (وهو) أى والحال أنه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) فى حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (أمى) أى منسوب الى أمه يعنى كما ولد بعينه (لم يكتب) أى بيده (ولم يقرأ) أى بنظره أو مطلقا قبل بعثه (ولا عرف) أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) أى بصاحبة أهل الدراسة والقراءة والكتابة (ولا نشأ) أى ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) أى دراية (ولا قراءة) أى رواية (بشئ من هذه الامور) أى التى يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) أى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) أى من أمور القراءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) أى قبل نزول القرآن (من كتاب) أى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) أى ولا تكتبه من قبل أيضا وقوله بيمينك أى بيدك للتأكيد كما فى قولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى الآية تمامها اذا لارتاب أى المبطلون أى لو كنت قارئا كاتبا لشك أهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتى بهذا الكتاب الذى عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع أرباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامى أظهر معجزة وأبهر كرامة وأبعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لاسيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل هذا والجمهور على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجى وصوبه بعضهم فانه لا يقدح فى المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبى فى مختصره قوله فى البخارى

وقيل انه ولد اصلبه وقيل انه آدم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله تعالى عليه وسلم بالفارسية لفظ سور فى حديث جابر وهو الدعوة للطعام وبالعربية العرس (الى غير ذلك) أى مضموما ساذكر من معرفته باللغات أو من معارفه التى لاتحصر (ممالا يعلم بعض هذا) وفى نسخة بعضه فضلا عن كله (ولا يقوم به) أى يوفى حقه كله (ولا ببعضه) فضلا عن كله (الامن مارس الدرس) أى عالجه واجتهد فى حفظه ودراسته وتلقيه من أهله وفى نسخة الدروس (والعكوف على الكتب) أى ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروى فيه أحاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان أهل النار ويدل لعدم الكراهة أحاديث كحديث الفارسية الدرية لسان أهل الجنة فى الجنة (ومثافنة أهلها) مفاعلة من ثفن بمثلثة ففاء ونون أى جالسهم ولازمهم وهو أبلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعنى جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم فى أدبه وقال التلمسانى هى المثفنة من ثافنته أعنته وروى مناقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفى بعض النسخ منافثة بنون وفاء ومثلثة أى مباحثة ونظر فى الدقائق التى كنفثات السحر وفيه نظر وفى بعض الشروح ما لامعنى له هنا (عمره) منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله أى فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يترك طرفة عين (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى أمى) منسوب الى الام كأنه كما خرج من بطن أمه لم يتعلم وهو مبرأ من كل عيب أو الى أمة العرب لانهم معروفون بذلك كما وقال الشاعر عمى خالى وأبى أمى فقوله (لم يكتب ولم يقرأ) صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال الله تعالى تأدبا يعنى لم أصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به بقوله ان أوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال انه ترك أدب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادى باسمه فلله در المصنف ما أبعد مرماه (ولا عرف بصحبة من هذه) أى الكتابة والقراءة (صفته) حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة فى حقه معجزة وفى حق غيره نقص كما قال

* كفاك بالعلم فى الامى معجزة * (ولا نشأ) أى لم يكن من أول نشأته وبدء أمره الى بعثته (بين قوم لهم علم) أى معرفة بشئ من العلوم لانهم من الجاهلية (ولا قراءة لشئ من هذه الامور) أى الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا أهل كتاب (ولا عرف هو) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل) مبنى على الضم أى قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر (بشئ منها) أى بما ذكر من المعارف اللدنية ثم استدل على ذلك بقوله (قال الله) وفى نسخة عز وجل (وما كنت تتلو من قبله) أى القرآن وما علمك الله (من كتاب ولا تخطه بيمينك)

فاتخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد أنكره قوم تمسكا
بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفى عنه الخط المكتسب من التعلم
وهذا خط خارق للعادة أجراه الله تعالى على أنامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة
فى صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان فى قوله وما كنت تتلو من قبله أى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان
ممنوعا من القراءة والكتابة وهو لا ينافى ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب
النسب) أى علم النسب لكل قبيلة لى حذها من أبيها وجدها (واخبار أوائلها) أى وقائع سلفها من هزلها
وجدها وتنعمها وكدها
(والشعر) أوزانها
وقوافيها (والبيان) أى
النثر فى الخطب وأمثالها
أوما يتعلق بمافيها حتى
كادان يكون بيانهم فى
شعرهم ونثرهم سحرا
وشاع وذاع فيما بينهم
ذكرا وفكرا وبلغوا
غاية البلاغة ووصلوا
نهاية الفصاحة نظما
ونثرا (وانما حصل ذلك
لهم بعد التفرغ لعلم ذلك)
أى عمرا (والاشتغال
بطلبه ومباحثة أهله
عنه) أى عصرا (وهذا
الفن) أى النوع من
العلم بجميع افنانه
وأغصانه فى جميع أحيانه
وأزمانه (نقطة من بحر
علمه) أى ونكتة من
نهر فهمه وشكلة من
شطر كلمه (صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا
سبيل الى جحد الملحد)
أى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) أى فى المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة
حيلة) أى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ما قصصناه) وفى نسخة مما نصصناه أى حكيناه وبيناه (الا قولهم أساطير الاولين) أى
هو يعنى القرآن أقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقد تولى الله
سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما يعلمه بشر) أى من
الاعجام أو الاروام (فرد الله قولهم) أى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو أساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون)
وفى قراءة بفتح الياء والحاء أى يميلون (اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان) بكسر أى المعاينة والمشاهدة
(فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) أى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير

أى بيده اليمنى التى تكتب بها عادة وتأييده وتصويره بين الله تعالى علة ذلك بقوله اذا لارتاب
المبطلون أى شكوا وقالوا تعلمه ممن قرأه وكتبه ثم بين حال قومه فى عدم ما ذكر بقوله (انما كانت غاية
معارف العرب) أى ما انتهى اليه علمهم (النسب) أى معرفة أنساب قبائلهم الى أجدادهم (واخبار
أوائلها) أى ما وقع لآبائهم وأسلافهم من الحروب والوقائع (والشعر) أى حفظ شعر من قبلهم من
القصائد والقطعات والابيات (والبيان) ليس المراد به علم البيان المعروف لانه أمر حدث كانوا فى غنى
عنه بالسليقة ولا ثمرة لعلم البلاغة كله كما توهم أيضا وانما المراد به النطق الفصيح المعرب عما فى الضمائر
وعنى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذى كانوا يذكرونه فى محافلهم لمقابلته للشعر
وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا (وانما حصل ذلك لهم) أى معرفة النسب وما
بعده (بعد التفرغ لعلم ذلك) أى مع ذلك لم يكن علمهم بذكر الاعزاء والقوة والانساب وصرف زمان لكسبه
حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان رواية ونحوه (والاشتغال بطلبه ومباحثة
أهله عنه) بالسؤال عنه والحفظ له ولم يعد منه اعتناؤه بذلك فى أول أمره (وهذا الفن) أى النوع الذى
كانت العرب تعرفه وتعتنى به (نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى أقل قليل بالنسبة لما
ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة أو كلجين الماء (ولا سبيل الى جحد الملحد) أى
لا يمكن الكفرة المائلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله تعالى اذا لارتاب المبطلون
(لشئ مما ذكرناه) من معارفه متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية (ولا وجد الكفرة حيلة) يبدونها تلبيسا
(فى دفع ما قصصناه) مما تقدم تفصيله (الا قولهم أساطير الاولين) استثناء متصل لانه مما احتالوا به على
بعض ضعفاء العقول أو منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة أو جمع اسطار جمع سطر او
أساطير أو أسطور أى هى أحاديث مما سطره من قبله وأكاذيب (و) قالوا (انما يعلمه بشر) أى هو مما تلقاه
من غيره وتعلمه (فرد الله قولهم) المذكور وأبطله (بقوله لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا
لسان عربى مبين) أى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمى فكيف يمكن تعليمه أو التعلم منه
ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بمقالتهم هذه (ثم ما قالوه) من انه يعلمه رجل أعجمى وفى نسخة قالوه
بهاء الضمير (مكابرة العيان) بكسر العين ولا تفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير دليل وأصل
معناه هجوم السارق نهارا أى معاندة فى المحسوس لا تفيد (فان الذى نسبوا تعليمه) له صلى الله تعالى
عليه وسلم بزعمهم الباطل (اليه) متعلق بنسبوا أى أسندوه له (اما سلمان) الفارسى الصحابى المشهور

(أوالعبدالرومى) وهو غلام حويطب بن عبد العزى أسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور
مالاينعد من الآيات) أى القرآنية أو المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (وأما
الرومى فكان أسلم وكان
يقرأ على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم واختلف
فى اسمه) أى كما سيأتى
من انه يعيش أو بلعام
أوجبر ويسار (وقيل بل
كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يجلس عنده)
أى اليه ويقبل عليه لما
كان يلمح قابلية الهداية
لديه (عند المروة وكلاهما
أعجمى اللسان) أى
وضعيف البيان (وهم
الفصحاء اللد) بضم اللام
وتشديد الدال جمع لالد
وهو شديد الخصومة
(والخطباء اللسن) بضم
فسكون جمع السن وقيل
جمع لسن بفتح فكسر
وهو المنطلق اللسان فى
ميدان النطق والبيان
(قد عجزوا) بفتح الجيم
وتكسر (عن معارضة
ماأتى به) أى أظهره
(والاتيان بمثله) بل عن
الاتيان باقصر سورة من
نحوه (بل عن فهم وصفه)
وفى نسخة رصفه بالراء
والظاهر انه تصحيف
وقيل معناها الاتقان
(وصورة تاليفه) أى
تركيبه (ونظمه) أى
سلكه فهم اذا عجزوا
عن هذا كله (فكيف
باعجمى الكن) أفعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم
العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وأبعد الدجى فى تعبيره أى أبكم

رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (أوالعبدالرومى) وهو يعيش غلام
حويطب بن عبد العزى الرومى وكان من قرأ الكتب ثم أسلم وسيأتى تفصيل قصته (و) قصة (سلمان
انما) أسلم و (عرفه) بالمدينة (بعد الهجرة) وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل
ذلك فكيف انه كان يعلمه (و) بعد (نزول الكثير من القرآن) حتى هذه الآية (و) بعد (ظهور) وفى
نسخة نزول (مالاينعد) الكثرته (من الآيات) القرآنية أو العلامة الدالة على نبوته من المعارف
المذكورة لدالة على ابطال زعمهم (وأما) العبد (الرومى فكان أسلم) قبل الهجرة (و) لكنه (كان يقرؤ
على النبى صلى الله عليه وسلم) ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه (واختلف) بالبناء للمجهول أى
اختلف المحدثون (فى اسمه) كما سيأتى فى كلامه فقيل انه بلعام أو يعيش أو جبر او يسار اما بلعام
فبموحدة مكسورة وقول البرهان انها مفتوحة لا أصل له ولام ساكنة وعين مهملة وألف وميم ويعيش
يأتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبى فى الصحابة
وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبر يأتى أيضا انه بجيم مفتوحة
وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم أقف عليه فى الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة
وسيأتى تتمة لهذا فى محله (وقيل بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده) اضراب عن اسلامه
وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يحترف بصقل السيوف (عند المروة) مع الناس فكيف قالوا انه تعلم
منه وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول فى أيهما كان يجلس عند الآخر فالاضراب
انتقالى أو ابطالى (وكلاهما) أى سلمان والغلام الرومى (أعجمى اللسان) أى لسان كل منهما فيه
عجمة (وهم) أى الطاعنون فيه بما ذكر واسنادا التعلم له (الفصحاء اللد) جمع ألد وهو الشديد الخصومة
ويجمع على لداد أيضا من اللدد وهو العناد وفى الحديث أبغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم (و) هم
(الخطباء) جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون
سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة وارتجال الكلام الجزل (اللسن) بضم
اللام وسكون السين جمع لسن كحذر وهو الفصيح اللسان الطلق البيان وقيل جمع السن فلا اسهاب
فيه كما قيل (قد عجزوا) بفتح الجيم وكسرها (عن معارضة ما أتى به) أى مقابلته بكلام يحكيه (والاتيان
بمثله) عطف تفسير مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم (بل) عجزوا كلهم (عن فهم وصفه) ومعرفة كنه
بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة والحسن يكذبهم والفصاحة
تنادى على فصاحتهم (وصورة تاليفه) أى عجزوا عن فهم صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام
البشر والتأليف أخص من التركيب لانه تركيب مع ألفة ومناسبة وفى أكثر النسخ رصفه بالراء المهملة
جمع رصف بفتحتين وهو فى الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم
وفى بعض النسخ (ونظمه) وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة والاول أقرب
والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعد بل ترق فى العجز ومغايرته لما
قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم (فكيف) هى للاستفهام عن الحال والوصف المبهم
ويراد بها التعجب نحو قوله تعالى كيف تكفرون بالله وقوله (باعجمى) متعلق بمقدر أى كيف الظن
باعجمى وهذا تركيب سائغ فى كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء (الكن) من اللكنة وهى عدم
افصاح اللسان وبيان النطق (نعم) بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام أيضا فى لغة وهى كلمة تقع
فى جواب الكلام الموجب وقد تقع فى ابتداء الكلام كما هنا فكأنها جواب سؤال مقدر وفى غير

(وقد كان سلمان أو بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام ويقال بلعم (أو يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبي فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه ولون انما يعلمه بشر وقال فى الحلبي يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (أو جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة أسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى قال الحلبي ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (أو يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) أى اختلاف العلماء فى تعيينه أو اختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين أظهرهم) أى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى أعمارهم) بفتح الميم والدال مقصور أى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) أى صدور شئ ما (من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) أى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) أى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) أى وعلى الفرض والتقدير أى شئ منع (العدو) أى اعداءه من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين أى اعدادهم (ودؤب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة أى جده وتعبه فى كده (وقوة جسده ان يجلس الى هذا) أى من سلمان أو غيره واخطأ الدلجى بقوله أى ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (أيضا) أى على زعمه (ما يعارض به) أى ما جاء به عليه السلام (ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة وتفتح على لسان العامة أى على تهييج شره وخصامه كذا فى أصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته وعلى للعلة أى لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم بانه قتل كافرا

جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول جحدر
نعم وأرى الهلال كما تراه * كما سيأتى وقال بعضهم انها زائدة فى مثله وفيه كلام لم يحضرنى الآن (وقد كان سلمان) الفارسى رضى الله عنه (أو بلعام) وهو بفتح الباء الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم أيضا وهو اسم الغلام (الرومى أو يعيش) بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وياء تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع (أو جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول له أنت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى (أو يسار) بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبنى (على اختلافهم فى اسمه) كما تقدم (بين أظهرهم) خبر كان أى مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم ظهر وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع فى الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونهم مدى أعمارهم أى فى جميع مدة أعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استدلال على كذبهم وأصل معنى المدى الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما فى النهاية وذكر الماوردى ان غلامين نصرانيين من عين التمر أحدهما يسار والآخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك (فهل حكى عن واحد منهم) أى من الكفرة (شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضميرهم لسلمان رضى الله تعالى عنه والغلام فهو تعبير عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفى نسخة من مثل ما كان يجئ به صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل عرف واحد منهم بمعرفة شئ من ذلك) الذى جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذى قبله (وما منع العدو حينئذ) أى حين حضورهم معه (على كثرة عدده) بفتح العين أى أى مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه (ودؤب طلبه) بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من الدأب وهو الجد والتعب يقال أدأبه اذا أتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة عن ذلك وصار حقيقة فيه (وقوة حسده) بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على الطلب ويحثهم (ان يجلس الى هذا) الذى زعموا انه يعلمه (فيأخذ عنه) أى يتلقن بتعلمه منه (أيضا) أى كما تعلم منه النبى صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد (ما يعارض به) ما جاء به (ويتعلم منه ما يحتج به) أى يجعله حجة ودليلا (على شغبه) أى لحاجة فى خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا الوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما فى القاموس وغيره وتسكن أيضا وهى اللغة المشهورة فيه ومن أنكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريرى لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض بشيعته (كفعل النضر بن الحارث) وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم أخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بن قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد أتيتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذى نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله الآية ثم انه

لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى أظفره الله عليه فقتله كما ذكر فى السير
(بما كان يخرق به) متعلق بفعل و يخرق بمعنى يكذب والخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب
يتلهى به أخذوها من المخراق وهى خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها زائدة تصرف
فيها المولدون ونوهموا اصالة ميمها كما فى قولهم تمسكن و يمخرق بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة
وراء مهملة وقاف (من أخبار كتبه) التى كان يأتى بها و يقصها عليهم (ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم
عن قومه) ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة أقام بها أقامة يحتمل انه لقى بها من تعلم منه وهذا معطوف على
قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين (ولا كثرت اختلافاته) أى رواحه
ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا أى يسافر و يذهب اليها الا انها مخالفة لمقره المعروف
(الى بلاد أهل الكتاب) وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما يأتى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم وقع له ذلك مرة أو مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقم عند غيرهم حين سافر الى
الشام كما يأتى (فيقال انه استمد منهم) أى طلب المدد والاعانة من أهل الكتاب بتعليمهم لشئ مما كان
يتلوه على قريش (بل لم يزل) مقيما عندهم (بين أظهرهم) فى وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال
بين أظهرهم وظهرانيهم (يرعى) ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية أى يلاحظ و يحفظ فهو بمرأى
منهم ومسمع لا يخفى أمره عليهم و بعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشى وهو المناسب لقوله
(فى صغره) أى وهو طفل (وشبابه) أى بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول أنف من جعله
صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكن
معيبا عندهم وهو أقوى فى اثبات مدعاه لان من يرعى يكون فى الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن
التعلم (على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم) بعد ما شب و بلغ أو بعد ما وجد وعرف حاله (الا فى
سفرة) واحدة (أو سفرتين) الى بلاد الشام مرة مع أبى طالب ورده من الطريق باشارة بحيراء الراهب
كما مر ومرة فى تجارة لام المؤمنين خديجة رضى الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن أهل بلدته أبدا سفرا
واقامة ولم يتردد المصنف رحمه الله تعالى فى السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين
كما فى السير فكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه أبو طالب من
الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه
صلى الله تعالى عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبنى سعد فلا يعد مثله سفر الا سيما والمراد سفر خاص لديار
أهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف الى بنى عبد ياليل
فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة أهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله (لم يطل فيها) أى فى جنس
السفرة (مكثه) أى اقامته وهو بفتح الميم وضمها (مدة يحتمل فيها) أى فى المدة (تعليم القليل)
وتعلمه من علم وغيره (فكيف الكثير) الذى كانوا يعرفونه منه وهو استفهام انكارى بنفيه بطريق
برهانى ثم اكده وأثبت مدعاه بقوله (بل كان فى سفره فى صحبة قومه) لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة
عين (ورفاقة) بفتح أوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهى الاجتماع فى السير والسفر من الرفق
لان كلا منهما يرفق بصاحبه (عشيرته) أى قومه وقبيلته من العشرة وهى الاختلاط قال فى القاموس

(بما كان يخرق) من الخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى ان يزخرف (به من أخبار كتبه) أى مما لا يجدى
نفعا له ولغيره (ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) أى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) ترداداته
(الى بلاد أهل الكتاب) وفى نسخة الكتب أى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) النصب (انه
استمد منهم) أى استفاد عنهم (بل لم يزل) أى من أول عمره الى آخر امره (بين أظهرهم) أى بينهم (يرعى) أى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة انبيائهم) أى انبياء سلفهم وفى أصل الدلجى ابنائهم باصلاح انبيائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) أى واحدة (أو سفرتين) أى مرة مع عمه أبى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا وأخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة أولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيها) ويروى فيهما (مكثه) بضم الميم
وتفتح أى اقامته ولبثه (مدة لا يحتمل) بصيغة المعلوم أو المجهول
(فيها تعليم القليل) أى اليسير (فكيف الكثير) أى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى
صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء

(لم يغب عنهم ولاخاف حاله) النصب أو الرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تعلم) أي عن معلم بل من بيان لحاله لامزيدة كما قاله الدلجي وفي نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر أي عالم يهودي وأغرب الدلجي بقوله بكسر المهملة أفصح من فتحها ثم كذلك في معنى المداد لانه ليس ههنا المراد (وقس) بفتح القاف وبكسر وضمه خطأ فسين مشددة أي عالم نصراني وكذا القسيس (أومنجم) أي متعلق بعلم النجوم (أوكاهن) أي من يزعم انه يخبر عن كائن

عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته (لم يغب عنهم) بفارقهم مفارقة تحتمل ملاقاة أهل الكتاب وتعلمه منهم (ولاخاف حاله) التي نشأ عليها وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة (بمكة) الى ان هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله تعالى عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله (من تعليم) بيان لما ندر في قوة المذكور او امه ما قبله أي ما خالف الامر آخر من تعليم الى آخره وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل (واختلاف) أي مجيء وذهاب وأصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار (الى حبر) بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود (أومنجم) أي عالم بالنجوم وأحكامها (أوقس) بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى (أوكاهن) وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فانه في اقسام من يمكن التعلم منه من أنواع الناس ثم ترقى في ابطال ماقالوه فقال (بل لو كان هذا) أي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع أهل الكتاب واختلافا لقسيسين والاحبار (بعد) مبنى على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لابعد مكثه بين أظهرهم ربعي في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه (كان لكان مجيء ما أتى به) صلى الله تعالى عليه وسلم (في معجز القرآن) الذي لايشبه شيأ من كلام البشر (قاطعا لكل عذر) اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايماء الى انهم معترفون بجرمهم بدلالة الحال (ومدحضا) أي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق وفيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه في أوحال الشرك (لكل حجة) تشبثوا بها وهي أوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة (ومجليا) بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه أي موضحا وكاشفا ومزيلا ومبعدا (لكل أمر) غيب تخيلوه وتلبيس احتالوا به

* (فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم) * التي خصه الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق (وكراماته) التي أكرمه الله تعالى وشرفه بها (وباهر آياته) أي ظاهر آيات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتناء (و) قوله (انباؤه) بفتح الهمزة جمع نبأ وهو الخبر أي أخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم (مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة) بكسر الهمزة مصدر أمده امدادا من المد قال الراغب أمددت الجيش بمدد والانسان بطعام وأكثر ما جاء الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى أي ارسال الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعانة كما سيأتي (وطاعة الجن له) بانقيادهم واسلامهم لابامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أي للملائكة والجن كما سيأتي ولاوجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدأ بما يثبت ما قاله من القرآن فقال (قال الله تعالى وان تظاهرا) أي تتعاونا (عليه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يسوءه

(بل لو كان بعد) بضم الدال أي بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفي أصل الدلجي بل لو كان هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفي نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (الكان مجيء ما أتى به في) وفي نسخة من (معجز القرآن) لمن معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) أي مزيلا وداقما (لكل حجة) أي داحضة وفي نسخة صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفي نسخة بفتح الميم وكسر اللام المشددة لا كما قال الحلبي باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل أمر) أي عما يلوح عليه مخايل ريبته

* (فصل) *

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أي خصوصياته في حالاته (وكراماته وباهر آياته) أي غالب معجزاته (انباؤه) بفتح الهمزة أي اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) أي اعانته (له بالملائكة) أي المقربين كما في وقعة بدر وحنين (وطاعة الجن له) كجن نصيبين (ورؤية كثير من أصحابه لهم) أي للملائكة والجن وهذا اجمالي يتبين لك بعد تفاصيل أحواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة أي وان تتعاونا (عليه) أي على النبي بما يسوءه من الافراط في الغيرة لكثرة ميلهما اليه

(فان الله هو مولاه) أى ناصره (وجبريل) بكسر الجيم وفتحها (الآية) أى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة أى بقيتهم بعد ذلك أى بعد نصره سبحانه وتعالى ظهير أى مظاهرون اه (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) أى بانى معكم معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) أى مناجاتكم ومناداتكم يا غياث المستغيثين أغثنا أعنا على أعدائنا وعن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار ألفا وأصحابه ثلاثمائة أى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبى الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) أى ربكم (انى ممدكم) أى بانى معاونكم (الآيتين) أى بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال أى متتابعين وبفتحها أى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية ولعله أراد الاشارة بالآيتين من السورتين أى الانفال وآل عمران وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا

(فان الله هو مولاه) أى ناصره ومعينه (وجبريل وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه (الآية) أى والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهر الحفصة وعائشة أمى المؤمنين والآية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط فى محله وقد تقدم فى أول الكتاب بعض منه (وقال الله تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم) بنصرى وتأييدى (فثبتوا الذين آمنوا) بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على أعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر أعداؤه المشركون وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره (وقال) فى وقعة بدر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون غوثه واعانته (فاستجاب لكم) أجاب دعاءكم وانجز وعده لكم (انى ممدكم الآيتين) أى اقرأهما الى آخرهما أى انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين أى متتابعين (وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) أى أملناهم وأوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماءهم فى مفصلات التفسير واجتماع الجن به صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين بل أكثر وهو شاهد على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به (حدثنا سفيان بن العاصى الفقيه بسماعى عليه) تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال (حدثنا أبو الليث السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال (حدثنا مسلم) القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبيد الله بن معاذ) أبو عمرو العنبرى الحافظ الفصيح الثقة توفى سنة مائتين وسبع وثلاثين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا أبى) معاذ بن معاذ التميمى الحافظ قاضى البصرة واليه انتهى علم الحديث توفى سنة مائة وستة وتسعين وأخرج له أصحاب السنن أيضا قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا سليمان الشيبانى) ابن أخى سليمان فيروز أو خاقان الشيبانى بالمعجمة مولاهم الكوفى الحافظ الثقة توفى سنة ثمان وثلاثين أو احدى أو اثنين وأربعين وقول الواقدى وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط

ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد لا آيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون لكن هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا) أى أملنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) أى جن نصيبين (يستمعون القرآن الآية) أى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا قراءته وأخرج واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فثابت أيضا كما بينته فى محله وسيأتى أيضا تقرير بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) أى فى حضورى لديه (حدثنا أبو الليث السمرقندى) أى من أئمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) أى القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال أبو داود كان يحفظ عشرة آلاف حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا أبى) أبوه معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال أحمد اليه المنتهى فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) أخرج له الائمة الستة

(سمع زر بن حبيش) بالتصغير زر بكسر الزاي وتشديد الراء هو أبو مريم الاسدي عاش مائة وعشرين سنة وكان من أكابر القراء المشهورين من أصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن أبي النجود وخلق (عن عبد الله) أي ابن مسعود (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أي ابن مسعود (رأى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورته) أي أصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته

قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي قال التلمساني قيل رآه في صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة الا في صورة الآدميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشي عليه (والخبر) أي الحديث والاثر (في محادثته) أي مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم) بصيغة الجمع لتعظيمهما) أو لان أقل الجمع اثنان وفي نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن النار (وما شاهده من كثرتهم) كحديث أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع أو ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) أي رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمساني وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى رجالا على أفراس بلق شاكي السلاح طول كل واحد مسيرة ألف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين لا يرى أولهم ولا آخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال أنا أهبط وأصعد وأراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا أين يذهبون ذكره النسفي في زهر الرياض قاله الانطاكي

وأخرج له الائمة الستة (سمع زر) بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة (بن حبيش) بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو أبو مريم الاسدي أدرك وسمع عليا وعمر رضي الله تعالى عنهما عاش مائة وعشرين سنة وتوفي سنة اثنين وثمانين وأخرج له الستة (عن عبد الله) بن مسعود الصحابي المشهور وهذا التفسير الآتي أخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه (قال) أي الله سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع (رأى جبريل في صورته) الاصلية التي خلق عليها (له ستمائة جناح) اللام جواب قسم مقدر أي رأى الآية الكبرى من آيات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث أكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عائشة رضي الله تعالى عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلي ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم أره على صورته غيرها تين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة جناح سدت ما بين السماء والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي أن تكون أجنحته تزيد على ذلك فان الملائكة أجسام مجردة قابلة للتشكل (والخبر) أي الحديث الصحيح المسند (في محادثته) صلى الله تعالى عليه وسلم (مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة) أعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة أو لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده (وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور) وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة وعظم صورهن وحديث الاسراء ورؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور أيضا ومن أراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في أخبار الملائك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة أي الفقر وقالوا ما قصه الله من قوله تعالى مال هذا الرسول يأكل الطعام الآية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال له رب العزة يقرؤك السلام ويقول لك وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام الى آخره فبينما جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه

(وقد رآهم) أي الملائكة وفي أصل الدلجي رآه أي جبريل (بحضرته) أي بحضوره عليه السلام وهي بفتح فسكون وقال التلمساني ان الحاء مثلثة ويقال أيضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من أصحابه) أي الكرام (في مواطن مختلفة) أي متفاوتة لايام (فرأى أصحابه) أي بعضهم (جبريل

عليه السلام في صورة رجل يسئله عن الاسلام) وفي نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى في صور رجل غير معروف كما في أصل الحديث المذكور فقول الدلجي كدحية ليس في محله وان تبجح بتوشيخ شرحه (ورأى ابن عباس واسامة) أي ابن زيد كما في نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) أي بحضرته (جبريل في صورة دحية) بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبي المشهور بالحسن الصوري وقد أسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأرسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل وأما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذي ولفظه ابن عباس رأى جبريل مرتين وأما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيهما ان أم سلمة رأته وأما غيرهما كعائشة فروى رؤيتها البيهقي وقال التلـ[illegible] انه وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين وأقرأه جبريل عليه السلام و جرير بن عبد الله البجلي مسحه ملك وحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت أيده الله بجبريل لمناضحته عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون ألف ملك مانزلوا من قبل قط

وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك ياجبريل فقال فتح باب من أبواب السماء لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يامحمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال يامحمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ و يقول لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل فقال يارضوان لاحاجة لي في الدنيا قال أصبت أصاب الله بك و يرون ان هذه الآية أنزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا أقول ومن هذا علم انه لم ينزل بالقرآن الا جبريل غير هذه الآية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو ملك الجنان وتخييره دون بت باعطائها علم منه ان جبريل ان الله أراد له صلى الله تعالى عليه وسلم ماهو أرقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض عجوز الدنيا الفانية أن تكون له ولو أراد خلافه أتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لايقول شيأ برأيه ولايفعل الا مايؤمر به فافهم (وقد رآهم) أي الملائكة (بحضرته) أي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحاء مصدر حضر يحضر اذا جاء وقدم وتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه و يستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية أمر بكذا كالمقام كما يكتبه أصحاب الترسل (جماعة من أصحابه في مواطن) جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا لمطلق المكان مجازا مرسلا (مختلفة) أي متعددة وأصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بعض النسخ (فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان) والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في أول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه و بين الاسلام مفصل في شروحه (ورأى ابن عباس واسامة) بن زيد (وغيرهما) من الصحابة كعائشة رضي الله تعالى عنها وأم سلمة وعمرو وحارثة (عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في صورة دحية) بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية رضي الله عنهما وكان من أجمل الناس وأجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صورته رضي الله تعالى عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس بافناء بعض أجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم أنوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول أيضا فلا ينقلب حقيقة اذ تمثل رجلا تأنيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبح يقوم مقامهم لقدرة أرواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة و بعض أهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير مضاف أي في مثل صورة دحية وما قيل من انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لاحاجة اليه لان مثله للشمول والاحاطة يعد ظرفا حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما

(ورأى سعد) أى ابن أبى وقاص كما فى الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ما هو الظاهر المتبادر (فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبى فى مسلم يعنى جبريل وميكائيل ولم يسميا فى البخارى فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوى عنه قاله عنه أو من دونه ذكر ذلك والله تعالى أعلم قلت ولفظ مسلم رأيت عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل (ومثله) أى ومثل ما روى سعد (عن غير واحد) أى صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر الملائكة) بفتح الزاى وسكون الجيم أى حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) أى كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار) أى فى بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقى عن سهل ابن حنيف وأبى واقد الليثى وقال أبو داود المازنى على ما فى رواية ابن اسحق انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت انه قتله غيرى (ورأى أبو سفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يومئذ) أى يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع أبيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون جمع ابلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفى نسخة لا يقوم لها شئ أى لا يطيق ولا يقاوم لتلك الرجال شئ أى مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف فى اهلاك أهل الدنيا جميعا فقد أهلك جبريل مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقى عن سهيل بن عمرو انه هو الذى رآهم لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفى مسلم انها كانت تسلم عليه

عنهما له مرتين رواهما الترمذى ورؤيته لسامة له رواهما الشيخان عنه قول الشارح الجديد لم أقف عليها من قصور النظر (ورأى سعد) بن أبى وقاص فى حديث رواه الشيخان (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب (فى صورة رجلين عليهما ثياب) تسميتهما وقع فى الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة أحد وقد قاتلا معه صلى الله تعالى عليه وسلم قال النووى فى شرح مسلم هذا بيان كرمه لله به وفيه رد لمن قال ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبى فى تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين باحد ان صبروا امدهم وان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبى صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفى الحديث دليل على ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والاولياء (ومثله عن غير واحد) أى روى مثل ما فى هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة (وسمع بعضهم) أى بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين (زجر الملائكة) زجرها حثها (خيلها) على الجرى بصوت (يوم بدر) أى وقعتها حين القتال وهذا رواه أبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس ان رجلا من غفار قال قدمت أنا وابن عم لى ونحن مشركان وصعدنا الى جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فمات ابن عمى من خوفه وكدت أهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروى حيزون بالنون والصحيح الاول (وبعضهم رأى تطاير الرؤس) أى سرعة وقوعها بخفة كطائر طار عن مقره وهذا رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وأبى واقد الليثى (من الكفار) فى يوم بدر (ولا يرون الضارب) لانه ملك خفى عنهم وبعضهم رآه وعرفه وقد روى كلاهما فى أحاديث ذكروها ويجوز ان يقال ان التطاير استعارة شبهت بطائر وحمام طار من برج بدنه بنفسه كأنه ليس جزءا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال أبو داود المازنى انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى وكانوا يعرفون قتل الملائكة بان بهم سمة نار ونحوه (ورأى أبو سفيان بن الحارث) بن عبد المطلب قبل اسلامه (يومئذ) أى يوم بدر (رجالا بيضا) وجوههم وأبدانهم (على خيل بلق) أى فيها بياض ولون آخر (بين السماء والارض ما يقوم لها شئ) أى لا يمكن ان يقاوم شدتها وقتالها شئ غيرهم قيل أو كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائى لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقى وهو مخالف لما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا وهكذا فى تخريج السيوطى لاحاديث هذا الكتاب وفى الشرح الجديد انه رواه ابن اسحق فى سيرته ونقله فى حديث طويل فى هلاك أبى لهب والعهدة فيه عليه (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) بالكف والذى رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان المتلاقين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام أمان والمصافحة تسليم بدله

(وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر) أي سقط حمزة (مغشيا عليه) أي من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقي عن مسلم بن يسار مرسلا

فهو أمان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله تعالى عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا أفضل من نزل البصرة وتوفي في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب المعتمدة وأما السلام ففي صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله تعالى عنه قال له كانت الملائكة تسلم علي حتى اكتويت فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له أكتمه مادمت حيا قال النووي رحمه الله تعالى كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس محرما وان قيل بكراهته اذا أمكن العلاج بغيره كما ورد في المثل آخر الدواء الكي وروى انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى أهل الدار المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة رضي الله تعالى عنهم لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بطريق الاولى أو هو استطراد (وأرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما ورأى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين أولهما (لحمزة) بن عبد المطلب عمه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة لحمزة رضي الله تعالى عنه باللام فهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما (جبريل عليه السلام في الكعبة) أي في داخلها او عندها فخر (مغشيا عليه) خوفا من مهابته لانه رآه على صورته ففي دلائل البيهقي رحمه الله تعالى وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله تعالى عنه قال يارسول الله أرني جبريل عليه السلام على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له أقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه * واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب أعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدى فعل بحرفين بمعنى وان تعدى أحدهما لزم الترجيح بلا مرجح لم تقدما أو أحدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

أحجاج لا يعطى العصاة مناهم * ولا الله يعطى للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه * واعلم ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله تعالى عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون نبيا لكن أسأل الله تعالى ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكاف الجمع بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأى غير ذي زلل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم انتهى * أقول ماذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على ماراه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد

قديم ضعف البصر المؤمن فمعنى الاحدق فيه انه مر دلالة النور في نوره الذي لم يتفرق وهو من
الاسرار الخفية التي لم يتم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يلتفت الى وصفه ثم ذكر أمر الجن فقال
(ورأى ابن مسعود) في حديث رواه البيهقي (الجن ليلة الجن) أي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الجن وتأمر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم (وسمع كلامهم) قال البرهان في
المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة
الجن وقال ابن سيد الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه حاضرا في ليلة الجن روي من طرق
فيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لاحاصل له والحق ما قاله أبو البقاء الشبلي الحنفي في
كتابه آكام المرجان في أحكام الجان من انه روي فيها احاديث متعددة منها ما رواه أبو داود عن ابن
مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن أحد قال ما صحبه منا أحد
ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا جاء من قبل
حراء فقال أتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وأرانا آثار نيرانهم وذكر انهم
سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه أحمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها
ابن مسعود وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه بمكة
من أحب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة خط لي
برجله خطا أمرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما أسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال
أرأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها فشهدت له فآمنوا به وجمع البيهقي بين
الروايتين فقال قوله ما صحبه منا أحد أراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه أعلم أصحابه بخروجه
ينافي فقدهم له حتى قالوا استطير او اغتيل وفيه تصريح بانهم فقدوه والتمسوه وفي هذا الحديث انه
خرج معه وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله منشأه ظنهم انها ليلة واحدة ولا شك
انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا الى ابن مسعود
وانه قيل له أكنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل أخذ كل رجل رجلا
من أهل الصفة يعشيه ولم يأخذني احد فمر بي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما أخذك أحد
يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي أجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة أم سلمة فتركني ودخل ثم
خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد
والتففت بثوبي فخرجت الجارية وقالت أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتبعته ارجو العشاء
فخرج وبيده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شاء الله
وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال أجلس فيه حتى آتيك
ولا تبرح فانطلق وانا أراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت عليه وقلت الحق أو استغيث
الناس اظن هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا
وهو يقرعهم بعصا نخل واحتى كانشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال
هم وفد نصيبين الى آخره فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل عنه أولا كان بمكة وقد
وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا أخر ذكرها في باب
مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها وقيل

(ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه البيهقي عنه (ليلة الجن) أي ليلة أمر النبي عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) أي ابن مسعود (كلامهم)

وشبههم) أي في الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاي وتشديد الطاء قوم من السودان أو الهنود طوال قال الحلبي وفي حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس في سيرته ما لفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظاهرة يشهد بعضها البعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الا بما فيها من التوضئ بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذي ذكره من غير طريق ابن زيد وهو في ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن في السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابي وفي العمل على قبوله خلافا لبعض الناس أي من الشافعي واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن في قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولي خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقني الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرآن حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لي هل معك ماء أتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر في اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور وأخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوي وغيره وقد أثبت البخاري كون ابن مسعود مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باثني عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجي واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففي صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخاري أصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم عن النفي عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات أو المراد بنفي كونه معه انه لم يحضر مجالس المحاورات والله أعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدي سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد) أي وكان صاحب الراية (أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) أي ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهد العدو (يا مصعب فقال له الملك) أي مرة في جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل أو المفعول أي فعرف (انه ملك) لكن روى ابن أبي شيبة في مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى لكن قام ملك مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من أول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف أو تنزيل المجهول منزلة المعلوم أو تسمية له باسمه أو على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى أعلم

اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت بأعلى مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الفرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها الزبير والسادسة كانت في بعض أسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه (وشبههم) أي ابن مسعود لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا سودا فقال أخرجوهم ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه رآهم (برجال الزط) متعلق بقوله شبههم والزط بالزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي (وذكر ابن سعد) وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري (ان مصعب بن عمير) القرشي العبدري الصحابي البدري وهو ممن أسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه (لما قتل يوم أحد) أي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا غطينا رأسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت رأسه فجعلوا على رجليه شيأ من الاذخر (أخذ الراية ملك على صورته) أي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم واتمام تلك الصورة فيه جعل كأنه عليها راكب اتم تمكنها فيه (فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب) نحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتأمل حامل الراية (فقال له الملك لست بمصعب) كما ظننته (فعلم انه ملك) وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع العسر يسرا وهذا بناء على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقاله

يارسول

(وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ماكولا في الاكمال (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى انا جلوس (مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) أي السلام

(وقال نغمة الجن) بفتح النون أي هذه حركته وصوته وفي نسخة نغمة جني (من أنت) أي منهم (قال أنا هامة) بتخفيف الميم وفي بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفي نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة أو مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف أو لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمساني وهو أبو الجن كما ان آدم أبو البشر وقد ذكره البغوي في تفسيره عن مجاهد قال من ذريته ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقي نوحا ومن بعده) أي من الانبياء وغيرهم (في حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبي (وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) قال الحلبي وفي الميزان في حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد الحديث بطوله ذكر

الانطاكي وغيره انه قال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي في بعض جبال مكة أو عرفات اذ أقبل شيخ أعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال من أي الجن أنت قال أنا الهام ابن الهيم بن

يا رسول الله الم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته فيكون علم صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعداء بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى الله تعالى عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي أو ظن ان الله أحياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعدما علم انه ملك مع ان هذا السؤال غير وارد رأسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله تعالى عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد أسيد بن حضير وما روي من ان حامل رايته باحد علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت أولا بيد مصعب فلما استشهد أخذها الملك فلما تجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل أخذ علي الراية بعدما أمسكها الملك لحفظها لئلا تسقط ويخذل المأمون وتقر أعين الكفار وقول الملك انت مصعب يعني انت مصعبا المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعدما تسمى مصعبا (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقي وابن ما كولا (عن عمر بن الخطاب) رضي الله تعالى عنه (انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ أقبل شيخ بيده عصا) كونه بيده عصا تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر
(فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلامه بان قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن أعطى شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه (نغمة الجن) وفي نسخة نغمة جني أي هذه أو نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدأ مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حسن الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ مع شذوذه له نظائر كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع (من أنت) من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم (قال أنا هامة بن الهيم) بهاء مكسورة وتحتانية مفتوحة فميم (بن لاقس بن ابليس) في ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل لام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز بوزن كيف وعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء وزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان الياء سقطت سهوا من الكاتب (فذكر) للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده) من الرسل والانبياء (في حديث طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرآن) ستأتي والحديث عن عمر رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ أقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله زنمة الجن وهينمتهم فقال له من أنت قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا أبوين قال نعم قال فكم لك من العمر قال أفنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وأبكاني فقال لاجرم اني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرأت فيما أنزل الله على انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضأ واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما أمرني به فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت ألقى الياس بالاودية واني ألقاه الآن ولقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقرأه مني السلام فبكى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال على عيسى السلام مادامت الدنيا وعليك يا هامة باداثك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون عن النبأ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله أحد والمعوذتين وقال ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينعه لنا فلسنا ندري أحي هو أم ميت انتهى * واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا أصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته أكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما (وذكر الواقدي) محمد بن عمر بن واقد المديني صاحب التآليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه آخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في أكثر التفاسير (قتل خالد) بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السوداء (عند هدمه العزى) وفي نسخة قطعه وهي أظهر لان العزى كانت شجرة أو ثلاثة أشجار في مكان واحد بنوا عليها بناء وكانوا يعبدونها ويسمع منها أصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو بتقدير مضاف هو مفعول هدم كقطع أي قطعها أو هدم بناءها وكانت لغطفان وهي سمرة (للسوداء) مفعول قتل كما مر في نسخة السوداء واللام للتقوية وهو شيطان في صورة امرأة سوداء (التي خرجت له) أي لخالد رضي الله تعالى عنه لما باشر قطعها (ناشرة شعرها عريانة) واضعة

لاقيس ... النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كأني عليك قال أنا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما أطوف في الآكام وأفسد أطايب الطعام وآمر من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا يا محمد دعني عنك من اللوم انما حتمت تائبا وكانت توبتي في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه في السفينة وعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح في مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته في دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال والله أصبحت من النادمين وأعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف في النار وأسعى بين منجنيقه واطفاء نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران أوصاني ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان أقرئه منه السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لي عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرأه مني السلام فجئت أقرأ عليك السلام فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام مادامت السموات والارض وعليك يا هام فانك قد أديت الامانة فما حاجتك قال ان موسى علمني التوراة وعيسى علمني الانجيل وأحب ان تعلمني شيأ من القرآن فاقرأه في صلاتي فعلمه عشر سور من القرآن فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزي أيضا وقال العقيلي لا أصل له والله تعالى أعلم (وذكر الواقدي) وكذا روى النسائي والبيهقي عن أبي الطفيل (قتل خالد) ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التي خرجت له) أي لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) أي مفرقة (شعرها عريانة) أي واضعة يدها على رأسها داعية بالويل

يدها

(وعزلها) بجيم وزاي مخففة وتشدد للمبالغة أي قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك انى رأيت الله قد أهانك ويروى فجدلها بتشديد الدال أي فصرعها وفي رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاي المخففة أي فقطعها (وأعلم) أي خالد (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أي له كما في نسخة (تلك العزى) زيد في رواية ان تعبد أبدا وفي رواية تلك شيطانة (وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أبي هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير أو من شاط اذا هلك لهلاكه في الشر (تفلت) بتشديد اللام أي تخلص بغتة (البارحة) أي في الليلة الماضية (ليقطع على صلاتي) والمعنى تعرض لي بغتة ليغلبني في اداء صلاتي غفلة (فامكنني الله منه) أي أقدرني الله عليه (فاخذته فاردت ان أربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سواري المسجد) أي منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي) أي ما صدر عني في أمر ديني وهو بدل من دعوة أخي (وهب لي) أي من الدنيا (ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يحصل لغيري في حياتي أو بعد مماتي مبالغة في زيادة خارقة للعادة

يده على رأسها صحت ... ومباشرة وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها
(وجزلها) بجيم وزاي معجمة مفتوحة ... وزاي مشددة للمبالغة ومخففة أي جعلها جزلين أي قطعتين
وروي جدلها بدال مهملة مشددة وروي عن خطه بخاء وزاي معجمتين بمعنى قطعها وهما متقاربة
... السود أي قطعها (بسيفه) وهو يقول ياعزى كفرانك لاغفرانك
انى رأيت الله قد أهانك ... (وأعلم) خالد ... (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال تلك العزى) ان كانت الاشارة ... من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسوداء
... عزى وهي اسم للشجر ... باعتبار انها هي التي عبدوها حقيقة ... كانت
... يقال ... اطلاق الشئ على المقصود منه فهو مجاز
... قريش ... من أجل أصنامهم وقصة هدمها مفصلة في السير وكان خروج
خالد ... على التشكل بصور مختلفة كالملائكة لان هذه اذ قتل ما تصور
منه ... خالد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلك العزى لن تعبد أبدا وقتل سادنها
أي خادمها ... بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن
... مرة (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه (ان شيطانا) هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد أو من شاط اذا احترق فنونه زائدة أو
أصلية (تفلت) بتشديد اللام أي وثب بسرعة ... وأصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذ
تخلصت من مربطها (البارحة) هي الليلة الماضية قيل ... التي تكلمت فيه يعني في ليلة يومه وقد
... اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرح درة الغواص (ليقطع علي) بتشديد الياء متعلق
بيقطع يعني يبطل (صلاتي) التي كنت أصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت (فامكنني الله منه) أي
قدرني عليه وعلى أخذه ... (فأخذته) أي أمسكته وعقته عن مضيه وهروبه مني (فأردت ان
أربطه) بكسر الباء وضمها أي أوثقه بوثاق يضمه (الى سارية) أي عمود واسطوانة من عمد المسجد
(من سواري) جمع سارية (المسجد) المدني (حتى تنظروا اليه كلكم) لاجل ان تروه مربوطا (فذكرت
دعوة أخي سليمان) بن داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام وهي قوله في دعائه (رب اغفر لي) كل
ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معصوما (وهب لي ملكا) أي سلطانا عظيما
(لا ينبغي لاحد من بعدي) أي لا يتيسر لاحد غيري وهو أحد معاني الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب
وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة يفرد بها لتكون
خارقة للعادة دالة على نبوته مقدرة على تنفيذ أوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعاء بالمغفرة على
حصول المطلب ايماء الى ان السلطنة لا تخلو من أمور تحتاج لعفو الله تعالى أو حياء من الله لطلبه أمرا
... بغيره وانه تركه لتمام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزمخشري ان
سليمان عليه الصلاة والسلام نشأ في بيت ملك ونبوة وأراد أن يكون ما ورثه زائدا على غيره خارقا للعادة
... أمره ... انه باستحقاق الفيض الالهي لا بمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب قصر نعم
الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصائص الانبياء
... أمر آخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتي الكلام في تعيينه التي على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ... وجعل ليقطع صلاته فأخذه هو بنفسه لا ملك ... عنه كما قيل ولبعضهم
هنا ... تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة أخي وتسخير الجن داخل في

هذه الدعوة اقوله بعدها فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك تأدبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله تعالى وما نقل عن الحجاج من انه قال فى حق نبى الله سليمان انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان ان طلب من الملك شيأ يخصه به اذا علم انه لا يعطيه لا لواحد من مملكته فيجوز أن يكون هو ذلك الواحد بقوله (فرده الله) أى رد الله ذلك الشيطان باقدارى عليه وتمكنى منه (خاسئا) أى خائبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو واضح وقول البخارى فأرده فرده الله خاسئا بيان لانه وقع من روايته لانه روى فرددته وهى صريحة فى ذلك وهذا الحديث روى من طرق وفيها زيادة اختلاف ففى بعضها عرض لى فى صورة هر فأخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدى وروى انه سمع صلى الله عليه وسلم يقول فى صلاته أعوذ بالله منك وألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فسألوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى وقوله فى رواية المازرى أخذته وخنقته يعلم منه ان قول المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه أوتى مثل كل معجزة لغيره كما يأتى وفى بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جنى وعامر وهو الذى يخالط الناس وأرواح وهم الذين يعرضون للصبيان واجنتها قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له الابيض كما فى تفسير القرطبى (وهذا) أى ما كان له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الملائكة والجن (باب واسع) اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفى آكام المرجان ربطه الى السارية من التصرف الملكى الذى تركه لسليمان وتصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم نبوى بالدعوة للاسلام والامر والنهى فانه كان عبدا رسولا وهو أفضل من الملك النبى ثم ان خنقه وفعله به ما فعله فى صلاته احتج به على جواز مثله فى الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة فى صلاة الخوف انتهى وفيه تأمل

(فصل ومن دلائل نبوته)* صلى الله تعالى عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شئ آخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذى الذى الشيخ أحمد بن قاسم فى الآيات البينات هى جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل أن يكون جمع دلالة بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسى والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولى فى قوله دلائل الفقه صوابه أدلة وقال ابن مالك فى شرح الكافية الجيات فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما أعلم لكنه بمقتضى القياس جائز فى علم المؤنث كسعيد علم امرأة جمع على سعائد وذكر النحاة انه فى غاية القلة ورد منه لفظان لا يقاس عليهما وهما صائد جمع وصيد وهو الباب وسلائل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهرى تبايع جمع تبيع وافايل جمع أفيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بذلك فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا فخبط لا معنى له (وعلامات رسالته) العلامة الامارة وأكثر ما يستعمل فى الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى وأضاف الدلائل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة أصل والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلائل الدلائل القطعية وقدمها لشرفها وأضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل

(فرده الله خاسئا) أى خائبا وهذا صريح فى ان هذا الشيطان أحد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه وللاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبى هذا الشيطان يحتمل أن يكون ابليس وانه جاء ليلقى فى وجهه عليه السلام شهابا من نار فأخذه ويحتمل أن يكون غيره ولدى ظهور ان انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضى يفهم منه ان مثل هذا مما خص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته فى ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من أخذه اما تواضعا أو تأدبا أو تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم أولى وأسلم وأما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح فى كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله ومآله (وهذا باب واسع) أى لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) أى دلالات بعثته من أول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضى وعلامة رسالته

(متراد فت به الاخبار) أى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) أى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه أعلم النصارى وقد سافر به عمه أبو طالب فى أشياخ من قريش الى الشام فوافوا بصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ أتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى أنجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد وأشار بيده الى مكة فقالوا متى فرمى بطرفه الى أصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له ألست الذى قلت ما قلت وأخبرتنا فقال ليس به (وعلماء أهل الكتب) أى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى أصل الدلجى وعلماء أهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة أمته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) أى محمد فى التوراة وأحمد فى الانجيل وقال وهب ابن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) أى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب أهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من أشعار الموحدين) وفى أصل الدلجى وما وجد من ذلك فى أشعار الموحدين أى القائلين بالوحدة لالهية (المتقدمين) أى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة أحد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل أهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل لي صالحهم فخرج اليه من الاوس أحيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له أحيحة أيها الملك نحن قومك وقال بنيامين أيها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشد شعرا منه

ألقى الى نصيحة كى أزدجر ٭ عن قرية محجورة بمحمد

قال التلمسانى وهو أبو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه أحد ومن شعره المتواتر عنه

ما دل على النبوة دل على الرسالة لزوم تصديقه بعد نبوته فى قوله تعالى انى رسول الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها ومعلامة (ما ترادفت به الاخبار) أى تتابعت فجاء بعضها يتبع بعضها من غير انفصال كأن بعضها ركب خلف الآخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر (عن الرهبان) هم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا فى قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهى الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة فى الدنيا كما قيل

يهودى غلا من نصارى جاف ٭ واعجب له من راغب فى راهب

(والاحبار) جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من أهل الكتاب واشتهر فى علماء اليهود وقوله (وعلماء أهل الكتب) من عطف العام على الخاص وأهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفى نسخة الكتب جمعا وهما بمعنى (من صفته) صلى الله عليه وسلم (وصفة أمته واسمه وعلاماته) فى التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره وأمته الحمادون وفى الزبور عن وهب بن منبه سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد ومحمدا أمته مرحومة أعطيتهم مثل ما أعطيت الانبياء الى غير ذلك مما نقلها الثقات كقوله فى علامته فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين الى آخر ما ذكره من حليته فيه (وذكر الخاتم) بالفتح والكسر يعنى خاتم النبوة (الذى بين كتفيه) وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة أو بيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور فى كتب الله تعالى القديمة (وما وجد) بالبناء للمجهول (فى ذلك) أى مما يدل على نبوته ورسالته (من أشعار الموحدين المتقدمين) من العرب المتألهين قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم العالمين بما فى الكتب السماوية القديمة (من شعر تبع) بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به

الكثرة اتباعه المنقادين اه وأصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان تبع الاكبر وهو الاول والثانى أبا كرب وتبع الثانى هو الذى أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك أجل من ان يطير به فرق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السهيلى رحمه الله تعالى وهذا الرجل من اليهود وهو أحد الحبرين الذين كانا الملك سحيت ومنبه أو بنيامين ويأتى ان شامول كامه أيضا آمن به عليه الصلاة والسلام وكسى الكعبة وهو أول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على أحمد انه * نبى من الله بارئ النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم
وجاهدت بالسيف أعدائه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم
(وقوله) ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا باليت انى * أعمر بعد مبعثه بعام

(والاوس بن حارثة) بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان والاوس فى اللغة الذئب أو العطية سمى به وله تنسب الانصار وكان أوس من عدة ناس فى الفترة هداهم الله تعالى للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون أهل الكتاب فيخبرونهم بما فى كتبهم من ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيذكرونه فى خطبهم وأشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره أحد هنا فى الشراح وهو سيد جواد طائى كان صديقا لحاتم الطائى والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلى انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده أولى وقال التلمسانى انه روى هنا بدون الالف واللام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلى (وكعب بن لؤى) هذا هو الصواب وفى بعض النسخ لوى بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤى يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاى بمعنى البطؤ وهو أول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة فى الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال فى خطبة له أما بعد فاسمعوا وتعلموا * وافهموا واعلموا * ليل ساج * ونهار ضاح * والارض مهاد * والسماء بناء والجبال أوتاد * والنجوم أعلام * الى قوله الدار أمامكم * والظن غير ما تقولون * حرمكم زينوه وعظموه * فسيأتى له نبأ عظيم * وسيخرج منه نبى كريم * وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالاحداث حين تناوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

الى آخر مارواه ابن الجوزى مسندا فى كتاب الوفاء (وسفيان بن مجاشع) التميمى الدارمى المجاشعى جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذاهم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول * العزيز من والاه * والذليل من خالاه * والموفور من والاه * والموتور من عاداه * فقال سفيان من تذكرين الله أبوك فقالت * صاحب هدى وعلم * وبطش وحلم * وحرب وسلم * ورأس رؤس

قوله شهدت على أحمد انه رسول من الله بارئ النسم فلو مد عمرى الى عمره لكنت وزيراله وابن عم وأبيات كتبها وأودعها الى أهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند أبى أيوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من أهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام ففتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع أجداده عليه الصلاة والسلام وأما فى نسخة لؤى بن كعب فخطا (وسفيان بن مجاشع) أى وأشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة

* ورابض شموس * وماجن بؤس * وماهد عوس * وناعس ومنعوس * فقال سفيان لله أبوك من هو
قالت * نبي مؤيد قد أتى حين يوجد * ودنا أوان يولد * يبعث الى الاحمر والاسود * بكتاب لا يفند
* اسمه محمد * وقال سفيان لله أبوك أعربي هو أم أعجمي فقالت * أما والسماء ذات العنان * والشجر
ذات الافنان * انه لمن معد بن عدنان * فأمسك عني يا سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء ان
يكون هو النبي المذكور وهو أحد من سمي باسمه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا
ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في
المقصود (وقس بن ساعدة) الايادي قس بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر
الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكماء الزهاد حكيمهم وخطيبهم منقطعا للعبادة في بريه وآمن بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن
شاهين وغيره في الصحابة رضي الله عنهم وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة أو سبعمائة سنة وادرك
الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما
ضربها بعصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قدم الجارود
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سيد قومه فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت
صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد
من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من
يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت أقفو أثره كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له * ليبلغن الكتاب
أجله * ويقول * هاج للقلب من جواه اذكار * وليال خلالهن نهار * في أبيات أخر فقال له صلى الله تعالى
عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما أحفظه فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كنت
حاضرا وانا أحفظه سمعته يقول في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا * انه من
عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وارزاق وأقوات * وآباء وأمهات
* وأحياء وأموات * وجمع وأشتات * وآيات بعد آيات * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * ليل
داج * وسماء ذات ابراج * وارض ذات رتاج * وبحار ذات أمواج * مالي أرى الناس يذهبون فلا
يرجعون * أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا * أقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما
* ان لله دينا هو أحسن من دينكم الذي أنتم عليه * ونبيا قد حان حينه * وأظلكم أوانه * فطوبى لمن
آمن به فهداه * وويل لمن خالفه وعصاه * تبا لارباب الغفلة * من الامم الخالية والقرون الماضية
* يا معشر اياد * أين الآباء والاجداد * وأين المريض والعواد * وأين الفراعنة الشداد * وأين من شيد
وزخرف ونجد * وغره المال والولد * أين من بغى وطغى * وجمع فأوعى * وقال أنا ربكم الاعلى * ألم يكونوا
أكثر منكم أموالا * وأطول منكم آجالا * وأبعد منكم آمالا * طحنهم الثرى بكلكله * ومزقهم بتطاوله
* فتلك عظامهم بالية * وبيوتهم خاوية * عمرتها الذئاب العاوية * كلا بل هو الله أحد * الواحد المعبود
ليس بوالد ولا مولود * وانشأ يقول في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا للموت
ليس لها مصادر * ورأيت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر * لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين
غابر * أيقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر * انتهى وروى له أشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله تعالى
عليه وسلم كقوله الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث * ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث * ارسل
فينا احمدا خير نبي قد بعث * صلى الله عليه ما حج له ركب وحث * الى آخره ذكره الا ان ابن الجوزي
قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال

(وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين أسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره
الحمد لله الذي
لم يخلق الخلق عبث
لم يخلنا منه سدى
من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما
حج له ركب وحث
وقد رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره في الصحابة

(وماذكر) عطف على ما وجد أى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروف وقد يمنع وهو من ملوك حمير وممن كان شريفا من أهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال بالفظه سيف بن ذى يزن أهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور انتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنئه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم أبح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه أنى أجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال أيها الملك لقد أتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال أيها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم أهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال أيها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل أحسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاء بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسدوك أو ابناؤهم ولولا انى أعلم انى أموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره وأهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه أمره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فائتنى بخبره وما يكون من أمره * فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى أعلم (وغيرهم) أى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى أكون عنده بعدك أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنا عليه أوصيك ان تكون عنده ولكن قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل

قد

انه مجازف فى الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره أيضا فالصحيح انه ليس بموضوع (وما ذكر عن سيف ابن ذى يزن وغيرهم) ابن ذى يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزنى وازنى ويزانى وفيه وفى اشتقاقه كلام طويل للصاغانى وقال البرهان انه مصروف والذى فى القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل وأصله يزان ورد الصاغانى فى الذيل الصلة منع صرفه وأطال فيه وقال مادة يزان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى أسماء الاجناس وفى شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين أحدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم أبدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف على هذا الثانى انه ماض أصله يزن قلبت الواو همزة كما فى أحد ثم أبدلت ياء وسمى به فهو منصرف انتهى وهذا لا يرد عليه ما أورده الصاغانى وقوله لا تضاف ذو الا لاسماء الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهى لغة أهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصة سيف مشهورة فى التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وخويلد بن أسد وغيرهم من وجوه قريش واستأذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابناء الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال * أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا * شامخا منيعا * وانبتك منبتا طابت أرومته وعذبت جرثومته * وثبت أصله * وبسق فرعه فى أطيب موطن * واكرم معدن * وأنت أبيت اللعن أيها الملك رأس العرب وربيعها التى تخصب به * ورأسها الذى له ينقاد * وعمودها الذى عليه العماد * ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد * وسلفك لنا خير سلف * وأنت لنا خير خلف وان يخمل ذكر من أنت خلفه * وان يهلك من أنت سلفه * ونحن أيها الملك أهل حرم الله وبيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا بكشف الكرب الذى قدحنا * فنحن وفد التهنية * لا وفد الرزية * فقال له سيف وأيهم أنت أيها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فادناه وأقبل عليه وعلى القوم وقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا * يعطى عطاء جزلا

(وماعرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما ضبطه الذهبي أي وما عرفه (به من أمره) أي بعضه (زيد بن عمرو بن نفيل)
بالتصغير قال الحلبي زيد هذا والد سعيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب كان زيد يتعبد في الجاهلية قبل النبوة

قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم وأنتم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم ثم انهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم في الانصراف ثم أرسل إلى عبد المطلب وقال له بعد ما قرب مجلسه يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي أمرا لو يكون غيرك لم أبح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولك خاصة فقال عبد المطلب مثلك أيها الملك من سر وبر فما هو فداك أهل الوبر والمدر زمرا بعد زمر فقال له إذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أبيت اللعن لولا هيبة الملك وإجلاله لسألته عما ازداد به سروري فقال هذا حين زمانه الذي يولد فيه أو قد ولد واسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الأوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب أيها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك ودام أمرك وطال عمرك فهل للملك أن يسرني بإفصاح فقد أوضح لي بعض الإيضاح فقال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب إنك لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت فقال نعم أيها الملك إنه كان لي ابن كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كل ما ذكرت من علامة فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى آتي يثرب وأصيرها دار مملكتي فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وموضع قبره وأهل نصرته ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأوطأت العرب كعبه وأعليت على حداثة سنه ذكره ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء وعشرة أرطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بأضعافه وقال له إذا كان رأس الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره فهلك قبل رأس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني أحد من قريش بجزيل عطاء الملك فإنه إلى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى فإذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس أنه قال لعبد المطلب أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من أنه مات قبل الحول يعلم أنه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال إنه تابعي والحق أنه ليس كذلك ولا مخضرم أيضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي إشارة إلى أن مثله لا يقال بالرأي أيضا (وما عرف به من أمره) وكونه نبيا أم رسولا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول وإن صح بناء على أنه عرفه به أهل الكتاب والفاعل أوثانه (زيد بن عمرو بن نفيل) قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل

على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويطلب أحكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الأنصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان إذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم كما ذكره في الأحاديث وتوفي قبل النبوة ورثاه ورقة بن نوفل بأبيات معناها أنه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عن عبادة الأوثان وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الحلبي ذكر زيد عن راهب الجزيرة قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام إن كل من رأيت يعني من الأحبار والرهبان في ضلال إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه ارجع إليه فصدقه فلقيه وأتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث ببلدح فقال له أي عم مالي أرى قومك قد أنفوك قال أما والله إن ذلك لغير نائرة مني إليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه راهب الجزيرة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم أحس شيئا بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال أنا لا آكل مما يذكر

اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة أمة وحده كما رواه النسائى هذا وعدابن منده له واغيره ممن رآه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (و رقة بن نوفل) أى وماعرف به من أمره ورقة بن نوفل بن أسد عن رهبان كثيرين وقد أخبرته خديجة بنت خويلد بن أسد بما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا تبكر ام أنت العشية رائح * وفى الصدر من أضمارك الحزن قادح لفرقة قوم لاأحب فراقهم * كانك عنهم بعد يوم بين نازح فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح فذاك الذى وجهت ياخير حرة * بغور و بالنجدين حيث الصحاصح ٢٦٢ الى سوق بصرى والركاب التى غدت

ابن عبد العزى بن رباح العدوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث أمة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك وأهله ويوحد الله ويقول لقريش ماقومكم على شئ قد أخطأوا دين ابراهيم باوثن لاتضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم ولا يا كل ذبائحهم فاجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نبوته وتوفى قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال أراك تريد دين ابراهيم يا أخا أهل مكة انك لتطلب دينا لايوجد اليوم وهو دين أبيك ابراهيم فالحق ببلدك فان الله يبعث لك من ياتى بدين ابراهيم الحنفية وهو أكرم الخلق على الله تعالى انتهى المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره أيضا انه لقى راهبا بالجزيرة فساله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان فى ضلال وانك لتسال عن دين الله وقد خرج فى أرضك أوهو خارج نبى يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته ببلدحيد فقال ياعم مالى أرى قومك قد أبغضوك فقال اما والله ان ذلك لغير ثائرة منى اليهم ولكنى أراهم على ضلالة فخرجت أبتغى هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ما أشار اليه المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بلخم (و ورقة بن نوفل) أحد النفر الذين كانوا فى الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو معطوف على زيد أى وماعرف به ورقة من أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبر به خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها كما ذكره البخارى وآمن به بعد رسالته ولذا قيل انه أول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخبره بامره ابشر فانك الذى بشر به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم فى الجنة عليه ثياب خضر وقال لاتسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم (وعثكلان الحميرى) بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام وألف ونون والحميرى نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا أى ماعرف به من أمره صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفى الخصائص ان ابن عساكر أخرج من طريق عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث عن أبيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميرى وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا

وهن من الاحمال قعص دوانح
يخبرنا عن كل خير بعلمه
وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل
الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به ان سوف يبعث صادقا
كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له
بهاء ومنشور من الذكر واضح
وتتبعه حيا لؤى جماعة
شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره
فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى ياخديجة فاعلمى
عن أرضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكر بعضهم بانه صحابى بل هو أول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة جئت اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتاه بعد مجىء جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة أو جبتان واما مانقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده مافى صحيح البخارى عنه صريحا (وعثكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير أبى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول أى وماعرف به من أمره من الرهبان لكنى لم أر من ذكره فى معرض البيان

(وعلماء اليهود) وفي نسخة وعلماء يهود أي من كتبهم أو من أخبارهم عن أحبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا الا نعلم قال الله أكبر اما اذا أخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا فانظروه فدخلوا به على أمه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم أفاق فقالوا ويلك ما هالك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفي آخره لام لا كاف كما في أصل الدلجي (عالمهم صاحب تبع) وهو الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبي آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده (وما ألفي) بضم همزة فكسر فاء وأما القاف كما في نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) أي مما دل على ما ذكر من صفته وخبره

جئت اليمن فنزلت عليه مرة فسألني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واسند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالمعجبة وأبشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرف ولا تباله هو من بني هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن أحق الوثبة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رآني صلى الله تعالى عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته وأسلمت فقال أخا حمير مؤمن مصدق بي ومشاهدني أولئك من اخواني حقا انتهى (وعلماء يهود) وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

أولئك أولى من يهود بمدحة * اذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه أي ما عرف به من أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن أسلافهم كابن صوريا وابن أخطب وأبي ياسر ووهب بن يهودا وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من أسلم ومنهم من عاند حسدا فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال (وشامول عالمهم) بشين معجمة وميم ولام بينهما ألف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفاء لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود وقال اني مخرب هذه البلدة حتى يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ أعلم اليهود أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي أنت به يكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكن النصرة قال تكون له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله (صاحب تبع) أي الذي كان معه ورهبان آخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله (من صفته وخبره) صلى الله تعالى عليه وسلم كما عرفته آنفا بيان لما عرف به (وما ألفي من ذلك) أي من صفته وخبره

(في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) أي علماء هذه الامة (وبينوه) ففي التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك واجرى قولي في فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه وفي الانجيل قول عيسى عليه السلام اني أطلب الى ربي فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي النبوة هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلت به اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبراذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) أي عن التوراة والانجيل وفي أصل الدلجي عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لا يلائم قوله (ثقاة من أسلم) وفي نسخة ثقاة من أسلم بالاضافة (منهم) أي من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود وأخباره شهيرة كثيرة (وابني سعية) بفتح فسكون فتحتية أو فنون والمعروف انهما اثنان كما في بعض النسخ وبني سعية من غير ألف لعله سهو أو محمول على ان أقل الجمع اثنان وان قول الحلبي فيحتمل ان القاضي رأى معهما أسد ابن عبيد فظنه أخاهما فهو من الظن السوء به نعم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة لم ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفي دلائل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال أسيد وثعلبة ابني سعية وأسيد ابن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير يعني نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اقدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما افتتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبابا احداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن فردها اليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمي أخي يوسف عليه السلام

(في التوراة والانجيل) والنجيل بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتي طرف منها واعلم ان التبابعة أربعة وقد اختلفوا في أيهم آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم هل هو الاكبر أو غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله (مما قد جمعه العلماء) في تآليفهم بيان لما الذي فيهما من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبره (وبينوه) أي أظهروه ووضحوه للناس (ونقله عنهما ثقاة من أسلم منهم) أي من أهل الكتاب (مثل) عالمهم وحبرهم عبد الله (ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه (وبني سعية) بني جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون أكثر وأشهر وهم ثعلبة وأسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من هذل بنو عم قريظة والنضير أسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي أعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي رأى معهم أسد بن عبيد فظنه أخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من أهل الشام يقال له ابن الهيبان أقام عندهم وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما أقدمني هذه البلدة خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت أرجوا ان أدركه فاتبعه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية وهم أحداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا أهلهم وأموالهم ودماءهم كما في الاكتفاء ودلائل البيهقي (وابن يامين) بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بنيامين ويقال بليامين باللام وهو أحد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر سخيت كما روكأنه تصغير سخت كما قاله التلمساني وقال الشارح الجديد

(ومخيريق) بالتصغير وخاء معجمة قال الدلجي انه أسلم وأوصى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف أوصى بسبعة حوائط
قال الخطيب هو قاتل يوم أحد حتى قتل وقال الواقدي كان حبرا عالما فآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بأنه أسلم (وكعب) أي كعب الأحبار (وأشباههم ممن أسلم من علماء اليهود) أي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فإنه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وإنما أسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا ومقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة إن لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نسطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ما جرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية إلى الشام (وضغاطر ٢) بفتح أوله وكسر الطاء وهو الأسقف الرومي أسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري

ما أصبح عليه (ومخيريق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والياء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة التصغير وكان عالما حبرا من أحبار اليهود كثير المال والخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته فلا يمنعه إلا غلبة إلف دينه فلما كان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود إنكم لتعلمون أن نصر محمد لحق عليكم قالوا اليوم يوم السبت فقال لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وعهد إلى قومه إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع بها ما أراه الله فقاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود علم اسم هذه القبيلة ولا شك أنه منها ومن خيرها إلا يقال كيف أضافه لهم بعد إسلامه ولا مرية فيه فتأمل (وكعب) بن ماتع وهو كعب الأحبار كما تقدم التابعي المشهور أدرك زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما روي عنه آثار كثيرة في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة كما في الوفاء وكتاب الشرف لأبي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر وسأل عمر رضي الله تعالى عنه عن صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فقال إن فيها أن سيد الناس وأصفى من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد الحق ثم ينتقل إلى طيبة فيمكنون حربه وأيامه بها ثم يقبض ويدفن بها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (وأشباههم) من علمائهم الذين كانوا يعرفون أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبارهم من كتبهم (ممن أسلم) وآمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه كمخيريق أو لم يره ككعب (من علماء اليهود وبحيرا) عطفه على علماء اليهود لأنه ليس منهم فإنه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة وألف مقصورة على المشهور إلا أن البرهان قال إن رأيته ممدودا بخط العلامة ابن المرحل فلعله وقف على أنه فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة في صومعة له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه ولا يلتفت لأحد منهم فلما ذهب أبو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير ابن تسع سنين أو اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش إني صنعت لكم طعاما فاذهبوا ومعه وتركوه في رحالهم تحت شجرة فقال لهم هل بقي أحد فقالوا لا إلا ولد صغير فدعاه حتى أتى فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دأبه فقال إني رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وإن مثله لا يكون إلا النبي وإنا لنجده في كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لأبي طالب احترس عليه من اليهود وأقسم عليه أن يرده فقيل إنه رده وقيل أسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من أول من آمن به وعد من الصحابة إن قلنا إن من اجتمع به مؤمنا قبل البعثة يعد من الصحابة (ونسطور الحبشة) احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون إضافة للحبشة وقد قال الشراح إن نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء أهل الكتاب الذين كانوا عند النجاشي (وصاحب بصرى) بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام وقيل إنها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها الذي أرسل إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث ابن أبي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال إنه مات عام الفتح ولم يذكر قصته وإسلامه وما أخبر

٢ قوله وضغاطر موجودة بالصفحة الثانية لوجود تأخير وتقديم بالأصل اه فلتحرر

به عن أمره صلى الله تعالى عليه وسلم (وأسقف الشام) وفى نسخة أساقفة الشام ويعنى بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم وأسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا أسرب وحكى ابن سيدة تخفيفها وهو الاسلف للصالح وقال العينى فى شرح البخارى ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام فى المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسى فى كتاب مجمع الرغائب والغرائب فى الحديث فى كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع أسقف من سقيفاه وجمعه أساقفة والسقيفى مصدر والحليفى ومعناه لا يمنع أسقف من تسقفه ولا راهب من ترهبه والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفى خطبة الحجاج المعروفة ايا كم وهؤلاء السقفاء قال القتيبى أكثرت السؤال عنه فلم يعرفه أحد وقال بعض أهل اللغة انما هو الشفعاء أى الذين يشفعون عند السلطان فى المريب انتهى وفى القاموس وقول الحجاج ايا كم وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان فيشفعون فى المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشرى أثبته فى الفائق والاسقف عالم النصارى ورئيسهم (وضغاطر) بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما ألف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطن بنون وبفاطر وحدة تحتية مفتوحة وفاء وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية رضى الله تعالى عنه لما أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه وأظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبى وكان ذلك فى سنة ست من الهجرة وهو الذى أبهمه البخارى فى أوله فى قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره فى العلم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلنى عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له هذا الذى كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكى فقال لى الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وأنى قد آمنت به وصدقته وروى ابن اسحق ان هرقل أرسل دحية الى ضغاطر الرومى وقال انه فى الروم أنفذ قولا منى فاظهر اسلامه وألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان عندهم أعظم منى وحينئذ فضغاطر تابعى مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضى الله تعالى عنه وفد على هرقل مرتين (والجارود) ابن عمرو بن العلاء أو ابن المعلى ويكنى أبا غياث أو أبا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو وأصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا فى دينه وأدرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وكفر من لم يشهد وله أشعار رويت فى السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض

فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقيل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمى الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم قال العبدى

ودسناهم بالخيل من كل جانب * كما جرد الجارود بكر بن وائل

(وأسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) أى ابن العلاء وفد فى قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه

وقيل لأنه فر بإبله وبهاداه لي أخواله بني شيبان ففشا الداء في إبلهم حتى أهلكها فهو فاعول من الجرد
بالجيم وهو الاستئصال (وسلمان) الفارسي وقصة إسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له بمبعث النبي
صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها (وتميم) الداري نسبة للدار وهو بطن باليمن من لخم
هم ولد هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد وهو تميم بن أوس بن خارجة بن
سواد وقيل سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار ويكنى بأبي رقية وأسلم سنة تسع وسكن المدينة
ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وكان من أهل الكتاب عالما بكتبهم فقرأ فيها نعته رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وتبشيره به فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وأقطعه أراضي
بالقدس وقصته مشهورة أفردها ابن حجر وكذا السيوطي بالتأليف (والنجاشي) بفتح النون
وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصحمة وقيل غير ذلك كسلم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي
في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغائب
وهاجر إليه المسلمون الهجرة الأولى وكان من قصة إسلامه المشهورة أنه قال للقسيسين أشهد أنه رسول
الله وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك أتيته وكنت أحمل نعليه وكان من أعلم أهل عصره
بالإنجيل يقرأ فيه صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكي حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام في
ترجمته (ونصارى الحبشة) هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم في الإنجيل وأخبروا بها
(وأساقفة نجران) وفي نسخة أساقف بدون هاء جمع أسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا أي علماؤهم
ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة وألف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران
ابن زيدان بن سبأ بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه سمي أهله وهم نصارى وفدوا
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي ستون راكبا من أشرافهم وكان لهم علم الكتاب وأشرفهم
أبو حارثة كان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنائس وأخدموه
فقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أخوه كوز بضم الكاف وآخره زاي معجمة على
بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الأبعد فقال له لم يا أخي قال لم لم تؤمن بهذا النبي وإنه الذي كنا ننتظره
فقال بلى والله فقال له فما يمنعك قال ما صنع هؤلاء القوم شرفونا وتولونا وقد أبوا إلا خلافه ولو فعلت
نزعوا منا كل ما ترى فأضمرها في نفسه حتى أسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت
العصر وعليهم الحبرات في جمال لم ير مثله حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يصلون إلى المشرق فقال دعوهم ثم أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه منهم أبو حارثة والعاقب
والأيهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسلموا فقالوا أسلمنا
قال كذبتم يمنعكم الإسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب وأكل الخنزير فأنزل الله تعالى فيهم أول سورة
آل عمران ولما أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا وقالوا إنه ما لاعن نبي قوما إلا استؤصلوا
ثم نزلوا على أمره فأسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقضي
بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك)
أي بنبوته صلى الله عليه وسلم وأنه بشر به في الكتب القديمة (هرقل) ملك الروم وقصته مذكورة في
أول البخاري وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف كما مر وحكي إسكان الراء وكسر القاف وكان
يعرف أمره صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب الإلهية ولكن أحب الملك فحكم بشقوته مالك الملك
وفي الاستيعاب أنه آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر لأنه قاتل المسلمين بمؤتة ووعدهم أن
يأتيهم في العام القابل فالأصح الأول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وبأحوال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخبر به دحية (وصاحب رومة) بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة

(وسلمان) أي الفارسي (والنجاشي) وهو أصحمة (ونصارى الحبشة وأساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع أسقف أي علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا في القاموس وقال الذهبي في تجريد الصحابة ما لفظه أسقف نجران قال أبو موسى لا أدري أسلم أم لا ولم يذكره غيره نقله الحلبي (وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) أي بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفي نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفي أخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا في أكثر النسخ وقال الحلبي صوابه رومية بتخفيف الياء كما في الصحيح وهي مدينة رياسة الروم وأعلامهم

(عالما النصارى ورئيساهم) كما في البخاري ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبي ويروى النصرانية ورئيساها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) أي ملك القبط قال الذهبي في تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مدخل له في الصحابة ذكره ابن منده وأبو نعيم ومازال نصرانيا ومنه أخذت مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطني جريج ابن سينا انتهى وأثبته أبو عمر وفي الصحابة ثم أمر بان نضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته في اثباته في الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال أخبرني المقوقس انه أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبي فائدة لهم شخص آخر معدود في الصحابة يقال له المقوقس في معجم ابن قانع قال الذهبي لعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لا يعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبي اسمه عبد الله ذكر السهيلي عن النقاش انه أسلم وقال الدلجي أسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى أعلم (وابن أخطب) هو حيي أبو صفية أم المؤمنين (وأخوه) هو أبو ياسر بن أحطب قتلا كافرين صبرا مع أسرى بني قريظة (وكعب بن أسعد) صاحب عقد بني قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبي عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن أسد وكانوا ستمائة أو سبعمائة أو ثمانمائة أو تسعمائة (والزبير) بفتح الزاي وكسر الباء (ابن (باطيا

بلياها في أكثر النسخ وفي بعضها رومية بياء مخففة عند أهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطاء مهملة وهو لفظ عجمي معناه حارس الكروم والعامة تقوله ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا وأعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه أسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقاء على البقاء على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها سار يأتيهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على مزعمه (عالما النصارى) مثنى عالم (ورئيساهم) مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية أي حاكمها (ومقوقس صاحب مصر) أي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي قيل معناه عندهم مطول البناء وهو الذي أهدى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اتخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومازال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس آخر عد في الصحابة قاله الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام (والشيخ صاحبه) أي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجائب أحال عليها في مروج الذهب فان وقفنا عليها ألحقناها بما هنا (وابن صوريا) بضم الصاد المهملة وواو ساكنة يليها راء مهملة مكسورة ومثناة تحتية وألف مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه أعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه أسلم وقيل أسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحق اسلامه وعده في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف رحمه الله مبني على عدم اسلامه (وابن اخطب) بزنة أفعل من الخطابة وهو حيي أبو أم المؤمنين صفية رضي الله تعالى عنها (واخوه) أبو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسراء بني قريظة وكانا يعلمان أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما في التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا أشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما أسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المدينة غدا اليه أبي وعمي ثم جا آبا العشي فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم الحديث (وكعب بن أسد) من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على نسائكم وأموالكم وأهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى آخر القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية ودال مهملة (والزبير بن

باغيا) بكسر الطاء قال الدلجي في نسخة باغيا بالتحتية وقال الحلبي وغيره ذا المؤلف باطا بالطاء بلا همزة وهو أي الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما في البخاري وقال ابن منده وأبو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد ابن أمية الاوسي (وغيرهم) أي وقد عرف ثبوت نبوته وحقيقة رسالته جماعة غيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستاهله انفة (على البقاء) أي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) أي تعبه بالعذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي أصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء أي المداومة على الشقاوة (والاخبار في هذا) أي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لا تنحصر) أي بحيث لا تحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء أي ضرب عليه السلام بشدة وأبلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) أي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل أيضا جسدي في أمري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة أيضا قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد الحديث وفي الزبور يا داود انه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوأ أو ادخره لهم في الآخرة

باغيا) الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة أيضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة كان من أعلم اليهود روي عنه ابنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان أبي يختمه فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباغيا بموحدة وألف تليها غين معجمة ومثناة تحتية وألف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية فيه (وغيرهم من علماء اليهود) الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروا صفته نقلا عن كتبهم واحبارهم ولهم ذكر في مفصلات السير (ممن حمله الحسد) له صلى الله تعالى عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل (والنفاسة) بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الانفس بان يدعي انه أنفس وأحق بما هو فيه وانه لا يستاهله ولا يستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كأنه حمله حتى أوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر (على البقاء على الشقاء) أي اصراره على كفره أو ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين الشقاء والبقاء تجنيس (والاخبار) الواردة (في هذا) الباب (كثيرة لا تنحصر) اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها الذي لا يمكن حصرها أي الاحاطة بها (وقد قرع) بالبناء للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والتصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف ففيه استعارة للمبالغة في الجهر حتى كأنه يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر (اسماع اليهود والنصارى) خصهم لانهم أهل الكتاب وقدم اليهود لانهم أشد عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر انكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود والنصارى فعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود أشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر (بما ذكر انه في كتبهم) متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أصحابه) وفي نسخة وصفة أمته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهما خصوصا وعموما وما في التوراة من خير أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة أناجيلهم في

(واحتج) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث أنكروا نعته ونعت أمته (بما انطوت) أى اشتملت (عليه من ذلك) أى النوع (صحفهم) أى كتبهم (وذمهم) أى النبى عليه السلام (بتحريفهم ذلك) أى بتغيير مبناه أو تغيير معناه (وكتمانه) أى بعدم تبيانه (وليهم ألسنتهم) أى فتلها

وصرفها (ببيان أمره) أى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما أمره به من دعواهم الى المباهلة أى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) أى فى المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فامنهم) أى من اليهود والنصارى (الامن فر) أى هرب وفى نسخة صحيحة نفر أى أعرض (عن معارضته وابداء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وأبدى بصيغة الماضى أى أظهر (ماألزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) أى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) أى المسارعة اليه فى مقام الجدال (أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) أى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) أى لليهود حين قالوا عند مقرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية لسنا أول من عليها حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان ياتوا فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو أمره بمحاجتهم ومدافعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما أنذر به) أى مع ما أعلم بظهوره ووجود نوره (الكهان) أو بما خوفوه من حلول الباس والنقم بمن خالف وما أسلم

صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر فى كتابه خير البشر بخير البشر (واحتج) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أقام الحجة (عليهم بما انطوت عليه صحفهم) أى بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهى الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لاتجمع على فعل الانادرا (من ذلك) أى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته (وذمهم بتحريفهم ذلك) المذكور فى كتبهم بتغيير بعض ألفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به فى كتابنا (وكتمانه) أى اخفاء صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفة أمته كما قال الله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (وليهم ألسنتهم ببيان أمره) أى صرفه لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره وأصل اللى فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب قال الله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب انتهى (ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب) أى قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهى اللعنة بان يقول كل منهم العنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لاتمضى عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد فى الدعاء ويتعدى بعلى (فما) أحد (منهم) أى اليهود والنصارى (الامن نفر) أى أعرض وهرب (عن معارضته) فيما قرع به اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها (وأبدى) فاعله ضمير من وافرده نظر اللفظه وجمعه فى قوله (ماألزمهم) نظر المعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (من كتبهم) بيان لما أى مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة (اظهاره) مفعول الزم أى ألزمهم اظهاره اذا كتموه (ولو وجدوا خلاف قوله) فى كتبهم (لكان اظهاره) اسم كان وقوله (أهون عليهم) أى أسهل خبر كان (من بذل النفوس) بموحدة وذال معجمة أى اعطائها له بالقتل (والاموال) التى غنمها وأخذها منهم قهرا (وتخريب الديار) كما وقع ليهود خيبر وبنى النضير (ونبذ القتال) أى تركه وهو أشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها (وقد قال لهم) جملة حالية أى لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فقالوا لسنا اول من حرمت عليه فقد حرمه على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا بنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما فى قصة الرجم وكانوا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه فى التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من أكلها لانه كان به عرق النساء وهى تضره (الى ما أنذر به الكهان) جمع كاهن وهو الذى كان يخبر بالامور قبل وقوعها ويدعى الاطلاع

عليها لا انذارا اعلام بما فيه من وعظ وتخويف والى غاية لما تقدم أى انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم بقرب زمانه أو الى بعني مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين (مثل شافع بن كليب) شافع بشين معجمة كاسم الفاعل من الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب أخبر تبعا بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبمهاجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا أعرفه (وشق وسطيح) وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب تأتيه فيخبرهم بما سيأتى وسطيح بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة رأسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلثمائة سنة وقصتهما وذكرهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما أرسل كسرى عبد المسيح يسألهما عن رؤياه مذكورة فى السير مشهورة ولهما قصص كثيرة فى التواريخ وأدركا زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وسواد بن قارب) بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسى الصحابى وكان كاهنا من كهان العرب له رئى من الجن يأتيه ويخبره بالغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ أتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى عز وجل والى عبادته ثم أتاه ليالى يقول له مثل مقالته فركب ناقته وأتى المدينة واجتمع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وأخبره بخبر رؤيته وما قاله له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفصيله فى السير (وخنافر) بضم الخاء المعجمة ونون وألف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئى من الجن أخبره ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم على يد معاذ رضى الله تعالى عنه كما يأتى ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى وهو ابن التوأم الحميرى وله جنية تسمى شصارا وشاعر وكان عاتيا اذا مال وسعة فأسلم وحسن اسلامه وفى آمال القالى عن الكلبى قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهنا وقد أوتى بسطة فى الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبى صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام أغار على ابل لمراد فلحق بأهله وبها الشجر فخالف بها جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئى فى الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادى هوى عليه هوى العقاب وناداه خنافر فقال شصار فقال أقول قال قل اسمع فقال عه تغنم لكل مدة نهاية وكل ذى أمد الى غاية قلت أجل قال كل ذى دولة الى أجل ثم يتاح لها حول انتسخت النحل ورجعت الى حقائقها الملل انك بخير موصول والنصح لك مبذول انى لست بأرض الشام نفرا من آل العرام حكاما على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف فأصغيت فزجرت فعاودت فظلعت فقلت بم تهيمون والى م تعترون قالوا خطابا كبارا جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار أصدق الاخبار واسلك أوضح الآثار تنج من أوار النار وما هذا الكلام قال فرقان بين الكفر والايمان رسول من مضر من أهل المدر انبعث فظهر فجاء بقول قد بهر وأوضح نهجا قد دثر ومواعظ لمن اعتبر ومعاذا لمن ازدجر ألف بالآى الكبر قلت ومن هذا المبعوث من مضر قال أحمد خير البشر فان آمنت أعطيت البشر وان خالفت أصليت سقر فآمنت يا خنافر وأقبلت اليك أبادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من أين أبغى هذا الدين قال من ذات الاخرين والنفر الميامين أهل

(مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف النسب (وشق) بكسر أوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكأنه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذئب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسد مائى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلثمائة سنة وانه خرج مع الازد أيام سيل العرم ومات فى أيام شيرويه بن هرمز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة وهو الذى أول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد ابن قارب) بكسر الراء أزدى كان كاهنهم فى الجاهلية أخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه أخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما يأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير أسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم

الماء والطين قلت أوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهنالك أهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم أماس عنى فنمت مذعورا لداعى الصباح * فلما فرق لى النور امتطيت راحلتى وأذنت عبدى واحتملت بأهلى حتى وردت الجوف فرددت الابل على أربابها بحولها واسقائها * وأقبلت أريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل أمير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمنى سورا من القرآن فمن الله تعالى على بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما فى الخبر من اللغة فان أردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية (وافعى نجران) هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمى فعن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك فاسود شعرى وثار عقلى ونبتت اسنانى وهؤلاء ولدى اصلبى وخلفهم من نسلهم أضعافهم وقد سمعت أفعى نجران يذكر فى غابر الزمان انه سيبعث نبى من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذى فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لى عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان قيل لم تعتبر اثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران هذا هو الذى حكم بين أولاد نزار لما تشاحوا فى ميراث أبيهم وهم مضر وربيعة وانمار واياد وقال يا مضر أنت أبو النبى التهامى فانا نجد فى الآثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان وانى لارى للنبوة بين عينيك نورا وأجلسه على سرير ملكه وجلس تحته وهذا ما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى والشراح كلهم لم يقفوا عليه (وجذل ابن جذل الكندى) قال الحافظ الحلبى لا أعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب أخبر بمبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم قديما ولم نر تفصيل قصته الآن انتهى التلمسانى قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهى قبيلة معروفة لما ولدته أمه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها فى سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم أبيه فقامت وهى تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم أبيه (وابن خلصة الدوسى) بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكر واله ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال فى الخصائص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرادس بن قيس الدوسى قال ذكرت الكهانة عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم لى الا خيرا قلنا وما ذاك قالت انى لفى غنمى اذا غشيتنى ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المرأة فحبلت فلما دنت الولادة وضعت غلاما أعصف له أذنان كأذنى الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيأ فلما كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا قال ما أدرى كذبنى الذى كان يصدقنى اسجنونى فى بيتى ثلاثا ثم ائتونى ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كأنه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السماء وخرج خير الانبياء فقلنا من أين قال بمكة وأنا ميت فادفنونى برأس جبل فانى سأضطرم نارا فاذا رأيتم ذلك فاقذفونى بثلاثة أحجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فانى أهدى وأطفى ففعلنا ذلك وأقمنا حتى قدم علينا الحاج فأخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح اعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كاهنا ذكرا وانما هى كاهنة فاعرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها (وسعدى بنت كريز) بضم الكاف العربية وبالراء المهملة وآخره زاى معجمة وفى النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهى خالة عثمان بن عفان أخت أمه كانت

(وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم فى الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السباق واللحاق وقال الحلبى ما أدرى ما أراد القاضى أخيه أم شخص اسمه أفعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندى) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسى) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفى آخره زاى وفى نسخة صحيحة سعد ابن بنت كريز وفى أصل الدلجى سعد بن كرز

(وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم نعرف لهم ترجمة (ومن لا يعد كثرة) أى من أخبر بظهوره وطلوع نوره (الى) أى مع (ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته) أى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة * يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب * ثم عترت له بعد أيام أخرى فقال * يا مازن استمع تسر * ظهر خير بطن شر * وهو نبى من مضر * بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * فقلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول أجيبوا داعى الله اسمه أحمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة * يا عصام يا عصام جاء الاسلام * وذهب الاصنام * وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام * يا طارق يا طارق * بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول أى وما سمع (من هواتف الجن) كذا فى أصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه أبو الجن ولعله لغة والهاتف

هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم * يا ذباب يا ذباب * اسمع العجب العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو بمكة فلا يجاب * وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع * وكسماع خالد ابن بطيح * جاء الحق القائم * والخير الدائم * وكسماع سواد بن قارب من رئيه وهو نائم ايلا * قم فافهم واعقل ان كنت تعقل * قد بعث نبى من لؤى بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن وأجناسها * وشدها العيس باحلاسها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى رأسها

ثم نبهنى وافزعنى وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهنى فى الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس قدماها كأذنابها

فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهنى فى الثالثة وقال

عجبت للجن واخبارها * وشدها العيس باكوارها

تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس ذوو الشر كاخيارها

فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع فى قلبى حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه منى ثم انى انشدت

أتانى رئيى بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد تلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبى من لؤى بن غالب

فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء عند السباسب

فى الجاهلية لها علم وكهانة واخبرت عثمان ببعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما أسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولى الى الهدى * بها رشده والله يهدى الى الحق

وفى بعض النسخ سعد بن بنت كريز (وفاطمة بنت النعمان) قال التلمسانى هى فاطمة بنت النعمان البخارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء اقتحم عليها فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبى بحرم الزنا فكان ذلك أول ما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكانت فى الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان ابن قراد وقيل هو تلى بن نعمان بن قراد وروى عن ابن عمرو وغيره فهو تابعى ونعمان اسم موضع واسم الدم أيضا (ومن لا يعد كثرة) وفى نسخة بنعد مطاوع يعد أى لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره ضعفه وما أو منتهيا (الى ما ظهر على ألسنة الاصنام) الظاهر انه استعارة تمثيلية شبه ما فى ظهور صوت شخص تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائى الذى يشترط الآلة المخصوصة للنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام أو نطق الاصنام الا أن يراد باللسان الكلام وليس بشئ لما علمت من انه استعارة وهو تغيير فى وجوه الحسان وقد ذكر ابن اسحق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من أجواف أصنامهم يقول ان أمرهم بطل بظهور الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق (من نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (وحلول وقت رسالته) ومن بيانية لما كصنم كان لمازن الطائى قرب له يوما قربانا فسمعه يقول مازن اقبل الى اقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * الى آخر ما فى السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل الى النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هى التى تسمعهم الكلام من غير ان يروهم (وسمع) مبنى للمفعول معطوف على ظهر (من هواتف الجن) وفى نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان أبو الجن والجن الجنس كله

فاشهد أن الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب * وانك أدنى المرسلين شفاعة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب * فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب قال فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصيب بمعنى منصوب للعبادة أى وماسمع منها كسماع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل رأى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح أمر نجيح رجل نصيح يقول لااله الاالله (وأجواف الصور) أى وماسمع من أجوافها كما مر عن مازن السادن وغيره (وماوجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد أو حال من ضميره (بالخط القديم ما) أى الذى أكثره مشهور) أى كما هو فى كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) أى فى كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة فى الاخبار
* (فصل) *
(ومن ذلك) أى مما يدل على نبوته ورسالته (ماظهر من الآيات) أى خوارق العادات (عند مولده) أى قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وماحكته أمه) أى آمنة بنت وهب انها أتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) أى وماحكاه من حضر مولده (من العجائب) أى مما سيأتى قريبا أبيض

والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالى مطلقا ثم خص بصوت يسمع ممن لايرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن عند العرب وكانت عند مبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرة ذلك وللخرائطى كتاب الهواتف جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه آية عظيمة من آياته وظهور بيناته كسماع ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب * اسمع العجاب * بعث محمد بالكتاب * يدعو فلا يجاب * وسماع ابن قرة الغطفانى هاتفا يقول جاء حق فسطع * وذم باطل فانقمع * وسماع قريش هاتفا يخبر بنزواه صلى الله تعالى عليه وسلم على أم معبد الى غير ذلك فكل الكون ألسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء والصوفية يسمعون الواردات الالهية هاتفا كما مر (ومن ذبائح النصب) أى ماسمع منها اذ قربت للذبح والذبائح جمع ذبيحة وهى مايذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ماينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ماسمع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا له ثم فقال يا آل ذريح * أمر نجيح * رجل فصيح * يقول لااله الاالله الى آخر ماروى (وأجواف الصور) أى ماسمع من الاصنام التى كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهى التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شئ (وماوجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا فى الحجارة والقبور) أى وعلى القبور (بالخط القديم) المتقادم عهد كتابته (والشهادة له بالرسالة) بذكر اسمه وانه نبى مرسل من الله تعالى (ما أكثره مشهور) بين الناس وما الثانية بدل من الاولى أو خبر والاولى مبتدأ وهما موصولتان وقد نقله ثقات المؤرخين فى قصص لاتحصى ومكتوب روى مرفوعا خبر مبتدأ محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر أى ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبرانى على بعض الحجارة محمد تقى مصلح أمين وان فى تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالنار كيف ينصب وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها أنا الله لااله الا أنا محمد عبدى ورسولى وتقدم شرح ذلك كله بمافيه الكفاية (واسلام من أسلم بسبب ذلك) أى بسبب مارآه من الكتابة القديمة والمراد انها بغير اللسان العربى وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه (معلوم مذكور) فى السير والتواريخ

* (فصل ومن ذلك) * أى مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته (ماظهر من الآيات) أى العلامات أو الادلة (عند مولده) أى ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمى (وماحكته أمه) آمنة بنت وهب وهى أشهر من ان تذكر (ومن حضره) ولادته (من العجائب) قيل أخر هذا الفصل وكان ينبغى تقديمه لانه أول أحواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف ويأباه انه ذكر فيه مايتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهى متأخرة فهو ناظر لذلك أولانه لايختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والفذلكة تؤخر والعجائب ومامعه اشارة الى مارواه أبو نعيم عن ابن عباس من ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم لما حملت به أتاها آت فى منامها بعد ستة أشهر وقال لها يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك فلما أخذنى ما يأخذ النساء لم يعلم بى أحد وانى لوحيدة فى منزلى فى طرفه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل ما أجد ثم التفت فاذا نور غالب ونسوة طوال حولى فقلت من أين علمن بى وفى رواية انهن قلن نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا أنا كذلك واذا أنا بديباج

الزهري مرسلا (ومما رأته) أي أمه (من النور الذي خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه أحمد والبيهقي عن العرباض وأبي أمامة (وما رأته اذ ذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان ابن أبي العاص) أي الثقفي (من تدلي النجوم) أي نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) أي الذي سطع منه بأشعته (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان (الا النور) وفي رواية الا النور كما رواه البيهقي والطبراني عن ابنها (وقول الشفاء) بكسر أوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد أيضا في أسماء الاسانيد وقال الحلبي الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما أعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر في الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجي بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (أم عبد الرحمن ابن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات

الأرض بين السماء والارض وقائل يقول خذاه عن أعين الناس ورجال في أفواههم بأيديهم أباريق من فضة وتعقعق الطير مناقيرها من زمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الارض ومغاربها فرأيت علما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت قريش مجدبة ملحوصة الى غير ذلك مما ذكره وقال ابن الجوزي في تنقيح الكفر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على أربعة أقوال فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة خلت منه ومات أبوه وهو ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة أشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاول أصح (وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته) أي رفعه نحو السماء كما ذكره البيهقي (شاخصا ببصره الى السماء) قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سهمه وبصره وأشخصه صاحبه وقوله شاخصة أبصارهم أي أجفانهم لا تطرف انتهى ونظره الى السماء تنبيه على علو همته واشارة الى تعلقه صلى الله تعالى عليه وسلم بالملأ الاعلى وتوجهه لذلك من أول أمره كما قال الابوصيري

رافعا رأسه وفي ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه الى السماء ومرمى * عين من شأنه العلو العلاء

وروي انه خرج معه نور أضاء له المشرق والمغرب وروي انه ولد واضعا يديه مقبوضة مشيرا بالسبابة كالمسبح (ومما رأته) أمه كما رواه أحمد والبيهقي (من النور الذي خرج معه عند ولادته) وحديث النور الذي خرج معه أضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحق بن عبد الله ان أمه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن أمه انها قالت فولدته نظيفا ما به قذر قال أبو شامة كان أمر هذا النور اشتهر ذكره في قريش واليه أشار العباس كما مر بقوله وأنت لما ولدت أشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

الى آخره وقال حسان رضي الله تعالى عنه

نور أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله تعالى وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وتقدم له واضاءته قصور الشام خصه لانه مشرق أنوار النبوة وهي دار ملكه (وما رأته اذ ذاك) أي وقت ولادته (أم عثمان بن أبي العاص) أو عبد الله بن بشير الثقفي وأمه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من أكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضاء البصرة وروي عنها ابنها انها شهدت مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ورأت ما رأته (من تدلي النجوم) التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب (وظهور النور) الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها (عند ولادته حتى ما تنظر) أي أم عثمان المذكورة بتاء المتكلم ويجوز ان يقرأ بالنون للمتكلم من أو الموجودين والاول أولى رواية ودراية (الا النور) أي لا ترى شيئا غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله تعالى وتدلت زهر النجوم اليه * فأضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها قربها وطلوعها ولا يخفى من مثله (وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف) الشفاء بشين معجمة مفتوحة وفاء مشددة وهو كما قاله الدلجي والمعول عليه ما قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم أبيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها أيضا وفي الاستيعاب انها أخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه

ابن عوف) قال الذهبي وهي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات

(لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام أى رفع صوته بان عطس وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبى أى صاح وقال الدلجى عطس لاصاح من غير ان يذكر الحمد لله فالجمع أولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه أن لا يكون أول كلامه عبثا فى مرامه بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) أى مما يتنور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) أى بارض الشام رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها (وما تعرفت به حليمة) أى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه أسلم (ظئراه) بكسر أوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على أبى الرضاعة أيضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب (من بركته ودرور لبنها) أى نزوله بكثرة (له) أى لاجله صلى الله عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء أى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن حبان والطبرانى وأبو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت أخذته وتركته المراضع ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تر ما بتنا به الليلة من الخير والبركة قالت وكأن أتانى قمراء قد أذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار فتقول صواحبى هذه أتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها لشانا فقدمنا أرض بنى سعد به وما أعلم أرضا أجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا أرض تبض لها شاة بقطرة لبن وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا عافية ولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن أبى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه

عن الزبير قال وقد قيل انها أمه (لما سقط) صلى الله تعالى عليه وسلم (على يدى) أى وضعته أمه فنزل على يديها (واستهل) أى عطس لا صاح وان كان يقال استهل الصبى اذا صاح بدليل قولها (سمعت قائلا) أى ملكا (يقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (رحمك الله) أو رحمك ربك أو يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال التلمسانى انه روى بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه أوله صلى الله تعالى عليه وسلم باعتبار النسمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجى ويشهد له قول الابوصيرى

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس أى الذى هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم انه لم يجئ فى شئ من الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد عطس وفى الجامع الصغير استهلال الصبى العطاس فاستهلال المولود له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذى لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه أبو نعيم فى الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم) ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى فسمعت قائلا يقول أين ذهب به قال الى المشرق فلم يزل ذلك على بالى منى حتى انبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكنت أول الناس اسلاما وفى الخوارق أمور غريبة من تنكيس أسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب للمشرق للتبشير به صلى الله تعالى عليه وسلم وروى كما تقدم فى كلامه انه ولد مختونا مسرورا أى مقطوع السرة كما تقدم الجزم به فى كلام المصنف رحمه الله تعالى بل قال الحاكم فى مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبى لا أعلم صحته فضلا عن تواتره وأجاب بعضهم بانه أراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت أحاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ بن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام (وما تعرفت به حليمة) بنت أبى ذؤيب السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم وخبرها مشهور (وزوجها) الحارث بن عبد العزى (ظئراه) عطف بيان أو بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة فى الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظئر مشترك معنوى لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال فى تثنيته فانه ليس نحو عينين مع انه مسموع أيضا (من بركته) صلى الله تعالى عليه وسلم لما أخذته من أمه (ودرور لبنها له) أى زيادة خروجه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته (ولبن شارفها) أى ودرور لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر (وخصب غنمها) بكسر الخاء أى رعيها فى مكان مخصب فى سنة مجدبة أو هو مجاز

عن

(وسرعة شبابه) أى وما عرف ظهراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنداء (وحسن نشأته) أى نمائه وبهائه فى كبر جثته وفى كمال هيئته قالت والله ما بلغ سنة حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أضن شئ به لما رأينا من البركة فسألنا أمه ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهى ما عظم وقوعه وخفى سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن عن مخزوم ابن شاهين (من ارتجاج ايوان كسرى) أى اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل نشأه والايوان بالكسر الصفة العظيمة وأصله أووان فاعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر أوله ويفتح معرب خسرو ولقب ملوك الفرس كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشى لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح وحكى سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانهن أربع عشرة وأول الحكمة فى عدولها عن الكثرة الى القلة تحقيرا لها لخراب ما آلها شاذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة فى أربع سنين وأربعة الى خلافة عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبريه) بفتحتين مدينة معروفة فى الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهى من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها نقصها هذا والمعروف ان الغائضة هى بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبى المعلوم الان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان أوائلهم يشربون ماءها ويجى آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من

عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه عندها وأصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب وأول من أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم ثويبة جارية أبى لهب ثم حليمة رضى الله تعالى عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابن عبد البر انها أسلمت وأنكره الدمياطى وصنف فيه مغلطاى جزأ وله صلى الله تعالى عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة فى السير كما فصل فيها أحوال رضعته وذهابه صلى الله تعالى عليه وسلم الى أرض قومها (وسرعة شبابه وحسن نشأته) أى سرعة نموخلقه وقامته ونشأته ابتداء أمره فى صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ. ان حليمة قالت والله ما بلغ سنة حتى صار غلاما جفرا (وما جرى) أى وقع وحدث (من العجائب) فى (ليلة مولده) أى فى ليلة ولادته كما رواه البيهقى وغيره وفى نسخة بيلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذى رواه ابن السكن رحمه الله تعالى فى حديث نقلوه والذى فى مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان بعث الحقيقة قد تعدل لاقترابها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل انه لا ينافى ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن أم عثمان بن أبى العاص على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا أى فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر (من ارتجاج) أى تحرك واضطراب (ايوان كسرى) وهو قصره ومن الاول بيان لما والثانية للعجائب وقيل بيان لما أيضا وفيه نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو أنوشروان ابن قباذ وهو غير كسرى الذى كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن نوشروان وهذا الحديث رواه البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبناء العالى العظيم وأصله أووان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسره بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور (وسقوط شرفاته) جمع شرفة بضمتين كما فى تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين أو بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت باعاليه وانما هى ما بنى على أعلى الحائط منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها أربعة عشر بعدد من ملك من أولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم فى زمان قليل واطلاق شرفات على مذكر لاستواء القلة والكثرة فيه لاضافته أولانه لا جمع له سواه أولانه يجوز استعمال كل من الجمعين فى معنى الآخر (وغيض بحيرة طبرية) غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل أو ذهب يقال غاض الماء وغاضه الله وأغاضه فيتعدى ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهى البركة الكبيرة التى كثر ماؤها ويطلق على الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين القدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان قال البرهان المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج فان أولهم يشربها ويجى آخرهم فيقول كان ههنا ماء انتهى أقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم من الآيات والعجب مما تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة أخرى بينها وبين الرى اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة أميال وكذا

السباق واللحاق لا يخفى وفي نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى أعلم (وخمود نار فارس) أي انطفائها وقت غيض بحيرتها فكأنها طفئت بمائها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فإنه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه (كان اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي وأهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفي نسخة فاذا (غاب) أي عنهم (فأكلوا في غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد في نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية على الاكتفاء أو على تغليب شبع الطعام على ري الماء (وكان سائر ولد أبي طالب) بفتحتين وبضم فسكون أي بقية أولاده أو جميعهم (يصبحون) أي يدخلون في الصباح (شعثا) بضم أوله جمع أشعث أي مغبرة شعورهم

مغبرة وجوههم متغيرة ألوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) أي صافي اللون (دهينا) أي مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) أي كأنه مكحول العينين هذا وأولاده عقيل وطالب وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة وأم طالب فأسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبي استعمل القاضي رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ أبو عمرو بن الصلاح أنكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند أهل اللغة معدود في غلط العامة وأشباههم من الخاصة قال الزهري في في تهذيبه أهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقي وقال الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص ومن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة أنهم يستعملون سائر بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي واستدل بقصة غيلان لما أسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين أحدهما تفسيره ذلك بالجميع وثانيهما انه ذكره في سير وحقه ان يذكر في سار وقال النووي وهي لغة صحيحة ذكرها غير الجوهري ولم ينفرد بها وافقه عليها الجواليقي في أول شرح أدب الكاتب الى آخر كلام النووي في تهذيبه انتهى كلام الحلبي وتبعه الدلجي في تفسيره السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له فقد ضاف اعرابي قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسائري ذري انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابي ان يكون السائر بمعنى الباقي بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقي حقيقة وبمعنى الجميع مجازا

عرضها وقد روى الحديث البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعله ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل أو غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث وليست التاء مزيدة فيها بعد العلمية كذي الشديدة لتأويلها بالبقعة وهي تكلف لا داعي له (وخمود نار فارس) بمنع الصرف لانه علم أعجمي وفارس اقليم معروف هو وأهله فكان ما غاض من الماء فاض على النار فأطفأها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقرر (وكان لها) أي لتلك النار (ألف عام لم تخمد) لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ

سجدت الى النيران أعصرها ومذ ❊ شعرت به سجدت له نيرانها

وقال آخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا ❊ به لانطفاء النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها افتتنة عظيمة اذ لم تزل في تأجج وان لم تمد وقصة النار ورؤيا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة في السير مشهورة (وانه) صلى الله عليه وسلم (كان) وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس (اذا أكل مع عمه أبي طالب وآله) أي أهل بيته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عنده في حضانته بعد عبد المطلب (وهو صغير) جملة حالية (شبعوا) من الطعام (ورووا) اذا شربوا البنا ونحوه لا ماء ولذا جعله ما كولا لانه غذاء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته (واذا غاب) أي عنهم فلم يكن معهم (فأكلوا) وحدهم (في غيبته) عنهم (لم يشبعوا) وباتوا جياعا (وكان سائر ولد أبي طالب) أي جميعهم أو بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وأنكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة (يصبحون) اذا قاموا من نومهم (شعثا) جمع أشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم في مضاجعهم (ويصبح صلى الله عليه وسلم) أي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه (صقيلا) أي رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المرآة الصقيلة (دهينا) أي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تبرق وجوههم (كحيلا) أي

مكحل

وانه مأخوذ من السؤر بهمز وهو البقية الملائمة لمعنى الباقي بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما في كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من المعارضة (قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن (حاضنته) أي مربيته ومرضعته أيضا على ما قيل وهي مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية أعتقها

مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة أو أحوال وكان أولاد أبي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلي كرم الله وجهه وأم هانئ وأم طالب وجمانة وكلهم أسلموا الا طالبا وانه مات كافرا وهذا مجاز أو حقيقة وفسر الدهون بخلاف الاشعث والصقول بالمستوي الشعر والكحيل بالذي لا رمص بعينيه ولا قذى وكان أبو طالب يحبه صلى الله تعالى عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على أولاده فاذا أتي بطعام يقول لا تأكلوا حتى يأتي ابني وروي في بعض النسخ (قالت أم أيمن) هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حاضنته) أي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها وقيل انها أرضعته وهي حبشية وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله أبيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها في الصحيحين وأدركت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة أو ستة أشهر وهو الذي صححه النووي رحمه الله تعالى وخطأ الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت أمه آمنة (ما رأيته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا) لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى وحاضنة اسم فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطأ فاحش على عادته (ومن ذلك) أي دلائل رسالته المشاهدة عند ولادته (حراسة السماء بالشهب) وهي شعل النار المرئية في نجوم السماء جمع شهاب (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وترقبهم استماع ما تقوله الملائكة فتحفظه وتلقيه للكهنة وهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعه فلذا أطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن (ومنعهم) أي منع الله لهم (استراق السمع) وهو ان يختفي أحد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكأنه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان قبل ذلك أيضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في زمان كان كثر الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رأت قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآية وقد روي ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمى به قيل انه لا يخطئه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في الجاهلية اذا رأوا شهابا ساقطا قالوا يموت أو يولد عظيم كما ورد في الحديث (و) من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم (ما نشأ عليه) أي خلقه الله عليه من ابتداء نشأته وطفوليته (من بغض الاصنام)

أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلمت قديما وابنها أيمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد ابن حارثة زارها أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما واختلف في زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى) أي بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) أي حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وأبو نعيم في الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء أي حفظها من بلوغ الجن اليها (بالشهب) أي بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوم (وقطع رصد الشياطين) أي ترصدهم وانتظارهم لحظهم وشيء اليهم بنزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) أي بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة السماء فيلقونه الى أوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من أنبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا الآيات (وما نشأ) بالهمز أي ومن ذلك ما تربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما في حديث البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم

فمسحت به فقيل لي لا تمسه ثم طفنا فقلت في نفسي لامسنه حتى أنظر ما يقول فمسحته فقال ألم تنه قال زيد فوالذي أكرمه بالذي أكرمه
ما التمس صنما قط (والعفة) أي وما نشأ من النفرة (عن أمور الجاهلية) أي معايبها (وما خصه الله به من ذلك) أي من الاعمال
الرضية والاحوال الزكية (وحماه) أي وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة والسمات الدنيئة (حتى في ستره) بفتح السين أي
تستره من التعري وهو كشف العورة (في الخبر المشهور عند بناء الكعبة كما رواه) الشيخان عن جابر والبيهقي

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (اذ) أي حين (أخذ ازاره) أي بامر عمه العباس (ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) أي ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) أي وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) أي مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) أي بنفسه (ازاره عليه فقال له عمه ما بالك) وفي نسخة ما بالك أي ما حالك (قال اني نهيت عن التعري) وفي رواية وكنت وابن أخي نحمل الحجارة على رقابنا وأزرنا تحتها فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينا انا أمشي ومحمد امامي خر لوجهه وهو ينظر الى السماء فقلت ما شانك فاخذ ازاره وقال اني نهيت ان أمشي عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره) أي على ما مر في حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذي والبيهقي (وفي رواية) أي لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضي الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم أي حين (قدم ملكان يظلانه فذكرت) أي خديجة (ذلك) أي خبر الاظلال (لميسرة) أي غلامها قال الحلبي لا أعلم له ذكرا في الصحابة وكان توفي قبل النبوة والا فلو أدركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى أعلم

وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آزر عنها (والعفة عن أمور الجاهلية) التي كانوا يرتكبونها لخلقه الله تعالى مستغفلا عنها سالمة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب (وما خصه الله به من ذلك) فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه (وحماه) قبل بعثته من الصفات الردية (حتى في ستره) بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا أي ستر بدنه حتى لا يرى أحد منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا ينبغي رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند أحد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة أحيانا وفي نسخة حتى ستره مجرور بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته أمر لا طائل تحته (في الخبر المشهور) الذي رواه الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (عند بناء الكعبة) أي لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينقل الحجارة معهم (اذ أخذ ازاره) أي ملحفته التي كان مؤتزرا بها (ليجعله على عاتقه) أي أخذ الازار ليجعله على كتفه الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه (ليحمل عليه) أي على عاتقه أو ازاره (الحجارة وتعرى) أي انكشف أسفله لنزع الازار عنه (فسقط الى الارض) مغشيا عليه وعينه شاخصة للسماء (حتى رد ازاره عليه) وستر عورته (فقال له عمه) وهو العباس كما صرح به (ما بالك) أي ما شانك وحالك الذي عرض لك حتى سقطت (قال اني نهيت) بالبناء للمجهول (عن التعري) وكشف العورة كغيري وكانت قريش بنت الكعبة لسيل أتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا يجعلون ازارهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستغيث رافعا بصره الى السماء فقال له ما بالك يا ابن أخي فقال نهيت ان أمشي عريانا فكتمتها حتى بعثه الله تعالى مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا هبط فناداه اشدد ازارك وروى انه الكمه لكمة شديدة قيل وهو أول ما نودي به (ومن ذلك) أي مما دل على نبوته في أول أمره ما رواه الترمذي والبيهقي رحمهما الله تعالى (اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره) أي كون غمامة تسير معه صلى الله تعالى عليه وسلم أنى سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رآه بحيرا لما سافر للشام مع عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأثر من الشمس (وفي رواية لابن سعد (ان خديجة) أم المؤمنين (ونساءها) أي النساء التي كن معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسة (رأينه لما قدم) لمكة من سفره للشام في تجارتها (وملكان يظلانه) أي يمدان أجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية من الشمس (فذكرت) خديجة (ذلك) أي ما رأته (لميسرة) غلامها الذي بعثته

معه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره ومسيرة فتح السين وضمها (واخبرها) ميسرة (انه رأى ذلك) أي كونه مظللا من الشمس بالملكين فلا ينافي ان خديجة رأت تظليل الملكين وميسرة رأى تظليل الغمام أو ان الغمام كانت تسوقهما الملائكة فحصلت مظالته له كحامل الظلة يسمى مظللا (منذ خرج معه في سفره) الى الشام أي من أوله الى آخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منية وهي احدى النساء اللاتي كن مع خديجة في عليتها ينظرون الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم وقال البرهان لم يذكر ميسرة في الصحابة فكأنه مات قبل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي رؤية خديجة الملائكة كرامة لها رضي الله تعالى عنها (وقد روي) بالبناء للمجهول والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس (ان حليمة) بنت أبي ذؤيب السعدية التي أرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم (رأت غمامة تظله) وتقيه من حر الشمس (وهو) مقيم (عندها) لما أخذته صلى الله تعالى عليه وسلم لكي ما ترضعه (وروي ذلك) أي تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) يعني انه رآه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو الذي ذكره لامه وانه المشاهد له لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدته مع أخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت أفي حر الشمس يكون شفقة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم منها فقال أخوه يا أماه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس أمرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما أو أحيانا لم ينقل فيه شيء وفي المواهب نقلا عن الزركشي في شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم في ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان أراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغني عنه أو انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شيء فاعرفه فانه لا يخفى مثله على مثله وقد علمت ان الذي في نسخ الشفاء كما قاله البرهان عن أخيه مذكر بياء تحتية والذي في سيرة ابن سيد الناس أخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف أو رواية رواها أيضا (ومن ذلك) أي مما يدل على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يذكر وا من رواه من المحدثين (انه نزل) أي قعد في محل نزل به (في بعض أسفاره قبل مبعثه) مصدر ميمي بمعنى بعثته ونبوته (تحت شجرة يابسة) أي ليست مخضرة وليس لها ورق (فاعشوشب ما حولها) من الارض أي ظهر به عشب لم يكن قبله واخضرت من ساعتها وافعوعل للمبالغة أي كثر عشبه ونباته والعشب الكلأ ما دام رطبا وقد علمت ما فيه من المبالغة (وأينعت هي) أي الشجرة وأبرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ما حولها باعتبار انه أرض وهي مؤنثة سماعية ومعنى أينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها أو ثمرها قيل ينعت الثمرة ينعا وينعا وأينعت ايناعا اذا نضجت وقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه وقرئ وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب (فأشرقت) أي نمت وعلت أغصانها (وتدلت عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظله (أغصانها) جمع غصن وهي أعلاها وثمر وعما (بمحضر من رآه) أي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته اسرعه (و) من ذلك (ميل فيء الشجرة اليه) الفيء هو الظل مطلقا أو بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفيء اما وحده أو مع ميل الشجرة نفسها (في الخبر الآخر) الذي روي

(وخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره) أي من أول أمره الى آخره (وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها) كما رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس (وروي ذلك) أي تظليل الغمامة له (عن أخيه من الرضاعة) وفي رواية عن أخته بالفوقية وهي أصح كما في سيرة أبي الفتح اليعمري من ان حليمة بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته مع أخته فقالت في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبي فهذا صريح ان يكون ما في الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان أخاه من الرضاعة رأى ذلك أيضا والله تعالى أعلم (ومن ذلك نزل في بعض أسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها) أي كثر عشبه وهو الكلأ ما دام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (وأينعت) بتقديم التحتية على النون (هي) أي الشجرة والمعنى أدرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وينعه أي نضجه (فأشرقت) بالقاف أي أضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء أي علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفي أصل الدلجي بلامين أي استرسلت ونزلت (عليه أغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجي لم أدر من رواه (وميل فيء الشجرة) أي ظلها (اليه في الخبر الآخر) أي المتقدم عن بحيرا الراهب

عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره الى الشام وقصته مع بحيراء الراهب كما تقدم (حتى أظلته) علة أو غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم سبقوه فجلسوا فى الفىء فلما جلس فى الجانب الآخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فرآه الراهب فى قصته التى تقدمت وكان مع عمه أبى طالب وهو ابن عشر سنين (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ذكر) بالبناء للمجهول والذى ذكره ابن سبع (من انه) بيان لما الموصولة (لاظل لشخصه) أى لجسده الشريف اللطيف اذا كان (فى شمس ولا قمر) مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله (لانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان نورا) والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد فى الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الاغلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الاغلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ورباعيتنا فيه وهى

ما جر ظل أحمد اذيالا * فى الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو بنفسه المظهر لغيره وتفصيله فى مشكاة الانوار للغزالى (و) من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الذباب كان لا يقع على) ما ظهر (من جسده ولا) يقع على (ثيابه) وهذا مما قاله ابن سبع أيضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمى به لانه كلما أذب آب أى كلما طرد رجع وهذا مما أكرمه الله تعالى به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجئ من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن ولى الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلانى ولا بعد فيه لان معجزات الانبياء قد تكون كرامة لاولياء أمته وفى رباعية لى

من أكرم مرسل عظيم حلا * لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر * فى الموجودات من حلاه أحلا

وتظرف بعض علماء العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجود ان النقط تشبه الذباب فصين اسمه ونعته عنه كما قلت فى مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو * رسول الله محمودا ومحمد
ونقط الحرف يحكيه شكل * لذلك الخط عنه قد تجرد

(ومن ذلك) أى من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول أمره ومنتهاه كما رواه الشيخان (تحبيب) الله تعالى بجعله طبيعة له (الخلوة) أى الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة (اليه حتى أوحى اليه) أى انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحى عليه تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى البخارى ثم حبب اليه الخلاء أى العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مألوفات النفس فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حراء كما قاله ابن أبى جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلى بالهام الله تعالى له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحى وهو فيه (ثم اعلامه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى اعلام الله تعالى له (ب) قرب (موته ودنو أجله) أى آخر عمره الذى أجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفى الصحيحين انه مر على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين يديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الى آخره وقوله فى خطبة له ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين

(حتى أظلته وما ذكر) أى ومن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا) أى بنفسه والنور لا ظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما فى النوادر ولفظها لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر ونقله الحلبى عن ابن سبع أيضا (وان الذباب) أى ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب (كان لا يقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجى لا علم لى بمن رواه انتهى وقال الحلبى نقل أيضا بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لا يخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى أوحى اليه) أى بنزول القرآن عليه كما فى الصحيحين ولفظ البخارى ثم حبب اليه الخلاء أى العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو أجله) كما رواه الشيخان وغيرهم

(وان قبره بالمدينة) وفي نسخة في المدينة (وفي بيته) كما رواه أبو نعيم في الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وروى البيهقي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ان قبره يكون في بيته (وان بين بيته ومنبره) وفي نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتي مافيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) أي بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقي في الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته في مرضه الذي مات فيه يقول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفي رواية قالت لما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهي آخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرؤك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربي يصنع بي ماشاء (وما اشتمل) أي ومن ذلك مااحتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده والبيهقي في دلائله (من كراماته وتشريفه) أي بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرؤك السلام ورحمة الله وفي رواية قال يا محمد ان الله أرسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدني مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) أي ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) أي بعد خروج روحه الشريفة (ماروينا) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (في بعضها) أي في بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه أصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى في الموطأ بلاغا قال أخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم أحد ورواه الشافعي في الام لفظه فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم أحد وذلك لعظم أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم في ان لا ينوي الامامة في الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة أقول الاظهر انهم صلوا عليه في محله ولا كان يسع ذلك المحل امامة ومعه كلهم فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة

ماعنده فاختار ماعنده فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين زهرة الدنيا وماعنده فاختار ماعنده فكان الصديق أعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم وأمره بذلك الفاطمة كما تقدم في الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى (و) اعلامه صلى الله عليه وسلم (ان قبره بالمدينة) كما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض (و) ان قبره (في بيته) فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان لكثير من الانبياء عليهم السلام اشارة الى انهم أحياء عند ربهم يرزقون (وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة) كما سيأتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة أو ان العمل فيها موجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن أبي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لابد من تاويله باعتبار القرب من أقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات وتلذذ بالمشاهدات كما قال اللهم اجعل قبره لان روضة من رياض الجنة (وتخيير الله له عند موته) أي لما قرب موته خيره الله بين البقاء في الدنيا والرحيل للآخرة كما سمعته آنفا ورواه البيهقي في دلائله وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله تعالى عليه وسلم غشي عليه فلما أفاق شخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت مافهم أبوها رضي الله تعالى عنهما وهو حديث صحيح رواه أحمد في مسنده وغيره وقد صرح به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أوتيت مفاتيح خزائن الارض وخيرت بين الخلد فيها ثم الجنة واخترت الى آخر مما يطول ذكره (وما اشتمل عليه حديث الوفاة) أي وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي والبيهقي في سننه (من كراماته) التي اكرمه الله تعالى بها عند موته كسماع بكاء الملائكة وسماع صوت من السماء ينادي وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يقرؤك السلام ويقول لك وهو أعلم كيف تجدك الى غير ذلك (وتشريفه) عام وغيره (وصلاة الملائكة على جسده) وفي نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها لدعاء وروحه صلى الله تعالى عليه وسلم غير محتاجة لذلك أو لنكتة أخرى قيل هي ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دائما لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون الآية (على ماروينا في بعضها) أي في بعض

طرق حديث الوفاة وهو ماروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما جهز صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملائكة ثم جاء وجاء الناس فوجاء وجاء نساؤه ثم النساء ثم الصبيان ولم يؤمهم أحد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بذلك وذلك لعظم أمره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء دون صلاة الجنازة لم يات بشئ وكونه لم يؤمهم أحد ذكره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمة ماذكر ولم يدع له صلى الله تعالى عليه وسلم بدعاء الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى آخر ماذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله (واستئذان ملك الموت عليه) أى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف ان أراد أو تركه حيا (ولم يستأذن على غيره) نبيا أو غيره (قبله) روى ان جبريل قال له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربى أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما أمرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ من الارض (ونداؤهم) أى نداء الملائكة لهم (الذى سمعوه) ولم يروا من ينادى (ان لا) أى بان لا الى آخره فان مصدرية ولا نافية (تنزعوا القميص عنه) أى قميصه الذى عليه لما أرادوا نزعه (عند غسله) بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما فى حديث أبى داود والبيهقى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها انهم لما أرادوا غسله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاندرى أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قائل من ناحية البيت لا يرونه أغسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرائه على عادته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتجرد عند أحد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو اجراء لسنته وكفن فى ثلاثة أثواب يمنية سحولية (وماروى من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى فى دلائله يشير الى ماروى عن على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه انه قال لما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة وان فى الله عز وجل لعزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام كما رواه البيهقى وابن أبى حاتم وقال فى مرآة الزمان ان المعزى هو جبريل لا الخضر ورواه العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء بلفظ ان فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا آخر بعده يقول ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال أبو بكر رضى الله عنه هذا الخضر واليسع ولم أجد فى رواية ذكر اليسع وانما ذكر الخضر فى التعزية فقد أنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم فى المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء قال لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى أخذ بعضادتى الباب وبكى ثم قال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم فى البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا رواه الطبرانى فى الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن أبى الدنيا عن على بسند رواه أيضا وذكره الشافعى فى الام من غير ذكر

(واستئذان ملك الموت عليه) أى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) أى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على أحد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله أمرنى ان أطيعك فيما أمرتنى به أن أقبض نفسك قبضتها وان أتركها تركتها (ونداؤهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا أى لا تخلعوا (القميص عنه) أى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين أو فتحه وذلك حين قالوا ماندرى أنجرده من ثيابه أم نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرى من هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه أبو داود والبيهقى وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه أبى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال أخذوا فى غسله فاذا هم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وماروى من تعزية الخضر

الخضر

والملائكة أهل بيته عند موته) فسمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب رواه البيهقي في دلائل النبوة نقله الدلجي وقال الحلبي حديث تعزية الخضر رواه الشافعي من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه قال لما مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفي آخره قال علي أتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعي أيضا في الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره أصحاب الشافعي قاله النووي في شرح المهذب وقال بعض مشايخي أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية أنس وفيه فقال أبو بكر وعلي هذا الخضر لكن في اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد أخرجه الشافعي أيضا في غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوي عن المزني عنه في السنن المشهورة (الى ما ظهر على أصحابه من كراماته) أي الظاهرة (وبركاته) أي الوافرة (في حياته وموته) أي بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) أي العباس كما

الخضر النبي وانما قال الحاكم وغيره بعدم صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد الى رأس مائة سنة من تلك الليلة وأراد به انخرام كل أحد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله تعالى فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعهم بالخضر الا انا نجد خبر صحيح يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه ويحدثون بذكره ومع بعضهم توقف فيه كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من أثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله كتابا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكن الاكثر من المشايخ اختلفوا فيه هل هو نبي أم شيخ أو عبد صالح من أولياء الله تعالى أخفاه الله تعالى عن غيره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه مما من يأتي شخصه فتقضي المصيبة قوله (والملائكة) بالجر عطف على الخضر يشير لما قلناه (أهل بيته) مفعول التعزية وهي لارشادهم للصبر والتسلية عند المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الآن (الى ما ظهر على أصحابه) صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته فانه قد رأى بعضهم ما ذكر من أول الفصل الى هنا أي منتهيا وهو كما قوله المصنفون رحمه الله تعالى الى آخره اشارة الى انه ترك أمورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهوره عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم أثر فيهم حتى ظهرت منهم أمور تشابه ما ظهر منه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (من كراماته وبركته) أي من مثل ذلك (في حياته وموته) أي وبعد موته (كاستسقاء عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بعمه) العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب أي تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخاري وتعبيره بعمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعباس وان كان له أعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله تعالى عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه أبو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والمقوم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو أكبرهم وقثم مات صغيرا وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب وقيل فيهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم أحد عشر وبعضهم عدهم تسعة وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما أشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه فوقع قحط شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به أتيناك مستغفرين مستشفعين ثم أقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله أنهارا ثم قام العباس رضي الله تعالى عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل وأطل به الفرع وأدر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا الغيث وشفعنا في أنفسنا وأهلينا وفيمن لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك نشكو جوع كل جائع وعري كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر

وأخفى اللهم وأغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت وانتشرت ثم درت وأرخت عزاليها كأفواه القرب فسار حواحتى علقوا الجدار وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك ياساقي الحرمين وفي ذلك يقول حسان رضي الله تعالى عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا * سقي الغمام بغرة العباس

أحيي الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الارجاء بعد الباس

في أبيات أخر (وتبرك غير واحد) أي كثير من الناس (بذريته صلى الله تعالى عليه وسلم) من السادة الاشراف نفعنا الله تعالى بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد أفرده السيد السمهودي شكر الله تعالى سعيه بتأليف مستقل نافع

(فصل) فيه فذلكة هذا الباب (قال القاضي أبو الفضل قد أتينا) أي ذكرنا وجمعنا (في هذا الباب) الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وأصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال (على نكت من معجزاته واضحة) الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد أخذ شيء وجمعه ان يأتي اليه حتى يصل اليه ويقال أتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه من نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد أخطأ ولا وجه لما ذكره البرهان هنا (وجمل) جمع جملة وهي الامر (المجمل من علامات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم مقنعة) أي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون أي يستغني بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية (في واحد منها الكفاية) عن غيره كالقرآن أي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل (والغنية) بالضم والسكون في ثانيه أي لاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية (وتركنا الكثير) منها (سوى ماذكرنا) اشارة الى ان ماذكره قليل بالنسبة لما تركه (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء جمع طويل (على عين الغرض) عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان أحد معانيها والغرض مايقصد منه وفائدته وأصل معناه الهدف كما مر فيقل لما ذكر (وفص المقصد) أي الامر المقصود والفص مثلث الفاء بمعنى الاصل يقال أتى بالامر من فصه أي من أصله قال الشاعر

ورب امرء تزدريه العيون * ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم مايزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه وتظرف ابن نباته رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذي لم أحصه

لولاه ماعلم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما عرفه ومصدر ميمي تجوز فيه (و) اقتصرنا (من كثير الاحاديث وغريبها) هو بمعناه اللغوي أي مابعد مستغربا غير معهود وغيره مشهور او المراد به مااصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ماانفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجمعه أو بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لاينافي الصحة اذا كان راويه ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف أي الاحاديث الكثيرة (على ماصح)

رواه البخاري (وتبرك غير واحد) أي كثير من الصحابة والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحي أولادهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(فصل)

(قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد أتينا) أي أوردنا (في هذا الباب) أي الرابع من أبواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح أي لطائف وشرائف (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجي حال عما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجي حال من جمل أي تغني من عرف حقيقتها (في واحد) خبر مقدم (منها) أي من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون أي الاكتفاء والاغتناء في باب الاعتناء (وتركنا الكثير) أي من الانباء (سوى ماذكرنا) أي من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء أي الطويلة لاذيال (على عين الغرض) أي نفس المراد (وفص المقصد) أي زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبي بكسر الصاد وجد بخط النووي نقله

(ومن كثير الاحاديث) أي واقتصرنا وقد أبعد الحلبي في تقديره وأتينا (وغريبها) أي مما انفرد رواتها بها (على ماصح) أي سنده

نقله وروايته (واشتهر) بين المحدثين (الا يسيرا) أى قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ماتيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته (من غريبه) أى غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور والصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لاتخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده فى كتابه قوله (بما ذكره مشاهير الائمة) لانه يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يرد لغيرهم (وحذفنا) أى تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره أو لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف أخص من الترك (الاسناد) أراد به السند تسمحا تبعا وهم رواة الحديث أو هو بمعناه الحقيقى (فى جمهورها) أى معظم الاحاديث وأكثرها وقد يورد الحديث مسندا (طلبا للاختصار) وعدم التطويل وهو مفعول لاجله (وبحسب هذا الباب) المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كاف أو كفاية وهو مبتدأ مجرور بالباء الزائدة وخبره أن يكون الآتى أى يكفيه فى شرفه والعلم بكثرة ماورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لاتخلو من الحزازة (لو تقصى) مبنى للمجهول بقاف وصاد مهملة أى استوفى وبلغ أقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التفصى التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لايخفى (أن يكون ديوانا) أى كتابا مستقلا مدونا (جامعا) لما فى غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها (يشتمل على مجلدات عدة) أى كتب من شأنها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة (ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل) عليهم الصلاة والسلام أى من بقيتها أو جميعها (بوجهين أحدهما كثرتها) وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة * (تنبيه) * قال التلمسانى مجلدات جمع مجلدة وهى الكتب الكبيرة وهى عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما فى القاموس وفى رسالة المجلد لابى العلاء المعرى المجلد لايزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل أنت كاسل المتمل * مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد أثبت ذلك وناهيك به من امام فى اللغة فان أراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد فى كلام العرب فهو مجاز لايتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتأخرين فى قوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى القديمة جلده * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) أى من نوعها مساوية لها أو مقاربة فى الاعجاز (أو ماهو أبلغ منها) أبلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه ابلغ معجزة أوتيت فان معناها هنا أعظم وأقوى وليس مقيدا بالقرآن لان بلوغ الشئ وصوله لغايته ومنتهاه أو هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا مايقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا فى سياق النفى فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شأنه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغى أن يقول أظهر وانه لايلزم مما ذكره الظهور الذى ادعاه (وقد نبه الناس على ذلك) أى نبه علماء الحديث والآثار وفصلوه فى كتبهم كابن المنير فى كتاب المقتفى (فان أردته) أى أردت معرفته والوقوف على

(واشتهر) أى نقله عند أهله (الا يسيرا) أى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) أى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) أى أكثرها (طلبا للاختصار) أى حذرا من الاكثار الممل المفتار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء أى ويكفى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لو تقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة أى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء أى لو تتبع (أن يكون ديوانا) أى دفترا أو مصنفا على حدة (جامعا) أى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر وتشديد أى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره أن يكون ديوانا وجواب لو محذوف أى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (أظهر) أى أكثر وأبهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) أى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (أحدهما كثرتها) أى مع شهرتها اذ الكثرة لاتستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها) أى شبهها ونظيرها (أو ماهو أبلغ منها) أى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما وأما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) أى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها أنه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج دنو الدنيا وغير ذلك مما طال بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان أردت

فتأمل فصول هذا الباب) أى من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) أى وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانبياء (تقف على ذلك) أى المعنى (ان شاء الله تعالى وأما كونها) أى معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) أى ظاهر كثرته (وكله معجز) أى والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين) بل عند أكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا أعطيناك الكوثر) أى أقصر سورة نحوها (أو آية قدرها) لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله وفى حكم السورة قدرها لا أقلها (وذهب بعضهم) أى ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) أى من القرآن (كيف كانت) أى وجدت طويلة أو قصيرة (معجزة) خبر ان (وزاد آخرون) أى على ماذكر (ان كل جملة متضمنة منه) أى من القرآن وفى أصل الدلجى منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين واعل الاعجاز أولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو أسلوب التدريج على وجه الترقى (والحق) اى الثابت عند الجمهور (ماذكرناه لولا قوله تعالى فاتوا بسورة مثله) وفى نسخة من مثله (فهو) أى اتيان نحو سورة (أقل ماتحداهم) أى طلب معارضتهم (به مع ماينصر هذا) أى يؤيده ويقويه (من نظر) أى نظر اعتبار وتفكر واستبصار (وتحقيق) أى مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) أى والقصد وسطه (واذا كان هذا) أى أكثر ماتحداهم به أقل (ففى القرآن من الكلمات) أى الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) بتشديد التحتية وتخفيفها أى بعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة فى الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) أى ممن عد كلماته

ما بينوه (فتأمل فصول هذا الباب) أى أعد النظر فيه فتأمل وتدبر معانيه (ومعجزات من تقدم من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (تقف) مجزوم فى جواب الامر (على ذلك ان شاء الله تعالى) والوقوف فى الاصل القيام تجوز وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا أمورا شرفه الله بها لغيره من الانبياء لامساس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها (وأما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز) وفى بعض النسخ وكله معجز بالواو فالتقدير فهذا القرآن موجود معروف وجميع أجزائه معجزة فناهيك به كثرة ثم شرع فى بيان المقدار الذى يقع به الاعجاز فقال (وأقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة انا أعطيناك الكوثر) وهى أقصر سورة فى القرآن (أو آية بقدرها) أى مساوية لها فى الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر أقل وفى نسخة بسورة بباء الجر (وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت) طويلة بمقدار سورة أم لا (معجزة وزاد بعضهم) وفى نسخة آخرون أى ترقى عن هذا المقدار الى (ان كل جملة منتظمة منه) أى مفيدة تامة (معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين) فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهى كلمة قلت يكون فيها مقدر كمدهامتان ونحوها فتأمل وليس هذا مبنيا على ان اعجازه بالصرفة كما قيل (والحق ماذكرناه أولا) من ان المعجز أقصر سورة أو مقدارها (لقوله تعالى فأتوا بسورة) أى سورة كانت (من مثله) فى الاعجاز والضمير للقرآن أو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على مدعاه (فهو) أى ماذكر (أقل ماتحداهم) الله أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أى طلب منهم معارضته (مع ماينصر هذا) القول المذكور أولا أى يقويه ويؤيده (من نظر) أى فكر وتدبر (وتحقيق يطول بسطه) ببيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التى تحير العقول فقد تحداهم أولا بجملته فقال فأتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فأتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظى الذى وقع التحدى به لا النفسى فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا فى مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القرآن ورد بالآيتين المذكورتين وقال القاضى يتعلق بسورة طويلة أو قصيرة لظاهر الآية وقال فى موضع بها أو بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن أقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بآيات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله (فاذا كان هذا) أى ثبت ان ماتحداهم به هذا المقدار الاقل (ففى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف) أى وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف (على عدد بعضهم) أى هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الدانى رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية ألفا وأربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وقيل ثلثمائة ألف واحد وعشرون ألفا أو خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر) أى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرآن) بتشديد الزاى فيهمزه مبنيا للمفعول وفى نسخة فيتجزا بالهمزة وفى أخرى بالالف وفى أصل الدلجى فتجزى القرآن بصيغة المصدر المضاف (على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر) أى كلماتها العشر (أزيد) بالنصب وعلى أصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع أى أكثر (من سبعة آلاف جزء) أى حصة (كل واحد منها معجز فى نفسه) أى مع قطع النظر عما قبله وما بعده وما فيه من أخبار الله تعالى عن نبأ ما قبله وما بعده (ثم

حرفا وقيل انه الصواب لانه ذكره المصنف رحمه الله تعالى وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظ غير وارد عند من أنصف ولهم فى عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول السخاوى لا فائدة فى عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لا وجه له غير الكسل (وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزئ القرآن) بصيغة المصدر وفى نسخة فيتجزئ بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابداله ألفا أى بان تعد عشر آيات عشرة أجزاء (على نسبة انا أعطيناك الكوثر) أى على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل آية واحدة بمقدارها كما عرفا النسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقى لغة واصطلاحا مشهور (أزيد) بالرفع خبر تجزى المصدر وبالنصب ان كان فعلا أى تجزيه أزيد أو يكون أزيد (من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه) أى بقطع النظر عن غيره ففيه أزيد من سبع آلف معجزة وهذا مبنى على ما تقدم من العدد (ثم اعجازه) أى القرآن (كما تقدم) من ذكر الاختلاف فى مقداره (بوجهين) الاول (طريق بلاغته) أى ما فيه من مراعاة الوجوه التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال (و) الثانى (طريق نظمه) اى أسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها فى محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارئه لا يمله وان كرره كما لا يخفى على من تأمله حق التأمل ونظر فيه بنور الايمان (فصار فى كل جزء من هذا العدد) المذكور آنفا (معجزتان) من جهة بلاغته ومن جهة نظمه (فتضاعف العدد) أى عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل أو مضارع من المفاعلة (من هذا الوجه) أى من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله تعالى الصحيح الذى عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه لانه عز وجل أحاط بكل شئ علما وبكل كلام فاتى فى كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا بطل القول بالصرفة (ثم فيه وجوه اعجاز أخر) غير ما ذكر من الطريقين (من الاخبار بعلوم الغيب) بيان لوجوه أى الامور الغيبية بما وقع أو سيقع (فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة) أى الاجزاء المذكورة المتضاعفة من جهتى الاعجاز (الخبر) أى الاخبار (عن أشياء من الغيب) أى الامور المغيبة عن علمنا (كل خبر منها بنفسه معجز) أى باعتبار أخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز (فتضاعف) بصيغة الماضى والمضارع كما مر (العدد) المذكور أى العدد المضاعف لقوله (كرة أخرى) أى بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفر ارقال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) وهى ذكر المغيبات (توجب التضعيف) والزيادة الى ما لا يكاد يحصى كثرة (هذا فى حق القرآن) دون غيره من المعجزات التى تزيد على معجزات سائر الانبياء (فلا يكاد يأخذ العد معجزاته) وفى نسخة العدد وهما بمعنى والمراد بالاخذ الاحاطة تجوزا بليغا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أى لا يغلبه دللا أى لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد (ولا يحوى الحصر) أى الاحاطة (براهينه) أى براهين اعجازه

اعجازه كما تقدم) أى فى محله (بوجهين) أى من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) أى باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) أى بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار فى كل جزء من هذا العدد) أى من السبعة آلاف (معجزتان) أى باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) أى الذى له جهتان فيصير أربعة عشر ألفا (ثم فيه) أى فى القرآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز أخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) أى عما تقدم أو تأخر (فقد يكون فى السورة الواحدة) أى حقيقة أو حكما (من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب) كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) أى بانفراده (معجز) أى مستقل فى بابه (فتضاعف العدد) أى فتزايد المبلغ المضاعف (كرة أخرى) أى فى الجملة لا فى نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين ألفا على ما جزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبة وفيه انها مما سبق ذكره (توجب التضعيف) الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) أى التضعيف الوافر (فى حق القرآن) هو الظاهر (فلا يكاد يأخذ العد) أى العدد كما فى نسخة (معجزاته) أى لكثرتها (ولا يحوى) أى ولا يكاد يشتمل (الحصر براهينه) لعظمتها

(ثم الاحاديث الواردة) أي الصريحة (والاخبار الصادرة) أي الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب) أي المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن مادل على أمره) أي ظهور أمره وحكمه (مما أشرنا الى جمله) بضم ففتح أي الى جمل من مفصله (يبلغ ٢٩٠ نحوا من هذا) أي التضعيف (الوجه الثاني) أي من وجهي كون معجزاته أظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم) أي ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) أي واردة على أيديهم (بقدر هممم أهل زمانهم) اى حالا ومقدارا في شانهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذي قد سما فيه قرنه) أي علا وارتفع أهل عصره شهرة بمعرفة ذلك الفن في دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) أي وما يزعمون مهارتهم لديه ويوجهون همتهم اليه (فجاءهم منها) أي على يد موسى (ماخرق عادتهم) أي من انقلاب العصا حية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) أي ذلك المعجز (في قدرتهم) أي في نطاق قواهم وقدرهم (وأبطل سحرهم) وما أظهره من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى) أفعل تفضيل من الغاية أنهى (ما كان) أي علم أهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض الظاهرة وفي نسخة أعني بالعين المهملة علمهم بمعنى أعجز وفي أخرى بالغين المعجمة والنون أي أوفى وفي أخرى بالمهملة والنون أي أقصد وكلها صحيحة على مالا يخفى (وأوفر ما كان أهله) أي أكثر ما كان أهله ... تتبعه (فجاءهم) أي على يد عيسى (أمر لايقدرون عليه

لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية أردفها بالنقلية فقال (ثم الاحاديث) النبوية (الواردة) في الروايات الصحيحة (والاخبار الصادرة عنه) عليه الصلاة والسلام (في هذه الابواب) أي أبواب اعجاز القرآن والتحدي به أو أبواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله (وعن مادل على أمره) أي نبوته وعلو شانه (مما أشرنا) فيما سبق من هذا الكتاب (الى جملة) منه وفي نسخة الى جمل (يبلغ نحوا) أي قريبا (من هذا) المقدار الكثير (الوجه الثاني) من وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها أظهر من معجزات سائر الرسل قبله (وضوح معجزاته) أي شهرتها بحيث لاتجهل وهذا عين ظهورها أو مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على أحد غير أعمى الفكر والنظر وانها لا يرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل على أظهريتها دلالة ظاهرة لاعينها فسقط ماقيل ان المدعى ان معجزاته أظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال على الشئ بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لايخفى وقد أشار الى ماذكرناه المصنف بتفسيره بقوله (فان معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم) أي هممهم فيما يهتمون به ويعتنون (وبحسب) بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار (الفن) أي النوع (الذي سما) أي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به (فيه قرنه) بفتح القاف وسكون الراء أي عصره والمراد به أهله مجازا أو بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه أعمارهم وأحوالهم واختلف في مقداره هل هو مائة سنة أو ثمانون أو أقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله (فلما كان زمان موسى) كليم الله عليه الصلاة والسلام أي زمن بعثته ونبوته (غاية علم أهله) أي أهمه وأعظمه عندهم (السحر) وهو معروف تقدم الكلام عليه (بعث اليهم بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه) وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة (فجاءهم) على يد موسى عليه الصلاة والسلام (منها ماخرق عادتهم) أي خالف مايعتادونه ويسهل عليهم فعله وأصل الخرق أبانة جسم من آخر فنقل لماذكر كخرق الاجماع أي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضاء من غير سوء (ولم يكن) ماجاء به (في قدرتهم) أي لايقدرون عليه فيدخل في جملة مقدراتهم (وقد أبطل سحرهم) بما عارضهم به وهي جملة حالية يشير الى ماقصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة وأبطل بدون قد فهو معطوف على جاءهم (وكذلك) أي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام (زمن عيسى) ابن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم (أغنى ما كان الطب) أي أعظم ما كان في عصره وعهد رسالته علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به أحوال الانسان من حيث الصحة والسقم وأغنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغناء وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية أي أكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم لتفسيره بانهى والطب مثلث الطاء مشدد الباء (وأوفر ما كان أهله) أي أهل الطب وعلماؤه أي أكثر ما كان في زمنهم (فجاءهم) على يد عيسى عليه الصلاة والسلام (أمر لايقدرون عليه) بواسطة

وأتاهم مالم يحتسبوه) أى شيئا لم يظنوا وجوده لديه وأمره مفوضا اليه (من احياء الميت) ويروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الاكمه) أى الذى ولد ممسوح العين ذكره الدلجى قال الحلبى الاكمه والذى يولد اعمى ويقال للاعشى ه وقال البخارى فى الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير للاعشى على مالا يخفى ٢٩١ (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) أى مداواة بل كان يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوى العاهات فيداويهم والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) أى كانت بقدر علم أهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجلة معارف العرب وعلومها) أى من الجزئيات والكليات (اربعة) أى من أنواع المدركات وأصناف الملكات (البلاغة) أى المقرونة بالفصاحة. (والشعر) أى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين أى الاخبار بانساب العرب وأيامها من وقائعها ومعرفة تاريخها وتفصيل ماجرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها. (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها (فانزل) بصيغة المجهول أى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى أخرى زيادة عليه (القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول) أى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من الفصاحة) أى من أجل فصاحة القرآن (والايجاز) أى واعجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم) بفتح النون والميم أى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب

لهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض المزمنة والخافية وقدرتهم فى الاكثر على حفظ الصحة وكم من مرض أعيى الطبيب المداويا (وأتاهم مالم يحتسبوه) أى مالم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم ومالم يترقبوه وجعل أمره مافاعلا ولم يقل أتاهم بامر ونحوه والظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير صنع وحيلة وفى نسخة يحسبوه أى يظنوه ويقدروه قبل ويجوز فيه ضم الياء اليه ينكرونه وهو بعيد فتأمل معنى (من احياء الميت) بتخفيف الياء وتشديدها (وابراء الاكمه) أى الذى ولد اعمى مطموس العين أى فتح عينه حتى يبصر (والابرص) وهو الذى فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا (من دون معالجة) المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها (وطب) المراد به هنا المعنى المصدرى أى اعطاء الدواء وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعاء والتوجه الى الله تعالى وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجىء اليه يذهب بنفسه اليه وكان اطباء عصره لا يقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم * (تنبيه) * قال البخارى فى تفسير الاكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال السهيلى انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى (وهكذا) أى مثل ماذكر (سائر معجزات الانبياء) فى انها كانت بمقدار علم أهل زمانهم وما يتمون به من الاحوال والعلوم (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجلة معارف العرب) جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل (وعلومها) أى مايعلمونه من الجزئيات والكليات (أربعة) أنواع (البلاغة) أى الملكة والجبلة التى يعرفون بها تأدية الكلام حقه فى كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها (والشعر) الكلام الموزون المقفى (والخبر) عن سلف ومالهم من الوقائع والايام والانساب والمنازل (والكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهى معانات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر (فانزل عليه القرآن) أى أنزل الله عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ماينا سب قرنه وأهل عصره أعنى القرآن أى كلامه الموحى اليه (الخارق) أى المخالف (لهذه الاربعة فصول) أى الانواع المذكورة وهى البلاغة وما معها فهى جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره (من الفصاحة) وهى خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص ويشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ فى علم المعانى ومعناهما عندهم غنى عن البيان لشهرته (والايجاز) أى اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر ونكات الايجاز أكثر وأعظم فهو أهم عندهم (والبلاغة) وقيدها بقوله (الخارجة عن نمط كلامهم) أى كلام العرب لدخولها فى الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة أى لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم ومايعهدونه فى مخاطباتهم ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد فاستعير لماذكر أى نوعه وطريقته (ومن النظم) أى تأليف الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم شعرا (الغريب) أى الذى لم يعهده البلغاء فى كلامهم (والاسلوب) أى الطريق (العجيب) أى الذى

الذى لم يهتدوا) أى فصحاؤهم وبلغاؤهم وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) أى من كلامهم (الى طريقه) أى فى مرامه (ولا علموا فى أساليب الاوزان) أى نظما ونثرا وفى أصل الدلجى فى أساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع

يتعجب منه سامعه أو يعجبه ويستحسنه (الذى لم يهتدوا) أى لم يصلوا ويقدروا (فى المنظوم) أى المؤلف من كلامهم (الى طريقه) فضلا عن الاهتداء اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذى هو ينسج وحده (ولا علموا فى أساليب الكلام) مطلقا أو المنثور من خطبهم واسجاعهم (والاوزان) الشعرية الموزونة على بحوره (منهجه) أى طريقه (ومن الاخبار) بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر (عن الكوائن) أى عما سيكون فى المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف على قوله من النظم واعاد من لانه نوع آخر من الاعجاز واطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا (والحوادث) أى ما يحدث فى المستقبل أيضا (والاسرار) أى ما أسروه فى أنفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأظهره الله عليه (والمخبآت) أى ما أخفوه عنه فاطلعه الله عليه (والضمائر) أى ما أضمروه فى أنفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله (فتوجد) تلك الامور المخبر عنها وما أسر واخفى عنه (على ما كانت عليه) ذاتا وصفة مطابقة لما قاله (ويعترف) ويقر (المخبر) بفتح الباء اسم مفعول أى من أخبره الرسول بما أطلعه الله عليه (عنها بصحة ذلك) الخبر الذى أخبره به (وصدقه) بمطابقته للواقع (وان كان) المخبر بالفتح (أعدى العدو) أى أقوى اعدائه وأشدهم عداوة له صلى الله تعالى عليه وسلم فاعدى أفعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من قوم عدو لكم أى مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه (فابطل) القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الكهانة) بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب (التى تصدق مرة وتكذب عشرا) صفة الكهانة أى التى كذبها أكثر من صدقها كما ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى أمرا فى السماء سبحت حملة العرش ثم أهل كل سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا فتستخبر أهل كل سماء من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى أهل هذه السماء فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون من أكاذيبهم وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل صوابه مائة بدل قوله عشر الا انه ورد فى الحديث تكذب مائة أو اكثر من مائة (ثم اجتثها) بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة أى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه أبلغ مما قبله وأبعد رتبة وأصل معناه نزع الشجر ونحوه بعروقه وأصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة مرشحة بقوله (من أصلها) وان كان المراد به ازالتها بالكلية (برمى الشهب) بضم الهاء وسكونها جمع شهاب أى رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان قبل كما مر وفى نسخة رجم بدل رمى (ورصد النجوم) رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصده برصده اذا ترقبه وأعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا أو جمع الراصد كخدم فهو من اضافة الصفة لموصوفها أى النجوم المرصدة أى المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم أو شعل نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مبدأ لما يمنعهم (وجاء) فى القرآن (من الاخبار عن القرون) والامم (السالفة) أى الماضية قديما (وانباء) جمع نبأ وهو الخبر (الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة الفانية فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة لا تبيد أبدا أى لا تهلك ولا تموت أهلها (والحوادث) أى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان السالفة (الماضية) قبل ذلك (ما يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى العلم بالاخبار وتواريخ

(منهجه) أى طريقته السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) أى الكائنات والمحدثات من الاعيان والاكوان (والاسرار) أى فى البواطن (والمخبآت) أى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) أى ذاتا أو صفة (ويعترف المخبر) بفتح الباء أى من أخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) أى ولو كان ذلك المعترف المخبر (أعدى العدو) أى بكونه من أهل الكفر والنكر (فابطل) أى القرآن أو النبى أو الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة أى اقتلعها (من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد أى جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا نفسها لثبوتها فى مقارها كقبس أخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص مما لها من مقدار (وجاء) أى فى القرآن (من الاخبار) بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) أى السابقة الامم (وانباء الانبياء والامم البائدة) أى الهالكة ومنه حديث الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد أبدا (والحوادث الماضية) أى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) أى شئ أو الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) أى فى صرف جميع عمره

(عن بعضه) أى عن معرفة بعض أمره (على الوجوه التى بسطناها) أى أوضحناها (وبينا المعجز فيها) أى مع ما وشحناها ورشحناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) أى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول الاخر) أى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن) أى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) أى حال كونها مستمرة دائمة (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل أمة تأتى) أى بعد جماعة تنقضى (لاتخفى وجوه ذلك) أى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى) أى منضما الى (ما أخبر به من الغيوب) بضم الغين وكسرها أى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) أى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) أى زيادة صدقه أو موجب تصديقه بظهور مخبره بضم الميم وفتح الموحدة (على ما أخبر) أى على طبقه ووفقه وأغرب الدلجى بقوله على ما أخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويقوى العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر أوله اذ غاية افادة الخبر غالبا ظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة زيادة فى اليقين) أى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس أشد طمأنينة) أى سكونا (الى عين اليقين) أى الذى تفيده المعاينة (منها) أى من الطمأنينة (الى علم اليقين) أى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) أى من علم اليقين وعين اليقين (عنده) أى عند النفس (حقا) أى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين أسكن لها على ازدياد طمأنينتها وأعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل أولم تؤمن أى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر المكرر قال بلى أى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد (وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما أشار اليه بقوله (وعدمت) بصيغة المجهول أى

الامم (عن بعضه) أى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء ومن فاعل تعجز (على الوجوه التى بسطناها) أى حال مبينا على وجوه تقدمت مفصلة (وبينا المعجز فيها) أى أوضحنا المعجزات فيها بما أغنى عن اعادته (ثم بقيت هذه المعجزة) أى القرآن وفى نسخة المعجزات اعتبار وجوه اعجازه (الجامعة لهذه الوجوه) أى وجوه الاعجاز المذكورة آنفا (المضمومة الى الفصول الاخر) يعنى الاربعة المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة) لاتبدل ولا تغير ولا تذهب أبقاها الله (بينة الحجة) أى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم (لكل أمة تأتى) بعد نزول القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر (لايخفى وجوه ذلك) الاعجاز الذى ذكر أولا (على من نظر فيه) أى من نظر فى القرآن بتلاوته أو سماعه (وتامل وجوه اعجازه) أى أطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده (الى ما أخبر به من الغيوب) أى مع ما أخبر به من المغيبات (على هذا السبيل) والطريق المذكور (فلا يمر عصر وزمن) أى يجىء كالمار على أهله وليس المراد به ينقضى لقوله (الا ويظهر فيه صدقه) أى صدق القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم (بظهور مخبره) بفتح الباء أى ما أخبر به أو خبره (على ما أخبر) أى كائنا متحققا على وفق خبره أو باقيا على حاله فى وجوه اعجازه السابقة أى أخبر به فهو مبنى للفاعل (فيتجدد الايمان) بكل ما ظهر أمر جديد بمصدق له بوقوع ما فيه (ويتظاهر البرهان) أى يقوى الدليل ويزيد قوة وأصل التظاهر المعاونة والمساعدة كأنه يستند الى ظهوره (وليس الخبر كالعيان) وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بقطع النظر عن قائله فاذا شوهد دمعناه بان المراد واطمأن الفؤاد ولذا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبى كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

(وللمشاهدة) بحس البصر (زيادة فى اليقين) الذى كان البرهان القاطع (والنفس أشد طمأنينة) الطمأنينة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج (الى عين اليقين) أى الى ما يتيقن بالمعاينة والمشاهدة (منها) أى من طمأنينتها (الى علم اليقين) أى العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين (وان كان كل) من عين اليقين وعلم اليقين (عندها) أى عند النفس وفى علمها فان عند يكون بمعنى العلم كما يعبر عند الله تعالى بعلمه تارة وحكمه أخرى (حقا) أى متحققا ثابتا لا مرية فيه لكن الاول أقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول ضرورى وغيره نظرى (وسائر معجزات الرسل) قدمر وفصلناه فى شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من أنكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب (انقرضت بانقراضهم) أى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم (وعدمت) بعد وجودها وعدم مبنى للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه

وانعدمت (بعدم ذواتها) أى بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفى أصل الدلجى بعدم ذواتهم أى وجودا فى الدنيا والافقد كان الانبياء فى البرزخ أحياء فالجملة تاكيد لما قبلها وعلى الاول تاسيس وهو أولى فى محلها (ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتبيد) أى لاتفنى أبدا (ولاتنقطع) أى ولاتنقضى سرمدا (وآياته) أى علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) أى يومافيوما (ولاتضمحل) بتشديد اللام أى ولاتزول أصلا (ولهذا) أى المعنى الاعلى (أشار عليه الصلاة والسلام بقوله) أى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضى الشهيد أبو على) أى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى أبو الوليد) وهو الباجى

أى ليس نبى منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيأ الجأمن شاهده الى الايمان به فخص كل نبى بما أثبت دعواه من خوارق العادة التى أعطاه مولاه فى زمانه وبعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذى أوتيت) أى بخصوص ما أنعم على (وحيا أوحاه الله الى) اى معجزا فى أعلا طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) أى بسبب بقائه وظهور ضيائه (انى أكثرهم) وفى أصل الدلجى ان أكون أكثرهم (تابعا يوم القيامة)

بمعنى اعدمه وعدم بزنة كرم (بعدم) بفتحتين أو بضم فسكون (ذواتها) أى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم وياتى والمعروف انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو والمشهور فى العربية أى تلك المعجزات تعدم فتنقرض وان علم ثبوتها لكونها أمرا غير مؤبد ومعنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا وعن الحس وان كانت باقية فى البرزخ أحياء لايموتون كما فى حديث الاسراء والاجتماع بالانبياء (ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى القرآن (لاتبيد) أى لاتفنى وتعدم (ولاتنقطع) أى تذهب بالكلية (وآياته) أى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى تضمنها القرآن (تتجدد ولاتضمحل) بالضاد المعجمة والميم والحاء المهملة واللام المشددة أى لاتنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع (ولهذا) المذكور من بقاء معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) فى حديث صحيح رواه البخارى رحمه الله تعالى والاشارة هنا بمعنى التصريح أو عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحى الآتى أعم من القرآن فيحتمل ان المراد به أحكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر من القرآن فيه معجزات لاتحصى وليس بصريح الحديث كما ستبينه (فيما حدثناه القاضى الشهيد أبو على) بن سكرة وقد مرت ترجمته قال (حدثنا القاضى أبو الوليد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو ذر) الهروى وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد) بن حمويه السرخسى وقد تقدم (وأبو اسحق) المستملى كما تقدم (وأبو الهيثم) الكشميهنى كما تقدم (وقالوا حدثنا الفربرى) راوى صحيح البخارى وقد تقدم ضبط نسبته قال (حدثنا البخارى) صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله) العامرى الاوسى الفقيه الحافظ الثقة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا الليث) تقدمت ترجمته (عن سعيد) المعروف بالمقبرى (عن أبيه) كيسان أبو سعيد المقبرى نسبة للمقبرة لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بنى ليث روى عنه أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة مائة فى خلافة الوليد وهو ثقة (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه وعبد الرحمن بن صخر وفى اسمه اختلاف كثير اشتهر بكنيته كما مر (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه البخارى ومسلم والنسائى وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخارى (قال مامن الانبياء) تقديره مامن نبى من الانبياء (الا اعطى) بالبناء للمجهول أى الا أعطاه الله تعالى (من الآيات) أى المعجزات الظاهرة (مامثله) ما موصولة أو موصوفة (آمن) بالمد ماض أى صدق (عليه البشر) على تمليلية كما فى قوله تعالى على ماهداكم أو تقديره مستقرا عليه البشر يعنى أهل عصره (وانما كان الذى أوتيت) من الآيات والمعجزات (وحيا أوحاه الله تعالى عز وجل الى) يعنى القرآن المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله (فارجو) من الله تعالى بما أكرمنى به من المعجزة الشاملة على معجزات لاتتناهى الباقية الى يوم القيامة التى ليست كمعجزة غيرى تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها فى كل امة مالايحصى فلذا رجوت (ان أكون) دونهم (أكثرهم تابعا) أى أمة (يوم القيامة)

(حدثنا أبو ذر) أى الهروى (ثنا أبو محمد) أى ابن حمويه السرخسى (وأبو اسحق) أى المستملى (وأبو الهيثم) أى الكشميهنى (قالوا) أى كلهم (حدثنا الفربرى) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخارى) أى صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز ابن عبد الله) أى العامرى الاوسى الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) أى ابن سعد (عن سعيد عن أبيه) أى أبى سعيد المقبرى روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمى به توفى سنة مائة (عن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخارى وقد أخرجه مسلم والنسائى أيضا (قال مامن الانبياء نبى) هو أعم من رسول (الا اعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر)

هذا معنى الحديث) أى المذكور (عند بعضهم وهو) أى هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) أى المتبادر (والصحيح) أى الصريح (ان شاء الله تعالى) أى فلا يعدل عما قدمناه (وذهب غير واحد) أى كثيرون (من العلماء فى تاويل هذا الحديث

اذا حشرت الامم مع أنبيائهم (هذا معنى) هذا (الحديث عند بعضهم ممن) فسره وبين المراد منه ففيه اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا تبديلا ولا يغنى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما فى قولهم مثلك لا يبخل وعليه فتقليل كم ورد عبر به لما فيها من الدلالة على الاستدلال بالقهر والغلبة الملزمة بالايمان به وقال اغا مع كثرة ماله من المعجزات اشارة الى انه أعظم معجزاته والعرب قد تحصر الشئ فى فرد كامل منه بادعاء ان ماعدا لا يعد معه لكفايته عن غيره وقد حقق الله تعالى رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو الظاهر) من معنى الحديث (والصحيح ان شاء الله) وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم أشار الى ان فيه وجوها أخر بقوله (وذهب غير واحد) أى كثير (من العلماء) أى علماء الحديث (فى تأويل هذا الحديث) أى تفسيره وبيان ما يؤل اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح به (وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى بيان وجه ظهورها (الى معنى آخر) غير ما ارتضاه (من ظهورها) أى بيان ظهورها (بكونها) أى هذه المعجزة الباهرة (وحيا) أى كلاما موحى اليه من الله فقوله (وكلاما) عطف تفسير لان الوحى يحتمل المعنى المصدرى ثم بين وجه الظهور على هذا فقال (لا يمكن) لاحد ممن ينكره (التخيل فيه) تفعل من الخيال بالخاء المعجمة وفى نسخة التخييل بالتفعيل منه والاول أنسب بقوله (ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما قصد به دلالة لا يمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا أصل له ولا ان يعمل حيلة فى الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه (والتشبيه) به (فان غيرها) أى غير المعجزة القرآنية (من معجزات الرسل) كلها (قد رام) أى قصد وطلب (المعاندون) اى المنكرون (لها) عنادا (باشياء) متعلق برام (طمعوا) أى توهموا فجعل كالمتوهم اقربه منه معنى (فى التخييل) والتمويه (بها) باظهار مالا حقيقة له (على الضعفاء) المراد بهم العامة الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم (كالقاء السحرة) عند فرعون جمع ساحر (حبالهم وعصيهم) جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصا موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى ما ألقوه وأبطلته علموا انها معجزة فآمنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيأ (وشبه هذا) المذكور فى قصة موسى (مما يخيله) بالمعجمة أى يلبس به ويموه (الساحر أو يتحيل فيه) بالحاء المهملة أى يأتى به حيلة منه غير واقعة ثم أشار الى ان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقبل ماذكر بقوله (والقرآن كلام) من جنس الكلام البالغ نهاية البلاغة ومثله (ليس للحيلة) ممن لا يقدر عليه (ولا للسحر فى التخييل فيه) بان يعمل بقوة السحر ما يؤثر فى شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة أو شعرا (عمل) أى تاثير كما عرفته آنفا فان ساحرا لو أتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع أنواع سحره لا يمكنه ان يقوم فى نادمنشدا أو خطيبا فانه أمر جبلى لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجاف لاعرابى يتكلم بكلام عند أعقل الناس وأظرفهم لا يمكنه ان يأتى بشئ منه وبهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فما بالك بكلام أفحم جميع الفصحاء وأخرس ألسنة البلغاء وهو المراد بقوله (فكان) القرآن من حيث كونه كلاما (من هذا الوجه) أى من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز (عندهم) أى عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكر ثانيا (أظهر من غيره

وظهور معجزة نبينا) أى وتاويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) أى غير ما أفاده منطوقا (من ظهورها بكونها) أى من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) أى خفيا (وكلاما) أى جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) أى من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (وان غيرها) أى غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) أى قصدوا لابطالها (باشياء طمعوا فى التخييل بها) أى بتلك الاشياء (على الضعفاء) أى ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) أى فى معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع أى وشبيه هذا الذى فعله سحرة فرعون (بما يخيله الساحر) أى جنسه على الضعيف فى دينه وأمر يقينه (أو يتخيل فيه) أى يطلب (الحيلة فى) دفعه انه صدق أو فى اثباته انه حق (والقرآن كلام) أى لله تعالى كما فى أصل الدلجى كلام الله تعالى والاظهر انه أريد به هنا انه مطلق كلام أى اعجاز القرآن واقع فى كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) أى فى الكلام (عمل) أى مما يوجب التمويه (فكان) أى القرآن (من هذا الوجه عندهم) أى عند أرباب هذا المعنى (أظهر من غيره

من المعجزات كما لايتم للشاعر ولا الخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل (والتمويه) أي مما يكدر أمر المعجزة وينافيه (والتاويل الاول) أي الذي هو المعول (أخلص) أي أطهر وأنص (وأرضى) عند النفوس الخلص (وفي هذا التاويل الثاني مايغمض) أي بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبي مشددا أي يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء أي غطاء العين (عليه) ويروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفي أصل الدلجي بالفاء وهو تصحيف

من المعجزات) لعدم قبول التخييل والتمويه (كما لا يتم) أي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل لا اعمال بخواتمها أي بأواخرها (الشاعر) يتكلم بالمنظوم (ولا الخطيب) يتكلم بالمنثور (أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب) أي بشيء ونوع (من الحيل) جمع حيلة (والتمويه) أي التخييل والتلبيس وهو مأخوذ من قولهم موه النحاس بذهب أو فضة لتوهم من رآه انه ذهب أو فضة وهو في الاصل من الماء يذاب فيصير كالماء ثم يطلى به وتقول العامة لمذابه ماء الذهب وماء الفضة وصيغة فعل يكون للتشبيه كثيرا فانكار أهل المعاني لقوله أنف مسرج بمعنى كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له كما مر (والتاويل) أي التفسير (الاول) الذي قال انه الظاهر الصحيح (أخلص) أفعل تفضيل من خلص بخاء معجمة ولام وصاد مهملة أي أصفى من الكدر أي الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفو ويستعار للوصول انتهى وهو بمعنى أجود أو من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة (وأرضى) أفعل تفضيل من الرضى أي أكثر رضى وقبولا عند العقول السليمة (وفي هذا التاويل الثاني) الذي ذهب اليه غيره من علماء الحديث (ما يغمض) بالبناء للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطاء العين ومعنى يغمض (عليه الجفن) انه يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به أو هو كالقذاء في العين الذي يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض (ويغضى) بغين وضاد معجمتين وألف مبني للمجهول لاجل قافية السجع من أغضى الجفن اذا طبقه أو بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قبل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه أخر (ووجه ثالث) في اعجاز القرآن وانه أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (على مذهب من قال بالصرفة) على ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضة مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر واليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة (وان المعارضة) له والاتيان بمثله (كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها) اما بسلب قدرتهم ودواعيهم أو بسلب علمهم بتأليف كلام مثله وتمكنهم منه (أو على أحد مذهبي أهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) على الاتيان بكلام من جنسه أي مما هو في قدرتهم متمكنون منه (ولكن لم يكن ذلك قبل) بالبناء على الضم أي قبل ظهوره (ولا يكون بعد) بالضم وقيل المراد قبل التحدي وبعده (لان الله تعالى لم يقدرهم) بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها أي لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله (ولا يقدرهم عليه) بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله أشار الى الفرق بينهما بقوله (وبين المذهبين) أي مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده (فرق بين) بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس هذا نوعا من الصرفة وذهب اليه بعض أهل السنة كما توهم وهو عجيب

وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لامنع من الجمع وان بناء الثاني على التدقيق والله ولي التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان في ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) أي وهنا وجه آخر وفي نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث في كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان بأقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) أي بمثله في الجملة (كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها) أي بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجي فانه مذهب آخر كما سيأتي (أو على أحد مذهبي أهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) أي من جنس كلامهم الذي لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) أي الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) أي قبل التحدي ولا بعده كما ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) أي على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) أي بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المذكورة أي ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه من جنس مقدورهم

عجيب من قائله فتدبر (وعليهما جميعا) أى على هذين القولين (فترك العرب) الفصحاء على المذهب الاول (الاتيان بما فى مقدورهم) أى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله أو مثل بعضه كاقصر سورة منه (أو) تركهم على الثانى (ما هو من جنس مقدورهم) أى من جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه (ورضاهم) أى اختيارهم (بالبلاء) أى بما ابتلوا به لعنادهم (والجلاء) بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلاء وهو اخراجهم من ديارهم وأوطانهم (والسباء) بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى أولادهم وأهلهم واسترقاقهم (والاذلال) لانفسهم وأهليهم (وتغيير الحال) التى كانوا عليها من العزة والشهامة (وسلب النفوس) بالقتل والفتك فيهم (والاموال) باخذ الغنائم منهم (والتقريع) باللوم والزجر والتعيير (والتوبيخ) بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل (والتعجيز) باظهار عجزهم بالتحدى (والتهديد) لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والآخرة (والوعيد) بما يقع بهم ان لم يؤمنوا (أبين آية) أى أظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب (للعجز عن الاتيان بمثله) أى بمثل القرآن فى فصاحته واعجازه (والنكول) وهو النكوص أى الرجوع والاعراض (عن معارضته) أى الاتيان بمثله (وانهم منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) أى كلامهم الذى يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه (والى هذا) المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة وهذا هو الفرق بين القولين (ذهب) أى اختاره مذهبا (الامام أبو المعالى الجوينى) منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام أهل السنة عربا وعجما فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام الحرمين اعلم أئمة الشافعية هو وولده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الآخر (وغيره) من أهل السنة (قال) أبو المعالى (وهذا) الاعجاز (عندنا أبلغ) أى أقوى وأكثر مبالغة (فى خرق العادة بالافعال البديعة) أى المبتدعة الغريبة (فى أنفسها) أى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفى نسخة فى أنفسنا وهو متعلق بابلغ (كقلب العصا حية) لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتضئ وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه (ونحوها) كاليد البيضاء وابراء الابرص والاكمه واحياء الموتى (فانه) أى الامر والشان أو كونه أبلغ (قد يسبق الى بال الناظر) فيها وفكره وخاطره (بدارا) أى مبادرا بسرعة فى أول نظره (ان ذلك) الامر البديع الخارق للعادة نشأ (من اختصاص صاحب ذلك) الامر الذى ظهر على يديه (بمزيد معرفة) أى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها (فى ذلك الفن) أى النوع الذى كان يعتنى به أهل زمانه (وفضل علم) به وأحواله (الى ان يرد ذلك) الخاطر الذى سبق اليه (صحيح النظر) بالتأمل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين أبلغيته

(وعليهما) أى وعلى المذهبين (جميعا) أى جميعهما (فترك العرب) وفى نسخة بغير الفاء أى ترك معارضتهم الاتيان (بما فى مقدورهم) أى فى الجملة (أو ما هو من جنس مقدورهم) أى فى الصورة (ورضاهم بالبلاء) أى العناء فى أبدانهم (والجلاء) أى عن أوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا أى والسبى كما فى نسخة أى اسر اطفالهم ونسائهم واعيانهم (والاذلال) أى لانفسهم فى بعض الاحوال (وتغيير الحال) أى بمخالفتهم من الخير الى الشر (وسلب النفوس) أى فى حال القتال (والاموال) أى بذلها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) أى قهرا (والتوبيخ) أى زجرا (والتعجيز) أى بالاذلال (والتهديد) أى بعظام النكال (والوعيد) أى بوخامة الوبال (أبين آية) خبر لقوله ترك والمعنى أظهر علامة وأبهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) أى والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) وفى نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح أى قدرتهم (والى هذا) أى المذهب الثانى (ذهب الامام أبو المعالى) أى عبد الملك ابن أبى محمد (الجوينى) بالتصغير النيسابورى وهو الملقب بامام الحرمين الشافعية وله اليد الباسطة فى الطول من علمى الكلام والاصول توفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة (وغيره) أى من علماء أهل السنة والجماعة (قال) أى أبو المعالى (وهذا عندنا أبلغ من خرق العادة بالافعال

البديعة فى أنفسنا كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) أى قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء أى مبادرة ومسارعة من أول وهلة قبل التأمل فى حقيقة أمره وخفية سره (ان ذلك) أى ما ذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) أى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) أى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) أى فيتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين لقلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر

وقوته بقوله (وأما التحدى) أى طلب معارضة الكلام أو تقدم انه مشتق من الحدا التقابل الحداة فى حداتهم للابل (للخلائق) جمع خليقة بمعنى خلق (مئين) بكسر الميم جمع مائة (من السنين) فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية (بكلام من جنس كلامهم) المقدور لهم (ليأتوا بمثله) علة للتحدى (فلم يأتوا) أى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقدوة نحاة وعمروا على رؤس الاشهاد (ولم يبق بعد توفر الدواعى) أى كثرة مايدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية (على المعارضة ثم عدمها) أى المعارضة مع كثرة دواعيها (الا ان منع الله الخلق عنها) بالصرفة أو بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين وفى نسخة الامنع الله الخ (بمثابة) أى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس اليه أو يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيماذكر كما أشار اليه الراغب وقيل أصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو (ما لو قال نبى آيتى ومعجزتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم) بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم (فلو كان ذلك) أى عدم قيامهم (وعجزهم) بتشديد الجيم أى جعلهم الله عاجزين عنه (لكان ذلك من أبهر آية) أى أقوى معجزة (وأظهر دلالة) على نبوته (والله التوفيق) فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه واختلافهم من آخر (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فاريد به لازمه (وجه ظهور آيته صلى الله تعالى عليه وسلم) ولتضمينه معنى العلو قال (على سائر آيات الانبياء) الذين سلفوا قبله (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى عن كون معجزته أظهر من معجزات غيره مع ان أحياء الموتى ونحوه من آيات الانبياء قد يتوهم انه أقوى وأظهر (بدقة أفهام العرب) أصل معنى الدقة كون الشئ دقيقا ثم أستعير للوقوف على ماخفى من الامور (وذكاء ألبابها) جمع لب وهو العقل الخالص والذكاء قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال (ووفور عقولها) لوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة يعنى ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيماذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف رحمه الله تعالى لانه حكاه عن غيره (وانهم) لما خصوا به من الذكاء والفطنة (ادركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتساقه (بفطنتهم) أى قوة ذكائهم (وجاءهم من ذلك) أى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى حصل منه على مقدار ادراكهم وقوته (وغيرهم) من الامم (من القبط) القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر (وبنى اسرائيل) أى أولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل لقب يعقوب (وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل) أصل

(وأما التحدى للخلائق) أى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق اللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة فى المئين (من السنين بكلام ومن جنس كلامهم ليأتوا بمثله) أى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) أى الخلائق بتمامهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها) أى بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) أى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة ما لو قال نبى) أى وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) أى عن بعضهم للاستواء فى حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى أو التنويعية (فلو كان ذلك) أى الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) أى فى ذلك المقام (لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة) أى فى اقامة البرهان وابانة التحقيق (والله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) أى خفى عليه (وجه ظهور آيته) أى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) أى فى باقى الازمان ولم يدر انها بقائها معلومة لكل واحد فى كل أوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) أى الذى زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء ألبابها) أى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم معناها (ووفور عقولهم) أى وكثرة تعلقهم وتأملهم (وانهم أدركوا المعجزة فيه) أى فى القرآن (بفطنتهم) أى ما الجأهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) أى مما أدركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين أى بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ أى وغير العرب (من القبط) أى قوم فرعون (وبنى اسرائيل) أى موسى (وغيرهم) أى من بعدهم ماعدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) أى بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة

(بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهي عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) أي في بعض النسخ (بحيث جوز عليهم) أي على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه أنا ربكم الاعلى وقد قال عزوجل فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامري) وكان من عظماء بني اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) أي كون ظهور ربهم (في العجل فعبدوه بعد ايمانهم) أي بعد وجود ايقانهم (وعبدوا) أي طائفة من بني اسرائيل (المسيح) أي عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه) أي اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي كما أخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من ألقي عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (لخفائهم) أي اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) أي الواضحة (للابصار) أي المنفتحة (بقدر غلظ أفهامهم) أي وغلظ أوهامهم (ما) فاعل جاء وفي نسخة مما (لا يشكون فيه ومع هذا) أي المجيء بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفي نسخة فقالوا أي خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم ياموسى (ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) أي على أكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسماني من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا ان نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى) أي أقرب الى الدناءة وأدون في المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذي هو خير) أي في المرتبة واللذة وعدم الحاجة الى الكد والمشقة وأقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) أي على حالتها التي كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة وأحوال الديانة (أكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه أهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به أحد منهم بل أرادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضي ان يحيي بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما قد يتفوهون به أهل العصر وقد قال الله تعالى أنا الدهر أي خالقه أو المتصرف فيه

معناه الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كما عرب ونفي سبيل الشيء أبلغ من نفيه (بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة) الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال ليس الغبي بسيد في قومه ٭ لكن سيد قومه المتغابي (بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم) حيث رفع مكان هو خبر كان أي بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة لقبط (وجوز عليهم السامري) وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر (ذلك في العجل) أي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر (بعد ايمانهم) بالله تعالى فاضلهم السامري وكان من أهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من أثر فرس ركبه جبريل عليه الصلاة والسلام فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطأ الطريق اليه فجاء كي يكلمكم كما كلمه فاتبعوه واستخفه عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم (وعبدوا) أي بنو اسرائيل (المسيح) عيسى ابن مريم (مع اجماعهم على صلبه) واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) أي ألقي شبهه على رجل اسرائيلي فظن اليهود انه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم (لخفائهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار) أي لعدم دقة أفهامهم كانت آياتهم في غاية الظهور وتدرك بالبصر (بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه) فاعل جاء وعدم شكهم لظهور ما جاءهم (ومع هذا) الظهور (فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أي معاينة بابصارنا لشكهم فيما أتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن البيان (ولم يصبروا) أي بنو اسرائيل (على المن) وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويؤكل (والسلوى) وهو طائر كالسماني واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام أخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سألوه ان يطعمهم من اللحوم فأتاهم بالسلوى فكانوا يأخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذي هو أدنى) أي طلبوا بدلا لادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل (بالذي هو خير) وهو المن والسلوى والباء داخلة على المتروك وفيها تفصيل أفردناه بتأليف (والعرب على جاهليتها) أي على حالها التي كانت عليه قبل الاسلام من الجهل وانها أمة أمية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل انها استعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم (أكثرها يعترف بالصانع) أي بوجوده تعالى وليست معطلة كبعض الامم واطلاق الصانع على الله تعالى صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى وليس مما أحدثوه وفي قوله أكثرها اشارة الى ان منهم فرقة دهرية قالوا

(وانما كانت) أى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) أى تقربا كما قال الله تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) أى وسفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) أى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه أدرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) أى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) أى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) أى بزيادة قابليتهم وأهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) أى بعضهم أولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) أى واكتسبوا بوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) أى تركوها (كلها) أى مالها وجمالها (فى صحبته) أى وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم وأموالهم) أى وفارقوهما باختيارهم (وقتلوا آباءهم وأبناءهم) أى وسائر أقاربهم وأحباءهم (فى نصرته) أى فى نصرة دينه وقوة يقينه (وأتى) أى وأورد ذلك البعض من العلماء (فى معنى هذا) أى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) أى بما يلمع له ضياء ويلمح له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول أى ويبرق من أثره وظهور أمره (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى آخره جيم أى زينة من ذهب أو جوهر أو وشى (لو احتيج اليه) أى الى كلامه (وحقق) أى أمره فى مرامه (الكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) أى ووضوح أمرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى بمحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع (ورضى الله تعالى عنهم اجمعين وبالله استعين) أى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) أى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) أى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا وأولا وآخرا * والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى أتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله * اللهم أختم لنا بالخيرات أعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات أحوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين يا رب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويليه القسم الثانى الذى ليس له ثانى فى هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجانى فى أوائل جمادى الثانى من شهور عام عشرة بعد الالف السابع من عالم المبانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة بمنه آمين

*(القسم

ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب (وانما كانت) عبدة الاصنام منهم (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) ولا تدعى انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه (ومنهم من آمن الله وحده من قبل بعثة (الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن أبى الصلت (بدليل عقله وصفاء لبه) الذى هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر فى مصنوعاته

وفى كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(ولما جاءهم الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم أى بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله تعالى (بكتاب الله تعالى) المنزل عليه (فهموا حكمته) أى ما فيه من الحكم والعلوم النافعة (وتبينوا الفضل ادراكهم) وزيادة عقلهم (لاول وهلة) أى فى أول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته أول وهلة بسكون الهاء وفتحها أى أول شئ ولام لاول توقيتية أى عند أول وهلة (معجزته) يعنى القرآن (فآمنوا) به (وازدادوا كل يوم ايمانا) وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر فى علم الكلام (ورفضوا) أى تركوا (الدنيا كلها فى صحبته) أى لاختيار صحبته على كل شئ (وهجروا ديارهم وأموالهم) طلبا لرضاء الله تعالى ورضاه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه (فى نصرته) فى هنا تعليلية (وأتى) هذا القائل الذى غاب عنه ما تقدم (فى معنى هذا) وزعم ان ظهور آياته لما قاله (بما يلوح له رونق) أى يظهر له لفظ حسن (ويعجب منه زبرج) بكسر الزاى المعجمة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهى الزينة والوشى الذى هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قوله لضعفه ولذا قال (لو احتيج اليه وحقق) أى بينت حقيقته (لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا) صلى الله عليه وسلم (وظهورها) من غير حاجة لما ذكره من ذكاء العرب وفهمهم (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك) أى ادعاء مثل هذه الامور الخفية (وظهورها) أى ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر (وبالله استعين) والحمد لله وحده وصلى الله تعالى على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم كثيرا دائما

بسم الله الرحمن الرحيم ذي الجلال والاكرام الذي يجب ان يبدأ بذكره المرام ويختم بشكره الكلام * (القسم الثاني فيما
يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) * أي القسم الثاني من كتاب الشفا في حقوق المصطفى في بيان ما يجب على
المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (بهذا) أي القسم الثاني
(قسم) أي عظيم (لخصنا فيه الكلام) أي اقتصرنا واختصرنا (في أربعة أبواب على ماذكرناه) أي وفق ماقررناه وحررناه (في أول
الكتاب ومجموعها) أي مجموع أبواب هذا القسم الاربعة (في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام) أي الايمان به
فيما جاءه عن ربه
(واتباعه في سنته) أي
في وجوب متابعته في
شريعته وطريقته
حقيقته (وطاعته) أي
وفي وجوب امتثال
أوامره واجتناب زواجره
كما بينه في فصول الباب
الاول (ومحبته) أي وفي
وجوب محبته وجعل
محبته تابعة لمحبته كما ورد
لا يؤمن أحدكم حتى
يكون هواه تبعا لما
جئت به لان محبته سبب
لمتابعته ومتابعته علامة
لمحبة الله تعالى ابتداء
ومحبة الله تعالى اياه
انتهاء كما قال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله كما بينه في
فصول الباب الثاني
(ومناصحته) أي وفي
وجوب قبول نصحه له
في أمره ونهيه ونصحه
لرسوله ودينه كما ورد
الدين النصيحة لله
ولرسوله ولكتابه ولائمة
المسلمين وعامتهم وقد
أوضحنا معنى هذا الحديث في شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة في النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة في
الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) أي وفي وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه في
فصول الباب الثالث (وبره) أي وفي وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وأمره (وحكم الصلاة عليه والتسليم) أي وفي وجوب
حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) أي وفي بيان زيارة قبره ومايتعلق به كما حققه في الباب الرابع وهذا الامر اجمالي سيرد عليك
القدر التفصيلي في ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلي

* (الباب الاول) * (في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) أي في بيان فرضية تصديقه في المعتقدات وفي وجوب طاعته في الواجبات

---

* (القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) *

الوجوب الشرعي مايلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو مايستحقه
عليه الصلاة والسلام (وهذا قسم) من الاقسام الاربعة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى (لخصنا
الكلام فيه) أي اختصرناه من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه (في أربعة أبواب على ماذكرناه في أول
الكتاب) في اجمال مااشتمل عليه وفهرسته (ومجموعها) أي مجموعها واجمالها من قولهم جمل الحساب
والضمير للابواب الاربعة (في وجوب تصديقه) عليه الصلاة والسلام في كل ماجاء به عن ربه ويدخل
فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من
انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه أشرفهم وخاتمهم (واتباعه) صلى الله تعالى عليه وسلم
أي الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه أي ان يجب اتباعه في وجوب
الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقييده بالواجب لا المسنون (وطاعته)
بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب الانقياد ويضادها الكره قال الله تعالى ائتيا
طوعا أو كرها وأكثر مايقال لسائر انتهى فالطاعة فيها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال في الفرق
ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك أي منقاد لم يصب في مدعاه
واستدلاله (ومحبته) بان يكون صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأهله وماله والمحبة الميل
النفساني وهي معروفة (ومناصحته) وهي لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وستأتي وعبر
بالمناصحة دون نصحه لانه أبلغ ولان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نصحهم
(وتوقيره) أي تعظيمه والتأدب معه بما هو لائق به صلى الله تعالى عليه وسلم (وبره) صلى الله تعالى عليه
وسلم ببذل ماقدر وسعه له من المال وغيره من أمور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه لانه
الطاعة لا وجه له (وحكم الصلاة عليه والتسليم) من الوجوب ومحله (وزيارة قبره) أي وحكم زيارة قبره
الشريف (عليه الصلاة والسلام) وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ماقبلهما مستمر دونهما وتعبيره به
لانه في بيته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا حكمة دفنه فيه دون المقابر

* (الباب الاول) *

تقدم وجه تقديمه (في فرض الايمان به) صلى الله تعالى عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا
فرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان
لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ماثبت بدليل قطعي
بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول (ووجوب طاعته) أتى
بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه لما
قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغي تقديمه (واتباع سنته) أي طريقته التي سنها صلى الله تعالى عليه وسلم

واستحباب متابعته فى المستحبات أو التقدير وفى وجوب اتباع شريعته التى تعم جميع الحالات وفى المغايرة بين الفرض والوجوه ايماء
بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتامل (اذ تقرر
بما قدمناه) أى فى ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) أى بظهور معجزاته (وصحة رسالته) أى بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع
ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما أتى به) أى من عند ربه تعالى من جهة الوحى الجلى أو من طريق الوحى الخفى
والمعنى وجب تصديقه بجميع ما فى الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب أيضا لقوله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا أى من مخالفتهما فيما أمرا به ونهيا
عنه وبما قررنا ظهرت المغايرة فى العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجى رحمه الله تعالى عند من يقول الايمان
هو التصديق فقط فلا
وجه له لان المحققين
على ان الايمان هو
التصديق والاقرار شرط
لاجراء أحكام الاسلام
والاعمال شرط الكمال
بخلاف المعتزلة والخوارج
حيث ادخلوا الاعمال
فى اجزاء الايمان وعلى
كل تقدير ففرق بين
الايمان برسالته عليه
الصلاة والسلام وتصديق
ما جاء به من الاحكام
حتى لا يحرم الحلال ولا
يحلل الحرام (قال الله
تعالى فآمنوا بالله
ورسوله) وهو الفرد
الاكمل والنبى الافضل
(والنور الذى أنزلنا)
أى القرآن المشبه بالنور
الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل الاعتراف
وسمى نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه لغيره (وقال انا أرسلناك شاهدا) أى بتصديق من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم
وبتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) أى بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) أى بالنار (وأليمها للكافرين لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة
فى السبعة أى لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجى رحمه الله تعالى الخطاب له ولامته أى على سبيل التغليب أولهم تنزيلا لخطابه منزلة
خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة على قراءة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله أعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى
فآمنوا بالله) أى بذاته وصفاته (ورسوله) أى الثابت رسالته بمعجزاته (النبى) أى الجامع بين نعتى الرسالة والنبوة التى هى عبارة
عن ولايته باخذها الفيض السبحانى وبفيد النوع الانسانى (الامى) أى المنسوب الى أم القرى وهى مكة المكرمة كما قال تعالى لتنذر
أم القرى ومن حولها أو المنسوب الى أمة العرب التى غالبها لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة أمية لا نكتب ولا نحسب الحديث أو المنسوب
الى الام يعنى على الوصف الذى خرج به من بطن أمه ما اكتسب شيأ من القراءة والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على أصل
الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وكما ورد كل مولود يولد على الفطرة (الآية) أى الى آخرها وهو قوله تعالى (الذى
يؤمن بالله وكلماته) أى بما أنزل عليه وعلى غيره من الرسل أو باسمائه وصفاته (واتبعوه) فى مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون)
تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان بالنبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) أى امتثالا الامر به (متعين) أى لا يمكن التخلص

وشرعها فهو بالمعنى اللغوى فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله أولا اتباعه ولم
يعدّ فى لانه غيره مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغى ذلك (اذا تقرر) ثبت (بما
قدمناه) فى هذا الكتاب (ثبوت نبوته) بالوحى اليه (وصحة رسالته) لجميع الخلق وآخرها لانها أخص
وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود والمنكرين للنسخ وبعض من غيرهم
ادعى عدم عموم رسالته (وجب الايمان به وتصديقه فى) جميع (ما أتى به) وأخبرنا به ومنه الايمان بالله
ورسله وكتبه وغيرها ان لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه
بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق فى كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم
على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته
بامتثال ما جاء به من الشرائع انتهى وفيه نظر (قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم
(والنور الذى أنزلنا) يعنى ما أوحى به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل
المراد به القرآن اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر أو
لانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال بالآية ظاهر (وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا) على من صدق
وكذب ليثاب أو يعاقب (ومبشرا) لمن آمن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب نفس
السامع كل مذهب كما فى قوله تعالى (ونذيرا) أى منذرا ومخوفا لمن عصاك (لتؤمنوا بالله ورسوله)
الخطاب فى انا أرسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كى وقيل تحتمل ان تكون لام أمر وهو بعيد
وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهى ظاهرة لان خطابه صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه فى
حاشية القاضى والاستدلال بالآية على التعليل لان الانذار يقتضى وجوب اتباعه على انه فى غنية عنه
بما قبله وبعده من قوله (وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الآية) أى الذى يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به فى القرآن فى آيات كثيرة (فالايمان بالنبى محمد
صلى الله عليه وسلم واجب) لامر الله به مرارا (متعين) أى فرض عين لا فرض كفاية فيجب

عن حكمه (لا يتم) أي لانه لا يتم لاحد (الايمان) أي الشرعي (الا به) أي الا بالايمان به أو الا بسببه (ولا يصح الاسلام) أي استسلام الاحكام (الا معه) أي الا مع الايمان به أو مع موافقة انقياده في حكم ربه وفي نسخة ايمان واسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) قيل وضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندي ان الاظهر في المعنى ان يقال وأعتدنا للكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم أو المعنى أعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين النذارة والبشارة وهذا الملحظ أولى لانه يشتمل الكل كما لا يخفى (حدثنا أبو محمد الخشني) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفي نسخة زيد الفقيه وقوله (بقراءتي عليه) أي لا بمجرد سماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (الامام أبو علي الطبري) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) أي حدثنا (عبد الغافر الفارسي) بكسر الراء ويسكن وفي نسخة القاري وهو تصحيف وقد تقدم أيضا (ثنا) أي حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون ميم وفتح راء وواو وسكون تحتية وكسرها وضبط أيضا بضم راء وسكون واو وفتح تحتية وفوقية مفتوحتين وهو الجلودي وقد تقدم (ثنا) أي حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) رحمه الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (أمية) بالتصغير (ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها ويصرف وقد يمنع (ثنا) أي حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاي مصغرا أخرج له الائمة الستة (ثنا) أي حدثنا (روح) بفتح الراء أخرج له (الائمة) الستة ما عدا الترمذي رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) أحد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك وأخرج له مسلم والاربعة (عن أبيه) هو عبد الرحمن بن يعقوب الجهني أخرج له مسلم والاربعة (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) أي أمرني الله تعالى اذ لا آمر له سواه (ان أقاتل الناس) أي بمقاتلة الكفار وهو عام خص منه من أقر بالجزية (حتى يشهدوا أن) أي انه (لا اله الا الله) استثناء من الكثرة المفهومة من اله اذ مفهومه كلي في الذهن يتوهم منه الكثرة في الخارج مع انه ليس هنالك الا واحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الكرم والجود وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله (ويؤمنوا بي وبما جئت به) أي بما أمرني ربي أو المعنى في قلبي (فاذا فعلوا ذلك) أي آمنوا بهما والتزموا أحكامهما واذا فعلوا ما أقاتلهم لاجله

لاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلا بد منهما شرعا (اذ لا يتم) ولا يصح (ايمان) لاحد بالله (الا به) أي الا بالايمان برسوله عليه الصلاة والسلام وبكل ما جاء به (ولا يصح اسلام الا معه) أي مع الايمان بالله والايمان بالرسول بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تأكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) وفي الآية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفاء أحدهما لتفريع قوله فانا أعتدنا الخ عليه (حدثنا أبو محمد الخشني بقراءتي عليه) وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء والشين المعجمتين ونون وياء نسبة تقدمت ترجمته قال (حدثنا الامام أبو علي الطبري) تقدمت ترجمته قال (حدثنا عبد الغافر الفارسي) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن عمرويه) الجلودي وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة تصغير عند أهل البصرة مولده قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي مسلم قال (حدثنا أبو الحسين) هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا أمية بن بسطام) بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل أخرج له الشيخان والنسائي قال (حدثنا يزيد بن زريع) بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ أبو معاوية البصري كما تقدم قال (حدثنا روح) بفتح الراء المهملة وواو ساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة (عن العلاء) بفتح العين المهملة والمد (ابن عبد الرحمن بن يعقوب) عالم المدينة وهو أبو شبل مولى الحرقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن (عن أبيه) عبد الرحمن (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أمرت) بالبناء للمجهول أي أمرني الله اذ لا آمر له صلى الله تعالى عليه وسلم سواه (ان أقاتل الناس) أي بان أقاتلهم ومحله بعد حذف الجار نصب أو جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية (حتى يشهدوا أن لا اله الا الله) غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية (ويؤمنوا بي) أي بكوني نبيا رسولا (و) يؤمنوا (بما جئت به) من الله وأوحاه اليه من شريعته التي أمر بتبليغها وتكليفهم بها (فاذا فعلوا ذلك) المذكور

(عصموا مني دماءهم) أي منعوها فلا يجوز سفك دمائهم وأخذ أموالهم بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي الا بحق يتعلق بها كقتل نفس بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد ويلحق بها ترك صلاة وزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله) أي فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متولى لسرائرهم والحديث هذا قد أخرجه القاضي كما ترى من عند مسلم وهو في الايمان ورواه البخاري رحمه الله تعالى أيضا وفي رواية أخرجها الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال السيوطي وهو متواتر ولفظه أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على

الله وفي رواية عن أنس رضي الله تعالى عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان أو كفر بعد اسلام أو قتل نفس فيقتل بها (قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (والايمان به) أي بالنبي عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) أي انبائه عن الحق (ورسالة الله تعالى له) أي الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء أو في أي تصديقه بهما أو فيهما وهذا باعتبار ذاته وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) أي من معتقداته (وما قاله) أي وفي جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة تصديق القلب بذلك) أي بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع أي اقراره (بانه رسول الله) أي الى جميع افراد الانس والجن أو الى الخلق كافة (فاذا اجتمع

من الشهادة والتصديق لما جاء به والتزام أحكام شريعته (عصموا) أي صانوا وحفظوا (مني دماءهم) بعدم المقاتلة لهم (وأموالهم) فلا تؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب (الا بحقها) أي ان تستحق اباحة دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه أو يستحق أموالهم بمنع زكاة أو ثبوت حق عليهم (وحسابهم على الله) أي أمرهم بعد ذكر موكول الى الله تعالى اذا حاسبهم على ما أسروه في أنفسهم ومالم نقف عليه من الكفر والمعاصي فيثبت من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله لزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الآخرة وقيل ان تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان أهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله تعالى وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم (قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف رضي الله تعالى عنه (والايمان به صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته) أي التصديق بها (ورسالة الله له) أي ارساله ولاضافة اختصاصية لا بمعنى الباء كما توهم وان كان المعنى عليها (وتصديقه في جميع ما جاء به) عن الله بالوحي بانواعه (وما قاله) أي في جميع أقواله لانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما أمر بتبليغه (ومطابقه) أي موافقة (تصديق القلب) أي اعتقاده والجزم به وأصل المطابقة وضع شيء على شيء هو طبقه وقوله (بذلك) أي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جاء به (شهادة اللسان) بنطقه واعترافه (بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله تعالى عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك) المذكور من رسالته وما جاء به (باللسان تم الايمان) الحقيقي المنجي في الدنيا والآخرة (والتصديق له) أي كيفيته ولفظه (كما ورد في هذا الحديث) الذي رواه المصنف رحمه الله تعالى عن أبي هريرة (نفسه) بالجر تأكيد للحديث (من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) وهذه رواية مسلم عن ابن عمرو فيها ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا الى آخره وقوله تم الايمان أي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد أحدهما كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما ينفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد من اختلاف فيه هل هو شطر أو شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين يضيق المقام عنه (وقد زاده وضوحا) أي زاد صلى الله تعالى عليه وسلم

أي في العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان (والنطق) أي معه (بالشهادة بذلك) ما
أي بما ذكر (باللسان) أي وبالاقرار الذي هو شطر أو شرط على خلاف بين الاعيان (تم) أي كمل (الايمان به) أي بالجنان (والتصديق له) أي باللسان (كما ورد في هذا الحديث) أي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (نفسه) أي بعينه الا انه (من رواية ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما أي لا من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (أمرت ان) أي بان (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) الحديث أخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جاء من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضا وقد رواه أصحاب الستة عنه الا انه بلفظ اني رسول الله (وقد زاده) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وضوحا

في حديث جبريل) عليه السلام أي سؤاله عنه (اذ قال) أي حين قال جبريل عليه السلام (أخبرني عن الاسلام فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة وفي نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده من الاسلام وهو الانقياد الظاهري دال على ان الايمان هو التصديق القلبي والانقياد الباطني (وذكر اركان الاسلام) أي بقية أركانه اذ الجملة مجملة كما ورد بني الاسلام على خمس حيث قال ان تشهد بالله وتقيم الصلاة وتؤتي

الزكاة وتصوم رمضان وتحج

(وكذلك ...) مذكر بيانا (في حديث جبريل) عليه الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم (اذ قال) له جبريل المار له صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة انسان (أخبرني عن الاسلام) أي حقيقته ومعناه شرعا وهو في اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تشهد ان لا اله الا الله) ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان يقول أشهد الى آخره وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة أو يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا الثاني معاشر الحنفية ولو بغير لغة العربية لمن لا يقدر عليه (وان محمدا رسول الله) أرسله لجميع خلقه (وذكر اركان الاسلام) يعني قوله ويقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا نظرا الى انه يكفي في اجراء أحكام الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لا كمله واقامة الصلاة أداؤها وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه (ثم سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الايمان) أي عما يجب التصديق به شرعا (فقال) مجيبا له (ان تؤمن بالله) أي تصدق بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ولا شريك له في ذلك وليس هذا تعريفا للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يأمن التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف هو الثاني بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته التي يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول التصديق وأصله الطاعات كما فصل في علم الكلام (وملائكته) جمع ملك من الالوكة وهي الرسالة وأصله مالك ثم قلب وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتأنيث الجمع أو المبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة وانهم أجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عدتهم الا الله (وكتبه) التي هي كلامه تعالى المنزل على رسله الازلي فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته (ورسله) جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع وكتاب وأمره بتبليغه عباده (الحديث) بالنصب أي اذكره أو اقرأه واعرف ذلك الى آخره وهو واليوم الآخر والقدر خيره وشره واقتصر المصنف رحمه الله تعالى على المقصود منه (فقد قرر) أي بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (ان الايمان به) أي بالله أو بما ذكر في الحديث (محتاج الى العقد) أي الاعتقاد الجازم (بالجنان) بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره أو استتار ما فيه من جنه اذا ستره (والاسلام به) أي بالله أو بما ذكر (مضطر) أي محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما (الى النطق باللسان) ليعلم في قاله (وهذه الحالة) أي اعتقاد الجنان والنطق باللسان (هي المحمودة) عند الله والناس (التامة) بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتام

البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) أي سأله جبريل (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) أي ان تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) أي بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (وكتبه) أي بانها منزلة من عنده (ورسله) أي بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا به (الحديث) تمامه واليوم الآخر أي وبما وما فيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن بالقدر خيره وشره أي حلوه ومره والحديث بطوله مذكور في الاربعين وقد شرحناه في المبين المعين وهو حديث رواه الستة وغيرهم (فقد قرر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) أي بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به من غيره (محتاج) وفي

نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم أي الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) أي وان الاسلام (به) لانقياد الظاهري اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) اي ليتم بالبيان فان اللسان ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفي نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفي نسخة هي المحمودة التامة أي عند الخاصة والعامة فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين أهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا في كون الاقرار شطرا للايمان أو شرطا لاجراء أحكام الاسلام فاندفع قول الدلجي رحمه الله تعالى هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل

القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم وأما قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على أرباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع أجزائه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه وبهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من أجزاء الايمان والله المستعان هذا ويدل على ما قررنا ويشهد لما حررنا قوله (وأما الحالة المذمومة) أى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق القلب) أى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) أى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) أى الحقيقى وهو ابطال الكفر واظهار الايمان وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة أى متعاليا عما لا يليق بذاته وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أى توهيما منهم شهادة واطئة فيها قلوبهم ألسنتهم لازعامهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) أى كما اظهروه ولو كان مخالفا لما أبطنوه والجملة احتراز من نفى رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (أى كاذبون فى قولهم) أى فى دعواهم (ذلك) أى كونك رسول الله صادرا (عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه) أى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق) أى لم يوافق (ذلك) أى قولهم (باظهار ظواهرهم (ضميرهم) أى قلوبهم بواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) أى مجرد أقوالهم (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) أى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) أى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذ لم يكن معهم) أى ايمان كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الراء وسكونها أى الطبقة السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى أعلى أماكن الجنة وارفع دركاتها (وبقى عليهم حكم الاسلام) أى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم

اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء أحكام الاسلام عليه فى الدنيا كالصلاة عليه ودفنه فى مقابرنا فمن آمن بقلبه ولم يعلم به أحد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء (وأما الحالة المذمومة) اضرها فى الآخرة (فالشهادة باللسان) أى الاقرار والتلفظ بالشهادة به (دون تصديق القلب) بالاعتقاد الجازم (وهذا هو النفاق) الذى يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفى الكفر وهو لغة اظهار خلاف ما يضمره من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من أبواب جحره ليخرج منه اذا أحس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون) الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نشهد انك لرسول الله) فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله (والله يعلم انك لرسوله) وهو توطئة لقوله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أى كاذبون فى قولهم ذلك) أى قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه مؤكدا بهذه التاكيدات يقتضى انه ناشئ (عن اعتقادهم) الجازم (وتصديقهم) القلبى أو اللسانى (وهم لا يعتقدونه) جملة حالية أى والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما أخبر الله تعالى به (فلما لم يصدق ذلك) القول (ضمائرهم) أى ما أضمروه فى قلوبهم أو قلوبهم لان الضمير يطلق عليه (لم ينفعهم ان يقولوا) أى قولهم لم ينفعهم فى الآخرة لانهم فى الدرك الاسفل من النار (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه أهل المعانى وهذه الآية نزلت فى ابن أبى بن سلول رأس المنافقين وأصحابه وقصته مشهورة فى كتب الحديث فلا نطول بها (فخرجوا عن اسم الايمان) أى عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مؤمنين فى الدنيا عند من عرفهم (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) وهو دخول الجنة فهم فى الدرك الاسفل من النار مع الكفار كما يأتى وقوله فى الآخرة اشارة الى انهم يجرى عليهم فى الدنيا حكمه نظرا الظاهر حالهم كما بينه بقوله (اذ لم يكن معهم ايمان) فى الآخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن فى قلوبهم فكأنه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه (ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار) الدرك بفتح الراء وسكونها اسم لما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعنى انهم فى قعر جهنم وآخر طبقة منها وهى سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة منها على الجميع أيضا بالاشتراك اللفظى والمعنوى (وبقى) جار (عليهم حكم الاسلام) فى الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم

(باظهار شهادة للسان) أى بسبب اظهارهم وهذا (فى أحكام الدنيا المتعلقة بالائمة) أى أئمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) أى من القضاة والسلاطين (الذين أحكامهم على الظواهر) أى جارية وسارية (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى من الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا أمروا) أى الائمة والحكام (بالبحث عنها) أى عن السرائر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك) أى التحكم هنالك (وقال) أى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم أقتلته بعد ان أسلم فقال معتذرا انما أسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) أى لم ما كشفت عن ضميره وهذا أمر تعجيز اذ لا اطلاع على قلب أحد الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ كقولك هلا ضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن أسامة ابن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه أم لم يقل عن قلبه وأبعد لانطاكى حيث قال الفاعل فى قوله أقالها هو القلب

(باظهار شهادة اللسان) أى بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد نحكم الاسلام كل ما كان داخلا (فى أحكام الدنيا) أى ما يحكم به لهم وعليهم من أحكام الشرع (المتعلقة بالائمة) أى السلاطين والخلفاء لا العلماء لانهم ليسوا مامورين باجرائها (وحكام المسلمين) كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر نفاقه منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لارادة نقضها نا بتوهم لذا لم يصل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ابن ابى بن سلول وان كان صلى عليهم وانما بقاه لمصلحة أشار اليها فى الحديث الآتى قوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه فكان هذا من خصائصه فى ابتداء الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع عمر رضى الله تعالى عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زاده بيانا قوله (الذين أحكامهم) جارية ومبنية (على الظواهر) من أحوال الناس كلهم (بما أظهروه من علامة الاسلام) أى ان أحكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهار الاسلام بانقيادهم له والتزامهم أحكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفى نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامته (اذ لم يجعل) ببناء المجهول اى لم يجعل الله (للبشر) أى الناس كلهم (سبيل) أى طريق (الى السرائر) جمع سريرة وهى ما فى الباب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجراء حكمه (ولا أمروا) الضمير للبشر باعتبار المعنى (بالبحث) أى التفحص والتفتيش (عنها) أى عن السرائر ثم ترقى فقال (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها) أى الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف أولا لانه ليس بحكم كما قال نحكم الرجل لمن لا سلم له (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لاسامة بن زيد فى حديث صحيح رواه البخارى لمن اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله أسامة لاعتقاده ان اسلامه باطل لانه خوفا من القتل فقال له أقتلته بعد ان أسلم (هلا شققت عن قلبه) وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل أفادت الامر واذا دخلت على الماضى أفادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش أى شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم أقال ما قاله خوفا أم لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه بشقه لا يدرى ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به فكان عليه ان يختبره حتى يعلم هل هو مخلص أم لا لكن لما رآه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه اسلام يأس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متأول لا متعمد للخطأ فى قتله والحديث كما فى الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لى يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الى آخره فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجره والرجل المقتول اسمه مرداس الفزارى أو الفدكى وبما ذكرناه علم ان أسامة رضى الله تعالى عنه متأول فى قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يختبره فلا يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودى انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطأ وانما سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك أو لانه كان قتل قبل نزول آية

الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شئ لانه ماذون فى أصل القتل فهو كالطبيب والختان أو لم يكن له وارث مسلم ولا ولى وأسامة رضى الله تعالى عنه أقر بذلك لا حاجة اليه ٭ أقول اذا لم يكن له وارث دينه لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكى فى فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل فى الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لا يكون عفوا (والفرق بين القول) أى مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه (والعقد) أى التصديق بقلبه واعتقاد جنانه (ماجعل) ما مصدرية أى جعله (فى حديث جبريل) الذى تقدم فى سؤاله عن الاسلام والايمان (الشهادة) أى التلفظ بها ركنا (من الاسلام) لما قال فى جوابه ان تشهد الى آخره (و) جعله (التصديق من الايمان) أى الاعتقاد بالقلب وهذا بناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن فى قوله ان تؤمن بالله تعالى عز وجل الى آخره (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أى الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه أى الجمع بينهما (احداهما أن يصدق) المكلف (بقلبه ثم يخترم) بخاء معجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبنى للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا أتاه بغتة بسرعة وأصل معنى الخرم القطع وتفريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه الحياة كما أشار اليه بقوله (قبل اتساع وقت الشهادة باللسان) أى التلفظ والنطق بها لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللسانى والتصديق بقلبه الموافق له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه مامر وهذه حالة بينهما (فاختلف فيه) أى فيمن هذه حاله أمؤمن هو أم لا (فشرط بعضهم) أى قال انه (من تمام الايمان القول والشهادة به) باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بهما الا عند العجز عن النطق (ورآه) ماض من الرأى (بعضهم مؤمنا) فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة (مستوجبا) أى مستحقا (للجنة) ودخولها لعذره بعدم تمكنه و(لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (يخرج) روى بالبناء للفاعل والمفعول (من النار من كان فى قلبه) باعتقاده (مثقال ذرة من الايمان) أى وزنها ومقدارها فى الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث فى الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لان المراد به العصاة المعذبون بسبب آخر أو بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينه وبين الاستدلال به بقوله (فلم يذكر) فى الحديث شيأ (سوى ما فى القلب) من ايمان بمقدار ذرة (وهذا) المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق (مؤمن بقلبه) فينفعه ايمانه عند الله تعالى لانه (غير عاص) أى تارك لما يلزمه (ولا مفرط) بتشديد الراء المهملة أى مقصر عمدا

(والفرق) وفى نسخة وللفرق (بين القول) أى اللسان (والعقد) أى بالجنان (ماجعل) بصيغة المفعول أو الفاعل وما مصدرية أى جعله أو موصولة أى الذى جعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث جبريل) عليه السلام أى المتقدم (الشهادة) بالرفع أو النصب أى الاقرار (من الاسلام) أى من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) أى وجعله فيه منه بقوله مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان أخريان بين هذين) أى الحالين وهما الحالة المحمودة لخاص المؤمنين والحالة المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) أى المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة المجهول أى يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) أى قبل ان ياتى بها (بلسانه) أى لضيق زمانه (فاختلف فيه) أى فى انه مؤمن أم لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سواء قيل ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام لا لحقيقة الاسلام أو شطر لان قائله قائل بانه ركن قابل لسقوطه فى بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) أى المصدق المذكور قبل تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) أى مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) أى لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به وأيضا لو لم يعتبر ايمانه للزم أن يكون فى النار مخلدا وهو غير واقع كما أشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول أو الفاعل (من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان) وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى أمره ولا يضيع أجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهى كل جزء من أجزاء الهباء فى الهواء والمراد بها غاية القلة التى قد يعبر عنها بالعدم أى لا يظلم أصلا (فلم يذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام (سوى ما فى القلب) أى لان غيره غير نافع عند الرب فى العقبى لانقضاء أحكام ظاهر الاسلام فى الدنيا (وهذا) أى المؤمن بالجنان العاجز عن إقرار اللسان (مؤمن بقلبه) أى فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص) أى حيث أطاع وآمن به (ولا مفرط) (بترك

بترك غيره) أي بترك غير أمره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (وهذا) أي الرأي من هذا البعض (هو الصحيح في هذا الوجه) أي لما بيناه من الوجه الذي عيناه (الثانية) أي الحالة الثانية (ان يصدق بقلبه) أي ويكتفي به لم ربه (ويطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك أي زمانه (وعلم مايلزمه من الشهادة) أي النطق بها (فلم ينطق بها جملة) أي مطلقا (ولا استشهد في عمره) أي ولا تشهد في عمره مرات كثيرة كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولا مرة واحدة) أي بل ولا كرة (فهذا) أي المؤمن المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه أيضا) أي كما (اختلف فيما قبله فقيل هو مؤمن) أي لانه أتى بما يكفي من مقصود الايمان (لانه مصدق) أي بقلبه وهو من أحسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) أي أركان الاسلام الموجبة للكمال (وهو) في نسخة فهو (عاص بتركها) أي بترك الشهادة كما وترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) أي في النار كما في نسخة والمعنى ان دخلها الايخلد فيها كما هو شان المؤمن العاصي حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال امكان وجوده فبطل قول الدلجي وهذا كلام عند المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف في انه مؤمن أو ليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) أي اعتقاده وتصديقه بالجنان (شهادة) أي اقرارا بالله ورسوله وفي نسخة شهادة اللسان وهي بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن الشيء فقد قارنه ذلك الشيء وانما قيل ينافي ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) أي قبول احكام اسلام (وهي) الشهادة (مرتبطة مع العقد) أي جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون أي مع الامهال زمانا يسعه القيام بشرطه أو شطره (الا بها) أي بالشهادة سواء قلنا انها شرط أو شطر كما بينا (وهذا) أي القول الثاني (هو الصحيح) أي في انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه في مهلة زمانه واما قول الدلجي ان هذا انما

(بترك غيره) وهو التلفظ بالشهادة (وهذا) الرأي الذي رآه بعضهم (هو الصحيح في هذا الوجه) أي الحالة المذكور فيها بعدم تمكنه وهذا وان صححه التلمسوني الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة أمته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن ففيه استعارة بالكناية (الثانية) أي الحالة الثانية من هاتين الحالتين (ان يصدق بقلبه) ويعتقد اعتقادا جازما (ويطول) بضم التحتية وفتح الطاء المهملة وتشديد الواو المكسورة (مهله) بميم وهاء مفتوحتين مفعول يطول ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتأني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة (وعلم ما يلزمه من الشهادة) والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد أي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه (فلم ينطق بها) أي بالشهادة (جملة) منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا أو اجمالا بان لا يفصل الملائكة والكتب ونحوها (ولا استشهد في عمره) مدة حياته أي أتى بالشهادة وفي نسخة شهد (ولا مرة) أي مرة واحدة (فهذا اختلف فيه أيضا) كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر آض اذا رجع وشاع في التشديد وفي نصبه كلام مشهور (فقيل هو مؤمن لانه مصدق) وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه (والشهادة من جملة الاعمال) الزائدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا (فهو عاص بتركها) كمرتكب الكبائر غير كافر فهو (غير مخلد) في النار عند أهل السنة القائلين بان أصحاب الكبائر غير مخلدين (وقيل ليس بمؤمن) لان الشهادة شرط فيه أو شطر (حتى يقارن عقده) أي اعتقاد قلبه وجزمه (شهادة اللسان) أي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه (اذ الشهادة انشاء عقد) عند الاصوليين لانها عندهم انشاء يتضمن الاخبار بالمشهود به لا اخبار وعزى الثاني انه خبر لابي حنيفة وأنكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشاء عندنا أيضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها أخبار بحق للغير على آخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا أريد به الانشاء كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاؤه بمعنى ابتداؤه (والتزام ايمان) أي التزام لاحكامه (وهي) أي الشهادة (مرتبطة) أي ملازمة متصلة (مع العقد) الجناني لا تفارقه فلا يكتفي باحدهما (ولا يتم التصديق) ويكتفي به (مع المهلة) أي تأخير النطق زمانا طويلا من غير مانع (الا بها) أي بالشهادة والنطق بها (وهذا) القول (هو الصحيح) من انه ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن

يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطاظاهر اذاجمع أهل السنة على ان الاعمال ليست جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعي رحمه الله تعالى والمحدثين فمحمول على انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظي في مراتب الايقان فبطل قول الدلجي ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما هو مذهب الفقهاء والمحدثين أو قول واعتقاد كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا غفلة منه عن تحقيق الاشعري واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا أمر بها وامتنع ويابى عنها كاني طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) أي ماذكرنا في بحث الايمان وفي نسخة وهذه أي هذه المسائل أو الاقوال هي الوسائل التي كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة أي شئ قليل يسير على ما في القاموس وهو مطابق لما في النسخ المعتبرة وموافق لما في الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجي من قوله بنون موحدة مفتوحتين وفي نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس في النسخ وهو مخالف لما في كتب اللغة بل في القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو خالف الرواية والدراية نعم في نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة أي قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما في هذا المكان شئ يسير يترتب عليه أمر كثير (يفضى) من الافضاء أي يوصل ويؤدي (الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وأبوابهما) أي مما يتعلق بهما من الاحكام (وفي الزيادة فيهما والنقصان) وفيه ان لا خلاف في زيادة مراتب الاسلام والمتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف في زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليهما قوله (وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق) أي كما عليه أهل التحقيق (لا يصح) أي التجزى وهو قبول الزيادة والنقصان أصلا (فيه) أي في ايمان (جملة) أي اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما وضحه بقوله (وانما يرجع) أي التجزى (الى مازاد عليه) أي على نفس الايمان (من عمل) أي واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء ويضم أي يحصل التجزى في التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) أي وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين) أي علمي (وتصميم اعتقاد) أي عن دليل قوي (ووضوح معرفة) أي بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) أي من غير فتور فيها ولا قصور دعنها

منه ومن يقول انه التصديق فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم يجر عليه أحكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في الآخرة والاصح انه لابد منه في الاعتداد به في الدنيا والآخرة وهو شرط أو شطر ثم انهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب أتى به فان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد (وهذا نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشئ اليسير وأصله الرمي والطرح فكأنه لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ماقدمناه (تفضى الى متسع من الكلام) تفضى بضم المثناة الفوقية وسكون الفاء وكسر الضاد المعجمة قبل ياء ساكنة مضارع أفضى بمعنى أوصل وأصل معناه الايصال الى الفضاء والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي أو اسم يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه ما للعلماء فيه من القيل والقال (في الاسلام والايمان) أي فيما يتعلق بهما (وأبوابهما) المعقودة لتفصيلهما (وفي الزيادة فيهما والنقصان) فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه اختلاف مشهور (وهذا التجزى) بالزيادة والنقص فيهما (ممتنع على مجرد التصديق) فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم اليه من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كما قيل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزى وقوله (لا يصح فيه) أي في التصديق تجزى بزيادة ونقص (جملة أي مجموعه أو الاجمالي منه لا يقبل التجزى (وانما يرجع) تجزيه والزيادة فيه (الى مازاد عليه) أي مازاد على التصديق (من عمل) ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد لا يكون كمن أسلم ثم مات فجأة فلم يأت بشئ من الاعمال الصالحة (وقد يعرض فيه) أي قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة أو نقص وتجزؤ فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض أي ظهر وعرضت العود على الاناء تعرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول بالكسر الى آخره (لاختلاف صفاته) قوة وضعفا (وتباين) أي بعد وافتراق (حالاته) بعضها عن بعض (من قوة يقين) بيان للصفات والحالات (وتصميم اعتقاد) أي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة أدلة (ووضوح معرفة) أي ظهورها كمن شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم وعاين معجزاته (ودوام حالة)

(وحضور قلب) أي بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذي بينه عليه الصلاة والسلام بقوله الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ولاشك ان مقام الاحسان وأحكام الاركان من أحكام الايمان وكمال الايقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان على هذا الوجه كما حققناه في شرح الاربعين ودققناه في شرح الفقه الاكبر بتوفيق المعين (وفي بسط هذا) أي المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) أي استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) أي أردنا (ان شاء الله تعالى) أي ان كان على وفق ارادته سبحانه ٭(فصل)٭ (واما وجوب طاعته) أي اطاعة النبي عليه الصلاة والسلام في حكومته واتباع شريعته (واذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاءبه) مجملا (وجبت طاعته) أي مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) أي من جملة ما جاءبه من الدين بالضرورة (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته في طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير في قوله ولا تولوا عنه أي عن رسوله وبدليل قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو يقال افراد الضمير ايماء الى ان طاعتين متلازمتان أو الضمير الى كل واحد منهما والاظهر ان المعنى أطيعوا الله تعالى فيما انزل من كتابه والرسول فيما أوحى اليه من خطابه في مقام ايجابه (وقال قل أطيعوا الله والرسول) ولم يقل وأطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما في نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) أي باطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) أي نبي الخلق (تهتدوا) أي الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) لانه المبلغ والآمر في الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية في المنافقين حين قال النبي عليه الصلاة والسلام من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) أي أعطاكم من أمره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) أي عن اتيانه (فانتهوا) أي عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته

أي استمرار التصديق وامتداده فانه زيادة فيه (وحضور قلب) أي حضور التصديق به حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن (وفي بسط هذا) أي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق أدلته مع ما لها وعليها (خروج عن غرض التأليف) أي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال (وفيما ذكرناه غنية) بضم الغين المعجمة ونون ساكنة وياء مثناة تحتية مفتوحة أي كفاية مغنية عن غيره (فيما قصدناه) في هذا الكتاب (ان شاء الله تعالى) وهذا الذي ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولاشك في ان ايمان الصديقين أقوى من ايمان غيرهم

٭(فصل واما وجوب طاعته صلى الله تعالى عليه وسلم)٭ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاءبه) من الله وقد علم هذا مما تقدم في أول الباب (وجبت طاعته) لان من صدقه وأخبر بما يلزمه اتباع أمره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه (لان ذلك) أي وجوب طاعته (مما أتى به) عن الله بوحيه كما يدل عليه ما (قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما شئ واحد ولذا أفرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما أتى به من عند الله وكل ما أتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر كما ذكرناه (وقال الله تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) قال القاضي أمره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الآية نزلت في بشر المنافق لما دعى خصماله يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب (وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دائما بين الرجاء والخوف (وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا) فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره أمر لازم لهم (وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله) فجعل طاعته هي طاعة لله لانه لا يأمر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه ولذا أردفه بقوله (وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذا محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الآية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير

(وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) أى فالذين أطاعوهما يكونون (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم أمره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه أو من ضميره (وحسن أولئك رفيقا) أى لانهم فى أعلى عليين (ذلك الفضل من الله) أى لايجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) أى بالمطيعين والعاصين (وقال وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله) أى بامره وتيسيره (فجعل) أى الله (طاعة رسوله طاعته) أى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) أى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك) أى ماذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية (وأوعد على مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والائمة) أى المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) أى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) أى الاذعان والانقياد (لما جاء به) أى من شريعته (وقالوا) أى المفسرون (ما أرسل الله من رسول الافرض طاعته على من أرسله اليهم) ونهاهم عن معصيته لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله أى الاليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته أو بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا المفسرون

مناسبة لما هو بصدده (وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك) المطيعون (مع الذين أنعم الله عليهم الآية) من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسيأتى ان هذه الآية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مت كنت فى عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لايرى غيره فعمى مكانه وهو الذى رأى واقعة الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لايصبر عن رؤيته فحزن حتى تغير لونه فسأله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال مابى ضر غير انى لا أصبر عنك فذكرت الآخرة وانى لا أراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها (وقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله) الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق أو هو نفس التسهيل والتوفيق أى الاليطيعه من بعث اليه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى أمره وقال القاضى كأنه أى الله احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه ان لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله تعالى ومن لم يرض بحكم الله فهو كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان محقا بعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وأبى اليهودى وأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ماوقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره (فجعل طاعة رسوله طاعته) فهما شئ واحد لانه لايأمر الابامره ولاينهى الابنهيه بنص قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) فى القرآن كما فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته مالايخفى (ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب) الجزيل بمعنى العظيم أو الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد المزيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى أصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الآخر لنكتة وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيئ وهو ظاهر (واوجب) الله تعالى (امتثال أمره) بالاتيان بما أمر به (واجتناب نهيه) بتركه مانهاه عنه فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه (وقال المفسرون) فى تفاسيرهم (والائمة) أى أئمة الدين من الفقهاء والمحدثين (طاعة الرسول) التى أمرنا الله تعالى عز وجل بها فى القرآن متحققة ومتبينة (فى التزام سنته) أى المداومة على سلوك طريقته فالسنة بمعناها اللغوى فيعمل ماعمله ويترك ماتركه (والتسليم) أى الانقياد والمتابعة له (لما جاء به) من شرعه الموحى اليه الذى أخبرنا به وتصديقه فيما أخبر به من غير تحكيم العقل (وقالوا) أيضا (ما أرسل الله من رسول) من زائدة فى النفى لتأكيد العموم (الافرض طاعته) أى جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه (على من أرسله اليه) لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه (وقالوا) أى

من يطع الرسول في سنته) الاولى سننه بصيغة الجمع ليلائم قوله (يطع الله في فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما أمر به ونهى عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله في فرائضه الثابتة في الفرقان العظيم لان أمره ونهيه من أمره ونهيه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الامر مما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به فهذا نهي مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (سئل سهل بن عبد الله) أي التستري (عن شرائع

الاسلام) أي جميعها (فقال وما آتاكم

المفسرون والائمة (من يطع الرسول في سنته) بنون مشددة وتاء مثناة فوقية أي في طريقته وشريعته من أمر ونهي وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله (يطع الله في فرائضه) جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عن طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينفصل أحدهما عن الآخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه ما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وسيأتي بيان ألفاظه عند ذكر المصنف رحمه الله قريبا من تبين لامر اقتضاه فهذا بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا (وسئل سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد المشهور (عن شرائع الاسلام) أي ما المقصود منها والمراد (فقال) سهل في الجواب (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي تمسكوا به (وقال) الامام أبو الليث الفقيه المشهور (السمرقندي يقال) في طاعة الله ورسوله ان معناه (أطيعوا الله في فرائضه) أي فيما افترضه عليكم في كتابه الكريم (والرسول في سنته) أي ما سنه وشرعه لنا (وقيل) في معنى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (أطيعوا الله فيما حرم عليكم) باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما أوجبه وحرمه وغيره كما عم اتباع الرسول بقوله (والرسول) أي وأطيعوا الرسول (فيما بلغكم) عن الله من أوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مأمور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ويقال) في معناه (أطيعوا الله بالشهادة) أي الاقرار والاعتراف (له بالربوبية) أي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد بالملك والربوبية (والنبي) بالنصب أي وأطيعوا النبي عليه السلام (بالشهادة له بالنبوة) المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي أعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة أفضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه) وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال (حدثنا حاتم بن محمد) المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) الحافظ القابسي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن أحمد) وهو أبو زيد المروزي كما تقدم قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال (حدثنا البخاري) قال (حدثنا عبدان) يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن أبي رواد الحافظ المروزي الفقيه الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله) بن

الرسول فخذوه) أي تمسكوا به في أمره ونهيه (وقال السمرقندي) أي الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى (يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته) أي شريعته الشاملة لفرضيته وسنته المستفادة من أحاديثه الواردة وفق طريقته (وقيل أطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول أبلغ لان الفرض يشمل فعل الواجب المحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) أي أوصلكم من أمره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) أي بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبي بالشهادة له بالنبوة) أي المقترنة بالرسالة وفي نسخة بالرسالة والاولى أشمل والثانية أكمل وكان الجمع بينهما أفضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة أول ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية (بقراءتي عليه) أي لا بسماعي لديه (ثنا) أي قال حدثنا (حاتم بن محمد) أي ابن الطرابلسي (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن أحمد) وهو أبو زيد المروزي (ثنا) أي حدثنا (محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا) أي حدثنا (البخاري) وهو صاحب الصحيح (ثنا) أي حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكي المروزي يقال تصدق بالف ألف (أنا) أي أخبرنا (عبد الله) أي ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به

(أنا) أى أخبرنا (يونس) أى ابن يزيد الايلى أحد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب أخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى) أى فيما جئت به عن الله تعالى (فقد أطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى) أى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يامر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان أسنده المصنف من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله وطاعة له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما أمر ونهى ومن جملة ذلك تامير أميره هنالك (قد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم) أى طبقاتها السفلية بحسب مقامات أهلها فى المعاصى الجلية والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع أعضائهم واستيفاء لسائر أجزائهم كقطعة لحم تدور فى قدر غلت فترمى بها الغليان من ناحية الى أخرى والمراد من الوجوه ذواتهم أو أريد بها أشرف أعضائهم وألطف أجزائهم لا سيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) أى حين شاهدوا التمنى (حيث لا ينفعهم التمنى وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا أمرتكم بشئ) وفى نسخة بامر أى مامور به ايجابا أوندبا (فاتوا

المبارك المروزى قال (حدثنا يونس) بن يزيد الايلى الامام الثقة توفى سنة تسع وخمسين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى الامام المشهور كما تقدم مرارا (قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن) أحد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله أو اسمعيل (انه سمع أبا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله) لانه لا يأمر الا بما أمر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله تعالى عنه فمن امتثل أمره واجتنب نهيه امتثل أمر الله ونهيه أو ان الله عز وجل أمر بطاعة رسوله وأمره ونهيه فمن امتثل أمره ونهيه أطاع الله فى أمره ونهيه بطاعته كما تقدم (ومن أطاع أميرى) أى من جعله هو أو خلفاؤه حاكما على أمته (فقد أطاعنى) لان طاعته طاعة من أمره لانه مبلغ عنه (ومن عصى أميرى فقد عصانى) قيل ان قريشا وسائر العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولى عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الامراء أنكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام (وطاعة الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (من طاعة الله) المرسل له (اذ الله أمر بطاعته) أى لان الله أمر جميع الناس باتباعه فيما جاء به من الله (فطاعته) أى الرسول و رسوله (امتثال لما أمر الله به) فى قوله أطيعوا الرسول (وطاعة له) أى لله لانه أمرهم اجمالا باطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا باطاعته فى أوامره ونواهيه وهو انما يأمرنا بما أمر الله تعالى بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه أمر بالاجتهاد على الاصح وهذا بسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل (و) قد (حكى الله عن الكفار) ماسيقولونه أى ذكر فى القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد المغربى قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله فى كلامه عن كذا لان الحكاية متأخرة عن المحكى وانما يقال أخبر الله ونحوه انتهى وهذا لا وجه له لانه تعالى قال نحن نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق (فى دركات جهنم) أى محلهم الاسفل فيها (يوم تقلب وجوههم فى النار) أى تصرف من جهة الى أخرى لاضطرابهم فهى كقطع لحم يغلى فى قدر يفور أو تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها أو تبدل ألوانها وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء وأظهرها أو المراد به الجملة (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) الذلم مما نحن فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم (فتمنوا طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (حيث لا ينفعهم التمنى) أى فى زمان أو مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمنى طلب ما لا يمكن حصوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ) محرم أو مكروه (فاجتنبوه) أى اتركوه كأنه طرح فى جانب منكم (واذا أمرتكم بامر) أى بمامور به ايجابا أو ندبا

(فأتوا منه ما استطعتم) أي قدرتم عليه من غير ترك لواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما اهلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه الى آخره وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وروى ذلك عن ابن عباس في التفسير وهو عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية يبيحها أو هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف أم لا ومعنى فأتوا منه ما استطعتم فعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة أو شرط من شروطها فانه يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المأمورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله أحمد بن حنبل فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعي وهو الاعتناء بل هو جهة الكف وكل أحد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل أحد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه يتناول امتثال المأمور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال أمره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه (وفي حديث أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه الذي رواه الحاكم (كل أمتي) يعني أمة الاجابة (يدخلون الجنة) الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة أيضا وقيل انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة (الا من أبى) أي امتنع ثم فسره بقوله (قالوا يا رسول الله ومن يابى) فهموا منه انه أبى دخول الجنة ولا يأباها أحد لانه روي كما في النهاية وشرد (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم مجيبا لهم (من أطاعني) وانقاد ممتثلا للامر ومجتنبا للنهي (دخل الجنة) وفاز بنعيمها المقيم (ومن عصاني) وخالفني (فقد أبى) أي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كأنه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان أريد بالعصاة المذنبون من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان أريد الكفار فهو استعارة أيضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله الا من أبى أي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيأ فالامة أمة الدعوة أي كلهم الا من أبى وهم الكفار يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة أمة الاجابة وأبى هو العاصي من أمته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب فقد أبى توضيحا لبيان الصنفين والتقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى (وفي الحديث الآخر) عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله (الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به) ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام أمر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه بمورده وأكثر ما يكون بأمر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة أو صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر

(فأتوا منه ما استطعتم) أي من غير ترك لواجب (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عليه الصلاة والسلام كل أمتي) أي جميعهم (يدخلون الجنة الا من أبى) أي امتنع عن دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة أمة الاجابة ودخول الجنة أعم من أن يكون أولا أو آخرا ولا يبعد أن يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة أمة دعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا من أبى) وفي نسخة قالوا يا رسول الله ومن يابى أي عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) أي بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها وموجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الا من أبى الحديث كذا ذكره الدلجي وفي الجامع الصغير برواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (وفي الحديث الآخر الصحيح) أي الذي رواه البخاري في صحيحه (منه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله تعالى به) أي مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان

(كمثل رجل أتى قوما) أى جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) أى عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التاكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الا كيد (وانى انا النذير العريان) أى المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عار عن تلبيس وتدليس فى وصف النذر وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان أبين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا ما لديه وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد

انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يتحدا متعلقا فما مصدرية لا عائد لها أقول ماذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا العدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر المصنف رحمه الله تعالى له ان كان لرواية وقعت له فظاهر أو لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ماقاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى (كمثل رجل أتى قوما) ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذى قرب مجيئه لهلاكهم (فقال يا قوم انى رأيت الجيش) هم جمع كثيرون سائرون للمحاربة والقتال (بعينى) هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة أو بفتحها وياء مشددة مفتوحة مثنى وهو للتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية (وانى انا النذير) المنذر المعلم بالمحذر قبل وقوعه (العريان) أى المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثله به صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد به المبالغة فى انذاره ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه وأصله ان الرجل كان اذا رأى العدو قرب جدا وليس بينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشى ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به أى ادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا طاقة لكم به وأصله كان فى رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل انما هى امرأة وقيل هو عوف بن عامر اليشكرى وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بنى عامر وقيل ابرهة الحبشى وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الامام السهيلى فى قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله تعالى عليه وسلم كانه يقول له انا أرسلناك نذيرا والنذير يكون عريانا الا ما لفوا فبثيابه وهى نكتة سرية (فالنجاء) بالنصب على المصدر بعامل محذوف لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار أى انجوا النجاء بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف وهو ممدود أو مقصور بنية الوقف ورواه البخارى النجاء النجاء بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثانى وهو منصوب على الاغراء أى اطلبوا النجاء الهرب ويجوز رفعه أى النجاء خير لكم (فاطاعه طائفة) أى جماعة وفرقة (من قومه) لما أتاهم وقال لهم ماقاله (فادلجوا) أى ساروا من أول الليل أو ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل المخفف سير أول الليل والمشدد سير آخره والاسم الدلجة بالضم والفتح (وانطلقوا) أى ساروا طالبين النجاة من عدوهم (على مهلهم) أى متمهلين بتؤدة وتان بعد ذلك أو فى سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها او بضم الميم وسكون الهاء كما مر وفى مسلم مهلتهم بزيادة تاء والكل بمعنى واحد (فنجوا) بفتح النون مع الجيم أى سلموا من عدوهم (وكذبت طائفة منهم) النذير فى انذارهم بالعدو (فاصبحوا) أى مكثوا (مكانهم) أى فى مكانهم الذى كانوا فيه حتى دخلوا فى الصباح

يقصر وهو منصوب على الاغراء أى الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجا فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر أى انجوا النجاء بمعنى أطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتاكيد أو احدهما اشارة الى أمر الدنيا والآخرة ايماء الى أمر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال أكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من أول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء وبفتح أى فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) أى فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم أى اذا سرتم فتانوا واذا لقيتم فاحملوا أى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) أى دخلوا فى الصبح (فصبحهم) فى محلهم

(فصبحهم الجيش) أى أتاهم فى وقت الصباح (وأهلكهم واجتاحهم) بجيم ومثناة فوقية وألف وحاء مهملة أى أهلكهم جميعا واستأصلهم فلم يبق لهم باقية من الذرارى والأموال والجائحة الآفة التى تصيب الثمار فتستأصلها أى تقتلعها من أصلها وكل مصيبة عظيمة فهى جائحة (فذلك) المذكور والمثل المضروب لكم (مثل من أطاعنى) فشبهوا بمن صدق النذير فنجا (واتبع ماجئت به) فصدقه وعمل بما أمره به مما أوحاه الله اليه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب مانهاه عنه (ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق) فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفى شرح المشكاة للطيبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه نفسه وانذاره العذاب القريب بالرجل الذى انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو تشبيه تمثيلى شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لاتشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول أبلغ وأحسن * أقول اعادة مثل فى الحديث تقتضى ماقاله الطيبى والمآل واحد وأبلغية ماذكره فى هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل انه تشبيه ابلغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه فى شروح الكشاف (فى الحديث الآخر) الذى رواه الشيخان (فى مثله) أى تمثيل حاله وصفته صلى الله تعالى عليه وسلم مع أمته فى دعوته لهم (كمثل) بفتحتين أى كصفة وقصة (من بنى دارا) عظيمة أنشأها وفرشها بفرش نفيسة (وجعل فيها مادبة) بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وباء موحدة وهاء وهى الاطعمة الكثيرة الغذية المعدة لاكرام الضيوف والاحباب وفى القاموس انها طعام صنع لدعوة أو عرس والمشهور الاول فهى عامة لكل دعوة وفى فقه اللغة القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شندخة وللعرس وليمة وللولادة خرس ولحلق شعر المولود عقيقة وهو فى الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة وللطعام قبل الغداء سلفة ولمستعجل الغداء عجالة وللكرامة نزلة من النزل انتهى والمأدبة من الادبة بالضم وهى الطعام (وبعث داعيا) يدعو لمنزله وأكل طعامه (فمن أجاب الداعى) أى امتثل دعوته وذهب معه (دخل الدار) التى بناها (وأكل من) طعام (المأدبة) التى أكرمه بها (ومن لم يجب الداعى) لدعوته (لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة) التى حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذى خلق الجنة وهيأ أسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله (فالدار الجنة) التى أعدها الله لمن اختاره من عباده ومادبتها مافيها من النعيم وماتشتهيه الانفس (والداعى لها (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم بما بلغهم عن الله وأمرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم الخالد (فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله) تقدم بيانه (ومن عصى محمدا فقد عصى الله) لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر (ومحمد فرق بين الناس) فرق بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين

(فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة أى نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) أى الجيش (واجتاحهم) أى استأصلهم ولم يبق واحد منهم (فذلك) أى المثل المذكور (مثل من أطاعنى) أى انقاد لى فى الطاعة على وجه الصدق (واتبع ماجئت به) أى من الامر الحق فيه ايماء الى انه لاينبغى لاحد ان يكتفى بظاهر الطاعة عن اتباع ماجاء به من العبادة (ومثل من عصانى) أى بالوجه المطلق (وكذب ماجئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير

مستأصل للانسان بل للعصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفى الحديث الآخر) أى الذى رواه الشيخان (فى مثله) بفتحتين أى فى تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) وأصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام اما فى حال اليقظة اما فى حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مادبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح أى أطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) أى الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن أجاب الداعى) أى بقبول الدعوة (دخل الدار) أى دار النعمة (وأكل من المادبة) أى على قدر الطاقة فى الطاعة (ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار) أى دار النعمة (ولم يأكل من المادبة) أى لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين أجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعى) أى الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن أطاع محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد أطاع الله) لانه الداعى اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) أى بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون أى فارق (بين الناس) أى من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفى نسخة بفتح الراء مشددة مخففة القاف أى فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

(فصل) (واما وجوب اتباعه) أي متابعته (وامتثال سنته) أي طريقته (والاقتداء بهديه) أي سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أي تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعوني) أي فيما يظهر مني من شريعته
وطريقته وحقيقته
(يحببكم الله) جواب
الامر وهو جواب الشرط
أي يرض عنكم ويكشف
حجب قلوبكم (ويغفر
لكم ذنوبكم) أي جميع
عيوبكم (وقال تعالى
فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي) وفي وصفه
به تلويح الى ان كمال
علمه من معجزاته
(الذي يؤمن بالله
وكلماته) أي بكتبه
وآياته (واتبعوه) أي في
أوامره وزواجره (لعلكم
تهتدون) ببركات
ظواهره وسرائره (وقال
تعالى فلا وربك) زيدت
لا لتاكيد معنى القسم كما
قاله الدلجي تبعا لغيره
لكن يأباه الجمع بين
الفاء والواو فالاظهر ان
تقديره فليس الامر كما
يظنون من انهم يصلون
الى الله تعالى من غير ان
يتبعوا رسوله وربك
(لا يؤمنون) أي بي
ولا بك (حتى يحكموك)
أي يجعلوك حكما
(فيما شجر بينهم) أي
اختلفوا في أمرهم
ويرضوا بحكمك في
حقهم (ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجا) أي ضيقا
(مما قضيت) أي حكمت به أو من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر بحذف
مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (أي ينقادوا لحكمك) يعني انقيادا كاملا يكون بجميع أحكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا

باطاعته وعصيانه وروى فرق بصيغة الماضي مشدد الراء المهملة أي فرق بين مؤمنهم وكافرهم أو بين من دعي للجنة وبين من لم يدع لها وهذا أنسب بالسياق والمعنى واحد وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملائكة وهو نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا امثله كمثل رجل الى آخره وفيه فقالوا أولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الى آخره فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المصنف رحمه الله تعالى وفي رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل محل الاوجه له

(فصل واما وجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وامتثال سنته) السنة هنا بمعناها اللغوي وهي الطريقة والسيرة بمعنى وهي أقواله وأفعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه (والاقتداء بهديه) هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته أيضا وفي نسخة والاهتداء بهديه (فقد قال الله تعالى) هو جواب اما أي فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) أي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية) فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالي ان العصيان يضاد أصل المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة أي المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل (وقال) تعالى (فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي) والايمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته (الذي يؤمن بالله وكلماته) التي نزل بها الوحي عليه وما أوحي الى من قبله من الرسل من الكتب والشرائع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شيء ولكلامه الذي يغني مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفي هنا اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات ولتجري عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجاء في قوله (واتبعوه لعلكم تهتدون) أي راجين الاهتداء باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من آمن به ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجاء بالنسبة للمخاطبين أو هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة (وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون) لا مزيدة للتاكيد أو نفي لما تقدمها أي ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما أنزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفي النفي (حتى يحكموك) أي يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم (فيما شجر بينهم) أي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة وأصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل أغصانه واختلاطها (الى قوله تسليما) يعني قوله تعالى ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر أو الشك وهذه الآية نزلت في بعض الانصار لما اختصم مع الزبير في ما سقى به أرضه وسياتي تفصيله (أي ينقادون لحكمك) تفسير لقوله ويسلموا تسليما وأكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب

(يقال) أى فى اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم وأسلم اذا انقاد) أى مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة بضم الهمزة وكسرها أى خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتسى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) أى ثوابه أولقاءه (واليوم الآخر) أى نعيم الآخرة أولمن كان يخاف عقابه أو حجابه واليوم الآخر أى حسابه وعذابه (وقال محمد بن على الترمذى) أى الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة فى الرسول) أى معناها فى حقه (الاقتداء به) أى فى أمر شريعته (والاتباع لسنته) أى طريقته (وترك مخالفته فى قول أوفعل) وكذا فى جميع ما علم من حالته (وقال غير واحد) أى كثير من المفسرين (بمعناه) أى بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو) أى قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) أى ملامة من الله (للمتخلفين عنه) أى فى غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته ورفعة مقاماته (وقال سهل) أى ابن عبد الله كما فى نسخة وهو التسترى من أكابر الصوفية (فى قوله تعالى) أى فى تفسيره (صراط الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفى نسخة سنته أى أنعمت عليهم بسبب اتباع طريقته (فامرهم الله تعالى بذلك) أى باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) أى بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أى بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) أى الملة الثابتة بمخالفة الهوى

بحذف النون لاسيما ان قيل ان أى عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها الا المضارع وحده (يقال سلم) بالتشديد (واستسلم) أى طلب السلامة بانقياده (وأسلم اذا انقاد) هذا هو المصرح به فى كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور فى القاموس ان التسليم الرضاء والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم فى الآية بالرضى الاخص كان أحسن ليس بشئ (وقال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بالكسر والضم أى قدوة يقال أسيته بمالى اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هى الصواب فهى الخصلة التى يراد الاتصاف بها (حسنة) أى خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها أى يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التأسى به فى أقواله وأفعاله وحسنة على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم فتكون صفة مقيدة (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة أو أيامه الآخر خصوصا مع قوله لمن كان وفى الكشاف ان لمن بدل من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة أو صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لايذانها بلازمة الطاعة اذ المؤتسى من شانه ذلك (قال محمد بن على الترمذى) هو المعروف بالحكيم الترمذى الصوفى صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته (الاسوة فى الرسول) تعريفه للعهد الخارجى فالمراد به محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو هو للعهد الذهنى أو الاستغراق فهو أعم أى فى حق رسول من الرسل أو لكل رسول (الاقتداء به) فى أقواله وأفعاله كما فى قوله تعالى فبهداهم اقتده (والاتباع لسنته) أى لطريقته وشريعته (وترك مخالفته فى قول) قاله أمرا أونهيا أوارشادا (أوفعل) فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غير واحد) تقدم ان معناه ناس كثيرون (من المفسرين بمعناه) أى قالوا قولا بمعنى ماقاله الترمذى (وقيل) معنى الآية المذكورة (هو عتاب) من الله تعالى أى توبيخ ولوم (للمتخلفين عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة أعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به فى جهاد أعداء الدين ومقاساة أهوال الحروب وكان ذلك فى غزوة الاحزاب أو تبوك حبا للبقاء والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وبذل أنفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة أفعاله وأقواله المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قائمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا الاسوة نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تجريد جعل كأنه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار فى نفسها تساوى كذا فى البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد أشرنا الى ان الاقتداء انما يجب فيما ليس من خصائصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره (وقال سهل) بن عبد الله التسترى وقد قدمنا ترجمته (فى قوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم) بين ما أنعم به على من سلك الطريق المستقيم (قال) سهل فى تفسيره انه أنعم عليهم (بمتابعة السنة) أى اتباع طريقته الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه (فامرهم الله تعالى بذلك) أى باتباعه (ووعدهم) الجزاء عليه اعنى (الاهتداء باتباعه) أى حصول الهداية التى طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان الترجى من الله تعالى وعد لمن لا يخلف الميعاد (لان الله تعالى أرسله بالهدى) أى بما فيه هدايتهم (ودين الحق)

(ليزكيهم) أى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة) أى السنة أو الاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن أهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى (ووعده) أى على اتباعه (محبته تعالى فى الآية الأخرى) وهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله (مغفرته) أى ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) أى فى الايمان به وامتثال أمره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة أى قدموه على أنفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا هداه على آرائهم وأحبوه أزيد من آبائهم وأبنائهم (ومانحنج) بفتح النون وتضم أى وعلى ماتميل (اليه نفوسهم) أى من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) أى وأخبر فى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته (بانقيادهم له) أى لامره (ورضاهم بحكمه) أى فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) أى فيما حكم لهم أو عليهم (وروى) كما فى تفسير ابن المنذر (عن الحسن) أى البصرى (ان أقواما) أى جمعا كثيرا (قالوا يارسول الله انا نحب الله) أى ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وروى) قال الدلجى لا أدرى من رواه (ان الآية) أى هذه الآية (نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو يهودى قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) أى من اليهود (وانهم قالوا نحن أبناء الله) النصارى زعما منهم انهم أشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن أشد حبا لله) أى مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعد اعدى الاعداء من أعدائهم اذ لو كانوا أبناءه وأحباءه لم ياتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا فى الدنيا ومسا بالنار دائما فى العقبى لا أياما معدودات كما زعموا وتمنوا من جهة النفس والهوى وقد أجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء بالكفران والله على كل شئ قدير من الاحسان والخذلان (وهذا الابناء فى قوله تعالى

أى الدين الحق أو دين الله (ليزكيهم) أى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن (والحكمة) أى العلوم النافعة المحكمة والشريعة التى صيرتهم حكماء متقنون للعلم والعمل (ويهديهم الى صراط مستقيم) بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم (ووعدهم محبته تعالى) أى محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله (فى الآية الاخرى) يعنى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (ومغفرته) بقوله ويغفر لكم ذنوبكم (اذا اتبعوه) لان جواب الامر فى معنى جواب الشرط (وآثروه) بالمد أى قدموه واختاروه من الاثرة (على اهوائهم) جمع هوى بالقصر وهو ماتميل اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ماليس بمحمود من الشهوات (وماتجنح) بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل وأصله الميل على أحد شقيه ماخوذ من الجناح (اليه نفوسهم) وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين كما ورد فى الحديث (و) أخبرهم ب(ان صحة ايمانهم فى انقيادهم له) فى جميع ما أمرهم به ونهاهم عنه (ورضاهم بحكمه) فيما تخاصموا فيه يعنى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (وترك الاعتراض عليه) فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير (وروى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى والراوى له ابن المنذر فى تفسيره ويحتمل انه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما (ان قوما قالوا يارسول الله انا نحب الله) أى تميل اليه أنفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه (فانزل الله) مبينا لهم محبتهم والمراد منها بقوله (قل ان كنتم تحبون الله الآية) أى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته انما تتحقق بطاعة الله وطاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحبه الله كما قيل ماجزى من يحب الا يحب (وروى فى سبب نزول هذه الآية (ان الآية نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو رجل من عظماء اليهود من بنى النضير وأمه من طى وقتل كافرا بعد بدر بستة أشهر كما تقدم وقصته مشهورة مفصلة فى السير (وغيره) من اليهود أتباعه (وانهم) أى ابن الاشرف وأتباعه (قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله) وهذا ماحكاه الله تعالى عنهم فى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى الى آخره وكانوا أتوه صلى الله تعالى عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله الى آخره فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يامعشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ماقلنا هذا وما أنزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول

فأنزل الله الآية) أى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لامانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب والعتاب (وقال الزجاج معناه) أى معنى ماذكر من الآية أو معنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) أى

تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ماأمركم به) أى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى أى اتبعوا أمرى ونهى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا) أى ونهيا (ومحبة الله لهم) أى لعباده (عفوه عنهم) أى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) أى للعبد (عصمة) أى حفظ له عن المعصية (وتوفيق) أى للعباد (ومن العباد) أى والحب من العباد لله (طاعة) له فى أمره ونهيه ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله ابن المبارك (تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا) اى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر ومافى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائى أو لعمرى مما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة فى الفعال وهو موافق لتفسيره أى

اللبث واحياء الغزالى (بديع) أى عجيب وغريب بعيد عن القياس أومن فعال الناس لانه (لوكان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع

النصارى نحن أبناء الله انهم أشياع عيسى صلى الله عليه وسلم لذى زعم وانه ابن الله ومعنى قالت اليهود ذلك انهم أشياع عزير الذى زعم وانه ابن الله وقيل تقدير رسل الله (فأنزل الله تعالى الآية) جوابا لهم بقوله تعالى قل فلم يعذبكم الآية (وقال الزجاج) فى تفسير هذه الآية (معناه ان كنتم تحبون الله أى اقصدوا طاعته) اذلا يصح تفسير المحبة فيهما بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصدوا هذا تفسير لمحبة العبد (فافعلوا ما أمركم) الله تعالى (به) الفاء فصيحة أى اتبعونى وافعلوا (اذ محبة العبد لله والرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف (طاعته لهما) باتباع أمرهما ونهيهما (ورضاه بما أمرا) بان يطيعه ظاهرا او باطنا اذ لولم يطعه باطنا كان منافقا (ومحبة الله لهم) أى لعباده ففسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما فى الآية (عفوه عنهم) بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله (وانعامه) أى الله (عليهم) أى على عباده (برحمته) اهتمامابه والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى لان معناها الحقيقى لايصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا الصفة بعباده ورأفته بهم (ويقال) فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى (الحب من الله عصمة) أى حفظ الله لعبده من مخالفة أمره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لاتختص بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون لغيره ويجوز الدعاء بها لكل أحد كما تقدم والذى يختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل مالا يرضاه الله وان لايقدر أحد على قتله ونحوه واليه أشار بقوله (وتوفيق) أى خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المقبحات ومبدؤه ميل نفسانى يتعالى الله عنه (و) المحبة (من العباد) معناها (طاعة) وانقياد لله ورسوله (كما قال القائل) أى معنى ماذكره هو معنى قول هذا الشاعر وهو كما فى زهر الآداب للحصرى محمود بن الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مفلق كان فى أول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * يضيق بها الاوهام والبر والبحر
تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع
لوكان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه أيضا

غلط فاحش وجهل مبين * وعمى لايحول لابل جنون
طمع العبد فى كرامة مولاه * واصراره على مايهين

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وأنت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لايخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انه فى القسم التزم وافتحها الاشذوذا وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمى والقياس لغة تقدير الشئ بذراع ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شئ بشئ لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعنى ان المعاصى لاتضر المحب لان المتحابين لايؤاخذ أحدهما الآخر وهو أمر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لايعصى أمر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقى كما قيل وهو تكلف

(وقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه) أى خوفه اذا تأمل عظمته (ومحبة الله له) أى لعبده (رحمته له) أى احسانه واكرامه لان معناه الحقيقى لا يليق به فاريد به غايته (وارادته) الفعل (الجميل له) وتكون بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول أولى (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أى على العبد (قال القشيرى) الامام الزاهد أبو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته (فاذا كان) أى المحبة وذكره لتأويله أولان تأنيث المصدر غير معتبر لتأويله بان والفعل او الضمير للجميل (بمعنى الرحمة والارادة) عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فيكون من صفات الافعال (والمدح) فى كلامه الازلى كالثناء على المؤمنين فى القرآن (كان من صفات الذات) أما الارادة فظاهر وأما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه فى علم الكلام (وسيأتى بعد) مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة أى بعد هذا (فى ذكر محبة العبد غير هذا) فاعل سيأتى أى غير ما ذكر هنا (بحول الله تعالى) أى باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الآجرى شاهد الوجوب اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) بن أحمد شيخ المصنف رحمه الله تعالى قال (حدثنا أبو الاصبغ عيسى بن سهل) أصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة (ح وحدثنا) تقدم ان ح بحاء مهملة يذكرها المحدثون اذا أرادوا التحول من رواية لرواية أخرى كما بينه ابن الصلاح (أبو الحسن يونس بن مغيث) بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة (الفقيه بقراءتى عليه) قال (حدثنا حاتم بن محمد) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو حفص الجهنى) نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال (حدثنا أبو بكر الآجرى) بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للآجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال (حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وزاى معجمة مكسورة وياء نسبة وهو أبو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى أصل المصنف رحمه الله تعالى ورواه العزفى خوزى بخاء مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز جيل من الناس أو قرية مشهورة قال (حدثنا داود بن رشيد) بالتصغير علم منقول وهو أبو الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين (قال حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أبو العباس عالم الشام صاحب التآليف الجليلة روى له أصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وفى سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان (عن ثور بن يزيد) الحافظ الحمصى ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى أخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة

(أو يقال محبة العبد لله) أى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيمه له) أى فى شأنه (وهيبته منه) أى فى سلطانه (ومحبة الله له) أى للعبد (رحمته له) أى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية (وارادته الجميل له) أى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته (فتكون) أى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) أى على العبد عند ملائكته وعلى ألسنة رسله أو على ألسنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام أبو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) أى الحب (بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) الاظهر ما قدمناه (وسيأتى بعد) أى بعد ذلك (فى ذكر محبة العبد غير هذا) أى غير ما ذكر هنا (بحول الله تعالى) أى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا) أى حدثنا (أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا) أى وحدثنا وفى نسخة وأخبرنا (أبو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) أى الكامل فى الفقه (بقراءتى عليه) أى هذا الحديث (قالا) أى عيسى ويونس كلاهما (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن حاتم) بكسر الفوقية (قال ثنا) أى حدثنا (أبو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) أى حدثنا (أبو بكر الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) أى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح الجيم وسكون الواو وكسر الزاى منسوب الى الجوز (ثنا) أى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه مسلم وأبو داود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق أخرج عنه الستة ماعدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) أى حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ أبو العباس عالم أهل الشام روى عنه أحمد واسحق قال ابن المدينى ما رأيت فى الشاميين مثله أخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصى روى عن خالد بن معدان وعن عطاء وعنه القطان وأبو عاصم وكان ثبتا قدريا أخرجوه من حمص واحرقوا داره أخرج له البخارى والاربعة

(عن خالد بن معدان) هو الكلاعي عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة وقيل غير ذلك أخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي) بضم ففتح هو الصواب كما في سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه وفي بعض النسخ الاسلمي (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعي) بفتح الكاف (عن العرباض) بكسر العين المهملة وفي آخره ضاد معجمة (ابن سارية) أي ابن نجيح السلمي من البكائين من أهل الصفة ٣٢٣ أخرج له أصحاب السنن الاربعة (في حديثه) أي في حديث رواه العرباض (في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) أي الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل من الرشد وهو خلاف الغي والمهدي من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح فتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال المعجمة أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (اياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة وهي مالم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع أمة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفي نسخة بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه في التراويح نعمت البدعة هذه والحديث في الاربعين للنووي وقد أوضحنا في شرحه المبين المعين بيان مبناه وعيان معناه وقد أخرجه أبو داود في السنة عن أحمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذي ساقه القاضي والترمذي في العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه في السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث وأخرجه من خارجها طلبا للعلو في الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ أبي داود في هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة أشخاص ولا يتفق له ذلك في رواية أبي داود

ومائة (عن خالد بن معدان) الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة أربع وثمانين ومائة وقيل انه كان يسبح في كل يوم أربعين ألف تسبيحة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي) كذا في النسخ وعزاه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو وابن منده وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة (وحجر الكلاعي) حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام وألف وعين مهملة نسبة لى كلاع بن رة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن المسلمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له أصحاب السنن (عن) أبي نجيح (العرباض) بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء موحدة وضاد معجمة وأصله الطويل وتقدم الكلام عليه (ابن سارية) بسين مهملة وياء آخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل الصفة سكن حمص (في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) أي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب وقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) رواه على عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم أنفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة وما هم عليه والخلفاء جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وأئمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الى آخره فعل أمر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ وهي الاضراس وهي أربعة أو الانياب أو التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية اذ كرلا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير أي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما حدث مما خالف الكتاب والسنة والاجماع المسلمين والبدعة منها وهي مالم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط ٢ والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير

٢ قوله الربط بضمتين جمع رباط بالكسر ككتب وكتاب والمراد هنا الاسم للمحل الذي يسكن فيه كالتكية والعمارة وغيرها على ما في كتب اللغة مصححه

زادفى حديث جابر) على مارواه مسلم (بمعناه) أى زيادة أفادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل ضلالة فى النار) أى وكل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفى حديث أبى رافع) كمارواه الشافعى فى كتابه الام عن سفيان بن عيينة عن سالم أبى النضر عن عبيدالله بن أبى رافع عن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذارواه أبو داودوالترمذى وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام (لأألفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة أى لاأجدن (أحدكم متكئا على اريكته) أى جالسا على سريره أوفراشه متمكنا على مقعده أومائلا فى قعوده معتمدا على أحد شقيه كماهوشان الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعودمع المتخلفين كما قيل شعر

دع المكارم لاترحل لبغيتها
واقعدفانك أنت الطاعم الكاسى

(يأتيه الامرمن أمرى) أى يبلغه أمرمن أمورى أومن مامورى بدليل قوله (مماأمرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الاهل عنى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (أونهيت عنه فيقول لاأدرى) أى غير القرآن ولاأتبع سوى الفرقان (ماوجدنا فى كتاب الله اتبعناه) أى وماوجدنا فى غيره أومخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرامن ترك امتثال أوامره واجتناب زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينالمافى القرآن من الاحكام ولقوله ما تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقوله وأطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وامثال ذلك ممايدل على انه لايسوغ لمسلم ان يخالفه فى أمرأونهى هنالك

العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذى يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولاينافى هذاقوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لهامعنيان كل ماحدث بعدالعصر الاول وهوالمقسم للاقسام المذكورة ولذاقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجرمن عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء وقدخصها الشارع بماهومذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذاهوالمرادبالبدعة عندالاطلاق وهوالذى جعل ضلالة وفى عوارف المعارف واحياء الغزالى البدعة المذمومة مازاحم السنة المأثورة أوكان يفضى الى تغييرها وفى كتاب المدخل لابن الحاج بيان لهاشاف كاف (وزاد) على مارواه العرباض (فى حديث جابر) بن عبدالله رضى الله عنهما الذى رواه مسلم (بمعناه) أى ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافقاله وليس المرادانه رواية بالمعنى كماقيل (وكل ضلالة) أى ضلال بارتكاب البدع المذمومة (فى النار) أى معذب بها أومستحق للعذاب وقيل انه متضمن الشكل منطقى منتج لماذكرأى كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم (وفى حديث أبى رافع) الصحيح الذى رواه أبوداودوالترمذى وابن ماجه وأبو رافع هوالصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبطياواختلف فى اسمه فقيل ابراهيم وقيل أسلم وقيل ثابت وقيل هرمزولهم أبو رافع غيرراوى هذا الحديث معدودفى الصحابة أيضا روى (عنه عليه الصلاة والسلام لاألفين) نفى بمعنى النهى أى لاأجدن وألفى بمعنى وجدقال الله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب وروى لاالفين كماتقدم عن الام للشافعى والصحيح رواية الاول وان صح هذا أيضا كانه لتحققه وجده وهوبضم الهمزة وسكون اللام وكسرالفاء وفتح المثناة التحتية وتشديدالنون أى لايفعل (أحدكم) معاشرالامة أوالصحابة فلايكون هذامن سببه وهونهى فى الحقيقة عن التكبر والبطر (متكئا) أى بمائلا مستندامعتمداوهو بالهمزة والياء أيضا وقدتقدم ان العامة لاتعرف المتكى الامن مال فى قعوده معتمدا على أحدشقيه وتاؤه مبدلة من واومن اوكاء (على اريكته) هى سريرمزين يتخذفى قبة أوبيت وليس مطلق السريرأريكة وقيل هوسريرفى حجلة وقيل كل ماتكئ عليه من سريرأوفراش أومنصة أومخدة ممايفعله المترفهون وجمعه ارائك وقال الراغب سمى به لاتخاذه من الاراك أولانه محل الاقامة من أرك بالمكان اروكا اذا أقام به وأصله الاقامة لرعى الاراك ثم يتجوزبه عن كل اقامة (يأتيه الامرمن أمرى) أى شئ مماأمرت به فقوله (مماأمرت به) تفسيرلقوله من أمرى بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفى أى به متعلقة بامرى والامر الاول بمعنى الشأن شامل النهى وغيره والثانى مقابل النهى لقوله (أونهيت عنه فيقول لاأدرى) هذا الامرالذى نقلتموه لناولاأتبع ولاأعرف غيرالقرآن (ماوجدنافى كتاب الله تعالى اتبعناه) دون غيره ممارووى فى الاحاديث ولم يعرف ان مافى الحديث عن الله تعالى أيضاوان الوحى وحيان متلووغيرمتلو وان السنة لاتخالف الكتاب وقدقال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال أمره واجتناب نهيه والعمل بهماوسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سواءتواترت أم لا وفى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى الا انى أوتيت القرآن ومثله معه الايوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فماوجدتم فيه من حلال فاحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه وان

(وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً ترخص فيه) أي اختار الرخصة على العزيمة في عمل ذلك الشيء عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى بعزائمه والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار في السفر أو القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال أبو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) أي تبعد عن ذلك الشيء أو عن الترخص فيه (قوم) أي جماعة من الحاضرين ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله) أي شكره (واثنى عليه) أي فيما أفاض اليه (ثم قال ما بال قوم) أي ما حالهم وشأنهم (يتنزهون عن الشيء أصنعه) جبلة مصلحية أو حالية (فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما أشار اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروى عنه عليه الصلاة والسلام) من حديث أبي الشيخ وأبي نعيم والديلمي (انه قال القرآن صعب) أي باعتبار مبناه (مستصعب) بكسر العين وفتح أي باعتبار معناه (على من كرهه) أي ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من أحبه وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم لعدل والفاتح الفصل والجد الذي ليس فيه الهزل أو ذو الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثي) أي تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) أي القرآن من جهة معناه (وحفظه) من جهة مبناه أي ضبط حكمه ورعاه (جاء) أي يرد (يوم القيامة مع القرآن) أي بعلمه وعمله بهما

ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما حرم الله تعالى الحديث ويعلم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج (وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها) المروي في الصحيحين وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى لفظ البخاري (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً) يأتي بيانه (ترخص فيه) أي ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصبح جنباً فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم فغضب فقال لأرجو ان أكون أخشاكم لله وأتقاكم ثم قيل هو ان بعض الصحابة سأل ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبادته ليلاً فلما أخبرهم استقلوها وقال انه غفر له ما تقدم وما تأخر فاما أنا فأصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النساء ولا أتزوج وقال البرهان نقلاً عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا (فتنزه) أي تباعد (عنه قوم) عن العمل بما ترخص فيه (فبلغه ذلك) أي نقل له صلى الله تعالى عليه وسلم تنزه هؤلاء فخطبهم ووعظهم على عادته (فحمد الله) واثنى عليه (ثم قال ما بال قوم) أي ما شأنهم وحالهم وهو استفهام انكاري (يتنزهون عن الشيء) حال كوني (أصنعه) فتركهم له لأنهم يظنون ان خوفهم من الله تعالى أشد من خوفي له لان الله تعالى غفر لي ما تقدم وما تأخر ولم يكلفني ما كلفهم (فوالله) تأكيد وتقرير لقوله (اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) أي خوفاً وقدم أعلميته لان الخشية بقدر العلم كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكابه للرخص يفضي الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه لانها صدقة تصدق الله بها عليهم فلا يليق عدم قبولها وقيل انه ليس محلاً للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس بشيء (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الديلمي وأبو نعيم وأبو الشيخ مسنداً (انه قال القرآن صعب) بسكون العين ضد السهل (مستصعب) بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعباً أو صيرته صعباً أي هو في نفسه عسر على من أراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله تعالى أيضاً صعباً (على من كرهه) أي من لم يرد حفظه وتدبر آياته واما من أحبه وتلذذ بتلاوته وداوم على مدارسته وتأمله فيسهله الله تعالى عليه (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين أي الذي يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والموعظة وجعله حكماً أي حاكماً مبالغة (فمن استمسك بحديثي) المروي عني (وفهمه وحفظه) بتدبر معانيه وضبط ألفاظه (جاء) يوم القيامة محشوراً (مع القرآن) أي ذا تمسك به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القرآن

(ومن تهاون بالقرآن وحديثى) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر الدنيا والآخرة) أى وتلك الخسارة الظاهرة (أمرت أمتى) بصيغة المجهول للتأنيث وفى نسخة بصيغة الفاعل المتكلم والاول هو الظاهر أى أمرهم الله (ان يأخذوا بقولى) أى اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويطيعوا أمرى) أى اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويتبعوا سنتى) أى استنادا لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضى بقولى) أى بحديثى (فقد رضى بالقرآن) وفى الكلام قلب للمبالغة أى فمن رضى بالقرآن

فقد رضى بقولى ومن لم يرض بقولى فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بى فهو منى أى متصل بى ومعى أو من اشياعى وأتباعى وقد رواه عبد الرزاق فى مصنفه من مراسيل الحسن الا انه بلفظ من استن بسنتى أى اتبعها وعمل بها فهو منى (ومن رغب عن سنتى) يقال رغب فى الشئ اذا أراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس منى) كما فى الصحيحين (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط فى بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهى البدعة التى تخالف الكتاب والسنة واجماع الامة قال الدلجى لا أدرى من روى هذا الحديث ولعله أنكره من حيث اسناده الى أبى هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه ولفظه اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وان أفضل الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة

وانهما كشئ واحد لان السنة تبين القرآن ومجيئه معه او مجيئه مع أهله أو مع نوره أو اعماله التى عمل بها منه أو هو على ظاهره بان يجئ بتلبيه فيشفع فيه ويقال له اقرأ وارق كما ورد فى الحديث والمراد بالقرآن ألفاظه لا الكلام النفسى الذى هو صفة ذاتية (ومن تهاون بالقرآن) أى أعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته أو عده هينا (وحديثى) بعدم حفظه والعمل به (فقد خسر الدنيا) لانه يحيى جاهلا مهانا حقيرا (والآخرة) لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية (أمرت) بالبناء للمجهول أى أمر الله تعالى (أمتى ان يأخذوا بقولى) أى يتمسكوا بحديثى ويعملوا به كما سيأتى (ويطيعوا أمرى) لقوله وأطيعوا الرسول (ويتبعوا سنتى) أى يقتدوا بى ويسلكوا طريقى وشريعتى السمحة كما قال الله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا أعمل الا بالقرآن ونهى عن ترك السنة وخبر الآحاد كما تقدم (فمن رضى بقولى) فاتبعه وعمل به (فقد رضى بالقرآن) لانه موافق له وغير مخالف له فهما كالشئ الواحد (قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) عنه فارضوا بما ارتضيه واكرهوا ما كرهه فان سنته مبينة موضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من أراد تفسير القرآن فليتأمله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجد فيه فعليه السنة فان لم يجد ما أراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتى أى تبعها وعمل بما فيها والمصنف رحمه الله تعالى رواه بلفظ (من اقتدى بى) فى سنتى وشريعتى (فهو منى) أى من اتباعى واشياعى الذين يحشرون معى ويتصلون بى حتى كأنهم بعض منى لا ينفصل عنى ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله عليه السلام لعلى أنت منى بمنزلة هارون من موسى (ومن رغب عن سنتى) أى تركها وأعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته أو أحاديثه المروية عنه الشاملة لاقواله وأفعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى (فليس منى) هذا تبرؤ منه كقوله * لست من قيس ولا قيس منى * وعجزه مذكور فى الصحيحين أيضا ومعناه ليس مقربا منى أى فهو كافر وليس هو على ملتى لاهانته الحديث (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسن الحديث كتاب الله) كما قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث الآية (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى فى مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضى فى الاكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال مقصورا أو الهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هى التى تضاف الى الله (وشر الامور محدثاتها) بفتح الدال

وكل ضلالة فى النار الحديث وروى البيهقى فى الدلائل وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهنى وأبو نصر السجزى فى الابانة عن أبى الدرداء مرفوعا وابن أبى شيبة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله تعالى وأحسن القصص هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتى الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كى من النار والشعر مزامير ابليس والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن أمه وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة اذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله تعالى وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتال على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لى ولامتى اللهم اغفر لى ولامتى أستغفر الله لى ولكم كذا فى الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة العاصى والاولى هى الاولى لما حققناه فيما سبق من أصل المبنى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) أى أصوله (ثلاثة) أى اقسام (وما سوى ذلك) يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها ويتوقف عليه (فهو فضل) أى زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يهم المرء جهله (آية محكمة) أى احكم بيانها فلم يحتج الى زيادة بيان فى شأنها (وسنة قائمة) أى أحاديث ثابتة مستمرة العمل بها دائمة (وفريضة عادلة) أى فى القسمة أو عادلة ومساوية فى العمل بها الكتاب والسنة وهى الثابتة باجماع الامة أو قياس الائمة رواه أبو داود وابن ماجه (وعن الحسن ابن أبى الحسن رحمهما الله تعالى) أى البصرى كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمى عن ابن مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة) أى مصاحب لها (خير من عمل كثير فى بدعة) أى من أصلها لان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو نفع كله وهذا أكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله ففى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى أمم أى معهم والحاصل ان الاقتصاد فى السنة أفضل من الاجتهاد فى البدعة ولو كان مستحسنة

تقدم تفسيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة) أقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها (فما سوى ذلك) وفى نسخة وما سوى ذلك (فضل) أى زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر اليه تفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة الزيادة كما لم (آية) من كتاب الله (محكمة) غير متشابهة لقوله تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات أو غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا أيضا أو المراد ما يشملهما الاحكام بيانها حتى لا يحتاج لزيادة وأحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن أيضا كما قال الله تعالى أحكمت آياته ويجوز ارادته أيضا (أو سنة قائمة) أى دائمة مستمرة يعنى لم تنسخ لدوام العمل بها (أو فريضة عادلة) أى لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها أو لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها بالنص أو المراد بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العائلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهى التفسير والحديث والفقه (وعن الحسن ابن أبى الحسن) هو الحسن بن يسار البصرى وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن مسعود (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة قال (عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة) فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى أمم أى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل (خير من عمل كثير فى بدعة) وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفى اشارة الى انه يراعى السنة فى جميع عدده وهيئته حتى يحيط السنة به وقيل انه لصاحبته السنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التى ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغائب ووجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضى الخيرية فى البدعة بحسب

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يدخل العبد الجنة) أي أعلى مراتبها (بالسنة) أي بسبب القيام بها (تمسك بها) أي أخذها وعمل بمقتضاها ففاز بمقام القدس ومرام الانس وفي نسخة يتمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه صحيح المعنى (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبراني في الاوسط (قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي) أي حين

يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فان قلت من يتمسك بالسنة اذا فسدت الامة أجيب بان المراد أكثر الامة ولا يبعد ان يراد بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة كما هو طريق أهل البدعة بخلاف مذهب أهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على ما ورد (له أجر مائة شهيد) أي حيث جاهد في طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا ومشربا وفي نسخة فرقة أي جماعة (وان أمتي) أي أهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفي رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) أي بزيادة ملة (كلها) أي جميع الملل السابقة والنحل اللاحقة (في النار) أي في طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) اتباعها

أي الا أهل ملة واحدة أو الا جماعة (قالوا) أي بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذي) أي الجمع والفوج الذي أو أهل الطريق الذي (أنا عليه اليوم وأصحابي) أي من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم من أحيى سنتي) أي أشاعها بعملها أو أذاعها بنقلها

ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها أصل في العبادة كوصال الصوم وما أشبهه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة) الواحدة وان قلت (تمسك بها) أي امتثلها وعمل بها مخلصا (وعن أبي هريرة) في حديث رواه الطبراني في الاوسط (المتمسك بسنتي) أي العامل بها والسالك طريقتي (عند فساد أمتي) أي تغير أحوالها وتركها أمور الدين واتباع البدع وذلك في آخر الزمان (له أجر مائة شهيد) فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وأمر غيره بالعمل أيضا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وأيضا هو يجاهد نفسه حتى يترك ما ألفه الناس ومثله مما رغب الناس عنه فيؤذيه أشد الاذاء فلذا أعطى ثواب الشهداء وجعل له أجر مائة للتكثير أو للاشارة الى ان أكثر ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر أمثالها وقيل ان الشهيد يرقى منزلته بترك الدنيا وبذل نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله تعالى مع فساد عصره وأهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

رأيت عبيد الله أكرم من مشى * وأكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي (ان بني اسرائيل افترقوا) أي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون (على اثنتين وسبعين ملة) أي مذهبا أو دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله (وان أمتي تفترق على ثلاث وسبعين) فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة (كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله) هكذا روي ولو وعظه على مقدر أي هذا عددهم ومن هم أو هي زائدة (قال هم الذين على الذي أنا عليه وأصحابي) وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره ولا عصر الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار أصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد ألف في بيانها تآليف أجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكر صلى الله تعالى عليه وسلم وهم أهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية أهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث في الاعتقاد من غير اعتقاد ارتكاب تأويلات بعيدة وزعم الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقائد كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج لتأويل كما توهم (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره (من أحيى سنتي) أي أظهرها بالعمل بها والحث على

(فقد أحيانى) أى رفع ذكرى وأظهر أمرى (ومن أحيانى كان معى) أى مشاركا لى فى علو قدرى وفى نسخة كان معى فى الجنة أى مصاحبالى فى النعمة رواه الاصبهانى فى ترغيبه واللالكائى فى السنة (وعن

عمرو بن عوف المزنى) كما رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيى سنة) أى من سنتى (قد أميتت بعدى) بترك ذكرها أو العمل بها (فان له من الاجر مثل من) أى مثل أجر من (عمل بها من غير ان ينقص) أى ذلك الاجر الذى يكون له (من أجورهم) أى من أجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر فى ضميرهم معنى من دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة أو بالوصف أى بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها الا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة للكتاب والسنة ولا ماخوذة من القياس أو اجماع الامة (كان عليه) أى من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيا) أى من آثام من عمل بها تبعا له (فصل وأما ما ورد عن

السلف) أى الصالحين من الصحابة والتابعين (والائمة) أى العلماء العاملين المجتهدين فى أمر الدين (من اتباع سنته) وفى نسخة فى اتباع سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) أى طريقته (وسيرته) أى هيئته فالاول بيان الكمية والثانى بيان الكيفية أوهما ايماء الى قاله وحاله وهذا الامر التقريرى أولى من القول بالعطف التفسيرى حدثنا (الشيخ

اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحياء ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذى رواه أبو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها (فقد أحيانى) أى أظهر ذكرى ورفع أمرى فجعله بمنزلة احيائه كما قيل

وتحسبه قد عاش آخر دهره ٭ الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

(ومن أحيانى) بيقاء ذكرى وشرعى (كان) أى تحقق ان جزاءه ان يكون (معى فى الجنة) والمراد دخوله فيها وعلو رتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب (وعن عمرو بن عوف) بن زيد بن مليحة (المزنى) الصحابى وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفى فى زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث) بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن أبو عبد الرحمن المزنى الصحابى وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن وراء المدينة وتوفى سنة ستين وسنه ثمانون سنة (من أحيى سنة من سنتى قد أميتت بعدى) أى تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما فى العدم وسنته طريقته وشريعته فهى تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتى بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحياء وتختص بالحيوان حقيقة (كان له من الاجر) أى الثواب (مثل من عمل بها) فيه مضاف مقدر أى أجر من عمل بها (من غير ان ينقص ذلك) أى الاجر الذى له (من أجورهم شيأ) دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص أجرهم (ومن ابتدع بدعة ضلالة) وفسرها بقوله (لا ترضى الله ورسوله) لانها بدعة غير مرضية (كان عليه مثل آثام) بالمد جمع اثم وهو الوزر (من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيأ) وهذا رواه الترمذى وابن ماجة وحسنه وفى من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيأ وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافى هذا قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بعلمه سنها لهم وأرشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان فى قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا فى المقدار مثل آثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم فى العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال عليه من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا فى الخير والثانى سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ما له وعليه ما عليه أى مثله وفى الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا فوقع فيها غيره فانه يضمن فى بعض الصور وهو لا ينافى الآية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له أو لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة وأخذ من الخبر المذكور ان الداعى الى الاثم كفاعله وقد صرح به فى بعض الروايات قال شيخ والدى الشهاب بن حجر فى شرح المشكاة لكن لو تاب الداعى الى الاثم وبقى العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها أولا لان شرطها رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل بدلالته موجودا فالفعل منسوب اليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر فى ذلك نقلا والذى يتقدح الآن الثانى انتهى وفيه نظر ظاهر

(فصل وأما ما ورد عن السلف) الصالحين يعنى الصحابة والتابعين فى أول القرون وأما اشارة الى أنه قسيم لما قبله مما فى القرآن والحديث ولذا قال ورد (والائمة) يعنى من بعدهم من العلماء والمجتهدين (من اتباع سنته) أى من طريقته وهو بيان لما وفى نسخة فى اتباع متعلق بورد بمعنى جاء (والاقتداء بهديه وسيرته) عطف تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة أيضا (حدثنا الشيخ) أصل معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيدا لطلبة العلم لانه فى الغالب يكون مسنا وهذا عا

أبو عمران موسى بن عبد الرحمن ابن أبي تليد) بفتح فوقية وكسر لام التحتية (الفقيه) أى الكامل فى الفقه (سماعا عليه) أى لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) أى حدثنا (أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر (ثنا) أى حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) أى حدثنا (قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا فى نسخة مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كأحمد وأسلم والله تعالى أعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد راء (قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) أى حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثى راوى الموطا وفى نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتامل (ثنا)

أى حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب (عن ابن أبي شهاب) أى الزهرى (عن رجل من آل خالد بن أسيد) بفتح فكسر وفى نسخة بالتصغير وخالد أخو عتاب أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم وأما الرجل فغير معروف (انه سال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا أبا عبد الرحمن) يكتب بلا ألف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن) أى فى قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلاة السفر) أى بوصف القصر فى القرآن صريحا والا فصلاة الخوف متضمنة للقصر فى الآية على ما ورد فى السنة (فقال ابن عمر يا ابن أخى) أى فى الاسلام جريا على عادة العرب فى خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام (ان الله بعث الينا محمدا عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيا) أى من حقيقة الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) أى فنتبعه ونقتدى به فى جميع أموره وقد رأيناه يقصر فى السفر فقصرنا معه بل وقد أمرنا بالقصر وأوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال أبو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيئا منهما فقد وقع فى الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائى وابن ماجه (وقال

استعمل قديما وأول من أطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضى الله عنه كما قاله السخاوى رحمه الله تعالى (أبو عمران موسى بن عبد الرحمن) الرعينى علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته (ابن أبي تليد) بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم (الفقيه سماعا عليه) وهذا الحديث من أحاديث الموطا ورواه النسائى وابن ماجه قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بالغين المعجمة كما تقدم (ووهب بن ميسرة) كذا فى بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمسانى انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر التميمى مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة انتهى (قالا) بالتثنية وهو الصحيح وروى قال أى كل واحد منهما أو اكتفاء باحدهما (حدثنا محمد بن وضاح) تقدم أيضا قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى راوى الموطا قال (حدثنا مالك) امام دار الهجرة الغنى عن البيان (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهرى وقد تقدم بيانه (عن رجل من آل خالد) أى أهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبى لا أعرفه وقال التلمسانى هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين أو بضمها وفتح السين والاول أصح وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب أحد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وأمية عبد الله بن أبي بكر وأمية هذا يروى عن ابن عمر توفى فى سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبى فى تفسيره انه يعلى بن أمية بن عبد الله الى آخره وهو وخالد هو (ابن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وياء ودال مهملة وهو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أخو عتاب (انه سال عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر) بفتحتين أى الصلاة من غير قصر مذكورة (فى القرآن ولا نجد صلاة السفر) المقصورة فى القرآن (فقال ابن عمر) فى جوابه (يا ابن أخى) هذا جار على عادة العرب فى الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابنى ويا ابن أخى كما يقال للكبير يا أبى ويا عمى (ان الله بعث الينا محمدا) أى نبأه وأرسله صلى الله تعالى عليه وسلم (و) نحن (لا نعلم شيأ) من أمور الدين (فانما نفعل كما رأيناه يفعل) وروى ما رأيناه بدون كاف وما موصولة أو مصدرية أى نقتدى به فى ما جاء به وهذا هو المقصود هنا أما صلاة الخوف فقد ذكرت فى القرآن وهى سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم وأما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت فى القرآن فى قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الآية ولذا سألوا عنها الآن اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد ذكر الله شيأ مقيدا بشرط وبينه على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها أحاديث أخر (وقال

عمر

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أي ابن مروان بن الحكم الاموي القرشي وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو تابعي جليل وامام جليل وسادس الخلفاء على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وأنس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهري وعدة أخرج له أصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من أرض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر أربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة أشهر وأيام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكائي في السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) أي وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) أي موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضي الله تعالى عنه الناس على أبي بن كعب في صلاة التراويح وأمر عثمان رضي الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الآفاق (الاخذ بها) أي العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) أي حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) أي في طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي والمراد الخلفاء الاربعة رضي الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله) أي واستعمال سنته وسنة من أتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها) أي بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) أي بغيرها ظنا انه أحسن منها (ولا النظر) أي ولا يجوز لاحد النظر (في رأي من خالفها) أي بلا دليل شرعي من اجماع أو قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجي هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاكما بالغاء قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو أقام رجل شاهدي زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلاف عيال أبي حنيفة في الفقه كما صرح به الشافعي فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد في أمر الدين أو يتوهم أن يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الائمة ومقتدى أكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خالف سلفه كما بينته في تشييع الحنفية لتشنيع الشافعية مع ان المسئلة المذكورة هي الرواية المشهورة عن علي كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فبهذا علم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع في حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلي والتكسب الغافلي حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد أسير الدليل كما قال الشافعي بجواز نكاح الرجل ووطئه بنته الحاصلة من الزنا نظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم التفات الى قبح صوري في هذا القيل والله سبحانه وتعالى يهدي سواء السبيل (من اقتدى بها) أي بسنته وسنتهم (مهتدى) أي مادام مقتديا بها وفي نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) أي استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بدلولها (منصور) أي فهو منصور كما في نسخة (ومن خالفها) أي فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) أي المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) أي جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (وأصلاه جهنم) أي ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) أي قبحت جهنم (مصيرا) أي مرجعا له وان تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن ابن أبي الحسن) أي البصري رحمه الله تعالى

عمر بن عبد العزيز) الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله تعالى عنه (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو (وولاة الامر بعده) بضم الواو جمع وال وهو من يتولى أمور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون (سننا) جمع سنة (الاخذ بها) أي العمل بها واتباعها (تصديق بكتاب الله) بالباء واللام لانه أمر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين (واستعمال لطاعة الله) لان طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيأ من عند أنفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما استنبطوه من الكتاب والسنة (وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها) أي تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه (ولا تبديلها) بيدل لها ما يغايرها وهو أخص من التغيير لشمول الزيادة والنقص ويجوز ان يكون بمعنى (ولا النظر في رأي من خالفها) أي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها أصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده (من اقتدى بها) أي عمل بتلك السنن فهو (مهتد) لانهم على هدى من الله (ومن انتصر بها فهو منصور) على من خالفه (ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد أو عمل (ولاه الله ما تولى) أي جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة (وأصلاه جهنم) أي أدخله فيها (وساءت مصيرا) جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع (وقال الحسن ابن أبي الحسن) هو

(عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا أيضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون لتأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (وقال ابن شهاب) أى الزهرى كما أخرجه عنه اللالكائى فى السنة بلغنا (عن رجال من أهل العلم) أى من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) أى الاستمساك بها سبب خلاص من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما فى سنن سعيد بن منصور عنه رضى الله تعالى عنه (الى عماله) أى بالامصار (بتعلم السنة)

أى الاحاديث أو السنن وفى نسخة بتعليم السنة أى للناس (والفرائض) أى تفصيلها وتمييزها عما عداها أو اريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن أى اللغة) تفسير من أحد رواة الحديث أو من المصنف والمراد باللغة أصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكافلة لعلم النحو المتعلق بالمبانى وكذا علم البيان والمعانى (وقال) أى عمر رضى الله تعالى عنه أيضا على ما رواه الدارمى (ان اناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) تفسير فى الاصل أى بظواهر الآيات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانية (فخذوهم بالسنن) وفى نسخة بالسنة أى فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية وهذا معنى قوله (فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى) أى من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر على معرفة أحدهما فالمراد بأصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجى كالبخارى ومسلم وأبى داود فخارج عن صوب الصواب (وفى خبره) أى خبر عمر الذى رواه مسلم عنه (حين صلى) أى عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات أهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) أى سنة الاحرام ولى فى ذلك المقام (فقال أصنع) أى أفعل أنا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) أى فى حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه أراد القرآن كما يدل عليه قوله (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان

الحسن البصرى كما تقدم (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) تقدم هذا وقد بينا معناه وقيل لا تكرار فيه لانه ذكره أولا خبرا وذكره هنا أثرا وفيه نظر (وقال ابن شهاب) الزهرى (بلغنا عن رجال من أهل العلم) انهم (قالوا الاعتصام بالسنة) أى التمسك بها (نجاة) مما يخافه المرء فى الدنيا والآخرة وفى القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية أو من تلبس بالسنة حفظ من ان يقع فى معاصى الله وفيه حث على حفظها والعمل بها (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى عماله) ونوابه وأمرهم (بتعليم السنة) أى ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله فى أسفاره واقامته (والفرائض) أى قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من أشراط الساعة (واللحن) بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله (أى اللغة) والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلمى البلاغة وقال الزهرى معناه تعلموا لغة العرب فى القرآن واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول والخطأ فى الاعراب وقال الزمخشرى معنى اللحن فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع فى القرآن والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور فى سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابى ان اللحن بالسكون الفطنة والخطأ وقال غيره من أهل اللغة الفطنة بالفتح والخطأ بالسكون (وقال) عمر رضى الله تعالى عنه فى أثر آخر رواه عن الدارمى (ان ناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) أى يخاصمونكم وينازعونكم فى بعض الاحكام التى قلتم بها فيقول القرآن فيه ما يخالف كلم نظرا الظاهره مما بينته أو خصصته أو نسخته السنة (فخذوهم) أنتم حجوهم واغلبوهم (بالسنن) الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فان أصحاب السنن) أى علماء الحديث ونقاده (أعلم بكتاب الله) أى بمعانى القرآن ممن يتمسك بظاهر القرآن لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومأوله فان تفسير القرآن انما يعلم من السنة (وفى خبره) أى خبر عمر الذى رواه عنه مسلم (حين صلى) عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بضم الحاء المهملة ولام وفاء بصيغة المصغر اسم مكان على ستة أو سبعة أو اربعة أميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات أهل المدينة والشام الذى يحرمون منه (ركعتين) اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن أراد ان يحرم بنسك مؤكدة عند أكثر الفقهاء فى تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصرى فانه استحب كونه أى الاحرام بعد صلاة فرض لانه روى انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسأل عنها ولم يحتج لقوله (فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) فاقتدى بآثاره وكل ما صنعه (وعن على) بن أبى طالب كرم الله وجهه فى أثر رواه عنه البخارى والنسائى

(حين قرن) بين الحج والعمرة وقيل أى تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع من حيث ان القارن متمتع أيضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدى بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق التمتع على القران بالمعنى اللغوى الشامل للمعنى الشرعى ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه) وهو الصواب بخلاف ما فى نسخة فقال له (ترى) من الرأى لا من الرؤية أى تعلم (انى انهى الناس عنه) أى عن القران أو التمتع (وتفعله) أى أنت مخالفا لامرى (قال) أى على لعثمان (لم أكن أدع) أى واد عا وتاركا وروى لأدع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول أحد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا فى حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكانه كان يظن ان أفضل أنواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان أشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع فى غيرها قبلها أو بعدها كما كان عليه أهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور ولدفع هذا الامر أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى أو كان له تأويل فى هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون أشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة فى غيرها حتى يزار البيت فى أشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها لمنفعة أهل مكة ليكون لهم موسمان فى كل عام والله أعلم وحمل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم على أحدهما لا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها فقال له عمر وفى الهامش عثمان عوض عمر وعليه صح وفى صحيح البخارى وسنن النسائى كلاهما فى الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضى الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى على نهيه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول أحد وأخرج الشيخان والنسائى كلهم فى الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع على وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال على ماتريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك فقال انى لا استطيع ان أدعك فلما رأى على ذلك أهل بهما جميعا وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان على يأمر بها فقال عثمان لعلى كلمة فقال على لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة أهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوى وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية عن على كرم الله تعالى وجهه والله أعلم

والنسائى (حين قرن) بين الحج والعمرة فى حجة حجها (فقال له) أى لعلى (عثمان) بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفى نسخة فقال له عمر والصحيح رواية ان القائل له عثمان رضى الله تعالى عنه كما فى الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ (ترانى) وفى نسخة ترى انى أى تعلم أو تشاهدنى وانا (انهى الناس عنه) أى عن القرآن (وتفعله) أنت فانكر عليه عدم اتباعه له (قال) على لعثمان رضى الله تعالى عنهما (لم أكن ادع) واترك (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الناس) أى لاجل أحد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاقتدى بغيره مع علمى بمخالفته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضى الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلى رضى الله تعالى عنه أهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان فى ذلك قال له ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى والمتعة تستعمل بمعنيين أحدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكى فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيرى وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمى متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلى رضى الله تعالى عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للاتفاق أو لئلا يتوهم أحد انه ممتنع وكل منهما مجتهد مأجور وهذا مبنى على مسئلة أصولية وهى انه اذا وقع الاختلاف فى عهد الصحابة فى حكم شرعى هل يصح الاجماع بعدهم على أحد قولى الصحابة فذهب أحمد وأكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالى وبعض الشافعية وأكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع أم الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم أجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين على وعثمان مبنى على الاختلاف فى حج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على ما روى من ان عثمان رضى الله تعالى عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه فى ذلك قال له على قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين يعنى ان فعله ذلك لعارض لا لانه الافضل وروى ان عثمان رجع لما قاله على وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان

(وعنه) أي عن علي وهو غير معروف عنه (اني) وفي نسخة صحيحة لا اني أي انتبه وافاني (لست بنبي) أي لا يوحى الي بوحي جلي (ولا يوحى الي) أي بوحي خفي أعمل به (ولكني أعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) أي قدر ما قدرت بحسب الطاقة البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمي والطبراني واللالكائي في السنة عنه وعن أبي الدرداء (القصد في السنة) أي التوسط في العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد في البدعة) أي أحسن من المبالغة في بذل الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة في حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة وأما تقييد الدجي بالضلالة فنشأ من بعض الجهالة لانها قوبلت بالسنة الثابتة ولا شك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة

الضلالة اذ لا خير فيها في جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر ركعتان) أي لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا في الليالي والايام (من خالف السنة) أي لم يقبلها (كفر) أي قارب الكفر أو كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهي منة ولذا سمي صدقة وقيل من خالفها عنادا أو مستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول أحكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركها من غير تأويل لها (وقال أبي بن كعب) كما رواه الاصفهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه (عليكم بالسبيل) أي الزموا طريق الطاعة (والسنة) عليهم

أي ومتابعة الشريعة (انه ما على الارض من عبد) أي من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) أي سبيل الله تعالى (والسنة) أي سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله في نفسه) أي في باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه أو بمجرد ذكر جنانه ولا شك ان الجمع أولى لظهور برهانه فلا معنى لقول الدجي أي بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) أي سالت دموعهما من أثر بكائه (من خشية الله) أي من خوف عقابه أو حجابه (فيعذبه) بالنصب أي الا لم يعذبه (الله أبدا) أي لا في دنياه ولا في آخرته حيث طلب رضاه مولاه وفي نسخة فيعذبه بالرفع

وهو اسم موضع معروف (وعنه) أي عما روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكروا من رواه عنه (الا اني لست بنبي ولا يوحى الي) بالبناء للمجهول (ولكني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت) أي ما لم أضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه (وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول) في أثر رواه الدارمي والطبراني عن أبي الدرداء (القصد) أصل معنى القصد التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب بهذا والمراد (في السنة) أي في سلوك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير من الاجتهاد) أي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله (في البدعة) وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام (وقال ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح (صلاة السفر) أي المقصورة فيه وجوبا أو استحبابا (ركعتان من خالف السنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا (كفر) أي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله تعالى عليه وسلم عنادا أو انكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبعض الفقهاء وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه من احسانه عليه بتسهيل أمره (وقال أبي بن كعب) رضي الله تعالى عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه وغيره وأبي هو أبو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان (عليكم) هو هنا اسم فعل بمعنى الزموا أو تمسكوا (بالسبيل) أي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله تعالى (والسنة) أي طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم يقل ان العطف تفسيري وهو جائز (فانه) تعليل للحث على التمسك بالسنة والضمير للشأن (ما على الارض) الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء العقلاء من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم أكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد (من عبد) من زائدة للاستغراق (على السبيل والسنة) متمسك بهما والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليهما فهو تمثيل (ذكر الله في نفسه) صفة مخصصة لعبد (ففاضت عيناه) أي فاض ماء عينيه ببكائه (من خشية الله تعالى) وخوفه وفي نسخة من خشية ربه (فيعذبه الله تعالى أبدا) أي الا لم يعذبه الله أبدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره أيضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي المحض كقوله لا يقضى

عليهم فيموتوا (وما على الارض من عبد على السبيل والسنة) أى متى سلك طريقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقابه فى أقواله وأفعاله (ذكر الله فى نفسه) أى أحضره فى قلبه وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا مجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور والمراد به المقارن للشكر لانه لا يفيض ماء عينيه الا تصوره واحضاره فى قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور والمجرد والمقارن للذكر اللسانى ولا يخفى ما فيه (فاقشعر جلده) اقشعر بالتشديد أى أخذته قشعريرة وهى الرعدة كما فى القاموس (من خشية الله) أى من شدة خوفه وقال الراغب الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلماء بها فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته وحاله العجيبة (كمثل) بفتحتين أى كهذه الصفة (شجرة) ذات أغصان وورق (قد يبس ورقها) صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة للتحات الآتى لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا كثيرة قديمة (فهى كذلك) أى فهى دائمة قائمة على هذه الحالة من قدم أوراقها ويبسها وأصله فبينما هى كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) والريح مؤنثة (فتحاتت عنها ورقها) أى سقط وفى القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقطت كانحت انتهى وفتحات بفتحات وتاء مشددة آخره مطاوع حته (الا حط الله خطاياه) المراد بالحط هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة وهى الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تأكيدا لبعد المسافة باعتراض المثل وقيل انه استئناف جوابا لمقدر كأنه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة النفى فقيل الا حط عنه خطاياه (كما تحات) أصله تتحات مضارع بمعنى تسقط (عن الشجرة ورقها فان اقتصادا) أى اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله أو تذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما فى نفسه (فى سبيل الله وسنة) عبر بفى لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء محيط بعلمه احاطة الظرف بالمظروف (خير من اجتهاد) أى زيادة وبذل جهده وطاقته (فى خلاف سبيل الله وسنة) أى بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتقدم تفسيره (وانظروا) المراد بالنظر هنا التدبر والتأمل وهذا تتميم لما قبله وتأكيد له (ان يكون عملكم ان كان اقتصادا أو اجتهادا) أى تدبروا فى جميع أعمالكم قليلة كانت أو كثيرة سواء بالغتم فيها أو لم تبالغوا (ان تكون) أعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله أو تأكيد له واعاده للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هى المصدرية لا شرطية مكسورة (على منهاج الانبياء) أى على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح (وسنتهم) أى طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال الله فبهداهم اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مأمورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) رضى الله تعالى عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة

(وما على الارض من عبد على السبيل) أى الطريقة المرضية (والسنة) أى الهيئة السنية (ذكر الله فى نفسه) أى من غير ان يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) أى انقبض واجتمع (من خشية الله) أى من عظمة مولاه (الا كان مثله) بفتحتين أى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) أى أوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) أى فبينما هى فى أوقات كونها كذلك (اذ أصابتها ريح شديدة) أى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية أى فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا أو تأكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الا حط عنه خطاياه) بصيغة المجهول أى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) أى تساقط (فان اقتصادا) أى توسطا (فى سبيل) أى فى طريق خير (وسنة) أى طريقة حسنة من كتاب وسنة (خير من اجتهاد) أى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) أى فى مخالفتهما (وموافقة بدعة) أى ولو حسنة لا بدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا أيضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد فى بعض النسخ (وانظروا) أى وتأملوا حرصا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا أو اقتصادا) أى مبالغة فى الجهد أو توسطا فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول أو تأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) أى شريعتهم وبروى مناهج الانبياء أى شرائعهم (وسنتهم) أى طريقتهم لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) أى نوابه

(الى عمر) أى اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) أى بما عليه أهله من فساده (وكثرة لصوصه) أى سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على أخذ السرقة عملا بالسياسة (أو) وفى نسخة أم (نحملهم على البينة) أى عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه (السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت به السنة أى من ان البينة على المدعى واليمين على من أنكر (فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وبما يترتب عليها من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) أى بذلك (فلا أصلحهم الله) تعالى أى أيضا بخلاف ماهنالك

ولا يبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول أظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وعليم فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا تكثر السرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة فى تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبر أهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) أى ابن رباح أو عطاء الخراسانى (فى قوله) أى فى تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أنتم وأولوا الامر منكم (فى شئ) أى من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله والرسول أى الى كتاب الله وسنة رسول الله) أى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته أى عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه أحمد وأخرج له أصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى فى موضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة أربع ومائتين (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها) أى اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة حجر (لا تنفع ولا تضر) أى

لعمله فى الاموال والمصالح (الى عمر بحال بلده) أى يخبره بحال بلده الذى ولاه عليها وهى حمص كما قالوه (وكثرة لصوصه) عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما من الذين يأخذون أموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائى فى السنة كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (هل يأخذهم) أى يحبسهم ويعاقبهم (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون أى بمجرد الظن بانهم لصوص (أو يحملهم) أى يطلب منهم ويكلفهم (على البينة) كما فى قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى تكلفوا احمالها كما قاله الراغب وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلى كما تقدم (وماجرت عليه السنة) أى ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم فى بعض الاحيان (فكتب اليه) أى الى عامله (عمر) بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه (خذهم) أى أحكم عليهم (بالبينة وماجرت عليه السنة) أى وردت واستقرت عليه (فان لم يصلحهم الحق) أى حكم الشريعة دون السياسة والعنف (فلا أصلحهم الله تعالى) أى ينتقم منهم اذ لم يوافقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فما دار الحول وفيها سارق (وعن عطاء فى) تفسير (قوله) تبارك وتعالى (فان تنازعتم) أى اختلفتم أيها الناس (فى شئ) من أمور الدين (فردوه) أى ارجعوا فيه (الى الله و) الى (الرسول) أى الى ماقالاه (أى الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا يؤيد ماقاله عمر رضى الله تعالى عنه ولذا ساقه عقبه وهذا لا ينافى ماذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وماقاله عمر رضى الله تعالى عنه شئ آخر وعطاء هو عطاء ابن أبى رباح المفسر كان من كبار التابعين وتوفى سنة خمس عشرة ومائة (وقال الشافعى) الامام المشهور وامام الائمة وسلطان الامة (ليس فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لم يثبت فى حديث فى شريعته (الا اتباعها) أى اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبى واذا خالف قولى الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا تبعه أئمتنا الشافعية رضى الله تعالى عنهم (وقال عمر) ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كما رواه عنه الشيخان (و) قد (نظر الى الحجر الاسود) فى طوافه والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له (انك حجر لا تنفع ولا تضر)

فى حدذاتك وهو لاينافى ماورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسئلة مفصلة فان خبر لولا منقسم الى أقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو مادل على كون مطلق كقولك لولا زيد لجئت عمرو وقسم واجب الاثبات وهو مادل على كون مقيد اذ لو حذف لما فهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم فلو حذف حديثو عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من أحوالهم انقضت الكعبة ومن جملة أحوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل مالم يفهم عند الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعى

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ٭ ٣٣٧ لكنت اليوم أشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثى أخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولى ٭ على اخوانهم لقتلت نفسى

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت أثبته وان شئت حذفته كقولك لولا أخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد أثبت (ورؤى) وفى نسخة ربى بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رأى مقلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) أى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع أوله (فسئل عنه) أى عن سبب فعله وان ارادته لاى شئ (فقال لا أدرى) أى وجهه وحكمته (ألا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) أى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) أى اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا يشير الى ان أكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية أيضا (وقال أبو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ما قاله أبو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله ثم أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد بنيسابور مع شاه الكرمانى على أبى جعفر الحداد وأقام عنده وزوجه أبو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين

أى لا تقدر على ضر ونفع لذاتك وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعاء عنده وسنذكره (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك) أى فى طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان أبيض كاللبن فسودته خطايا بنى آدم كما رووه (ثم قبله) عمر بعدما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله تعالى عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما أخذ الميثاق على بنى آدم فى عالم الذر كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر الاسود وسيأتى يوم القيامة وله لسان يشهد لمن استلمه بالتوحيد ووفائه العهد وروى ان ذلك ذكر له صلى الله تعالى عليه وسلم فأقره وقد قيل لو ان عمر رضى الله تعالى عنه كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الاحجار فخشى ان يضلوا ويعتقدوا انفعها فيما ساعليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله فى أرضه أى وضعه فى الارض ليقبل كما يقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله بفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصة فى ذاته كخاصة المغناطيس لجذب الحديد وفى الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما أراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين (ورئى) مبنى للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل ففيه مافيه من اللغات وآخره همزة بالقلب المكانى وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فبها ونعمت والافهو تكلف لا حاجة اليه (عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رواه عنه أحمد بن حنبل والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) وهو را كبها أى بلغت وجهها أو يطيفها حوله حتى عادت لموضعها الاول (فسئل) عن فعله ذلك لاى شئ هو (فقال لا أدرى) وجه فعلته وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) أى يدير ناقته فى هذا المكان (ففعلته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتداء بافعاله صلى الله تعالى عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه أمر محتمل انه اتفاقى بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله أم لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا بأس به وهو الظاهر وأما غيره فيكره الاقتداء به فى مثله كما يفعله بعض الصوفية فى اتباع آثار مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه مما عرفه (وقال أبو عثمان الحيرى) شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحاء والراء

(من أمر السنة) بتشديد الميم أي من جعل السنة أميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) أي واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من لا
ينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن أمر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه في فعله وقوله وأمور دنياه وأخراه (نطق
بالبدعة) أي بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضى لمولاه (وقال سهل التستري أصول مذهبنا) أي معاشر
الصوفية لاجماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (أربعة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الاخلاق
أي الاحوال الباطنة (والافعال) أي الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) أي الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية في جميع الاعمال) أي تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد يصير العادات بها عبادات والكل ماخوذ من مكارم افعاله ومحاسن أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد في نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) أي يأتمر باوامره وينتهي بزواجره (وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اي العمل الصالح الذي يرفعه الله تعالى أو يرفع الكلام الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) أي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما في نسخة أي في جميع
أقواله وأفعاله وأحواله وقد فسر الكلام الطيب بقوله (لا اله الا الله) في
وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن وغير ذلك والهاء في قوله يرفعه راجع الى الكلام الطيب وعليه أكثر
المفسرين فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء في الحديث لا يقبل الله قولا
الا بعمل ولا عملا الا بنية ولا نية الا باصابة

المهملتين وبينهما مثناة تحتية ساكنة وفي آخره ياء نسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها
وهو أبو عثمان سعيد بن اسمعيل توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ
الصوفية وهو صاحب أبي حفص النيسابوري كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته
ونقل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وقال انه صاحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد
نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس هنا
نسبته فقيل انه الحنيذي بحاء مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة
وياء نسبة كذا في أصل أبي العباس العزفي وهو مخالف لما في أصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي
بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحيدي مصغرا بحاء ودال مهملتين
والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه أولا واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وأقربها الجنيدي فانه
كان على طريقته في الزهد ولم يكن في عصره أعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضى الله تعالى
عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع
لاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعاء والرحمة لهم
(من أمر السنة على نفسه) وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة خفيفة أي جعل سنة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وطريقته (قولا وفعلا) أي في أقواله وأفعاله فهو منصوب على الظرفية أو تمييز
محول عن المفعول أي جعلها أميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم
المخففة وتشديد الراء المهملة أي أجراها ومشاها عليه وهو بعيد (نطق بالحكمة) أي القول الصواب
النافع له في الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة (ومن أمر الهوى) أمر كالذي قبله ففيه
استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه (نطق بالبدعة) أي بما يخالف الحق مما زينه له
الشيطان من الضلالة (وقال سهل التستري) وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ
الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة (أصول مذهبنا) أي التصوف
أي قواعده التي تدور عليها (ثلاثة) أولها وأعظمها (الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم) واتباعه (في
الاخلاق والافعال و) الثاني (أكل الحلال و) الثالث (اخلاص النية في الاعمال) وهذه الاصول وان
كانت أصول الصوفية فهي أصول للشريعة أيضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر (وجاء) أي ورد
عن السلف في التفاسير المأثورة (في تفسير قوله) تعالى اليه يصعد الكلم الطيب (والعمل الصالح
يرفعه انه) بفتح الهمزة فاعل جاء (الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فان العمل لا يكون صالحا
مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتداء به قولا وعملا وضمير انه للعمل الصالح
وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلام الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول
ويجوز العكس أي يرفع التوحيد الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني
المراد بالكلام الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل

(وحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى الزاهد الربانى روى عن البخارى وغيره وعنه ابناه وجمع وفى نسخة ان أحمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) أى عن ثيابهم (ودخلوا الماء) أى بلا سترة والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) أى اطلاق الحديث الذى رواه مثله الترمذى أيضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام) بصيغة النهى وقيل بالنفى واريد النهى بل هو أبلغ (الا بمئزر) بكسر ميم وسكون همزة ويبدل وفتح زاى الابازار تسترعورته (ولم اتجرد) أى انا من ثيابى احتياطا فى ذلك المقام (فرأيت) أى فى المنام (تلك الليلة) أى القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لى يا أحمد ابشر) أى بكل خير وفى نسخة ابشر يا أحمد (فان الله قد) غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما أى يقتدى بك (قلت من أنت قال جبريل) عليه الصلاة والسلام

(فصل)

(ومخالفة أمره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) أى بتغييرها مبنى أو بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) أى فى الاعتقاد (وبدعة) أى فى الاجتهاد لاتصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة أى موعود (من الله تعالى عليه) أى ما ذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) أى بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه فى الدنيا (والعذاب) أى وبالعقوبة فى العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى معرضين عنه أو مانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) أى كراهة ان يلحقهم محنة وبلية فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى مؤلم فى العقبى والآية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون فى شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى ظهر له الحق ببيان المولى

فى كتب التفسير (وحكى) بالبناء للمجهول أى نقل لنا (ان) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده وانه أحمد بن محمد بن حنبل كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى لانه تربى بها ودفن فيها ثانى عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتأليف (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) من ثيابهم عريانا (ودخلوا الماء) للاغتسال (فاستعملت الحديث) أى عملت به فالسين للتأكيد وقيل المعنى طلبت ذلك من نفسى وقلت لاتوافق هؤلاء وهذا الحديث رواه مسلم والترمذى وهو (من كان يؤمن بالله) أى يصدق ويعترف بالله (واليوم الآخر) أى يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفاء (فلا يدخل الحمام) المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب فى العرف على محل مخصوص (الا بمئزر) المئزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل (ولم أتجرد) نا أى لم اخلع ثيابى وأتعرى منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث (فرأيت) فى المنام (تلك الليلة) أى فى تلك الليلة التى تلى يوم تجردهم (قائلا لى) أى شخصا يقول لى (يا أحمد أبشر) أى مبشرا من الله بما يسرك (فان الله قد غفر لك) أى عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك (باستعمال السنة) اى بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والعمل بحديثه (وجعلك اماما) يؤتم بك ويقتدى بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب (قلت) لمن رأيته فى المنام (من انت) استفهام اريد به تعيينه عنده (قال جبريل) أى انا جبريل رسول الله الى عباده

(فصل ومخالفة أمره) أى بترك ما أمر الامة به (وتبديل سنته) أى تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتأويله على خلاف مراده (ضلال) أى عدول عن الطريق المستقيم وهى طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته (وبدعة) أى أمر أحدث فى الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهى المرادة هنا (متوعد عليها) أى ورد الوعيد لفاعلها فى أحاديث كثيرة تقدم بعضها وفى آيات قرآنية (من الله بالخذلان) متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصى فى الدنيا (والعذاب) الاليم فى الآخرة (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير أمره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المقصود بالذكر فى الآية وهو الذى بنى المصنف رحمه الله تعالى عليه كلامه هنا وفيه وجه آخر انه لله لانه الآمر الحقيقى والفتنة ما فى الدنيا من المصائب لا المحنة الدنيوية والعذاب الاليم فى الآخرة (وقال الله تعالى ومن يشاقق الرسول) أى يعاديه ويخاصمه فيكون فى شق وهو فى شق آخر (من بعد ما تبين له الهدى) أى ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى الله تعالى عليه

(ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي غير ماهم عليه من اعتقاد علم أو اعتماد عمل (نوله ما تولى) أي نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) أي ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) أي جهنم (مصيرا) أي مرجعا لهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفي نسخة أبو محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكني بأبي محمد (بقراءتي عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة في الطباع (قالا) أي كلاهما (ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم حاتم ابن محمد ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن القابسي) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) أي حدثنا (الحسين) وفي نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) أي صانع الدبغ أو بائعه ٣٤٠ (ثنا) أي حدثنا (أحمد بن أبي سليمان ثنا) أي حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) أي حدثنا (ابن القاسم ثنا) أي حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وأبو داود عنه والنسائي عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة أشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح أفصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع في المدينة (وذكر الحديث) أي بطوله (في صفة أمته) أي نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء الحديث (وفيه) وفي جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمة وضم الياء وذال معجمة فالف ودال مهملة وهلما
فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد أي فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال) أي عن مزاحمة بعير الرجال في الشرب من حوض ماء الزلال (فأناديهم) أي ظنا انهم من أصحابي وأهل ناديهم (فأقول ألا) أي تنبهوا (هلم) أي تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوي فيه الواحد والجمع بخلاف بني تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمي والاول أفصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كانه أراد لم نفسك الينا أي اقرب والهاء للتنبيه وحذف ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا في الامر بالاقبال

وسلم وهداية الله تعالى له لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي يسلك طريقا غير طريقتهم في الاعتقاد والعمل (نوله ما تولى) أي نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع (الآية) أي اقرأها يعني قوله تعالى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل بهذه الآية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال (حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد تقدمت ترجمته (وعبد الله بن عتاب) تقدم أيضا (بقراءتي عليهما) بيان لطريق روايته ويسمى عرضا (قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الحسن القابسي) تقدم قريبا قال (حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ) بسين مهملة منقول من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وتسعين وثلاثمائة قال (حدثنا أحمد بن أبي سليمان) هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى أبا جعفر توفي سنة احدى وتسعين ومائتين وقد ناهز السبعين قال (حدثنا سحنون) عبد السلام (بن سعيد) وستأتي ترجمته مفصلة قال (حدثنا ابن القاسم) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن العلاء بن عبد الرحمن) تقدم أيضا (عن أبيه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) مثلثة الباء والكسر لغة قليلة فيها (وذكر الحديث في صفة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم) يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء (وفيه) أي في الحديث المذكور (فليذادن رجال عن حوضي) اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية أو ناهية أي لا يفعل أحدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التي اختارها المصنف رحمه الله تعالى (كما يذاد البعير الضال) أي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه وأتى ليدخل في ابل أخرى ليستقي فيطرد من بينها لئلا ينتقص شربها (فأناديهم) اذا طردوا (ألا هلم ألا هلم ألا هلم) كرره ثلاثا تأكيدا على العادة في نداء من ضل وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى أقبل وأحضر ويتعدى بنفسها وبالى واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوى فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل أو مركبة من ها لم أو من هل أم وهذه لغة أهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القرآن ولغة غيرهم هلم

(فيقال) أي فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الحافظون (انهم قد بدلوا بعدك) أي دينهم كثيرا بدليل قوله (فأقول فسحقا فسحقا فسحقا) أي ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير ألزمهم الله سحقا أو أسحقهم الله سحقا أي فأبعدهم الله بعدا أو فطردهم الله طردا أو بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم قال النووي اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التي عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ما ظهر من اسلامهم وثانيا ان المراد بهم من كان في زمنه عليه الصلاة والسلام من أهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه في حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان في بعض النسخ فلا يذادن بزيادة ألف بعد اللام فتصير لا نافية وأكثر الرواة عن مالك في الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثاني ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل الثانية أفصح في المعنى أي فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا ألفين أحدكم على رقبته بعير أي لا تفعلوا ما يوجب ذلك فما في بعض حواشي الشفاء من ان قوله فلا يذادن لا معنى له (وروى أنس رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي في حديث طويل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفي نسخة صحيحة من رغب (عن سنتي) أي أعرض عنها ومال الى غيرها (فليس مني) أي بمتصل بي أو ليس من اتباعي واشياعي (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (من أحدث في أمرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا وفي رواية من أدخل في ديننا وهو كذلك في نسخة وفي أخرى في أمرنا هذا على ما في رواية صحيحة أي هذا الامر الواضح الكامل الذي لا يحتاج الى زيادة احداث (ما ليس منه) أي شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر او خفي ملفوظ أو مستنبط وفي نسخة ما ليس فيه (فهو) أي ذلك المحدث أو ذلك الشيء المحدث (رد) أي مردود غير مقبول وهذا الحديث أصل في الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن أبي رافع) كما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن أبيه) أي أبي رافع مولى النبي عليه الصلاة والسلام

وهلم وهلموا وهلمن فهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم أظهروا الاسلام وتوضؤوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يبدعوا فان كان المراد أهل البدع من المؤمنين وأصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووي اختلف في المراد به على أقوال أحدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا بعدك ولم يموتوا على الاسلام الثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد أصحاب الكبائر والمعاصي الموحدين وأصحاب البدع فينادون عقوبة لهم (فيقال) بالبناء للمجهول أي يقول الله تعالى أو الملائكة أو من عرفهم من الصحابة (انهم قد بدلوا بعدك) أي غيروا واستنوا وارتكبوا ما لم تعهد منهم وفي نسخة انهم قد تبدلوا بعدك (فأقول سحقا سحقا سحقا) وفي نسخة فسحقا باعادة الفاء للتأكيد وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا أي جعلهم الله في مكان سحيق أي بعيد وأصله من سحقه اذا فتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعاء عليهم تقديره ألزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية أو هو مفعول به واذا كان دعاء فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا فقيل هل هو مصدر الفعل الثلاثي وهو سحقه أو لغيره أي أسحقه على حذف الزائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره أبو علي * أقول بل له داع لان سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال أبعده الله وأسحقه كما قاله الراغب (وروى أنس) ابن مالك في حديث رواه الشيخان (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من رغب عن سنتي) أي تركها لان رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته (فليس مني) أي ليس من اتباعي واشياعي ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبري منه ورد له فهو في معنى الحديث الذي قبله (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (من أدخل في أمرنا) أي أحدث بدعة في الدين وروى من أحدث وهما بمعنى (هذا) عبر باسم الاشارة اشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد (ما ليس منه) أي أمرا مخالفا للكتاب والسنة (فهو رد) أي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين (وروى ابن أبي رافع عن أبيه) وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه كما

(عن النبي) وفي نسخة ان النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته) نهى لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم في ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها اوجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية أو جملة استئنافية بيانية أي يجيئه (الامر من أمرى) أي حكمي (مما أمرت به أو نهيت عنه) أي مما هو غير ظاهر في الكتاب فيقول (لا أدرى) أي غير القرآن (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد) أي الراوي أبو داود والترمذي والحاكم (في حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدي كرب روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) أي فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالكتاب وحي جلي والسنة وحي خفي (وقال عليه السلام) كما رواه أبو داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة أي وقد جيء بمكتوب من التوراة (في كتف) أي من الشاة والجائي به عمر أو ابنته حفصة أو عائشة رضي الله تعالى عنهم أو غيرهم ولا مانع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون أي حماقة وجهالة (أو قال ضلالا) أي ضلالة وغواية والشك من الراوي والباء زائدة في فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق أو الضلال قوما (ان يرغبوا) أي يميلوا أو يعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) أي ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيه يعني ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله عليه السلام في رواية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (أو كتاب) أي أو الى كتاب (غير كتابهم) أي النازل اليهم ولو كان في كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا أو ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي دائما ما بقيت الدنيا

تقدم قريبا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم) بالبناء للمجهول نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده ويراه على هذه الحالة (متكئا على أريكته) أي مترفها جالسا على سريره وتقدم بيان الاريكة (يأتيه الامر) جملة حالية تقريرا لبطره وسوء أدبه (من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى) ما أتيت به لا أدرى غير كتاب الله (ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) وقد تقدم قريبا الكلام عليه (زاد المقدام) في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة (ألا) بفتح الهمزة كلمة استفتاح (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله) لانه مبلغ عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القائل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في أقواله وأفعاله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وأبو داود مرسلا (وجيء) مجهول جاء والجملة حالية بتقدير قد أو معترضة (بكتاب) أي مكتوب (في كتف) أي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك والجائي به عمر رضي الله تعالى عنه أو ابنته حفصة أو عائشة كما قيل وقيل انه شيء كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ألقاه (قال كفى بقوم) متعلق بكفى أو الباء زائدة في المفعول (حمقا أو قال ضلالا) شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في أمور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معهم بين أظهرهم كما بينه بقوله (ان يرغبوا) هو فاعل كفى أي رغبتهم (عما جاءهم به نبيهم) معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم (الى) ما جاء به (غير نبيهم) أي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته (أو) ناظرين الى (كتاب غير كتابهم) الذي أنزله الله تعالى على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتداء به والسماع منه اعتناء لما له وهو بين وفيه اشارة الى انه كان أمرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير (فنزلت) آية (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب) أي القرآن الذي ما فرطنا فيه من شيء فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تأخير أو على مقدر معلوم من الحال أي قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الى آخره وهذا سبب نزول الآية كما نقله في أسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم بآية من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى عليه الصلاة والسلام وناقة صالح عليه السلام فقال لهم الله تعالى لهم أولم يكفهم معجزة القرآن التي هي أعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال (يتلى عليهم الآية) وعبر بالمضارع والضمير لليهود أو المسلمين أو المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة

(وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا أى المتعمقون فى كلامهم الغالون فى أقوالهم وأفعالهم المتكلمون بأقصى حلوقهم البالغون فى خوضهم (وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود وغيره (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) أى فى حال (الا عملت به) أى اقتفاء بسنته الحميدة واقتداء بسيرته الحميدة (انى أخشى) أى أخاف خوفا عظيما (ان تركت شيأ من أمره) أى الذى كان عليه فى دينه (ان أزيغ) أى أميل عن الحق والهدى وأقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

(الباب الثانى)

(فى لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) أى فى ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من أمته فى لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم) أى أصولكم وفروعكم (واخوانكم) أى أمثالكم وأقرانكم (وأزواجكم) أى أشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفى قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع أى جميع أقاربكم أو كل من تعاشرونه وتصاحبونه ماخوذ من العشرة (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها (من النقود والاجناس الآية) وهى (وتجارة تخشون كسادها) أى تخافون قلة رواجها أو نقصان نفاقها أو نفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها (أحب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) أى من حب الله ورسوله ومجاهدة فى طاعته وعبادته (فتربصوا) أمر تهديد أى فانتظروا (حتى يأتى الله بامره) أى بمحنة عاجلة أو نقمة آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) أى لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) أى التهديد والوعيد الشديد (حضا) أى تحريضا وحثا (وتنبيها) أى نديها (ودلالة) أى واضحة (وحجة) أى لائحة (على الزام محبته) أى اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفى نسخة على التزام محبته أى قبولها (ووجوب فرضها) أى ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة أو بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى القدر أى عظمة شانها أو رفعة قدرها

لكتب المنسوخة الاصلاحية من يعرف النسخ والتحريف (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) أى وقع فى أمر يهلكه يؤدى الى غضب الله تعالى وعقابه من تنطع أى بالغ وغالى فى الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفلك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق فى قول أو فعل غيرهم وأصله من يفتح فمه فى تكلمه وقال الخطابى المتنطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب أهل الكلام الخائض فيما لم يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبه صرح أول الحديث وهو تعلموا الفرائض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جاء من باب ضرب ومنع وعلم (وقال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) وهذا رواه عنه أبو داود والبخارى وغيرهما (لست تاركا شيأ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) من سنته فى أقواله وأفعاله وأحكامه وهديه (الا عملته) اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا لآثاره الحميدة (انى أخشى) أى أخاف (ان تركت شيأ من أمره) أى شانه وحاله الذى كان عليه عليه الصلاة والسلام (ان أزيغ) بزاى وغين معجمتين أى أميل عن الحق والسنة وأصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال الله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم أى لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك والله أعلم

(الباب الثانى)

من القسم الثانى من الكتاب (فى) ذكر ما يدل على (لزوم محبته) أى وجوبها عن كل مكلف من أمته وفى نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله (قال الله تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم) أى زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة أيضا فرقا بين المذكر والمؤنث (وعشيرتكم) وهم أقرباء النسب (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها وملكتموها (الآية) أى اقرأ ما بعده ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت وتفسير الآية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا (فكفى بهذا) المذكور فى الآية (حضا) أى حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى (وتنبيها) أى ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين (ودلالة) لهم على ما يجب فى محبته (وحجة) أى انباتا الدليل وجوب محبته عليهم والآخران بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره (على التزام محبته) أى لزومها عقلا (ووجوب فرضها) عليهم شرعا (وعظم خطرها) أى قدرها وفائدتها وأصله ما يعطى عند الرهان

(واستحقاقه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لها) أى للمحبة الكاملة (عليه الصلاة والسلام) أى الكامل التمام (اذقرع) بفتح قاف وتشديد راء أى لانه وبخ (الله تعالى) أى ارتفع شانه وسطع برهانه (من كان ماله) أى من تجارة ومساكن وغيرها (وأهله) أى ماله من الاقارب عموما (وولده) أى واولاده خصوصا (أحب اليه) أى الى نفسه (من الله ورسوله) أو من رضاهما واتباع أمرهما (وأوعدهم) أى خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) أى بالذى أراد بكم من سوء فى الدنيا أو العقبى أو فيهما جميعا (ثم فسقهم) بتشديد السين أى نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) أى بما تتم الآية به فى الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لا يهدى القوم الفاسقين (وأعلمهم) أى بطريق الكناية (انهم ممن ضل) أى بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) أى الى برهانه وتحقيق ايمانه (حدثنا أبو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) أى الجيانى (فيما أجازنيه) أى من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) أى هذا المروى (مما قرأته على غير واحد) أى على كثير من المحدثين غيره ولعله خصه بالرواية عنه لعلو سنده أو صحة نسبه (قال) أى الغسانى (ثنا) أى حدثنا (سراج بن عبد الله القاضى ثنا) أى قال حدثنا (أبو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (ثنا) أى حدثنا (المروزى) بفتح الميم والواو (ثنا) أى حدثنا (أبو عبد الله محمد ابن يوسف) أى الفربرى (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن اسمعيل) أى البخارى صاحب الصحيح (ثنا) أى حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) أى الدورقى البغدادى روى عنه والناس أصحاب الكتب الستة وله مسند توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) أى حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام أبو بشر اسمعيل بن ابراهيم بن القاسم المشهور بابن علية وهى أمه روى عنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة أخرج له الستة (عن عبد العزيز ابن صهيب) بالتصغير هو البنانى الاعمى التابعى أخرج له الجماعة وقال أحمد ثقة (عن أنس رضى الله تعالى عنه) وكرواة مسلم والنسائى (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفى رواية مسلم عبد وفى رواية غيرهما أحد أى لا يكمل ايمان أحد بدلالة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لا يعتد بايمانه (حتى أكون أحب) أى أشد حبا (اليه من ولده ووالده) أى خصوصا

(واستحقاقه) صلى الله تعالى عليه وسلم (لها) أى للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املأ قلبى بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يكون فيه محلا لغير كما (اذقرع) بفتح القاف والراء المهملة المشددة والعين المهملة أى وبخ قيل وفى أصل المصنف رحمه الله تعالى تقرع والصواب الاول (تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب اليه من الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين تقريعه بقوله (وأوعدهم بقوله فتربصوا) أى انتظروا أمره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى (وفسقهم) أى وصفهم ونسبهم للفسق (بتمام الآية) أى بما ذكر فى آخرها حيث قال الله تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله (وأعلمهم انهم ممن أضل ولم يهده الله) تبارك وتعالى (حدثنا أبو على الغسانى) الجيانى الحافظ وتقدمت ترجمته (فيما أجازنيه) يعنى انه رواه عنه بالاجازة ولم يقرأه عليه مع انه معاصر له (وهو) أى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره (مما قرأته على غير واحد) من المشايخ غيره فله فى روايته طرق كثيرة أقوى من هذه وانما اختارها لعلو سنده وجلالته (قال) الغسانى (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو محمد الاصيلى ٢) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) هو الفربرى راوى البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد ابن اسمعيل) هو امام أهل السنة صاحب صحيح البخارى قال (حدثنا يعقوب بن ابراهيم) ابن كثير البغدادى الدورقى صاحب المسند وامام الحديث توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة أو الى صنعة الدوارق وهى نوع من القلانس قال (حدثنا ابن علية) بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية أخرج له أصحاب السنن الستة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة فى كتاب الميزان وعلية أمه (عن عبد العزيز بن صهيب) علم منقول من المصغر وهو البنانى الاعمى الامام الثقة الحافظ أخرج له الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته مشهورة (عن أنس) بن مالك الصحابى المشهور (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روى بغير خطاب فى مسلم لا يؤمن عبد وفى رواية غيره أحد أى لا يؤمن ايمانا كاملا كما فى رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان (حتى أكون) بالنصب وهو غاية لما قبله (أحب اليه من ولده ووالده

(٢) قوله سقط المروزى باصل الصلب ولعل الصواب ثبوته

(والناس أجمعين) أي وسائر الخلق عموما صاحب الاختيار بأن وجب اكرامه عليه الصلاة والسلام واجلاله في مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعي التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع أشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده أشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلي الاختياري الذي هو ايثار ما يقتضي العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الا ترى ان المريض يكره الدواء المر بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم أو ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام أشفق الناس عليه وألطفهم اليه وحينئذ يرجح جانب أمره بمقتضى عقله على أمر غيره وهذا أول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله في حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومحبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ مقدم الخبر والمعنى انه روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن أنس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين (ثلاث) أي خصال ثلاث (من كن فيه) أي من وجدن واجتمعن في حقه (وجد) أي أدرك بنفسه (حلاوة الايمان) أي في قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلي روحاني والثاني حسي نفساني والجملة خبر أو صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثاني أو خبر مبتدأ محذوف وهو هي أو هن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (أحب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما لعموم ما والمعنى من كل شيء سواهما وفي تثنية ضميرهما ههنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه في تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما لا يجوز لغيره وقيل انما أنكره عليه لوقوفه على يعصهما وردية قوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر هو الابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) أي الشخص أعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكي حيث توهم ان المرء مختص بالرجل وأتى بما لا يناسب المقام في تحصيل المرام (لا يحبه) أي لشيء (الا الله تعالى) أي لا لأمر آخر أي في مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله أيضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه

(والناس أجمعين) ايثاره صلى الله تعالى عليه وسلم واكرامه واجلاله واجب بمعنى أكثر محبوبية على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه لا يقتضي خروجه لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهي محبوبة والام وسائر الاهل داخل في الناس أيضا ولا حاجة لادخالها في الوالد كما قيل وسيأتي معنى محبتهم له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (نحوه) أي روى عنه حديث بمعنى الحديث المذكور (و) روى (عن أنس) خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث) أي ثلاث خصال أو خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة أي رجل ضعيف (من كن) أي الخصال (فيه وجد حلاوة الايمان) خبر المبتدأ أو صفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة أو هو مجاز مرسل الخصلة الاولى (ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز وانه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية أو ان هذا كان في ابتداء الاسلام ووجود المشركين بين ظهرهم لاسيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا فصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل (و) الثانية (ان يحب المرء) بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من (لا يحبه الا لله) أي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء كما قاله ابن معاذ

و ان يكره ان يعود فى الكفر) اثبات ايمانه وكمال ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول أى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لا مانع سواه ولا مانع ماعداه وان النبى عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساعى بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شأنه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح

محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) أى والله لانت (أحب الى من كل شئ الا من نفسى) أى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة أى التى فى بدنى وبها قوام أمرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا جرى منه بناء على صدق مقامه وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلاة السلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم) أى ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه) أى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج فلما تفطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه الآن يا عمر) أى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطالا لهذا الامر الذى وجب ان يكون من أول الوهلة مقررا (قال سهل) أى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) أى أمره وحكمه (عليه) أى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع أحواله أى من أفعاله وأقواله

(و) الثالثة (ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار) لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه وفى رواية بعد اذ انقذه الله تعالى منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفى وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها (وعن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى) خبر انت واللام فى جواب قسم مقدر (من كل شئ) فى الدنيا وغيرها (الا نفسى التى بين جنبى) بتشديد الياء كياء الى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه) ايثارا له صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وغيره (فقال عمر) مجيبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (والذى) أى الله الذى (أنزل عليك الكتاب) وأوحى اليك القرآن (لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن) نطقت بالحق أو ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر (يا عمر) صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تخصه بالنسبة لبعض من عداه أى لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلوهمتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها أمر طبيعى لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه أولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه منها لانه الذى نجاه من الهلاك فى الدنيا والآخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الآن تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن أحدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضى عقله ترجيح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ماسواه وفيه سوء أدب ثم قال والحديث يومى الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر غير اعتقاد أعظميته كما زعمه المصنف رحمه الله ورده القرطبى ولا وجه له فان عمر لا يشك انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم من نفسه ومن كل شئ ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلى الاختيارى الذى يقتضى العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدواء لا الطبيعى الذى لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتى بين جنبيه السر القائم به الحياة واضافة اليهما الجرى العادة بسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابر عمر رضى الله تعالى عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته فى مقالته ولذا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم الآن لما علمه منه (وقال سهل) ابن عبد الله التسترى (من لم ير) أى يعلم ويتحقق يقينا (ولاية الرسول عليه فى جميع أحواله) الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولى الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهى مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولى الامر انتهى والمراد

(ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم أى فى تصرف نفسه وتدبير أمره وأما ما فى بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد يرى مجزوما لكان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) أى طراوة سيرته (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أى ايمانا كاملا (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) أى الى آخره فهو مجرور أو منصوب بتقدير أعنى ونحوه أو مرفوع أى تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس أجمعين *(فصل)* (فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مما يرجوه محبته فى الدنيا ويأمله فى دار العقبى (حدثنا أبو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقيه (بقراءتى عليه ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) أى حدثنا (أبو الحسن على بن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسى (ثنا) أى حدثنا (أبو زيد المروزى) تقدم (ثنا) أى حدثنا (محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا) أى حدثنا (محمد بن اسمعيل) أى الامام البخارى (ثنا) أى حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) أى حدثنا (أبى) أى أبوه عثمان بن جبلة بن أبى داود العتكى المروزى أخرج له الشيخان (ثنا) أى حدثنا (شعبة) وهو امام (جليل عن عمرو بن مرة) أحد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن أبى أوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن أبى حاتم ثقة يرى الارجاء أخرج له الستة (عن سالم ابن أبى الجعد) تابعى جليل (عن أنس رضى الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التى أخرجها القاضى عن البخارى هى فى الادب من جملة الصحيح وأخرجه من طريق أخرى فى الاحكام أيضا وأخرجه مسلم فى الادب وليس لسالم بن أبى الجعد فى الكتب الستة عن أنس رضى الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل أبو موسى وأبو ذر وقيل غيرهم والله تعالى أعلم (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) أى القيامة أو ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كأنه أظهر الشوق اليها

انه لا يخالفه فى أمر من اموره (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم أى عياله حتى كأنه عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يذوق حلاوة سنته) استعارة تصريحية أو مكنية وتخييلية والمراد انه اذا سلم ولايته رسوله وطيب قلب شرح الله تعالى صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام الغذاء الحلو اللذيذ وهذا مأخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم) أى لا يكمل ايمانه (حتى أكون أحب اليه من نفسه الحديث) منصوب بأعنى ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما عال به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى أقواله وأفعاله تلذذ بالاقتداء به ولا يستلذ بذلك الا اذا أحبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله * ان المحب لمن يحب مطيع * مع الكلام عليه

(فصل فى ثواب محبته) صلى الله تعالى عليه وسلم مما يرجوه من بركتها فى الدنيا ومن سعادته بها فى الآخرة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب والثواب الجزاء ثم أسند حديثا فى ذلك رواه البخارى فقال (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المصنف رحمه الله تعالى وعند غيره القراءة أقوى وهو الظاهر قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) تقدم أيضا والكلام على التكنى بأبى القاسم مشهور وسيأتى منه ما فيه الكفاية قال (حدثنا أبو الحسن محمد بن خلف) القابسى كما تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزى) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) البخارى وقد تقدم قال (حدثنا عبدان) عبد الله بن عثمان وقد تقدم قال (حدثنا أبى) أبو عثمان بن جبلة ابن أبى رواد العتكى الثقة أخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن عمرو بن مرة) الجملى بفتحتين نسبة الى جمل أبو حى أحد الاعلام العاملين أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ستة عشر ومائة (عن سالم بن أبى الجعد) الاشجعى الكوفى توفى سنة خمس وخمسين ومائة وأخرج له الستة واسمه رافع (عن أنس ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل ان الرجل اعرابى لا يعرف وقيل هو الاعرابى الذى بال فى المسجد وقال ابن بشكوال انه أبو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه أو أبو ذر رضى الله تعالى عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابى اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة وفى معالم الذهبى انه عمر بن الخطاب وابان قيل ولذلك أورد البخارى هذا الحديث فى مناقب عمر رضى الله تعالى عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يأبى كونه عمر أو غيره من مشاهير الصحابة الا أن يكون الراوى نسيه والظاهر انه اعرابى (فقال متى الساعة يا رسول الله) سأله عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من أربعة وعشرين جزأ من اليوم والليلة ثم أطلق لغة على كل زمان قليل فيقول جلست

والذوق لديها (قال ما أعددت لها) أي ما أعددت لما يصيبك من أهوالها وشدائد أحوالها (قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكني أحب الله ورسوله) أي أطيعهما فيما أوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم * أي سوى فرض (قال أنت مع من أحببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية وللمعية في الجملة دلالة صحيحة وافية وأما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة وأصحابها على هذا الادعاء

مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكملت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضي الله تعالى عنه) بضم القاف قال الذهبي روى عنه ابنه عبد الرحمن ولها صحبة وقيل هو تابعي ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وهو في المدينة السكينة (فأتيته فقلت يارسول الله ناولني يدك أبايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولني يده) فبايعته (فقلت يارسول الله اني أحبك قال المرء مع من أحب) أجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) أي في هذا الحديث (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس) رضي الله تعالى عنهم (وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه بمعناه) أي بدون هذا اللفظ ومبناه وفي الجامع الصغير المرء مع من أحب رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه وفي الصحيحين عن ابن مسعود وفي رواية الترمذي المرء مع من أحب وله ما اكتسب وفي هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومي اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص في الصلاح مع محبة أكمل الصالحين يحشر معهم كما

عندك ساعة أي قليلة ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود أو بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها كأنها التحقق وقوعها تقع بعد ساعة أو لانها تأتي بغتة أو لان البعث من القبور يكون في أسرع من لحة ولا يخفى ما فيه (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما أعددت لها) أي ما هيأت وأحضرت لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله (قال ما) هي نافية (أعددت لها من كثير) بالمثلثة وفي بعض النسخ الموحدة التحتية وهو صحيح أيضا (صلاة ولا صيام ولا صدقة) من اضافة الصفة للموصوف أي لم أعد لها ما ينفعني فيها (ولكني أحب الله ورسوله) استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه أي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما (قال أنت مع من أحببت) وفيه جواب له على أتم الوجوه وتبشير له ولمن أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يارسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساوله في منزلته وعلو مرتبته كما توهم وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح * اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

ومن شعر الصباقولي

وحق المصطفى لي فيه حب * اذا رض الرجا يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

وتقدم ايضا (وعن صفوان بن قدامة) الصحابي التميمي المرادي كما قاله الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال (هاجرت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي سافر اليلقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فأتيته فقلت يارسول الله ناولني يدك) أي أمددها الي كما كان عادته في المبايعة (أبايعك) مجزوم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكر (فناولني يده فقلت يارسول الله اني أحبك قال المرء مع من أحب) تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنين له كما ذكر الترمذي والنسائي (روى هذا اللفظ) يعني قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من أحب (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) مخاطبا له من ذكر محبته له (عبد الله بن مسعود وأبو موسى) الاشعري (وأنس) رضي الله تعالى عنهم (وعن أبي ذر بمعناه) وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل الذي ورد بهما في الحديث

السابق

قيل شعر أحب الصالحين ولست منهم * لعلى أن أنال بهم شفاعة وأكره من بضاعة المعاصى * ولو كنا سواء فى البضاعة

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من أحبنى) اى لله تعالى (وأحب هذين وأباهما وأمهما) أى لاجلى أو لذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) أى مقربا عندى (فى درجتى) أى فى جوارى فى الجنة أو فى درجة أهل بيتى لما سبق من ان المرء مع من أحب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) اى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الآتية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك فما أصبر) أى عنك رؤية (حتى أجىء) أى أحضر لديك (فانظر اليك) أى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) أى لانه لا بد من وقوعهما معا أو متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) أى المرسلين (وان دخلتها) أى بالفرض والتقدير (لا أراك) أى لان أحدا لا يكون مع الانبياء والرسل فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) أى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) أى يحبهما ويتبع أمرهما (فاولئك) أى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين أنعم الله عليهم) أى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) أعم من المرسلين (والصديقين) أى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) أى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن أولئك رفيقا) أى ما أحسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) أى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه

السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه (وعن على) ابن أبى طالب فى حديث رواه عنه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين) ابنى على رضى الله تعالى عنهم أى أمسكهما (فقال) وفى نسخة وقال (من أحبنى وأحب هذين) اشارة الى السبطين الحسن والحسين (وأباهما) عليا رضى الله تعالى عنه (وأمهما) فاطمة الزهراء أى مال اليهم ميلا لاختيار بالله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان معى فى درجتى) أى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر الصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال الله تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى (يوم القيامة) ان أريد به يوم القيامة فى الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد اقربهم منه ويقدمهم على غيرهم من أمته وسائر الامم وان أريد به الآخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر (وروى) رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم (ان رجلا أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان أى قيل هو عبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى (فقال لانت) اللام جواب قسم مقدر (أحب الى من أهلى ومالى وانى لاذكرك) أى أتذكرك فى ذهنى وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر أو الضم (فما أصبر عنك) أى عن رؤيتك لشدة محبتى لك (حتى أنظر اليك) فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك (وانى ذكرت موتى وموتك) أى انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار أخرى (فعرفت) وتحققت (انك اذا دخلت الجنة) بعد الموت (رفعت) الى الدرجات العلى (مع النبيين) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وان دخلتها) أنا بضم التاء وعبر فى جانب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذا لتحقق دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفى جانبه بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك (لا أراك) بعد الدخول لانك فى مقام أعلى لا يصل اليه غيرك (فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى امتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضا ولم يذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بخلوصه فيها (فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بنعيم الجنة وعالى مراتبها فيه تبشير له بمرافقة أكرم خلق الله وأقربهم وأرفعهم منزلة (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) بيان للمنعم عليهم بما أخفى لهم من قرة الاعين (وحسن أولئك) تعجب أى ما أحسنهم (رفيقا) تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره أو لارادة كل واحد منهم (فدعا به صلى الله عليه وسلم) أى طلب حضور ذلك الرجل (فقرأها) أى هذه الآية (عليه) جوابا له وتبشيرا وفى

(وفى حديث آخر) لايعرف مخرجه (كان رجل عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) أى الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم (لايطرق) بكسر الراء وفى نسخة مايطرف أى لايغض بصره لديه (فقال مابالك) أى شأنك وحالك (قال) وفى نسخة فقال (بابى أنت وأمى) أى أفديك بهما (أتمتع من النظر) ويروى بالنظر (اليك) أى فى الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) فى أعلى الدرجة (بتفضيلك) أى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لاأراك (فانزل الله الآية) أى الماضية تسلية لما سيأتى من الاحوال الآتية (وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحبنى كان معى فى الجنة) أى وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

*(فصل *
فيماروى عن السلف) أى الصحابة والتابعين (والأئمة) أى من الخلف فى أمر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) أى اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفى نسخة قال حدثنا (القاضى الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) أى حدثنا (العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (حدثنا الرازى ثنا) أى قال حدثنا (الجلودى) بضم الجيم (ثنا) أى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا) أى حدثنا (مسلم) أى صاحب الصحيح (ثنا) أى حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف فى اسمه

تفسير القرطبى انه لما قرأها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لايرى أحدا غيره فى الدنيا فعمى مكانه وقسمهم كما قال البيضاوى أربعة أقسام باعتبار منازلهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على مالم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا أنفسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته والمراد بالمعية ماتقدم (وفى حديث آخر) لم يعز لناقله (كان رجل) قيل هو ثوبان أو من تقدم ذكره قريبا (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ملازما لمجلسه (ينظر اليه) أى يديم النظر الى وجهه الكريم (لايطرف) بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وفاء أى لايطبق أحد جفنيه على الآخر ويغض بصره أو يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وماطرف البصر أى تحرك وظاهر قول بعضهم أى لايغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم أوله وقاف وهو صحيح أيضا لكنى لاأعرف هل هو رواية أو تحرف عليه أو تسامح فى تفسيره (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مابالك) أى ماشأنك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت (قال) أفديك (بابى أنت وأمى) جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه (أتمتع بالنظر اليك) أى أتلذذ بادامة نظرى فى وجهك مادام تمكنها فى الدنيا الانتفع به وأتزود منه (فاذا كان يوم القيامة) وبعدها (رفعك الله) الى المنازل العالية فى جواره (بتفضيلك) أى بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته (فانزل الله الآية) المذكورة يعنى قوله ومن يطع الله والرسول الى آخره (وفى حديث أنس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الاصفهانى فى ترغيبه وسيأتى اخراج المصنف رحمه الله تعالى له بقوله بطوله فى فصل علامة محبته (من أحبنى كان معى فى الجنة) أى قريبا متمكنا من رؤيتى وزيارتى وليس المراد المعية الحقيقية كما تقدم

(فصل فيماروى عن السلف) من العلماء والصلحاء (والأئمة) وفى نسخة بعكسه الأئمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يفسران بما يقتضى المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والأئمة باتباع التابعين ومن بعدهم (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) والمحبة الميل الروحانى طبيعيا كان أو مكتسبا اختياريا والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو أخص من المحبة وقال القيصرى رحمه الله تعالى فى شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت فى * تول بحظر أو تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل زيادة أودوامها انتهى والفرق المذكور رامامن الفحوى أوهو اصطلاح للقوم (حدثنا القاضى الشهيد) ابن سكرة وقد تقدم قال (حدثنا العذرى) نسبة لبنى عذرة وقد تقدم قال (حدثنا الرازى) تقدم وهو نسبة الى الرى على خلاف القياس قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال (حدثنا مسلم) امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال (حدثنا قتيبة) بن سعيد واختلف فى اسمه فقيل يحيى وقيل على وقيل سيار

قال (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) القارى نزيل الاسكندرية الثقة أخرج له الستة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة (عن سهيل) تقدم بيانه (عن أبيه) هو صالح السمان المعروف بذكوان (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتى لى حبا) منصوب على التمييز ولم يقل أحب مع انه أخصر لان هذا أبلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى أشد قوة دون أقوى وأتى بمن التبعيضية لانهم مثل من كان فى عصره وهو أحب اليه من نفسه وأهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحب يتفاوت شدة وضعفا ويبقى مفهوم قوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ولا شئ فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ فى محبته انتهى والتفضيل تختلف جهاته فاشدة محبة من لم يره الداخلة فى الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال (ناس يكونون بعدى) فبين أشديته بهذا وبقوله (يود أحدكم) أى يحب ويرغب فى انه (لو رآنى) ببصره وشاهدنى ولو للتمنى (بأهله وماله) الباء هنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا أى يتمنى لو بذل أهله وماله لاجل رؤيته وفى لو فى مثله أقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر أى يتمنى رؤيتى ويودها يبذل كل ما يعز عليه والتقدير ولو رآنى بمقابلة كل شئ له فعل وقيل انها مصدرية وهى مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة (ومثله) أى بمعناه وقريب منه لفظا (عن أبى ذر) الغفارى الصحابى المشهور (وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى من نفسى) وتقدم تفصيله فى الفصل الذى قبل هذا (وما تقدم عن الصحابة) كثوبان وصفوان وغيرهما (فى مثله) من كونه أحب اليهم من أنفسهم (وعن عمرو بن العاص) بحذف الياء واثباتها وقفا كما مر (ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعدما ذكر مبايعته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان أبغض الناس له واحرصهم على قتله وبعدما بايعه وأسلم قال ما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق ان أملأ عينى منه اجلالا له حتى لو قيل لى صفه ما استطعت ان أصفه الى آخره وسيأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى له بسنده فى فصل تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن عبدة بنت خالد بن معدان) بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين وألف ونون تقدم الكلام واما بنته عبدة فبفتح العين المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبى لا أعرفها وفى الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم (قالت ما كان خالد) يعنى أباها (يأوى الى فراش) أى اذا أراد النوم ليلا وخص هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر

نهارى نهار الناس حتى اذا أتى * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

(الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) استثناء من أعم الاحوال أى لم يكن له غير هذه الحال (والى أصحابه) الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو لخالد (من المهاجرين والانصار) وخالد هذا هو الكلاعى الحمصى لقى سبعين رجلا من الصحابة (يسميهم) أى يعدهم بأسمائهم

(ثنا) أى حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القارى بتشديد الياء المدنى نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفى نسخة سهل (عن أبيه) أبوه هو أبو صالح السمان واسمه ذكوان (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أشد أمتى) وفى نسخة من أشد الناس (لى حبا ناس) أى جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدى) أى يولدون بعد حياتى ويوجدون بعد وفاتى (يود أحدهم) أى يتمنى (لو رآنى) أى ان يبصرنى (بأهله وماله) أى ببذلهما (وتقدم مثله عن أبى ذر) وفى نسخة وقد تقدم حديث عمر رضى الله تعالى عنه أى فى هذا المعنى (وقوله) أى فى آخر المبنى (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت أحب الى من نفسى) أى روحى (وما تقدم من الصحابة فى مثله) أى فى مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه) وفى نسخة العاصى بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان أحد) أى من الخلق (أحب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن أبيها ذكرها ابن حبان فى ثقاته قال هو اما من الكتاب والله أعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوى الى فراش) أى مرقده (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى الى رؤيته (والى أصحابه من المهاجرين والانصار) أى الذين سبقوه (يسميهم) أى يذكرهم بأسمائهم واحدا بعد واحد

(ويقول هم أصلى وفصلى) يعنى انى افتخر بهم وانتسب اليهم دون آبائى وقبيلتى كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفى المجمل ماله أصل وفصل أى حسب ولسان وكذا فى الصحاح وعن ثعلب قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ماذكره أهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتى وبهم أفصل وأحكم فليحرر (واليهم) لا الى غيرهم (يحن قلبى) أى يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين (طال شوقى اليهم) لبعد عهدى بهم وطول مفارقتى بموتهم (فعجل) يا (رب قبضى اليك) اى عجل موتى حتى ألقاهم ولا يزل يردد ذلك (حتى يغلبه النوم) أى حتى ينام ويستغرق فى نومه فيترك قوله هذا وتمنى الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة فى دينه فلعل خالدا كان كذلك وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الفصل الآتى عن الحكيم الترمذى (وعن أبى بكر) الصديق رضى الله تعالى عنه وفى نسخة وروى (انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم) لما أسلم أبو قحافة والده كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما (والذى بعثك بالحق) أى بالدين الحق وهو قسم (لاسلام أبى طالب) جواب القسم يعنى عمه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) أى اسلامه (أقر لعينى) أى أسر وأحب عندى وهو قرة عينى من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار والثبات فان العين اذا رأت ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره (من اسلامه يعنى أباه أبا قحافة) رضى الله تعالى عنه وأبو قحافة هو أبو الصديق وهو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقى بعد وفاة ابنه حتى توفى سنة أربع عشرة وليس فى الصحابة من اسمه أبو قحافة غيره وغير أبى قحافة المزنى كما ذكره الذهبى وسقط من بعض النسخ هنا لفظ أباه (و) بيان (ذلك) المذكور من كون اسلام أبى طالب أقر لعينه من اسلام أبيه (ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك) أى أحب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان فى كفالته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه أحمد وابن اسحق وأبو حاتم وليس قول المصنف رحمه الله تعالى وروى كما فى بعض النسخ تمريضا له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بابيه يقوده وكان قد عمى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلا تركت الشيخ فى بيته حتى اكون انا آتيه فقال أبو بكر يا رسول الله هو أحق ان يمشى اليك فاجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له أسلم فاسلم ورأسه كالثمامة بياضا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غيروا هذا يعنى اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أبو بكر والذى بعثك بالحق الى آخره وفيه من محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالا يخفى حيث قدم مايسره على ما يسره تقديما له على نفسه واعلم ان أبا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله وتصديقه فى قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره وحمايته ظاهرا حتى ماكان أحد يجترئ عليه فلو أسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت الهجرة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم فى الهدى النبوى وصاحب الامتاع (ونحوه) أى فى معنى مارواه البيهقى والبزار عن ابن عمر (عن عمر)

(ويقر أهم) أى جميعهم ويروى منهم (أصلى) أى فى أصول الدين (وفصلى) أى وفرعى فى فرع المجتهدين أو معناهما حسبى ونسبى وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائى وأولادى واما مانقله الحلبى عن الجوهرى ان الكسائى قال قولهم لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على أهل البيان (واليهم يحن قلبى) بكسر الحاء أى يميل (طال شوقى اليهم فعجل ربى قبضى) أى قبض روحى (اليك) أى الى رحمتك (حتى) أى يكرر الجملة الاخيرة أو الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) فوت الاقران موجب الاحزان (وعن أبا بكر رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة وروى عن أبى بكر كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى بعثك بالحق) أى أى ارسلك الى الخلق (لاسلام أبى طالب كان أقر لعينى) أى أشد سرورا عندى (من اسلامه يعنى أباه) عثمان بن عامر رضى الله تعالى عنه (أبا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة أبى بكر رضى الله تعالى عنه السدس فرده فى أولاده وتوفى سنة أربع عشرة (وذلك) أى قال وسبب ذلك (ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينك) يعنى والله غالب على امره ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أو حين أسلم أبوه عام الفتح وهناه النبى عليه الصلاة والسلام (ونحوه عن عمر رضى الله تعالى عنه) أى نظير حديث أبى بكر مارواه البيهقى والبزار عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما

ابن

(انه قال) أي قال نحو حديث الصديق (للعباس) أي تسلية وترغيبا له في الاسلام ان قاله قبل اسلامه أو تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية أي اسلامك (أحب الي) أي بالحب الشرعي (من اسلام الخطاب) أي لو وجد فرضا (لان ذلك) أي اسلامك (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بحسب الطبيعي ورجح الدلجي كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) أي امام المغازي وكذا عن البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) أي من بني دينار كما في رواية ابن اسحق (قتل أبوها وأخوها وزوجها) أي في سبيل الله تعالى (يوم أحد) أي زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول أي ما جرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) أي فعل خيرا وفي نسخة بخير أي هو بخير في بدنه وسالم من عدوه (ش و) وفي نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) أي من الصحة والعافية (قالت) أي لبعض أصحابه (أرنيه حتى أنظر اليه) أي ليطمئن قلبي لديه وفي نسخة صحيحة أروني به بصيغة الجمع فاروه (فلما رأته قالت كل مصيبة) أي من قتل أب وأخ وزوج وغيرهم (بعدك) أي بعد سلامتك أو غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى أي هين وجاء في رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة أي هينة حقيرة لا شاقة كبيرة (وسئل علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه) لا يدرى مخرجه (كيف كان حبكم) أي معشر الصحابة أو جماعة أهل البيت (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي علي رضي الله تعالى عنه (كان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله) قسم معترض (أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفي اعادة الجار اشعار بانه أشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه

ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه (انه قال للعباس) عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان تسلم) بكسر همزة ان الشرطية ان كان قال له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثاني لما يأتي (أحب الي من اسلام الخطاب) يعني أباه (لان ذلك) أي اسلام العباس (أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فقدم ما يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تحبه نفسه وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما أشرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأردف أبا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فرآه عمر فقال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكنني منك فاشتد في أثره حتى دخل به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني أضرب عنقه فقال العباس اني أجرته يا رسول الله فلما أكثر عمر في شأنه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم أسلمت أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم الى آخره (وعن ابن اسحق) صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه أيضا البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) هي من بني دينار ولم يسمها (قتل أبوها وأخوها وزوجها) شهداء (يوم أحد) اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليس المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تأدبا لان الفعل يستلزم الحياة فأريد لازمه (قالوا خيرا) أي فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده (هو بحمد الله كما تحبين) أي سالم منصور ومظفر (قالت) لمن سألته (أرنيه) أي دلني عليه (حتى أراه) وأتلذذ بمشاهدته وفي نسخة أرونيه (فلما رأته) بعد ما دلها عليه (قالت كل مصيبة) تصيب المال والاهل (بعدك) أي بعد سلامتك ورؤيتك (جلل) بفتح الجيم واللام ثم لام أخرى بمعنى هين لا أبالي به ولا أحزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم أيضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بني أسد ربهم * ألا كل شئ خلافه جلل

والثاني قوله فلئن عفوت لأعفون جللا * ولئن سطوت لأوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على محبة غيره من الاهل (وسئل علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه (كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما مقداره في شدته (قال كان والله أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا) بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع أمهة بمعنى أم لغة فيه الا انه يختص ببني آدم قال * أمهتي خندق والياس أبي * ويقال في البهائم أمات (و) أحب (من الماء البارد على الظمأ) بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر والافصح قصره وأعاد الجار

أحب اليهم من أرواحهم (وعن زيد بن أسلم رحمه الله) أي الفقيه العمري تابعي جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره أخرج له أصحاب الكتب الستة والحديث رواه عنه ابن المبارك في الزهد (خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) أي يحفظهم بمراعاته ويتخبر عن أحوالهم على عادته في أيام خلافته (فرأى مصباحا) أي سراجا (في بيت) أي فقصده (واذا عجوز تنفش) أي تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشيء باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) أي وهي تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له في الدنيا باعلاء ذكره واظهار أمره وفي الآخرة بتضعيف أجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) أي أنت (قواما) أي كثير القيام للعبادة وفي رواية صواما وجعله الدلجي أصلا أي كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة في الممدود أي ذو بكاء أو أريد به المبالغة كرجل عدل يعني لكثرة بكائه كأنه عين البكاء وهذا المعنى أنسب لمقابلة ما قبله وقد أغرب الدلجي بقوله قصر لضرورة الوزن وأصله بفتحها ممدودا مشددا الكاف مبالغة في كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته في المبنى وقيل البكاء

برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور وأما ما وقع في بعض النسخ المقروءة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا ما في نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذي ذهب اليه الدلجي وقال الانطاكي وفي بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ما قدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يابني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وأنت نائم أي غافل عن البكاء والاستغفار (ياليت شعري) أي أتمنى علمي وشعوري بغيتي وحضوري (والمنايا أطوار) أي تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية أفادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها في أطوار الموت وأسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهي من منى الله عليك أي قدر ومن ثمه سمي منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد أن منشدا أنشد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شعر لا تأمنن وان أمسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو أدرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهي تريد والله أعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام وأخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمي حاضر أعلم به (هل تجمعني) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفي نسخة بفتح العين وتشديد ما بعدها (وحبيبي) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكي ضرورة (الدار) يعني أم يحولن بيني وبينه المزار

لانه نوع آخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه (وعن زيد بن أسلم) الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال (خرج عمر) بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من بيته لازقة المدينة (ليلة يحرس الناس) على عادته في خلافته اذا كان يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس (فرأى مصباحا) موقدا (في بيت) فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه (فرأى عجوزا) أي امرأة مسنة ويقال عجوزة أيضا ولم أر من الشراح هنا من ترجمها بشئ (تنفش صوفا) بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم (و) هي (تقول) أي تنشد شعرا من بحر السريع (على محمد صلاة الابرار) معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة أو بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر وبار وهو كل مطيع لربه متق أي ادعو له بكل ما تدعو به الابرار (صلى عليه الطيبون الاخيار) المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف أو جمع خير بمعنى أخير وأتقى (قد كنت قواما بكا بالاسحار) قواما أي متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل أي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل أطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو آخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان بكاء ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف (ياليت شعري والمنايا اطوار) شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله (هل تجمعني وحبيبي الدار) قائم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال أي أمور شتى مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المصنف رحمه الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الآخرة أي هل أراه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله أسباب مختلفة كما قيل

ومن

(تعنى) أى المراقبة ولماحبيبي (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وبقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضى الله تعالى عنه يبكى) أى للاشتياق أوللفراق أو الافتراق (وفى الحكاية طول) أى ليس هذا مقام ايرادها (وروى) أى فى عمل اليوم والليلة لابن السنى (ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة أى فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور أصابها كأنها رجل ناعس ولم يذهب بابها (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاى أى يزول عنك هذا الانقباض بسبب ما يترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) أى فنادى باعلى صوته (يامحمداه) بسكون الهاء للندبة وكأنه رضى الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة فى ضمن الاستغاثه (فانتشرت) أى رجله فى الفور (ولما احتضر بلال رضى الله عنه) بصيغة المفعول أى حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهى صحابية على ماذكره الذهبى فى آخر النساء من التجريد مالفظه زوجة بلال أتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال اثم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاى ويجوز فتحهما وتصحف على الدلجى وضبط بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل النون قال وهو فى الاصل النهب والسلب فكأنها فجعها وحزنها بموته (فقد نهبت وسلبت فقال) أى بلال (واطرباه) أى فرحاه وهو يؤيد ما قدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجى مبنى وفى نسخة بل واطرباه بصريح الاضراب للابطال ثم رجز مناسبا للحال واستدلالا للذلك المقال (الق غدا) ويروى نلقى (الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه) وفى نسخة صحيحة وحزبه

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والداء واحد

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بينى وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك فى كتاب الزهد وفيها فمازال عمر رضى الله تعالى عنه يبكى وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالى ولعمر فى هذه الساعة فقال افتحى يرحمك الله فلا بأس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردى الكلمات التى قلتيها آنفا فردتها فقال ادخلينى معكما وقولى وعمر فاغفر له ياغفار (تعنى) تقصد بقولها حبيبى (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه مناسبة لما نحن فيه (فجلس عمر يبكى وفى الحكاية) التى نقلها ابن المبارك (طول) اقتصرنا منها على المراد منه (وروى ان ابن عمر) رضى الله عنهما رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (خدرت رجله) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين أى أصابها خدروهو أمر يعترى الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فالجا أو من مقدماته (فقيل له اذكر أحب الناس اليك يزل عنك) لان الناس جربوا فى الخدران من أصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بسرته تنفش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر (فصاح يامحمداه) يعنيه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أحب الناس اليه والى كل مؤمن كامل ويامحمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول أو القول مقدر بعده كما هو مشهور فى أمثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كاو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز (فانتشرت) رجله أى امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضى صحة ما جربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وذكره النووى فى أذكاره وروى أيضا عن غيرهما وفيه يقول أبو العتاهية

وتخدر فى باب الحابين رجله * فان لم يقل ياعتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تعاهده أهل المدينة وقوله يامحمداه بالف وهاء الندبة فى النداء لمن يتوجع أو يتفجع كما قرره النحاة (ولما احتضر بلال) رضى الله عنه بالبناء للمجهول أى حضرته الملائكة لتقبض روحه (نادته امرأته) أى صاحت باعلى صوتها (واحرباه) بفتح الحاء والراء المهملتين وباء موحدة وهو فى الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله ومايعيش به فكأنها لما فجعها بموته نهبت وسلبت وفى قاموس قيل اصله ان حرب بن أمية لما مات قيل فى نعيه واحرباه ثم نقل ذلك يعنى عم فى كل نعى وجب كفارة وواحرف ندبة والمندوب اما ميت ينعى أو أمر يتفجع منه نحو ياحسرتا وقيل انه روى حزناه بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة أو بضم أوله وسكون ثانيه وروى أيضا حوباه بفتح الحاء وواو ساكنة تليها باء موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد انها الشدة جزعها وقلقها فى المصيبة فهى تتفجع على نفسها أو هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم (فقال) بلال رضى الله تعالى عنه ردا لمقالته (واطرباه) الطرب خفة تعترى المرء لحزن أو سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثانى وواهنا للنداء والالف والهاء مزيدة فى آخره كأنه يستغيث بطربه ويدعوه فى سكرات الموت لما تيقنه من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى فى البرزخ كما أشار اليه بقوله (غدا ألقى الاحبة محمدا وحزبه) فمحمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين أى المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضى الله تعالى عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروى كما يأتى

وقد روى عن عمار أيضا أنه قال بصفين الآن ألقى الأحبه محمدا ثم حزبه (ويروى ان امرأة) وفي نسخة ويروى عن امرأة وفي حاشية الحلبي ان امرأة هاشم وقال ولا أعرفها (قالت لعائشة رضي الله تعالى عنها اكشفي لي) أي بيني لي وأريني (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) أي بكشف الستارة عنه لاجلها (فبكت حتى ماتت) أي حزنا على فراقه أو شوقا الى لقائه (ولما أخرج أهل مكة) أي كفارهم كما رواه البيهقي عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضي خزرجي بدري احدي (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) أي صبرا وكان قد أسر مع حبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة (قال له) أي لزيد (أبو سفيان بن حرب) أي ابن أمية وهو أبو معاوية أسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام أنشدك الله تعالى بضم الشين أي أسألك الله واذكرك به أو أقسم عليك به وفي نسخة صحيحة أنشدك بالله (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك) أي يكون في مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وانك) وفي نسخة وأنت (في أهلك) أي والحال انك تكون فيما بين أهلك وطول أملك (فقال زيد والله ما أحب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه) أي مع كمال أمنه وعزته (تصيبه شوكة) أي فضلا عن ان يصيبه محنة فوقها (واني) وفي نسخة وانا (جالس في أهلي) ولعله ذكره لمقابلة كلام أبي سفيان لانه حال مقيدة في هذا الشان بل الانسب للمبالغة أن يقول وانا في هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين أهلي ومالي من المثال والمعنى ان ما أصابني في طريقه من المحنة لم ينقص لي شيأ في حقه من المحبة (فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا) أي من الاتباع (يحب أحدا) أي من المتبوعين (كحب أصحاب محمد محمدا) اي احتراما مؤكدا واحتشاما مؤبدا قال الحلبي ما ذكره القاضي قاله ابن اسحق ونقل أبو الفتح اليعمري في سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر عن ابن عقبة ان الذي قيل له أتحب أن محمدا مكانك هو حبيب ابن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة اذا أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مهاجرة اليه في المدينة السكينة (حلفها بالله ما خرجت) أي هي من أرضها اليه (من بغض زوج) أي من أجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور أي ولا من أجل الميل (بارض) أي في بلدة (عن أرض) أي

نلقى الأحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو بحر الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض (ذكر القشيري) رحمه الله تعالى (ومثله) روى (عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما وروى ان امرأة قالت لعائشة) رضي الله تعالى عنها (اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قالته لها لانه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم (فكشفته لها) برفع الستارة عنه (فبكت حتى ماتت) لشدة محبتها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا لم يخرجوه (و) روى البيهقي رحمه الله تعالى عن عروة انه (لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة) بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء تأنيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طال حول وكره ولم يسقط عليه أو من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة ابن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجي الصحابي وكان أسر يوم الرجيع (من الحرم ليقتلوه) فقتل صبرا وانما أخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة (قال له) قبل قتله (أبو سفيان بن حرب) والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك الآتي حبيب بن عدى حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى رواية ابن اسحق (انشدك الله تعالى) قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفي القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله أي سألتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض أي أسألك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشي الصواب نشدتك فليحرر (يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه) فيقتل حماه الله تعالى من ذلك (وانك) بفتح الهمزة سالما مقيما (في أهلك فقال زيد رضي الله تعالى عنه والله ما أحب) وأرضى (ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة) أي أقل شئ من الاذى فضلا عما قلتم (وانا جالس في أهلي) سالم من الاذى وهو متأذ (فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس) ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة أصحاب محمد له (يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا) مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار (كانت المرأة اذا أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) مهاجرة الى المدينة (احلفها بالله) وفي نسخة حلفها بالتشديد وهما بمعنى أي كلفها القسم بالله انها (ما خرجت) من أرضها وبلدها لشئ (من بغض زوج) لها ناشزة منه (ولا رغبة بارض) أي في أرض (عن أرض) خرجت

منها (و) انها (ما خرجت) من أرضها بشئ (الا حبا لله ورسوله) فهى هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى قصده المصنف رحمه الله تعالى هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرد عليهم كل من أتاه من أهل مكة ولو كان مسلما فرد أبا جندل رضى الله تعالى عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن فى العهد أو لان الله نسخه صونا للفروج واضعفهن فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وأمره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن أعطى مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية وبما ذكرنا سقط ما قيل فى نظم هذا فى هذا الفصل نوع نظر (ووقف ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه ابن سعد (على) عبد الله (ابن الزبير بعد قتله) رضى الله تعالى عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاولى أو الآخرة كما فصل فى التواريخ (فاستغفر له) أى دعا له ابن عمر بالمغفرة (وقال) ابن عمر مخاطبا له بعد موته (كنت والله فيما علمت) أى فيما ثبت وتحقق فى علمى بك (صواما) أى مبالغة فى الصوم وكثرته (قواما) أى كثير القيام والتهجد كما مر وقيل انه كان رضى الله تعالى عنه قسم لياليه ثلاثة أقسام ليلة يصلى قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح (تحب الله ورسوله) أى مخلصا فى محبتهما مؤثرا لهما على كل شئ حتى على نفسه وأهله اما عبادته رضى الله تعالى عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه أمور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كأنه جذع لا يحس بشئ ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمى بحجر من المنجنيق وهو يصلى فى أيام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن قريبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لما أنزلوه عن جذعه الذى صلب عليه غسلته أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته فى دار صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهذه الدار زيدت فى المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة وأشرف السلام

* (فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) * أى فى ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم (اعلم) أمر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين سد مسد مفعوليه قوله (ان من أحب شيأ آثره) أى اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كقوله (وآثر موافقته) فى أقواله وأفعاله (والا) أى وان لم يؤثره ويؤثر موافقته وأصله وان لا بان الشرطية ولا النافية (لم يكن صادقا) فى دعوى المحبة كما قال (فى حبه وكان مدعيا) أى كاذبا فى دعواه لان المدعى هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعى النبوة لكن لا يقال مثله فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما

قال وكل يدعى وصلا لليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال ولما ادعيت الحب قال كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك) الحب الذى ادعاه بحيث لا يخفى (وأولها) أى أول تلك العلامات (الاقتداء به) صلى الله تعالى عليه وسلم باتباع أقواله وأفعاله وآثاره (واستعمال سنته) أى العمل بها (واتباع أقواله وأفعاله) فلا يخالفها (وامتثال أوامره واجتناب نواهيه) بان يفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام فى تذكرته ومن

انصرافها عن بلدة لقلة رغبة فيها (وما خرجت) أى عن أرضها (الا حبا لله ورسوله) (ووقف ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) أى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) أى عند البيت (فاستغفر) أى ابن عمر رضى الله عنهما (له) أى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت) وفى نسخة ما علمت أى مدة علمى بك (صواما قواما) أى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فصل فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفى أصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله أى أى يذكر فيه ما يؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من أحب شيأ آثره) بالمد أى اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) أى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) أى فى مودته (وكان مدعيا) أى فى محبته وكان كما قيل * (شعر) *

وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاك

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) أى دلالة الحب لديه (أولها) أى أول علاماته وأسبق دلالاته (الاقتداء به) أى فى ملته (واستعمال سنته) أى طريقته (واتباع أقواله وأفعاله) أى فى جميع أحواله (وامتثال أوامره) أى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) أى حرمة وكراهة

(والتأدب بآدابه) أى فى جميع أبوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (فى عسره ويسره) أى فى وقت ضره وشكره على صعوبة أمره وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح أولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة أو اسما زمان أى فى حال سعته وضيقه أو حال رضاه وغضبه أو وقت فرحه وحزنه أو زمن انشراح صدره أو انقباض أمره (وشاهد هذا) أى دليل ما ذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) أى تريدون طاعته أو تدعون محبته (فاتبعونى) أى فى طريقته (يحببكم الله) يثبكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم أى يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ما شرعه) أى وشاهده أيضا تقديم ما أظهره واختيار ما بينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) أى وايثار ما حث وحرض على فعله أو تركه (على هوى نفسه) أى على ما تميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) أى فى مدح الانصار من جهة الايثار الذى هو فى الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوأوا الدار والايمان) أى اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) أى من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل أحد من قريش به ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) كذا فى النسخ المصححة وفق الآية ووقع فى أصل الدلجى فى أنفسهم فقال صوابه فى صدورهم (حاجة) أى حزازة (مما أوتوا) أى لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى ما أعطى المهاجرون وغيرهم من فىء وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين وغيرهم (على أنفسهم) فى محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) أى مجاعة وشدة حاجة حتى ان من كان عنده داران أو بستانان ترك أحسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه التى كانت

خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل الشان على أمور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهرى وفى التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان قول الجوهرى غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم أو صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع أمر فكيف يخرج عليه كلامهم الثانى انه جمع آمرة وهى الصفة وفيه مامر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يتأتى لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على أفعل وجمع أفعل على أفاعل ورد بان أوامر فواعل لا أفاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهانى فى شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى (والتأدب بآدابه) الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكرم وحسن الشيم والادب غالب فى العرف على هذا المعنى (فى عسره ويسره) بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا فى الشدة والرخاء والضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو لصاحب الحالة المصدر به (ومنشطه) أى فى نشاطه وخفته (ومكرهه) أى كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة (وشاهد هذا) المذكور كله أى ما يشهد له ويدل عليه حتى كأنه شهد به وأثبته (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله أحب رسوله فكأنه قال ان كنتم تحبونى فاتبعونى وبهذا ظهر مطابقة هذه الآية لما عقد له الفصل (وايثار ما شرعه) من أحكامه الواجبة وغيرها (وحض عليه) أى حث الناس على فعله وحرضهم عليه (على هوى نفسه) أى ما تهواه وتميل اليه (وموافقة شهوته) أى ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعى غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصى عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما فى قوله أشتهى ان اشتهى (قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار) أى سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة (والايمان) أى وأخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله

* وزججن الحواجب والعيونا * أو جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم) من المؤمنين (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى قلوبهم وأنفسهم وما وقع فى بعض النسخ فى أنفسهم سهو من الكاتب (حاجة مما أوتوا) أى لا يخطر ببالهم وتطمح أنفسهم الى ما أعطى المهاجرون من فىء وغيره حسدا وطمعا (ويؤثرون على أنفسهم) أى يقدمون المهاجرين على أنفسهم تكريما منهم (ولو كان بهم) أى فيهم (خصاصة) احتياج وفاقة لما آثروهم

اكرمهم الله به وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج أبادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم فى هذا النىء معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولا تأخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالنىء علينا ولا نشاركهم فيه أصلا (واسخاط العباد) أى وشاهده أيضا اسخاط العباد (فى رضى الله تعالى) أى فى تحصيل رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضى عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم كما ورد به حديث هذا مبناه أو معناه (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) وهو ابن سكرة (ثنا) أى حدثنا (أبو الحسين الصيرفى وأبو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف فى النسخ المصححة (قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو يعلى البغدادى) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) أى حدثنا (أبو على السنجى) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) أى حدثنا (محمد ابن محبوب) ويروى أحمد ابن محبوب (ثنا) أى حدثنا (أبو عيسى) أى الترمذى الامام (ثنا) أى حدثنا (مسلم بن حاتم) أى الانصارى امام جامع البصرة وثقه الترمذى وغيره (ثنا) أى حدثنا (محمد بن عبد الله الانصارى) قاضى البصرة يروى عن حميد وابن عوف وطبقتهما وعنه البخارى وأحمد وابن معين وخلائق أخرج له الائمة الستة (عن أبيه) أى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى يروى عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال أبو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائى ليس بالقوى وقال أبو داود لا اخرج حديثه لكن أخرج له البخارى والترمذى وابن ماجه (عن على بن زيد) أى ابن جدعان التيمى البصرى الضرير تابعى أحد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زادان لمامات الحسن قلنا لابن جدعان اجلس مجلسه أخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقراءتان متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسى) أى تدخل فى الصباح والمساء أو عمر طيلة النهار والليل

به وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بنى النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم وأموالكم وان شئتم كان لكم أموالكم وديار كم ولا تأخذوا منه شيأ فقالوا بل نؤثرهم بالفىء ونقسم لهم من ديارنا وأموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما افتتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واسخاط العباد) أى اغضابهم عليهم بمخالفتهم (فى رضى الله) أى فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتداء وهذا كما قال الحريرى

وابغ رضى الله فاغبى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد

(حدثنا القاضى أبو على الحافظ) هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الحسن الصيرفى) تقدم أيضا وفى نسخة الحسين وهو سهو (وأبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى البغدادى) الذى يقال له زوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا أبو على السنجى) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد ابن محبوب) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عيسى) هو الامام الترمذى صاحب السنن وهو محمد بن عيسى ابن سورة كما تقدم قال (حدثنا مسلم بن حاتم) الانصارى امام جامع البصرة قال (حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى) هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصارى قاضى البصرة الامام الثقة توفى فى رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة فى الميزان (عن أبيه) هو عبد الله بن المثنى البصرى وقد وثقوه وله ترجمة فى الميزان (عن على بن زيد) بن عبد الله بن أبى مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير أحد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت وأخرج له الاربعة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وثلاثين أو تسعة وعشرين ومائة (عن سعيد بن المسيب) تقدم أيضا (قال قال أنس بن مالك) الصحابى المشهور (قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما ان زوجاته رضى الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله فى الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد أبا احد من رجالكم المنفى فيه أبوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الآية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه فى أول فصل واما حسن عشرته الخ (ان قدرت ان تمسى وتصبح) أى ان أمكنك ذلك

(ليس في قلبك غش) أي حقد وحسد (لاحد) أي من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) أي كن ثابتا على هذا العمل فان من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لي يا بني وذلك) أي هذا المقام (من سنتي) أي من طريقتي (ومن أحيى سنتي) أي بالعمل بها أو بانتشارها في تعليمها وتعلمها ويروى ومن أحب سنتي (فقد أحبني) أي بالغ في حبي (ومن أحبني) أي بالمبالغة (كان معي في الجنة) أي في درجة أرباب المحبة وأصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات التي هي علامات المحبة أو المراد بهذه الصفة احياء السنة وامثالها من أنواع الموافقة

والمتابعة الصادقة (فهو كامل المحبة لله تعالى) أي اصالة (ولرسوله) أي تبعا (ومن خالفها) أي هذه الصفات (في بعض هذه الامور) أي المذكورة (فهو ناقص المحبة ولا يخرج) أي ولكن لا يخرج مع هذا (عن اسمها) أي عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه في الجملة (ودليله) أي ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن أصل المحبة (قوله عليه الصلاة والسلام) أي كما في حديث البخاري عن عمر رضي الله تعالى عنه (للذي حده في الخمر) أي لاجله وفي حقه وهو عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع في صحيح البخاري وهو صاحب مزاح كان يهدي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضهم) وفي صحيح البخاري فقال بعض القوم اخزاك الله قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رواه البيهقي وفي رواية له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) أي ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه وفيه (ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفي كلام الدمياطي في حواشيه على البخاري ان هذا وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار شهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد وأتي به في شرب الخمر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجلده أربعا أو خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح

ولم يمنعك منه مانع أي على ان الخ لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامساء جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله (ليس في قلبك غش لاحد) جملة حالية بدون تقدير قد لجودها أو هي خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف أي نية غش والاول احسن واقرب (فافعل) أي فكن مداوما على ذلك (ثم قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لي يا بني وذلك) اي نزع الغش من القلب (من سنتي) أي طريقتي واخلاقي (ومن أحيى سنتي) أي أظهرها أو اتبعها (فقد أحبني) أي علم حبه لي وهذه رواية والذي في الترمذي فقد أحياني وهو الظاهر (ومن أحبني كان معي في الجنة) لان المرء مع من أحب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من أحبه بل يقدم مراده على مراده لانه أحب اليه من نفسه (فمن اتصف بهذه الصفة) أي باحياء السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه غش لاحد (فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها) أي خالف السنة (في بعض هذه الامور) كترك بعض ما أمر به أو أتى ببعض ما نهى عنه أحيانا (فهو ناقص المحبة) لا كاملها (ولا يخرج) بارتكاب البعض (عن اسمها) أي عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة ولا ينافي هذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص على نهج قوله لا يزني الزاني وهو مؤمن ولذا عقبه بقوله (ودليله) أي دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة (قوله صلى الله عليه وسلم) في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله تعالى عنه (للذي حده في الخمر) أي أقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أي قوله في حقه وشانه وهي في الحقيقة لام تعليل والصحابي الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان أو نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البدري وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك منه توفي في زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار أخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقال الحافظ الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود في الصحابة ولم يذكروا نسبه (فلعنه بعضهم) أي قال اللهم العنه وروي انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي (وقال ما اكثر ما يؤتى به) تعجب من كثرة ما أتوا به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سكران (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفيه دليل على ان المسلم وان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه

وفيه ان محبة الله ورسوله من أعظم المنجيات وفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار (ومن علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره) صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم فضيلة الحديث وأهله لذكرهم له صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ومن أحب شيأ أكثر من ذكره) وهذا مثل مشهور وهو أمر طبيعي عادي (ومنها) أي علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (كثرة شوقه الى لقائه) اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق لقاءه في الآخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك (فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه فان فعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله قبله من أحب شيأ الى آخره وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والشيء بالشيء يذكر ما أحسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني * وعفراء يوم الحشر تلتقيان

ومنه أخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمي * فزد من الهجر في عذابي

عسى يطيل الوقوف بيني * وبينك الله في الحساب

وقلت أنا في رباعية

كم قال لحبه الكثير الآفات * واطول وقوفنا بيوم العرصات

هيهات لئن بدا محياه له * يغفر ويهب له جميع الزلات

(وفي حديث الاشعريين) يعني أبا موسى الاشعري وأصحابه المنسوبون الى أشعر أبو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم أرق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا (عند قدومهم المدينة) منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى بلد كذا (انهم كانوا يرتجزون) أي ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو (غدا نلقى الاحبه * محمدا وصحبه) لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا أنشد شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعل ست مرات ومجزوه وأربعا وهذا ليس منه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب أجزائه وقلة حروفه ولعل العرف كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله تعالى والذي يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون ويصوتون فانه أصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصنف يخفى عليه مثله سوء ظن به وفي نسخة وحزبه بدل صحبه كما تقدم (وتقدم قول بلال مثله) يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مراده فان مراد هذا القائل لقاء النبي وأصحابه في الحياة الدنيا وبلال رضي الله تعالى عنه أراد لقاءهم في الآخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم في هذا الكلام

انتهى وقال الواقدي بقي نعيمان حتى توفي أيام معاوية وكان كثير المزاح يضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل في المدينة طرفة او تحفة الا اشترى منها ثم جاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به الى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله اعط هذا ثمن متاعه فيقول النبي عليه الصلاة والسلام أولم تهده فيقول يا رسول الله لم يكن والله عندي ثمنه وأحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفي هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة أو هي مخرجة له من الايمان ولا تدخله في الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين ويقولون بتخليده في النار (ومن علامات محبة النبي) أي محبته للنبي (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) أي في الحالات والاوقات (فمن أحب شيأ أكثر من ذكره) أي وصرف اليه غالب فكره وقوله من أحب شيأ أكثر من ذكره حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله تعالى عنها (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) أي الى مشاهدة طلعة ذاته في دار بقائه

(فكل حبيب) أي محب (يحب لقاء حبيبه) أي محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفي حديث الاشعريين) أي أبي موسى وأصحابه (عند قدومهم المدينة) أي من اليمن أو الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) أي يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبة) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذي يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بفتحتين ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمي لتقارب أجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو انصاف أبيات واثلاث (وتقدم قول بلال) أي انشاده هذا الرجز عند موته شوقا الى لقائه

(ومثله قال عمار قبيل قتله) وفي نسخة وكما قال عمار أي ابن ياسر أبو اليقظان العبسي من السابقين المعذبين في الله البدريين وكان معذبا بالنار في أيدي المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يانار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم روى عنه علي وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع علي عن ثلاث وتسعين من عمره وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله أبو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشام ونزل واسط وعداده في الشاميين أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محبا لعثمان رضي الله تعالى عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب أخرج له أحمد في المسند (وماذكرناه) أي وتقدم أيضا ماذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفي نسخة في قصة خالد بن معدان (ومن علاماته) أي ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) أي لذاته أو لامره (وتوقيره) أي له كما في نسخة (عند ذكره) أي تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفي نسخة واظهاره الخضوع وفي نسخة الخشوع بدل الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) أي بوصف الافتقار وفي نسخة الانكماش أي الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) أي حين سماع اسمه أو وصفه الا

(قال اسحق) وفي نسخة أبو اسحق (التجيبي) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي قاتل عثمان رضي الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل علي كرم الله تعالى وجهه

وانه تمثل به (ومثله) أي المذكور وان لم يساوه (ماقاله عمار) بن ياسر الصحابي (حين قتل) أي قتله أهل الشام الذين كانوا مع معاوية أي لما قتل بصفين مع علي رضي الله تعالى عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كأني أنظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امرأة بشربة من لبن فشرب بها ثم قال اليوم ألقى الاحبة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الي ان آخر شربة أشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق (و) مثله أيضا (ماذكرناه من قصة خالد بن معدان) التي تقدمت من انه كان اذا أوى الى فراشه لا يزال يذكر شوقه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه فان من أحب الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال في الفتوحات ومن هذا ما تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خير بين البقاء في الدنيا والانتقال للآخرة قال اللهم الرفيق الاعلى * واعلم ان تحقيق هذا المقام ماقاله الحكيم الترمذي في فروقه ان تمني الموت على ثلاثة أقسام * الاول تمني عبد اقترب الى ربه في منازل القرب لما تطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمنى الموت * والثاني عبد رأى نعمة الله عليه في دينه شاملة لكل خير فخاف زوالها لما رأى من نفس خادعة وعدو لا يألو خبالا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه في لحده فهذان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان رضي الله تعالى عنه اذ قال أحب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أحب الموت لاني لا أدري ما نزل بي فاخاف على ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما * والثالث عبد تربى في رفاهية عيش ونقل نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جاء في الحديث لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله تعالى عنها الموت وقولها ياليتني مت قبل هذا الخ فلخير مضى ولذا لم تقل الآن فهو لامر ديني رجاء أن لا يزول لما رأت فتنا تموج وذلك لما أتهموا زكرياوهموا بقتله فجاءها النداء والبشرى فصدقت بكلمات ربها وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوي كغيره تمني الموت منهي عنه ولذا جاء في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كان الوفاة خيرا لي انتهى باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق ماعرفت (ومن علاماته) أي علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتأويلها بالحب وليس راجعا للقاء المحب حبيبه وان كان أقرب وغير محتاج للتأويل كما قيل (مع كثرة ذكره) له صلى الله تعالى عليه وسلم (تعظيمه له وتوقيره) حق توقيره (عند ذكره) له (واظهار الخشوع) أي الخضوع (والانكسار) أي التذلل والتواضع (مع سماع اسمه) أي اذا ذكر غيره لاسمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال اسحق التجيبي) هو امام المحدثين أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف في تائه هل هي أصلية أم زائدة وضمها المحدثون وكثير من الادباء وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير بن ملجم التجوبي قاتل علي رضي الله تعالى عنه وغلط الجوهري وحرف بيت الوليد بن عقبة

(كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لا يذكرونه) أى فى حال من الاحوال (الاخشعوا) أى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) أى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) أى لفراقه شوقا اليه (كذلك) أى ومثل أصحابه فى ذلك (كثير من التابعين) منهم وفى نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) أى يخشع ويقشعر ويبكى (محبة له وشوقا اليه ومنهم) أى من التابعين أو من الصحابة والاتباع أجمعين (من يفعله) أى ماذكر من الخشوع والاقشعرار والبكاء (تهيبا) أى مهابة (وتوقيرا) أى اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة أفضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطايرين والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى فى مدح المؤمنين الموقنين حيث قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان فى حصول كل واحد ووصوله (ومنها) أى ومن علامات محبة الانسان للنبى عليه الصلاة والسلام (محبته لمن أحب النبى) بالرفع أى أحبه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز ان ينصب كما فى نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى أعلم ولذا عطف عليه بقوله (ومن) أى ولمن (هو بنسبه) أى بسبب نسبه ونسبته وفى نسخة نسيبه أى منسوبه (من آل بيته) أهل بيته وفى أصل الحجازى بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم) أى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم من الكفار

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة ✽ قتيل التجيبى الذى جاء من مصر

انتهى يعنى انه أنشده التجيبى واغماه والتجوبى كما فى كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه أصلية لانه فى العين ذكره فى فصل التاء وتبعه صاحب القاموس وهى زائدة كما قاله ابن السيد وجوز فى تائه الوجهين أى الفتح والضم وقال النووى فى شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من حاب يجوب (كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده) أى بعد وفاته (لا يذكرونه الاخشعوا) أى أظهروا الخشوع والتذلل (واقشعرت جلودهم) أى عرض لها اقشعريرة (وبكوا) حزنا الفراقه وشوقا للقائه صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك) أى ومثل الصحابة فيما ذكر (كثير من التابعين) لهم باحسان يفعلون كفعلهم (منهم من يفعل ذلك) أى من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين أو من التابعين من يبكى ويخشع ويقشعر جلده (محبة له وشوقا اليه) تمييزا ومفعول له أى من محبته وشوقه أولاجلهما (ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا) أى لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم فى أنفسهم واجلاله وتكريمه (ومنها) أى من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (محبته) أى محبة الانسان (لمن أحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع والعائد محذوف أى أحبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (و) محبة (من هو بسببه) الباء للملابسة أى تلبس بسبب من أسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة أو صهارة وقال فى النهاية السبب الزواج وأصله الحبل الذى يتوصل به لسقى الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال الله تعالى وتقطعت بهم الاسباب أى الوصل والمودات ✽ (نكتة) ✽ انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص فى المستعار لانه يطلق على المنى كما فى الحديث انما الماء من الماء وفى قوله تقطعت فى الآية لطف خفى وقوله (من أهل بيته) الى آخره بيان لمن أحبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفى نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعى انهم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف لا بنى عبد شمس وبنى نوفل ابنى عبد مناف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرك الاولين فى خمس الخمس الذى هو سهم ذوى القربى دون هؤلاء وقال انهم والفونا فى الجاهلية والاسلام (وصحابته) بفتح الصاد جمع أو اسم جمع صحابى وهو فى الاصل مصدر وهو كل مسلم لقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم لم يضروهم لا يحصون كثرة وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قبض عن مائة وأربعة وعشرين ألفا والله تعالى أعلم (والمهاجرين) هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم أفضل (والانصار) جمع ناصر أو نصير غلب على الاوس والخزرج وكذا نسب اليه وقيل أنصارى وهو تخصيص بعد تعميم لانهم أفضل من غيرهم وفى نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضى الله تعالى عنها وقيل انهم فى حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتأمله (وعداوة من عاداهم) أى من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل

(وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) أي وبغض من شتمهم من كلاب أهل النار (فمن أحب شيئا) أي أحدا (أحب من يحب) وفي نسخة من يحبه أي ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما في البخاري وغيره (في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما) أي زدلهما الهدى والتوفيق في الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة في العقبى (وقال) أي في رواية (من أحبهما فقد أحبني) أي فكأنه أحبني (ومن أحبني) حقيقة (فقد أحب الله تعالى ومن أبغضهما فقد أبغضني) أي فكأنه أبغضني (ومن أبغضني) حقيقة (فقد أبغض الله تعالى) أي ومن أبغض الله فقد كفر بالله (وفي رواية) أي أخرى (الحسن) أي قال في حق

الحسن وحده (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) أي في رواية الترمذي (الله الله) بالنصب فيهما أي اتقوه واحذروه (في أصحابي) ولا تذكروهم بسوء فإنهم أحبابي (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين أي هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفي نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدي) أي في غيبتي أيام حياتي أو بعد مماتي (فمن أحبهم فبحبي) أي فبسبب حبه اياي أوحبي اياهم (أحبهم ومن بغضهم فببغضي) أي فبسبب بغضه اياي (أبغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) أي بما يسوءهم (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى) أي خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) أي يقرب ويسرع (ان يأخذه) أي الله تعالى كما في نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي كما رواه البخاري وغيره (في فاطمة) أي في شأنها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر أي جزء وقطعة (مني) أي من لحمي ودمي (يغضبني ما أغضبها) وفي نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب علي رضي الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله أبي جهل على فاطمة رضي الله تعالى عنها قال مسور وبن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني فمن أبغضها أبغضني فهذا من خصوصياتها

فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا (وبغض من أبغضهم) أي كرههم وقلاهم (وسبهم) وأظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من أحب شيئا أحب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين) أي في حقهما وشأنهما كما رواه البخاري (اللهم) أي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه (اني أحبهما فاحبهما) أي أعطهما كل خير دنيوي وأخروي كما سيأتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة وليس هذا محل تفصيلها واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وفي رواية في الحسن) وحده وليس المراد التخصيص (اللهم اني أحبه فاحب من يحبه وقال) صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى (من أحبهما) أي الحسن والحسين فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله لعلمه بالطريق الاولى (ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره (الله الله) بنصبهما بمقدر كاتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخفيف وتحذير على وجه المبالغة (في أصحابي) أي في شأنهم وحقهم فاحذروا انتقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله (لا تتخذوهم غرضا بعدي) بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة أو تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني أي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه (فمن أحبهم فبحبي أحبهم) أي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن آذاهم) بذكر ما يسوءهم (فقد آذاني) لانه يسوءه ذلك (ومن آذاني فقد آذى الله) أي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) أي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه أخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا أي يقرب ويسرع (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في فاطمة) رضي الله تعالى عنها أي في حقها وشأنها وفي حديث رواه البخاري وغيره (انها بضعة) بفتح الباء وكسرها أي قطعة وجزء (مني) لان الولد حاصل من أبيه وقطعة من كبده (يغضبني ما أغضبها) أي يسوءني ويؤذيني كل ما آذاها لان ألم الجزء يتألم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله تعالى عنها

فأتت

(وقال) أى فى رواية (لعائشة رضى الله تعالى عنها فى أسامة بن زيد) أى فى حقه (أحبيه فانى أحبه) وقد ورد انه أراد عليه الصلاة والسلام ان ينحى مخاط أسامة فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعنى حتى انا الذى أفعل قال يا عائشة أحبيه فانى أحبه (وقال) كما فى الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) أى علامة كمال ايمان من آمن أو علامة نفس ايمانه حبهم ويؤيده ظاهر الحديث وحديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخاصين أو للاشعار بان حكم المهاجرين أولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلاة والسلام نبى مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق كما رواه الحاكم فى مستدركه عن أنس رضى الله تعالى عنه (وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) أى كما تقدم (من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ظاهر مبناه أخبار ولا يبعد ان يكون معناه انشاء أى من أحبهم فينبغى ان يكون بسبب حبى لهم أحبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل ايمانه وفى رواية حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب أى جنسهم والمراد مؤمنوهم أو ومنهم فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى رواه الطبرانى فى الاوسط عن أنس رضى الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة فيجب على كل احد أن يحب أهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من الخوارج فى بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا يكون من جملة الجهلاء العوام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من احب شيأ أحب كل شئ يحبه) أى يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) أى الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) أى سمة الصحابة والتابعين فى حبهم ما احبه عليه الصلاة والسلام فى جميع الحالات

فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشهد وقال أما بعد فان فاطمة بضعة منى وانى أكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك على ذلك والحديث وتفسيره مفصل فى كتب الحديث (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن عائشة وحسنه (لعائشة فى أسامة بن زيد) فى حقه وشأنه (أحبيه فانى أحبه) وقد قال صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد أحب الناس الى فاستوصوا به خيرا ولذا أمر عائشة ان تستوصى به خيرا بعده وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان (آية الايمان) أى علامة تحققه وصدقه وكماله (حب الانصار) لمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم (وآية النفاق) المنافى لتحقق الايمان (بغضهم) وصحف بعضهم الحديث فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر (وفى حديث ابن عمر) كما أخرجه البيهقى فى دلائله (من أحب العرب) والمراد بهم هؤلاء الجيل المعروفون مطلقا (فبحبى) أى بسبب حبى (أحبهم ومن أبغضهم) من حيث ذواتهم لا لسبب آخر يكون لبغض منهم (فببغضى أبغضهم) وفى حديث رواه الترمذى عن سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال له لا تبغضنى فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضنى وفى شعب الايمان للحليمى (٢) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق واختار منهم بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم فانا خيار من خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقى فى تأليف له مستقل سماه أنفع القرب فى بيان فضل العرب (قال المؤلف رحمه الله تعالى فبالحقيقة) أى بسبب النظر للحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة (من احب شيأ) من الاشياء (أحب كل شئ يحبه) محبوبه (وهذه سيرة السلف) أى دأبهم وطريقتهم فى محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى

(٢) قوله للحليمى هكذا وقع فى أكثر النسخ والصواب للبيهقى اه مصححه

(حتى فى المباحات وشهوات النفس) أى فيحبون ما اشتهاه ويتكلمون بمقتضاه ويكلفون أنفسهم بموافقته مايهواه مبالغة فى طاعة مولاه (وقد قال أنس رضى الله تعالى عنه حين رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بالمد ويقصر أى يطلبه (من حوالى القصعة) بفتح اللام والقاف أى من اطرافها الكمال محبته له (فمازلت) أى مادمت وعشت (أحب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها أى من حين رأيته يتتبعه ويأكل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه ماصنع لى طعام ويوجد الدباء الاوقدجعل فيه وقدروى فى مجالس أبى يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل أناما أحب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والاقتلتك نظر الى ظاهر معارضته له عليه الصلاة والسلام (فهذا الحسن ابن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضى الله تعالى عنهم) أى ابن أبى طالب (أتوا سلمى) أى خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له أومولاة عمته صفية زوجة أبى رافع قابلة ابنه ابراهيم ودابة ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس، قال الحلبى فى الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما أخرجه الترمذى فى الشمائل بسنده عنها انهم اتوها (وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يشتهيه ويستحسن اكله فقالت يابنى لاتشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت وأخذت شيا من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه شيا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويستحسن أكله فى

الله تعالى عليه وسلم (حتى المباحات) أى كانوا يحبون ما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الامور المباحة (وشهوات النفس) أى فيتبعونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله (وقد قال أنس رضى الله تعالى عنه أنه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء) بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة فى آخره للالحاق والواحدة دباءة وهى نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه يأخذ قطع القرع من أى محل وجدت فيه فان قلت أكل انسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مما يليك لمن رآه يجيل يده فى الطعام الا فى الفواكه فانه لايكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لايكره فى حقه ذلك لاسيما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه مايريد لعلمه برضاء صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدباء بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وأنكره القرطبى فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووى وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره فى باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهرى فى ذكره فى المعتل فى مادة دب فقال هو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولاياء * أقول اخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشرى ذكره فى المعتل أيضا ووجهه الهمزة للالحاق كما ذكروه فهى فى حكم الاصلية كما حرروه فى باب الالحاق (من حوالى القصعة) بفتح القاف اناء معروف وحوالى مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنيته ساكنة وفيه لغات مذكورة فى كتب اللغة (فمازلت) هذا مقول أنس فتاؤه مضمومة (أحب الدباء) أى أحب اكلها تبركا بها (من يومئذ) أى من يوم اذ رآه يتتبعها ويحبها الحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له فى المباحات وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث أخرجه الشيخان وكان الذى دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدباء ودعاه له فذهب معه أنس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط (وهذا الحسن بن على) بن أبى طالب وكان الظاهر ان يقول وأتى الحسن وابن عباس الى آخره فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد (وابن عباس وابن جعفر أتوا سلمى) بفتح السين وهى زوجة أبى رافع ومولاة صفية عمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله تعالى عليه وسلم ودابة فاطمة الزهراء وهى التى غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صحابية مشهورة وفى الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امرأة (وسالوها ان تصنع لهم طعاما) أى تطبخه وتحضره لهم (مما كان يعجب صلى الله تعالى عليه وسلم) وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعرف ما كوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة مايحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذى

(وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) على ما في الصحيحين وأما ما وقع في أصل الدلجي من ابن عباس بدل ابن عمر فليس في محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتية) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها أي أزيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر (ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمها أشهر (بالصفرة) أي بالحناء (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) أي مثل ما ذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة في هيئة الموافقة من الكمية والكيفية

في الشمائل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن أكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم قال وابل اصنعيه لما فقامت وطبخت شيأ من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيأ من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم (وكان ابن عمر) عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما في حديث رواه الشيخان (يلبس النعل) جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مؤنثة (السبتية) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وتاء مثناة فوقية وياء نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وأزيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا أهل السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح أوله أيضا ويقال لها النعال السود (ويصبغ بالصفرة) وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحناء والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ أصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشئ أصفر كالزعفران ونقل عن مالك جوازه وما ورد من النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهى عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روى عن ابن جعفر انه قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا أحاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه أيضا وقوله (اذ رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك) تعليل لفعله ومحبته لما أحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ أوله ولبس النعال وهو أنسب باشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلفت في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدى به أم لا كذهابه في العيد من طريق وعوده من أخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم (بغض من أبغض الله ورسوله) بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل أبي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله أو بكفره أو بانكاره كالمعطلة والدهرية (ومعاداة من عاداه) أي من يتخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله تعالى انما هي بمعاداة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور (ومجانبة من خالف سنته) أي اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه (وابتدع في دينه) أي أظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله (واستثقال كل من يخالف شريعته) أي عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول وأصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل أمر ثم ذكر ما بينه من الكتاب العزيز فقال (قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان يكون وهو مبالغة في النهي (يوادون) أي يكون بينهم وبينهم مودة (من حاد الله ورسوله) أي

(ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من أبغض الله ورسوله) بالنصب في النسخ المصححة أي من أبغضهما ووقع في أصل الدلجي بالرفع فقال أي من أبغضاه والاول أيضا قد نص عليه الحلبي وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كأبي لهب وأبي جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من أبغض رسوله فقد أبغضه والافلا يوجد في العالم من أبغض الله تعالى فكل يدعي محبته الا ان أكثرهم أخطأوا طريق ما يقتضي مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام في قوله (ومعاداة من عاداه) أي من اتخذه عليه الصلاة والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) أي طريقته أي عمل بغيرها (وابتدع في دينه) أي أظهر البدع في سبيله (واستثقاله) أي عد المؤمن المحب ثقيلا (كل أمر) أي من قول أو فعل أو حال أو بروى واستثقال كل أمر (يخالف شريعته قال الله تعالى) أي اعلاما لما ذكر من كمال محبته (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) أي يكملون في الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) أي يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغي ان يكون هذا الامر بل حقه ان يمتنع مبالغة في النهي عنه بمجانبة أعدائهما (ولو كانوا آباءهم) أي أصولهم (وأبناءهم) أي فروعهم (أو اخوانهم) أي اقرانهم (أو عشيرتهم) أي أقاربهم وأهل محبتهم وهو تعميم بعد تخصيص

(وهؤلاء) أي المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (أصحابه) أي عدلا وصدقا (قد قتلوا أحباءهم) أي أحبابهم وأصحابهم (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته) أي في سبيل رضاء الله ورسوله روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد أبا عبيدة قتل أباه يوم أحد أو أبناءهم يريد أبا بكر رضي الله تعالى عنه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد أو اخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل أخاه يوم أحد او عشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا في مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطي وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجى (وقال له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن أبي) وكان أبوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من أكابر أهل الوفاق (لو شئت) لو أردت وأمرت بقتله (لاتيتك برأسه يعني) أي يريد بضميره (أباه) أي عبد الله والحديث رواه البخاري وقال ذلك لما هم وأبا بيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به وأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه سنة اثنتى عشرة روى عنه أبو هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) أي من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرآن الذي أتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) أي بسببه الانام (واهتدى) أي في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) أي اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرآن) أي كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بآدابه وما اشتمل عليه من مكارم أخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وأمثاله (وحبه للقرآن) أي علامة حبه له (تلاوته) أي دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تاخيره عن قوله (وتفهمه) أي طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان أحوال أنبيائه وأوليائه وعاقبة أعدائه

يخالفونه ويعارضونه (وهؤلاء أصحابه رضي الله تعالى عنهم) أي مما علم من حال أصحابه حتى كانهم يشاهدون متلبسين به (قد قتلوا أحباءهم) أي أصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا لكثير من الصحابة وروى قتلوا أي أبغضوهم وأبعدوهم قال الله تعالى ما ودعك ربك وما قلى (وقاتلوا آباءهم وأبناءهم) الذين بقوا على الكفر (في مرضاته) في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضاء كابي عبيدة بن الجراح قتل أباه ببدر وعمر رضي الله تعالى عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه قتل أخاه ونحوه مما هو مذكور في السير (وقال له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عبد الله) رضي الله تعالى عنه (ابن عبد الله بن أبي) ابن سلول رأس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين في محبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لو شئت) خطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاتيتك برأسه يعني أباه) عبد الله ابن سلول أي قتلته وأتيت برأسه لك وكان ابن سلول رئيس أهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين وأما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من أبيه ما ظهر قال يا رسول الله أسالك بالله الا ما أذنت لي في قتل أبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا ما رواه البخاري (ومنها) أي من علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يحب القرآن الذي أتى به) للناس من عند ربه (عز وجل وهدى به) الخلق كلهم لسعادة الدارين (واهتدى) هو أي وصل الى الله به (وتخلق به) أي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه (حتى قالت عائشة) رضي الله تعالى عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (خلقه القرآن) أي كان دأبه التمسك به والتادب بآدابه والعمل بما فيه من مكارم الاخلاق فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كأنه طبع عليها فتخلق بمعنى أظهر الخلق كتجمل بمعنى أظهر الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله تعالى وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا أيها المتحلي غير شيمته ❁ ان التخلق ياتي دونه الخلق

وليس بمراد هنا (وحبه للقرآن تلاوته) أي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند أهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة (والعمل به) أي بما فيه من الاحكام والمواعظ (وتفهمه) أي التقيد بفهم معانيه

معانيه و جعل هذا عين الحب المسبب عنه (و) من العلامات لمحبته صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا أن (يحب سنته) أى طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز أن يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما تطلق عليه (ويقف عند حدودها) أى لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فلوتوقف فيه ترشيح مليح (قال سهل بن عبد الله) التسترى وقد تقدم (علامة حب الله) أى امارته ودليله (حب القرآن) وقد تقدم بيانه (وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فان من أحب الله تعالى أحب حبيبه وكلامه (وعلامة حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة) فان من أحبه لا يخالفه ولا يعصيه (وعلامة حب السنة حب الآخرة) لان من احبه وأتبعه أحب لقائه ورغب فى الآخرة كما مر (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان فى قلب مؤمن وبغضها ما لا يقتضى التبذير والاسراف كما توهم وانما هو كما قيل اللهم اجعلها فى أيدينا لا تجعلها فى قلوبنا (وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر) ويقتنى (منها الا زادا) أى مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يحتبى منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت ❊ ما أكثر القوت لمن يموت

(وبلغة) بضم فسكون أى ما يبلغه به (الى الدار (الآخرة) كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفى الدنيا كركب سفينة ❊ نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

(وعن ابن مسعود) فى حديث رواه البيهقى فى الادب وابن الضريس فى فضائل القرآن وفى نسخة وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (لا يسأل احد) من غيره (عن نفسه) أى عن أحوال نفسه فى محبته الله ورسوله (الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله) فاذا أراد ان يعرف حاله ينظر فى ذلك فيستدل به حتى كانه سأله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهى غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبى ❊ فلم هجرت كتابى أما تأملت ما فيه ❊ من لذيذ خطابى

(ومن علامات محبته للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على أمته) بان يحبهم ويتلطف بهم ويرق قلبه عليهم (ونصحه لهم) ببيان ما يصلحهم من أمورهم (وسعيه فى مصالحهم) بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم (ورفع المضار عنهم) بدفع المظالم وازالة مضايقتهم (كما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين) منا ومن غيرنا الا بغيرهم (رؤفا) شفوقا (رحيما) منعما متفضلا عليهم كما وصفه الله تعالى به فى كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه (ومن تمام محبته) أى كمالها واقصى مراتبها التى لا تتم

(وبحب) أى وان يحب (سنته) أى احاديثه (ويقف عند حدودها) أى أوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التسترى (علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبى عليه الصلاة والسلام حب السنة) أى احاديثه واخباره وأحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) أى بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذ اقل العلم معرفة ان الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته أن يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من أحب آخرته أضر بدنياه ومن أحب ٣٦٩ دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها) أى لا يأخذ ولا يملك منها (الا زادا) أى قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون أى مقدار ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفى أصل الحجازى زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يسئل أحد عن نفسه) أى عن طيب حالها وخبث مالها (الا القرآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرآن) أى تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) أى ومن يحبهما فهما يحبانه أيضا والمعنى انه لا ينبغى لاحد أن يرضى بما فى نفسه من الدعوى فانه كما قيل ما أيسر الدعوة وما عسر المعنى (ومن علامات حبه) أى أصل حب المؤمن المحب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) أى خوفه ورحمته (على أمته ونصحه لهم) أى قيامه بنصيحتهم فى أمرهم ونهيهم ووعظهم (وسعيه فى مصالحهم) أى الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) أى بعد وقوعها ووصولها وفى نسخة ودفع المضار عنهم أى عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والمعنى أن التخلق يكون بقدر التعلق فى باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) أى وكمال متابعته

(زهد مدعيها) أى قلة رغبة مدعى محبته عليه الصلاة والسلام (فى الدنيا) أى التى هى دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) أى اختياره (الفقر) أى قلة المال على كثرته (واتصافه) أى بالفقر حال ضرورته ويكون غنى القلب فى صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبنى منكم) أى حبا بالغا (أسرع من السيل) أى الواقع عند نزوله (من أعلى الوادى أو الجبل) شك من الراوى (الى أسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى أكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدى الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدى الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه ملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا أبى وفى حديث آخر ان ربه عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكنى أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار أن يكون تربيته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال أرباب الكمال (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزنى من أصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصرى وغيره وتوفى بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله تعالى ما نزل البصرة أشرف منه (قال رجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انى أحبك فقال انظر ما تقوله) أى تأمل فى قولك وتفكر فى أمرك فانك ادعيت دعوى فلابد من تحقيق ما لها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال انى والله) وفى نسخة والله انى (لاحبك ثلاث مرات) أى ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال ان كنت تحبنى) أى حبا كاملا أو ان كنت صادقا فى دعوى محبتى اللازم منها كمال متابعتى (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها أى فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم أى اتخذ له عدة ووقاية تقتضى رعاية وتستوجب عناية وتستجلب هداية وأصل التجفاف لبسه للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان ويروى جلبابا وهو الازار قال القتيبى معناه أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف أو الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابى أى لفقر الآخرة يعنى يعمل عملا لا يكون فى الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن على كرم الله تعالى وجهه من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلبابا أو قال تجفافا

الابها (زهد مدعيها) أى المحبة (فى الدنيا) وامورها وزخرفها (وايثاره الفقر) أى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا (واتصافه به) أى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) تقدمت ترجمته (ان الفقر الى من يحبنى منكم) معاشر المسلمين أو الصحابة (أسرع) أى يصل اليكم بسرعة أقوى (من) سرعة (السيل) اذا انحدر ونزل (من أعلى الوادى) وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال الله تعالى ألم تر انهم فى كل واد يهيمون (أو من الجبل الى اسفله) والماء النازل من علو لاسفل فى غاية السرعة فضرب به مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى او الجبل وأفرد لانه بعد شيئين عطف باو هذا بعض من الحديث الذى بعده وقد رواه الترمذى وحسنه (وفى حديث عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من أصحاب الشجرة أخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين (قال رجل) من الصحابة ولم يسموه (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انى أحبك فقال انظر ما تقول) أى تفكر فيه وتامل فان محبتى أمر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لا يحب أمرا من أمور الدنيا وهو أمر صعب (قال والله انى أحبك) اكده بالقسم لما رأى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاد ان كرره (ثلاث مرات) ليزيل الشبهة (قال) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ان كنت تحبنى) حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيأ (فاعد) أى احضر وهيئ (للفقر تجفافا) بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفائين بينهما ألف وتاؤه مزيدة من جف اذا يبس وهى شئ يوضع على الخيل ليقيها فى الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف أى أعد له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعنى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله فشبه الفقر بجواد محسن بما يقيه لايصاله الى السعادة أو شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايماء الى ان من أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختيارى بزهده فى الدنيا وقد اختلف فى الفقر والغنى وفى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما أفضل بظاهر هذا الحديث والكلام عليه مفصل فى كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه

ما

(ثم ذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام قاله الدلجى والصواب أى ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث أبى سعيد بمعناه) الذى تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبنى الى آخره غير ان فى حديث عبد الله بن مغفل للفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه

مافيه الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا (ثم ذكر) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذا الكلام الذى قاله للرجل المذكور (نحو حديث أبى سعيد) الخدرى أى مايشبهه (بمعناه) يعنى قوله فى الحديث الذى سبق للفقر أسرع الى من يحبنى من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيه له بالسيل واشارة الى تلاحق النوائب به سريعا حتى لايخلص منها فليستعد لها

* (فصل فى معنى المحبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها) * أى المعنى الذى وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه (اختلف الناس) المراد بهم علماء السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التى تعارفها الناس كما سنذكره بحسب الظاهر لاتليق بالله ورسوله (فى تفسير محبة الله ومحبة النبى) أى فى بيان المراد بهما (وكثرت عباراتهم فى ذلك) التفسير (وليست ترجع بالحقيقة) أى ليس مالها ان نظر الى نفس الامر المحقق فى الواقع (الى اختلاف مقال) أى اختلافا لفظيا والمعنى واحد (ولكنها اختلاف أحوال) أى سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من أحوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما حتى أنكر بعضهم امكان محبة الله تعالى حقيقة كما فى الاحياء وقال لامعنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيرى هى حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وبياضها الصفاء ورده وقيل من الحباب الذى يعلو الماء اذا انصب وتحرك لفورانها فى القلب وقيل من أحب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رائق جمال أو فائق كمال أو فائض احسان وافضال (فقال سفيان) يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثورى قيل والظاهر انه الثورى لطول باعه فى علوم القوم وعلو رتبته فى العلم الظاهر أيضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل فى غيره (المحبة) يعنى محبة الله تعالى بدليل الآية استدل بها (اتباع الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وكل ماجاء به عن الله لان من أحب الله لايعصيه فيما أمره به وانما يعلم أوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان فى هذا خفاء قال (كأنه) أى سفيان (التفت) أى نظر فى تفسيره هذا (الى قوله تعالى) واستنبط منه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فانه أقام اتباعه مقام محبته اذا لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهى لاتكون الا لمن أحبه والآية نزلت فى اليهود لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شىء أدرك منه كمالا يحمله على مايقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا الله وكل كمال فى غيره فهو منه فحبه يقتضى طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لاتقبل الا باتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) فى معنى (محبة الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم انها (اعتقاد) لزوم (نصرته) بالمجاهدة لينصره ويعلى كلمته (والذب) بالمعجمة أى المنع والطرد (عن سنته) أى طريقته وشريعته برد مايخالفها ودفع الشبه الواردة عليها وتصحيح أحاديثه وتفسيرها وبيانها (والانقياد لها) بان لايخالفها ويعمل بها (وهيبة مخالفته) أى الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفى نسخة مخالفتها أى السنة

* اختلاف الناس فى تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم فى ذلك) أى وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) أى مقالاتهم (بالحقيقة) أى فى الحقيقة كما فى نسخة (الى اختلاف مقال) أى لاتفاق مافيها فى مآل (ولكنها اختلاف أحوال) كما قال قائل شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) أى علامة محبة العبد لله تعالى أو نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كأنه) أى الشأن أو سفيان (التفت) أى فى كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية) أى يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) أى اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) أى ودفعه عن اماتة سيرته (والانقياد لها) أى لشريعته وفى نسخة له أى لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) أى خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام أيضا ايماء الى علامة المحبة أو نتيجة المودة

(وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب أى لما ورد من ان من أحب شيأ أكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره فى تمام أمره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا أقرب فى بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب) أى موافقته (لمراد الرب يحب ما يحب) أى يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفى نسخة صحيحة ما أحب وفى أخرى بحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطاة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفى نسخة ما كره بصيغة الماضى وفى الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنية أو الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (وأكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) أى نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) أى من حيث هى (هو الميل) أى ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) أى بموجب الطبع أو بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) أى ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) أى لتلذذ الانسان (بادراكه) أى بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية أو على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) ويروى الصورة (الجميلة) أى من (بادراكه) المبصرات أعم من ان تكون من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) أى من المسموعات الواردة على لسان الانسان أو الطير أو سائر الحيوانات (والاطعمة) أى من الماكولات (والاشربة) أى من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) أى كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) أى لا قلب سقيم (مائل اليها) أى ومقبل عليها (لموافقتها له) أى بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (أو لاستلذاذه

وفى النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال بعضهم) فى تفسير مطلق (المحبة) ويحتمل انه بيان لمحبة الله تعالى (دوام الذكر للمحبوب) لان من أحب شيأ أكثر من ذكره كما مر (وقال آخر ايثار المحبوب) أى اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما تقدم (وقال بعضهم المحبة) معناها (الشوق الى المحبوب) بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية لا من المعانى اللغوية (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) بضم الميم وطاء مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة وأصله ان يطأ الرجل برجله موطأ صاحبه قال الله تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله أى موافقة القلب (لمراد الرب) بان لا يريد الا ما أراده فيترك ما يريد الله ثم بينه بقوله (فيحب) مضارع أحب (ما أحب ويكره ما كره) وفى نسخة ما يكره والاولى أولى (وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله) أى المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام أهل الطريقة وله أمثال كثيرة كقول ذى النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله بمقت (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) أى موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهى أقوال متقاربة (وأكثر العبارات المتقدمة) من أول الفصل الى هنا (اشارة الى ثمرات المحبة) انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها وأصل الثمرة نتاج الشجرة ثم قيل لكل نفع يصدر عن شئ ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية أو تخييلية ومكنية أو مجاز مرسل (دون حقيقتها) أى لا حقيقتها او دون تردد لما ان هذا منها وانما قال أكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه أو لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقية لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله (وحقيقة المحبة) الموضوعة لها مطلقا (الميل) معناه حقيقة العدول عن الوسط الى أحد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه (الى ما يوافق الانسان) أى طبيعته قيل هذا بعينه والمعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه وبين الموافقة بقوله (وتكون موافقته له) أى لنفس المحب (اما لاستلذاذه) أى عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه (بادراكه) منه أمرا محققا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب (كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة وأشباهها) كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة (مما كل طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا لا يرد نقضا (مائل اليه لموافقته له) طبعا وفى نسخة لموافقتها أى المذكورات (أو لاستلذاذه) أى وجود لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهى لانه من الوجدانيات وهى ادراك الملائم من حيث هو ملائم والالم ضده والمراد بالملائم للشئ اللائق به كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هى عليه بالقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشئ قد يكون ملائما من وجه دون آخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا بمجرد تخيله كما تقرر فى كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه أشار بقوله أولا بادراكه الى آخره وهو القسم الاول والثانى بينه بقوله

(بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة) أى مبنية على مبانى لطيفة (كحب الصالحين) أى من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (وأهل المعروف) أى من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) أى الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) أى والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) أى الكامل فى هذا الشان (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يحرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب ومحل المراد (بامثال هؤلاء) أى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) أى الشغف (بقوم) أى من اتباع عالم أو شيخ أو كريم (التعصب لقوم) أى كانوا على ضدهم وبالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) أى كمال التتبع ومنه حديث القدرية شيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من أمة) أى طائفة (فى أخرى) أى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (ما يؤدى) أى ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد أى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح أى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس) بالخاء المعجمة أى استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (أو يكون حبه اياه) أى ميل الانسان الى من وافقه هواه (لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (انعامه عليه فقد جبلت النفوس) أى خلقت مجبولة ومطبوعة (على حب من أحسن اليها) وفى نسخة من أحسن اليه وفى أخرى له فقد وردجبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد فى الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى

(بادراكه) بعد الوصول اليه لا قبله (بحاسة عقله وقلبه) فيه تسمح على رأى الحكماء لان المدرك عندهم القوى الناطقة فى الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان أهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها (معانى باطنة) غير مدركة بالحواس الظاهرة (شريفة) أى نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كأنها فى شرف أى مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة لامية أو المراد حاسية هى العقل فالاضافة بيانية (كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف) المراد بالمعروف كما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب والصغانى (و) حب (المأثور) أى المنقول (عنهم السير) المراد بها الاحوال والصفات (الجميلة) الحسنة المحمودة شرعا وعقلا (والافعال الحسنة) كالكرم والحلم والزهد كالحسن البصرى (فان طبع الانسان مائل الى الشغف) أى المحبة الزائدة وهو بشين وغين معجمتين وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه أى غلافه أو نياطه أو داخله وحبته وهذا أنسب بالمراد وروى بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل الثانى بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا أحرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتى بهذا مزيد بيان وقوله (بامثال هؤلاء) أى بهؤلاء وأمثالهم أنفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر فى كتب المعانى والاشارة للصالحين ومن بعدهم (حتى يبلغ) الشغف بهؤلاء وفرط حبهم (التعصب) تفعل من العصبة وهى الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة فى الصيانة حتى تفارقوا من خالفهم فى محبتهم للحمية والغضب لمن أحبه (والتشيع) تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب أيضا وضمنه معنى الانفصال لقوله (من أمة) أى فارقوا أمة خالفوهم وصاروا (فى آخرين) أى فى قوم آخرين وفى نسخة أخرى أى أمة أخرى والشيعة من المشايعة وهى المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضى الله تعالى عنه كما مر ويأتى (ما يؤدى) أى يوصل يقال اداه الى كذا أى أوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ أى يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعوله وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثانى أقرب (الى الجلاء) بفتح الجيم واللام والمد الخروج (عن الاوطان) أى المساكن والبلاد والاهل (وهتك الحرم) بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان ويمنع ولذا قيل للنساء حرم أى افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته (واخترام) بخاء معجمة ومثناة وراء مهملة (النفوس) أى الذوات أو الارواح أى اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كأنها اقتطعت عمره وكل ما استأصل شيأ اخترمه وفى نسخة القلوب والاول أحسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثانيا للمحبة فقال (أو يكون حبه اياه) وميل نفسه وطبعه اليه (لموافقته له) أى لملاءمته وموافقة طبعه (من جهة احسانه اليه) أى انعامه وبذله وجوده وفى نسخة له أى لاجل ذلك فقوله (وانعامه عليه) عطف تفسير (فقد جبلت النفوس) بالبناء للمفعول أى جعلت مطبوعة ومخلوقة (على حب من أحسن اليها) كما جبلت على بغض من أساء اليها وقيل ان هذا من ألفاظ النبوة

(فاذا تقرر لك هذا) أى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) أى رأيت (هذه الاسباب) أى أسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) أى جميعها موجودة ثابتة (فى حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) أى ٣٧٤ على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) أى من الشمائل الدالة عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) أى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (مالا يحتاج الى زيادة) أى وكثرة اطناب (واما احسانه) أى الدنيوى الصورى (وانعامه) أى الدينى والاخروى (على أمته) أى اتباع ملته (فكذلك قدم) ويروى مضى (منه) أى بعضه (فى أوصاف الله تعالى) أى فيما أعطاه الله تعالى (له) وأثنى عليه من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) أى وخوفه (عليهم واستنقاذهم) أى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) أى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب اذعانهم (ورحمة للعالمين) أى بجميع أعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية أو التقدير كان مبشر المؤمنين المطيعين بالجنة (ونذيرا) أى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) أى الى محل قربه (باذنه) أى بتيسيره وتوفيقه (ويتلو عليهم آياته) أى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) أى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب) أى أحكامه الخفية (والحكمة) أى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) أى طريق قويم ودين قديم (فاى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا) أى أمرا

ولم أره بعينه حديثا الا انه ورد بمعناه فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى فاشار الى ان حب المحسن اضطرارى وفى الاحياء ان المحبة قد تكون لغيره ذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه أيضا فى ائتلاف القلوب أمر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشئ منجذب اليه وفى الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر على الطالع ومقابله لا أصل له وورد فى حديث رواه فى الفردوس لو ان مؤمنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف (فاذا تقرر) أى ثبت وتحقق (لك هذا) المذكور من أسباب المحبة (نظرت لهذه الاسباب كلها) أى عرفتها بنظر سديد وكلها تأكيد للاسباب أو مبتدأ خبره (فى حقه) أى موجودة فى حقه وشانه مقررة محققة (فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة) بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله (اما جمال الصورة) وهو السبب الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه (والظاهر) عطف تفسير للصورة (وكمال الاخلاق) أى كونها فى غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن الظاهرى بل حسن باطنى كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله (والباطن) عطف تفسير له (فقد قررنا) أى بينا فى هذا الكتاب سابقا (منها قبل) مبنى على الضم (فيما مر أول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة) فيه هنا (واما احسانه) صلى الله عليه وسلم وهذا هو السبب الثانى (وانعامه على أمته) يعنى أمة الاجابة (فكذلك) أى مثل ما قبله فى عدم احتياجه للبيان هنا لانه (قدم منه) اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه وعلى تفنن مادحيه ووصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف (فى أوصاف الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة أو توصيف ثم بينه بقوله (من رأفته بهم) أى شفقته ولطفه بهم كما مر (ورحمته لهم) أى انعامه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته (اياهم) أى من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين وأى احسان أعظم من هذا (وشفقته) أى حنوه (عليهم) ومرحمته لهم (واستنقاذهم) أى تخليص الله هذه الامة (به) أى بسببه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ بعثه اليهم (من النار) وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها (وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) كما فى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم كما مر مع تفسيره (و) انه (رحمة للعالمين) فهو مرفوع وضبط فى بعض النسخ منصوبا أى كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله (ومبشرا) بكل خير (ونذيرا) مخوفا لهم ليرتدعوا عما يضرهم (وداعيا الى الله) ودينه الحق (باذنه) فى الدعوة أو بارادته كما مر (وسراجا منيرا) منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال (ويتلو عليهم آياته) المرشدة لهم فيقرأ عليهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن العظيم (والحكمة) وما يكملهم من المعارف والاحكام (ويهديهم الى صراط مستقيم) يدلهم على الطريق الموصل الى الله تعالى بلطفه وهذا مما وصفه الله به فى كتابه العزيز (فاى احسان) أى للتعظيم والتفخيم كما يقال عندى رجل أى رجل أى كامل الرجولية (أجل قدرا) وارفع رتبة (وأعظم خطرا) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة أى قدرا أو شرفا

فغاير

(من احسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) أى خصوصا (وأى افضال) أى اكرام واقبال (أعم منفعة وأكثر فائدة) أى أتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين) أى جميع المنقادين ولو من أهل الذمة والمنافقين (اذ كان) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) أى وسيلة أهل الاسلام (الى الهداية) أى هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح العين أى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والنجاح (والكرامة) أى بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) أى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) أى لديه (والمتكلم عنهم) أى فى الزام الحجة بما يلق عليه (والشاهد لهم) أى مزكيهم بالخير (الموجب) أى الطالب وفى نسخة المحب (لهم البقاء الدائم) أى الى الابد (والنعيم السرمد) أى المستمر الذى لا نهاية له ولا غاية (فقد استبان) أى ظهر (لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقة) أى والمودة العرفية (شرعا وطبعا بما قدمناه) ويروى لما مر (من صحيح الآثار) أى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار (وعادة) أى رسوما عادية (وجبلة) أى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) أى من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من فيض انعامه به علينا (آنفا) أى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) أى على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) أى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان) أى بطبعه (يحب من منحه) أى أعطاه عطية من ابن أو غيره من هدية

فغاير بينهما تفننا (من احسانه) أى احسان هذا النبى الكريم على أمته فكيف لا يحسن (الى جميع المؤمنين) خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام (وأى افضال) بمعنى احسان وتفضل (أعم منفعة وأكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين) أى جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطأ وان وقع فى عباراتهم كما فى درة الغواص وقد أجبنا عنه فى شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه (اذ) تعليلية أى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان ذريعتهم) أى وسيلتهم وسبب موصل لهم (الى الهداية) أى ما يخلصهم وينجيهم وأصل الذريعة سترة يتخذها الصائد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان (ومنقذهم) مخلصهم (من العماية) بفتح العين وهى الغواية والجهالة [2] (وداعيهم الى الفلاح) أى الفوز والظفر بسعادة الدارين (و) الى (الكرامة) أى الاكرام بنيل الخير (ووسيلتهم الى ربهم) أى موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده (وشفيعهم) فى الدنيا والآخرة (والمتكلم عنهم) عند الله ببيان اعذارهم وهم أحوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتكلم (والشاهد لهم) بانهم آمنوا وصدقوا يوم القيامة حين يشهدون للانبياء عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا وهو مزكيهم كما تقدم (والموجب لهم) أى الذى يحقق لهم (البقاء الدائم) بالخلود فى الجنة وليس المراد الوجوب الشرعى لانه لا يجب على الله شئ (والنعيم) فى الجنة (السرمد) أى الدائم الذى لا ينقطع ولولاه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن شئ من ذلك (فقد استبان لك) بما ذكر أى ظهر واتضح (انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) أى مستحق (للمحبة الحقيقة) لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم على أكمل وجه لا يتيسر لغيره (شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار) الموجبة له مزيد شرف وحسن ترف وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مأمورون بمحبته واتباعه بامر من الله له (وعادة) معطوف على قوله شرعا أى ما اعتاده الناس فى كل عصر من محبة من حاز الكمال كله (وجبلة) لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله تعالى عليه وسلم والنفوس مجبولة على حب من أحسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين المجبولين الاولين (بما ذكرناه) متعلق باستبان (آنفا) بالمد أى قريبا وهو منصوب على الظرفية من أنف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة (لافاضته) أى اعطائه من بحر كرمه (الاحسان) بكل خير دنيوى وأخروى (وعموم الاجمال) أى تعميم الجميل منه لكل أحد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله (فاذا كان لانسان يحب من منحه) أى أعطاه والمنحة العطية

(٢) قوله لانها تطلق فى مقابلتها كما قال تعالى وأما ثمود فهديناهم وسئل بعض الفضلاء عن وجه تخصيص ثمود بالهداية دون غيرهم فاجيب بانهم خصوا بذلك لانهم طلبوا آية يكون بها اهتداؤهم فهدوا بها فتعرضوا اليها بالاتلاف فاستحبوا بذلك العمى على الهدى المطلوب لهم واستحباب العمى لهم بالتقدير الالهى من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا نسخه

(فى دنياه مرة أومرتين) أى ولوعلى وصف القلة (معروفا) أى ماعرف حسنه شرعا وطبعا فى الحديث أهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف فى العقبى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى أصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيآته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (أواستنقذه) أى استخلصه وفى نسخة أنقذه أى أنجاه وأخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (أومضرة) أى مما فيه هلاك نفس أوضرر مال أوتلف حال أونقصان جاه (مدة) أى من الزمان قليلة أو كثيرة (التاذى بها) أى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) أى أيامه (منقطع) أى زائل دوامه (فمن منحه) أى أعطى الانسان (مالا يبيد) أى مالا ينفد ولا ينقص (من النعيم) أى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) أى حفظه وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (أولى بالحب) أى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى أصل الدلجى فهو أى فهذا المانح الكامل والباعث الكافل أولى مايحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب) بصيغة المجهول (بالطبع) أى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم أصل الجبلة (ملك) أى من الملوك ولولم يره ولم يحصل له بره وهو نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) أى معاملته فى رعيته (أو حاكم) أى أمير أووزير يحب (لمايؤثر) أى يروى ويخبر (عنه من قوام طريقته) بكسر القاف أى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (أوقاض) بمعجمة قال الدلجى أومهملة أى مشددة أى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) أى عن من يحبه بالطبع (لمايشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه أى يشاع ويذاع ويروى لمافشا أى ظهر وانتشر (من علمه) أى المقرون بعمله (أوكرم شيمته) أى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) أى وبل زاد من هذه الاحوال (على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال أى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم (أحق بالحب وأولى بالميل) أى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة) أى فى أول وهلة (هابه) أى توقيرا وتعظيما

(فى دنياه) أى فى حياته فى الدنيا (مرة أومرتين معروفا) أى شيأ حسنا كمامر تفسيره (أواستنقذه) ونجاه (من هلكة) بفتح الهاء واللام أمر مهلك (أومضرة) أمر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد (مدة التأذى بها) أى بالمضرة (قليل منقطع) أى زائل فى زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان أولانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتأذى أومنون منصوب والتاذى مبتدأ خبره قليل وعلى الاول المبتدأ مدة (فمن منحه مالا يبيد) بمثناة تحتية مفتوحة وبموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة أى يذهب وينفد (من النعيم) المخلد فى الجنة وهذه النسخة أولى مما وقع فى بعض النسخ من النعم جمع نعمة للسجع فى الاولى (ووقاه) بالتشديد والتخفيف أى صانه وحماه (مالا يفنى من عذاب الجحيم) أى النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله (أولى مايحب) بالبناء للمفعول وفى نسخة أولى بالحب وأولى أفعل تفضيل بمعنى أحق وهو خبر من أى أحق من كل شئ يحب من نفسه وماله وأهله (واذا كان يحب) مبنى للمجهول أيضا (بالطبع) متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لاتخالفا (ملك) بكسر اللام نائب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفى نسخة نصب الجميع ويحب مبنى للفاعل (لحسن سيرته) بعدله فى رعيته (أوحاكم) غير ملك كامير (لمايؤثر) أى ينقل عنه وهو مجهول أيضا (من قوام طريقته) أى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما أى معتدلا (أوقاض) بضاد معجمة أى حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو (بعيد الدار) عنه ويروى بصاد مهملة فبعيد تفسيره له (لمايشاد) مبنى للمجهول أى لاجل مايشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستعار من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذت علت وفى نسخة لمافشا بالفاء والشين المعجمة أى ظهر وانتشر (من علمه أوكرم شيمته) اى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاض واذا كان يحب من فيه بعض هذه الخصال (فمن جمع هذه الخصال) كلها وحواها وكل منها فيه مستمر (على غاية مراتب الكمال) بحيث لايشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(أحق بالحب) مما عداه (وأولى بالميل) اليه واعلم انه انما ذكر من قوله فقد استبان لك الى آخره لدفع شبهة لمن لابصيرة له وهى ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله تعالى عليه وسلم عند من رآه وشاهده منه لانها المؤثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كمحسوس المشاهد (وقد قال على رضى الله عنه) فى حديث الحلية السابق ذكره (من رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (بديهة) أى أبصره فى أول رؤيته (هابه) توقيرا واجلالا

واجلالا لما يرى من نور نبوته (ومن خالطه) أى صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وعاشره (معرفة أحبه) أى بعد ما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه (وذكرناه) فى فضل ثواب محبته (عن بعض الصحابة) وهو ثوبان كما تقدم (انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم)

(فصل فى وجوب مناصحته) *النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر مقرر لكل احد فاذا نصحه أحد من أمته تحققت المناصحة من الجانبين وأخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان أصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص أى التوبة النصوح (قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى اثم يضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقرهم المانع لهم (اذا نصحوا لله ورسوله) الى آخره أى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا او باطنا ما استطاعوا واخلصوا والهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فقال ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الآية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين فى ذلك (والله غفور رحيم) لهم أو لمسيء فكيف المحسن (قال أهل التفسير) فى بيان معنى الآية اجمالا (اذا نصحوا لله ورسوله) معناه (اذا كانوا مخلصين) فى أقوالهم وافعالهم (مسلمين) منقادين مطيعين حال لازمة (فى السر) أى فيما فى باطنهم مما اسروه (والعلانية) ظاهر حالهم المطابق لما فى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه أبو داود كما رواه مسلم فقال (حدثنا أبو الوليد) شيخ المصنف رحمه الله تعالى (بقراءتى عليه) قال (حدثنا حسين بن محمد) هو أبو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا يوسف بن عبد الله) وحافظ الاسلام بن عبد البر وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو بكر بن التمار) قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن قال (حدثنا أحمد بن يونس) أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن المتقن روى عنه الستة توفى سنة سبع وعشرين ومائتين قال (حدثنا زهير) بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة توفى سنة اثنين وستين ومائة أخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا سهيل ابن أبى صالح) تقدمت ترجمته (عن عطاء بن يزيد) الليثى الثقة التابعى توفى سنة سبع أو خمس ومائة وأخرج له الستة

(ومن خالطه معرفة) تمييز أى علما بكريم خصاله وعميم فعاله (أحبه) أى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

(فصل) (فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) أى ليس على الفقراء اثم فى ترك الغزاكمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله) أى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) أى طريق معاقبة ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افاد المعنى الاعم والايماء الى ان هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم (رحيم) بهم وبامثالهم (قال أهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) أى معناه (اذا كانوا مخلصين) أى فى أفعالهم وأقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) أى منقادين فى جميع أحوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه (أبو الوليد بقراءتى عليه ثنا) أى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه أبو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) أى حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا أبو بكر التمارى) بتشديد الميم (ثنا أبو داود) أى صاحب السنن (ثنا أحمد بن يونس) وهو أبو عبد الله اليربوعى الحافظ الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال أحمد بن حنبل لرجل أخرج الى أحمد بن يونس فانه شيخ الاسلام أخرج له أصحاب الكتب الستة قال أبو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة أحمد بن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التميمى المروزى أخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل ابن أبى صالح عن عطاء بن يزيد) أى الليثى أخرج له أصحاب الكتب الستة

(عن تميم الداري) نسبة الى جده الدار ويقال له الديري أيضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام أسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك وتوفى سنة أربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما فى آخر صحيح مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطنى انه روى عن الشيخين وروى أيضا عن محرز كما فى الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما فى المسند (قال) أى الدارى (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) أى ثلاث مرات للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند أبى داود وقد أخرجه أبو داود فى الادب ولفظه الدين النصيحة من غير تكرار وأخرجه مسلم فى الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة ٣٧٨ واحدة ولفظه الدين النصيحة بغير ان وأخرجه النسائى فى البيعة ولفظه فى الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفى نسخة انما الدين النصيحة مرة (قالوا) أى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (لمن) أى النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما فى الاصول (ولرسوله وأئمة المسلمين) ويروى ولأئمة المسلمين (وعامتهم) أى جميع افراد جماعتهم (قال أئمتنا) أى من المالكية ذكره الدلجى والظاهر أى علماؤنا ومشايخنا اذ لا خلاف فى هذه المسئلة وهى قوله (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أى فرض عين على كل احد وفى شرح مسلم للنووى عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيله وهذا لا ينافى قول الجمهور حيث أرادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام أبو سليمان البستى) بضم موحدة وسكون سين ففوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابى (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجى ويجوز الاضافة كما فى كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هى (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أى عن تلك الجملة بكلمة (واحدة) أى غيرها بصيغة (تحصرها) أى تجمع معناها وتحصرها

سا

(عن تميم الدارى) وهو تميم بن أوس بن خارجة اللخمى المكنى بابى رقية وهى ابنة له لم يولد له غيرها والدارى نسبة لجده الدار بن هانئ أو لدارين اسم مكان ويقال الديرى لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما فى المطالع وكان نصرانيا أسلم سنة تسع من الهجرة وتوفى سنة أربعين وروى عنه فى السنن ومسند أحمد وقصته فى الجساسة مشهورة (قال) تميم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف رحمه الله تعالى عن رواية مسلم مع ان كتابه أصح الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة فى هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه أمر سهل وسؤال ساقط والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفى رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر (قالوا) أى الصحابة الحاضرون عنده (لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه) بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه (ولرسوله) بالايمان به واتباعه وطاعته (ولائمة المسلمين) الخلفاء والسلاطين والحكام (وعامتهم) ان أريد العوام فظاهر وان أريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتى بيانه (قال أئمتنا) المراد بهم علماء الاسلام أو أئمة مذهبه (النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة) أى فرض عين على كل مكلف ونقل النووى انها فرض كفاية فان خشى اذى فهو فى سعة من الترك (قال الامام أبو سليمان البستى) بضم الموحدة وسين مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو أبو سليمان بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابى الامام المشهور واختلف فى اسمه فقيل أحمد وقيل حمد توفى ببست فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين فقوله (ارادة الخير) بدل منه أو مرفوع أو منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة (للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) أى عن جملة (بكلمة واحدة تحصرها) أى تجمع جميع معانيها قيل تقديره غيرها أى غير هذه الكلمة وهى النصيحة ومادتها كالنصح والنصاحة وفى كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وأيضا فى تركيبه شئ لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبره فيتعين تأخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من أوجز الاسماء وأخصرها لدلالتها على معان بمفردها ولذا قيل فى كلمة لفظ الفلاح انه ليس فى كلام العرب كله اجمع لخيرى الدنيا والآخرة منها ثم اشار الى أصل معناها لغة بعد

ما بين حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله (ومعناها في اللغة) أي في عرف أهل اللغة (الاخلاص) أي لنفسه وغيره (من قولهم نصحت العسل اذا خلصته) وصفيته (من شمعه) بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة أو مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه (وقال أبو بكر ابن أبي اسحق الخفاف) وهو امام من أئمة اللغة ترجمته مذكورة في التاريخ وفي نسخة ابن اسحق وهو أبو بكر أحمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعية كما قاله الرافعي (النصح فعل الشئ الذي به الصلاح) لنفسه وغيره وأراد بالفعل ما يشمل القول (والملاءمة) بضم الميم ومد الهمزة من لاءمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء (ماخوذة) أي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق (من النصاح) بكسر النون وتخفيف الصاد (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) فالتئم اجزاؤه فالنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله من الخفاف فانه في أكثر كتب اللغة (وقال أبو اسحق الزجاج) امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ أبو علي الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الآخرة من سنة احدى عشرة وثلثمائة وقد ناف على الثمانين (نحوه) أي قريبا مما قاله الخطابي معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال (فنصيحة الله) معناها والمراد بها (صحة الاعتقاد) أي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام في قوله (له) وذلك بتخصيصه (بالوحدانية) أي بانه واحد أحد لا شريك له في الالوهية ولا يشاركه أحد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون على خلاف القياس قال الكرماني (ووصفه بما هو أهله) أي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو أهل للحمد وهو أهله ومحله وهو مجاز مأثور مشهور (وتنزيهه عما لا يجوز عليه) في كل ما يوهم نقصا (والرغبة في محابه) بفتح الميم جمع محب اسم مفعول أحب بمعنى محبوب أي يرغب في كل ما يحبه ويرضاه (والبعد عن مساخطه) بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول أي كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع محبوب ومسخوط والاصل محابيب ومساخيط (والاخلاص في عبادته) فيعبده امتثالا لامره من غير رياء ولا ارادة أمر آخر ولا تضره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال الرازي انه الاخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل آخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فاذا علمت على هذا (والنصيحة لكتابه) معناها (الايمان به) أي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه (والعمل بما فيه) باتباع أوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به (وتحسين تلاوته) بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من حاق مخرجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا أو صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم (والتخشع عنده) أي عند تلاوته وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا

(ومعناها) أي النصيحة (في اللغة) أي لسان العرب (الاخلاص) فمعنى النصيحة الحالة الخالصة ماخوذة (من قولهم) أي استعمال العرب في محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام أي ميزته بمارالطيفة (من شمعه) بفتح الميم وبسكن أي مومه ففي القاموس الشمع محركة وتسكين الميم مولد وهو الذي يستصبح به أو موم العسل الواحدة بهاء (وقال أبو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذي به الصلاح والملاءمة) أي المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمز ياء فيقال الملايمة وهي الموافقة بين الاشياء (ماخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذي يخاط به الثوب) أي يلائم بين اجزائه ويصلح للمرء ان يلبسه على أعضائه (وقال أبو اسحق الزجاج نحوه) أي قريبا من معناه وفي الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا أي خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) أي نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالوحدانية) أي في الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو أهله) أي من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) أي تبعيده (عما لا يجوز) أي اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا في مكان وغيرها (والرغبة في محابه) بتشديد الموحدة أي الميل في كل ما يحبه لتصوير رضاه (والبعد من) وفي نسخة عن (مساخطه) أي والتبعد عن جميع ما يكرهه وينهاه (والاخلاص في عبادته) أي فيما يأمره الله من أمور دنياه وعقباه وما ذكر فهو في الحقيقة راجع الى العبد في نفعه لنفسه لانه تعالى غني عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) أي أولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به أو جاهلا (وتحسين تلاوته) أي وتزيين قراءته (والتخشع عنده) أي اظهار الخشوع واكثار الخضوع في حضرته

(والتعظيم له) أي لكتابه بادب يقتضي اجلاله (وبوصف يوجب اكماله والتفقه فيه) أي طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) أي الدفع عما لا يليق به وينافيه (من تاويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو أي المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) أي من الزنادقة وأصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) أي أولا (وبذل الطاعة له) أي الانقياد لحكمه (فيما أمره ونهى عنه قاله) أي جميع ما يتعلق بالنصيحة أو ماخص به الرسوله وهو أقرب والى مابعده أنسب (أبو سليمان) وهو الخطابي (وقال أبو بكر) أي الخفاف وقيل المراد به أبو بكر الآجري (موازرته) أي النصيحة لرسوله هي معاونته ومعاضدته في دينه وملته (ونصرته) أي اعانته على أعدائه وأهل محاربته (وحمايته) أي المدافعة عنه وممانعة من أرادنوعا من اساءته (حيا وميتا) أي في حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) أي بالعمل بها (والذب عنها) أي وبالدفع لمن يلحد أو يزيغ عنها (ونشرها) أي اظهارها التمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) أي الاتصاف بمحاسن شمائله وميامن فضائله الجزيلة (وآدابه الجميلة وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) أي مجملا أو مفصلا (والاعتصام بسنته) أي باحاديثه علما وعملا (وبشرها) أي للخلق كملا (والحض) أي الحث والتحريض (عليها) أي لمن يعمل بها جلا (والدعوة) أي دعوة الخلق (الى الله) أي دينه مجملا (والى كتابه) أولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) أي والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب) أي من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهي ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لطريقته وأهل ملته (وقال أبو بكر الآجري) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة

وقد

كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكي بضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول أولى وأفيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد مالم يكن عن حال سلب اختيار (والتعظيم له) بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق (وتفهمه) أي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر (والتفقه فيه) أي فهم معانيه أو النظر في أحكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وأمثاله (والذب عنه) بمعجمة وموحدة أي زجر من طعن فيه من الملحدين (من تاويل الغالين وطعن الملحدين) في تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد واتاليه ومستمعه آداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن فعليك به (والنصيحة لرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (التصديق بنبوته) ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن (وبذل الطاعة له فيما أمره ونهى عنه) لان طاعته واجبة وهي طاعة الله كما مر (كما قاله أبو سليمان) هو الخطابي الذي تقدم بيانه (وقال أبو بكر) هو ابن أبي اسحق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الآجري الآتي قريبا (وموازرته) بواو مفتوحة أو همزة من الازر وهو القوة أو من الوزر وهو الملجأ أي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر أو على ما قبله عطف تلقين (ونصرته) أي اعانته على أعدائه أو نصرة دينه واعلاء كلمته (وحمايته) أي دفع السوء عنه (حيا) بالمجاهدة معه وخدمته (وميتا) بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله (واحياء سنته) أي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية (بالطلب) لها بان يسئل عنها ويجتهد في معرفتها (والذب عنها) أي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة (ونشرها) أي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع (والتخلق باخلاقه) أي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح (الكريمة) أي المكرمة الممجدة (وآدابه الجميلة) التي فيها اجمال ومدح لمن اتصف بها (وقال أبو ابراهيم اسحق التجيبي) تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها وانه المعروف باوراق (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) معناها (التصديق بما جاء به) أي الايمان بكل ما جاء به عن الله (والاعتصام بسنته) أي التمسك بها (ونشرها والحض عليها) أي حث الناس وتحريضهم على اتباعها (والدعوة الى الله) أي الى الايمان به وتوحيده (والى كتابه) القرآن بالايمان به والعمل بما فيه (والى رسوله) بالايمان به واتباعه (واليها) أي الدعوة الى سنته (والى العمل بها) كما مر (وقال أحمد بن محمد) هو الامام المشهور أحمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما وعدناك به من نسبته الى أبيه محمد (من مفروضات القلوب) أي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم القلوب به (اعتقاد) وجوب (النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بالمعنى المتقدم (وقال أبو بكر الآجري) الحافظ

وقد تقدم بيانه (وغيره) من الائمة (النصح له) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقتضى نصحين) أى ينقسم الى قسمين (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته) أى النصح له وهو حى (نصح أصحابه) أى هو نصح أصحابه أو كنصح أصحابه (له بالنصر) له على أعدائه (والمحاماة عنه) بدفع السوء عنه ومن يريده (ومعاداة من عاداه) ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته (والسمع) أى امتثال ما يقوله وقبوله كما فى قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله (والطاعة له) أى الانقياد التام (وبذل النفوس) أى الذوات والارواح (والاموال دونه) أى صرفها والجود بها فى حمايته صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديمها دون ما يضره (كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) أى عاهدوا الله على بذل أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الآية كما فى الصحيحين نزلت فى أنس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال أول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غبت عنه لئن أرانى الله تعالى مشهدا بعده ليرى الله ما أصنع فلما كان من العام المقبل وقعة أحد استقبله سعد بن مالك فقال له يا أبا محمد الى أين قال واها لريح الجنة أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة (وقال الله تعالى وينصرون الله ورسوله الآية أولئك هم الصادقون وهذه الآية نزلت فى المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله (واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير) أى الادب والتعظيم (والاجلال) لقدره برفع ذكره وتعظيمه (وشدة المحبة له) بكونه أحب عنده من نفسه وأهله وماله (والمثابرة) بمثلثة وموحدة وراء مهملة أى المداومة والمحافظة (على تعلم سنته) وفى نسخة تعليم سنته طريقته وهديه أو حديثه (والتفقه فى شريعته) بفهم معانيها والعلم باحكامها (ومحبة آل بيته) وهم أقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم (وأصحابه) وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك (ومجانبة من رغب عن سنته) أى البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه (وانحرف عنها) أى مال عنها ورغب فى غيرها (وبغضه) أى اظهار عداوته (والتحذير منه) من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه (والشفقة على أمته) أى اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم لالامر آخر (والبحث) أى التفتيش (عن تعرف أحواله) صلى الله تعالى عليه وسلم أى أحواله المعروفة وفى نسخة أخلاقه (وسيرته) قال المرزوقى معناها حالته من أحوال السير ثم أجرى مجرى الشيم والعادات انتهى (وآدابه) ليقتدى بها (والصبر على ذلك) أى حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له (فعلى ما ذكره) أى الخفاف أو الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة) لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل (وعلامة من علاماتها كما قدمناه) فى فصل العلامات ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى أمر المحبة على النصيحة كما مر (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابورى صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعمدة أهل السنة وفقهاء الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة

(وغيره) أى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) أى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح أصحابه له بالنصر) أى بالمعاونة (والمحاماة) أى المدافعة (عنه) أى عن ذاته (ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) أى بالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) أى عند احماء حمايته ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره وعهده ومنهم من ينتظر أى وعده وما بدلوا تبديلا أى غيروا تحويلا وهم الانصار (وقال) أى فى حقهم أيضا (وينصرون الله) أى دينه (ورسوله الآية) أى أولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) أى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) أى بكثرة الرغبة اليه وانقياد الطاعة لديه (والمثابرة) أى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع أو الجر أى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) أى أقاربه وعترته (وأصحابه) أى وجميع صحابته وأهل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) أى مباعدة من مال عن طريقته وأعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (وانحرف عنها) أى انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع أى عداوته (والتحذير منه) أى من صحبته والشفقة أى المرحمة (على امته والبحث عن تعرف اخلاقه) أى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وآدابه والصبر على ذلك) أى ما ذكر من أقواله وأفعاله وأحواله (فعلى ما ذكره) أى الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) أى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام أبو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية

(ابن عمرو) بفتح أوله (بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو وفي آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤي) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة في رأى على ما في القاموس (في النوم) أي بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) أي ذنوبي (فقيل له بماذا) أي باي سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه أي طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها أي اعلاه (يوما) أي من الايام (فاشرفت على جنودي) أي اطلعت عليهم (فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في بعض غزواته أو سراياه (فاعنته ونصرته) أي على أعداه (فشكر الله لي ذلك) أي جازاني بثوابه وأثنى علي وذكرني عند ملائكته (وغفر لي) أي وسامحني فيما وقع مني وصدر عني لخلوص نيتي وصدق طويتي انتهى كلام القشيري (واما النصح لائمة المسلمين) أي من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم في الحق) أي ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق رواه أحمد والحاكم عن عمران رضي الله تعالى عنه وروى الشيخان وغيرهما عن علي كرم الله وجهه ولفظه لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذ ولي الخلافة فقال أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم)

أي ومعاونتهم قولا وفعلا في مؤنتهم (فيه) أي في أمر الحق وفعل العدل (وأمرهم) أي اياهم (به) أي بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن أهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) أي اذا نسوه (على أحسن وجه) أي ألطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفي عليهم شيء من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول أي ستر عنهم أمر (من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم) أي بالبغي ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة أي وترك اغراء العامة وتحريشهم

وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين وأربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة (ان عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان) أقاليم معروف وعمرو هذا أخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودي في خلافة المعتضد بالله أحد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي في سنة خمس وستين ومائتين وخلف أموالا كثيرة خلفه عليها أخوه عمرو المذكور (ومشاهير) جمع مشهور (الثوار) بضم المثلثة وتشديد الواو وألف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده (المعروف بالصفار) منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني وقدم وجه التسمية به (رئي) مبني للمجهول من الرؤيا وهو مهموز أي رآه بعضهم (في المنام) وفي نسخة في النوم (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي) ذنوبي ومحى سيئاتي (فقيل بماذا) أي باي سبب هذا الذي نلته (فقال صعدت) بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل أي ارتقيت وعلوت (ذروة) بكسر الذال المعجمة وضمها وهي أعلى كل مرتفع من (جبل) ونحوه (يوما فاشرفت على جنودي) أي رأيتهم في مكان عال وأطلعت عليهم (فاعجبتني كثرتهم) أي حسنت عندي فسرتني (فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي (فاعنته ونصرته) على أعدائه بقتالي أنا وجندي معه (فشكر الله لي ذلك) القول والتمني كما قال ورقة

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها واضع

ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه (وغفر لي) بسبب قولي هذا وقال ابن قرقول شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه (واما النصح لائمة المسلمين) جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا (ف) معناه (طاعتهم في الحق) الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (ومعونتهم فيه) أي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى (وأمرهم به) أي باتباعه (وتذكيرهم اياه) بان يذكره لهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه (على أحسن وجه) برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) لعدم العلم به لخفائه أو لعدم الوقوف عليه (وكتم عنهم) بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره (من أمور المسلمين) فيضموه عليهم (وترك الخروج عليهم) بمخالفتهم وعصيان أمرائهم وهو معطوف على طاعتهم (وتضريب الناس) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر

الراء

(وافساد قلوبهم عليهم) أى على الائمة (والنصح) كان الاولى أن يقال وأما النصح (لعامة المسلمين) أى لعوامهم فهو (ارشادهم) أى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) أى الاخروية (ومعونتهم) أى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل) أى بما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) أى بتذكيره ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) أى بتعريف ما جهله (ورفد محتاجهم) أى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) أى باللباس أو ستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) أى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر وان الجلب محركة فما جلب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم لعياله

(الباب الثالث)

(فى تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره) أى فى تعظيم أمره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه وجميع أحواله والبر هو الاحسان أى ووجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من أهل بيته وعلماء أمته (قال الله تعالى) أى نعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) أحوال مقدرة وأوصاف مقررة أى شاهدا على من أرسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم بالجنة والقرب ومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) أى بكمالها بالخطاب على الالتفات وفى قراءة بالغيبة أى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا أمره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد أبعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الى قوله تعالى وتوقروه هكذا وقع فى أكثر الاصول وهذه الآية فى سورة الفتح وليس فيها يا أيها النبى وانما هو انا أرسلناك كما هو فى بعض النسخ نعم فى سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا أيها النبى انا أرسلناك الا انه ليس فيها لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال فى تصورهما (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) أى أمرا ومعناه لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدى الله ورسوله) أى قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم

الراء المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور وأى ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا أغراه (وافساد قلوبهم) أى ترك فساد قلوب الناس (عليهم) بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتؤدى الى التجرى عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة (و) أما (النصح لعامة المسلمين) المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفى فمعناه (ارشادهم الى مصالحهم) أى دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح أمورهم (ومعونتهم) أى اعانتهم (فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم) لما غفل عنه من مصالحه (وتبصير جاهلهم) أى تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة فى أموره (ورفد محتاجهم) بفتح الراء المهملة أى اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطاء والصلة وكل شئ عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التى كانت لقريش فى الجاهلية (وستر عوراتهم) أى بستر عليهم بعض معاصيهم اذا رآه فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا أرشده اتركه ذكره خفية فان النصيحة بين الملا تقريع (ودفع المضار عنهم) أى ما يضرهم فى دينهم ودنياهم (وجلب المنافع لهم) أى كل ما ينفعهم دينا ودنيا

(الباب الثالث فى تعظيم أمره)

أى شأنه وقدره والامور المتعلقة به (ووجوب توقيره) أى تبجيله وترجيح ما يتعلق به (وبره) وصلته بالدعاء له والصلاة عليه وزيارة مقامه وبر أهل بيته (قال الله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) هكذا فى أكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان آية الاحزاب المصدرة بيا أيها النبى ليس فيها لتؤمنوا الى آخره والتى فى الفتح انا أرسلناك دون يا أيها النبى فقيل كأنه بدأ بآية الاحزاب وثنى بآية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا أو بيض له فوصله الناسخ وفى بعض النسخ انا أرسلناك فقط وشاهدا وما بعده أحوال مقدرة كجاء معه صقر صائدا به غدا والاستشهاد بالآية بناء على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له صلى الله تعالى عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها وعلى هذا لو وقف على قوله وتوقروه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو وقف كاف وقال القرطبى انه تام وفيه نظر فقوله تعالى (وتسبحوه) ابتداء كلام فان ضميره لله (وقال) عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) تقدموا بضم أوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراءة الاخرى بفتحها أو هو مضارع قدمه المتعدى حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب أو لتنزيله منزلة اللازم والمراد نفى التقديم رأسا وعلى كل حال فالشاهد فيها

(ويا أيها) أي وبعدها يا أيها (الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجاوزوا بأصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى يكون صوته فوق أصواتكم لتكون مزيته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الآيات الثلاث) أي اقرأ الآيات الثلاث وأكملها لان البقية لها مدخل في تحقيق القضية وهي قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول أي اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم أي مخافة حبوطها وأنتم لا تشعرون أي بحبوطها او بطلانها ان الذين يغضون أصواتهم أي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال أو مخافة مخالفة النهي في الاقوال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي جربها للتقوى ودربها المشقتها وقرنها الكلفتها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة أي كثيرة لسيآتهم وأجر عظيم على طاعاتهم واعلم انه تنبغي هذه المراعاة أيضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام في مسجده لاسيما عند مشهده وكذا عند قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي برفع الصوت فوق صوته أو بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا أحمد بل قولوا يا نبي الله ويا رسول الله كما خاطبه به سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين في الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة المذكورة في كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) أي تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) أي تكريمه وتبجيله (وألزم) أي اتباعه و(اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال (وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر تنصروه أي دينه أو رسوله وهذه المباني متقاربة المعاني واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة أصغر وهو أبو الحسن علي ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوي كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريري وغيره وهو ثقة توفي في شعبان سنة خمس عشرة وثلثمائة فجأة ببغداد وأما الاوسط فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالاخفش النحوي أحد نحاة البصرة من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه في كتابه شيئا الا وعرضه علي رحمه الله تعالى وكان يرى انه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه وهذا هو الذي زاد في العروض بحر المجتث وله تصانيف كثيرة منها الاوسط في النحو وتفسير معاني القرآن وغير ذلك توفي سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا اوسطا وأما الاكبر فهو أبو

ظاهر فلا يتوهم انه لا شاهد فيها على القراءة المشهورة (و) قال (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا أصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له فانه اعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والعياط على عادة جفاة الاعراب في ترك الادب (الآيات الثلاث) وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه أمرهم اذا خاطبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يجهروا ويخفضوا أصواتهم تادبا معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتناء بمقام النبوة ثم أثنى على من غض صوته عنده بان الله تعالى بعد امتحانه وعده بان له مغفرة وأجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في حجراته مع أزواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وأرشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء له فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل في كتب التفاسير (وقال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سيأتي فلا تقيسوه بغيره (فأوجب الله تعالى) على المؤمنين (تعزيره) بزاي معجمة وراء مهملة أي اجلاله (وتوقيره) أي التأدب معه (وألزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس) معنى (تعزروه وتجلوه) الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا خص بالله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب (وقال المبرد) شيخ التفسير والعربية (تعزروه وتبالغوا في تعظيمه) وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وليس أخص منه كما توهم (وقال الاخفش) الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا (تنصرونه) وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم

الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد من أهل هجر من مواليهم وكان نحويا لغويا وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها وأخذ عن سيبويه وأبي عبيدة ومن في طبقتهما وهذا ملخص كلام ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ويبصر في الشيء في يوم غيم ولا يبصر في يوم صاح قاله الجوهري قال الحلبي والظاهر ان مراد القاضي هو الاوسط والله أعلم (وقال الطبري) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) أو شاذا (تعززوه بزائين) بيائين لا بهمز وياء كما يتوهم (من العز) أي مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب) أي بالفعل (بسبقه بالكلام) ويروى في الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضي الله تعالى عنهم وهو واختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) أي التستري (لا تقولوا قبل أن يقول) أي لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) اسكتوا قال الحجازي يروى بعكسه قلت فيصير عكس الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذي هو الوحي الخفي كما يجب سماع القرآن الذي هو الوحي الجلي وفيه ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف

(وقال الطبري) وهو محمد بن جرير كما تقدم (تعينونه) الاعانة أعم من النصرة والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى آخر وهو لوقوف على الاحكام (وقرئ) في الشواذ (تعززوه بزائين) معجمتين تفعيل (من العز) وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى (فعززنا بثالث) والعزيز رفيعة القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة (ونهوا) أي نهاهم الله في الآية الثانية (عن التقدم بين يديه) أي بحضرته وعنده (بالقول) بان يسبقه بالكلام (وسوء الادب بسبقه بالكلام) في أمر ما (وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب) في تفسير الآية وثعلب لقب امام العربية واللغة وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومائتين (وقال سهل بن عبد الله) التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله (لا تقولوا قبل أن يقول) فتستفتحون الكلام عنده وهو ترك أدب (واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا) أي اسكتوا ثم عطف عليه عطف تفسير قوله (ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه) أي في الامر (وان يفتاتوا) أي يستبدوا ويستقلوا (بشئ في ذلك) أي في قضاء أمر من الامور عنده يقال افتات بفاء وهمزة أصلية عند أبي عمرو وغيره من أهل اللغة أو هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثأته فهو من الفوت عند بعضهم ويقال افتات بالغ ويقال افتات الباطل اذا اختلقه (من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بأمره ولا يسبقوه به والى هذا) المذكور في تفسير الآية (يرجع قول الحسن) البصري (ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان) (الثوري) يعني انهم فسروا الآية بما هذا حاصله وما له اشارة الى ان أكثر المفسرين ارتضوه (ثم وعظهم الله) في الآية بعد ما ذكر (وحذرهم مخالفة ذلك) أي أمره في قضائه بعدما نهاهم عن سبقه بالقول (فقال واتقوا الله) فدل على ان مخالفه غير متق (ان الله سميع) لاقوالهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عليم) بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة والتحذير ما لا يخفى (قال الماوردي) أبو الحسن وقد تقدم ذكره (اتقوه يعني) أي يريد الله به هنا (في التقدم) بقرينة أول الآية وان كان مطلقا (وقال السلمي) أبو عبد الرحمن كما تقدم (اتقوا الله في اهمال) أي (ترك حقه وتضييع حرمته) أي احترامه وتوقيره (انه سميع لقولكم

(ونهوا) أي أصحابه وأحزابه (عن التقدم) أي المبادرة (والتعجل) وفي نسخة والتعجيل (بقضاء أمر) أي بحكم شئ (قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا) افتعال من الفوت أي يسبقوه (بشئ) أي منفردين برأيهم دونه في تصرفهم (في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم الا بأمره ولا يسبقوه به) أي ولو في أمر دنياهم والمعنى أن يكونوا تابعين له في جميع قضاياهم من أمور دنياهم وأخراهم (والى هذا) أي المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) أي البصري (ومجاهد والضحاك والسدي والثوري) أي يوافق قول هؤلاء ذلك المقال في المآل (ثم وعظهم) أي نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد أي وخوفهم (مخالفة ذلك) المنهي هنالك (فقال واتقوا الله) أي احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم (عليم) باحوالكم (قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم) أي بشئ من القول والفعل بين يديه قبل أن يعرف منه ميل اليه (وقال السلمي) وهو أبو عبد الرحمن (اتقوا الله في اهمال حقه) أي في الاوامر (وتضييع حرمته) أي في الزواجر (انه) وفي نسخة صحيحة (ان الله سميع لقولكم

عليم بفعالكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه وتكريما لمرامه (والجهر) أي ونهاهم عن الجهر (له بالقول) أي في محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) في مخاطباتهم (ويرفع) أي بعضهم (صوته) أي لبعض في مجلسه (وقيل) أي روي (كما ينادي بعضا بعضهم باسمه) كما هو أحد القولين في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله أعلم (وقال أبو محمد مكي أي لا تسابقوا بالكلام وتغالظوا) بضم التاء وكسر اللام أي ولا تغلظوا (له بالخطاب) أي بالقول (ولا تنادوه باسمه) أي العلم (نداء) كمناداة (بعضكم بعضا) أي باسمه الذي سماه به أبواه (ولكن عظموه) أي باطنا (ووقروه) أي ظاهرا (ونادوه باشرف ما يحب) أي ما يعجبه (أن ينادى به) أي من وصف رسالة أو نعت نبوة بان تقولوا (يا رسول الله يا نبي الله) أي وأمثالهما من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا في حياته وكذا بعد وفاته في جميع مخاطباته (وهذا) أي مقول مكي (كقوله) أي كقول الله سبحانه وتعالى (في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التاويلين) أي التفسيرين المشهورين في الآية وقد قدمنا هذا التاويل عن مجاهد وقتادة في أول الباب والتاويل الآخر هو ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره (وقال غيره) أي غير مكي (لا تخاطبوه الا مستفهمين) أي عن قول أو فعل تريدون صدوره منكم أيجوز هذا أم لا وفي رواية الا مشفقين أي وجلين خائفين (ثم خوفهم الله بحبط أعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء أي بحبوطها وابطالها (ان هم فعلوا ذلك) أي المنهي هناك (وحذرهم منه) أي مما يتعلق به من المهالك

عليم بفعالكم) فسبقه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقول ترك أدب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله (ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) في الآيات الاخيرة وأعاد النداء اهتماما به وتنبيها على انه أمر آخر مستقل بالنهي ورفع الصوت بشدة الجهر سوء الادب وغلاظة يعتادها العوام (والجهر له) صلى الله تعالى عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت (بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته) المراد النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له في النداء (وقيل كما ينادي بعضهم بعضا) فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا (باسمه) فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا فهو كقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وبيانه ما (قال أبو محمد مكي) وهو مكي ابن أبي طالب القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم لا سيما علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره المسمى بالهداية وكتب أحكام القرآن توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (أي لا تسابقوه بالكلام) هو معنى قوله لا تقدموا الى آخره (وتغالظوا له بالخطاب) أي تخاطبوه بغلاظة وأصل الغلاظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به (ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا) أي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدر به وهو عطف تفسير (ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ينادى به يا نبي الله يا رسول الله) بدل من أشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب دأبهم فيما بينهم هذا (وهذا) أي ما قاله مكي (كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) ووجهه ان النهي عن الشيء أمر بضده أو يتضمنه وقد نهى الله تعالى عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكأنه أمر بتعظيمه وتوقيره (على أحد التاويلين) أي التفسيرين اللذين ذكرا في التفاسير وهو أن يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية أي لا تنادوه باسمه رافعين أصواتكم بان تقولوا يا محمد يا أبا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني أن يكون المراد بالدعاء الدعاء على أحد أي لا تظنوا ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير أو شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا غير مراد هنا كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى وهو الذي قاله مكي (قال غيره) أي غير مكي معنى الآية أي لا تجهروا له بالقول الى آخره (لا تخاطبوه الا مستفهمين) وفي نسخة الا مشفقين من الاشفاق وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب (ثم خوفهم الله عز وجل) من (ان تحبط أعمالهم ان هم فعلوا ذلك) أي جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده (وحذرهم منه) أي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون فان تحبط في محل نصب بنزع الخافض أو بحذف المضاف أي لان لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط أعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يجوز لاحد

(قيل نزلت الآية) أي الآية التي بعد هذه الآيات وهي قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه) أي على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) أي الغالب عليهم (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) أي آداب أولى الالباب وابعد المحلي حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يأبى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) أي ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (في محاورة) بحاء مهملة أي مكالمة ومجاوبة (كانت) أي وقعت (بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قدامه (واختلاف) ويروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) أي امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أمر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضي الله تعالى عنه أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (في ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفف (خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب أخرج الينا يا محمد نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان أحسن قولا

ان يناديه باسمه ولما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يا محمد أنا رسول لك الى آخره صدر منه قبل اسلامه أو قبل النهي أو قبل علمه به ثم انه لو ناداه أحد بكنيته فقال يا أبا القاسم هل يحرم أم لا انتهى ويأتي ما فيه وان هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة (قيل نزلت الآية في وفد بني تميم) قبيلة مشهورة سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظماء لامر ما وكان ذلك في سنة تسع وهو سنة الوفود وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا عليهم واخذوا مواشيهم واسارى قدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فارسلوا عدة من رؤسائهم فجاؤا بابه صلى الله تعالى عليه وسلم ونادوا يا محمد أخرج الينا كما فصل في السير (وقيل) نزلت الآية (في غيرهم) أي غير بني تميم من العرب (أتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه) من خلف داره (يا محمد أخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل) بمقام النبوة وترك الادب (ووصفهم بان أكثرهم لا يعقلون) بقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (وقيل نزلت الآية الاولى) أي قوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (في محاورة) بميم مضمومة وحاء وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول (بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مجلسه وحضوره (واختلاف جرى) أي وقع (بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) وهما كما في البخاري عن الزبير رضي الله عنه وهو ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال في أمر بني تميم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله تعالى عنه بل الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي فقال عمر ما أردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت الآية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم عام وسببه خاص وقيل انه في أمر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول (وقيل نزلت الآية) كما روي عن ابن عباس (في ثابت) بن قيس (بن شماس) ابن مالك بن امرء القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان أيضا (خطيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا المهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذي اجتمعوا له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعدما يذكره فكان له صلى الله تعالى عليه وسلم خطباء عند الوفود وشعراء كحسان رضي الله عنه (في مفاخرة بني تميم) السابق وفدهم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخرج الينا يا محمد ورفعوا أصواتهم فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس ألسنا برؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا وانا نعرف بذلك أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس فقال النبي

(وكان في اذنيه صمم) أي ثقل (فكان يرفع صوته) أي عند تكلمه وربما تأذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (فلما انزلت هذه
الآية) أي آية لا ترفعوا (أقام في منزله) أي بيت نفسه وحرم من مجالس أنسه عليه الصلاة والسلام (وخشي

صلى الله تعالى عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي
السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان
من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه حديثا وأفضله حسبا
فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين دعا الناس الى الايمان به فآمن
برسوله المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا وأحسنهم وجوها وخيرهم فعالا ثم كنا
أول الخلق اجابة لله تعالى حين دعانا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فنحن أنصار الله ووزراء رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه
وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم
الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسان فاجابه كما هو
مبسوط في السير فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سبيهم ومالهم وروى انه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم (وكان في اذنيه) أي في
اذني ثابت رضي الله تعالى عنه (صمم فكان يرفع صوته) أي كان هذا دأبه كما تراه فيمن به صمم
وانما المحتاج لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه أو نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح به
(فلما انزلت هذه الآية) التي نهت عن رفع الاصوات عنده (أقام في منزله) يعني لم يات مجالس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم (وخشي ان يحبط عمله) برفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم
أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعدما سأل عنه (فقال يا نبي الله
لقد خشيت ان أكون هلكت) أي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك بطل عملي وان تخلفت فاتني
كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل
اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله (نهانا الله تعالى
ان نجهر بالقول) عندك (وأنا امرؤ جهير الصوت فقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ثابت أما
ترضى ان تعيش حميدا) أي محمودا عند الله تعالى والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط فهو
الجواب حقيقة (وتقتل شهيدا) فيكون لك خير الدنيا والآخرة (وتدخل الجنة) وفيه معجزة له صلى
الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما أشار اليه بقوله (فقتل يوم اليمامة) أي في وقعة اليمامة في خلافة أبي
بكر الصديق سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من
جانب اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما
التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا (وروى) رواه طارق بن شهاب (ان أبا بكر)
الصديق رضي الله تعالى عنه (لما انزلت هذه الآية) لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم (قال) أبو بكر رضي الله عنه امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا أكده بالقسم
فقال (والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها) أي بعد نزول هذه الآية (الا كأخي السرار) أي الا كلاما خفيا
كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرارا
وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه كقولهم كان واخواتها
ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا روي عن ابن عباس وعمر رضي الله تعالى
عنهما أيضا كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وان عمر كان اذا حدثه) صلى الله تعالى عليه وسلم

ان يكون حبط عمله ثم) أي بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي معتذرا (فقال يا نبي الله لقد خشيت) أي بعد نزول هذه الآية (ان أكون هلكت) أي محبوط عملي وقنوط أملي (نهانا الله ان نجهر بالقول) أي مطلقا في الشرع (وأنا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تسلية له عما تقدم (يا ثابت ما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) أي سعيدا (فقتل يوم اليمامة) في خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما أخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما انزلت هذه الآية) أي لا ترفعوا أصواتكم (قال والله لا أكلمك بعدها) وفي نسخة صحيحة بعد هذا (الا كأخي السرار) بكسر السين المهملة أي الامشابه الصاحب النجوى والمسارة والمعنى لا اكلمك
الا سرا (وان عمر رضي الله تعالى عنه) كما في البخاري (كان اذا حدثه) أي كلمه عليه الصلاة والسلام

(حدثه

(حدثه كأخي السرار) أي في خفض صوته كما بينه بقوله (ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر (بعد الآية) وفي نسخة بعد هذه الآية أي بعد نزولها (حتى يستفهمه) أي النبي صلى الله عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فأنزل الله فيهم) أي في أبي بكر وعمر وأمثالهما رضي الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للأدب أو محاذرة من مخالفة الرب (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي جربها وامتحنها وأعلاها حتى صاروا أهلا وباعث على احتمال مشاقها من أنواع الابتلاء وقيل اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير وفد بني تميم) أي كما هو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابي مشهور وقد أخرج عنه الترمذي والنسائي (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه أي بين أوقات كان ويروى بينما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي) نسبة الى اعراب البادية من آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهوري) بفتح الجيم والواو أي شديد عال والواو زائدة قال الجوهري جهر بالقول رفع صوته وجهر وهو رجل جهوري الصوت وجهير الصوت (أبا محمد أبا محمد) وفي نسخة صحيحة أبا محمد ثلاث مرات (فقلنا له أغضض) بضم غينه أي اخفض (من صوتك فانك) أي في ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) أي عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) أي تعظيما له وتعليما لنا (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) أي لا تخاطبوه بي واختلف في سببه (قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) أي هذه الكلمة تعظيما (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) و(تبجيلا له) أي تفخيما

(حدثه كأخي السرار) وهذه العبارة من كلامهم قديما (ما كان يسمع) بضم الياء وكسر الميم وفاعله ضمير أبي بكر أو عمر (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد) نزول (هذه الآية حتى يستفهمه) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كأخي السرار (فأنزل الله تعالى فيهم) أي في حق أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ومن ضاهاهما كثابت ممدحا لهم (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يخفونها (عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المختبر ليظهر للناس أدبهم وتقواهم واستحقاقهم للأجر العظيم (وقيل نزلت) آية (ان الذين ينادونك) الى آخره (في غير بني تميم) من الاعراب (نادوه باسمه) لجهلهم بمقامه وعدم أدبهم (وروى) رواه الترمذي والنسائي (عن صفوان بن عسال) بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض بن زاهد المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة (بينا) بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري) بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة أي صياح شديد يقال جهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهيره أي رفيعه وبين ظرف مكان أو زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذ واذا الفجائية والافصح تركها كقوله

فبينما نحن نرقبه أتانا ٭ معلق وفضة وزناد راعي

وتقع بعدها جملة اذا كفت بما أو ألف (أبا محمد أبا محمد) مرتين وفي نسخة ثلاثا وأبا ينادى بها البعيد (فقلنا له) أي قال له الصحابة تعليما له وتأديبا (اغضض من صوتك) أي لا ترفعه (فانك قد نهيت عن رفع الصوت) أي نهاك الله تعالى عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كالاذان ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفخر بالصوت الجهير كما قيل

جهير الكلام جهير العطاس ٭ جهير الرواء جهير النغم

فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم أمرا آخر فقال (وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) كان المؤمنون يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم يريدون تأن في خطابك حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا فهماء لذلك فانظر لحالنا فانتهز اليهود الفرصة وقالوه لانها كانت كلمة يتسابون بها كما يأتي عن الكشاف (قال بعض المفسرين هي لغة في الانصار) كانوا يقولونها في محاوراتهم اذا أرادوا التفهم (نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) لايهامها ولاعتياد خطاب الاقران (وتبجيلا له) أي تفخيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبلغ من التعظيم لان معناه

(لان معناها) أى مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (أرعنا) بفتح العين أمر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب الامر (فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول أى يلاحظ ويحافظ (على كل حال) أى سواء رعاهم أم لا (وقيل بل كانت اليهود) أى حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغنيمة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة فى مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) أى وأمروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) أى الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) أى تشبه المؤمنين (بهم فى قولها) أى فى التفوه بها (لمشاركة اللفظة) أى اللفظة فى المبنى ومخالفتها فى المعنى (وقيل غير هذا) أى غير ما ذكر من التفسيرين فى معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تاخير عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام

(حدثنا القاضى أبو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة

اقال له بحل أى حسبك (لان معناها أرعنا نرعك) من المراعاة أى احفظنا نحفظك (فنهوا عن قولها) أى هذه الكلمة (اذ مقتضاها) على تفسيرها السابق (انهم لا يرعونه) ويراعون مقامه (الا برعايته لهم) لان المعنى أرعنا نرعك (بل حقه) اللائق به (ان يرعى على كل حال) راعاهم أم لا بخلاف انظرنا فان معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهى كل أدب فلذا أمر الله تعالى بان يقال له انظرنا دون راعنا (وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الخفة والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول البرهان انها انما تأتى على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشئ لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روى ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها (فنهى المسلمون) مبنى للفعول أى نهاهم الله عز وجل (عن قولها قطعا للذريعة) الذريعة فى اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان أصل معناها لغة جمل يترك هملا فى فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتأنس بها الصيد وتدور معه فاذا ذهب والصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذون منه بسهولة ثم سمى به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذى معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهى فعيلة بذال معجمة وراء وعين مهملتين *واعلم ان الشراح رحمهم الله تعالى لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا وهى اشارة الى قاعدة مشهورة فى مذهب الامام مالك وهى وجوب سد الذريعة أى يجب دفع كل ما يؤدى الى فساد فى أمر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسئلة مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قاله العلامة القرافى حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة أقسام فمنها ما أجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر الآبار فى طريق المسلمين والقاء السم فى طعامهم ومنها ما أجمعوا على عدمه كالمنع من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة أيضا فيقدم الارجح منهما كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم من علمائهم المتأخرين ان سد الذريعة فى الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول بها ليس فسادا فى حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسئلة للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافى (ومنعا للتشبه بهم) أى ان يتشبه المؤمنون باليهود (فى قولها) أى فى التكلم بهذه الكلمة (لمشاركة اللفظ) واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدى فى الوسيط النهى عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهانى فى تفسيره ويبقى الكلام فى استحباب الترك (وقيل) فى تفسير هذه الآية (غير هذا) المذكور فى تفسيره ففى الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا خفى عليهم شئ من كلامه راعنا أى تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية أو عبرانية يتسابون بها وهى راعنا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهى المسلمون عن قولها لما فيها من الايهام وأمروا ان يقولوا انظرنا من النظرة أى امهلنا
(فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) أى فى نقل أخبارهم فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف رحمه الله تعالى هنا من حديث طويل رواه مسلم وأشار اليه بقوله (حدثنا القاضى أبو على الصدفى) هو ابن سكرة وقد تقدم ان الصدفى

(وأبو بكر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدي) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعي عليهما في آخرين) أي مع جماعة أخر من المشايخ أو من التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويؤيد الثاني ما في نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا) أي حدثنا (أحمد بن عمر ثنا أحمد بن الحسن) وفي بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) أي الجلودي (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وأبو معن) بفتح فسكون (الرقاشي) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصري ثقة (واسحق ابن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) أي ثلاثتهم (ثنا الضحاك بن مخلد) بسكون خاء معجمة بين فتحتين أبو عاصم الشيباني النبيل البصري روي عنه انه قال ما دلست قط ولا اغتبت أحدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخاري وغيره أخرج له الائمة الستة (أنا) أي أنبانا وفي نسخة أخبرنا (حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثني زيد بن أبي حبيب) عالم أهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفي أول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفي نسخة فذكر لنا أي ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمر وقال) وفيه أيضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أجل) أي أعظم (في عيني منه) وفي نسخة بصيغة التثنية وما كنت أطيق) بضم الهمزة أي أقدر (أن أملأ عيني منه اجلالا له) أي واكمالا له (ولو سئلت) وفي نسخة ولو شئت (أن أصفه) أي أذكر نعت ظاهر خلقه (ما أطقت) أي ما قدرت لعدم احاطتي باوصافه مخبرا (لاني لم أكن أملأ عيني منه) أي نظرا (وروى الترمذي) أي صاحب السنن لا الحكيم الترمذي وكذا الحاكم (عن أنس رضي الله تعالى عنه كان) أي النبي عليه الصلاة والسلام (يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار

نسبة لسدف قرية بالمغرب (وأبو بكر الاسدي) نسبة لقبيلته (بسماعي عليهما في آخرين) مبتدأ وخبر اشارة الى انهما من مشايخه لطريق روايته هذا الحديث عنهما (قالوا) أي شيخاه لاهما والآخرون لانه لم يروه عنهم وعبر بضمير الجمع تعظيما أو لان ما فوق الواحد وما فوقه جمع (حدثنا أحمد بن عمر) قال (حدثنا أحمد ابن الحسن) أبو العباس بن بندار الرازي المعروف بالرواية وفي بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال (حدثنا محمد بن عيسى) هو الجلودي كما تقدم قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) قدمنا ترجمته قال (حدثنا مسلم) صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته وقال (حدثنا محمد بن مثنى) تقدم تفصيل ترجمته (وأبو معن الرقاشي) وهو زيد بن يزيد البصري الثقة (واسحق بن منصور) الحافظ الثقة المعروف بالكوسج أخرج له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين (قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد) أبو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا حياة بن شريح) تقدم أيضا وفي نسخة أنبأنا قال (حدثنا يزيد بن أبي حبيب) الازدي محدث مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي سنة ثمان وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن ابن شماس) بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة وألف وسين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهري) بميم مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في بعض النسخ من انه الفهري بالفاء بدل الميم تحريف (قال حضرنا عمرو بن العاص) رسم بياء وقد تحذف كما مر (فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا) أحد (أجل في عيني منه) تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد (وما كنت أطيق) أي أقدر (أن أملأ عيني منه) أي أطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين حبيبها بمعنى آخر بمعنى ما يعجبه ويحسن منظره (اجلالا له) أي لاجلاله ومهابته (ولو شئت أن أصفه) بحليته (ما أطقت) وقدرت لعدم احاطة علمي به (لاني لم أكن أملأ عيني منه) وهنا التحقيق الجواب على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أي لا أقدر أن أصفه على تقدير اني شئت فكيف اذا لم أشأ فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا أبتاه أما بشرك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه وقال ان أفضل ما بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله اني كنت على اطباق ثلاث الى آخره فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه أمره في الولاية وخوفه من آثامها رضي الله تعالى عنه (وروى الترمذي عن أنس) رضي الله تعالى عنه (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج) من بيته (على أصحابه من المهاجرين والانصار) رضي الله تعالى عنهم وعداه

وهم جلوس) حال (فيهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي من جملتهم أو فيما بينهم أبو بكر والجملة حال أيضا (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) أي نظره اجلالا لمحضره (الا أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) أي يطالعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) أي لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبي أخرجه الترمذي في مناقب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (روى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبي كوفي صحابي وقد روى عنه أصحاب السنن

الاربعة وصححه الترمذي (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) الجملة حال وفي نسخة حوله جلوس أي جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متأدبون بين يديه (كأنما على رؤسهم الطير) بالرفع أي بحيث لو فرض أن يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفي حديث صفته) بكسر ففتح أي نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية أم المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي أرخوا رؤسهم (كأنما على رؤسهم الطير) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة رواه عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه) أي الثقفي على ما رواه البخاري عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ابن أبي العاص انه (حين وجهته قريش) أي أرسلته (عام القضية) أي قضية صلح الحديبية (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في طلب الصلح سنة ست من الهجرة النبوية تسمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلاة والسلام أي صالح وأما ما ذكره الانطاكي من ان القضية كانت في السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) أي عروة (من تعظيم أصحابه له ما رأى) أي مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية

صلى

يعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينظره (وهم جلوس) في المسجد (فيهم أبو بكر وعمر) رضي الله تعالى عنهما (فلا يرفع أحد منهم اليه بصره) بل يطرقون لمهابته (الا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) ويجوز الا أبا بكر وعمر نصبا (فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والصهارة وتمكن مقامهما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى اسامة بن شريك) الصحابي الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن يشكر وأخرج له أصحاب السنن وأحمد في مسنده (قال) أي اسامة (أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه حوله) أي محيطون به في مجلسه (كأنما على رؤسهم الطير) هذا مثل تضرب به العرب لشدة الرزانة والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورتي النبوية

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي (وفي حديث صفته) بالتاء المثناة الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية اسم امرأة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن أبي هالة كما تقدم (اذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أي طأطؤا رؤسهم تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو من أعدائه يهابه لانه أمر ذاتي له (وقال عروة بن مسعود) رضي الله تعالى عنه ابن معتب الثقفي (حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا (عام القضية) أراد بها قصة الحديبية وقيل أراد السنة التي قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتأويل ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح خيبر فلعل المصنف أراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي أرادها أهل السير انتهى وهذا بناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم ففسدت لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضاء وقيل يجب القضاء بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضاء وقيل يلزمه الهدي والقضاء وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا أسلم لما انصرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وأدركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين أرسلوه مشركا (ورأى) عروة (من تعظيم أصحابه له صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى) هذا فيه من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أي رأى من اكرامهم له صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لا يمكن التعبير عنه لفواته الحصر ولذا أبهمه وان ذكر بعضا منه بقوله (وانه)

(الا توضأ) أي لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم أي سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء أو الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) أي لفرط حرصهم على التبرك بآلائه أو بما أصابه من يديه ولم يصب منه شيأ يكون من نصيبه أخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) أي ولا يرمي بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من أقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) أي أخذوها من الهواء (باكفهم) أي من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) أي فبالغوا في مسح أعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) أي بادروا الى أخذها وحفظها سواء كانت من رأسه أو بقية جسده (واذا أمرهم بأمر) أي من

أمر ونهي (ابتدروا أمره) أي امتثاله (واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده) أي ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد داله أي ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) أي وهيبة وتكريما له (فلما رجع) أي عروة (الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى) بكسر الكاف وبفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس أي حضرته (في ملكه) أي تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) أي وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (في ملكه) أي في معظم ملكه (والنجاشي) بفتح النون وبكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (في ملكه) أي في دياره وداره

(واني والله ما رأيت ملكا) أي من الملوك المذكورة معظما ومكرما (في قوم) أي فيما بين جنده (قط) أي أبدا (مثل محمد في أصحابه وفي رواية) أي أخرى كما في نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون أي ما (رأيت) أي ما أبصرت أو ما علمت (ملكا) أي من الملوك (قد تعظمه أصحابه ما يعظم) أي مثل ما يعظم (محمدا أصحابه وقد رأيت) أي أبصرت أصحابه وعلمت أحبابه وأحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم الياء وسكون السين وكسر اللام أي لا يخذلونه (أبدا) من اسلامه الى شيء ثم خص بالالقاء في المهلكة بدليل حديث اني وهبت لخالتي غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا أي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة وأما الصائغ فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة

صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يتوضأ الا ابتدروا) أي أسرعوا وأخذوا (وضوءه) بفتح الواو أي بقية الماء الذي توضأ به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض (وكادوا) أي قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من (ان يقتتلوا عليه) أي على وضوئه وأخذه لحرصهم على التبرك بما مسه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (ولا يبصق بصاقا) أي رمى شيأ من ريقه الشريف (ولا تنخم نخامة) بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل انفصل من شيء كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من أقصى الحلق (الا تلقوها) أي النخامة (باكفهم) واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما أو جعلهما شيأ واحدا لاتحادهما جنسا (فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم) تبركا بهما (ولا تسقط منه شعرة) بفتح العين وسكونها في حلاقة رأس ونحوه (الا ابتدروها) وسارعوا الاخذها (واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره) بالامتثال والامر مصدر أو بمعنى المأمور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشأنه وتنويها لقدره (واذا تكلم) صلى الله تعالى عليه وسلم (خفضوا أصواتهم عنده) لتبيين ما يقول لهم (ولا يحدون اليه النظر) أي لا ينظرون اليه صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا حديدا أي قويا أو لا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين رؤسهم تأدبا لجلالته في قلوبهم (تعظيما له) صلى الله تعالى عليه وسلم علة للنفي لا للمنفي أي يتركون كمال نظرهم لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رجع) عروة (الى قريش قال) لهم (يا معشر قريش) المعشر والمعشرة بمعنى (اني جئت كسرى) بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم (في ملكه) في زمن سلطنته (وقيصر) ملك الروم (في ملكه و) جئت (النجاشي) ملك الحبشة (في ملكه) ورأيتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر (واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه) أي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه (وفي رواية) لحديث عروة (ان) بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما (رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه) كذا (ما يعظم محمدا أصحابه) ففيه مضاف مقدر وما مصدرية أو موصولة أي كالتعظيم الذي يعظمه أصحابه فالعائد مقدر (وقد رأيت قوما) يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم (لا يسلمونه) بضم أوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع أسلمه يقال أسلمه لعدوه اذا أمكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال أسلمه اذا ألقاه في هلكة فهو عام أريد به خاص (أبدا) ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي يعني ان ما شاهدته من أحوالهم في تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانقيادهم له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون أنفسهم دونه واياكم ان تطمعوا في خلافه

(وعن أنس رضى الله تعالى عنه كما رواه مسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه) أى يحلق شعر رأسه اما بعد عمرة أو بعد الحج اذلم يحلق فى غيرهما (وأطاف به أصحابه) أى داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا بأثره (فما يريدون) أى من كمال اتفاقهم (ان تقع شعرة) أى من شعراته (الا فى يد رجل) أى من طلاب بركاته واختلف فى اسم من حلق رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوى كما ذكره النووى فى شرح مسلم وفى صحيح البخارى زعموا انه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى وأما فى عمرة الجعرانة فقيل حلقه أبو هند والله أعلم (ومن هذا) أى ومن جملة تعظيم أصحابه وتكريم أحبابه (لما أذنت قريش) أى مراعاة (لعثمان رضى الله عنه) أى حين قدومه مكة (فى الطواف بالبيت) أى بعد منعه منه (حين وجهه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فى القضية) أى فى قضية صلح الحديبية (أبى) أى امتنع عثمان أن يطوف به (وقال ما كنت لأفعل) أى الطواف وحدى (حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكمال أدبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركين فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية فى الفصل التاسع من أول الكتاب (وفى حديث طلحة رضى الله تعالى عنه) أى ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرة وسيأتى بعض منقبته قريبا وقد روى عنه الترمذى منهم وحسنه (أن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لأعرابى جاهل سله) يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) أى فى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه أى وفى بنذره ومنهم من ينتظر أمر قضائه وقدره فى تحقيق أمره روى أن رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم أحد وبذل جهده فى القتال حتى شلت يده اذ وقى بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه أصيب فى جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب

وهذا بعض من حديث طويل رواه البخارى (وعن أنس) فى حديث رواه مسلم قال فيه (لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق) بتشديد اللام وهو الذى يحلق شعر رأسه فقوله (يحلقه) بتقدير مضاف (وقد أطاف به أصحابه) أى جلسوا محدقة حوله صلى الله تعالى عليه وسلم وطاف بمعنى دار وأطاف بمعنى استدار من غير حركة (فما يريدون ان تقع شعرة) من شعر رأسه (الا فى يد رجل) منهم حرصا على التبرك بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم والذى حلق رأسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوى فى حجة الوداع وقال ابن الاثير فى الانساب انه خراش بن أمية الكلبى وكان ذلك يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذى حلقه بالجعرانة أبو هند وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحلق رأسه الا فى حج أو عمرة (ومن هذا) أى تعظيم الصحابة له صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أذنت قريش لعثمان) ابن عفان رضى الله تعالى عنه حين أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أهل مكة وهو بالحديبية وقد صدوهم عن البيت وارسله لاعلامهم بانهم لم يأتوا لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم أذنوا لعثمان رضى الله تعالى عنه (فى الطواف بالبيت) بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه أى أرسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لجهتهم (فى القضية) أى قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر (أبى) الطواف وهو جواب لما (وقال ما كنت لأفعل) الطواف وحدى ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلنى لذلك فلا أطوف (حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى وهذه القصة مفصلة فى السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وأرسلوا عروة لاعلامهم بذلك أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان لعظماء قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله تعالى عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة أجاره أبان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت فطف فقال ما كنت لأفعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذى عن طلحة رضى الله تعالى عنه وقال انه حسن غريب وقوله ما كنت لأفعل أبلغ من لا أطوف (وفى حديث طلحة) الذى رواه الترمذى وحسنه (ان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لأعرابى جاهل سله) أى سل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) فى قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر والعهد استعير هنا للموت لانه للزومه كأنه نذر فى ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد فى سبيل الله وقتال أعدائه والثبات فى مواقفه حتى كأنه نذر عليه والمراد هنا الثانى فمن اقتصر على الاول فقد قصر أى

منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضى الله تعالى عنه (وكانوا) أى أصحابه (يهابونه ويوقرونه) فلا يكثرون سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اجلالا له (فسأله) الاعرابى (فاعرض عنه) ولم يجبه (اذ طلع طلحة) أى كان اعراضه فى وقت طلوعه أى مجيئه لمجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اذ غا فجائية كقوله * فبينما العسر اذا دارت مياسير * أى فاجأهم طلوعه عليهم بغتة (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد التيمى أحد العشرة وفى الصحابة طلحة تيمى غيره وهو الذى نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية وروى أبو نعيم انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا هذه الآية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا منهم وكذا فى سنن ابن ماجة وفى تفسير ابن أبى حاتم ان عمارا منهم وفى تفسير يحيى بن سلام هم حمزة وأصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله بن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة ابن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة وأصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو أحد العشرة والنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفى الآية كلام طويل فى التفاسير وأمالى ابن الحاجب ليس هذا محله (وفى حديث قيلة) الذى رواه أبو داود والترمذى وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها فى الشمائل وفيه قالت (فلما رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال فى القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بضم القاف والراء أن يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه ويضعهما على ساقيه أو يجلس على ركبتيه منكبا على وجهه لاصقا بطنه بفخذيه انتهى (أرعدت) أى حصل لى رعدة واضطراب (من الفرق) بفتحتين أى شدة الخوف (وذلك) أى ما كان لى من الرعدة والخوف (هيبة له وتعظيما) لجلالته وعظمه فى عين رائيه (وفى حديث المغيرة) ابن شعبة الذى رواه الحاكم والبيهقى (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتوه لامر وهو فى منزله (يقرعون) القرع ضرب خفيف ومس له صوت (بابه بالاظافير) جمع ظفر على غير القياس أو جمع أظفر وأظفار بمعنى ظفر فالاظافير جمع الجمع فالاول أولى لان جمع المفرد أقيس من جمع الجمع وهذا أى ذكر الباب والقرع يقتضى ان حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم كان لها باب من

(وكانوا يهابونه ويوقرونه) أى يعظمونه ولهذا ما كانوا ابتداء يسألونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الاعراب ما لا يتحمل من الاصحاب (فسأله) أى الاعرابى (فاعرض عنه) أى عن جوابه ولم يلتفت الى ما يتعلق ببيانه (اذ طلع طلحة رضى الله تعالى عنه) أى الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكانه ألزم نفسه أن يصدق الله تعالى فى قتل أعدائه فى الحرب وقد وفى بعهده يوم أحد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكانه التزم أن يقاتل حتى يموت ففى الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفى الحلية انه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فسأله رجل منهم فاقبل على طلحة ابن عبيد الله وقال هذا منهم وفى تفسير ابن أبى حاتم ان عمارا منهم وهذا يحتمل التأويلين المتقدمين وفى تفسير يحيى بن سلام المغربى هم حمزة وأصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء أحد ولا يبعد أن يقال المراد بهم الشهداء والسابقون لا مقابلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذى يظهر لى انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الاتم الاعم والله تعالى أعلم وقد قتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبى وفى الصحابة أربعة عشر غيره ممن يقال له طلحة (وفى حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه أبو داود فى الادب والترمذى فى الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء أى جلسة المحتبى بيديه (أرعدت) أى اضطربت (من الفرق) بفتحتين أى الخوف والفزع وذلك هيبة له وتعظيما (وفى حديث المغيرة) الذى رواه الحاكم فى علوم الحديث والبيهقى فى المدخل (كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعون) أى يضربون (بابه بالاظافر) وفى نسخة بالاظافير أى ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما وتنبيها وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انه أخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه أى ضربه والمعنى شربه جميعه

(وقال البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه كما روى أبو يعلى لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاؤخر) وفي نسخة فاؤخره أي فاؤخر سؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) أي من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعظيمه) بنصبهما أي بعد وفاته (لازم) أي على كل مسلم (كما كان) أي ما ذكر واجبا (حال حياته) أي لانه الآن حي يرزق في علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) أي التعظيم والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) أي كلامه (وسنته) أي وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا نعته (وسيرته) أي في جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) أي أهل بيته (وعترته) بكسر أوله أي ذريته وقرابته (وتعظيم أهل بيته) أي من أزواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) أي أهل صحبته (قال أبو ابراهيم) زيد في نسخة اسحق (التجيبي) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) أي بنفسه (أو ذكر عنده) أي على لسان غيره (أن يخضع) أي ظاهرا (أو ليخشع) أي باطنا (ويتوقر) أي يتكلف الوقار والرزانة في هيئته (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع ويسرع (في هيبته واجلاله) من أي في مقام تعظيمه وأوا كرامه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يطلب منها (لو كان) أي فرضا (بين يديه) أي أمام عينيه (ويتأدب) بالنصب أو الرفع (بما أدبنا الله به) أي من وجوب تعظيمه وتكريمه وخفض الصوت ونحوه

خشب ونحوه وقد ورد أنه كان عليه ستر أو سجف وجمع بابه كان من جلد يقرع فليحرر فان مثله لا يقال بالرأي واعلم ان مثله هذا هل يسمى حديثا أولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع أم لا اختلفوا فيه كما قال الحافظ العراقي في ألفيته

لكن حديث كان باب المصطفى * يقرع بالاظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب * والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله تعالى (وقال البراء بن عازب) بن حارث الخزرجي الانصاري توفي في أيام مصعب بن الزبير في حديث رواه أبو يعلى وصححه (لقد كنت) اللام جواب قسم مقدر أي والله (أريد أن أسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر) من الامور التي تهمني أو تخطر ببالي مما أحتاج لبيانه (فاؤخر) بهمزتين وقد تبدل الثانية واوا والاصح الاول (سنتين) مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع (من هيبته) صلى الله تعالى عليه وسلم أي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي

(فصل واعلم) أمر من العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله (ان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة أي احترامه والتأدب معه (بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم) على كل أحد (كما كان) لازما في (حال حياته) لبقاء نبوته ورسالته (وذلك) أي ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم (عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله) تقدم بيان المراد بهم (وعترته) بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطأ من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في أمور دينية أو دنيوية (وتعظيم أهل بيته) أي زوجاته وخدمه وأتباعه وليس المراد به آله وعترته حتى يكون اطنابا (وصحابته) رضي الله تعالى عنهم (قال أبو ابراهيم التجيبي) بضم التاء وفتحها كما تقدم (واجب على كل مؤمن) خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليه أيضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة وعقابه عليه (متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده) وسمعه (ان يخضع) أي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح يخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال خضع الحديث أي لينه (ويخشع) الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع أعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه (ويتوقر) أي يظهر الوقار والرزانة (ويسكن من حركته ويأخذ) أي يشرع (في هيبته) أي اظهار مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده (واجلاله) بتعظيمه حق تعظيمه (بما كان يأخذ به نفسه) أي يكلفها ويلزمها (لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم) حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله فكأنه عنده (ويتأدب بما أدبنا الله به) مثل قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم الى آخره لا ترفعوا أصواتكم وغيره كما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن أيضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف رحمه الله تعالى ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديث يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته حيا كما هو دأبه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما ورد في حقهم

(قال القاضي أبو الفضل) يعني المصنف (وهذه) أي الطريقة المرضية (كانت سيرة سلفنا الصالح) يعني الصالحين أي المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) أي العلماء العاملين (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية (الحاكم وغير واحد) أي وكثيرون (فيما اجازونيه) هذا لغة في اجازوه لي (قالوا) أي كلهم (أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة في آخره (قال ثنا) أي حدثنا (أبو الحسن علي بن فهر) بكسر فاء فسكون هاء ثم راء (ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء فجيم (ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) أي جادل وباحث (أبو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس ثاني خلفاء بني العباس (أمير المؤمنين) اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) أي الامام (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ورفع صوته في كلامه معه (فقال له) أي مالك كما في أصل صحيح (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) أي خصوصا لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفي نسخة عز وجل (ادب قوما) أي معظمين (فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية) أي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون (ومدح قوما) أي مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) أي أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) أي من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية) أي اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا

من المدح والتعظيم وقوله تعالى فبهداهم اقتده واقواله تعالى ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه واقواله صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه (قال القاضي) أبو الفضل عياض المؤلف (رحمه الله تعالى وهذه) الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا واتباعه تبارماذكر لقوله (كانت سيرة سلفنا الصالح) أي دأب وطريقة من تقدم من الصالحين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ثم بين هذه السيرة بقوله (حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري) هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم (وأبو القاسم بن بقي) بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وياء مثناة تحتية (الحاكم) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن يزيد بن بقي (وغير واحد فيما اجازونيه) أي رووه عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره (قالوا) أي قال هؤلاء كلهم (أنبانا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث) بكسر الدال المهملة وسكون اللام وهاء وألف بايها ثاء مثلثة بزنة جلباب علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال (حدثنا أبو الحسن علي بن فهر) بالكسر كاسم القبيلة قال (حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج) قال (حدثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقية وألف وباء موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن أيوب قاضي المدينة قال (حدثنا يعقوب ابن اسحق بن أبي اسرائيل) قال (حدثنا ابن حميد) بالتصغير ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك (قال ناظر) ماض من المناظرة وهي المباحثة في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح آداب البحث ليس هذا محله (أبو جعفر أمير المؤمنين) ثاني خلفاء بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ (مالكا) امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله (في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فرفع صوته في مناظرته (فقال مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد) النبوي المحترم واول من سمي بامير المؤمنين على العموم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس أنتم المؤمنون وانا اميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترز بعلى العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي به على الخصوص في ولايته على سرية اثني عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن (٢) تاشف بن المثم (فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم) الخ وتقدم تفسيرها (ومدح قوما فقال الذين يغضون اصواتهم) الى آخره وتقدم بيانها أيضا (وذم قوما فقال ان الذين ينادونك) الى آخره كما تقدم (وان حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا)

٢ قوله ابن تاشف وفي نسخة ابن تاشفين والتي بايدينا ابن سفيان المكنم فلتحرر اه مصححه

أى ما يجب ان يراعى فى حقه فى حياته يراعى بعد مماته (فاستكان لها أبو جعفر) استكان افتعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما فى القاموس وفيه كلام فى التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا (وقال) أبو جعفر للامام مالك (يا أبا عبد الله) كناه تعظيما له بسؤاله بقوله (استقبل القبلة) أصله استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما أدرى وان كنت داريا ✽ بسبع رمين الجمار أم بثمان

وهو من خصائص الهمزة (وادعوا) اذا أردت زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم (أم استقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اجعل وجهى مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة فى الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم (فقال) له مالك رحمه الله تعالى (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء (وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة) المراد بالوسيلة وهى السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعاء وكنى بذلك عن جميع الناس أى هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله يوم القيامة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعى اذا قال اللهم انى استشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له (بل استقبله) صلى الله تعالى عليه وسلم بوجهك فى دعائك بما تريد (واستشفع به) الى الله تعالى فى الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه (فيشفعه الله) فيك ويقبل دعاءك وفى نسخة فيشفعك الله وهى مشكلة اذا المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للفعول ولا يخفى ما فيه وفى هذا رد على ما قاله ابن تيمية من استقبال القبر الشريف فى الدعاء عند الزيارة أمر منكر لم يقل به احد ولم يره الا فى حكاية مفتراة على الامام مالك يعنى هذه القصة التى أوردها المصنف رحمه الله هنا ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو باطل فان مذهب مالك وأحمد والشافعى رضى الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف فى السلام والدعاء وهو مسطر فى كتبهم وصرح به النووى فى اذكاره وايضاحه وقال السبكى صرح أصحابنا بانه يستحب ان ياتى القبر ويستقبله ويستدبر القبلة بعيدا من رأس القبر نحو أربع اذرع فيسلم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يتأخر ويسلم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم يتاخر ويسلم على عمر رضى الله تعالى عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر ويدعو بما أراد وقد نقل عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجى من أئمتنا وقيل فى قوله وسيلة أبيك آدم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب أسئلك بحق محمد الا غفرت لى فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لانى رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا أحب الخلق اليك فقال صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم (قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية) استدل بهذه الآية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادى عليه لوجدوا الله توابا رحيما التعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله أيضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيم الرجاء شفاعته له لا شك فى انه يتوجه

فاستكان لها أبو جعفر) أى خضع وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على انه يجب التادب بين يدى العالم لما روى من ان الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته (وقال) أى أبو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا أبا عبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير ءاستقبلها (وادعوا) أى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) أى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) أى عن رسولك (فهو) وفى نسخة صحيحة وهو أى والحال انه (وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام) أى وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) أى كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) أى اطلب شفاعته وسل وسيلته فى قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء أى يقبل الله به شفاعتك لامرك ولغيرك وفى نسخة فيشفعه أى فيقبل شفاعته فى حقه ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى) أى مصداقا لذلك فيما قرره مالك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) أى للمعذرة والتوبة (الآية) يعنى فاستغفروا الله أى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشانه صلى الله تعالى عليه وسلم لوجدوا الله أى لعلموه توابا رحيما أى منعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعد المؤاخذة على ما صدر منهم

(وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن أبي أيوب السختياني) أي عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وضم وبسكون معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو بصري وقيل جهني مولاهم يروي عن ابن سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه ألفي حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء وحدث عن أم خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها في البخاري وقال في أثره ولم أسمع أحدا يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي من غير ذكر واسطة سوى أم خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) أي ما رويت لكم حديثا (عن أحد) من اتباع التابعين (إلا أبو أيوب أفضل منه وقال) أي مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) أي أبو أيوب (حجتين) أي مرتين (فكنت أرمقه) بضم ميم أي انظر اليه وأتأمل لديه (ولا أسمع منه) أي كلاما يكون عليه أولا أسمع منه حديثا يحدثني به (غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) الظاهر يبكي (حتى أرحمه) أي من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (فلما رأيت منه ما رأيت) أي من حسن فعاله ما يقتضي بعض بعض كماله واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كتبت عنه) أي الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب ابن ثابت الزبيري يروي عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده أن في نسخة فإذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحني) أي يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين أي يشتد (ذلك على جلسائه) أي من أجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما في ذلك) أي في تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) أي لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لما أنكرتم على ما ترون) أي ما تبصرون من اضطراب حالي وتغير مقالي (ولا يبعد أن يكون المعنى) لو أبصرتم ما أبصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله في مقام مكاشفة كماله (لقد كنت أرى محمد بن المنكدر) أي التيمي المدني الحافظ يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وأبو زرعة وعن أبي قتادة قال العلائي والظاهر أن ذلك مرسل وعن أبي أيوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفي في سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا) أي قط (إلا يبكي) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه

اليه بقلبه وقالبه كما قال ابن المقري رحمه الله تعالى

تخاطبه لما تناجيه مقبلا * على غيره فيها الا لضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه * تميزت من غيظ عليه وغيرة

فتدبر (وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني) وهو الامام أبو بكر البصري التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر أخرج له الستة وتوفي في سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك (ما حدثتكم) أي رويت لكم (عن أحد) من مشايخه (إلا وأيوب أفضل منه قال) مالك (وحج حجتين) وكنت حاجا اذ ذاك (فكنت أرمقه) أي أنظر اليه يقال رمقه اذا نظر اليه (ولا أسمع منه) شيأ يتكلم به لطول صمته كذا قيل والظاهر أنه أراد لا أسمع منه الحديث فأرويه عنه لما سيأتي من قوله كتبت عنه (غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (بكى حتى أرحمه) أي يرق قلبي عليه وحزنه لما أراه منه (فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) واتباع سنته في جميع أحواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وأنه ثقة ظاهر العدالة فسمعت منه و(كتبت عنه) الحديث ورويته عنه وهذا يدل على كمال ورعه في الرواية وأنه لا يروي عن كل أحد حتى يختبره وبكاؤه اما لتحسره على أنه لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم واشتياقه له أو لخوفه من تقصيره في اتباعه أو لاجلاله وتذكر مهابته حتى كأنه يراه وهذا أقرب للسياق (وقال مصعب) بصيغة المفعول علم منقول من الفعل الشديد (ابن عبد الله) بن مصعب ابن ثابت الزبيري الحافظ أحد رواة الامام مالك (كان مالك) بن أنس رضي الله تعالى عنه ورحمه (إذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) عنده (يتغير لونه) بأن يصفر كما يعتري من اشتد خوفه من شيء (وينحني) أي يتضاءل لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحني (حتى يصعب ذلك على جلسائه) وتلامذته لخوفهم عليه (فقيل له في ذلك) أي سئل عنه وما سببه (فقال لو رأيتم ما رأيت) من السلف من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم (لما أنكرتم على ما ترون) مما شاهدتموه من حالتي (لقد رأيت محمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي في سنة خمس ومائتين أخرج له الستة (وكان سيد القراء) أي كان في عصره رئيس العلماء العارفين بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءاته وأحكامه (لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه) شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة

(ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) أى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب أبيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة أى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء أى تغير لونه وتحول كونه (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) أى ترددت (اليه زمانا) أى كثيرا (فما كنت أراه) أى أشاهده (الا على ثلاث خصال) أى احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) أى ساكتا متفكرا (واما يقرأ القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون أى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (وكان) أى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) أى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) أى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) أى شانه وسلطانه (وجل) أى برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم) أى ابن محمد ابن أبى بكر الصديق التيمى ولد زمن عائشة رضى الله تعالى عنها وسمع أباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان افضل زمانه وكذلك أبوه وقد توفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة أى (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كانه نزف) بضم النون وكسر الزاى أى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء أى يبس (فى فمه) اى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتى) أى أجىء (عامر ابن عبد الله بن الزبير) أى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع أباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى بست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) أى كثيرا (حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

مهابته لذكره صلى الله تعالى عليه وسلم أو لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد ورد فى كلامهم كثيرا كما فى القاموس وهو أحد الوجوه فى قوله تعالى لم يكد يراها أى لم يرها والمراد وأبد المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة فهى هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع فى قوله هنا الا يبكى قال الامام مالك رحمه الله تعالى (ولقد كنت أرى جعفر بن محمد) اللام فى جواب قسم مقدر ووقع فى بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه (الصادق) ومحمد هو الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهى المزاح (والتبسم) وهو أقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) وهو (على طهارة) أى بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفى الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث (ولقد اختلفت اليه زمانا) كثيرا أى ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب وأتى وقتا بعد وقت فى أوقات مختلفة فنزل اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور (وما كنت أراه الا) مستمرا (على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا) لا يتكلم (واما يقرؤ القرآن) فيناجى ربه (ولا يتكلم فيما لا يعنيه) بفتح أوله أى يهمه ويجدي نفعا صون لسانه عن اللغو (وكان من العلماء) بالعلوم الشرعية (و) من (العباد الذين يخشون الله) وهذا حاله فى منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان فى ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله تعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) بن محمد بن أبو بكر الصديق أحد فقهاء المدينة توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة وأبوه أحد الفقهاء السبعة (يذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم) نزف مبنى للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح أو تقدير اذ اللون لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا واعترض بان المناسب لقوله (ولقد جف لسانه فى فمه) الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف اللسان بذهاب ريقه لخوفه (هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مفعول له لما قبله وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز (ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير) بن العوام العابد الجليل القدر أخرج له الستة وتوفى بعد عشرين ومائة وترجمته معروفة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع)

ولقد رأيت الزهري) وهو محمد بن شهاب (وكان من أهنأ الناس) بفتح همزة وسكون هاء ونون ثم همزة أي ألطفهم في العشرة (وأقربهم) أي في المودة (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) أي لتغير حاله واختلاف مقاله في مقام جلاله (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدني ممن يستشفى بذكره يروي عن ابن عمر وعبد الله ابن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة (فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) أي حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه كان اذا سمع الحديث) أي حديثه عليه الصلاة والسلام (أخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو أي صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاي وكسر الواو أي القلق به والعناء وأصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) أي اجتمعوا عليه بكثرة بعدما كانوا بوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) أي مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع أي ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر أي لكان حسنا أو معناه التمني أي تمنينا جعلك أحدا مستمليا (فقال قال الله تعالى يا أيها

 الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي توقيرا له وتكريما وتعزيرا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه في الحقيقة بقاء فانه حي يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) أي يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي خاف وخضع وتواضع كذا في نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتي في الفصل الذي يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدي) وهو أحد الاعلام في الحديث روى عنه أحمد قال ابن المديني أعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدي وقال الزهري ما رأيت في يده كتابا بعني كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي الناس أو

أي ابكته بكاء شديدا لمسام (ولقد كنت آتي صفوان بن سليم) مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان أكثر أهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفي كما قال (وكان) صفوان المذكور (من المتعبدين) أي المكثرين للعبادة المداومين عليها (المجتهدين) في العبادة المجدين فيها أو يحتمل ان يكون وصل لرتبة الاجتهاد في أحكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة (واذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه) لاتصال بكائه وطوله (ولقد رأيت الزهري) الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين وسبعين كما تقدم (وكان من أهنأ الناس) أي أسهلهم وأحسنهم خلقا وألينهم عريكة مستعار من هنؤ الطعام اذا ساغ وسهل (وأقربهم) الى الناس لحسن تردده لهم ومع ذلك (فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته) لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله تعالى هؤلاء بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه (وروي عن قتادة) تقدم بيانه (أي كان اذا سمع الحديث) يقرأ عنده (أخذه) أي عرض له واستولى عليه حتى كأنه أخذه (العويل) بعين مهملة وصياح مع البكاء (والزويل) بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وياء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف يقال زال زويلة في الدعاء أي ذهب ذعره وهو مأخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه (ولما كثر على) الامام (مالك الناس) أي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة وأتوه من كل فج (قيل له لو جعلت مستمليا) أي أحدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث فيأخذه عنك فيبلغهم و(يسمعهم) ما يمليه لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في آخر الحلقة ولو للتمني لمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما لزم بما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملاء طلب الاملاء وهو القاء الكلام على الغير (فقال) مالك مجيبا ارشادا لهم وتأدبا مستدلا بقوله تعالى (قال الله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الى آخره) فقاس منع رفع الصوت في مجالس قراءة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وبينه بقوله (وحرمته) أي احترامه وتوقيره (حيا وميتا سواء) فكما لزم الاول لزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله (وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي) بن حسان أبو سعيد الحافظ الثقة البصري المعروف باللؤلؤي أحد أعلام الحديث وقال ابن المديني أعلم الناس بالحديث ابن المهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (اذا قرأ حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم) أي أمر من حضر في

أصحابه (بالسكوت أي رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته) وقال أي عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يعني وكذا فوق صوت راوي حديثه (ويتأول انه يجب له) أي لأجله (عند قراءة حديثه) أي روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) أي كلام نفسه في حال حياته * (فصل) * (في سيرة السلف) أي طريقتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله أراد بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) أي ابن سكرة (ثنا أبو الفضل بن خيرون) بفتح أوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا أبو بكر البرقاني) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام أحد الاعلام أحمد بن محمد ابن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقي والخطيب وأبو اسحق الشيرازي قال الخطيب كتبنا عنه توفي ببغداد سنة خمس وعشرين وأربعمائة (وغيره) أي من المشايخ (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا علي بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا أحمد ابن سنان) بكسر أوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء هو الحافظ أبو جعفر الواسطي روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن أبي حاتم هو امام أهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) ابن وهو أبو خالد الواسطي السلمي أحد الاعلام قال أحمد حافظ متقن وقال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وقال العجلي ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلي الضحى ست عشرة ركعة وقد عمي (ثنا المسعودي) أي عبد الرحمن بن عتبة الكوفي أحد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة أبو عبد الله مسلم بن عمران الكوفي يروي عن ابن وائل وعلي بن الحسين وأبي عبد الرحمن السلمي والاعمش وابن عون وثقه أحمد وغيره

مجلسه (بالسكوت) والانصات لاستماعه (وقال) مخاطبا لمن عنده (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول) الآية التي تلاها بحصل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على (انه يجب له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله) حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل

حديثه أو حديث عنه يطربني * هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فرأى ان المستملي لا بد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان أعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله تعالى عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله تعالى عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر وانهم ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه أو قائما ان أمكنه

* (فصل في سيرة السلف) * وعادتهم (في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) عطف تفسير لشموله لاقواله وأفعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي أخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما أدرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث وأتى له بشاهد رواه مسندا فقال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) المعروف بابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال (حدثنا أبو بكر البرقاني) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخارزمي الشافعي شيخ بغداد وأحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وأبي اسحق الشيرازي وابن خيرون وتوفي ببغداد في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف (وغيره) قال (حدثنا أبو الحسن الدارقطني) شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال (حدثنا علي بن مبشر) ابن اسمعيل الكابلي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال (حدثنا أحمد بن سنان القطان) أبو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام أهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين وأخرج له أصحاب السنن قال (حدثنا يزيد بن هارون) أبو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد أحد الاعلام قال ابن المديني ما رأيت أحفظ منه وعمي في آخر عمره وتوفي سنة ست ومائتين وأخرج له الستة قال (حدثنا المسعودي) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم

(عن عمرو بن ميمون) هو الازدى يروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) أى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) أى وقتا من زمانه (ثم جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح وسكون أى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون أى يسيل نازلا (عن جبهته) أى من جهة كثرته (ثم قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) أى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) أى لكمال احتياطه (أو فوق ذا) أى بقليل (أو مادون ذا) أى ببعض شئ (أو ماهو قريب من ذا) أى مما أقوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وكان أبو الدرداء أيضا اذا حدث قال مثله وكان أنس رضى الله تعالى عنه اذا حدث قال أو كما قال

(وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة أى فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه أى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) أى امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر أى مالم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض (وانتفخت أوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف أى مقدام فى المعركة وعن على انا أبو الحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى أنا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى المدينة) اخرج له الترمذى فقط (مر مالك بن أنس) وهو امام دار الهجرة (على أبى حازم) بكسر الزاى وحاؤه مهملة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وأبو ضمرة قال ابن خزيمة ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) أى والحال ان أبا حازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) أى جاز الموضع أو الشيخ وهو بمعنى جاز به وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذارا لمن أورد عليه السؤال بلسان القال أو ببيان الحال (انى لم أجد موضعا اجلس فيه) أى متأدبا (فكرهت ان آخذ) أى اسمع واتحمل (حديث رسول الله

ابن عمران أبو عبد الله الكوفى ثقة احد واخرج له الستة (عن عمرو بن ميمون) العابد التابعى الازدى أدرك زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفى سنة اربع وسبعين ومائة (قال اختلفت الى ابن مسعود) أى ترددت عليه (سنة) تمييز (فما سمعته) اذا حدث (يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صونا لذكره وهيبة له واحتياطا فى النقل عنه (الا انه حدث يوما) بحديث نقله (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) أى ظهر عليه حزن وغم يؤدى الى ضيق نفس (فرأيت العرق يتحدر) أى ينزل سائلا منه متفصلا (عن جبهته ثم قال) ابن مسعود (هكذا) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رويته لكم مساوى له لفظا ومعنى (ان شاء الله) اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه وهذا بناء منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور وتفصيله فى كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول مالم يقله (أو فوق ذا) أى يزيد عليه يسيرا (أو مادون ذا) أى ينقص عنه (أو ماهو قريب من ذا) بمخالفته بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضى الله عنه (وفى رواية فتربد وجهه) بياء موحدة بعد راء ثم دال مهملتين أى تغير لونه لكموده عن شدة الكرب (وفى رواية وقد تغرغرت عيناه) أى امتلأتا بدمع متردد كالماء فى فم من يتغرغر به فهو مجاز كما فى حديث تقبل توبة العبد مالم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه كالغرغرة (وانتفخت أوداجه) جمع ودج بفتحتين وهو عرق غليظ فى العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما بغليان الدم لانتشار الحرارة الغريزية لخوف ونحوه (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) بضم القاف وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قرم (الانصارى قاضى المدينة) ذكره فى التهذيب والميزان واخرج له الترمذى فى علل جامعه ولم يترجموه روى عن مالك كما قال (مر مالك بن أنس على أبى حازم) بحاء مهملة وزاى معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج أحد الاعلام الذى روى عنه مالك وغيره ثقة لم يكن فى زمانه مثله توفى سنة اربعين ومائة واخرج له الستة (وهو يحدث) أى يروى الحديث لمن عنده (فجازه) أى تجاوز مجلسه ولم يقف (وقال) حين سئل عن سبب ذلك (انى لم أجد موضعا أجلس فيه) لكثرة الناس (فكرهت ان آخذ) أى اسمع لاروى (حديث رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجي والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان مع مبالغته في تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه عمل أهل المدينة وان خالفه ويقول هذا لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا في ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فكنت سنة استخير الله تعالى في مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له أجلني ثلاثة أيام فاجله فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعي وألف كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها تاسع عشرين من جمادى الآخرة سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد أسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة في التعليل فذهب مالك ان عمل أهل المدينة بناء على انهم أخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف أصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوي اذا عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ أو توهم في نقله ورجع عنه بقوله ونظير هذا عمل أهل مكة في الطواف بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه بدعة واما قول الشافعي في حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه بانه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شان كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بالاشبه وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون

صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه وهكذا كان دأبه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل أهل المدينة فانه لشدة احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده هاهنا وقيل التعظيم شيء آخر لا مساس له هنا (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع) أي واضع جنبه على الارض والجملة حالية (فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت) أي كان أحب الي (انك لم تتعن) أي لم تتعب وتترك راحتك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) تعظيما للحديث وتادبا معه (وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده) أي في حال ضحكه (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة (وقال أبو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي متوضأ متطهرا (اجلالا له) أي للحديث (وحكى مالك ذلك) أي الحديث على وضوء (عن جعفر ابن محمد) الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وقد تقدم قريبا (وقال مصعب بن عبد الله) وهو الزبيري كما تقدم (كان مالك بن أنس اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا أراد ان يحدث عنه

الاصل هو الفعل الذي لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة وقد تكسر (فسأله) أي الرجل (عن حديث وهو) أي والحال ان ابن المسيب (مضطجع) أي واضع جنبه على الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف في جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى أي أحببت وتمنيت (انك لن تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون أي لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) جملة حالية (وروي) بصيغة المجهول أي نقل (عن محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسي وهو احد الاعلام يروي عن أبي هريرة وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطني وروايته عنه في الصحيح وقد تعقب الدارقطني النووي في شرح مسلم فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد في الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) أي مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) أي ظاهرا وباطنا (وقال أبو مصعب) هو أحمد بن أبي بكر بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول أبي خيثمة لابنه أحمد لا تكتب عن أبي مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) أي طهارة (اجلالا له) أي لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) أي مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم (وقال مصعب بن عبد الله) أي ابن مصعب بن ثابت الزبيري (كان مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اذا اراد تحديثه عنه

(وتوضا

(توضأ وتهيأ) أى بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) أى غير ثياب البذلة (ثم يحدث فقال مصعب فسئل) أى مالك (عن ذلك) أى عن سبب ما ذكرنا لك (فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى المقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله مطرف بن سليمان بن يسار أبو مصعب اليسارى المدنى مولى ميمونة الهلالية وهو ابن أخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخارى وأبو زرعة (كان اذا أتى الناس مالكا) أى وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) أى الخادمة أولا باذنه ليعلم من هو فيعامله بما يليق بشأنه من دخول أو خروج ونحوه (فتقول) أى الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) أى أتريدون (الحديث) أى نقل الاحاديث النبوية (أو المسائل) أى رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجى على ٤٠٥ ما لا يخفى عند ذوى الافهام (فان قالوا المسائل) أى نريدها (خرج اليهم) أى على هيئته من غير تغير فى حالته (وان قالوا الحديث) أى نطلبه (دخل مغتسله) أى موضع اغتساله (فاغتسل) أى غسلا كاملا أو توضأ وضوأ كاملا أو معناه فتطهر (وتطيب) الواو لمطلق الجمعية فلا ينافى كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة أو حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره أى طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة وفى القاموس هو الطيلسان الاخضر أو الاسود (وتعمم) أى لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة المجهول أى توضع (له منصة) بكسر ميم ويفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية وقيل المراد بها الكرسى (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) أى آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل أى الشأن والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة وروى يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره) أى غير مطرف (ولم يكن) أى مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن أبى أويس) وهو اسمعيل بن عبد الله بن أويس الاصبحى ابن أخت مالك بن أنس يروى عن خاله مالك وأبيه وجماعة وعنه الشيخان وعلى البغوى وطائفة قال أبو حاتم محله الصدق وضعفه النسائى

(توضأ وتهيأ ولبس ثيابه) للحديث باصلاح هيئته فى ثيابه وجلوسه (ثم يحدث) تعظيما لذلك (قال مصعب فسئل عن ذلك) أى عن الداعى له (فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة لانه وهو من بليغ المدح كما اذا قيل للشئ عظمت فلانا فيقول انه فلان ولا تزيد أى حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغنى عن بيان وجهه فلا حاجة لتقديره وجدير بالتعظيم كما قيل (وقال مطرف) بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن أخت الامام مالك توفى سنة عشرين ومائتين وترجمته فى الميزان (كان اذا أتى الناس مالكا) لطلب العلم وهو داخل منزله طلبوا خروجه لاقرائهم (خرجت اليهم الجارية) أى أرسل لهم جارية له فيه (فتقول لهم) لما تعلم من العادة (يقول لكم الشيخ) تعنى مالكا (تريدون الحديث) بتقدير اداة الاستفهام أى أتريدون قراءة الحديث وسماعه (أو المسائل) تعريفه للعهد أى مسائل الفقه (فان قالوا) نريد (المسائل) أى قراءتها (خرج اليهم) بسرعة من غير تهيؤ (وان قالوا) نريد (الحديث) أى قراءته (دخل مغتسله) أى موضعه المعد للغسل والطهارة فى بيته (واغتسل وتطيب) وتضمخ بما طابت رائحته (ولبس ثيابا جددا) بضم أوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر (ولبس ساجه) هو الطيلسان مطلقا أو الاخضر أو الاسود منه وهو شئ كالبرنس (وتعمم) أى وضع عمامته المعدة للتجمل على رأسه (ووضع على رأسه رداءه) على عادة أشراف العرب (وتلقى له منصة) فى محله المعد له لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شئ عال كالكرسى والسرير من نصصته اذا رفعته (فيخرج) من بيته للناس (ويجلس عليها وعليه الخشوع) أى السكينة والوقار (ولا يزال يبخر) بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل بمعنى يأمره (بالعود) الهندى المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به (حتى يفرغ من) قراءة (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم (قال غيره) أى غير مطرف (ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه (قال ابن أويس) هو اسمعيل بن عبد الله بن أويس بن أبى عامر وقيل اسمعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفى سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين فى رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن أخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة وأخرج له فى الصحيحين والسنن وضعفه النسائى لانه كان مغفلا كما قاله أبو حاتم وترجمته فى الميزان

(فقيل لمالك في ذلك) أي فسئل عن سبب ما فعله هنالك (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحدث) بالنصب والرفع (به) أي بحديثه عليه الصلاة والسلام (الا على طهارة) أي كاملة (متمكنا) أي على حالة فاضلة لا متكئا ومعتمدا على شقه مائلة (قال) أي ابن أبي أويس (وكان) أي خاله مالك (يكره أن يحدث) بكسر الدال المشددة أي يتكلم بالحديث النبوي (في الطريق) أي سائرا (وهو قائم أو مستعجل) خوفا من الخطأ أو الخلل ومن ثمة قيل (شعر)

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) أي مالك في تعليل ذلك (أحب ان أفهم) بالتشديد أي الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء أي أبو سنان الشيباني الكوفي يروي عن سعيد بن جبير وعنه شعبة ونحوه وكان من العباد والثقاة (كانوا) أي السلف (يكرهون أن يحدثوا) أي الحديث كما في نسخة (على غير وضوء) أي طهارة (ونحوه عن قتادة رضي الله تعالى عنه) أي وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤه الا على وضوء (وكان الاعمش) أي سليمان بن مهران (اذا حدث) أي أراد أن يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك) أي يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا في النسخ المصححة ووقع في أصل الدلجي ستة عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة ذا التاء انما تلحق في مثل هذا التركيب ثاني جزأيه (وهو) أي مالك (يتغير لونه) أي موضع من شدة الالم (ويصفر) أي وينحل الى صفرة من أثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي محافظة على الكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) أي مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) أي العامة (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب ست عشرة مرة وأنا صابر في جميع ذلك وانما صبرت) أي هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) قال الجوهري كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبي العقيق واد عليه مال من أموال أهل المدينة وهو على ثلاثة أميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان أحدهما عقيق المدينة عق عن حرتها أي قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الآخر أكبر من هذا وفيه بئر على مقربة منه

(فقيل لمالك في ذلك) أي سئل عن سبب ما كان يفعله من لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه (فقال أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بما فعلته (ولا أحدث به) أي بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا على طهارة) كاملة (متمكنا) أي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز لما فيه من عدم المبالاة بما حدث عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال وكان) مالك رحمه الله تعالى (يكره أن يحدث) أي ينقل الحديث وهو مار (في الطريق أو وهو قائم) على رجليه (أو مستعجل) أي على عجلة فيتأنى فان الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطئ فيما نقله (وقال) مالك (أحب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلذا تأنى في نقله ليكون أعون على فهمه (وقال ضرار بن مرة) أبو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة أخرج له أصحاب السنن (كانوا) أي السلف ومن لقيهم من التابعين (يكرهون أن يحدثوا) أي ينقلوا (الحديث) النبوي (على غير وضوء) وطهارة (ونحوه) روى (عن قتادة) بن النعمان وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا (وكان الاعمش) سليمان بن مهران (اذا أحب أن يحدث وهو على غير وضوء) ولم يتمكن منه (تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة) وباقي الكلام على ذلك آخر الفصل (وقال عبد الله بن المبارك) تقدمت ترجمته (كنت عند مالك) بن أنس (وهو يحدثنا) أي ينقل لنا الحديث (فلدغته عقرب) أي في حال قراءته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في رأس ذنبها فاذا ضربت به أحدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة ان اللدغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح ان داله مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله (ست عشرة مرة) كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء في جزئه الثاني كذا قيل وفيه نظر (وهو يتغير لونه ويصفر) عطف تفسير (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) احتراما له واجلالا (فلما فرغ من المجلس) أي أتم نقل الحديث (وتفرق عنه الناس) المستمعون له (قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا) أي أمرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحريكك (قال نعم) ما قلته صحيح (انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ لم يتحرك وينزعج وهو يحدث (وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق) وهو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا

وهو من بلاد مزينة وهو الذي أقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم أقطعه عمر الناس فعلى هذا يحمل
الـاقتان لا على الخلاف والعقيق الذي جاء فيه انك بواد مبارك هو الذي ببطن وادي ذي الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات
أهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها بمرحلة أو مرحلتين والظاهر انه ليس أراده وانما المراد وادٍ حذو من التي بالمدينة ولعله
الاول وفي بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولي التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرني) أي زجرني (وقال لي كنت في
عيني أجل) أي أعظم من ان تسأل (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله) أي مالكا (جرير
ابن عبد الحميد القاضي) أي الضبي روى عنه أحمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من سائل أو من جرير (فأمر) أي
مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) أي مالك (القاضي أحق من أدب) بصيغة المجهول أي هو أولى ليتأدبه
غيره أو ليتعلم الادب قال
الدلجي ودب كذا بالواو
والاصل الهمزة يعني
فابدلت الهمزة واوا كما في
وكدوا كدا انتهى لكن
لا أصل له هنا فان الودب
سوء الحال لا غير على ما في
القاموس زيادة على
الصحاح (وذكر) بصيغة
المفعول أي وحكى (ان
هشام بن الغازي) وفي
نسخة الغاز بلا ياء قال
الحلبي هذا هشام بن
الغاز بن ربيعة الجرشي
روى عن مكحول وعطاء
وقد توفي سنة ست
وخمسين ومائة فهو
معاصر لمالك وقد توفي
قبل مالك والله تعالى أعلم
بذلك وقال بعض
الفضلاء لا نعلم لهشام ابن
الغازي رواية عن مالك
رحمه الله تعالى وانما
الحكاية عن هشام بن
عمار الدمشقي ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجي في جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق
ثم قوله وأما ابن الغاز فتابعي لم يروِ عن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصر المالك وهو لا ينافي موته قبل
مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يرو عنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه أو غيره (سأل مالكا عن حديث وهو واقف) أي
قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه) أي حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) أي استمالة
لخاطره اليه وأما قول الدلجي اي خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع
ان للاستاذ تاديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفي نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال أي تمنيت وأحببت

موضع قريب من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه أهل المدينة (فسألته) وأنا ماش معه في الطريق
(عن حديث) من أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فانتهرني) أي زجرني والنهر الزجر
كما قال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر (وقال) بعد الزجر بالسكت ونحوه مو بخا لي (كنت في عيني) كناية
عن اعتقاده فيه الناشئ عن رؤيته (أجل من ان تسألني) فيه توسع معروف كأكثر من ان يحصى أي
أعظم من السائلين (عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي) جملة حالية (وسأله)
يعني الامام مالك رحمه الله تعالى (جرير بن عبد الحميد القاضي) الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات
الجليلة روى عنه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة
(عن حديث وهو قائم) الضمير لجرير ويجوز أن يكون لمالك رحمه الله تعالى (فأمر) مالك (بحبسه)
قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره وأجيب بان الولاة كانوا يمتثلون أمره فالمعنى أرسله للحاكم ليحبسه
فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويقضي فان كان أذن له في القضاء في
بعض الامور فهو على ظاهره (فقيل له انه قاض) لا يليق حبسه (فقال القاضي أحق من أدب) بالهمزة
المضمومة لا بالواو وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف أولى برعاية الادب فاذا تركوه
كانوا أحق بذلك من العوام (وذكر ان هشام بن الغازي) بغين وزاي معجمتين بزنة فاعل من الغزو وقالوا
وهذا ليس بصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولم يرو عنه والحكاية المذكورة
انما وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت
على الناسخ وصوابها القارئ بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن الغازي بن
ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي أسند رواية هذه القصة عن هشام بن عمار كما علمت (سأل مالكا
عن حديث وهو) أي هشام أو مالك (واقف فضربه عشرين سوطا) وهذا دليل على انه كان ماذونا له
في اجراء الاحكام على تلاميذه أو كان يعلم برضاهم بحكمه فهو محكم فيهم (ثم أشفق عليه) أي حصل
عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا بناء على انه يجوز ان يزاد التعزير على
عشرة أسواط في غير الحدود كما هو مذهب أبي حنيفة والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين
ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه اشفاقه عليه (فحدثه) أي أفاد مالك هشاما ما رواه له (عشرين
حديثا) تطييبا لخاطره (فقال هشام) بعد ذلك لاصحابه (وددت) أي أحببت يقال وددت كذا اذا رغبت

(لو زادني سياطا) أي كثيرة (ويزيدني حديثا) أي بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه أبو صالح الجهني كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخاري قال الفضل بن الشعراني ما رأيته الا يحدث أو يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطها لتأكيد لصوقها بالموصوف كما في قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل أي يستحسن (ان لا يقرأ) أي هو أو أحد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول

(أحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط في نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثاني على غيره وأما قول الدلجي أي يغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى أعلم بالحال والاظهر أن يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) أي اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم *(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم)* أي تعظيمه وتكريمه (وبره) أي ومن طاعته في أمره وزجره (بر آله) أي احسان أهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجي هنا ببني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) أي نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين وأولادهما من الائمة وغيرهم (وأمهات المؤمنين أزواجه) أي زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وأم حبيبة بنت أبي سفيان أخت معاوية وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيي كذا ذكره الدلجي وكان الاولى أن يقدم خديجة الكبرى أم فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة أي حث وحرض على برهم (عليه الصلاة والسلام) أي في أحاديث كثيرة

فيه وأحببته (لو زادني سياطا) أي ضربا بها (ويزيدني حديثا) بعدد زيادة ضربه ولو مصدرية أو شرطية جوابها مقدر (وقال عبد الله بن صالح) الجهني ويقال له الحربي العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة وأخرج له أصحاب السنن (كان مالك والليث) ابن سعد بن عبد الرحمن الفهري المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه انه كان أفقه من مالك الا ان أصحابه أضاعوه وهو من تبع التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك أخبرني من أرضى به من أهل العلم فهو الليث (لا يكتبان العلم الا وهما طاهران) أي على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها الا صفة والواو للالصاق كما قيل وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه لا الحديث (وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ أحاديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء) أي متوضئا تعظيما لحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يحدث) بتشديد الدال أي ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول ان يسمع من غيره حديثا (الا على طهارة) قيل المراد انه يغتسل بقرينة ما قبله (وكان الاعمش) سليمان بن مهران كما تقدم (اذا أراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة معترضة أو حالية (تيمم) ان لم يحضر عنده الماء بسهولة لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث أدب آخر ذكرها المحدثون كافتتاح أول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا يقوم من مجلسه لاحد من الناس

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم) أي تعظيمه وتبجيله (وبره) أي صلته ورعاية جنابه وللبر معان أخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (بر آله) تقدم ان في آله خلاف فقيل انهم ذو القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان أصله أول وقيل أهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم (وذريته) الذرية النسل من الاولاد وأولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفي اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول أحوالهم وقيل من ذرأ بالهمزة بمعنى خلق والتزم ابدالها ياء بعد النقل (وأمهات المؤمنين) فسره بقوله (أزواجه) صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى أو زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم أو انه حي ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن أمهات للمؤمنات أيضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه وأسماء أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورة في السير قدمناها أيضا (كما حض) أي حث وحرض بطلبه من كل أحد (عليه) أي على بر من ذكر (عليه الصلاة والسلام)

بما

(وسالكه) أى مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) أى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن القفاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما أمرهن بخلافها ولعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله وأهل بيته ولذا قال (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الرديئة (تطهيرا) أى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل وأراد باهل البيت نساء النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن أبى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين أقول ولا منع من الجمع ٤٠٩ وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود بان تخصيصهم بكونهم أهل البيت يكذبه ما قبل الآية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من أهله لان غيرهم ليس باهله (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لسنا أمهات النساء أرادت انهن انما كن أمهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن أمهاتهن لما جوز زواج بناتهن (أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من اصله) أى المروى عن مشايخه (ثنا) أى حدثنا (ابو الحسن المقرئ) بالهمزة فى آخره وقد يخفف أى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانه بفتح الفاء وسكون الراء فغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى أبى ثنا) اى قال ثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) اى ابن الجراح أحد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه أحمد ونحوه وقال احمد ما رأيت أوعى للعلم منه كان أحفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه أرجح من سفيان وقال أحمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع

بما روى عنه من الاحاديث وسيأتى بعضها (وسالكه السلف الصالح) من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء العاملين والتقدير سالك طريقه أو شبه برهم بطريق مسلوك فهو استعارة مكنية تخييلية ثم أيده بدليل من القرآن فقال (قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أصل معناه القذر الحسى ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد (أهل البيت) نصب على النداء والمدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح لاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية على ان أهل بيته ذريته وأزواجه كما اختاره ابن عطية فى تفسيره وهو أحد الاقوال فيه وقيل لهم أهل الكساء الآتى بيانهم على وفاطمة وابناهما لما روى فى الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرجل فادخلهم فيه ثم تلى الآية وقيل المراد زوجاته وتذكير الضمير يأباه ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام أحبه الله ورسوله ومن أحباه لزمنا محبته وبره وصلته (وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم) ان كانت شاهد التسمية أمهات فهو ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد ولزوم برها أمر معلوم مركوز فى الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن والحصر يقتضى ان اكرامهن أحق فى الامهات الحقيقية ثم أسند المصنف رحمه الله تعالى حديثا صحيحا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه فى غيره من السنن كمسلم والنسائى بسند أعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة ولانه أسلم من التدليس فقال (أخبرنا الشيخ أبو محمد) عبد الله (بن أحمد) التميمى (العدل من كتابه وكتبت من أصله) اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التى قرأ منها قال (حدثنا أبو الحسن المقرى الفرغانى) بفاء وغين معجمتين نسبة لفرغانة اسم بلدة قال (حدثتنى أم القاسم بنت الشيخ أبى بكر الخفاف قال حدثنى أبى قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل قال حدثنا يحيى هو الحمانى قال حدثنا وكيع) هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدى

(عن أبيه) أى الجراح بن مليح بن عدى الرواسى وثقه أبوداود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) أى الثورى يروى عن أبى وائل والشعبى وعنه ابناه سفيان ومبارك وأبوعوانة ثقة أخرج له الأئمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمى ثقة أخرج له مسلم وأبوداود والنسائى (عن زيد بن أرقم قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (أهل بيتى) بالنصب على نزع الخافض وفى نسخة طبق رواية أخرى فى أهل بيتى أى أسئلكم الله فى حق أهل بيتى بالاحسان اليهم والشفقة عليهم أو أقسم عليكم بالله أن تراعونى فى أهل بيتى (ثلاثا) أى قالها ثلاث مرات مبالغة فى الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن أرقم راوى الحديث لان

صاحب البيت أدرى بمافيه (من أهل بيته) أى من المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على وآل جعفر وآل عقيل) وهم أولاد أبى طالب (وآل عباس) وفى نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم من يرجع اليهم فى النسب مآلهم وقد يفخم الآل كما فى قوله تعالى آل موسى وآل هرون تفخيما لشانهما ثم اعلم ان هذا الحديث فى مسلم أخرجه فى الفضائل وأخرجه النسائى فى المناقب ولو أخرجه القاضى من مسلم لوقع له أعلى من الطريق الذى ساقه وكذا لو أخرجه من النسائى الا انه أراد التنوع فى الروايات لان من شان الحفاظ ان الحديث اذا كان فى الكتب الستة أو أحدها يخرجونه من غيرها لكن فى الغالب انما يصنعون هذا طلبا للعلو أو الزيادة فيه أو تصريح مدلس بالسماع أو الاخبار أو التحديث أو الكون الطريق أسلم أو لغير ذلك مما هو معروف عند أربابه والله أعلم

(وقال عليه الصلاة والسلام) أى فيما رواه الترمذى عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم ما) أى شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان أخذتم به) أو موصولة والشرطية صلتها أى ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) أى عن الحق بعده أبدا (كتاب الله وعترتى أهل بيتى) تفصيل بعد الاجمال وقع بدلا أو بيانا (فانظروا) أى فتأملوا وتفكروا (كيف تخلفونى) بتخفيف النون وتشدد أى كيف تعقبونى (فيهما) أى فى حقهما ووقع فى أصل الدلجى كتاب الله وعترتى بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته أخص قرابته وقيل المراد علماء أمته فالتمسك بالقرآن التعلق بامره ونهيه واعتقاد جميع مافيه وحقيقته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم

الروابيلى أحد الاعلام المشهورين توفى سنة سبع وتسعين ومائة أخرج له الأئمة الستة (عن أبيه) الجراح (عن سعيد بن مسروق) الثورى الثقة توفى سنة ست وعشرين ومائة وأخرج له الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمى الثقة (عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله) أى أسألكم بالله وأقسم عليكم به يقال أنشدك الله وبالله أى أذكرك به ثم استعمل فى القسم وصار حقيقة فيه وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام (وأهل بيتى) معطوف على الله أى وأذكركم أهل بيتى فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لى وقيل انه منصوب بنزع الخافض أى فى أهل بيتى كما روى فى هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزى ومن تبعه هنا انه فى أهل بيتى (ثلاثا) كرره للاهتمام به والتشديد فى رعايتهم (قلنا لزيد) بن أرقم راوى الحديث لما ذكره وما فى بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب (من أهل بيته) أى ما المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على) بن أبى طالب وهم أولاده وأهل بيته من أقاربه الادنون (وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس) وهم من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم فى فضائل آل البيت فى خطبة خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع فى آخر عمره وقال فيها أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيبه وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وأهل بيتى وفيه ماذكره المصنف رحمه الله تعالى من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذى فهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هنا لانه علم بالوحى مايكون بعده فى أمر الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وماقيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو أحد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن زيد بن أرقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم) اشارة الى قرب أجله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه وصية لامته (ما ان أخذتم به) أى تمسكتم وعلمتم به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة أو موصولة وصلته (ان تضلوا) بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم (كتاب الله) بدل مفسر له (وعترتى) بمثناة فوقية ومعناه (أهل بيتى) السابق بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروى لم تضلوا وماقيل ان قوله أخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الآية على دخول أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا (فانظروا كيف تخلفونى فيهما) أى بعد وفاتى انظروا فى عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتى ورعايتهم

(وقال عليه الصلاة والسلام) لا يعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) أى من ألم حرها وسقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم صك المسافر برخصة المرور والعبور أى سبب سهولة مجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو أى النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة أيضا كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر فقول الدلجى واما بكسرها فن الولاية بمعنى الملك ليس فى محله مع ان الولاية قد تاتى بمعنى تولى الامر وضد التبرى وبمعنى المحبة ومنه ماورد اللهم وال من والاهم (وقال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم) أى مكانتهم وقرب شانهم (من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نسبا وحسبا (فاذا) وفى نسخة واذا (عرفهم بذلك) أى بما ذكر قربة ورتبة (عرف وجوب حقهم) فى التكريم (وحرمتهم) فى التعظيم (بسببه) أى بسبب نسبة النبى الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن أبى سلمة) كما رواه الترمذى وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن أخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه أبى لهب ولد بالحبشة (لما نزلت) أى هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك) أى نزولها كان (فى بيت أم سلمة) أى زوجته عليه الصلاة والسلام الراوى وهى آخر امهات المؤمنين موتا توفيت فى امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما أى غطاهم به قدام وجهه (وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد ابن أبى وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) أى الملاعنة مفاعلة من البهلة وهى اللعنة فاذا اختلف قوم فى شئ اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل أى نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين

وبرهم بعدى فان ما يسرهم يسرنى وما يسوؤهم يسوؤنى (وقال عليه الصلاة والسلام) فى حديث لم يخرجوه (معرفة آل محمد براءة من النار) أى معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تدل على خلوص محبته اياه وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وحب آل محمد جواز على الصراط) أى مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فان المرء مع من أحب ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تعسف تعسفا غريبا (والولاية) بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد بمعناها وان اشتهرت فى الملك والحكومة أى الموالاة بالنصرة والمودة (لآل محمد أمان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم) أى معرفة الآل المذكورة (هى معرفة مكانهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد بالمكان المنزلة المعنوية وهى قرب نسبهم ومراتبهم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا علق به قوله منه (واذا عرفهم بذلك) أى بسبب علوم اتبهم اقربهم منه (عرف وجوب حقهم وحرمتهم) أى احترامهم واكرامهم (بسببه) صلى الله تعالى عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمن أحبهم لحبه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودى الذى صنفه فى فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا (وعن عمر بن أبى سلمة) فى حديث رواه الترمذى وابن أبى سلمة هو الصحابى المخزومى ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن أخيه من الرضاع ترجمته مشهورة (لما نزلت) آية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية) وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا (وذلك) أى نزولها كان (فى بيت أم سلمة) أم المؤمنين رضى الله عنها (دعا) جواب لما أى طلب صلى الله عليه وسلم ونادى (فاطمة) الزهراء رضى الله عنها (وحسنا وحسينا) سبطاه وريحانتاه رضى الله تعالى عنهما (فجللهم) أى غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس (بكساء) وهو مرط من شعر كما ورد فى رواية أخرى (وعلى) كرم الله وجهه (خلف ظهره) صلى الله تعالى عليه وسلم داخل الكساء أيضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء (ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى) ليس المراد الحصر أو هو مراد لارادته أقرب الناس الى نسبا (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) أى جنبهم الآثام والمعاصى وما يشينهم ولذا سموا أهل الكساء وادخالهم فى الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم تفاؤلا بذلك كما حول صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه فى الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هى فيه وذلك سبب الدعاء وانما دعا لهم بما ذكر بعدما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا أو تنويها بقدرهم ليعلم الناس به أو المراد دوام ذلك وثباته وزيادته (وعن سعد بن أبى وقاص) فى حديث رواه مسلم فى صحيحه (لما نزلت آية المباهلة) تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهى اللعنة أى الملاعنة وهى ان يقول كل من المتخاصمين فى المجادلة لعنة الله على الظالم منا والآية هى قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الى آخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم نصارى نجران

(دعا) جواب لما أى طلب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء أهلى) أى الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كما مر (فى على) أى فى حقه (من كنت مولاه) أى وليه وناصره (فعلى مولاه) أى يدفع عنه ما يكره قال الشافعى رحمه الله تعالى يعنى به ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون لما روى انها نزلت فى على كرم الله تعالى وجهه وانما أتى بصيغة الجمع لتعظيمه أو المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

هذا وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال أبو العباس ومعناه من أحبنى وتولانى فليتوله وقال الحافظ أبو موسى أى من كنت أتولاه فعلى يتولاه قيل وكان سببه ان أسامة بن زيد قال لعلى لست مولى انما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام الحديث (وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما روى أحمد عن أبى أيوب الانصارى انه عليه الصلاة والسلام قال فى على من كنت مولاه فعلى مولاه (اللهم وال من والاه) أى أحب من أحبه وراعاه (وعاد من عاداه) أى ابغض من أبغضه وما ارضاه قال فى الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال) كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) أى كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق) أى ناقص الايقان وقد روى عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على رضى الله تعالى عنه قال عهد الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد فى بعض احاديث النظر الى وجه على عبادة (وقال للعباس رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) أى على وجه الاحسان (حتى يحبكم الله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن آذى عمى) أى العباس (فقد آذانى) أى فكأنه آذانى (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم أى مثله فى ان أصلهما واحد فهو كالعلة لكون حكمهما فى الايذاء سواء وأصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق

المثل

وذعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة فى كتب التفسير والسير (دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب لما أى احضر عنده (عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضى الله عنهم) لانهم كانوا فى المباهلة يحضرون أولادهم وأهلهم ويدعون بوقوع العقاب على الكاذب وأهله جميعا ولذا قال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهلى) واقربائى فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبى وانه ما باهل نبى قوما الا واهلكهم الله تعالى ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا مسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادى نارا وحكم المباهلة باق الى الآن وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك من باهله (وقال صلى الله عليه وسلم) فى حديث تقدم (فى على) بن أبى طالب أى فى حقه وشانه وسبب قوله هذا ان أسامة قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هذا فى سفره وهو عند غدير هم وقد خطب الناس فقال (من كنت مولاه) أى لى عليه ولاء وحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والمعمر الى غير ذلك من المعانى وقال الشافعى رحمه الله تعالى المراد ولاء الاسلام وقوله (فعلى مولاه) أى سيده وناصره واستدل به على الولاء بعض الفقهاء وغيرهم يقول المراد بره وصلته وهو الموافق لسياق المصنف رحمه الله واستدل به بعض الشيعة على تقدم على كرم الله تعالى وجهه على غيره فى الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من معانى المولى وانما المراد من أحبنى يحبه لقوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) أى من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز ومشاكلة (وقال فيه) أى فى حق على كرم الله وجهه كما فى مسلم (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق) لان من أحب أصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك ففى قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه وتهديده والمبالغة فى النهى عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا ومثله فى الخطابيات كثير (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للعباس) بن عبد المطلب عمه فى حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجة (والذى نفسى) أى روحى وما به حياتى (بيده) أى فى قبضة تصرفه لانه المحيى والمميت وهو قول للتأكيد والتحقيق (لا يدخل قلب رجل الايمان) أى لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففى الدخول استعارة ظاهرة (حتى يحبكم) يعنى آله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرباءه فجعل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم (لله ورسوله) أى محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والرياء فانما هى لمحبة الله ورسوله ورضاهما (ومن آذى عمى) بشئ يؤذيه (فقد آذانى) الا من يؤذى آل بيتى يؤذينى (وانما عم الرجل صنو أبيه) الصنو بكسر الصاد المهملة وضمها وهنا بمعنى

(وقال للعباس) كما روى البيهقي عن أبي أسيد الساعدي (أغد) بضم همزة وصل وضم الدال أمر من غدا يغدو أي ائتني غدوة وهي
أول النهار (مع ولدك) بفتحتين وبضم فسكون أي أولادك من ذكور وإناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) أي غدوة عليه (وجللهم)
بالجيم وتشديد اللام الاولى أي غطاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم أوله وتخفيف اللام والمد أي
ريطته أو كسائه (وقال اللهم هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء) أي أولاده (أهل بيتي فاسترهم من النار) أي في دار القرار (كستري اياهم) في هذه الدار (فأمنت) بتشديد الميم أي قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء أي عتبته (وحوائط البيت) أي جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) أي مكررا وهو مقول على وجه التاكيد أو من طريق التجريد وهو بالمد أشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبني على الفتح معناه استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين أي طابعه على العباد فكأنه خاتم الكتاب يصونه من الفساد (وكان) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما في البخاري عن اسامة وغيره (يأخذ بيد اسامة ابن زيد) أي ابن حارثة مولاه (والحسن) أي وبيد الحسن بن علي
رضي الله تعالى عنهما (ويقول اللهم اني أحبهما فاحبهما وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف أي راعوه
واحترموه (في أهل بيته وقال) أي الصديق (أيضا) كما في الصحيحين (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
أحب الي ان أصل) أي صلتهم

المثل أي في المعنى أبوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه وأصل معناه نخلتان فاكثر يخرج من أصل
واحد فاستعير للاخ ولما ذكر أي كأنه أبي يجب علي بره وكذا على غيري وروي العباس صنوي أي مثلي
في النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له ما أغضبك قال
يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى (وقال صلى الله
عليه وسلم للعباس) أيضا في حديث رواه البيهقي (اغد علي يا عم) أي ائتني يقال غدا عليه اذا أتى وأصل
معناه المجيء في وقت الغداة فاستعمل في مطلق المجيء (مع ولدك) أي مع أولادك وكان له رضي الله تعالى
عنه اذا ركب عدة أولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من
الذكور والاناث وأشهرهم عبد الله وهو الحبر وترجمان القرآن وأبو الخلفاء (فجمعهم) أي فجمع
العباس رضي الله تعالى عنه أولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفاء وان الذي جمعهم من أولاده سبعة (وجللهم) أي
غطاهم وسترهم وألبسهم (بملاءته) بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء أو ملحفة وقد يخص بما يكون
من ثوبين (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي وأهله فيما تقدم (وهذا عمي
وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي) أي من أقربائي (فاسترهم من النار كستري اياهم) اشارة الى وجه ادخاله
في ملاءته كما تقدم (فأمنت) بتشديد الميم أي قالت بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعائه هذا
(اسكفة الباب) بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء بزنة طرطبة ويقال
أسكوفة فابدل أحد حرفي التضعيف واوا وتخفيف فائه أيضا وفسر بالعتبة التي في أسفل الباب وتطلق
على ما يقابلها من اعلاه أيضا (وحوائطه) جمع حائط وهو معروف (آمين آمين) بالمد ويقصر ويشدد
وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مفعول آمنت لانه تضمن معنى قالت أو
مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة لاهل البيت (وكان) صلى الله
تعالى عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري (يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن) أي يمسكهما بيده
وسقط لفظ بيد من بعض النسخ فالمعنى يضمهما اليه (ويقول) داعيا لهما (اللهم اني أحبهما فاحبهما)
بالادغام ويجوز فكه فيقال أحببهما والام للدعاء ودعا بذلك لعلمه بان من أحبه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول بان أحبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار
غايته ورد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وحبه (وقال أبو بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه (ارقبوا محمدا) ارقب وراقب من المراقبة وهي ادامة
النظر في مقابلة شيء ثم أريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا أي حقه عليكم (في أهل بيته) أي
في رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته (وقال) أبو بكر رضي الله عنه
(أيضا) أي كلمته المذكورة فيما رواه الشيخان عنه (و) الله (الذي نفسي) أي روحي وحياتي
(بيده) بقبضة تصرفه (لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهي مصدر صارت
اسم جمع لقريب النسب (أحب الي ان أصل) أي صلتهم بدل اشتمال من قرابة

وحسين وأباهما) أى وأحب أباهما عليا المرتضى (وأمهما) فاطمة الزهراء (كان معى) أى مشاركالى (فى درجتى) أى جوارى (يوم القيامة) لان من أحب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله) رواه الترمذى وحسنه عن سهل ابن أبى وقاص بلفظ من يرد هوان قريش أهانه الله لانهم أفضل بنى آدم اجمالا وهم ولد النضر ابن كنانة من بنى اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل ابن أبى خيثمة (قدموا قريشا) أى فى الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التائين (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (لام سلمة لا تؤذينى فى عائشة) أى لفضلها نسبا وحسبا وروى ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة

(من قرابتى) فيه مضاف مقدر أى من صلة قرابتى قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا لما أرسلت اليه فاطمة الزهراء رضى الله عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه قرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نورث ليس لآل محمد ان يزيدوا على المأكل لا أغير شيأ كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه ابن ماجة والترمذى وحسنه (أحب الله من أحب حسنا) دعاء أو خبر فحب حسن حسن وبغضه قبيح وروى حسينا (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم (من أحبنى وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما) عليا رضى الله عنهم وهو معطوف على هذين (وأمهما) فاطمة الزهراء رضى الله عنها (كان معى فى درجتى) بدل من معى أى فى منزلتى ورتبتى فى الجنة (يوم القيامة) ان كان على ظاهره وانه معه فى المحشر فهو كناية عن سلامة من هوله فان أريد به الآخرة مطلقا فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله تعالى عليه وسلم فى درجته أحد كقوله المرء مع من أحب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من أهان قريشا أهانه الله) لانهم أكرم الناس فى الجاهلية فكانوا سادة العرب لهم الرياسة والرفادة وفى الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب أو التجمع لاجتماعهم فى الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة فى البحر لا تطاق كما قيل

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه البزار عن على وابن أبى شيبة عن سهل (قدموا قريشا) فى كل أمر من الامور لا سيما فى الامارة والخلافة واقتدوا بآثرهم (ولا تقدموها) نهى عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة وأصله تتقدموا بتائين حذفت احداهما تخفيفا (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لام سلمة) فى حديث رواه البخارى (لا تؤذينى فى عائشة) رضى الله تعالى عنها وسببه انه قيل لام سلمة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولى له صلى الله تعالى عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا له حيث كان أو حيث يرى فذكرت ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان فى الثالثة قال لها يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه ما نزل على الوحى وانا فى لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله تعالى عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضى الله تعالى عنها على سائر أمهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكى الذى ندين الله به ان فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الرأى فى هذا التوقف لتقابل أحاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحى بلحافها وجهه انها كانت تبالغ فى التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظها الاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشئ واحد رضى الله عنها (وعن عقبة بن الحارث) فى حديث رواه البخارى عنه (رأيت أبا بكر) الصديق

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبى عليه الصلاة والسلام كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نسائه عليه الصلاة والسلام فكلم حزب أم سلمة ان كلمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من أراد أن يهدى الى النبى عليه الصلاة والسلام فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحديث فى المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما فى البخارى (رأيت أبا بكر) أى الصديق رضى

(رضى الله تعالى عنه وجعل الحسن على عنقه) جملة حالية (وهو) أى أبو بكر (يقول بابى) أى أفديه بابى (شبيه بالنبى) أى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس شبيها بعلى) أى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) أى فرحا بقول الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق ومن كان شبيها به عليه الصلاة والسلام من آله جعفر بن أبى طالب وقثم بن العباس والسائب ابن يزيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب جد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من أهل البصرة يقال له كابس من ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس اذا رآه بكى وسيأتى قريبا ذكر كابس فى أصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتاهم بعد ما أخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثلاثة ثم قال ائتونى بنى أخى فجىء بنا كأننا أفراخ فقال ادعوا الى الحلاق فأمره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبه خلقى وخلقى ثم أخذ بيدى فأشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت أمنا فذكرت يتمنا فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه

رضى الله عنه (و) قد (جعل الحسن على عنقه) أى حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز (وهو يقول) الجملتان حاليتان أى حاملا وقائلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم (بابى شبيه بالنبى) أى أفدى بابى من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده (ليس شبيها بعلى) أى ليس شبيها بابيه رضى الله تعالى عنه شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والباء متعلقة بافدى فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهى عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم وأجيب بانه قبل النهى عنه وهو بعيد والظاهر ان النهى عن القسم الحقيقى لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله فى غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما أرادا ويقال تأتى وأبى لى وبابا أى الرجل اذا قال بابى (وعلى يضحك) من فعل أبى بكر رضى الله تعالى عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل أحد يشابه أباه * ومن يشابه أبه فما ظلم * ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لذا سماه صلى الله تعالى عليه وسلم ابنا له وجعل نسبه منه وهى خاصية لحكمة ربانية وقد روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابى شبيه بالنبى الخ فيحتمل التوارد وان أبا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع فى البخارى ليس شبيه بعلى بالرفع فقال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم يقول هو اسمها والخبر محذوف أى ليس الشبيه غيره وقد يؤول بغير ذلك وهذا لا ينافى ما فى الشمائل لم أر قبله ولا بعده مثله لان المنفى المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل أخص من الشبيه ولا ينتفى الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان أعلاه أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين أسفله وجعفر بن أبى طالب وقثم بن عباس والسائب بن يزيد أحد أجداد الشافعى وأبو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الآتى فى كلام المصنف مع ضبطه وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب وابنه القاسم رضى الله تعالى عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبى سفيان والحسن

وقال أبو محمد الآمدى وزاد اثنين وقيل انه للعراقى رحمه الله تعالى

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما * لهم بذلك قدر قدره ذكى ونما
سبطا النبى أبو سفيان سائبهم * وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد أشبه المصطفى الهادى ثمانية * من صحبه فعلا فى الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدى الحسن فقال

قد أشبه المصطفى المختار من مضر * جماعة عدهم يربو على العشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم * وجعفر وابنه هم سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم * وسبط نجل عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذا كثير بلغوا العشرين فى بعضها كلام وطعن ونظمها نظما متكلفا ولذا لم نتعرض له فتابعهم ابن الشحنة فى نظمه خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثانى وزيد بن عبد الله ابن الحارث الملقب ميه وتقدمات فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله تعالى

بنصفه الاعلى والحسين بنصفه الاسفل ولعل هذا هو السر فى ان أكثر الذرية من الحسين رضى الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) أى ابن حسن كما فى نسخة وهو ابن على بن طالب يروى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علية أخرج له أصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس وأربعين ومائة (قال أتيت عمر بن عبد العزيز) أى ابن مروان بن الحكم (فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل لى) أى أحدا (واكتب) أى لى كتابا واذكر حاجتك ويروى أو اكتب الى (فانى أستحيى من الله ان يراك) وفى نسخة ان أراك (على بابى وعن الشعبى) فيما رواه الحاكم وصححه البيهقى وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) أى الانصارى (على جنازة أمه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله فقال) أى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفى نسخة هكذا أمرنا ان نفعل (بالعلماء) أى اكراما واحتراما (فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا) بصيغة المفعول أى أمرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد ابن أسامة) أى ابن زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ليت هذا عبدى) بفتح أوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهى كما فى المطالع رواية البيهقى ورواية الكافة بكسر أوله وسكون النون والاول أوجه انتهى وقال المزى بالنون هو المشهور وقال الحجازى وهو الصحيح فى الشفاء قيل وكذا فى البخارى الذى سمع على العراقى بالقلم (فقيل له) أى لابن عمر رضى الله تعالى عنهما (هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى أطرقه (ونقر بيده الارض) أى حياء مما صدر عنه (وقال) أى ابن عمر فى حقه (لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه) أى كحبه أباه اسامة (وقال الاوزاعى)

عليه وسلم قال انه أشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل أيضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم على بن بحاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن على ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوى ومنهم كما قيل المهدى الذى يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تسمحوا فى وجه الشبه فى الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد أعطى صلى الله عليه وسلم الحسن كله وأعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(و) روى (عن عبد الله بن حسن بن حسين) بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من ثقاة آل البيت وفضلائهم وله ترجمة وأخرج له أصحاب السنن (قال أتيت عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى أو اكتب لى) كتابا تعلمنى فيه بحاجتك (فانى أستحيى من الله تعالى ان يراك) واقفا (على بابى) كما هو المعتاد لمن أتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله (وعن الشعبى) عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقى وصححه (قال صلى زيد بن ثابت) بن قيس بن شماس الانصارى الصحابى المشهور رضى الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكاتب (على جنازة أمه) أى أم زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت أو التابوت وأمه هى النوار بنت مالك بن معاوية بن عدى بن عامر الانصارية (ثم قربت له بغلته ليركبها) فلما ركبها (جاء ابن عباس رضى الله عنهما فاخذ بركابه) أى أمسكه ليركب أو مشى معه ماسكا ركابه (فقال زيد) لابن عباس (خل عنه) أى دع الركاب وتباعد عنه (يا ابن عم رسول الله) يعنى انه لا يليق مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل أحد (فقال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مجيبا له (هكذا نفعل بالعلماء) أى مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا (فقبل زيد يد ابن عباس) تعظيما له وجزاء لاكرامه (فقال هكذا أمرنا ان نفعل بآل بيت نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الصحابى أمرنا كما بين فى مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبتهم (ورأى) عبد الله (ابن عمر) بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما أحد العبادلة المشهور (محمد بن اسامة بن زيد) بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث فى صحيح البخارى (فقال ليت هذا عندى) بكسر العين وسكون النون أو بفتحها والباء الموحدة الساكنة وروى بالوجهين والذى رجحوه الاول وهكذا ضبطه الحافظ العراقى وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن عرفه حين رآه (فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) أى خفضها وأطرق حياء لما عرفه (ونقر بيده الارض) وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه (وقال لو رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) كما كان يحب أباه أسامة وانما فعل ذلك وقال ذلك تعظيما لموالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاوزاعى) الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذى كان عليه أهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع

كما حكى ابن عساكر فى تاريخ دمشق (دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ومولاه واسمها فاطمة (على عمر بن عبد العزيز) أى حين كان أمير المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان أو فى أيام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) أى يقودها لكبرها وضعف بصرها (فقام لها عمر) أى ابن عبد العزيز (ومشى اليها) أى خطوات (حتى جعل يديها) وفى نسخة يدها (بين يديه ويداه فى ثيابه) أى تادبا معها (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذى نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن صاحبه وبكسرها المحل الذى يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذى يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة فى السجود (وجلس بين يديها) أى متوجها اليها (وماترك لها حاجة الاقضاها) لكونها بنت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) أى فى ديوان الارزاق على مارواه الترمذى وحسنه (لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف) أى من الدراهم (ولاسامة فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) أى زيادة على ما فرض لابنه مع ان كليهما صحابى ابن صحابى وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على أحد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب فى المناقب على عدد الرؤس كما فى زمن الصديق رضى الله تعالى عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) اى أسامة على بما فضلته (والله ماسبقنى) أى أسامة (الى مشهد) أى من المشاهد (فقال) أى عمر (له) أى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) قاله تواضعا والا فهو كان أحب اليه من زيد لما فى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله اى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان أحب الموالى اليه وفاطمة أحب بناته وعليا احب أقاربه فلا تعارض (وأسامة أحب اليه منك) أى من حيثية كونه ابن مولاه (فا ثرت) أى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

للاوزاع بطن من حمير أوهمدان أو قريه وقد تقدم (دخلت بنت اسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر (صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالجر صفة أسامة أو زيد فان كلا منهما صحابى مشهور (على عمر بن عبد العزيز) وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو أمير بالمدينة قبل خلافته فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر فى تاريخه وان أسامة توفى بقرية له بوادى القرى وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى أن ولى عمر بن عبد العزيز (فاتته ومعها مولى لها) أى عبد (يمسك بيدها) لكبرها وضعف بصرها (ف) لما رآها عمر (قام لها ومشى اليها) تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى جعل يدها بين يديه) بان أمسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها (ويداه فى ثيابه) أى مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدن أجنبية لتقواه (ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه) أى على فراشه الذى كان جالسا عليه (وجلس بين يديها) كما يفعله الصغير مع الكبير تأدبا منه واكراما وتعظيما (وماترك لها حاجة) ذكرتها له (الاقضاها) ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يافاطمة قالت تحملنى الى أخى فجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله تعالى الى الخلفاء الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضاء الحوائج للناس والتواضع لهم (ولما فرض عمر) بن الخطاب رضى الله عنه فى ديوانه الذى رتب فيه الوظائف للناس وهذا مما رواه الترمذى وحسنه فلما عين من بيت المال لهم فرض (لابنه عبد الله) وظيفة (فى ثلاثة آلاف) أى فى الطبقة التى واحدهم ثلاثة آلاف فى السنة (و) فرض (لاسامة بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) فجعل وظيفته من بيت المال فى رتبة أعلى من ابنه عبد الله (قال) جواب لما (عبد الله) ابنه (لابيه) عمر رضى الله تعالى عنهما (لم فضلته) على بزيادة عطائه (فوالله ماسبقنى الى مشهد) أى محل شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التى ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها (فقال) عمر (له) أى لابنه مجيبا له (لان زيدا) أباه (كان أحب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أبيك) يعنى نفسه (وأسامة أحب اليه منك) فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه لك وهى أمر يقتضى التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه لخدمته لموالى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو أحب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يارسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر ولك أن تقول الاحبية تختلف فاسامة رضى الله تعالى عنه أحبيته لكونه من خدمته المقربون له فلا ينافى كون عمر أحب اليه من غير ذلك الوجه فا ثر القرب منه على غيره ثم ان ماذكره من الفرض المذكور يخالفه مافى الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة آلاف ولابنه ثلاثة آلاف لكنه لا ينافى المقصود من القصة وهذا كله من الغنائم كما فصلوه (فا ثرت) أى اخترت وقدمت (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم على حبى) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز أن تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبي الحديث في البخاري في الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين أربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من أربعة آلاف قال انما هاجر به أبواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل ما نقله القاضي كان أولا وما في الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لا مانع من الجمع في وقت واحد أيضا ثم قال وقوله هاجر به أبواه فيه نظر لان أمه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر وأجيب بان المراد بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) أي ابن أبي سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس ابن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في الصورة فوجه معاوية (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) أي بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) أي ما بينهما (وأقطعه المرغب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فمعجمة فموحدة موضع أي جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين أي لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله تعالى) وهو ابن أنس صاحب المذهب (لما ضربه جعفر بن سليمان) أي ابن علي بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم أبي جعفر المنصور بقوله بعضهم له انه لا يرى الايمان لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) أي من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلع كتفه أو أزيلت منه (وقيل (وحمل) الى بيته (مغشيا) أي عليه كما في نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) أي من غشيته (فقال) وفي نسخة وقال أي لمن في حضرته (أشهد كم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ويروى صاحبي (في حل) أي في براءة من ضربه اياي (فسئل) أي مالك (بعد ذلك) أي بعد جعله في حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له في ذلك (فقال خفت أن أموت فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه أن يدخل بعض آله) أي من أن يدخل بعض أقاربه من بني عمه (النار بسببي

وسلم على حبي) بضم الحاء فيهما أي محبته أو بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي (وبلغ معاوية) ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما فيما رواه ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) بن مالك ابن لؤي السامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وباء موحدة بعد ألف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صحح في نسخة العز في تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه (يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنوع من الشبه وأين الثرى والثريا (فلما دخل عليه من باب الدار) الفاء دالة على مقدر أي وجه له من أحضره فلما دخل باب داره (قام عن سريره) فمشى له (وتلقاه وقبل بين عينيه) تبركا بما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أنس بن مالك اذا رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وأقطعه المرغاب) اسم أرض بمرو الشاهجان أو قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة وألف وباء موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع أن يفوض اليه أرضا بتمليك ونحوه ويسوغ لمن هو أهل له وفي شرح أحكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله أهل اللغة كأبي عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو الشاهجان وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله (لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بما قبله جميعه أي كل ما فعله معاوية رضي الله تعالى عنه من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول أو منصوب منون تميز للنسبة (وروى ان مالكا) هو ابن أنس الامام المعروف (لما ضربه جعفر بن سليمان) بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور (ونال منه ما نال) من تجريده من ثيابه واهانته وسببه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه (وحمل) لمنزله (مغشيا عليه) من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) من غشيته (فقال أشهدكم اني جعلت ضاربي) أي الآمر بضربي ومن باشره (في حل) بكسر الحاء يقال هو في حل من كذا اذا برأ ذمته من عهدته (فسئل بعد ذلك) عن وجه ما قاله واسقاط حقه (فقال اني خفت ان أموت) مما فعله بي (فالقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في الدار الآخرة (فاستحيي منه) لما يلحقني من الخجل منه خوفا (ان يدخل بعض آله) من اقربائه (النار بسببي) جزاء له على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه واذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا قال حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضاء الله له وغيره أمر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي في قوله

مانال مني أو علقت بذمته * ابرأته لله شاكر منته * والله ما طالبت عبدا بعده
ولئن طلبت رجوت واسع رحمته * أأرى معوق مؤمن يوم الجزى * أو ان أسوء محمدا في أمته

(وقيل ان المنصور) الخليفة العباسي المشهور (أقاده من جعفر) أي امران يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضرب به وسيأتي كلام في قصاص الضرب (فقال اعوذ بالله) والتجئ اليه في الاعانة على عدم ما اريدوه وعبارة في العرف عن عدم الرضاء (والله ما ارتفع سوط عن جسمي) في حال الضرب (الا وقد جعلته في حل) وابرأت ذمته منه (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) تكريما له لتعظيمه ومحبته (وقال أبو بكر بن عياش) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وآخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقرى احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفى سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى وعمره ستة وتسعون سنة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلى) في حاجة اقدر عليها (لبدأت بحاجة على قبلهما) وقدمته عليهما وهما ماهما ايثارا عليهما (لقرابته) وفي نسخة لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي وقربهما منه لا يمنعه (ولان أخر من السماء الى الارض) هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده أشد عنده من انه يرفع الى السماء ويرمى به منها الى الارض فتنقطع وتتكسر جميع اعضائه وخر بمعنى سقط (أحب الى من ان اقدمه عليهما) يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بافضليتهما عليه وانما قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

* ولاجل عين ألف عين تكرم * في الكلام تقدم كما أشرنا اليه (وقيل لابن عباس) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة) كناية عن امرأة معينة كما بينه بقوله (لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم) ولم يعينوها وقيل هي ميمونة وقيل هي زينب (فسجد فقيل له أتسجد في هذه الساعة) أي في مثل هذه الساعة التي أخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه (فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم آية فاسجدوا) أي امرا عظيما فيه عبرة كالكسوف والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم موتا وفي انقراضهن يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على أهلها وفي السجود والصلاة تذلل يرفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف والزلزلة (وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وغلق بابه فانه أمر عظيم يورث حزنا واسفا (وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن

وقيل ان المنصور (اقاده من جعفر) أي طلب ان يقتص له منه ويقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له) أي مالك (اعوذ بالله) أي من ذلك (والله ما ارتفع منها) أي من اسواطه (سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك في علو ورفعة بعد ذلك (وقال أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة وابن سالم الاسدي الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف في اسمه على احد عشر قولا وصحح أبو زرعة ان اسمه شعبة ووافقه الشاطبي وصحح ابن الصلاح والمزي ان اسمه كنيته يروى عن حبيب ابن أبي ثابت وعاصم وابي اسحق وعنه أحمد وعلى واسحق وابن معين والعطاردي قال أحمد صدوق ثقة ربما غلط وقال أبو حاتم هو وشريك في الحفظ سواء وفي الميزان اثنان غيره يقال لكل منهما أبو بكر بن عياش قال لا اعلم كي مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخاري والاربعة (لو اتاني أبو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما) أي قبل الشيخين (لقرابته) أي القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا له وجه وجيه في الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن أخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء أي لأن اسقط (من السماء الى الارض) أي من المقام الاعلى الى المكان الا[دنى] (احب الى من ان اقدمه عليهما) أي في الافضلية فدفع توهم التفضيل في القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضي الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وأبي سفيان رضي الله تعالى عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال أبو سفيان للعباس أتريدان يقدم علينا الموالي فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذي اختاره ابن عباس رأى له والا فالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم في كل شيء فتأمل (وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وسميت باسمها الا ان الراوي نسيها (فسجد) أي لعظم المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) أي لابن عباس (أتسجد في هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) أي ابن عباس (اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) أي علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) أي فصلوا (وأي آية أعظم) أي خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي واحدة بعد واحدة حيث انهن من أخص أصحابه وأقرب احزابه (وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما) أي مع جلالتهما (يزوران أم أيمن) واسمها بركة

(مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) أي فيتعين علينا
زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمر بن سعد بن أبي وقاص مرسلا قال لما
وردت (حليمة السعدية) أي أمه من الرضاعة (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي زائرة مسترفدة وفي سيرة

مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها) فاقتديا به واحبا ما
أحب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سليمان بن عمرو بن النعمان
كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب تزوجها زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة
وهاجرت الهجرتين وكانت آلت اليه من أبيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب
زوجها وابنها ويقول هي أمي بعد أمي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت تحبه وتحضنه وآمنت به صلى
الله عليه وسلم قبل بعثته لان أمه ذهبت به لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان
اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم أم ايمن يقولون هذا نبي هذه الامة فرق ذلك في قلبها فهي أول من
آمن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به فماتت أمه بالابواء وقبرها هناك فحضنته أم ايمن (ولما وردت
حليمة السعدية) من بني سعد وهي أمه من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله (على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد هجرته (بسط لها رداءه) لتجلس عليه اكراما لها ولحق أمومة الرضاع
(وقضى حاجتها) التي سالته قضاءها (فلما توفي) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفدت) أي جاءت وافدة
وقادمة من محل بعيد (على أبي بكر وعمر) في خلافتهما لحاجة لها (فصنعا بها مثل ذلك) أي بسطا
رداءهما واكراماها وقضيا حاجتها تأسيا به صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة لمن أحب واعترض عليه
البرهان وقال ان التي قدمت عليه بنت حليمة المسماة بالشيماء وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره
الدمياطي وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة
والحاصل كما تقدم انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيماء
فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه
روى عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي أتته بنتها الشيماء بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي
فاتته صلى الله عليه وسلم زمن خديجة فاعطاها أربعين شاة وجملا وانصرفت الى أهلها ولم يذكر
اسلامها الا ابن عبد البر أثبته وعدها في الصحابة وقال هي أتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر
وذكر في الوفاء انها أسلمت هي وزوجها وبنتها وكفى بهذا مستندا للمصنف فالمخطئ له مخطئ والشاهد
فيما ذكره لما نحن فيه ان أبا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن أحبه وهي في
حكم آل بيته لانها أمه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من قال معترضا على
المصنف رحمه الله تعالى ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل لانه معقود لتوقير آله وأصحابه تكريما
له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

(فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره) توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى
الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته (توقير أصحابه وبرهم) أي تعظيمهم والاحسان اليهم والاهتمام
ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب
وتعريفه كما تقدم من رآه صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث
والاصوليين (ومعرفة حقهم) أي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم في منزلته
اللائقة به وليس المراد به مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام بها لان ثمرة العلم
العمل ولذا عطف عليه قوله (والاقتداء بهم) أي اتباع أقوالهم وأفعالهم فانهم على هدى اضاءت

الدمياطي ان الواردة عليه انما هي ابنتها الشيماء أخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) أي نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفي الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفي) أي رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفي نسخة صحيحة وفدت أي أمه أو أخته من الرضاعة (على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل ذلك) أي مثل صنيعه عنه عليه الصلاة والسلام في الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة أبا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أنكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما في القضية والله تعالى أعلم بالحقيقة الحقية

(فصل) (ومن توقيره) أي تعظيمه (وبره) أي ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام في
توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) أي حقوقهم من فتح البلاد ودفع أهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء
بهم) أي في افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم

(وحسن الثناء عليهم) أى اجمالا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذا فى مقام التفصيل اكمالا وتبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) أى اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم أجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبى رحمه الله تعالى

وسلم لاحدى الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا

وفى الحديث اذا ذكر أصحابى فامسكوا وفى حديث آخر اياكم وما شجر بين أصحابى (ومعاداة من عاداهم) أى من الرافضة والناصبة لان الصحابة لاشك انهم أولياء الله وقد ورد من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب (والاضطراب) أى الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها أى عن أقوال أصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) أى ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقاة (كالرافضة) أى الطائفة التى رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) أى ممن زعم مشايعة على ومتابعته وهو برىء منهم ومتبعد عنهم وأصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله تعالى وجهه ويزعمون انهم من شيعته أى من اتباع سيرته (والمبتدعين) أى فى الدين كبعض المعتزلة (القادحة فى أحدمنهم) أى الطاعنة فى أحد من الصحابة وهم براء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) أى فى حقهم (من مثل ذلك) أى من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) أى المؤدية الى المحن أى يطلب (أحسن التاويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلنا كم أمة وسطا أى عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة أى يحمل لافعالهم (أصوب المخارج) أى المحامل (اذهم أهل لذلك) أى احقاء به هنالك (ولا يذكر أحد منهم بسوء) لان الله قد أثنى عليهم فى مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبى عليه الصلاة والسلام أمته فى تعظيم أصحابه بنحو قوله لاتسبوا أصحابى مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لاتذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع أهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله أو يقتل (ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول أى لا يعاب (عليه) أى على أحد منهم (أمر) أى يطعن به فيه لحديث الله الله فى أصحابى أى اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولاتحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفى الحديث لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق أى صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفى نسخة يغمض بضاد معجمة

فى مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم أفضل من مجموع من بعدهم وأما كون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم فصرحوا بانه لايلزم فقد يكون بعض التابعين أفضل من بعض الصحابة واستدل لحديث أمتى كالمطر لايدرى الخير فى أوله أم آخره والمشاحة فيه بانه باعتبار النفع لاالفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم (وحسن الثناء عليهم) اذا ذكروا ومدحوا (والاستغفار لهم) أى الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضى عنهم (والامساك) أى السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه (عما) أى عن كل أمر (شجر بينهم) أى وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها فى بعض وفى الحديث اياكم وما شجر بين أصحابى (ومعاداة من عاداهم) كالخوارج والرافضة (والاضراب) أى الترك والاعراض (عن اخبار المؤرخين) التى نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه (وجهلة الرواة) الذين رووا قصصا باطلة تؤدى لسوء ظن بهم (وضلال الشيعة) بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من اضافة الصفة لموصوفها أى الشيعة والصفة كاشفة معرفة لامقيدة حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة وهى مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه أعنى قوله (والمبتدعين) فان البدعة على أقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقائد الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله (القادحة) صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر مايؤدى اليه (فى أحد منهم) أى من الصحابة (وان يلتمس لهم) أى يطلب لهم وأصله ادراك ظاهر البشرة كالمس فعبر به عن مطلق الطلب (فيما نقل عنهم من مثل ذلك) الامر المنقول عنهم فى الاخبار المروية (فيما كان بينهم من الفتن) كما وقع بين على ومعاوية رضى الله تعالى عنهما (أحسن التاويلات والمحامل) لانها أمور وقعت باجتهادهم لالاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة (ويخرج) بضم أوله مجهول كقوله يلتمس المتقدم أيضا (أصوب المخارج) بان يحمله على أمر محمود ويؤوله بما يخرجه عن عده من المعائب الى الحاقه بالمحاسن (اذهم أهل ذلك) أى مستحقون بان يحمل ماصدر منهم على أمور حسنة محمودة (ولا يذكر) مبنى للمجهول (أحد منهم بسوء) أى بامر قبيح (ولا يغمص عليه أمر) بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وميم مفتوحة وصاد مهملة مبنى للمجهول أى لا يعاب ولا ينقص فى أمر من أموره يقال

والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه أى يصغر أو يحتقر واغمض نام وفى الام والبيع استجاز ما لا يستجاز أو حط من ثمنه (بل يذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما
رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابى فامسكوا) أى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغى فى
حقهم قال الله تعالى (محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) أى من الصحابة مبتدأ
خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) أى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على
الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) أى راكعين ساجدين فى غالب أوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى
سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) أى علامة أنوارهم لائحة (فى وجوههم من أثر السجود) أى من تأثير طاعاتهم
واسرارهم (ذلك) أى الذى وصف قوله (مثلهم) أى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل)
مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (أخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها أى فراخه من اشطأ الزرع اذا أفرخ (فآزره) من الموازرة
أى المعاونة وأصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) أى صار غليظا أى بعد ما كان دقيقا رقيقا (فاستوى
على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين أى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى أعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند أهل السنة (مغفرة وأجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى (والذين معه) كناية عن الصديق (أشداء على الكفار)
عبارة عن الفاروق (ورحماء بينهم) اشارة الى عثمان (تراهم ركعا سجدا) ايماء الى على (يبتغون فضلا من الله الصحابة
ورضوانا) تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) أى عز
وجل (والسابقون) أى فى مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من أسلم قبل الهجرة أو من صلى الى
القبلتين أو من شهد بدرا (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين أقدم عليهم أبو
زرارة مصعب بن عمير (الآية) أى والذين اتبعوهم باحسان أى اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضى الله تعالى عنهم بقبول طاعتهم
المرضية ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجرى به تحتها وفى قراءة المكى من تحتها الانهار خالدين
فيها أى مقدرين الخلود فى تعظيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) أى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ
يبايعونك) أى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم أعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد
وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) أى فمنهم من قضى نحبه أى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وأنس
ابن النضر ومنهم من ينتظران يقضى نحبه أى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه

غمصه اذا احتقره وتهاون به وجوز فيه أيضا اعجام ضاده من أغمض الجفن اذا أطبق بعضه على بعض
ثم استعير للتغافل والتساهل قال الله تعالى الا ان تغمضوا فيه فالمعنى لا يحتقر والاول أولى رواية ودراية
(بل يذكر حسناتهم) المروية من عباداتهم وزهدهم (وفضائلهم) الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم
(وحميد سيرهم) من انصافهم وعدلهم واصابة رأيهم وعلو هممهم (ويسكت) مبنى للمجهول (عما وراء
ذلك) أى عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى وابن
اسامة عن ابن مسعود (اذا ذكر أصحابى) بذكر أحوالهم (فامسكوا) عن الطعن فيهم وذكرهم بما
يوهم نقصا فيهم (قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء الى آخره) فتضمن خاتمة سورة الفتح
الثناء عليهم كلهم وان الله تعالى وعدهم بمغفرته وأجر عظيم منه وانهم من ابتداء امرهم الى آخره نفع وخير
كزرع تكامل شيأ فشيأ حتى تمت سنابله وعم نفعه والآية ومافيها من التفاسير قد كفينا مؤنته ههنا
والذى يراد منها ههنا ان من مدحه الله وبالغ فى مدحه فى كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح
فيه قادح لكنى أقول * أعمى البصائر بالتكحل يذهب (وقال) ان الله تعالى عز وجل فى حقهم أيضا
(والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية) وفى هذه الآية مدح عظيم أيضا لهم ووعد عظيم
بما لهم فى العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا القبلتين وشهدوا بدرا
والذين أسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار أصحاب العقبة الاولى والثانية
والثالثة الذين اتبعوا هؤلاء باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من أهل القبلتين وشمل هؤلاء كلهم
الثناء والوعد وقد قسموا اقساما أخر ليس هذا محل تفصيله (وقال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما تغنى شهرته عن ذكره (وقال الله
تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية) هذه الآية قدمنا انها نزلت فى ناس من

طلحة يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه السلام أوجب طلحة (حدثنا القاضي أبو علي) أي ابن سكرة (ثنا) أي حدثنا (أبو الحسين) أي المبارك ابن عبد الجبار الصيرفي (وأبو الفضل) أي ابن خيرون (قالا) أي كلاهما (ثنا أبو يعلى) أي البغدادي أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا أبو علي السنجي) بكسر أوله (ثنا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبي (ثنا الترمذي) وهو الحافظ أبو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفي نسخة صحيحة الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء في آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) أي ابن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي ثقة حجة صاحب سنة توفي غازيا بالروم سنة ستين ومائة أخرج له أئمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسفيانان أخرج له الأئمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعي) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن خراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفي آخره معجمة هو أبو مريم العبسي سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وأبو مالك الاشجعي حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفي سنة أربع ومائة أخرج له الأئمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليماني أبو عبد الله العبسي وفي الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليماني اثبات الياء فيه أصح من تركها وهو صحابي أيضا رضي الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد أخرجه المصنف من عند الترمذي كما رأيت وقد أخرجه الترمذي في المناقب به ورواه أيضا من طريق أخرى وأخرجه ابن ماجه في السنة من طريقين وقد أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) هذا أمر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (أصحابي كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى في غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب أنوار الشريعة (بأيهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام

الصحابة منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال أول مشهد لرسول الله غبت عنه والله لئن أراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما أصنع فلما كانت وقعة أحد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبد الله (حدثنا القاضي أبو علي) هو ابن سكرة كما تقدم قال (حدثنا أبو الحسين) تقدم أيضا (وأبو الفضل بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى) أحمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم (قال حدثنا أبو علي السنجي) قال (حدثنا محمد بن محبوب) المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال (حدثنا الترمذي) الحافظ أبو عيسى صاحب السنن قال (حدثنا الحسن بن الصباح) هو البزار براء مهملة في آخره كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح أبو علي الزعفراني قال (حدثنا سفيان بن عيينة) كما تقدم أيضا (عن زائدة) بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم سنة ستين أو احدى وستين ومائة وأخرج له الستة (عن عبد الملك بن عمير) الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة (عن ربعي) بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة (ابن حراش) بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخاء معجمة وهو أبو مريم العبسي (عن حذيفة) ابن اليماني باثبات الياء وهو الافصح وتحذف وهو الصحابي المشهور (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه الترمذي وابن ماجه (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) أراد بهم الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم أبو بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وبهذا الحديث أخرجه الحاكم وابن حبان أيضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها وأوله قال حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي وأشار الى أبي بكر وعمر وأخرجه القصار بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله تعالى الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث آخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق أسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المصنف رحمه الله ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال فضلا عن فضائل الرجال لا وجه له لان قوله (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فيه العمل بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضائل

العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال أصحابي حديث آخر وقد أخرجه الدارقطني في الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن عدي في الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فايهم أخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقي في المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور وأسانيده ضعيفة قال الحلبي وكان ينبغي للقاضي ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند أهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا أقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده أو حمل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال

التي يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه بعده كالمتابعة له ولذا اجزم به كان أقوى وأحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما * أراهم في الحادثات نجوم

منها مصابيح الدجى ومعالم * فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المصنف بقوله وقال فوجه التشبيه ما ذكر مع العلو والشرف (وعن أنس) بن مالك فيما رواه البزار وأبو يعلى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي) زاد في المصابيح في أمتي (كمثل الملح في الطعام) أي فيما يطبخ ويؤكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان ضر كثير الملح وأصلح قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال (لا يصلح الطعام) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول أيضا (الا به) أي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري وقد ذهب ملحنا فكيف نصلح واصلاحهم بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافتهم وبيان الشريعة وأمور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء آثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم أمة وسط ولا يخفى بعده ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان أظهر فتأمل (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم (الله الله في أصحابي) أي اتقوا الله فيهم وكرره للحث والتأكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع قبحه (لا تتخذوهم غرضا بعدي) الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى به السهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد أمور قبيحة لهم (فمن أحبهم) وصان اعراضهم (فبحبي أحبهم) أي فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فحبهم عين محبتي وبرهم بري (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه فهو مشاكلة (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع (أن يأخذه) أي يهلكه ويستأصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية أو موصولة ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدأ أو هو مستأنف دليل على الجواب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي

والله أعلم بحقيقة الاحوال (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) في رواية البزار وأبي يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل أصحابي) زاد البغوي في المصابيح وشرح السنة في أمتي (كمثل الملح في الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) أي بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما أي اتقوه أو راعوه (في أصحابي) أي خاصة (لا تتخذوهم غرضا) أي هدفا للطعن (بعدي) أي بعد موتي أو بعد غيبتي لاني أقوم لهم بنصرتي في حياتي وحضرتي (فمن أحبهم فبحبي) أي اياهم أو فبحبهم لي (أحبهم) أو يؤيده قوله (ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال وأما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) أي باللسان أو الاركان (فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أي فكأنه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب (أن يأخذه) أي أخذ شديد ويؤاخذه بعذاب أكيد واعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا أصحابي) قال النووي هو من أكبر الفواحش وسيأتي عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر

فلو

عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففي بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو أنفق أحدكم) أي كل يوم كما رواه عبد بن حميد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا ولو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) أي مالا قدره أو انفاقا مثله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) أي جميعه (مد أحدهم) وفي نسخة صحيحة مد أصحابي وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه أقل ما كانوا يتصدقون به وأصله كان الرجل يمد كفيه فيهما لا بهما طعاما أي قدر مد طعام أحدهم مما انفقوا في محلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال القلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما قال عمرو عشير وقال الارزنجاني في شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون

فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا) وفي بعض الروايات من طريق أبي بكر بن عياش زيادة كل يوم وأحد اسم جبل معروف أي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا (ما بلغ) أي ما وصل ولساوى ثوابه ثواب (مد أحدهم ولا نصيفه) الذي يتصدق به من تمر او شعير أو قمح ونحوه ففيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع وهو أقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وروي مد بفتح الميم أي مداه وغايته كمد البصر ومداه والنصيف بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيفه بزيادة تحتية لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اي أعلى صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ أجره وموقعه عند الله أول صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم بدون رياء منهم وقد انفقوا رضي الله تعالى عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دارة عليهم مع شدة الحاجة لما انفقوه في أول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع بذلهم مع ما فهم أهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رأيت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غيره ساعد
جدت وقارا والزمان هازلي * وجاد عفوا والزمان جامد

ولمهيار والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل أو المراد بأصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال الله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة الآية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله أو كفر فيقتل وسيأتي تفصيله آخر الكتاب (وقال) صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي وأبو نعيم في الحلية عن جابر (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرأ عليه احد من الناس (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا ولا عدلا) في تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل المكيل وقيل المثل وقيل الفضل قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدي به فان بعض المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك

المد والضمير في نصيفه راجع الى أحدهم لا الى المد والمعنى ان أحدكم لا يدرك بانفاق مثل أحد ذهبا من الفضيلة ما ادرك أحدهم بانفاق مد من الطعام أو نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوي منكم من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) أي فيما رواه الديلمي عن عويم ابن ساعدة وأبو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله تعالى عنه (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تأكيد لمن ذكر أو للناس فقط أي كلهم أي الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) أي ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء أي توبة أو نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال أي فدية أو فريضة وقال الماوردي الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعي ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووي معنى الفدية هنا لا يجد في القيامة فداء يفتدي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودي أو نصراني كما ثبت في الصحيح وفي الحديث ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا ذكر أصحابي فامسكوا) أي عن الطعن فيهم

ولاتخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه (وقال فى حديث جابر) رضى الله عنه الذى رواه البزار والديلمى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين) أى فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدولا اتقياء كلهم (سوى الانبياء والمرسلين) فانهم أفضل منهم (واختار لى منهم) أى من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة (أربعة أبابكر وعمر وعثمان وعليا) وقد روى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم رأى أبابكر وعمر فقال هذان السمع والبصر ثم فسر اختيارهم له بقوله (فجعلهم خير أصحابى) وافضلهم (وفى أصحابى كلهم خير) أى فضل وتقوى فكلهم علماء عدول كما فى حديث خير القرون قرنى ثم وثم وهذا سبب ماحكاه امام الحرمين رحمه الله تعالى من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما أوجب القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما الفوه من الهجرة وترك الأهل والاوطان وبذل النفوس والاموال فى نصرة الدين وقتل الآباء والابناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الطبرانى فى أوسط بسند حسن (من أحب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على أمور الدين التى قد تورث حزازة فى بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على أبى بكر رضى الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه نفاقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه وقدمه وارتضاه فعدم ارتضائه يفضى الى عدم ارتضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما قيل * عن المرء لاتسل وسل عن قرينه * نكتة من خصائص أبى بكر وعمر انهما جليساه وضجيعاه فى حياته ومماته وقد ورد فى حديث ان كل احد يدفن بتربته التى خلق منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف أعظم منها (وقال مالك بن أنس) شيخ السنة وامام دار الهجرة (وغيره) من الائمة اشارة الى انه لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية فى كتاب رد الروافض (من ابغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق) الفىء ما اخذ من غنيمة الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على ما فعله وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك من الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفىء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على الآخر وان فرق بينهما الفقهاء وأهل اللغة وقد قال مشايخنا فى هذا ونحوه انه كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا النور الزيادى (ونزع) بنون وزاى معجمة وعين مهملة مبنى للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول أيضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر أو ضمير مالك وغيره وعلى الثانى نائب فاعله قوله (بآية) سورة (الحشر) وقيل ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الآية وسيأتى فى آخر الكتاب قال مالك من انتقص احدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فليس له فى هذا الفىء حق قد قسم الله الفىء فى ثلاثة أصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية الى آخره فمن انتقصهم فلا حق له فى الاسلام وعطف سبهم على أبغض عطف تفسيرى لان البغض أمر قلبى لا يطلع عليه وهذا قوى اماراته فلا يرد عليه ان تعليق الحكم بهما يقتضى انه لا يكفى احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان بشهادة حديث الله الله فى أصحابى الى آخره لم يصب وأصل معنى النزع القلع والخروج فيجوز به عما ذكر فليس من النزوع عن الاوطان والتقرب كما توهمه هذا القائل والآية المذكورة قوله تعالى ما أفاء الله على رسوله

(وقال) كما رواه الديلمى (فى حديث جابر رضى الله تعالى عنه ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبابكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى) وخير غيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفى آخر أصحابى كلهم خير) لحديث خيركم قرنى فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها أى اختاره الله (وقال) كما روى الطبرانى فى الاوسط عن أبى سعيد الخدرى بسند حسن (من أحب عمر فقد أحبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) لما أوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفى نسخة وقال (مالك ابن أنس رضى الله تعالى عنه وغيره) أى من العلماء (من ابغض الصحابة) أى بجنانه (وسبهم) أى بلسانه والواو بمعنى أى (فليس له فى فىء المسلمين حق) أى فيما ينال من أهل الشرك بعد ما تضع الحرب أوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفى حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفىء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاى فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول أى بعد عن الفىء فلا حق له فيه فهو تأكيد لما قبله فتكون الباء فى قوله (بآية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع بآية من القرآن اذا تلاها محتجا بها أى واستدل كل منهم على قوله ذلك بآية الحشر وهى قوله تعالى

(والذين جاؤا) عطف على المهاجرين فى قوله للفقراء والمهاجرين أى وللفقراء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شان الملة أوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى آمنوا قبلنا (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى حقدا وغشا (للذين آمنوا) أى من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فىء المسلمين ثم قرأ قوله تعالى وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم أراد ان الله تعالى قد بين من له الحق فى الفىء فى هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعنى المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل فى قلوبنا غلا أى بغضا للذين آمنوا قال فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين (وقال) أى مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه (من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك أيضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) أى صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والآخرة (الصدق) أى مع الحق والخلق (وحب أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيوب) وفى نسخة أبو أيوب وهى غير صحيحة (السختيانى) بفتح أوله وضمه وسكون المعجمة وكسر التحتية سبق ذكره (من أحب أبا بكر) أى محبة كاملة (فقد أقام الدين) أى بقدم تقدم اليقين (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أى بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه

رسوله الى قوله (والذين جاؤا من بعدهم) يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ٭ ووجه الاستدلال بالآية انه جعل ما أفاء الله على رسوله حقا للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوؤا الدار والفقراء الذين جاؤا من بعدهم مهاجرين بعدما قوى الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن آمن بعد المهاجرين والانصار الى آخر الزمان وجملة يقولون الى آخره حال أى القائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهى حال مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لاقتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى فى آخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضى كفرهم والكفار لا حق لهم فى الفىء فلذا قال (وقال) مالك بن أنس (من غاظ) بظاء مشالة وقيل وبالضاد المعجمة أيضا وهو لغة فيه لابدال واختلف فى الغيظ والغضب هل هما بمعنى أو الغيظ أشد الغضب أو الكمين فى النفس أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز أى من اغتاظ واحتد اذ ذكر (أصحاب محمد) عنده (فهو كافر) لان من أبغضهم فقد أبغضه صلى الله تعالى عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه الخطيب البغدادى عن عروة الزبيرى قال كنا عند مالك بن أنس فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى آخره وقال من أصبح فى قلبه غيظ على أصحاب محمد فقد أصابته هذه الآية لانها صدرت بلام التعليل وهى اما علة لما قبلها من تشبيههم بالذرع فى النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم بذلك ليغيظهم (قال تعالى ليغيظ بهم الكفار) فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم أو علة لقوله بعده وعد الله الذين آمنوا منهم وانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم والحاصل انه لا يغيظ باصحابه مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما أداه اليه اجتهاده (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا) من كل أمر يشينه وينقصه عند الله الصدق بان يتحرى فى الصدق فى جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا (وحب أصحاب محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى يقدمهم على نفسه وأهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن مسعود عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روى من طريق آخر بمعناه وترتب النجاة على ما ذكر سر من أسرار الله يطلع عليه من شاء من خاص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به (وقال أيوب السختيانى) التابعى المشهور (من أحب أبا بكر فقد أقام الدين) لان الدين استقام به فى صحبته لرسول الله فى أول الاسلام وفى أول الهجرة وفى قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم ونجم النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها فحمل اعباء الخلافة حتى قر الدين ووفاه من فاه ومن أحب أحدا كان معه وتخلق باخلاقه (ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل) أى بين طريق الحق لمن أراد سلوك الطريق المستقيم لانه بعده صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر الدين وأتم به على الاقطار وقضى لاهله الاوطار ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام أقصى

(ومن أحب عثمان فقد استغنى بنور الله) أي عن الاستضاءة بما سواه (ومن أحب عليا فقد أخذ) وفي نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) أي كلهم (فقد برئ من النفاق) أي فهو مؤمن كامل صادق في الوفاق (ومن انتقص) وفي نسخة ومن أبغض ٤٢٨ (أحداً منهم فهو مبتدع) أي صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) أي من أكابر الامة (وأخاف أن لا يصعد) بفتح أوله وبضمه أي لا يطلع (له عمل الى السماء) يعني لا تقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) أي لهم كما في نسخة (سليما) أي من الغل والحقد (وفي حديث خالد بن سعيد) أي ابن العاص ابن أمية بن عبد شمس كنيته أبو سعيد وخالد هو ابن عمر بن سعيد فسعيد جده قالت بنته أم خالد واسمها أمية كان أبي خامسا في الاسلام وقيل كان رابعا أو ثالثا قيل وأسلم قبل أبي بكر أو قبل علي رضي الله تعالى عنه والله أعلم (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) قال الحلبي وهو صحابي مشهور لكن لا استحضر له شيا في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمعضلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوي على هامش حاشية الحلبي ماصورته وجدت بخط الحافظ ايبك على بعض نسخ الشفاء ماصورته كذا فيه خالد بن ان
سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي والحديث ليس من روايته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك بن أخي كعب بن مالك عن أبيه عن جده سهل قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس انى راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك

الارض كما في حديث الشيخين هنا بينا انا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت فيها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا أي دلوا كبيرا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر وفي رواية فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام (ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله) الذي أظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى لقي الله وهو عنه راض وكان أشد الناس حياء (ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى) أي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقائما بالذب عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لائم وهو باب مدينة العلم فمن أحبه فهو مستمسك بالعروة الوثقى أي بالحق والرأي القويم الذي هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من عروة الكلام وهو ماله أصل ثابت واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق (ومن أحسن الثناء) بمدح ناشئ عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن (على أصحاب محمد) تعميم بعد التخصيص (فقد برئ) أي سلم وخلص (من النفاق) المراد به معناه العرفي وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا وأصله اخفاء الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثناء ثناء من غير غلو كغلو الشيعة (ومن انتقص) أي ابغض (أحدا منهم) بذمه وذكر مايشينه (فهو مبتدع) لمخالفته السنة واتيانه مانهى الله تعالى منه ورسوله وفي نسخة أبغض ثم فسر المبتدع بقوله (مخالف للسنة) أي لهديه وطريقته صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله (والسلف الصالح) من الصحابة والتابعين (وأخاف) أي أظن أو أعلم (ان لا يصعد له عمل) من اعماله الصالحة أي لا يقبله الله تعالى منه ولا يثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع في مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى (الى السماء) لعدم تمسكه بالكتاب والسنة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما) من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح (وفي حديث خالد بن سعيد) بن العاص بن أمية بن عبد شمس الصحابي وهو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم وسبق غيره ويقال أسلم قبل الصديق ويقال أسلم قبل علي وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث في الكتب الستة ولا في مسند أحمد ولا في مسند بقي بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمر بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه في واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والا فمعضل والظاهر هو المقدم وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس الخ (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أيها الناس انى راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك) أي رضاي عنه في صحبته له وانه لم يأل جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم يرمنه الا مايسره وفي تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره مايدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على سمعه وقلبه وسيأتي الكلام

أيها الناس انى راض عن عمر وعن على وعن عثمان) وفى نسخة وعن عثمان وعن على (وطلحة) وفى نسخة عن طلحة أى ابن عبيد الله
(والزبير) أى ابن العوام (وسعد) أى ابن أبى وقاص (وسعيد) أى ابن أبى زيد بن عمر بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) أى الزهرى
(فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر أبا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوى (أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف
وتشدد وهى قرية سميت ببئر هنالك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء فى الحديث وهى بئر قال أبو حنيفة
ومالك وهى من الحرم
وخالفهما الشافعى رحمه
الله تعالى وقال ابن القصار
والواحدى بعضها من
الحل وفى صحيح البخارى
والحديبية خارج الحرم
أى باعتبار بعضها فلا
ينافى ما تقدم والله تعالى
أعلم (احفظونى) أى
راعونى (فى أصحابى
وأصهارى) أى خصوصا
وهم آباء زوجاته أبو بكر
وعمر وأبو سفيان رضى
الله عنهم (واختانى) أى
أزواج بناته عثمان وعلى
وأبو العاص ابن ربيعة
(لا يطالبنكم أحد منهم
بمظلمة) بكسر اللام من
الظلم وهو الجور وبالفتح
اسم ما يأخذه الظالم وقيل
كل منهما يطلق على
الآخر والكسر أكثر
وعليه الاكثر (فانها)
أى مظلمتهم (مظلمة
لا توهب فى القيامة غدا)
والحديث رواه الطبرانى
فى معجمه الكبير من
رواية على بن محمد بن
يوسف بن مسعود ثنا
سهل بن يوسف بن سهل بن أخى كعب عن أبيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو أبو مسعود الازدى
الموصلى أحد الاعلام يروى عنه بشر الحافى وغيره وقال شيخه الثورى رحمه الله هو ياقوتة العلماء أخرج له البخارى وغيره (ابن عمر بن
عبد العزيز) أى مقامه فى العدل والفضل (من معاوية فغضب) أى من قوله لما لاح له من اضمار أفضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال
لا يقاس على أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحد) أى لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمى والبزار ان الله اختار
أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

ان من أنكر خلافة أبى بكر يبدع ولا يكفر ومن سب أحدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر
(أيها الناس انى راض عن عمر وعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير) بن العوام رضى الله عنهم
(وسعد) بن أبى وقاص (وسعيد) بن زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) الزهرى (فاعرفوا
لهم ذلك) أى كونى راض عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل على
الترتيب وان كان أهل السنة على تقديم أبى بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا فى عثمان وعلى أيهما
أفضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف فى أيهما الافضل وان هذه المسئلة
غير قطعية عندهم لكن الذى عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ماذكرو بقية الصحابة لم ينصوا
على شئ فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو أبو عبيدة بن الجراح لدخوله فى الصحابة وشهرته (أيها الناس
ان الله قد غفر لاهل بدر) كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم أول مشهد أعز الله به الاسلام والمسلمين
وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بئرها كما تقدم (و) أهل (الحديبية) بتشديد الياء
وتخفيفها وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم أو خارجه أو بعضه منه أقوال وفيه الشجرة التى
كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة فى السير وقد تقدم ذكرها (أيها الناس احفظونى) أى
احفظوا حقى وقدرى برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله (فى أصحابى) أى وحفظ حقى يتم ويتحقق
بحفظ أصحابى ومحبتهم وتوقيرهم وان من أبغضهم يبغضنى ولم يحفظنى ثم خص بعد التعميم احتياطا
وحماية قوله (وأصهارى واختانى) الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهرى هم أهل المرأة عن
الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان
كل من كان من قبل المرأة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شئ من قبل الزوج
فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم وبينه علاقة سببية بتزويجه أو
التزوج منه (لا يطالبنكم) معاشر الناس أجمعين (أحد منهم) أى من المذكورين من أصحابى واتباعى
أى لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله (بمظلمة) بكسر
اللام وفتحها وهى ما يؤخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكى ممن أخذه والكسر فيها أكثر وأشهر
(فانها مظلمة) أى حق للعبد أخذ منه ظلما (لا توهب فى القيامة غدا) أى لا يهبها الله لانها حق العبد
ما لم يرض صاحبها لا تترك وقوله غدا اشارة الى قرب اليوم الذى يؤاخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا
(وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء والقصر (ابن عمران) أبو مسعود الازدى الموصلى أحد الاعلام المحدثين
كان يقال له ياقوتة العلماء توفى سنة خمس وثمانين ومائة وأخرج له البخارى وغيره والقائل له لا يعرف
(ابن عمر بن عبد العزيز) الخليفة العابد الزاهد العادل (من معاوية) بن أبى سفيان رضى الله عنه أى
أيهما أفضل وخصهما بالسؤال لانهما امويان فاين تذهب أنت فى الفرق بينهما (فغضب) على السائل
لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظر الظاهر الحال (وقال لا يقاس) أى لا يستوى فضلا عن
التفضيل (باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد) وفى نسخة على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقاس

يتعدى بالباء وعلى وقد يعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال أم من أقيسه * اليك وأهل الدهر دونك والدهر

ثم أشار لفضل معاوية على غيره لقوله (معاوية صاحبه صلى الله تعالى عليه وسلم وصهره) لانه أخو زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين (وكاتبه) لما ثبت انه من أحد كتابه صلى الله عليه وسلم (وأمينه على وحيه) لانه بعد ان استكتبه كان يكتب ماينزل عليه من الوحي ولو لم يستامنه ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن المعافى رجل منصف ماصح عنه يرد ماقيل ان معاوية لم يكتب له شيأ من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان عمر بن عبد العزيز يشاركه في ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال الغبار بغزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وآل عمر وفي الطاعن في معاوية ماقيل

ومن يكن يطعن في معاوية * فذاك كلب من كلاب الهاوية

(و) روى الترمذي عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم (أتى) بالبناء للمفعول النبي عليه السلام (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه أو فوق لفوق وتحت لتحت وقد يعكس (فلم يصل عليه وقال كان) هذا الميت (يبغض عثمان فانا أبغضه) فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاء له وشفاعة له فحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفي نسخة بدل ماذكر (فابغضه الله) فهو خبر أو دعاء عليه وليس في الحديث نهي عن الصلاة حتى يقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض لا يقتضي الكفر (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (في الانصار) أي في حقهم والوصية بهم وقيل في شأنهم وفضلهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عمن وقع منه اساءة ما (واقبلوا من محسنهم) كل ما أحسنوه فحذف مفعوله تعميما وفي البخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي مافرط منهم من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس وهو ماذكر بعض من حديث رواه الشيخان ففي البخاري عن أنس بن مالك ان أبا بكر والعباس رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون مرضه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم منا قد خلا عنه عليه السلام فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم وأخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش تجمع الغذاء الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة أي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة مايحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد هو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب والاول أمر باطن والثاني ظاهر فضربه مثلا لاختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ أو استعارة وأراد عليه السلام بما عليهم نصرته وقضاء ما تابعوه عليه ومالهم الجزاء في الدنيا والآخرة وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم أي في غير الحدود وحقوق الآدميين وهذا أيضا محمل الخبر الصحيح أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد في رواية الا في الحدود

ثم عد بعض مناقبه التي تقتضي علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض أصحابه فقال (معاوية صاحبه وصهره) أي أخو أم حبيبة من أمهات المؤمنين (وكاتبه) أي لمكاتيبه وغيرها (وأمينه على وحي الله عز وجل) أي حيث كان يكتب الوحي على خلاف فيه ولعل السائل ساله عن عمله وزهده وعدله لكن المسؤل عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر أصحابي فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا ماسئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال في الحال لغبار أنف فرس معاوية مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خير من ألف عمر بن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان أسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من أسلم بعده سواء كان من الصحابة أو التابعين والحاصل انه لا أحد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت أكسيرا تؤثر تاثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا أو كبيرا (وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) أي جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) أي بغير وجه شرعي (فانا أبغضه) رواه الترمذي عن جابر وضعفه وفسره

(وقال عليه الصلاة والسلام) كما في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه (في الانصار) أي في حقهم (اعفوا عن مسيئهم) أي عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) أي كمالاتهم وللبخاري أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز

عن ميثهم (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام كما روى أبو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن أنس رضي الله تعالى عنه (احفظوني) بفتح الفاء أي احفظوا وصيتي (في أصحابي) أي عموما (واصهاري) أي خصوصا وله تغليب يشتمل اختانه أيضا قال النووي في شرح مسلم عن أهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) أي الشأن (من حفظني فيهم) أي راعاني في حقهم (حفظه الله

تعالى في الدنيا والآخرة) أي من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه) أي تبرأ منه وأعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح أي يقرب ويسرع (ان يأخذه) أي يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان أخذه أليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح مرسلا (من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة) أي من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبراني بسند ضعيف (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض) أي وسقيته منه مع أصحابي رعاية لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظني في أصحابي) أي من جهة حقوقهم (لم يرد علي الحوض) أي من قريب (ولم يرني الا من بعيد) وهذا أشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به) أي أرشدنا به الى أمر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع) بالموحدة في أوله أي مقبرة أهل المدينة (فيدعو لهم) أي بالرحمة (ويستغفر لهم) أي عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ في الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيئا مما يهم المودع الا ذكره وأوصى به (ولذلك أمر الله وأمر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (بحبهم) أي بمحبة الصحابة (وموالاتهم) أي موالاة من والاهم من أهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) أي من الخوارج والروافض وسائر أهل البدعة

وفسره الشافعي بأنهم الذين لا يعرفون بالشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل من اذا أذنب تاب (وقال) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو نعيم والديلمي عن عياض الانصاري وابن منيع عن أنس (احفظوني في أصحابي واصهاري) تقدم بيانه (فانه) أي الشان (من حفظني فيهم) برعاية حقوقهم واكرامهم (حفظه الله في الدنيا والآخرة) حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الآخرة من العذاب والعقاب (ومن لم يحفظني فيهم) بترك ما مر (تخلى الله عنه) أي أعرض عنه وتركه في غيه استدراجا له (ومن تخلى الله عنه يوشك) يسرع ويقرب (ان يأخذه) أخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستأصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشاء للدعاء عليه يأباه السياق فما قيل انه أقرب ليس بشيء ولهذه الزيادة ذكره المصنف رحمه الله تعالى وان تقدم (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه سعيد بن منصور عن عطاء مرسلا (من حفظني في أصحابي) برعاية حقهم (كنت له حافظا يوم القيامة) أي مانعا من هول الحشر وما يسوءه فيه (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الطبراني بسند ضعيف (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض) أي وصل اليه وشرب منه حتى لا يظمأ بعده (ومن لم يحفظني في أصحابي) بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم (لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد) فلا يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم لان من أبغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفوت بركته وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول (قال مالك) امام دار الهجرة ونجم السنة رحمه الله (هذا النبي) صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة القريب لانه لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كأنه بين يديه بمرأى منه صلى الله عليه وسلم (مؤدب الخلق الذي هدانا الله به) لخيري الدنيا والآخرة والضمير للناس كلهم (وجعله رحمة) عامة (للعالمين) وجميع المخلوقين (يخرج في جوف الليل) أي في شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (الى البقيع) اسم موضع بظاهر المدينة وأصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به ثم زال وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج اليه ليناجي ربه متخليا عن أهله (فيدعو لهم) أي يدعو لمن بتلك المقبرة منهم (ويستغفر لهم) أي يدعو لامواتهم وأحيائهم بالمغفرة (كالمودع لهم) كأنه يودع من تلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب أجله ومفارقة زيارتهم (وبذلك أمره الله) أي أمره بان يدعو لامته أو لامواتهم ويستغفر لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك (وأمر) بالبناء للمجهول (النبي) صلى الله عليه وسلم أي الله أمره (بحبهم) الله (وموالاتهم) أي معاونتهم ونصرتهم كما أمروا بذلك (ومعاداة من عاداهم) من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج في ليلتها آخر الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرجت عائشة وراءه متخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسألته عما صنع

فقال ان جبريل أتاني وناداني ولم يدخل عليك ولم أوقظك خشية ان تستوحشي فقال ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف أقول فقال تقول السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المتقدمين منا والمستأخرين وانا بكم ان شاء الله لاحقون وهو ما أشار اليه مالك رحمه الله وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا أمر بذلك فنحن أحق به والظاهر ما قدمناه (وقال كعب) الاحبار رضي الله عنه التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مؤمن بدل قوله (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة) في غيره من المؤمنين (يوم القيامة) وهذا اما مروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل أو هو مما قرأه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن أحبهم (وطلب) أي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا لهم مترجيا لشفاعتهم رضي الله عنهم (من المغيرة بن نوفل) بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من أنصار علي رضي الله عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وعد من الصحابة وطلب كعب منه (ان يشفع له يوم القيامة) يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمساني نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولي من كنانة سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدي وقال البرهان الحلبي الحارث هو ابن عبد المطلب قال ابن عبد الغني المقدسي انه لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله ونوفل أسن اخوته وأسن من أسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم أبي سفيان والصحيح خلافه وانه غيره ولم يتعقب أبا الفتح اليعمري حين ذكره وقال الذهبي في التجريد أبو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه (وقال سهل بن عبد الله التستري) تقدم ضبطه (لم يؤمن بالرسول) صلى الله عليه وسلم ايمانا كاملا (من لم يوقر أصحابه) بتعظيمهم ومحبتهم (ولم يعز) من أعزه اذا نصره وقواه وجعله عزيزا موقرا مبجلا معظما (أوامره) جمع أمر وقد تقدم الكلام عليه قبل وهذا يقتضي ان سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد الخلاف بغير من فعل ذلك بهم لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى مذهبنا أيضا وفي منظوم ابن وهبان رحمه الله تعالى أخاف على من قال أبغض عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسيأتي تفصيله آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

(فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم) اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره واجلاله وفي القاموس أعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما أي من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن (اعظام جميع أسبابه) قيل هو بالمعنى العرفي وهو كل ما ينسب اليه من فراشه ولباسه مما لا روح له أو له روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال الله تعالى فليرتقوا في الاسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا ويسمى العمامة والخمار والثوب الطويل

(وروى عن كعب رضي الله تعالى عنه) أي كعب الاحبار كما ذكره الحلبي (ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة) أي لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجي وحديث كعب بن سعد ليس مؤمن من آل محمد الا له شفاعة (وطلب) أي كعب (من المغيرة بن نوفل) أي ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (أن يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان من أنصار علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وله جماعة اخوة ووالده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضي الله تعالى عنه وهو ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأما جده الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغني المقدسي لم يدرك الاسلام وأسلم من أولاده أربعة نوفل وربيعة وأبو سفيان وعبد الله وكان نوفل أسن من اخوته وأسن من أسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر في استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبي سفيان والصحيح الاول يعني انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ أبو الفتح اليعمري حين ذكره وأما الذهبي فقد ذكره في كنى التجريد أبا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه وقال في المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا أخو أبي سفيان فوهم بل هو أبو سفيان انتهى والله تعالى أعلم (قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول) أي حق ايمانه (من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره) أي ولم يترك زواجره

*(فصل * ومن اعظامه) أي تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) أي اعظام أمره زيادة على اعظام أمر غيره (اعظام جميع أسبابه) أي أسباب وصلته ومودته وفي حديث كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي والمراد جميع ما ينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم

سبا

(واكرام مشاهده) أي مواضعه التي حضرها أو نزل لها (وامكنته) أي مساجده (من مكة) كبيت خديجة رضي الله تعالى عنها
مهبط الوحي ودار الارقم
ابن أبي الارقم وغار حراء
وثور ومولده (و) من
(المدينة) كمسجده وبيوته
ومواطنه (ومعاهده) أي
واكرام معاهده التي
يتعاهدها كقبا اذ قد
ورد انه كان يزورها كل
سبت راكبا أو ماشيا
(وملمسه) أي مسه (عليه
الصلاة والسلام أو عرف
به) بصيغة المجهول أي
مما يمكن اكرامه الآن
واعظامه في هذا الزمان
(وروى عن صفية بنت
نجدة) بفتح نون وسكون
جيم فدال مهملة (قالت
كان لابي محذورة) وهو
مؤذنه عليه الصلاة والسلام
بمكة ولم يزل مقيما بها
يؤذن حتى مات سنة تسع
وخمسين قال الواقدي
وتوارث الاذان بعده بمكة
ولده وولد ولده الى اليوم في
المسجد الحرام وقيل كان
مؤذنه بقبا أيضا وهو
قرشي جمحي روى عنه
ابن أبي مليكة وغيره
أخرج له مسلم والاربعة
وأحمد في المسند (قصة)
بضم القاف وتشديد الصاد
المهملة ما اقبل على الجبهة
من شعر الرأس (في مقدم
رأسه) سمي بذلك لانه
يقص وقال ابن دريد كل

خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) أي لم يقعدها (اصابت الارض) أي
وصلت اليها (من طولها فقيل له) أي لابي محذورة (الا تحلقها) أي الا تقصرها بحلق أو بقص

-بيها تشبيها بالحبل في الطول انتهى (واكرام مشاهده) جمع مشهد وهو محل الشهود أي الحضور ومن المشاهدة وهي الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهدة الحج مواضع المناسك (وامكنته) جمع مكان عطف تفسير (من مكة والمدينة) بيان للامكنة فالمراد به مساكنه ومحل اقامته لا مطلق المكان (ومعاهده) أي المحال التي عهد الفه صلى الله عليه وسلم لها كالاساطين التي كان يصلي عندها ومحل صلاته في المساجد والاماكن المباركة ومنازله (وملمسه) بيده أو بغيره من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليماني والمنبر والمس المتقاربان (أو عرف به) كالاماكن التي جاهد فيها والغار الذي دخله صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم ان ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وما روى عن مالك فيخالف ذلك فهو جرى على عادته في سد الذرائع وكذا ما جاء عن عمر انه رأى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا غير موفق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على اكرام ذلك بغير نحو الصلاة ليوافق ما مر عن امامه لانا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها ان محققهم الشيخ خليل لما قال يسن زيارة البقيع ومسجد قباء قيد ذلك بمن كثرت اقامته بالمدينة قال والا فالمقام عنده صلى الله عليه وسلم احسن ليغتنم ثم نقل عن العارف ابن أبي جمرة انه من حين دخل المسجد ما جلس الا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا غيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله (وروى عن صفية بنت نجدة) في الحواشي التلمسانية ان هذه المرأة زوجة أبي محذورة الآتي ذكره وقد روى عنها أيوب بن ثابت وروت هي عن زوجها أبي محذورة واختلف في ضبط اسم أبيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداه بدال مهملة تليها ألف وهاء وقيل نجراة براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحرة بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء (قالت كان لابي محذورة) بحاء مهملة وذال معجمة وبعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشي مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفي عقبه واختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل أويس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحي صحابي توفي سنة تسع وخمسين أو سبعين وأخرج له مسلم وأحمد وأصحاب السنن (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي خصلة من شعر الرأس (في مقدم رأسه) مما يلي وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري هو شعر الناصية وسبب توفيرها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسحها بيده وابقاها تبركا بمسه وهو محل الشاهد وكان لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا به وجعل أبو محذورة يحاكي الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وأمره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات (اذا قعد وارسلها) أي حل عقصها وسدل شعرها (أصابت الارض) أي أو صلت اليها لطولها (فقيل له) أي قال الناس لابي محذورة (الا تحلقها) بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا للعرض أو الاستفتاح

فقال لم اكن بالذى احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هى القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذى ولفظه
لفظ الغائب ايثارا التغليب التكلم عليه الا ان الذى وان كان بلفظه هو الغائب الا انه فى المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وروى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) ماض مجهول من الرؤية ابصر حال كونه

(فقال لم اكن بالذى احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده) الشريفة فابقاها تبركا بما مسه
بيده وبهذا زالت الكراهة وان قيل بها فى غيره (و) فى حديث رواه أبو يعلى قال (كانت فى قلنسوة
خالد بن الوليد) بن المغيرة الصحابى المخزومى المشهور والقلنسوة ما يوضع على الرأس تحت العمامة
وتسمى شاشيه وقبعا ويقال قلنسية وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها ففيه لغات
(شعرات من شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم جعلها فى داخله تبركا بها (فسقطت قلنسوته) عن رأسه
(فى بعض حروبه) قيل هو فى غزوة اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (فشد عليها
شدة) أى كرة قوية أى رجع لاخذها وهو يعدو عدوا شديدا سريعا يقال شد اذا جرى جريا قويا أى كارا
عليها ليأخذها خوفا من ضياعها (انكر عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رجوعه لاجل
عمامته لظنهم انه حرص عليها لذاتها (كثرة من قتل فيها) أى فى شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو
بسببه وكثرة منصوب مفعول انكروا وهو مفعول لاجله (فقال لم افعلها) أى هذه الشدة والكرة
(بسبب) أخذ هذه (القلنسوة) كما ظننتم (بل) فعلتها (لما تضمنته) أى لما فى ضمنها وداخلها (من
شعره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتح العين وسكونها (لئلا تسلب) بالبناء للمجهول ونائب فاعله
(بركتها) وتسلب بمعنى تذهب بركتها منى وذلك أمر عظيم يخاطر بالارواح لاجله وفى نسخة اسلب
ويحتمل انه من السلب بفتحتين أى يأخذها العدو ويدل عليه قوله (وتقع فى ايدى المشركين) الذين
لا يليق ان تكون عندهم آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ورئى) مبنى للمجهول بهمزة قبل الياء
آخره (ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم
وضعها على وجهه) أى مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد ويأتى الكلام
على ذلك عند اعادة المصنف رحمه الله تعالى وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء والصالحين وآثارهم
وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة أو فساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روى عن عمر رضى الله عنه من انه قطع
الشجرة التى وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة
بمن أنكره مثله من جهلة عصرنا (وفى معناه انشدوا) أى تمثلوا

أمر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى فى
هذه الاقوال متقارب أى ما وصل حب الديار الى شغاف قلبى فغلب عليه قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك داخل * دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

وروى الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول العمل قال الجوهرى وشغفه
الحب احرق قلبه وقال أبو زيد امرضه وقد شغف بكذا فهو مشغوف وروى عن الشعبى انه
قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة جنون وقيل الاول حجاب القلب والثانى سويداء
القلب ويقال ان الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التى لا ترى وهى الجلدة البيضاء وهذا المنشد وقع

مقدما

(واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) ويمسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم أى فى قبعته أو كوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين ويسكن ويروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين أى ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفى نسخة حتى انكر (عليه أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بعضهم (لكثرة من قتل فيها) أى فى مدة تلك الشدة وهى يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر أو مفعولا له (فقال) أى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) أى ذاتها كما توهمتم لانكم سببها ما عرفتم (بل) أى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم
لئلا اسلب) بصيغة المجهول أى لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) ولئلا تقع (فى ايدى المشركين)
أى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) أى ولتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان
يقول) أى فى وجهه أو فى جواب سائله

(استحيي من الله ان اطا) أى من ان أدوس (تربة) أى جملة تراب (فيها) أى دفن فى اجزاء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطا اذ لو أمكن للانسان ان لا يطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشى فيها بعينيه لكان لائقا التعظيم ما لديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى عنه) أى عن مالك رحمه الله تعالى (انه وهب للشافعى كراعا) بضم أوله أى خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعى رحمه الله تعالى امسك منها دابة) أى واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن أحمد بن فضلويه بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما فى التلفظ بالوجهين على ما تقدم الزاهد وكان) أى أحمد (من الغزاة الرماة) بضم أولهما جمع الغازى والرامى يعنى ممن يجمعهما والجملة معترضة (انه قال ما مسست) بكسر الاولى وتفتح أى ما لمست (القوس) أى قوسى أو قوس غيرى (بيدى الا على طهارة منذ بلغنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس) أى تناول قوسه أو قوس غيره (بيده وقد أفتى مالك رحمه الله تعالى فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهى فعيلة من الرداءة أى خبيثة غير طيبة

(يضرب) بصيغة المجهول وفى نسخة بضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وامر بحبسه) أى تغليظا لامره (وكان له) أى والحال انه كان لهذا المعذر (قدر) أى جاه وعظمة أمر عنده ومنزلة عند غيره (وقال) أى مالك رحمه الله تعالى زيادة على ما هنالك (ما أحوجه) ما تعجبية

مقدما فى بعض النسخ (ولهذا) أى للتبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم (كان) الامام (مالك لا يركب بالمدينة دابة) فرسا ونحوها مما يركب رجاء لان يمس جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكره بقوله (وكان يقول) اذا سئل عن ذلك (استحيي من الله تعالى) أى أخشى وأهاب (ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة) أى أرضا ذات تراب ونسب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان ثم بين ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وروى عنه) أى عن الامام مالك (انه وهب) للامام (الشافعى) لما كان عنده بالمدينة وضمن وهب معنى أهدى فعداه باللام وهو متعد لاثنين بنفسه (كراعا) بوزن غراب وهو جمع من الخيل وله معان أخر فيطلق على الخيل والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع (كثيرا كان عنده) أى فى ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعى (فقال له الشافعى) لما وهبه جميع دوابه (امسك منها دابة) أى ابقها عندك لتركبها (فاجابه بمثل هذا الجواب) الذى أجاب به من تقدم بانه يستحيى من الركوب بالمدينة (وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام القشيرى صاحب الرسالة (عن أحمد بن فضلويه) بفتح الفاء وسكون الضاد المعجمة وفتح اللام والواو وسكون الياء و يجوز ضم اللام وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل وقال المعرى انه كلمة تصغير عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله (الزاهد وكان من الرماة الغزاة) كان مكثر المجاهدة فى سبيل الله مجيد الرمى السهام ملازما لمجاهدتها (انه قال ما مسست القوس بيدى) ولمسته بها حال الرمى وغيره (الا على طهارة) أى متوضأ (منذ بلغنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ القوس بيده) أى أمسكها وهو كناية عن الرمى بها وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم حث على الرمى وأمر به فهو سنة ففى صحيح مسلم عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمى وكررها ثلاثا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه والرامى به ومنبله أى من يناوله النبل ليرمى به وصح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رمى بالسهام فى غزوة أحد وكان له قسى ست مذكورة فى السير ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما يمسه وتعظيمه أزيد من غيره من آلات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون مشقة كما فى غيره ولذا كانت العرب تسميها أى السهام رسل المنايا وما قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك فى كل نوع من الآلات لا يساعده لفظه (وقد أفتى مالك فيمن قال ان تربة المدينة) أى أرضها (رديئة) لمن يحل فيها غير طيبة ذات وباء متعفنة الهوى ورديئة مهموز وغير مهموز مأخوذة من الردى (يضرب ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهى آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفى الكلام مقدر أى وقال انه يضرب أو يضرب بدل من أفتى (وأمر بحبسه) تعزيرا له (وكان) الذى حبسه (له قدر) عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عذر ففيه اشارة الى انه أذنب ذنبا عظيما اذ لو كان أمرا سهلا لاصدر من شريف لعذره باللسان والزجر والى هذا أشار بقوله (وقال) الامام مالك (ما أحوجه) تعجب من استحقاقه العقاب أشد مما فعله وفيه تجوز لانه

(الى ضرب عنقه) أى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بزعم انها غير طيبة) أى مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة وطيبة (وفى الصحيح) أى عند الشيخين عن على وأنس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام فى المدينة) أى فى شأنها (من أحدث فيها حدثا) أى أمرا مبتدعا منكرا لا يعرف فى السنة وقيل هو عام فى الآثام (أو آوى) بالمد ويقصر أى ضم اليه أو اليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل أى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه أو بفتحها فيكون نفس الامر

المبتدع وايواؤه الرضا به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضى ببدعة وأقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا) أى نافلة (ولا عدلا) أى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح أوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر أوله قال الحلبى وهذا هو ابن مسعود وقال أبو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجا بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع أجير العمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله تعالى عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان

جعل استحقاقه يقتضى ما صدر عنه كأنه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه تهكم به يومئ الى عدم شعوره بمصالحه (الى ضرب عنقه) أى الى القتل (تربة) وأرض (دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعم انها غير طيبة) أى رديئة متغيرة الهواء ذات وباء وهى وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان الزعم يجئ بمعنى القول ولذا قالوا زعم مطية الكذب وهذا مبالغة عن زجره تفاديا عن تنقيص ما هو من أفضل الاماكن عند الله وان أمكن حمله على محل آخر من ان بعض أماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وباء لما قدم الصحابة لها وأخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار ترابها شفاء من الجذام كما ورد فى الآثار قال الابوصيرى لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم
(وفى الصحيح) أى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان عن أنس (أنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فى المدينة) أى فى حقها وشأنها (من أحدث فيها حدثا) أى من فعل فيها أمرا قبيحا ابتدعه فيها كالمظالم وأصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة شرعا كما فى النهاية ومن موصولة أو شرطية (أو آوى) بالمد ويجوز قصره (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل من أحدث أى أدخله وضمه لاهلها يقال آوى اليه كذا اذا انضم اليه أى أدخلها جانيا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ فى الزجر أو مؤول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسياتى (وحكى) بالبناء للمفعول والذى حكاه ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم (ان جهجاه الغفارى) بن سعد بن حرام قال الطبرى كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبى هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد وهو مدنى صحابى شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفى بعد عثمان بسنة وقد تقدم وسياتى انه مات قبل الحول (أخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله) منه (ليكسره على ركبته) كما هو معتاد فى كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله تعالى عليه وسلم فى يده وكذا فعله الصحابة بعده رضى الله تعالى عنهم (فصاح به الناس) تحذيرا له وزجرا له عما أراده (فاخذته الآكلة) أى اصابته وبدت به (فى ركبته) لوضعه القضيب ليكسره عليها (فقطعها) لان العضو المتآكل ان لم يقطع سرت أكلته للبدن وأهلكته (ومات قبل الحول) الذى بعده أو قبل تمام الحول الذى فعله فيه وروى انه مات عقبه كما تقدم قال فى القاموس الآكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها

بسنة وسياتى قريبا انه مات قبل الحول أى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (أخذ قضيب النبى) أى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) أى معتمدا عليها (فصاح به الناس) أى لمنعه عنه (فاخذته الآكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) أى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) أى الحول الذى وقع كسره فيه

كسرها أيضا قال بعض الفقهاء٢ وما اشتهر من مدهمزته خطأ وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الآكاة ولم ينكره وهو ما قيل في هجاء الاصمعي

ومن أنت هل أنت الا امرء * اذا صح نسلك من باهله
وللباهلي على خبزه * كتاب لآكله الآكله

والآكاة كالاكال مرض يفسد الاعضاء كالجذام معروف وليس في كلام القاضي هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها ورواية انها عصا ليست مخالفة لما ذكر لان القضيب يسمى عصا وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قدم عليه في قصته المشهورة وقد تقدم الكلام عليها في فضل الكرامات وانقلاب الاعيان له (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة (من حلف على منبري) المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز أن يؤمر بصعوده ولكن الاصح الاول وهذا بناء على اليمين تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف أفضل بقعة بالمدينة بعد مرقده الشريف وما ضمه جسده العظيم المنيف (كاذبا فليتبوأ مقعده من النار) يتبوأ بمعنى يتخذه مباءة أي مقرا ومسكنا يقال بوأه اذا أسكنه وهو دعاء أو أمر أريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فأمر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة (وحدثت) بالبناء للمجهول (ان أبا الفضل الجوهري) ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين وأربعمائة وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدي به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الرندي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وأدب عالم بالقرآآت والحديث والعربية وله شعر رائق ونثر فائق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر وأكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردت منه الايام ما وهبت فانقضت أيامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت أمواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله تعالى (لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل) أي نزل عن دابته التي كان راكبها تأدبا (ومشى باكيا) خضوعا وخشية وعليه شوق أو مسرة فان من المسرة قد يحصل البكاء (منشدا) انشاد الشعر قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي أولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا * لانك كنت الشرق للشمس والغربا
(ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا)
ومنها (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا)

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الى آخره والقصيدة في مدح سيف الدولة ولقد أجاد في تمثله به ونقله لمحل لائق به وقد ضمنه المصنف رحمه الله تعالى أيضا في قصيدة نبوية له فقال بعده

وتهنا باكناف الخيام تواجدا * نقبلها طورا ونرشفها حبا
ونبدي سرورا والفؤاد بحبها * تقطع والاكباد أورى بها لهبا
أقدم رجلا بعد رجل مهابة * واسحب خدي في مواطنها سحبا
واسكب دمعي في مناهل حبها * وارسل حبا في أماكنها النجبا
وأدعوا دعاء اليائس الواله الذي * براه الهوى حتى بدا شخصه شبحا

٢ كذا في عامة النسخ لكن الظاهر أهل اللغة اهـ

(وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (من حلف على منبري) أي فوقه أو عنده أو حوله (كاذبا) أي يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد أكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال أي حكي لي (ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة) أي السكينة (زائرا) أي مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم أي نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لابي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي وسيأتي ترجمة المتنبي ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار أثرها (فؤادا) أي قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) أي عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باداته كالسرج بآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) أي ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام أي ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط أو جمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز أو حال من ضمير نلم أي راكبين

والرسم آثار الديار الدارسة والمراد آثاره صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه والفؤاد القلب أو داخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل الخالص من الشوائب سمي به لانه خالص ما في الانسان في قواه كاللباب من الشئ وأما تفسيره بمطلق العقل أخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد أى لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا ولم نأتيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقديم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحيي من ايراده (وحكي عن بعض المريدين) والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادة ما عدا الحق عبثا (انه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قرب منها بحيث يراها وأصل الاشراف النظر من مكان عال أريد به لازمه (انشأ) أى شرع والانشاء يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتداء (يقول متمثلا) التمثل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابى نواس ابن هانئ في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسى من قصيدة قصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو أن يورد شعرا لغيره في مقام يكون أحق به من صاحبه ولم يتعرض له أصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزرى أورده في كتابه الغرة اللائحة وأورد منه ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وأول هذه القصيدة المذكورة

يا دار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تسام

والمراد برفع الحجاب في كلام أبى نواس ستائر أبواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيها وتقطع ماض أو مضارع حذف احدى تائيه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها بالبين وناظر اسم فاعل من نظر أو ناظر العين وانسانها والمطى جمع مطية ناقة تمتطى أى تركب ولاح بمعنى بدا أو ظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناؤه للمجهول أيضا وقوله فظهورهن الى آخره جمع ظهر وهو معروف والرحال بحاء المهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل أو بجيم جمع رجل ذكر من بنى آدم والمعنى تتقارب أى اذا أوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضى رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناها ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهى جملة مستأنفة استئنافا بيانا والحرمة الحق الذى يلزمه احترامه والذمام مفرد بمعنى ما يلزم احترامه أو جمع ذمة وهى العهد وما يجب الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله أبو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو غاية ما يتمناه وقد كان ذلك وكما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا أديتني وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلى ورائى

وفيه رد على الشماخ في قوله

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

(وحكي) يروى وروى (عن بعض المريدين) أى للزيارة (انه لما أشرف على مدينة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنشا) ويروى انشد جعل (يقول متمثلا) أى شاهدا أو واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام في الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول أى كشف الذى كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) أى لمع ولمح (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف احدى التائين أو بصيغة الماضى معلوما أى تضمحل (دونه) أى عنده (الأوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهى التى يركب مطاها أى ظهرها ويقال يمطى بها في السير أى يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفي نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قربننا من خير من وطئ الثرى) أى التراب أو الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر أوله أى عهد وأمان والابيات لابى نواس الحكمى يمدح بها الامين أى أمين الدولة كذا بخط السخاوى وقد ذكر السهيلى في روضه في غزوة مؤتة كقول أبي نواس

وقال

وقال المبرد بعدما أنشد قول ابن رواحة المذكور لقد أحسن كل الاحسان حيث قال لا أحتاج الى ان أرحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم للانصارية التى أتته على ناقة لها وقالت انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها بئس ما جزيتها وقال فى الموازنة ان الشماخ رأى ناقته نفعها السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتى لتشكى * كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتنى عرابة فلا أبالى ان تهلكى وليس دعاء عليها وانما أراد انه بلغ المنى وليس هذا مضادا القول أبى نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت أنا فى معناه

اذا بلغتنا النوق حين تلفتت * قريرة عين فى أعز المسارح
وحق لها تحذى الخدود وتفتدى * بأنفسنا من قادحات الطوائح
فياليتها تمشى لاكرام مثلها * جميع نياق الارض ناقة صالح

(وحكى عن بعض المشايخ) يعنى به كبار الصالحين والعلماء (انه حج ماشيا) تواضعا وقصد الزيادة فى الثواب وقد قال الفقهاء انه أفضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام حجا ماشيين وحج الحسين رضى الله عنه ماشيا ونجائبه تقاد معه (فقيل له فى ذلك) أى سئل لم فعله (فقال العبد الآبق) أى الفار من سيده اذا رجع اليه (لا يأتى الى بيت مولاه) أى سيده (راكبا) وفى نسخة يأتى بدون لا وتقديرها أيأتى بتقدير الاستفهام الانكارى وأراد بالآبق المذنب المقصر فى خدمة مولاه مجازا أى انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل (لو قدرت ان أمشى على رأسى ما مشيت على قدمى) مثنى قدم مضاف لياء المتكلم والمشى على الرأس عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل * سعيا على الرأس لا مشيا على القدم * (قال القاضى) يعنى المصنف عياض رحمه الله تعالى فى بيان ايضاح انه ينبغى للزائر الماشى واظهار الخضوع والذلة (وجدير) أى خليق وحقيق وهو خبر مقدم (لمواطن) أى أماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة وأراد بها مكة والمدينة (عمرت) أى صارت معمورة (بالوحى والتنزيل) من عطف الخاص على العام والباء للسببية أو هى للتعدية بجعل الوحى بمنزلة ساكن عمرها (وترددبها) التردد بمعنى المجئ والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك (جبريل وميكائيل) اما تردد جبريل عليه الصلاة والسلام فظاهر واما ميكائيل عليه الصلاة والسلام فكان ينزل عليه أحيانا (وعرجت) أى صعدت من عنده (منها) أى من المواطن (الملائكة والروح) هو جبريل عليه السلام عطف عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملائكة كالحفظة على الملائكة لا نراهم الملائكة كما لا نراهم واما ان المراد به أرواح الناس فمما لا يليق ذكره هنا (وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح) هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله تعالى وذكره كقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع الاصوات المختلفة وأصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة وهى الارض والساحة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة فى كثرة الذكر والدعاء والتلاوة (واشتملت تربتها) أى تضمنت وحوت أرضها (على جسد سيد البشر) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف المخلوقات فالمكان الذى حواه أفضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعى اليه ماشيا بالذلة والادب ثم ذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشأ عنها وعرض منها فقال (وانتشر) أى شاع وتفرق واشتهر

(وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك) حذرا عليه من النصب هنالك (فقال) أى فى الجواب (العبد الآبق) أى الهارب الشارد من سيده (يأتى) أى أيأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة الى باب مولاه وفى أخرى لا يأتى (لو قدرت ان أمشى على رأسى) بل على عينى (ما مشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مثنى (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم أى حقيق ولائق وخليق (لمواطن) أى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) أى بوحى النبوة (والتنزيل) أى وتنزيل القرآن (وترددفيها) وفى نسخة بها أى فى الاتيان اليها (جبرائيل) أى دائما (وميكائيل عليهما السلام) أى أحيانا (وعرجت) أى صعدت (منها الملائكة) أى المقربون (والروح) أى وأرواح الانبياء والمرسلين أو الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم أى صوتت (عرصاتها) أى اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى بكل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) أى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) أى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر

عنها) أى عن تلك الاماكن (من دين الله) أى الماخوذ من كتابه (وسنة رسوله ماانتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن أى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف أى وهذه مدارس آيات (بينات) أى واضحات أو مبينات (ومساجد وصلوات) أى دعوات أو عبادات (ومشاهد الفضائل) أى من مكارم الشمائل (والخيرات) أى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) أى الدلالات الواضحات (من الآيات) أى الخارقة للعادات (والمعجزات) أى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) أى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) أى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين) أى أماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها وروى مثواه بسكون المثلثة أى منزله وماواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (وأين) أى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم أوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس أى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة أى أماكن انزالها أو نزولها من مكة حين ايصالها أو وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

(وتنسم (ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه والتقدير تعظيم اماكنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثمه طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزاد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

فى الارض منتقلا (عنها) أى عن تلك المواطن وفى نسخة منها (من دين الله وسنة رسوله ماانتشر) أى أمر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة (مدارس آيات) عطف بيان أو بدل من مواطن أى محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرأ أو تلى وقيل جمع مدراس ومفعال غريب فى اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه (ومساجد) جمع مسجد بالكسر موضع السجود وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان صحت ارادته (وصلوات) جمع صلاة وهى العبادة المعروفة وأصل معناها الدعاء ويجوز ارادته هنا وفى نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب (ومشاهد الفضائل والخيرات) المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الآداب وغيرها من الكمالات والخيرات هى خير الدنيا والآخرة (ومعاهد البراهين والمعجزات) أى عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين أعم من المعجزات (ومناسك الدين) جمع منسك وهو محل العبادة والنسك (ومشاعر المسلمين) أى محال معالمهم التى يجب القيام بها من الواجبات وغيرها (ومواقف سيد المرسلين) أى المحال التى قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربيه ومحال صلاته (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الباء وكسرها أى مساكنه ومحال اقامته (حيث انفجرت النبوة) أى ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها وأشرق فى القلوب أنوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق فى ظهوره الماحى لظلمة الكفر أو بمنبع الماء المروى للناس بعد ظمأ الجهل فقوله (وأين فاض عبابها) بضم العين وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المتدفق الفائض وحيث يكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة وأين اسم يستفهم به عن المكان فجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على أصلها أى هى جواب من سال وقال أين فاض عباب النبوة فيقال فى هذه الاماكن (ومواطن مهبط الرسالة) مهبط مصدر ميمى بمعنى الهبوط أى محال نزول الوحى برسالته وأمره بتبليغ الخلق ما أرسل به لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن أولا ولذا قال (وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها) هو يكنى به عن مولد كل أحد لانه لو فرض انه سقط على أرضها كان كذلك كما قال

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

ومنه أخذ المصنف رحمه الله كلامه ولمح به (ان تعظم عرصاتها) جمع عرصة وهى كما تقدم أرض لا بناء فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض أو معناها الحقيقى فهو ساحة المدينة ومكة وفناء أرضها فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو المبتدأ الذى قدم خبره وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره

(وتنشم) بالبناء للمفعول أى تستنشق وفى نسخة وتنسم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وفى رواية تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفى حديث مكة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم حين قال اسامة بن زيد أين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع أيضا (وجدرانها) بضم الجيم وبالفوقية فى آخرها الا بالنون وان كان هو أيضا جمع جدار وهو ما يتحاط به عليها المراعاة السجع (يا دار خير المسلمين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبي الذى ظهر لى ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاحتراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرقعة الرفيعة وقال يا دار خير المرسلين لحديث البخارى انا سيد المرسلين والآخرين ثم قال ومن به أى بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) أى هداية الخلق (وخص) أى هو (بالآيات) أى المنزلة والمعجزات المكملة (عندى لاجلك لوعة) أى شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة فى حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح أولها أى رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعى كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله فى سبق قدمه وأبعد له عن أن يعجب بحاله أو يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلى عهد) أى وعد وعقد (ان ملأت محاجرى) بفتح الميم مدار بالعين أى نواظرى (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة أى لالوثن وأغبرن (مصون شيبى) أى شيبى المصون ووجهى المكنون بتقليبى لهما (بينها) أى بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) أى تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشفات) بفتحتين فقاف كذا فى الاصول ولعل معناها رمى سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمى بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفى أصل الدلجى بالفاء وكذا فى بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهى المص المحبوب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده فى كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه نعم لو صحت الرواية بالفاء لتعين أن يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه فى ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففى القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا اسكن للعطش

(وتنسم نفحاتها) تفعل من النسيم مبنى للمجهول والمراد ما فى النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة فى الاصل دفعة من الريح يجوز بها عن الطيب الذى ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث (ان لربكم فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) فشبه ما فيها من بركاته وطيب نسيمه وائحه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية (وتقبل) أى تلثم وتباس بالشفاه (ربوعها) جمع ربع وهو المنزل فى الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا (وجدرانها) بضم الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين والف ونون جمع جدار وهو أصل الحائط ويطلق عليه أيضا ويجوز أن يكون بتاء التأنيث جمع الجمع ثم لما تزايد شوقه لما هده صلى الله تعالى عليه وسلم قال مخاطبا بها بتنزيلها منزلة العقلاء فى شعر له مروى عنه وهو قوله أعنى المؤلف

(يا دار خير المرسلين ومن به ✲ هدى الانام وخص بالآيات)

أراد بداره محل قره فيه مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفى نسخة المسلمين والاولى أولى وهدى مبنى للمجهول أى هدى الله تعالى به والانام الخلق مطلقا أو كل ذى روح كما مر وقوله خص بالآيات المراد بها القرآن أو جميع المعجزات لان الله تعالى خصه منها بما لم يكن لغيره أو التعريف فيه للعهد

(عندى لاجلك لوعة وصبابة ✲ وتشوق متوقد الجمرات)

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق زيادة الشوق وشبه ما فى القلب منه بجمرات متوقدة وتوقد بكسر القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها أيضا كما فى المقتنى

(وعلى عهد ان ملأت محاجرى ✲ من تلكم الجدران والعرصات)

وعلى عهد أى توثق التزمته وهو يمين كما يقال على عهد الله تعالى والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين وملؤها مجاز عن النظر اليها وابصارها والجدرات جمع مؤنث لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

(لاعفرن مصون شيبى بينها ✲ من كثرة التقبيل والرشفات)

التعفير تمريغه فى التراب ويقال له عفار وأراد بشيبه لحيته المبيضة وبينها أى بين ترابها وأرضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلونه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات جمع رشفة وهى مص الريق ونحوه

(لولا العوادي) جمع عادية وهي شغل يصرفك عن الشئ تريده والله تعالى أعلم ما يعتري الانسان من العوارض التي تكون عوائق (والاعادي) جمع عدو (زرتها) أي تلك المنازل بسير المراحل (أبدا) اي دائما (ولو) أي وان كانت زيارتي (سحبا) من قولك سحبت الشئ فانسحب أي جررته فانجر أي سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون ويكسر أولها ويضم وهي أعلى الخد (لكن سأهدي) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتي) أي تحيتي الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) أي لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان ٤٤٢ اذا لزمه وفي حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى أي سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زياد ابن حارثة فاني قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهي بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع أو من الحجر لكونها مبنية منه (أزكى) بمعجمة أي أهدى من كثير التحية والثناء ما هو أضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة أي المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يزكي رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة في أزكى أزيل عن أصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون أوقع في نفس أرباب الاحوال (تغشاه) أي تحل بركاته وتغطيه (بالآصال) جمع أصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجي تبعا للحلبي والاولى أن يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون أي أول النهار والمراد بهما الدوام في الايام والليالي انه تابعة لها كما لا يخفى على الانام وفي القاموس الاصيل العشي والعشاء أول الظلام أو من المغرب الى العتمة أو من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشي والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكي الصلوات) بفتح الياء أي بطواهرها وكذا في قوله (ونوامي التسليم والبركات) أي بطواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روي بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان ألطف

وفسر هنا بالتقبيل أيضا وتفسيره بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب القسم الذي تضمنه قوله على عهد

(لولا العوادي والاعادي زرتها * أبدا ولو سحبا على الوجنات)

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوائق أو الظالمة بمعنى غائرة ظالمة والاعادي جمع عدو وهو جمع أعداء جمع الجمع والوجنات جمع وجنة وهي أعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر أي أسحب وجهي على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وأبدا ظرف مستغرق لما يستقبل من الزمان والمعنى لولا عوائق الدهر لم افارقها ولم أتخلف عنها

(لكن سأهدي من حفيل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات)

استدراك على ما أفاده ما قبله أي ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتضمخ بتربها تبركا فاني أهدي لمن سكن بها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين دفنوا بها والاهداء الارسال والحفيل بحاء مهملة مكسورة وفاء وياء تحتية ساكنة ولام بمعنى كثير نفيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف مفتوحة وطاء مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من تلك الدار يفرز ويحجر اشارة الى حجراته التي كان بها زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين وكان سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني فهي نائبتي

وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيئا له ثم هنيئا

(أزكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات)

أزكى بمعنى أكثر طيبا ورائحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيره وهو منصوب تمييز وروي بالرفع واضافته للهاء أي رائحته نائب فاعل المفتق وتغشاه تعرض له أو تغطيه وتجلله من الغشاء والآصال جمع أصيل أو جمع أصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي أول النهار وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما

(وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات)

وتخصه بتاء التأنيث فاعله ضمير التحية أو بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع زاكية وهي الزائدة بمعنى النوامي جمع نامية وحركت ياءهما لكسر الضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتي قريبا ولقد أجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل

انه فاسد الوزن وصوابه ان يقول وتخصه ازكى صلاة دائما بنوامى التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روى ان المصنف رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزره صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا على مافاته كما وقع للعارف بالله تعالى ابى العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متأسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الحظ اقعدنى * ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا

ياسائرين الى المختار من اضم * سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا

انا اقمنا على عجز ومسكنة * ومن أقام على عجز كمن راحا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

(الباب الرابع)

من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) والصلاة أصل معناها الدعاء والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم أمره اليه (وفرض ذلك) أى وجوبها على أمته فى أى مقام (وفضيلته) أى فضيلة ماذكر من الصلاة والتسليم وليس الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ماهو أعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال أبو ذر رضى الله عنه ابتداء مشروعية الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتداء بمكة لانه ورد فى حديث الاسراء وماقاله أبو ذر رضى الله عنه هو ابتداء اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الانبياء عليهم السلام كلهم فانه لم يشرع ذلك لاممهم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعة (قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) صدر بهذه الآية لاثبات مدعاه لان الامر محتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعاء ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هى منقولة من المعنى اللغوى لمعنى آخر وضعه الشارع له لمناسبته لمعناه الاصلى لاشتمالها على الدعاء ولما فيها من تحريك الصلوين وهما طرفا العجز أوهى مجاز الاشتمالها على الدعاء والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتأخرين انها باقية على معناها اللغوى ولانقل فيها ولا تجوز لان المصلى فى جميع صلاته فى دعاء وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع وردبانه كلام من لم يعرف معنى النقل وأهل الشرع اذا استعملوها لايلاحظون معناها اللغوى ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلى ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمآل واحد والخلاف لفظى وهذه الآية مدنية أخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عنده وان الله وملائكته يثنون عليه فى الملأ الاعلى ثم امر أهل العالم السفلى بان يفعلوا كفعلهم وفى الكشاف لما نزلت هذه الآية قال جبريل ما خصك الله بشرف الأشر كنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته قال الحافظ السخاوى لم اقف على أصله الى الآن وقال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمى هو موافق لما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل فى ترجمة سفيان بن عيينة انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فقال أكرم الله أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الانبياء فقال هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم أى سكينة فصلى عليهم كما صلى على ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهؤلاء الانبياء مخصوصون منهم وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يدخل فى شئ الادخل فيه أمته ثم تلى أن الله وملائكته الآية وقال هو الذى يصلى عليكم الخ واشار الى مزيد خصوصية على أمته باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة لاتكون الا تبعية وجمهور القراء على نصب الملائكة عطفا على اسم ان

(الباب الرابع) أى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) أى عليه أو لديه واختير التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد ولتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) أى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله أى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها وكيفيتها واختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما أى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لاالمعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلادلالة فى الآية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد أوضحت المسألة فى رسالة مستقلة

ويصلون خبر عنهما وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير الصلاتين
ورجح الاول أبو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي فالملائكة استمرت
صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة لآدم الذي وقع وانقطع وقال على
النبي دون محمد أو الرسول تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة أشرف من الرسالة لانها اتصال بالله
واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمؤمنين قيل لان الصلاة مؤكدة معنى
بصدورها من الله وملائكته فكيف لا تصلي عليه أمته أولانها مؤكدة بان والجملة اسمية والسلام سواء
كان بمعنى الانقياد أو بمعنى السلامة من الايذاء لا يليق اسناده الى الله والملائكة ولذا استحق التأكيد
لصدور خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم كما أورده السخاوي لانه تحية واكرام وبقي هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في
بيان معنى الصلاة فقال (قال ابن عباس معناه) أي معنى الصلاة وذكره لتأويلها بالدعاء أولان تأنيث
المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (ان الله وملائكته يباركون على النبي صلى الله
عليه وسلم) أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره وسيأتي فيه كلام وأصل معنى البركة
النمو وزيادة الخير اللازم (وقيل) في معناه انه بمعنى (ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم) أي
يدعو له بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو رد على من قال ترحمت عليه
لحن كما نقله الصاغاني ورده بانه ورد في الحديث وتأتي الاشارة اليه أيضا (وملائكته يدعون له) ولم يبين
الدعاء لتفسيره بقوله (قال المبرد وأصل) معنى (الصلاة الترحم) أي الانعام أو الدعاء بالرحمة ومعنى الدعاء
من الله ارادته أو التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله تعالى فاريد به لازمه وغايته ولذا
فسره بقوله (فهي من الله رحمة) أي انعامه أو ارادته (ومن الملائكة رقة) أي شفقة عليه ومحبة
(واستدعاء للرحمة من الله) له أي طلبها والدعاء بها (وقد ورد في الحديث) الذي رواه الشيخان عن أبي
هريرة (صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة) في المسجد (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا
دعاء) لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا وفي قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقد بينا وجه
الدعاء بخصوص الاستغفار فيما يأتي في فصل المواطن ولفظ الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة
ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث (وقال)
الامام (أبو بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي) اي لمن منزلته دون منزلته من الامة (رحمة)
أي طلب ان يرحمه الله وأما النبي فمرحوم باعلاء أنواع الرحمة فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى
الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت أو ترحمت على ابراهيم قال الصغار انه مكروه في حق الانبياء
والرسل وحكي عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة الا من أتى
بما يلام عليه وقد أمرنا بتعظيم الانبياء وتوقيرهم فاذا ذكر النبي لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه وسلم بل
لا يقال للصحابة رحمه الله بل رضي الله عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية وانا اقول
اللهم ارحم محمدا وآل محمد جائز متوارث وكان الشيخ الزاهد الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا ارحم أمة
محمد والترحم لامته لا له كما يقال لمن يراد عقابه وله أب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو
لم يجن ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي الصحيح انه لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من أشوق
الناس الى رحمة ربه انتهى (وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة) بميم في أوله وراء مضمومة وفي

(قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي) أي ان الله يبارك له في أمره ويزيد في قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع
ذكره ويظهر امره ففيه اشارة الى ان في قوله يصلون مجاز امرسلا لا جمعا بين الحقيقة والمجاز والاستعمال المشترك
في معنييه كما هو مبين في
الاصول لاهل الوصول
(وقيل ان الله يترحم على
النبي) أي يبالغ في انزال
الرحمة عليه فكأنه يطلب
من نفسه الرأفة اليه
(والملائكة يدعون له)
أي ويتواضعون لديه
(قال المبرد وأصل الصلاة
والترحم وهي) وفي نسخة
فهي (من الله رحمة)
أي انزالها وايصالها
(ومن الملائكة رقة)
أي موجبة للرحمة
(واستدعاء للرحمة من الله
تعالى) أي على نبي الامة
وكاشف الغمة (وقد
ورد) ويروى وقد روي
(في الحديث صفة صلاة
الملائكة على من جلس)
أي في مسجد ونحوه
(ينتظر الصلاة) أي
الآتية أو أذانها واقامتها
اللهم اغفر له (اللهم ارحمه
فهذا دعاء) لكنه يليق
بالامة ولا يبعد ان يكون
دعاؤهم للنبي بان يقولوا
اللهم عظم شانه وعم
برهانه واكثر أمته
وأظهر ملته وارفع
درجته (وقال بكر) وفي
نسخة أبو بكر (القشيري
الصلاة من الله تعالى
لمن دون النبي) أي لغيره
(رحمة) أي عامة (وللنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة

نسخة

وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) أي المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) أي بزيادة الاكرام والانعام للنبي عليه الصلاة والسلام (وقال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) يعني المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو أولى أي فصل (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة) أي في الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) أي الصلاة والبركة (بمعنيين) أي متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) أي بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل أن يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل أن يراد به التسليم الذي بمعنى التحية فان السلام تحية أهل الاسلام أو خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبي عليه الصلاة والسلام (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بضم موحدة ففتح كاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر الله تعالى أصحابه أن يسلموا عليه) وكذا أمرهم النبي أن يسلموا عليه (في الصلاة بأن يقولوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وكذلك من بعدهم) أي من التابعين وغيرهم (أمروا) أي تبعا لهم (أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره) أي خصوصا (وعند ذكره) أي عموما (وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك) أي حاصلة لك أو السلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) أي مصحوبة معك لا تنفك عنك في جميع أحوالك (ويكون السلام مصدرا) أي كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذ بذ الا انهما من الثلاثي المجرد والاولان من المزيد

نسخة بكرمة بتاء بدل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهره ان معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة والمتبادر في حقه معنى التشريف والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعاء بالرحمة ولكن استحبوا الدعاء له بلفظ الصلاة تأدبا وفرقا بينه وبين غيره (وقال أبو العالية صلاة الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثناؤه عليه) بمدحه وبيان منزلته عنده (عند الملائكة) أي بحيث يطلعون على ذلك (وصلاة الملائكة الدعاء) كما مر (قال القاضي أبو الفضل) عياض مصنف هذا الكتاب (وقد فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل) تفريقه بينهما بعطف أحدهما على الآخر على (انهما بمعنيين) متغايرين وحديث تعليمهم الصلاة سيأتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة كما تقدم معناه الرحمة والبركة كما قال الراغب أصلها من البرك وهو صدر البعير ومنه برك البعير اذا ألقى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي محبس الماء بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الشيء ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما شاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وأدم خيراتك [illegible] لا تحصى عليه ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى غيره فهي على أنبيائه منا وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي لفظ الصلاة مشترك في الاعتناء بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال (وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده) في قوله وسلموا تسليما (فقال القاضي أبو بكر بن بكير) بالتصغير وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التآليف الجليلة التي منها أحكام القرآن وهو عراقي من أقران ابن الجهم وقيل اسمه أحمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير [illegible] بكير أبوه أو جده (نزلت هذه الآية) يعني قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ان يسلموا عليه) [illegible] الامر الله لهم (وكذلك من بعدهم أمروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره) في سائر مجالسهم كما سيأتي بيانه وهذا مبني على ان الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين أو يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل أو قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل (وفي معنى السلام عليه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أوجه) وفي نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جائز شائع في كلامهم (أحدها) انه بمعنى (السلامة) من النقائص والآفات ثابتة (لك ومعك) أي مصاحبة وملازمة لك (ويكون) على هذا التفسير (السلام مصدرا) بمعنى السلامة (كاللذاذ واللذاذة) معنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بتاء ودونها ومثله كثير كالملام والملامة والمقال

(والثاني) أي من الوجوه (أي السلام) أي اسمه (على حفظك) أي محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) أي مراعاة جميع أمورك (متول له) أي متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك أو متول عونه ونصره له (وكفيل به) أي ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون لها) أي في الوجه الوجه الثاني (السلام اسم الله) أي مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له) أي المصالحة والموافقة (والانقياد) أي بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) أي فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فو ربك بشهادة فوربك لنسئلنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لا لتظاهر لا في (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفي والاثبات في زيادتها للتأكيد كما في فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى

والمقالة ولما في السلام من الثناء عدى بعلى لا لانه بمعنى القضاء والمعنى قضى الله عليك السلام كما قيل لان القضاء كالدعاء لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية والاستيلاء لانه وجه آخر ذكره بقوله (الثاني أي السلام مداوم على حفظك ورعايتك) أي اكرامك وعنايته بك ومراقبتك (ومتول له) أي قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره (وكفيل به) أي متكفل ملتزم له (ويكون هنا) أي في هذا الوجه (السلام اسم الله تعالى) ومعناه ذو السلامة وليس في أسماء الله مصدر غيره (الثالث) من الاوجه (ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد) عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال الله تعالى (فلا وربك) قسم جوابه (لا يؤمنون) أي لا يظهر ايمانهم ولا يكمل (حتى يحكموك) أي يفوضون الحكم اليك (فيما شجر بينهم) أي وقع بينهم من المنازعات والدعاوى (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) أي ضيقا لعدم رضاهم (مما قضيت) حكمت به عليهم (ويسلموا تسليما) أي يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال الراغب السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من أسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطابي صيغته خبر معناها الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ للنية انتهى ومعناه من الله في صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتباري ومثله يكفي في هذا المقام وقد أفرد السلام بتأليف نفيس السيد السمهودي ووقفت عليه وفيه أمور بضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد هنا كلام غير محرر رأينا ترك التعرض له أولى وفي الاذكار للنووي انه يكره افراد الصلاة عن السلام في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتي فيه كلام وهذه الآية الاخيرة نزلت في حق من خاصم الزبير في سقاية الماء وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى

*(فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض في الجملة) أي اجمالا من غير تعيين زمان أو محل (غير محدد) بحاء ودال مشددة مهملتين أي غير معين وأصله ماله حدود فاستعمل في لازم معناه (بوقت) من الاوقات المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله (لامر الله) وأصل الامر الوجوب (بالصلاة عليه) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وحمل الائمة) من السلف (والعلماء) من أهل التفسير (له على الوجوب) اي على انه أمر ايجاب لا ندب أي فسروه وبان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به (وأجمعوا عليه) أي على انه للوجوب من غير تعيين محل أو زمان والآية تدل على ذلك عند الجمهور ولانه الاصل في الامر وحقيقته عند الاكثر وتقريره في كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله (وحكى أبو جعفر الطبري) هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه (ان يحمل الآية) أي المراد منها وما فيها من الامر (عنده) أي عند

يحكموك) أي يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) أي فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) أي ضيقا شرعا لا طبعا أو شكا (مما قضيت) أي حكمت به (ويسلموا) أي وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره أي وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصل) (اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) أي واجب مقطوع به (في الجملة) وفي نسخة على الجملة أي اجمالا (غير محدد) وفي نسخة غير محدود أي غير مؤقت ومقدر (بوقت) أي بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه) والاصل في الامر الوجوب كما عليه الجمهور (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا أو ماضيا كما في نسختين صحيحتين والمراد أئمة المجتهدين (والعلماء) أي من المفسرين والمحدثين (له) أي لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (وأجمعوا عليه) أي على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق أكثرهم لقوله (وحكى أبو جعفر) أي محمد بن جرير الشافعي (الطبري ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية أي الآية محمولة باعتبار أمرها (عنده

(على الندب وادعى فيه الاجماع) أى على الندب (ولعله أى الاجماع المذكور فيمازاد على مرة) أى ائلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ وهو اسم فاعل مشتق فلامه اسم موصول صلته (الذى يسقط به الجرح) بفتح الجيم وسكون الراء أى الطعن والقدح (ومأثم ترك الفرض) أى ويسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المتقدم لانها أقل ماتوجد فيها الماهية المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) أى المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عداذلك) أى وأمامازاد على مرة فيها (فمندوب) أى مستحب ومطلوب (مرغب فيه) أى مرغوب (من سنن الاسلام وشعار أهله) أى علامتهم فى أحكام الاحكام (قال القاضى أبوالحسن بن القصار) من المالكية (المشهور عن أصحابنا) أى علمائنا (ان ذلك) أى ماذكر من ان الصلاة (واجب فى الجملة) أى فرض غير موقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) أى على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتى به) أى بهذا الفرض وفى نسخة بها أى بالصلاة (مرة من دهره) انه يخرج من عهدة أمره (مع القدرة على ذلك) أى على الاتيان بها اذهى شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) بضم موحدة وفتح كاف أحد المالكية (افترض الله على خلقه) أى من المؤمنين (ان يصلوا على نبيه) أى تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) أى الافتراض (لوقت معلوم) أى فى وقت معين وزمان مبين (فالواجب) أى مروءة أواحتياطا أوالمراد به الوجوب الذى دون الفرض (ان يكثر المرء منها) أى من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء أى لايذهل

أبى جعفر (على الندب) وفيه تقدير أى تبعا لغيره والا فلامعنى لحكايته ماعنده ويدل على المقدر قوله (وادعى فيه) أى فى ان الامر فيه للندب (الاجماع) وفى قوله ادعى اشارة الى ان ماقاله ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه و بين ماذكره قبله فقال (ولعله) أى ماادعاه (فيمازاد على مرة) واحدة فى العمر فانه لاخلاف فى عدم وجوبه على كل أحد (والواجب منه) مبتدأ خبره مرة الآتى (الذى يسقط به الحرج) أى التضييق على الناس لو وجب دائما أوكلماذكر او الاثم فان الحرج ورد بهذين المعنيين كما صرحوا به (ومأثم ترك الفرض) أى يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والمأثم بالمثلثة مصدر ميمى بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب (مرة) مرفوع على الخبرية (كالشهادة له بالنبوة) والرسالة فانها واجبة فى العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة تحقق فى ضمنها ماهية المأمور به فالصلاة بالطريق الاولى وهو أحد المذاهب والصلاة كما يأتى بيانه (وماعداذلك) أى المرة الواحدة فى الصلاة والشهادة (فمندوب من رغب فيه) بكثرة ثوابه وفوائده (من سنن الاسلام وشعائر أهله) أى دأبهم الذى هو علامة لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان أخر وهو جواب عما اعترض به على ابن جرير مما خالف الاجماع الذى حكاه المصنف رحمه الله وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح ومانقله المصنف صرح به ابن عبد البر من غير عزوله المذهب وهو ظاهر (وقال القاضى أبو الحسن بن القصار) بقاف وصاد مشددة وراء مهملتين وهو على بن عمر بن أحمد الفقيه الثقة له كتاب فى الخلاف كثير الفوائد لم يصنف فى بابه أحسن منه وفى بعض النسخ الصفار بصاد مهملة بعدها فاء مشددة وألف وراء قال التلمسانى والاول هو المعتمد وهو من أئمة المالكية منسوب لصنعة قصار الثياب وهى تبييضها والثانى لبيع الصفر وهو النحاس (المشهور عن أصحابنا) يعنى المالكية (ان ذلك) أى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واجب فى الجملة) أى اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له (على الانسان وفرض عليه) اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى كالشافعية خلافا للحنفية (ان يأتى به مرة من دهره) أى فى مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته (مع القدرة على ذلك) أى شرط فى وجوبه مرة فى عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنه كسائر الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لاينافى ماتقدم من الاجماع لانه لامفهوم له وقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة أيضا أو هو اشارة لمانقله عن الطبرى وان كان عنده لاينافى الاجماع لكونه واهيا أومؤولا كما تقدم ولم يتعرضوا لحكم السلام عنده ومانقله عن الحطاب من متأخرى المالكية عن الرصاع ان الذى يظهر ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه والزائد مستحب لقول ابن عباس رضى الله عنهما فريضة من الله علينا أن نصلى على نبينا ونسلم تسليما ومانقل عن مشايخ المغاربة من التوقف فى وجوبه لا أصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى (وقال القاضى أبو بكر بن بكير) وتقدمت ترجمته (افترض الله تعالى عز وجل) افترض وفرض بمعنى وفيه زيادة تأكيد لزيادة بنيته (على خلقه) جميعا (أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما) كما مر نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغى ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للمأمور (ولم يجعل ذلك) الافتراض (لوقت معلوم) واللام فيه للتوقيت والظرفية كما يقال كتبته لست عشرة مثلا (فالواجب) على الخلق (أن يكثر المرء) أى الرجل والمراد به الانسان ولو امرأة تغليبا (منها) أى من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (ولا يغفل)

(عنها) أي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شئ لانه بصدد بيان وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا
يغفل عنها مناف لما لاقتضائه مرات كثيرة فان أراد انه ان فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت
فالجواب مثله غير ظاهر ومنافاته لما قبله فان كان قولا آخر فسياقه لا يساعده وأما الاعتراض عليه بانه أمر
مطلق لا تعرض فيه لعدم تعين وانتهاء لا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار منها
مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن (وقال القاضي أبو محمد بن نصر المالكي) وهو القاضي
عبد الوهاب بن نصر بن أحمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن أحمد بن هارون بن مالك أدركه الشيرازي
وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا أديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في آخر عمره
لمصر فحصلت له ثروة وتوفي في سنة احدى وعشرين وأربعمائة (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجبة في الجملة) أي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد) قيل
هو محمد بن سعيد بن بشر بن شراحيل الفقيه كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى
المشرق فلقي مالكا رضي الله تعالى عنه فقرأ عليه ثم انصرف للاندلس والتزم ضيعة بباجة الى ان توفي
سنة ثمان وتسعين ومائة كما قاله القاضي في المدارك (ذهب مالك وأصحابه وغيرهم وأهل العلم الى ان
الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة) أي اجمالا من غير تعيين مقدار ووقت (بعقد
الايمان) أصل معنى العقد ربط اطراف الشئ كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها
بمعنى تصميمها واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان وهو بكسر الهمزة والباء سببية أو بمعنى بعد أي هي
أول ما يفرض بعد الايمان بالله ورسوله (لا يتعين في الصلاة) أي ليس وجوبها مخصوصا ومؤقتا بها
(وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره) ومدة حياته الى موته (سقط الفرض عنه) لخروجه عن عهدته
قيل حاصل ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى عنه غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض
في الجملة تسقط بمرة الثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول بانها
تجب في الجملة مطلقا انما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه
ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعي رحمه الله في مسح الرأس انه يجب مسحها مطلقا
فلو مسح شعرة حصل الفرض ولو مسح الجميع وقع فرضا وبقي أقوال غير ما ذكره المصنف منها انها تجب
في كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية على أهل المجلس فلو صلى واحد كفى على الجميع أو
فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر أو سمع ونقلا عن الطحاوي وبعض الحنفية والشافعية للحديث
الآتي رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف
وقيل عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي وجوب ذلك على المصلي وقارئ القرآن
والمتهجد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة والتابعين ولو كان
كذلك وجب الثناء على الله كلما ذكر بالطريق الاولى ولم يقل له أحد وأجيب بانه منقول عن الائمة
الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها ولا حرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على
الله أيضا أو نقول بالفرق بينهما بانه تعالى غني مطلق وعظمته غير متوقفة على ذكرها وان هذا حق
العبد وذلك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله أيضا الامر به ناشئ
من عدم فهم المراد بحق الله (وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به) في الآية المذكورة
أولا (و) أمر به (رسوله عليه الصلاة والسلام) كما سيأتي بيانه (هو في الصلاة) أي هو وعقب
التشهد وقبل التحلل وسيأتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي وأصحابه كما

صرح

(عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل في الذكر انه سبحانه وتعالى قال أذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة وأصيلا فجعل لكل عبادة وقتا معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا معينا سواء يكون ذكرا لسانيا أو
جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير مؤقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة في الجملة) هذا قول مجمل وفي بيان تفصيله (قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم) أي من الامة المجتهدين (الى) وفي نسخة بدونها (ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) أي بقيد الايمان المذكور في القرآن فلا تجب على أهل الكفر والكفران (لا تتعين في الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها ولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعي (وان) أي وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي) أي تبعا له (الفرض منها) أي من الصلاة (الذي أمر الله) أي في قديم كلامه (به) أي باتيانه (ورسوله) أي وأمر به رسوله (عليه السلام) أي في حديثه
(هو في الصلاة) أي منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث
أبو مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم أما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه أي علمناه من تشهد الصلاة وهو

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لا دلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود فيما رواه ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعوا لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن أقوال تقال فى الصلاة ولا دلالة على وجوب الصلاة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العميرى بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على فى الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لا تكون صلاة كاملة ومع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعى قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وروى انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز أن نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز أن يقع الامران ويكون أحدهما للوجوب والآخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة عليه وعلى آله والشافعى لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالدعاء فيها أيضا وهو مندوب أيضا قال الدلجى وزعم القرافى فى ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب فى زعمه اذ لا اجماع على وجوبها فيه أقوال ولعله أراد ان الاجماع على وجوب الصلاة فى الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى قوله (وقالوا) أى أصحاب الشافعى رحمهم الله تعالى (واما فى غيرها) أى غير الصلاة (فلا خلاف فى أنها غير واجبة) أى فيتعين كونها فى الصلاة واجبة اذ لا بد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجى الا مرة واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما فى الصلاة فحكى الامامان أبو جعفر) وفى نسخة أبو جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبرى) وهو محمد ابن جرير من أكابر الشافعية (والطحاوى) وهو محمد بن أحمد بن سلام من أكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) أى من الصحابة والتابعين (والمتأخرين) أى من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجى بنقل النووى فى شرح المهذب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثيرين نقلوا وجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وأبى مسعود البدرى وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر ومقاتل رحمهم الله تعالى ومن غيرهم أحمد بن حنبل كما قال أبو زرعة الدمشقى الآخر عملا حتى ان بعضهم أوجب أن يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد ألزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه أن لهم أن يلتزموه ولذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير أن يتعرضوا لكونه واجبا أو مندوبا اللهم الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها أو بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها أو نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلانى لم أر من الصحابة أحدا صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعى وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعى) أى انفرد هو ومن تبعه (فى ذلك) أى القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) أى الشافعى (من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفى نسخة الآخر وهو وأشهد أن محمدا رسول الله (قبل السلام) أى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) أى لانها ركن عنده تفسد بتركه

صرح به فى الام وقول القرافى فى الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها (وقالوا) أى أصحاب الشافعى (واما فى غيرها) أى غير الصلاة وهو خارجها (فلا خلاف) فى (انها غير واجبة) المراد انه لا خلاف عند الشافعى وأصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقدير الامرة واحدة كما مر لا يجدى نفعا الا ان نفى الخلاف بناء على المشهورة عندهم وفى الشرح الجديد ما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة فى الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها فيهما ووافقه أحمد وهما امام السنة وقال الشافعى أيضا بوجوبها فى صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما سيأتى ووافقه أحمد واتباعه أيضا ورووا فيه أحاديث صححوها (وأما فى الصلاة) أى حكمها فيها (فحكى الامامان أبو جعفر) يعنى محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته (الطبرى والطحاوى) أحمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها فى الصلاة (وغيرهما) من الائمة (اجماع) جميع (المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد) الاول والاخير منها (غير واجبة وشذ الشافعى) أى أتى بقول شاذ انفرد به عن جميع أئمة الدين ولم يقل به أحد قبله ولم يوافقه عليه أحد (فى ذلك) أى بقوله بوجوبها فى تشهد الصلاة الاخير (فقال من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلاته فاسدة) لانها ركن من أركان الصلاة تفسد بتركها فى التشهد الاخير فقط

(وان صلى عليه قبل ذلك) أى قبل أشهد أن محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى أو قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه أن يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من أجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) أى لا سابقة قدم (له) أى للشافعى والمعنى ان أحدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) أى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها أى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن أعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين أصلا بل رأسهم وأساسهم أبو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فضلا فضلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من أن موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا من ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم أغرب فى قوله لم أقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا

(وان صلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ذلك) أى قبل التشهد الاخير وقوله فيه أشهد ان محمدا رسول الله (لم تجزه) صلاته أى لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فتجب عليه اعادة صلاته (ولا سلف له فى هذا القول) بوجوبها فى التشهد الاخير أى لم يقل به أحد من السلف (ولا سنة يتبعها) أى لم يثبت فى السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله الامام الشافعى (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه) من الائمة والسلف (جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها) مفعول شنعوا بمعنى قبحوا أى عدوا ما قاله أمرا قبيحا وقولا مبتدعا منه (منهم) محمد بن جرير (الطبرى و) الامام (القشيرى) قيل المراد به أبو ناصر بن صاحب الرسالة أو أبو بكر بن العلاء القشيرى المالكى واما الامام القشيرى صاحب الرسالة فهو شافعى لم ينكر عليه شيئا مما ذكر (وغير واحد) أى ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء (وقال أبو بكر بن المنذر) بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد أبو بكر محمد بن ابراهيم النيسابورى الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشرة وثلاثمائة (يستحب ان لا يصلى أحد صلاة) ما فرضا كانت أو نفلا أو جنازة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد التشهد وبعد التكبيرة الثانية (فان ترك ذلك تارك) أى واحد كان فى أى صلاة كانت (فصلاته مجزئة) أى صحيحة وان كان الافضل عدم الترك (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى علمائها وهو من عطف العام على الخاص (وسفيان الثورى) صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب (وأهل الكوفة) أى علمائها (من أصحاب الرأى) المراد بالرأى القياس فى عرف الفقهاء والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع أبى حنيفة ويقابلهم أهل الحديث لاقتصارهم فى العمل عليه (وغيرهم) من العلماء (وهو قول جل اهل العلم) الجل بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شئ (وحكى عن مالك وسفيان) الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة) لا واجبة وخص الاخير لانه محل الخلاف (وان تاركها فى التشهد) الاخير (مسئ) غير محسن لارتكابه أمرا مكروها قصده (وشذ الشافعى) أى انفرد بهذه المقالة المخالفة عن غيره من الائمة (فاوجب على تاركها فى الصلاة الاعادة) لتركه ركنا به يتم سواء تركها عمدا أو سهوا (وأوجب اسحق) بن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل أبو يعقوب بن راهويه

لقول عمر اذا رأيتم من يخرق أعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك أحرى أن لا تكونوا شهداء (وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه) أى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) أى من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) أى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون أى طعنوا (عليه الخلاف فيها) أى فى هذه المسئلة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) أى صاحب الرسالة منهم أبو بكر بن العلاء المالكى (وغير واحد) أى وكثيرون من غيرهم (وقال أبو بكر بن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة (يستحب أن لا يصلى أحد صلاة) أى فرضا أو نافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) أى الاستحباب (فصلاته مجزئة) أى كافية له (فى مذهب مالك وأهل المدينة) أى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى وأهل الكوفة من أصحاب الرأى) أى أهل الرأى الثاقب الذى هو من أعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما أشكل من الحديث أو فيما لم يرد به حديث بارائهم (وهو قول جل أهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جمل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام أى أكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) أى الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) أى الاخير (مسئ) أى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) أى عمدا أو سهوا (فى الصلاة) فرضا أو نفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من أركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود السهو (وأوجب اسحق) أى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين

(الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقي من الحنابلة (وحكى أبو محمد ابن أبي زيد عن محمد بن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) أي في مذهب المالكية وهذا يحتمل أن يريد مرة أو كلما ذكر أو في تشهد الصلاة (قال أبو محمد) هو ابن أبي زيد (يريد) يعني ابن المواز (ليست) أي الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) أي من اركانها (وقاله) أي وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري صاحب الشافعي يروي عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائي وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت في الفقهاء أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها) أي يرى الصلاة (فريضة في الصلاة كقول الشافعي) وصححه ابن الحاجب في مختصره وابن العربي في سراج المريدين وقال عبد السلام المالكي وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى أبو يعلى العبدي) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكي عن المذهب) أي مذهب مالك (فيها ثلاثة أقوال الوجوب) أي كما قال الشافعي واتباعه (والسنة) أي المؤكدة كما قال أبو حنيفة واتباعه (والندب) أي كما ذهب اليه مالك وبعضهم ولا فرق عند أكثر الشافعية بين السنة والندب وأما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضي حسين (وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغير) بالرفع أي وغيره الخطابي منهم الحافظ العراقي وأبو امامة ابن النقاش (الشافعي في هذه المسئلة) أي حيث لم يروا له حجة واضحة من الادلة (قال الخطابي وليست) أي الصلاة عليه (بواجبة في الصلاة وهو) اي عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) أي من السلف والخلف (الا الشافعي) أي بالاصالة انما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا أعلم له فيها) أي في المسئلة (قدرة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها أي مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفي نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) أي اقتداء قبل (الشافعي) أي وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) أي على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) أي من المتأخرين (عليه) أي على الشافعي (هذه المسئلة) أي فيها (جدا) أي بطريق المبالغة أو مبالغين له في التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) الذي هو أصح ألفاظ التشهد حيث رواه أصحاب الكتب الستة ولذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية أيضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في تخريج أحاديث الرافعي

عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه سبع وتسعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى) الشيخ (أبو محمد بن أبي زيد) هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من أئمة المالكية (عن محمد بن المواز) بفتح الميم والواو المشددة وآخره زاي معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن أجل الائمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الآتي واعتمد على أصبغ وتوفي ببعض حصون الشام اختفى به وقد هرب في فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين ومائتين (ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره (قال أبو محمد) هو ابن أبي زيد المار ذكره قريبا في تفسير كلام ابن المواز (يريد ليست من فرائض الصلاة) بل انها فرض في الجملة كما تقدم وسيأتي ما يخالفه (وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الامام الشافعي لم يكن في عصره أجل منه ولا أعرف بأقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنين وثمانين ومائة وتوفي لليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وأخرج له النسائي (وحكى ابن القصار وعبد الوهاب) من أئمة المالكية (ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي) وقد نقل الاسنوي أيضا ان للشافعي قولا آخر غير ما اشتهر عنه أنها سنة في الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكي هو ظاهر كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي وابن العربي في سراج المريدين (وقد حكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب) أي مذهب الامام مالك رحمه الله (فيها) أي في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال في الصلاة) الاول (الوجوب و) الثاني (السنة و) الثالث (الندب) جريا على اصطلاحهم في التفرد بين السنة والندب (وقد خالف) الامام (الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي) فانه ذهب لوجوبها فيها (ولا أعلم له فيها قدرة) أي ما يقتدى به من الائمة والسلف وسيأتي رد هذا (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) كما قاله الشافعي (عمل السلف الصالح قبل الامام الشافعي) من الصحابة والتابعين وهذا لا وجه له كما سيأتي بيانه (واجماعهم عليه) سيأتي أيضا انه لا اجماع فيه (وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا) أي قبحوه وأنكروه أي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله (وهذا تشهد ابن مسعود) جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه

فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم أجمعوا على جواز جميع ألفاظ التشهد الوارد وانما الخلاف فى الاختيار فاختار أبو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه أصح سندا واختار الشافعى تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذى قرأه فوق منبر النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله (الذى اختاره الشافعى) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه فى كتب أصحابه ان الذى اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) أى تشهد ابن مسعود (الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كأبى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبى سعيد الخدرى وأبى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) أى وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر أحدهما ذكر الآخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تأخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما فى مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائى (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) أى ولهذا خص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) أى ونحو ما ذكر عنهما روى (عن أبى سعيد) أى الخدرى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) أى وهو فوقه (كما يعلمون) أى الفقهاء وفى نسخة بصيغة الخطاب أى كما تعلمون أنتم (الصبيان فى الكتاب) بضم فتشديد أى فى المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) أى التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه) أى ولم يرو عن أحد منهم ذكر الصلاة عليه فى هذا الباب (وفى الحديث لا صلاة لمن لم يصل على) رواه ابن ماجه والحاكم فى مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبرانى والدارقطنى قال وليس عندهم بقوى واليعمرى والبيهقى بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة

(الذى اختاره الشافعى) رحمه الله تعالى أى رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة (وهو الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وما قاله مردود أيضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذى فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته لقوله تعالى تحية من عند الله تعالى مباركة طيبة ولتأخره عن تعليم ابن مسعود كما قاله البيهقى رحمه الله تعالى (وكذلك) أى مثله فى عدم ذكر الصلاة عليه فيه (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم) من الصحابة الذين علمهم التشهد (كأبى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبى سعيد الخدرى وأبى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) كلهم (لم يذكروا فيه) أى فى تشهدهم الذى تعلموه (صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم) هذا أعظم ما تمسك به المصنف فى رده لما ذكر لما يلزم من عدم ذكرهم انه لم يأمرهم به وهو مردود أيضا لان تعليمهم ذلك كان فى ابتداء الهجرة قبل نزول الآية والامر بها فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الآية فلذا لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت أمرهم وهذا مصرح به فى الحديث وسيأتى نقله مفصلا بطرقه (وقد قال ابن عباس وجابر) فى حديث رواه مسلم (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) فيقرؤه عليهم ويأمرهم بتلقنه بألفاظه وحفظه فكيف يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه (ونحوه) أى مثل ما ذكر (عن أبى سعيد) الخدرى كما رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) وهو يخطب عليه فى خلافته (كما تعلمون الصبيان فى الكتاب) بضم الكاف وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذى فيه الصبيان منقول من جمع كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى فى كلامهم كما ذكره الزمخشرى فى الاساس وغيره ولا عبرة بمن أنكره أو قال انه مولد والصواب المكتب (وعلمه) أى التشهد (أيضا على المنبر عمر بن الخطاب) كما علمه عليه أبو بكر فى خلافته يعنى بذلك شهرته بحيث لا يخفى على أحد ولا يترك ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم ينقل ولم يذكر بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم أشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال (وفى الحديث) الذى رواه ابن ماجة والحاكم فى مستدركه والطبرانى والدارقطنى والبيهقى وفى بعض ألفاظه اختلاف ما (لا صلاة لمن لم يصل على) بالتشديد وروى لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعى على ان الصلاة لا تصح بدونها (قال ابن القصار معناه) المراد منه (كاملة) الاجر وهو صرف للنفى عن المتبادر منه من نفى الصحة الى نفى الكمال فتصح وان لم تكمل وهذا مبنى على قاعدة أصولية وهى ان النفى اذا دخل على شئ ليس بمنفى هل يقدر الصحة أو الكمال فقال الشافعى الارجح تقدير الصحة لانه أقرب الى نفى ذات الشئ وقال غيره يقدر الكمال وقد بينه البيضاوى

أولمن لم يصل على مرة في عمره) وانما أوله بحديث البيهقي الدال على ان المراد به نفي الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لايحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجي بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفي عن المتبادر منه وضعا في الحقيقة المجزئة الى ناقص لاغناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) أي بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولايستدل به قال السخاوي في القول البديع وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لاوضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم وسنده ضعيف وفي بعض طرقه من الزيادة لاصلاة لمن لاوضوء له ولاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لاوضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن أحمد في احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن راهويه وأهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ماتقدم بهو مثل قوله لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد وماأشبه ذلك (وفي حديث أبي جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) أي فرضا أونافلة (لم يصل فيها على وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) أي قبولا كاملا وفي نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه) أي ابن علي ابن أبي طالب قال الحلبي وعلى كونه مرفوعا ايضا يكون منقطعا لان أباجعفر لم يدرك ابن مسعود وابن أبوجعفر من ابن مسعود فانه على ماقيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفي سنة اثنتين وثلاثين (لوصليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت) من الرأي أو معناه لظننت (انها لاتتم) أي لاتكمل وليس معناه انها لاتصح فبطل قول الدلجي قد حكم القاضي ولم يشعر على نفسه بان للشافعي فيما قاله سلفا هو أبو جعفر وقد انقلب عليه قوله الشاهد لديه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ❊ وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على أهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا وعليه الشافعي وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل أو منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لايصح الاستدلال به وزيد في بعض النسخ (وراويه) أي ناقل هذا الحديث عن أبو جعفر (جابر الجعفي) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات (أولمن لم يصل على مرة في عمره) وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسيأتي تفصيله ثم بين ماقيه بحسب الرواية بقوله (وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) لانه كما قاله الامام الخيضري في كتاب اللواء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن أبيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروى من طريق أخرى لم يثبت انتهى (وفي حديث أبي جعفر) محمد الباقر بن زين العابدين (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل على فيها وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) وهذا يفيد ان الصلاة على الآل في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد الاول فمن قال انها واجبة في الاخير قال باستحبابها وبما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك

يا أهل بيت رسول الله حبكم ❊ فرض من الله في القرآن انزله

كفاكم من عظيم القدر انكم ❊ من لم يصل عليكم لاصلاة له

فيحتمل لاصلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لاصلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه (قال الدارقطني الصواب انه من قول أبي جعفر بن محمد) الباقر بن زين العابدين (ابن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب (لوصليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت انها لاتتم) وهذا يوافق ماقاله الامام الشافعي ففيه تاييد له دون ماقاله المصنف ❊ واعلم ان الامام الخيضري صنف في هذه المسئلة كتابا اسماه زهر الرياض في رد ماشنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ماقصدت به تنقيص مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في الام فرض الله تعالى عز وجل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الآية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ساق باسناده الى أبي هريرة انهم قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الى آخره وساق بسنده أيضا الى كعب ابن عجرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الى آخره فلما روى انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول التشهد واجب

والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلى كل مسلم وجبت عليه الفرائض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ماقاله المصنف رحمه الله وقال هذا قول لاينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهى قوية غير صحيحة ينادى مدعيها على نفسه بفضيحة واى فضيحة وسترى حججا بالغة وسننا متنوعة وغمار براهين لامقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها فى التشهد الاخير الآية المذكورة لاتفاقهم على ان الامر المطلق يقتضى الوجوب مالم يقم الدليل على خلافه والله قد أمر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره والسلام الذى علموه هو السلام فى الصلاة والتشهد فخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك المأمور بها فقال اللهم صل الى آخره وهما فى الصلاة فى ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون فى تحية الصلاة السلام عليك يارسول الله أو نبى الله صلى الله تعالى عليك وسلم ونحوه فما تعلموه زائد على التحية فى الصلاة فخرج هذا مخرج البيان لما فى القرآن وظهر وجه دلالة الآية عليه وأورد عليه ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل انه يراد به السلام فى الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان غاية ماذكر تم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب فى الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو غير مسلم وأجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والسائل لم يستدل باقترانه وانما استدل بالامر بها فى الآية وبهذا سقط مابعده والدليل الثانى من السنة مافى البخارى مسندا قال عبد الرحمن ابن أبى ليلى لقينى كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وأخرجه مسلم وغيره من طرق ساقها واصحاب السنن * فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة * قلت علم هذا من اطباق العلماء والمحدثين من غير نكير على ان المراد بها فى الصلاة ولذا وردت مذكورة فى التشهد فى كتبهم دون باب الادعية ولانكتفى بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك فى الحديث أيضا فيما رواه أحمد فى مسنده من طريقين عن ابن اسحق قال حدث فى الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه فى صلاته وساقه الى آخره والعجب من المصنف رحمه الله تعالى انه قال فى شرح مسلم فى سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه فى غير الصلاة وفى الصلاة والاظهر الثانى لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر بعد هذا على الشافعى وهذا من زيادة الثقة فهى مقبولة وقد رواها الشافعى فى مسنده فدعاه ذلك الى حمل الآية عليها * فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة ليس فى الحديث مايدل على الوجوب * قلت الوجوب معلوم من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى ولايلزمه وجوب مافى صلاته من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر أحاديث أخر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم صريحة فيما ذكروا هابمعنى ماتقدم أى ماسبق ومن الادلة

الآتية ما فى مسند أحمد الآتى فى كلام المصنف رحمه الله تعالى أيضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته فلم يحمد الله تعالى فى صلاته ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميده والثناء عليه ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو بما شاء وهو حديث صحيح أخرجه الترمذى والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم يأمره باعادة الصلاة وقد يقال أيضا ان هذا الدعاء كان خارج الصلاة لان الترمذى روى هذا الحديث فى جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال له عجلت أيها المصلى اذا صليت فقعدت فاحمد الله تعالى بما هو أهله وصل على ثم ادع وفى رواية بما تحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها فلم يأمره بالاعادة ويحتمل انه اعادها أو انها نفل لا تجب اعادتها وما ذكر من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الآخر مع قوته ورواته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعده فى الصلاة ثم أورد على قول المصنف انه أى الشافعى لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود روى حديث التشهد وروى عنه انه كان يراها واجبة فى الصلاة وأبو مسعود البدرى روى عنه مرفوعا وموقوفا ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وأبو جعفر محمد بن على بن الحسين والشعبى كما نقله البيهقى ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظى كما نقله الماوردى واسحق بن راهويه كما نقله المصنف واحمد بن حنبل فى رواية عنه ومن العجائب ان المصنف انكر على الشافعى ما ذكر وقال فى شرح مسلم ما نصه حكى بعض البغداديين عن مذهب مالك فى المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب فى الصلاة كمذهب الشافعى وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله أيضا فى كتابه هذا وعبارة ابن القصار فى كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سيأتى من ادلة المخالفين فى فرضيتها فى الصلاة ووجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للسلام عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله وتمجيده كما فى فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما فى الاذان والاقامة فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربى فى احكام القرآن ان الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه فى مسائل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من أئمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب فى منهاجه وشارحه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول راجح فى مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطأ ظاهر مع ما يناقضه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابى ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل فى الاصول وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمها الصبيان فكيف يدعى خلافه وأما ادلة المخالفين للشافعى كأبى حنيفة واتباعه ومالك فى احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابى والقشيرى والطبرى كما نقله المصنف رحمه الله تعالى ولهم ادلة وحديث التشهد المروى عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس فى رواية منه ذكر الصلاة ثم سرد هو رواتها وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه ثم قال الجواب عنه من وجوه منها انه لم يقل انه جميع الواجب فى الجلسة الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل آخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يأمرهم به فى هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد أوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل آخر وأيضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا الصلاة فاى فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافى مستصحب

للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه رأسا وورد أيضا بان التشهد فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزلت آية الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره فى تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام فكيف نصلى عليك فان قلت فما تقول فى الصحيح المروى الذى فيه انه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله أشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على الصلاة عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر فى التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد قال الدارقطنى فى العلل انه من زيادة زهير مدرجة فى الحديث وصله بكلام النبى صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه وأيضا انه يحتمل أيضا انه قبل ايجاب الصلاة عليه وأيضا هو وردنا فيما كانوا يقولون السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا كذا مع سائر ما علمتم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا أصحاب أبى حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به فيطلب المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضرى مما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية فى الرد على المصنف رحمه الله تعالى وتخطئته فيما قاله كما سمعته حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعى اذ لم يخالف كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم قلت وأى محذور فى تفرد ابن ادريس وأى حاجة له أى موافقة غيره له انتهى ولكن اذا أمعنت النظر علمت انه ناقل لما قاله الطحاوى ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه أيضا تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من لباب الالباب الذى لا تجده فى غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوى فى التمهيد وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان أو بعد التحريم يفيد الاباحة عند الشافعية والوجوب عند أبى حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الى آخره بعد قولهم كيف نصلى عليك الا ان يقول استفيد الوجوب من امر خارجى فيكون الامر للوجوب لانه بيان لكيفية بيان واجب انتهى وفيه نظر

(فصل فى المواطن) أى فى الاماكن فهو من قبيل المستقر لان معناه مكان التوطن والاقامة (التى يستحب) ويسن (فيها الصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بالبناء للمفعول وتشديد المعجمة من الترغيب ويجوز تخفيفها وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوائد والثواب (من ذلك) المستحب المرغب فيه (فى تشهد الصلاة) وهو الثناء على الله فى الجلسة فيها وسمى تشهدا باسم جزئه وهو قوله تعالى فيها أشهد أن لا اله الا الله الخ واطلقه ليشمل الاول والاخير فان مستحب فى الاول واجب فى الاخير كما تقدم تفصيله (كما قدمناه) فى الفصل الذى قبله (وذلك) أى موطنه ومحله المعلوم مما قبله (بعد التشهد) أى قوله أشهد أن محمدا رسول الله (وقبل الدعاء) المأثور فى كتب الفقه أو بما شاء (حدثنا القاضى أبو على) هو ابن سكرة شيخه كما تقدم (بقراءتى عليه) لا بغيره من طرق الاجازة قال (حدثنا الامام أبو القاسم البلخى) نسبة لبلخ مدينة معروفة قال (حدثنا الفارسى) تقدمت ترجمته (عن أبى القاسم الخزاعى عن أبى الهيثم بن كليب عن أبى عيسى الحافظ) هو الترمذى

(فصل)(فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام) وفى نسخة التسليم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفى نسخة ويترغب (من ذلك) أى مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (فى تشهد الصلاة كما قدمناه) أى من الادلة واقوال الائمة (وذلك) أى محلها (بعد التشهد) أى الاخيرة على ما عندنا (وقبل الدعاء) أى قبل الدعاء لحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا أبو على القاضى) أى ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتى عليه قال ثنا) أى حدثنا (الامام أبو القاسم البلخى ثنا الفارسى) بكسر الراء (عن أبى القاسم الخزاعى) بضم أوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفى نسخة صحيحة عن أبى سعيد الهيثم بن كليب وعلى ابن سعيد ضبة وكنية الهيثم أبو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست فى الاصل والله أعلم (عن أبى عيسى الحافظ) أى الترمذى صاحب الجامع

(ثنا محمود بن غيلان) مروزى حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره وعنه أصحاب الكتب الستة سوى أبى داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرى نزل مكة روى عن أبى حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى وخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا (أبو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح الجيم وسكون نون فوحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة أخرج له أصحاب السنن الاربعة (أخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى أوسى شهد أحدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) أى فى آخرها (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قبل الدعاء بها (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة أى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة لقبوله وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة أى عجل أمر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) أى طلبه (فقال له ولغيره) أى فخاطبه خطابا عاما غير مختص به (اذا صلى أحدكم) أى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) أى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم أى كما (ثم ليدع بعد) أى بعد الصلاة عليه (بما شاء) أى بما احتاج اليه أى بما لا يسأل من الناس والحديث اخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح وأخرجه أبو داود ونحوه فى الصلاة كذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) أى بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) أى اللفظ الثانى أو سنده (أصح) اى مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم دلالة فى الحديث على وجوب الصلاة كما توهمه الدلجى لان هذا أمر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلاة

صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم قال (حدثنا محمود بن غيلان) أبو احمد الحافظ المروزى أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى) وفى نسخة زيد بدون ياء والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصرى نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن أبى حنيفة وغيره وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن حيوة بن شريح) تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس فى الاعلام وقياسه حية قال (حدثنى أبو هانئ الخولانى) اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة فى آخره يجوز ابدالها ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفى سنة اثنتين واربعين ومائتين (ان عمر بن مالك الجنبى) وفى نسخة عمرو بواو وهى الصواب وهو أبو على الجنبى بفتح الجيم ثم نون ساكنة وباء موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصرى ثقة وذكره فى الميزان توفى سنة اثنتين أو ثلاث ومائة (أخبره انه سمع فضالة) بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام وهاء تأنيث (ابن عبيد) بالتصغير بن ناقد بن قيس الانصارى الاوسى أبو محمد الصحابى ولى قضاء دمشق وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وأخرج له أحمد وغيره (يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) بعد التشهد فى الجلسة الاخيرة (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد تشهده (فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا) بفتح العين وكسر الجيم أى اسرع بدعائه وأتى به فى غير محله قبل ان يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الدعاء معلق حتى يصلى عليه كما يأتى فان من سأل حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة توصل لقضاء حاجة (ثم دعاه) أى طلب ذلك الرجل وقربه اليه (فقال له أو لغيره) أو وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفى نسخة ولغيره بالواو (اذا صلى أحدكم فليبدأ) بالهمز أى يقدم على دعائه ليقبل (بتحميد الله والثناء عليه) عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثناء لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفى كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل فى محله (ثم ليصل على ثم ليدع) بلام مكسورة أو ساكنة للامر (بعد بما شاء) من الخير والدعاء بالمأثور افضل (ويروى من غير هذا السند) الذى رواه المصنف عن الترمذى ورواه أبو داود (بتمجيد الله) بميم وجيم ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة بسند آخر (وهو اصح) رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف رحمه الله به ان كان فى الصلاة وقد استدل به الشافعى على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه فانه ورد من طريق آخر تقدمت

وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) أي المكتوبة والنافلة (معلق) أي كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح أوله وضمه أي لا يطلع ولا يرفع (الى الله) أي محل قبوله أو مكان عرشه (منه) أي مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) أي منهما (حتى يصلى) أي الداعي وفي نسخة بصيغة المجهول في صلاته (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل دعائه رواه الترمذي الا انه في الحصن الحصين بلفظ حتى يصل على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) رواه أبو الشيخ في الثواب عنه (وقال) أي علي في رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقي في شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته وفي رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) أي ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر أهل بيته انما هو لبيان الأخرى ثم أعلم ان حديث علي رواه الطبراني في الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن علي مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح عنه (اذا اراد احد كم ان يسأل الله شيا) أي في الصلاة وغيرها (فليبدأ بحمده) وفي نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى) أي هو بضم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما بقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقي ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده من قوله (ثم ليسأل) أي مطلوبه (فانه اجدر) أي أحق وأليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم أو بفتحهما من نجح ينجح ونجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وأنجحه الله وفي الحديث دليل على استجاب الصلاة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل فتدبر

قريبا بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله تعالى عليه وسلم له عجلت أيها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه * اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصله انه ليس نصا فيما ذكرته لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في رواية أخرى فاندفع الايراد (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كما رواه الترمذي (قال الدعاء والصلاة) عطف تفسير والمراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان هذا اللفظ أي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور (معلق) كل منهما أي موقوف قبوله فهو استعارة أو حقيقية لان الملائكة لا تصعد به (بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شئ) لعدم رضاه برفعه اليه (حتى يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم) لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السماء اذا قبلت وقبولها متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء بهذا والرفع والصعود من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولا مانع منه (وعن علي ابن أبي طالب) رواه عن البيهقي وابن عساكر وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) أي بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال وعلى آل محمد) فلا بد من الصلاة على الآل مع الصلاة عليه وهذا هو الاكمل ووجوبها تقدم الكلام عليه (وروى) رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح (عن ابن مسعود ان الدعاء محجوب) عن السماء فلا تفتح له ويلزمه انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول (حتى يصلى الداعي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذ القبول ليس من شرائط الصحة ومن اعاده فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان أولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل الدعاء أيضا (وعن ابن مسعود) في حديث صحيح مسند (اذا اراد احدكم أن يسأل الله شيأ فليبدأ بحمده والثناء عليه) كما أرشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل للانسان أحدا أحيي ميتا بقراءة الفاتحة فلا ينكره وليقرأها ملاحظا للثناء عليه وحمده لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والأخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض أموره اليه لقوله اياك نستعين ثم يسأله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعاء (بما هو أهله) اي بما يستحقه ويليق به (ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ليستشفع باقرب مخلوقاته وأحبهم اليه فانه الوسيلة العظمى (فانه) أي دعاءه بهذه الكيفية (اجدر) أي أحق وأليق (ان ينجح)

(وعن جابر) فى رواية البزار وأبى يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى) أى مؤخرا مع كونى مقدما (كقدح الراكب) أى حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروى معناه لا تؤخرونى فى الذكر كما أخير الراكب تعليق قدحه فى آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد * انتهى ونحوه لابن الاثير وقد أخذه منه والتقدير لا تجعلونى مثل ماء قدح الراكب فى الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) أى فى رحله (و يرفع متاعه) أى على مركوبه أو يضع القدح حيث وقع و يرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) أى شربه (شربه أو الوضوء) أى أو احتاج اليه (توضأ والا) أى وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) أى صبه وفى نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء فى هراق بدل من همزة اراق يقال الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه أهرقت الماء اهريقه اهراقا فتجمع بين البدل والمبدل قال الحجازى ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلونى فى أول الدعاء وأوسطه وآخره) أى اذكرونى بالصلاة على فى هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عنى عموما (وقال ابن عطاء للدعاء أركان) أى يقوم بها كالاخلاص (وأجنحة) أى يطير بها و يصعد بسببها ولا بد من وجودها كاكل الحلال (وأسباب) أى أحوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (وأوقات) أى أزمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها فى شرح الحصن الحصين (فان وافق) أى الدعاء (أركانه) بان قارنها (قوى) أى باستناده اليها (وان وافق أجنحته طار فى السماء) أى صعد اليها (وان وافق مواقيته) أى أزمنته وأمكنته (فاز) أى نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق أسبابه أنجح) أى ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) أى لمشاهدة الرب (والرقة) أى اللينة من أثر الرحمة (والاستكانة) أى الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) أى الانكسار والافتقار والخشية

بضم أوله مبنى للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد الرزاق والطبرانى وابن أبى الدنيا بسند صحيح فيقدم صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يختم بها و يوسطها فى دعائه كما قال الخيضرى ويدل له ما يأتى فكلما أكثر من صلاته عليه صلى الله عليه وسلم تحقق الاجابة (وعن جابر) بن عبد الله فيما رواه البزار وأبو يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب) قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب) أى من يريد ركوب راحلته لسفر ونحوه (يملأ قدحه) وهو اناء صغير من خشب يشرب به ونحوه (ثم يضعه) عنده (ويرفع متاعه) الذى يريد حمله على راحلته (فان احتاج الى شراب) أى شرب ماء (شربه) أى شرب ماء قدحه الذى وضعه فيه (أو الوضوء) من ماء قدحه (توضأ) بالهمزة و يجوز ابدالها ألفا (والا) أى وان لم يكن محتاجا لشرب أو وضوء (هراقه) بتقدير مضاف أى هراق ماءه أى صبه على الارض لاستغنائه عنه وأصل هراقه أراقه فابدلت همزته هاء وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله فى كتب العربية قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخرونى اذا صليتم على فى الذكر وتجعلوا ذكرى تبعا لغيره بل اعتنوا به فقدموه واذكروه فى وسطه واختموا به كما أشار اليه بقوله (ولكن اجعلونى) أى اجعلوا ذكرى فى الصلاة على (فى أول الدعاء وأوسطه وآخره) ففيه تشبيه تمثيلى بليغ لتأخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ بمتاعه فيحمله و يجمع ماله وقدحه موضوع على الارض ثم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه أو يريقه وهذا كقول حسان رضى الله عنه فى هجائه

فانت هجين نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يحمل القدح خلفه وفى هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله أولا ووسطا وآخرا (وقال ابن عطاء) أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل الآدمى وهو من أجل مشايخ الصوفية توفى سنة تسع وثلاثمائة (للدعاء أركان) أى أمور مهمة لا بد منها شبهت باركان البناء ومنه أركان الصلاة عند الفقهاء (وأجنحة) جناح الطير كاليد للانسان يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر (وأسباب) أى وسائل للوصول للمطلوب والفوز به (وأوقات) مخصوصة يكون فيها أسرع اجابة كأوقات الصلاة (فان وافق أركانه) أى قارنها وكانت تامة (قوى) أى كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه (وان وافق أجنحته) بان كان له أجنحة كاملة (طار فى السماء) أى صعد اليها وقبل كما مر (وان وافق مواقيته) جمع ميقات بمعنى الوقت أى ان وقع فى أوقاته (فاز) أى بالاجابة وحصلها (وان وافق أسبابه أنجح) أى تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك فقال (فاركانه حضور القلب) أى توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه (والرقة) أى رقة القلب وفسرها بقوله (والاستكانة) أى الخضوع والانقياد (والخشوع) بالمذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر

(وتعلق القلب بالله) أي بنفي ماسواه (وقطعه) أي الداعي (للاسباب) وفي نسخة عن الاسباب أي اعتمادا على رب الارباب (وأجنحته
الصدق) بان لايجري على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا في قوله وفعله وبارا في عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) أي ونحوها
من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (وأسباب الصلاة) أي أنواعها بجعلها في
أول الدعاء وأوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) أي بلا اجابة بل يستجاب
البتة وقد قال الشيخ أبو سليمان الداراني اذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه تقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع ما بينهما (وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث الترمذي عن عمر (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشين معجمة وهو ابن عبد الله شيباني صنعاني دمشقي نزل أفريقية يروي عن علي وغيره وثقه أبو زرعة وغيره توفي سنة مائة (فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تصلي) أي بان تصلي وفي نسخة فتقول اللهم اني أسئلك أن تصلي (على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ماصليت على أحد من
خلقك أجمعين) تأكيد لما قبله (آمين) بالمد ويقصر قال الحلبي هذا الحديث الذي أشار اليه القاضي ليس هو في
الكتب الستة والذي لحنش عن ابن عباس حديث يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك الحديث أخرجه الترمذي في
الزهد وحديث آخر عن ابن ماجه انه عليه السلام قال لابن مسعود معك ماء قال لا نبيذ في سطيحة الحديث أخرجه ابن ماجه في
الطهارة وليس له عن ابن عباس شئ في بقية الكتب ولا فيها الا هذين لحنش هذا ترجمة في الميزان وصحح عليه انتهى والحاصل ان
الحديث ليس له أصل صحيح لكن الضعيف يذكر في الفضائل والمصنف امام جليل في حسن الشمائل ومن حفظ حجة على من
لم يحفظ والمثبت مقدم والله أعلم

على

(وتعلق القلب بالله) بقطع النظر عما سواه (وقطعه الاسباب) بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم
اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عما سواك (وأجنحته الصدق) بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي
الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية (ومواقيته الاسحار) أي أواخر
الليل لانها محل الاجابة وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو أقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة
ونسمات الخير كما قال الله تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون) وقال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا)
(وأسبابه) المسرعة لحصول المراد (الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم) كما تقدم وقال أسبابه والمراد
أسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى
سماء الدنيا في الثلث الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر
له كما في الصحيحين وقد اختلفوا أهل الدعاء أفضل لما فيه من التذلل والافتقار أو السكوت لما فيه من
التسليم والرضاء فذهب الى كل طائفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض
وفيه كلام ليس هذا محله (وفي الحديث) لم يذكروا من رواه (الدعاء) الواقع (بين الصلاتين على) بان
يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده (لا يرد) أي فيستجاب ذلك الدعاء فان الصلاة عليه مقبولة
ومن كرم الله اذا قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسئل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها المؤمن المصلي عليه لقطع
له بحسن الخاتمة اذا دعى بها مع الصلاة وبين الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل أحد وأجاب بان معنى
القطع بقبولها انه اذا قضى الله له بخاتمة الايمان وجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فهي مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل انها اذا
صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه بها في الآخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه
نظر (وفي حديث كل دعاء محجوب دون السماء) كما مر في حديث الترمذي عن عمر (فاذا جاءت الصلاة
على) أي ذكرت معه (صعد الدعاء) الى السماء أي قبل واستجيب وقد أخرج الديلمي انه صلى الله عليه
وسلم قال الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته (وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش)
بفتح الحاء المهملة والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد أبو راشد التابعي
الصنعاني أحد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن عباس وغيرهما الا ان
هذا الحديث لم يرو عنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطه (فقال
في آخره) أي آخر الدعاء (واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قبل ما
تدعو به وتقول أسئلك (أن تصلي على محمد عبدك ورسولك) صلاة من (أفضل ماصليت على
أحد من خلقك أجمعين آمين) أي استجب وهو اسم فعل له * فان قلت هل يحسن أن يقال صلى

على سيدنا محمد قلت نعم ويجوز اتباع المأثور فيه ولكن اختلف فى أيهما الافضل رعاية الادب أو امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه وسلم جائز وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله (ومن مواطن الصلاة عليه) واماكنها (عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته) وتقدم القول بان ذلك واجب كلما ذكر أو سمع ذكره أعم من أن يكون فى الصلاة أو عند قراءة القرآن كما ذكره الخيضرى فى كتاب اللواء المعلم ورواه عن السلف قوله أو كتابته أى وعند كتابة اسمه وهل يكتفى بكتابة الصلاة عليه أو لا فضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل أن يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الآتى فى حديث من صلى على فى كتاب آه على ما يأتى فيه وقال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فاكتب الصلاة فقط فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى اما تتم الصلاة فى كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت عليه وسلمت (أو عند الاذان) أى بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم أنه عليه السلام قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة ويذكر معها السلام لما ذكر ومن كراهة الاقتصار عليها مطلقا للآية السالفة كما صرح به النووى وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث مسلم قال الخيضرى وتستحب الصلاة عليه أيضا بعد الاقامة لما رواه الطبرانى فى كتاب الدعاء عن أبى الدرداء انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه ان الذى فيه انما هو استحباب الدعاء عندها الا الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه مسلم عن أبى هريرة (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) فيدخل فيه ما فى هذا الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى وهذا دعاء عليه بان يذله الله لعدم اعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر عنده فلم يصل عليه ورغم يرغم كسأل يسأل رغما وارغمه الله أذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكر ولذا ذكر الانف الذى من أنف رفعه ويقال رفع أنفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم أيضا وقال هو صحيح الاسناد وسيأتى الكلام عليه عند ذكر المصنف رحمه الله تعالى برمته (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك ابن حبيب بن سليمان بن هرون السلمى من ولد العباس بن مرداس الصحابى وقيل عبد الملك بن سليمان وهو فقيه نحوى طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام فى الحديث توفى سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين (ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما ذكره لئلا يكون مما أهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما فى المحيط وخالفهم الشافعى فقال فى الام وسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا أكره ان يقول وصلى الله على رسول الله بل أحبه وقال المزنى انها لا تستحب ولا تكره فهى مباحة وقال الاوزاعى تختص ذلك بما اذا كان قربة كالاضحية وقال الرافعى لا يجوز أن يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل أكله وكذا ما ذبح للكعبة أو عند قدوم سلطان وقيل ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا يستحب عند العطاس كما يأتى وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذى تحصل من كلام المالكية ان فى الصلاة على النبى عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى (وكره سحنون) الفقيه المشهور المالكى واسمه عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخى وهو بمرتبة من الكمال فضلا

(ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره أو سماع اسمه أو كتابته) وفى نسخة أو كتابه (أو عند الاذان) أى الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال عليه السلام) كما فى رواية مسلم عن أبى هريرة (رغم) بكسر الغين ويفتح أى لصق بالتراب وذل (أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) وفى حديث بعثت مرغمة للمشركين وفى هذا دعاء عليه أى لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظيمى بالصلاة على حين سمع اسمى (وكره ابن حبيب) وهو عبد الملك القرطبى أحد الائمة ومصنف الواضحة (ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الكراهة توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان يقول بسم الله وصلى الله تعالى عليه وسلم واما ان قال بسم الله والنبى ونحوه فلا شك انه حرام ولا يحل أكل تلك الذبيحة وربما يكفر قائله والحاصل ان أصحاب أبى حنيفة كرهوا الصلاة فى هذا الموطن كما ذكره صاحب المحيط وعلله بان قال لان فيها ايهام الاهلال لغير الله تعالى (وكره سحنون) بفتح فسكون فضم وهو منصرف وهو أبو سعيد عبد السلام

(الصلاة عليه عند التعجب وقال) أى فى تعليله (لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسير لما قبله ويؤيده ما قال بعض أئمتنا من ذكر الله عند فتح سلعته أو نشر سلعته وارادة ترويجها واجتماع الناس عليها يكفر وفى تحفة الملوك ومنحة السلوك للعينى ويحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند عمل محرم أو عرض سلعة أو فتح متاع انتهى فاذكره الانطاكى من قوله كذلك كره أصحابنا الحنفية للسوقى أن يصلى عليه عليه السلام عند فتح بضاعته وعرضها على المشترى لانه يقصد بذلك تحسين ٤٦٢ بضاعته وترغيب المشترى فى تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ينبغى أن يحمل على الكراهة التحريمية واذا قصد المثوبة وغيرها فتكون الكراهة تنزيهية والله أعلم (قال) وفى نسخة وقال (أصبغ) بفتح فسكون فوحدة مفتوحة فغين معجمة وهو غير مصروف وهو ابن فرج ابن سعيد بن نافع أبو عبد الله الاموى مولى عمر ابن عبد العزيز المصرى الفقيه روى عن ابن وهب والداوردى وطائفة وعنه البخارى وجماعة قال ابن معين كان أعلم خلق الله برأى مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو أبو عبد الله المصرى الفقيه صاحب مالك وثقه غير واحد ورع زاهد أخرج له البخارى والنسائى ورد عنه قال خرجت الى مالك اثنتى عشرة مرة أنفقت كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما) بصيغة المفعول (الا الله الذبيحة والعطاس) بضم أوله وهو العطسة (فلا تقل) بصيغة الخطاب وفى نسخة بصيغة الغيبة مجهولا (فيهما) أى فى الذبيحة والعطاس (بعد ذكر الله محمد رسول الله) أى لاختصاص ذكر الله تعالى بهما ويؤيده ما رواه أبو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال موطنان لا حظ لى فيهما عند العطاس والذبح وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس له من طريق الحاكم عن أنس وهو عند البيهقى فى السنن الكبرى عن الحاكم من غير ذكر الصحابى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تذكرونى فى ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبيحة وعند التعجب (ولو قال بعد ذكر الله صلى الله تعالى) وفى نسخة وصلى الله تعالى (على محمد لم يكن تسميته) وفى نسخة تسمية (له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها وفيه

وزهدا وسماحة ولد فى رمضان سنة ستين أو احدى وستين ومائة وتوفى لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين وعمره ثمانون سنة كما فى الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه أيضا كما سيأتى (الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عند التعجب) لرؤية أمر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما فى الاذكار للنووى وقال الحليمى من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه أعظم المخلوقات وأعجبها والشئ بالشئ يذكر وقال قاضيخان لو رأى شيأ جيدا فقال اللهم صل على محمد لان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفلة أقبل يهتز فى غلالته ※ من ليس يشفى لعاشق عمله فقال كل امرئ تأمله ※ ألف صلاة على رسول الله
وقلت فى مطلع قصيدة ظبى على الصب حين سلم ※ صلى على المصطفى وسلم
(وقال) سحنون (لا يصلى عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الا على طريق الاحتساب) أى من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة (وطلب الثواب) لا للتعجب وغيره كما أمرنا الله به تعظيما له وأما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العينى لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووى فى اذكاره عن بعض الشافعية وأقره عليه (وقال أصبغ) هو أبو عبد الله بن أصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموى مولى عمر بن عبد العزيز المصرى الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخارى وغيره وتوفى سنة خمس وعشرين ومائتين فى قول (عن ابن القاسم) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصرى امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفى سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثنى عشر مرة أنفق فى كل مرة ألف دينار (موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول الله) أى لا تقول فيهما باسم الله وباسم محمد رسول الله لئلا يكون الاهلال فى الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليها غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال أصبغ (ولو قال بعد ذكر الله) فيهما وصلى الله على محمد (ولم يكن) ذلك (تسمية له مع الله) ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته أخرج الله عز وجل من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها أخرجه الديلمى فى الفردوس بسند لا بأس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه ولذا رجح البيهقى استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال الآخرون لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واستدلوا بحديث لا تذكرونى فى ثلاث مواطن عند العطاس والذبيحة والتعجب وروى بعد تسمية الطعام بدل التعجب أخرجه الديلمى فى مسنده

(وقال له) أى وذكره أيضا (أشهب) وهو ابن عبد العزيز بن داود أبو عمر القيسى المصرى الفقيه يروى عن الليث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفى بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وله أربع وستون سنة أخرج له أبو داود والنسائى قال ابن يونس هو أحد فقهاء مصر وذوى رأيها وقال ابن عبد البر كان فقيها حسن الرأى والنظر فضله ابن عبد الحكم على ابن القاسم فى الرأى (قال) أى أشهب (ولا ينبغى ان تجعل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى فيما ذكر أو فى كل منهما (استنانا) وفى نسخة استنانا أى سنة واستحسانا خلافا للشافعى حيث قال لا أكره مع التسمية على الذبيحة ان يقول صلى الله تعالى عليه وسلم على محمد بل أحب ذلك (وروى النسائى) وكذا أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس ابن أوس) ثقفى صحابى سكن دمشق أخرج له أصحاب السنن الاربعة وأحمد فى المسند قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه أوس خمسة وأربعون (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه الصعقة فاكثروا فيه من الصلاة على فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت أى بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ورواه أيضا أحمد وابن أبى عاصم والبيهقى والطبرانى وابن خزيمة وصححه النووى فى الاذكار وجاء فى هذا الباب احاديث كثيرة وفى بعضها تعين عدد الصلاة بثمانين وفى بعضها بمائة وفى بعضها بالف وكذا وردت أحاديث فى الصلاة عليه ليلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة عليه والسلام) أى الجمع بينهما (دخول المسجد) أى بعد تحققه وحصوله أو قصد دخوله ووصوله (قال أبو اسحق ابن شعبان) أى المصرى المالكى (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم) أى عليه وعلى آله كما فى نسخة (تسليما ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك

وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضرى يستحب لمن تعجب ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره شيخنا وقال أخذته من نص الشافعى رحمه الله تعالى فى قوله أحب ان تكثر الصلاة عليه فى كل الحالات فدخل ذلك فى عمومه وفيه نظر (وقاله أشهب) أى كما قال أصبغ وأشهب هو أبو عمر لقب بمسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسى ولد سنة أربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين بعد الشافعى بثمانية عشر يوما وسنه أربع وستون وأخرج له أصحاب السنن وهو أحد فقهاء مصر المالكية حتى فضل على ابن القاسم (قال) اشهب (ولا ينبغى ان يجعل الصلاة فيه) أى فيما ذكر من الذبيحة والعطاس (استنانا) أى سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى فى غير طريق وهو خلاف الظاهر والذى عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية عند الذبح وانه سنة أو واجب مفصل فى الفروع (وروى النسائى) وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه (عن أوس بن أوس) الثقفى الصحابى ويقال أوس بن أبى اويس كما فى الاستيعاب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة) وليلتها لانه أفضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة واكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعنى بليت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وفيه أحاديث أخر بمعناه وهذا أحد موطن الصلاة عليه (ومن مواطن) استحباب (الصلاة عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخول المسجد) أى عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به فى الحديث (وقال أبو اسحق بن شعبان) هو محمد قاسم المصرى وقد تقدم بيانه (وينبغى لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له كما مر (وان يترحم عليه وعلى آله) أى فيقول اللهم ارحم محمدا وآل محمد وقد تقدم الكلام فى الدعاء له بالرحمة وما فيه (ويبارك عليه وعلى آله) أى يقول اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد أى زد البركة وأدمها لهم كما تقدم شرحه (ويسلم تسليما) أى يقول صل عليه وسلم تسليما فيأتى بالسلام مؤكدا كما ورد الامر به فى الآية الكريمة وتقدم ان النووى كره افراد الصلاة عن السلام (ويقول) بعد الصلاة والسلام وفى الاذكار تقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) وروى النسائى وابن ماجة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى أبواب رحمتك فاذا خرج صلى وقال اللهم انى أسئلك من فضلك وروى أجرنى من الشيطان وما فى معناه وفيما ذكره النووى زيادة وسيأتى للمصنف ذكرها فى آداب

إذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي من الصلاة والدعاء وروي يقول مثل ذلك (واجعل موضع رحمتك وفضلك) وهذا مأخوذ من حديث أحمد وأبي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وأصله في حديث مسلم وليس فيه ولا في غيره وترحم وبارك ثم لا يخفى مناسبة طلب الرحمة في دخول المسجد للطاعة وملاءمة طلب الفضل وهو الرزق عند خروجه على وجه الاباحة كما يشير اليه قوله سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس مكي امام يروي عن ابن عباس وابن عمرو وجابر وعنه شعبة وسفيانان وحمادان وهو عالم حجة أخرج له الائمة الستة (في قوله) أي الله سبحانه وتعالى (فاذا دخلتم بيوتا) بضم الباء وكسرها (فسلموا على أنفسكم) أي على أهليكم تحية من عند الله مباركة طيبة (قال) أي ابن دينار وهو من كبار التابعين المكيين وفقهائهم (ان) وفي نسخة فان (لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته) أي لان روحه عليه السلام حاضرة في بيوت أهل الاسلام (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) أي من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين (السلام على أهل البيت) لعله أراد بهم مؤمني الجن (ورحمة الله وبركاته) وظاهر القرآن عموم البيوت لان لاسيما وسابقه بيوتكم وبيوت آبائكم الآية ويؤيده حديث أنس متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (قال ابن عباس) أي في رواية ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا المساجد) ولعله أراد انها تشمل المساجد فانها أفضل البيوت كما يشير اليه قوله سبحانه في بيوت اذن الله ان ترفع الآية فالتنوين للتنكير أو أراد ان التنوين للتعظيم فيختص بالمساجد لانها أعلى المشاهد (وقال النخعي) وهو ابراهيم بن يزيد العالم الجليل

المسجد النبوي قيل وينبغي ذكر السلام أيضا وسيأتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب والرحمة والمراد بابواب الرحمة أنواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها المناسبة للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله (واذا خرج) من المسجد (فعل مثل ذلك) أي يقول ما قاله بعينه (وجعل موضع رحمتك فضلك) لان من خرج من المسجد يخرج بكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسيأتي بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الا قوله وترحم وبارك (وقال عمرو بن دينار) هو أبو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست وعشرين ومائة وله ترجمة في الميزان (في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم الآية) فهذا أحد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله وفي هذه الآية أقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد كما يأتي وفي قوله على أنفسكم وجهان أيضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد به من فيها بجعله كنفسه لاتحاد جنسه وأهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه أمر بها او كونها مباركة لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها الذلك وأطيب الانفس بها * (فائدة) * قال الامام الخيضري في اللواء المعلم روى أبو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه الفقر وضيق العيش أو المعاش فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه أحد اولم يكن ثم سلم علي ثم اقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى أفاض عليه خيرانه (قال) أي ابن دينار (ان لم يكن في البيت أحد) يسلم عليه (فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) من الملائكة وغيرهم (السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا أو تتميما لكلام المفسرين فيها أو يقال انه اذا شرع التسليم على أهل كل بيت فبيت الله وأهله أولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم يقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك كذا قيل وهو تكلف لا داعي له (قال ابن عباس) رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن أبي حاتم (المراد بالبيوت هنا) أي في هذه الآية (المساجد) لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله (وقال النخعي) بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس أوست وتسعين لا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل

(زاد فإن لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله وإن لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) لا منع من الجمع فيهما (وعن علقمة) أي ابن قيس الفقيه النخعي (إذا دخلت المسجد) أي أنا (أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) أي أجمع بين الصلاة والسلام عليه (ونحوه عن كعب) أي كعب الأحبار (إذا دخل المسجد وإذا خرج) أي في الوقتين (ولم يذكر الصلاة) أي كعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذكره) أي فيما مر من أنه ينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي الخ وبره على ما ذكر (بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد) لكن سبق أنه لم تذكر فيه ترحما ولا مباركة وحديثها أخرجه الترمذي في الصلاة وفيه إرسال فاطمة بنت الحسين ولم يذكر فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخرجه ابن ماجه في الصلاة أيضا (ومثله) أي ومثل حديثها أو مثل حديث علقمة (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) أي الأنصاري قاضي المدينة وأميرها يروي عن السائب بن يزيد وغيره وعنه الأوزاعي ونحوه أخرج له الأئمة الستة (وذكر) وفي نسخة فذكر (السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث) أي حديثها (آخر القسم) أي الثاني وفي نسخة في آخر هذا القسم (والاختلاف في لفظه) أي من رواية عنها (ومن مواطن الصلاة عليه أيضا الصلاة على الجنائز وذكر) أي وروى (عن أبي امامة أنها من السنة) قال الحلبي أبو امامة هذا الظاهر أنه سعد بن سهل ابن حنيف بن واهب بن الحكم بن ثعلبة أبو امامة الأنصاري ولد في زمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه عليه السلام وكناه وبرك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمر وعنه الزهري ويحيى بن سعيد وخلق وقيل لم مات أن أبا امامة هذا الظاهر أنه سعد فالجواب أن حديثه المشار إليه في مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل أنه أخبره رجال من الصحابة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الصلاة في التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة أن يفعل من وراءه مثل ما فعل امامه قال الزهري حدثني بذلك أبو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذي قال لمحمد بن سويد فقال وأنا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة في صلاة صلاها على الميت مثل الذي حدثنا به أبو امامة في شرطهما أسكت عليه الذهبي ولم يتعقبه وله حديث في سنن النسائي السنة في الصلاة على الجنازة أن يقرأ في التكبيرة الأولى

لأن الأول هو المتبادر منه مع وروده (فإن لم يكن في المسجد أحد) وفي نسخة بها رجل (فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم) تحية من عند الله مباركة عليه (وإن لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وهذا يقتضي استحباب السلام عليه ولم يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم من عد مواطن الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد كما علم (وعن علقمة) بن قيس أبو شبل الفقيه كما تقدم (إذا دخلت) أي (المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد) كما تقدم من أنه يسن لداخل المسجد والخارج منه أن يصلي صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام عليه على الصلاة المتقدم عليها (ونحوه) مروي (عن كعب) الأحبار وقد تقدم بيانه (إذا دخل المسجد وإذا خرج) منه (ولم يذكر الصلاة) على النبي صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة أيضا (واحتج ابن شعبان لما ذكره) فيما تقدم من استحباب أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما (بحديث فاطمة) الذي تقدم إلا أنه ليس فيه ترحم وتبرك (بنت النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ومثله) أي مثل حديث فاطمة وبمعناه روي (عن أبي بكر بن عمرو بن حزم) هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة وأميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وقيل إنه ولد بنجران وأبوه عامل عليها من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه أبو سليمان وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمره أن يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي سنة عشرين ومائة وأخرج له الستة (وذكر) أي ابن حزم (السلام والرحمة) أي الدعاء بهما (وقد ذكرنا هذا الحديث) يعني حديث فاطمة الزهراء (في آخر القسم) الثاني من هذا الكتاب (و) ذكرنا (الاختلاف في) بعض (ألفاظه) لتعدد طرقه وتغاير بعض ألفاظه (ومن مواطنها أيضا) أي الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم التي تستحب فيها (الصلاة على الجنائز) وهي عند الشافعي من أركانها بعد التكبيرة الثانية ويقرؤ بعد الأولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد غير الأولى (وعن أبي امامة) هو أسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصاري ولد في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة وأخرج له الستة (أنها من السنة) فتستحب في صلاة الجنازة عنده وليست من أركانها

بأم القرآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم أعلم أن التكبيرات عندنا أركان وأما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية
والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجي ان الصلاة على النبي عند الشافعي من أركانها ومحلها كما جزم به
فى المنهاج الكبيرة الثانية لحديث النسائي ومحمد بن نصر المروزى عن أبي امامة بن سهل الصحابى لا أبى امامة الباهلى قال السنة فى
الصلاة على الجنائز أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى التكبيرة
الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة

التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) أى على عاملها (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرسائل) أى المكاتيب والوسائل (و يكتب بعد البسملة) أو الحمدلة لاقبلهما (ولم يكن هذا) أى ابتداء الرسائل بها (فى الصدر الاول) أى فى زمنه عليه السلام مطلقا أو فى زمن أصحابه شائعا فلا ينافى ماذكره الدلجي من انه أول من فعله من الخلفاء أبو بكر بشهادة ما فى سيره الكلاعى أن بنى سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريقة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله الى طريقة بن حاجر سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأسئله أن يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الخ وفى أذكار النووى عن حماد بن سلمة أن مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان أما بعد
سلام عليك الخ وأصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم أحدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطليقة أى أطال الله بقاءك (وأحدث) بصيغة المجهول أى وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بنى هاشم) أى بنى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وأولهم السفاح (فضى به عمل الناس فى اقطار الارض) أى نواحيها (ومنهم من يختم به) أى بما ذكر من الصلاة عليه عليه السلام (أيضا) مع الابتداء به أو بدونه (الكتب) أى المكاتب

وذهب الشافعى فى أحد قوليه انها واجبة واستدل بقول أبى امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله تعالى عليه وسلم فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابى ونحوه من السنة كذا فى حكم المرفوع واختلفوا فى الصلاة على الآل هنا أيضا فقيل واجبة وقيل سنة وروى المزنى انه يحمد الله ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم و يدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد لا يعرف هنا و يصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ادخال الميت قبره أيضا فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وأبو داود وهذا الحديث رواه الشافعى فى الام الا ان فى سنده ضعفا كما قاله الخيضرى ورواه الحاكم والبيهقى وغيرهما وهذا وجه عند أبى حنيفة وأحمد ومالك (ومن مواطنها) مواطن الصلاة التى يستحب فيها (الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (التى عليها عمل الامة ولم تنكرها) الامة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله) تبعا له (فى الرسائل) جمع رسالة كمصائب وعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذى يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل (وما يكتب بعد البسملة) أى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه الثقة وكتابة البسملة سنة فى الكتب المقررة فى القرآن والسنة لقوله تعالى (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون (ولم يكن هذا) أى ابتداء الكتب بالصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصدر الاول) أى فى ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومفسرة له (وأحدث عند ولاية بنى هاشم) يعنى بنى العباس واختلف فى أول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقيل هرون الرشيد وأورد عليه ان الكلاعى قال فى كتاب الاكتفاء عن الواقدى بسنده ان أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كتب فى ردة بنى سليم الى طريقة بن حاجر عامله ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى طريقة بن حاجر سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأسأله ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أما بعد الى آخره فهذا يدل على ان أول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك فى زمن بنى أمية وفى الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة عن وروده عن قوله بعد البسملة فانهم أحدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم فتصدير ذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم اختلفوا فى الصلاة هل تعطف أولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن قطعه رآه انشاء وفى عطفه على الخبر كلام طويل فى كتب النحو والمعانى (فضى عليه عمل الناس فى أقطار الارض) أى استمر فصار سنة أو بدعة حسنة مستحبة (ومنهم من يختم به أيضا الكتب) أى كما بدأها به فتجعل فى الاول والآخر لتشمل بركته جميع ما كتبه

(وقال

(وقال عليه الصلاة والسلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر الله له مادام اسمى) مكتوبا (فى ذلك الكتاب) أى المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب حدث بعد العصر الاول هو من المغيبات التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ زروق فى معنى ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط فى حصول الثواب المذكور ان يتلفظ بالصلاة فى حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلماء وقال السخاوى فى كتابه القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط والخطيب فى شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ والمستغفرى وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروى من كتب فى كتابه صلى الله تعالى على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له مادام فى كتابه انتهى والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبنى آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاستغفار قال الله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب فى طبيعة النوع الانسانى من الشهوات والمشاغل التى هى من لوازم البشرية يقتضى الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يفعلون الا ما يؤمرون واشفقوا عليه وراموا ان الله لا يؤاخذه بشئ من تبعاته فاعرفه فانى لم أر من نبه عليه وذكروا فى ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعى رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى ولم يحاسبنى وأكرمنى لصلاة صليتها عليه صلى الله عليه وسلم فى أول الرسالة وهى اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه فى الاولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى عليه أحد من خلقه وقد روى هذا من طرق بالفاظ مختلفة (ومن مواطن السلام عليه صلى الله عليه وسلم) أى الاماكن التى يستحب فيها السلام عليه (تشهد الصلاة) الذى يذكر فى آخرها واطلاقه يشمل الاول والثانى كما مر وأورد فى ذلك حديثا رواه البخارى وهو (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب وغيره قال حدثتنى كريمة بنت محمد) وتقدمت ترجمتها (قالت حدثنا أبو الهيثم) تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى كما تقدم قال (حدثنا أبو نعيم) الفضل بن دكين عمرو بن حماد الحافظ توفى فى سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين أخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا الاعمش) سليمان بن مهران وقد تقدم (عن شقيق بن سلمة) الاسدى المخضرم توفى سنة احدى وثمانين كما تقدم (عن عبد الله بن مسعود قال) أى ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع وفى نسخة (عن النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرفوع (قال اذا صلى احدكم) صلاة ما فرضا أو نفلا (فليقل التحيات) الى آخره والتحية تفعلة من الحياة ومعناها الاحياء والابقاء والملك والبقاء وكل منها صحيح هنا أى كل تحية يحيى بها الملوك والعظماء ثابتة (لله) لا تليق بغيره (والصلوات) أى انواع الدعاء الذى يراد به الثناء وقيل الصلاة المعتادة يعنى العبادة (والطيبات) أى جميع كلمات الثناء الطيب لله لا لغيره (السلام عليك أيها النبى) حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك تعبدا وعن ابن مسعود كنا نقوله وهو بين أظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبى

(وقال عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن والخطيب فى شرف أصحاب الحديث وأبو الشيخ فى الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) أى بانفراده (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) أى فى أثنائه (قال) كذا فى نسخة أى المصنف (حدثنا أبو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) أى من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبى لا أعرفه (قال) أى أبو القاسم (حدثتنى كريمة) وفى نسخة صحيحة قالوا حدثنا (بنت محمد) وفى نسخة بنت أحمد وقد تقدمت (قالت ثنا) أى حدثنا (أبو الهيثم) أى الكشميهنى (ثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) أى الامام البخارى (ثنا أبو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروى عن الاعمش وطائفة وعنه البخارى وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان ابن مهران (عن شقيق بن سلمة) أى الاسدى مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال أدركت سبع سنين من سنى الجاهلية وكان من العلماء العاملين أخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود) وقد رواه أصحاب الكتب الستة وعنه (وعن النبى صلى الله عليه وسلم) عتمد الدلجى على أصله السقيم فقال ظاهره على انه موقوف عليه وهو فى حكم المرفوع (قال اذا صلى أحدكم) أى فرضا أو نفلا (فليقل) أى فى كل تعد من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) أى العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله تعالى السلام عليك أيها النبى

ورحمة الله وبركاته) قال الدلجي وانما قال عليك دون على النبي تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذا كان حيا فلما توفي ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا ولما قبض قلنا السلام على النبي قلت ان ثبت عنه انه أراد بهذا في الصلاة فهذا مذهبه المختص به اذ اجماع الاربعة على ان المصلي يقول أيها النبي وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل أحدا غيره ويقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) أي جملة السلام علينا الى آخرها (أصابت) أي السلامة أو كلمة السلام (كل عبد صالح في السماء) من الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقول باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) أي وقت اداء الصلاة أو تشهد الصلاة (أحد مواطن ٤٦٨ التسليم عليه وسنته أول التشهد) أي بعد الثناء على الله سبحانه وقيل ان يقول أشهد

(وقد روى مالك) أي في الموطأ (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد أن يسلم) أي ليخرج من صلاته (واستحب مالك في المبسوط) وفي نسخة في المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) أي استحب فيها ان يقال ما رواه ابن عمر (قبل السلام) أي من صلاته قال الدلجي وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة أراد) أي مالك (ماجاء عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما

(ورحمة الله وبركاته) أي كل نعمة وخير كثير لازم ثابت له في كل زمان (السلام علينا) معاشر الامة (وعلى عباد الله الصالحين) من جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارض ومن الجن المؤمنين كما قال (فانكم اذا قلتموها) أي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ (أصابت) أي نالت رحمتها وبركتها (كل عبد لله) (صالح في السماء والارض) لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن هنا علم ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم لنفسه ولجميع خلق الله قبل الفصل المعقود لمواطن الصلاة عليه وهو ان لم يقل بوجوبها لا ينكر كونها سنة وأجيب بانه لما ذكر الصلاة شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة لعلمها مما تقدم (هذا) أي التشهد في الصلاة (أحد مواطن التسليم عليه) اشارة الى ان له مواطن أخر (وسنته) أي استحبابه وفي نسخة سنيته بياء النسبة وهي أولى (أول التشهد) أي قبل ان يقول أشهد أن لا اله الا الله وبعد التحيات لله وفي التشهد وفي كيفيته روايات مفصلة في كتب الفقه (وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك) أي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم) سلام التحليل أي الخروج من الصلاة (واستحب مالك في المبسوط) اسم كتاب له وفي نسخة المبسوطة (أن يسلم بمثل ذلك) المذكور من السلام على النبي الى آخره (قبل السلام) من صلاته وهو فيما قيل خلاف المشهور من مذهبه (قال محمد بن مسلمة) بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة ومائتين (أراد ماجاء) مرويا (عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما) أي قبل سلام الخروج (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) وهو خاتمة الصلاة (واستحب أهل العلم ان ينوي الانسان) المصلي اماما او مقتديا أو منفردا (حين سلامه) أي قوله السلام في صلاته (كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة) ونوع (بني آدم) ومؤمني (الجن) وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر أو غاب (قال مالك في المجموعة) قيل أراد بها المدونة (وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول) قبل أن يسلم هو (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين علينا

السلام عليكم) أي ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوي الانسان) أي المصلي اماما أو مأموما أو منفردا (حين سلامه) أي من صلاته عن يمينه وفي نسخة عند سلامه (كل عبد) وفي نسخة على كل عبد (صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم والجن) أي ممن حضره فان أصحاب أبي حنيفة على ان الامام ينوي بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدي الا انه ينوي امامه أيضا في تسليمة واحدة اذا كان في أحد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوي الملك فقط وذكر الدلجي ان أصحاب الشافعي على ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله في المجموعة وأحب للمأموم اذا سلم امامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجى وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلاة عليه تزيد على أربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقنى على جمعها اجعلها فى رسالة مستقلة مع ماورد فيها من الادلة

(فصل) (فى كيفية الصلاة عليه والتسليم) أى بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا فى نسخة أى المصنف (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ثنا القاضى أبو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا أبو عبد الله بن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا أبو بكر بن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) أى من المشايخ (حدثنا أبو عيسى) المفهوم من كلام الدلجى انه الامام الترمذى وهو الظاهر عند اطلاقه وقال الحلبى هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير (ووافقه الانطاكى ويؤيده قوله ثنا عبيد الله) قال الحلبى هذا

عم أبى عيسى الذى قبله وهو عبيد الله ابن يحيى الليثى (ثنا يحيى) هذا هو يحيى ابن يحيى الليثى أحد رواة الموطأ عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبد الله بن أبى بكر ابن حزم) وفى نسخة أبى بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن أبيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقى) بضم الزاى وفتح الراء مخففة وقاف فياء نسبة أنصارى يروى عن أبى قتادة وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وعنه الزهرى وطائفة (انه قال أخبرنى أبو حميد) بالتصغير (الساعدى) منسوب الى بنى ساعدة من الانصار خزرجى مدنى له صحبة بقى الى حدود ستين (انهم) أى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة وغيرها (قال قولوا) ربما استدل به على فرضية الصلاة عليه فى الصلاة لان الاصل فى الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها فى غير الصلاة واهل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها فى الصلاة آكد والله أعلم (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر لا من الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل الخلق فالصلاة المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم اذ قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد فى بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد

علينا وعلى عباد الله الصالحين) ثم يقول (السلام عليكم) واعلم ان عقد الفصل الذى قبل هذا لوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التى يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد أفرد له الخيضرى كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما أتم المصنف رحمه الله تعالى ماقصده شرع فى بيان كيفيتها فقال

(فصل فى كيفية) أى فى بيان ألفاظ (الصلاة عليه) وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله (والتسليم) عليه أى كيف يذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاصلة اذ أصلها معلوم وبدأ بحديث رواه فى الموطأ وهو قوله (حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه) وقد تقدم وقوله (بقراءتى عليه) هو أحد طرق الرواية قال (حدثنا القاضى أبو الاصبغ) عيسى ابن سهل صاحب كتاب الاعلام فى نوازل الاحكام قال (حدثنا أبو عبد الله بن عتاب) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن واقد وغيره) بالقاف وهو معروف قال (حدثنا أبو عيسى) هو عم يحيى بن كثير الذى تقدم بيانه قال (حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى أحد رواة الموطأ عن مالك كما تقدم قال (حدثنا مالك) الامام المشهور (عن عبد الله ابن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه) تقدم ترجمته (عن عمرو ابن سليم الزرقى) سليم بضم السين وفتح اللام والزرقى بضم الزاى المعجمة وفتح الراء المهملة قبل القاف وهو الانصارى وترجمته فى الميزان (قال أخبرنى أبو حميد الساعدى) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن سعد وهو خزرجى مدنى له صحبة أخرج له الستة وأحمد فى مسنده وتوفى فى حدود الستين (انهم) أى الصحابة (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) سألوه عنه بعد ورود الامر به فى الآية ان الله وملائكته الى آخره فقال صلى الله عليه وسلم (قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) أزواجه أمهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيلة من ذرأ بمعنى خلق ترك الهمزة فى الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل أولاد البنات كما ذكروه مفصلا فى كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التى يعبر بها او باى كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى مافيه فانهم لما سمعوا السلام عليه فى التشهد وامروا بالصلاة سئلوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم مالا يخفى فانه أمرهم ان يطلبوا من الله ان يصلى هو عليه فكانهم قالوا لانقدر على اداء الصلاة حق الاداء فافعل انت مايليق به (كما صليت على آل ابراهيم) أى أزواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقررهم وفى الرواية الآتية المسلسلة اللهم صل على محمد وعلى

(وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) أى أثبت وأدم ما منحته اليه وأنعمته عليه (وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد) أى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت أولم تحمد على لسان مخلوقاتك أو حامد بكما لاتك على ما أظهرت من آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لا تحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وأسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) أى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان والحديث قد أخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة فالجواب انه يقع له من الموطأ أعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة أشخاص من غير اجازة فى الطريق (وفى رواية مالك) أى فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى رضى الله تعالى عنه) أى البدرى لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وأبو مسعود هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) أى آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا من أشرف آله فتكون الصلاة مضاعفة عليه فى حاله واذا دخل فى الآل يرتفع ما سبق فى التشبيه من الاشكال والله أعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه يكون أفضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه أفضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضعا عند ربه أو هضما لنفسه أو تأدبا مع جده وقيل سأل صلاة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وهذا لا يتم الا بما قيل من انه أراد المشابهة فى أصل الصلاة لا قدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لا يخفى وقيل هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة ابراهيم وآله فالمسؤل مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لا يحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى اسرائيل من نسل اسحق ونبينا من نسل اسمعيل فهو صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة آله فآله باعتبار هذا المعنى وما له أعظم والله أعلم (فبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) أى فى جميع الاحوال (مجيد) أى كثير البر والنوال (والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح أوله أو مشددة مع ضم أوله أى كما عرفتم فى التشهد

آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم أنبياء ورسل فشبه المجموع بالمجموع أو الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو أفضل منه فى السؤال المشهور وقد أجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدوانى رسالة فيه مشهورة شهرتها تغنى عن ذكرها ويأتى الكلام عليه أيضا قريبا * فان قلت الذى فى الآية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله * قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه فى الدارين باعظم النعم ضم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة أهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبة ولده ارحم هذا الشيخ كما أشار اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم) أى أدم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما أدمت ذلك لابراهيم وآله (فى العالمين انك حميد مجيد) أى رحمة وبركة منتشرة فى جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل أو مفعول أى أنت فاعل الجميل وواهبه أو أنت المحمود المعظم فكل حمد واكرام لرسلك واتباعهم عائد اليك فانه لاجلك وامتثال أمرك وهو تذييل فى موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون ابراهيم فتفطن لهذه الدقائق (وفى رواية مالك) فى الموطأ (عن أبى مسعود الانصارى) الصحابى البدرى (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطأ لعلو سنده فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة فى ذكره وهو بعينه ما قبله (والسلام) أى كيفيته ولفظه (كما قد علمتم) فى التشهد كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى سابقا وسيأتى أيضا شرحه فى كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبنى للفاعل أو بضمها وتشديد اللام مبنى للمجهول من العلم أو التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووى وقيل الاول أصح ولفظ الموطأ عن أبى مسعود قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله ان نصلى عليك يارسول الله فكيف نصلى عليك فسكت

(وفى رواية كعب بن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من أصحاب الشجرة روى عنه الشعبي وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفى نسخة على آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) أى مبالغ فى المجد والشرف والكرم وعن على كرم الله وجهه اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد أى اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) أى كما رواه مسلم وغيره عنه مرفوعا (فى حديثه اللهم صل على محمد النبي الامى) أى الذى على أصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم (وفى رواية كعب بن عجرة) فى الترمذى بضم العين وسكون الجيم وراء مهملة وهو أبو محمد او أبو عبد الله او أبو اسحق من بنى سالم بن عوف أو من غيرهم صحابى شهد بيعة الرضوان وتوفى سنة اثنتين او احدى وخمسين وأخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه وكيف الصلاة عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) قال الترمذى حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث أيضا رواه الشيخان عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه الا ان لفظ البخارى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى الموضعين وسقط منه آل فى الموضعين ورواية المصنف رحمه الله تعالى تخالفه (وعن عقبة بن عمرو) عبد الله الانصارى الصحابى توفى بالمدينة سنة احدى وأربعين فى أيام على أو معاوية رضى الله عنهما وكان على كرم الله وجهه استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين (فى حديثه) الذى رواه (اللهم صل على محمد النبي الامى وعلى آل محمد) هم المؤمنون من أزواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من أقربائه على الراجح وفسر بجميع أمته أيضا كما يأتى فى كلام المصنف وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن حبان والدارقطنى والبيهقى ومسلم بدون لفظ النبي الامى (وفى رواية ابن سعيد الخدرى) وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم (اللهم صل على محمد عبدك ورسولك) أخرجه الحاكم بسند فى بعض رجاله كلام (وذكر معناه) أى معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى آخره ورواه البخارى أيضا ثم اورده من طريق آخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ما وقع معه أمر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قول أو فعل ونحوه ووقع مثله قصدا من جميع رواته تبركا به حاكانه فى حال صدوره كالعد فى اليد هنا وهو قوله (حدثنا القاضى أبو عبد الله التيمى) تقدم بيانه (سماعا عليه) بقراءة غيره عليه (وأبو على الحسن بن طريف النحوى) طريف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفاء أحد شيوخ المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكره فى كتابه الا فى هذا الموضع توفى تاسع ذى الحجة سنة احدى وعشرين وخمس مائة وفيها توفى ابن رشد (بقراءتى عليه قالا حدثنا أبو عبد الله بن سعدون الفقيه) يعرف به كما تقدم فى ذكر الشوق اليه قال (حدثنا أبو بكر المطوعى) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الواو المشددتين وعين مهملة تليها ياء نسبة غلب على المجاهد تطوعا بلا أجرة وهو محمد بن على الغازى النيسابورى قال (حدثنا أبو عبد الله الحاكم) محمد بن

(وعلى آل محمد) قال الشافعى رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال الدلجى ويؤيده قول الحسن بن على انا آل محمد لا نأكل أو لا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع أقاربه وأهل بيته وقيل أزواجه وذريته أو جميع أمته ورجحه النووى فى شرح المهذب وقيده القاضى حسين بالاتقياء منهم فى حديث البخارى وربما يقال أمة الاجابة كلهم اتقياء فان أقل التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقى آلى نعم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة فى المقام الاعلى (وفى رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه اللهم صل على محمد عبدك) أى الاكمل (ورسولك) أى الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم أو للعهد الخارج توهم التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) أى معنى الحديث ومبناه ويروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضى أبو عبد الله التميمى سماعا عليه وأبو على الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوى) أى المنسوب الى النحو لمهارته فى علمه وشهرته فى فنه (بقراءتى عليه قالا) أى كلاهما (ثنا) أى حدثنا (أبو عبد الله بن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) أى العالم بالفقه (ثنا أبو بكر المطوعى بفتح الواو مشددة) قال ثنا أبو عبد الله الحاكم أى النيسابورى شيخ أهل الحديث فى عصره وصاحب التصانيف فى دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة فى الربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين وثلثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال فى خراسان وما

عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلث مائة وتوفي في صفر سنة خمس وأربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه (عن أبي بكر ابن أبي دارم الحافظ) المسند الشيعي الحاكم أحمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنتين أوست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان (عن علي بن أحمد العجلي) هو ممن روى عنه أبو بكر المذكور ولم يعرف (عن حرب بن الحسن) وفي نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات (عن يحيى بن المساور) بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب (عن عمرو بن خالد) أبو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا أنه كذاب له قبائح مذكورة في الميزان (عن زيد بن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر النسيب الامام الثقة رأى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال الزهري ما رأيت قريشا أفضل منه توفي سنة أربع وتسعين وهو امام ثقة جليل أخرج له الستة (عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال) علي رضي الله تعالى عنه (عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) صفة لمقدر أي كلمات تذكر في التشهد أو صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باشكالها يشير الى انه حديث مسلسل بالعد في اليد الى جبرائيل تنبيها على حفظها وان لا يترك واحدة منها (وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي بهذا العدد (نزلت من عند رب العزة) سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله أو من يعطيها من يشاء كما قال الله تعالى تعز من تشاء وتذل من تشاء وله وقع هنا الاعزازه واكرامه لرسوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) أي افض عليه وعلى آله رحمتك وانعامك (كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) جعله مشبها به لشهرته لا لانه أفضل وأعلى كامر (انك حميد مجيد) أي محمود وممجد أو المستحق للثناء والشرف من أثنيت عليه وشرفته (اللهم بارك على محمد) أي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى (وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

وراء النهر وسمع من ألفي شيخ تقريبا وفي مستدركه أحاديث ضعيفة وموضوعة أيضا لايخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة قد ضعفهم هو في مواضع أخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفي في صفر سنة خمس وأربعمائة (عن أبي بكر ابن أبي دارم) بكسر الراء (الحافظ) أي الشيعي التميمي محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبدالله بن القصار وأحمد بن موسى الحمار وغيرهما روى عنه الحاكم وتكلم فيه وأبو بكر بن مردويه وآخر وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب توفي في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة (عن علي بن أحمد العجلي) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة وفي نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدي ليس حديثه بذاك قاله في الميزان قال الحلبي لكن ذكره ابن حبان في ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو وقال الذهبي فيه عن جعفر الصادق قال الازدي كذاب عن (عن عمرو بن خالد) هو أبو خالد القرشي مولى بني هاشم كوفي نزل واسط يروي عن حبيب بن ثابت وزيد بن علي وأبي جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن أرطاة واسرائيل واسمعيل ابن أبي عياش وخلق كذاب له ترجمة قبيحة في الميزان (عن زيد بن علي ابن الحسين) أي ابن علي ابن أبي طالب وهو أبو الحسين العلوي المدني أخو محمد الباقر وعبدالله وعمر وعلي وحسين روى عن أبيه وأبان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهري وزكريا ابن أبي زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان في الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة اثنتين وعشرين ومائة (عن أبيه علي) أبو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين يروي عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وجمع وعنه بنوه محمد ابراهيم وزيد وعمر والزهري وأبو الزناد وخلق قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه ثقة مامون (عن أبيه الحسين عن أبيه علي ابن أبي طالب قال) أي علي (عدهن) أي الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر بما بعده (في يدي) وفي نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عدهن في يدي جبريل وقال هكذا) أي الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكير تاء التأنيث وفي نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) وفي نسخة ربنا أي يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم وترحم) بتشديد الحاء على صيغة الدعاء أي اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) وفيه انه يدل على جواز الدعاء للانبياء بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم (اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسماء الله بمعنى الرؤف المنعم (اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال السيوطى فى الجامع الكبير قال الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف وأخرجه الديلمى وابن منده والترمذى وقال العراقى ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا ابن مساور وحرب بن الحسن أورده الازدى فى الضعفاء وقال حديثه ليس بذلك وقال ابن حجر فى أماليه اعتقادى انه موضوع وفى سنده ثلاثة ضعفاء وبعضهم من نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات تجبر وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا آخر عن أنس فى مسنده انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا أيضا فتعدد هذه الطرق يقتضى انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد علمت ان الحديث مسلسل وتقدم ان المسلسل ما توارد رواته على حالة واحدة أو صفة فى اسناده أو صيغ أدائه ومن قوله وترحم يرد قول ابن العربى ان زيادة الترحم فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدعة وقال الصيدلانى انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفى الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله وسيأتى رده وفى الاذكار زيادة ارحم محمدا بدعة لا أصل لها وقال ابن أبى زيد المالكى وبعض المالكية يستحب زيادة ارحم محمدا فى التشهد وسيأتى نقله عنه فى كلام المصنف مع رده وفى شرح مسلم الاختيار تركه ان لم يأت فى خبر صحيح وقال السخاوى من زاده رآه من فضائل الاعمال ويكفى فيه الحديث الضعيف وقال أبو جعفر والسرخسى من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمه الله لا يستغنى أحد عنها وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفى شرح البخارى لابن حجر انه غير مسلم لوروده فى أحاديث كثيرة ففى التشهد السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابى له صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحمنى وارحم محمدا وتقريره له وفى حديث ابن عباس أسألك رحمة من عندك وفى الحديث عنه أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك وياحى ياقيوم برحمتك أستغيث وفى الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالى بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه كغيره يدعى له بالرحمة أقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه لنفسه بالرحمة لا منع منه أصلا وأما دعاء غيره له فيما لم يؤثر فعلى الافراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندى ثم ان الصاغانى نقل فى العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفى الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه السلام بالتشبيه قال البغوى عن مقاتل لانه أفضل الانبياء بعد نبينا ومكافأة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين أو لمشاركته على دعائه لامة محمد فى التأذين للحج والايمان أو أمر بذلك اجابة لدعائه بقوله اجعل لى لسان صدق فى الآخرين ولانه أمر بالاقتداء وأما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد أجيب عنه بانه قاله قبل أن يعلم انه أفضل منه أو لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو مرتبته وقيل المشبه آل محمد وفيه تحقيقات فى رسالة الجلال الدوانى وفى الدر المنضود ذكر شيخ مشايخنا ابن حجر ان التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبياء من آل ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله ان الصلاة على النبى وآله شبهت بالصلاة على ابراهيم وآله فيحصل لنبينا وآله من آثار الرضوان ما يقارب الحاصل لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبياء ثم تقسم الجملة فلا يحصل لآله

ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) أى أظهر الحنان وهو على ما فى القاموس كسحاب والرحمة الرزق والبركة والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من أسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذى يقبل على من أعرض عنه فلا يبعد أن يقال المعنى على قصد التجريد فى المبنى اللهم وأقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال الحلبى هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجى ما أورده المصنف هنا عن أبى عبد الله الحاكم فقد قال النميرى اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطى وهو متروك لوضعه على أهل البيت وفيه حرب بن الحسين الطائى ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد أجمع العلماء على انه يعمل به فى فضائل الاعمال

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي برواية أبي داود عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره) أي أعجبه (أمان يكتال) بفتح الياء وروى بضمها أن يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) بالنصب على المدح أو بتقدير يعني وفي نسخة بالجر على انه بدل من الضمير في علينا (فليقل) أي في صلاته أو في جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبي) أي الموصوف بالرسالة (وأزواجه أمهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم (وذريته) أي أولاده وحفدته (وأهل بيته) أي أقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (كما صليت على ابراهيم) أي بقولك رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد ولهذا اختم بقوله (انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) وهو الخزرجي الحارثي المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو أبوه وذلك وهم لانه قتل يوم أحد وهذا تكلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمي في مسند الفروس عنه (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا) أي الصلاة بشرائطها وأركانها وسننها (واجتهدوا في الدعاء) أي بعد التحريمة وفي الركوع والسجود وفي آخر الصلاة (ثم قولوا) أي وقولوا وعبر بثم للترقي أو للتراخي في الاخبار ولا يبعد ان يراد بالاجتهاد في الدعاء المبالغة في الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج في ضمن التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) أي أكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) لم

وفي الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ما سبق أفضل وأكمل فتأمل (وعن سلامة الكندي) بكسر الكاف ذكره ابن حبان في الثقاة (كان علي رضي الله تعالى عنه يعلمنا) وفي رواية يعلم الناس (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف وقد صح سنده قال الدلجي لكن أعل وان صحح سنده بان روايته عنه مرسلة افلم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره ابن حبان انه روى عن علي وروى عنه نوح بن قيس الطاحي انتهى ومثل هذا لا يقال في الارسال ثم رأيت قال الشيخ ابن كثير في تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور وزيد بن الحباب ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس

منها ما حصل لآل ابراهيم اذ غير الانبياء لا يساويهم فيتوفر ما بقي من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يشعر بانه أفضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جاء في رواية مقابلة الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى (وعن أبي هريرة) في حديث رواه أبو داود وغيره (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت) أي من أحب ان يأتي بأحسن صلاة وأعظمها أو من اراد ان ينال أجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة أو شبه الاجر بما يشترى من الحبوب والتمر وشبهه ذكره أو مثله له باكتياله له لاستيفائه على طريقة المكنية والتخييلية والاجر ظاهر وارادته في قوة المذكور ووجه الشبه انه به البقاء والمكيال بكسر الميم آلة الكيل والاوفى أفعل التفضيل من الوفاء وهو استيفاء الشئ وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته بهذه العبارة المخصوصة (فليقل) اذا صلى عليهم (اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) ففضل هذه الصلاة لما فيها من شمول آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه بما يحبه وذكر الصلاة على أبيه ابراهيم والايمان به وبغيره من الانبياء وهذا الحديث صحيح اخرجه أبو داود والطبراني وغيرهما كما علمت (وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري) الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد موته وهذا أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي (سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك) هذه الجملة معمولة لسألت لتضمنه القول أو لقول مقدر (فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء) المراد به الصلاة وعبر به تفننا أو المراد الدعاء لانفسهم بما يريدون واجتهدوا بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم (ثم قولوا) بعد الصلاة عليه وعلى آله وازواجه وذريته (اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم ما يغني عن اعادته (وعن سلامة الكندي) هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه (كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي رواية يعلم الناس ويقول قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جاء عن علي بسند ضعيف وله طرق أخر رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها

(اللهم داحي المدحوات) بتشديد الواو وفي رواية المدحيات بتشديد التحتية فيهما اسما مفعول من دحا يدحو ويدحى أي يا باسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اي بسطها ومدها بعد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفي الآيتين رد على أهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشيء أي خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت وفي قراءة من تفوت أي نقصان وزيادة وقصور في مادة أي خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها مرتفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت في الروايات وروي يا سامك المسموكات أي رافعها وما أحسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفي العبارة ترق في الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) اي خيارها وارفعها اقدارا واتمها انوارا قيل للاعمش لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحقرني كنت آتي مع ابراهيم النخعي فيرحب به ويقول لي اقعد ثمه أيها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * مادام فينا بارضنا شرف

ولعله كان يعمل بهما روى نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامي بركاتك) أي الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف أي بركاتك النامية الزاكية الدائمة في الزيادة الكافية (الوافية ورأفة تحننك) أي اجعل رأفة تنشأ من تحننك والرأفة أشد الرحمة وفي نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين أي رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا أي واجعل أشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) أي الجامع الوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما أغلق) بصيغة المجهول أي المبين لمشكلات الامور وقال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فهو فاتح لما عسر من أبواب كنوز المسرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة أبواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع في الغواية وفي الحديث أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض وكأنه أراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفي حديث آخر أوتيت مفاتيح الكلام أي ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاحة بالوصول الى حقائق المباني ودقائق المعاني مما اغلق على غيره من الخلق أجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) أي من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازي مشيرا الى انه الذي افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال أول ما خلق روحي أو نوري أو لانه كالعلة الغائية في ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل في مقام العبادة وحالة العبودية

لم يدرك عليا (اللهم داحي المدحوات) وروي المدحيات ودحى بمعنى بسط قال الله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي مدها وبسطها لانها خلقت أولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله تعالى واستدل به من قال الاسماء ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كدحى (وبارئ) بالهمز اسم فاعل من برأ بمعنى خلق على غير مثال أي ميز وأبرز (المسموكات) بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات وروي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعد ولازم (اجعل شرائف صلواتك) أي أفضل صلواتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف وأصله ما علا من الارض على غيره (ونوامي بركاتك) الى ما زاد غير النهاية من خيراتك أي بركاتك النامية فهي من اضافة الصفة لموصوفها (ورأفة تحننك) أي لطفك ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية (على محمد عبدك) قدمه لشرف العبودية على غيرها ابدا لانتهاء الى القرب (ورسولك) الذي ارسلته لجميع خلقك (الفاتح لما أغلق) بضم الهمزة وكسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من أغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية أو انه فتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والاخروية أو بين لامته ما أوحى اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك قيد اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسير ما به أول الناس خلقا وآخرهم بعثا كما فسر به جملة لك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله عليه السلام أوتيت مفاتيح الكلام لما أوضحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى أمته من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله أوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض (والخاتم لما سبق) من النبوة

(والمعلن الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض أى المظهر لامر الحق (بالحق) أى بطريق الصدق وليس المراد بهما معنى واحدا حتى يصح للدلجي ان يقول وضعه موضع ضميره قصد الزيادة تمكنه وتلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفى نسخة الاباطل بلا ياء وأصل الدمغ اصابة الدماغ ثم نقل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق أى القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم مما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهى القوة ومنها الاضطلاع أى فقوى على ما حمله ونهض (بامرك) أى باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له أو فقام بامورك الذى كلفته حمله (لطاعتك) أى لاجلها أو ممتثلا لها وفى نسخة صحيحة بطاعتك فالباء للسببية فتشارك اللام فى معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاى أى منتصبا ناهضا أو قائما مستعجلا (فى مرضاتك) أى اطلب ما فيه رضاك أو فى تحصيل مرضاتك وزاد الدلجي فى أصله بغير نكل فى قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون داله من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن فى اقدام ولا وهن فى عزم أى ولا ضعف فى أمر حزم وحكم حتم وجزم وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابى بكر متى توتر قال أول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابى بكر أخذت بالحزم ولعمر أخذت بالعزم ولا خير فى عزم بلا حزم وأما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعى وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء أى مراعيا لما أوحيته اليه وفاهما لما بينته لديه صلى الله تعالى عليه وسلم

والرسالة فانه لا نبى ولا رسول يرسل بعده ولا فى عهده وعيسى اذا نزل كان على شريعته ومن أمته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما بعد بعثته من أمته أيضا ولا حاجة لتفسير ما سبق بالانبياء والرسل وجعل ما بمعنى من (والمعلن) اسم فاعل بمعنى المظهر من الاعلان وهو الجهر (الحق) بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع الخافض أى (بالحق) أى بالامر الحق لا بالقهر والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير أو الحق الثانى المراد به الله عز وجل فانه من اسمائه أى بمعونة الله وتأييده (والدامغ) أى الدافع والمزيل ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه (لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر أى الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا وألقى عليه صخرة رضته وألصقته تراب المذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغى وقيل الاباطيل جمع ابطولة أو ابطيلة أو ابطالة ولم يسمع (كما حمل) بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة مبنى للمجهول (فاضطلع) بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوى على حمله ونهض به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهى القوة وأصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه وجوز أن يكون للتعليل وان تكون بمعنى على والاول أولى واظهر فهو متعلق بما قبله أو خبر مبتدأ مقدر أى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبت له تحمله اثقال الرسالة واعباءها فقام بها أتم قيام أو صلى وسلم عليه لقيامه بذلك أو فعل به هذا جزاء له على ذلك (بامرك) أى قام بها بسبب أمرك امتثالا له لا لغرض آخر والمراد بامره تيسيره واعانته وقوله (بطاعتك) بدل مما قبله أو متعلق به لامره بطاعتك فامتثله وأدى ما كلفته به وفى نسخة لطاعتك باللام (مستوفزا) حال من الضمير فى حمل أو اضطلع والاستيفاز الوثوب والانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال أى مسرعا مستعجلا فى الاتيان بما أمرته به جادا غير متوان ومنه قولهم القيته على أوفاز اى على عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وتأخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفى على عادته (فى مرضاتك) مصدر ميمى بمعنى الرضى وفى ظرفية ويجوز كونها بمعنى لام التعليل كما فى حديث دخلت امرأة النار فى هرة وفى بعض النسخ (بغير نكل فى قدم ولا وهن فى عزم) أى لا جبن يطرء عليه فى اقدامه ولا ضعف فى عزيمته ويروى واهيا بالمثناة التحتية (واعيا) أى حافظا ضابطا (لوحيك) الذى أوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق فى تبليغه الرسالة ومنه اذن واعية وأصل

الوعى

(حافظا لعهدك) أي الذي عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص في عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفي هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أي مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتي وحالتي وحالة طاقتي لعجزي عن بلوغ كنه ما أوجبته على من اطاعتي في عبادتي وطاعتي أو عن دفع ماقضيته على في سابق قضائك أي ان كنت قضيت على ان انقض العهد وقتاما فاني أتنصل منه معتذرا اليك (ماضيا) أي جاريا ومستمرا أو مقدما (على نفاذ أمرك) بالذال المعجمة أي على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى أورى قبسا) من أوريت الزند اذا قدحته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس أي أخذ من النار فيهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور

الوعي جعل الشيء في وعاء قال * والشر خبث ما أوعيت من زاد * وحفظه شامل للعمل به (حافظا لعهدك) أي متمسك ومداوم على ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص في طاعتك وامتثال أمرك ونهيك كما قال صلى الله عليه وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت (ماضيا) أي مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وأنزلته مداوما (على نفاذ أمرك) بذال معجمة من أنفذ كذا اذا امضاه وبلغ أقصاه (حتى أورى قبس القابس) الايراء قدح الزناد لخروج النار شررا توقدمنه والقبس ما يتناول من الشعلة قال الله تعالى (أو آتيكم بشهاب قبس) والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري أي لم يزل صلى الله عليه وسلم مجاهدا قائما على الحق حتى أظهره أبلج نيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة وقوله القابس أي القابل وطالب نور الحق والهداية التي هي من (آلاء الله) بالمد جمع الى وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين فيهما والخامسة الى بكسر فسكون فتنوين ومعناها النعم الالهية والسعادة الابدية في الدارين بواسطته صلى الله عليه وسلم (تصل باهله أسبابه) الجملة صفة قبس أي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من أهله الذين أهلهم الله تعالى له ووفقهم لقبوله ونور بصائرهم بانواره والسبب تقدم ان معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة وصلة (به) أي بذلك القبس الذي أوراه فرآه من رآه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم (هديت) بالبناء للفاعل والمفعول (القلوب) الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل (بعد خوضات الفتن والاثم) جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الماء ويستعار للشروع والدخول في كل أمر يذم والاسم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) وهو المراد هنا بعد كفرهم وارتكابهم الآثام (وانهج موضحات الاعلام) وقع في النسخ هنا اختلاف فسقط من أكثرها لفظ انهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول لهديت بنزع الخافض أي الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدأ مقدر وهو ضمير القلوب أي هي ظاهرة أدلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل من الايضاح وهو الكشف والبيان أي صارت القلوب بما رزقت من الهداية منشورات الاعلام أو ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر ومن أثبت انهج ماض فهو بالنون من النهج بمعنى أوضح وبين وسهل وقوم كما ذكره ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي [illegible] ها ابهج بالباء الموحدة من البهجة أي انار واشرق وهذا ساقط من خط المصنف كما

والجملة تمامة لما قبلها أي لم يزل مجاهدا في ابلاغ ما أمر به مرغبا في موافقته مرهبا من مخالفته حتى أظهر دينا بينا كالقبس نورا نيرا (القابس) أي الطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ أي نعمه (تصل باهله أسبابه) بالنصب أي وسائله التي قدرها وذرائعه التي قررها في اللوح المحفوظ حررها وفي أصل الدلجي القابس آلاء الله بالاضافة أي لمبتغي سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله أي باهل القبس يعني بالمبتغين له أسبابه بالرفع أي وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية غايته الفوز أبدا معاشا ومعادا

(به) أي به عليه الصلاة والسلام (هديت القلوب) بصيغة المفعول وفي نسخة بصيغة الفاعل أي قلوب أهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والآثام) أي بعد دخول القلوب في ميدان فتن الايام وشروعها في مهاوي المعاصي والآثام (وانهج) أي عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط في أصل الدلجي لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات [illegible] الجار وأوصل الفعل أقول وعلى تقدير صحة تركه وانهج لا يبعد أن يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات أعلام الغيوب وفي [illegible] كما هو بفتح الضاد على بناء المفعول أي فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا أولى وأنسب بقوله

(ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر أى واضحاتها وبيناتها وقول الحلبى نائرات بالنون أوله ومثناة تحتية بعد الالف محمول على ماقبل الاعلال والافيقرأ بالهمزة فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من أنار متعديا أى ومظهرات أحكامه ورافعات أعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقراءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك المأمون) أى حافظ دينك وعهدك الذى ائتمنته عليه وفوضت أمر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) أى وسائر ما استودعته من اسرار الربوبية التى تعجز عن ادراكها عامة أرباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) أى الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى أممهم الاشقياء (يوم الدين) أى يوم الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء أمته من العلماء والاولياء وهم شهداء على أمم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولا منع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) أى مبعوثك الذى بعثته أى أرسلته (نعمة) أى للمؤمنين أى هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) أى الى الخلق (رحمة) أى للعالمين لمن آمن فى الدنيا والاخرى ولمن كفر فى الدنيا لا فى العقبى (اللهم افسح له) أى وسع لاجله المقام الاعلى (فى عدنك) أى فى جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا أقام به ولم يبرح منه سمى بها جنتها العلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو فى الجنان كآدم فى نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن وجنان عدن التى وعدتهم والاشتقاق أيضا يدل على انه أعم والله أعلم ويروى فى عدلك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدك أى فى موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل فسكون جيم فزاى مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكأنه تصحف عن الدلجى حيث لم يذكره اذا

قاله التلمسانى * فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ انهج فالمعنى ظاهر لان مآله الى انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما هداهم الله له من أحكام الشريعة الظاهرة ولما يظاهر الاسلام ويؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان واما على النسخة الاخرى التى فيها ابهج بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان مآلها اظهار الظاهر والمظهر * قلت على هذه الرواية انه ظاهر فى نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره بالنسبة لغيرهم واظهاره اشاعته وانتشاره الى أن يصل الى أقصى الارض فتدين له الجبابرة والملوك (ونائرات الاحكام) جمع نائرة اسم فاعل من النور والضياء من نار لازم بمعنى ظهر واتضح والاحكام أحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفى القاموس نار نورا وأنار واستنار ونور وتنور وانتهى (ومنيرات الاسلام) من أنار المتعدى والاسلام بمعنى الدين أو الاستسلام والانقياد لامر الله تعالى (فهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (أمينك) على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التى أطلعته عليها (المأمون) الذى ارتضيته لحفظ اسرارك أو خلقته حفيظا عليما كما أشار اليه بقوله (وخازن علمك المخزون) فى خزائن ملكوتك وكنوز عرشك حتى أنزلته له وأئتمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق له الاطلاع عليه (وشهيدك) فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة على الانبياء وأممهم أى تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم (يوم الدين) أى القيامة والجزاء بما يعلمه الله (وبعيثك) فعيل بمعنى مفعول أى مبعوثك ورسولك الذى بعثته وأرسلته لتبليغ أوامرك ونواهيك (نعمة) مفعول لاجله أى بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين (ورسولك) الذى أرسلته للناس كافة خاتما للنبوة والرسالة (بالحق) متعلق برسول أى أرسلته بالدين الحق الثابت فى نفس الامر (رحمة) عامة لجميع خلقك وهو منصوب بمفعول له أيضا فهو رحمة فى الدنيا والآخرة لمن آمن به وفى الدنيا لمن كفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة فى الآخرة بتخفيف عذابه أيضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه التى كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال لئلا يكون تكرارا (وأفسح له فى عدنك) الفسحة التوسعة وعدن بسكون الدال اسم للجنة ومعناها دار للاقامة والخلود من عدن بمعنى أقام وهو اسم للجنة مطلقا ولها أسماء أخر ويكون اسما لجنة مخصوصة أيضا عرفها لهم والمراد بالدعاء له بالفسحة طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل أمر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل ما سافر فيه النظر والافسعة الجنة معلومة وقيل روى عدلك باللام أى معدلتك وجزائك له بما يليق به (واجزه

الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من أجازه اذا أعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء اى اعطه أجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال آجره يأجره ويأجره جراء كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبى قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاى المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكى حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) أى أنواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ لا يجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى الطعام يهنأنى اذا ساغ بلا تنقيص وكل ما أتاك بلا تعب كذا ذكره الدجى وهو توهم انه من الثلاثى المجرد وليس كذلك بل هو من ٤٧٩ باب التفعل (غير مكدرات)

بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات أى غير منغصات (من فوز نوابك) بالزاى أى من أجل الظفر باجرك (المحلول) أى الذى يحل فيه وفسر بالمنزول وتصحف الفوز على الدجى فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة أى من سريع فضلك الذى لا بطؤ فيه (وجزيل عطائك) اى كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب اولا وقد وهم الدجى حيث قال فى الاول بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد أخرى.

فشبه وافر عطائه بمنهل عذب برده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رضى الله عنه * كانه منهل بالراح معلول (اللهم اعل) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة أمر من التعلية اى ارفع (على بناء الناس) وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله أو على منازلهم فى الجنة منزله أو أعل بناء دينه على بناء أديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله أى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدجى أو أطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله أحد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل انسانا ظلما من حيث ان أصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لا يكتنفه طول لان الاطالة مما يجامع انه كان ربعة الى طول أقرب فى سائر أحوالها المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الا ان

مضاعفات الخير من فضلك) المعنى اعطه من انعامك وفضلك ما تضاعفه له من الخيرات الاخروية مما لا عين رأت ولا اذن سمعت وهو ظاهر الا انه اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاى معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزاء فانه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاى ساكنة من الجائزة وهى العطية وقال السخاوى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزاء كما ضبط فى بعض نسخ الشفاء والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة لان فعله ثلاثى كما قال الله تعالى وجزاهم بما صبروا انتهى أقول ان صحت الرواية بما ذكره أولا فتوجيهه انه من الاجزاء بمعنى الكفاية أبدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كادم والمعنى اكفه عن سؤالك لما كلفته به من القيام باعباء رسالتك والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه أهل اللغة وقوله من فضلك اشارة الى ان الثواب تفضل من الله تعالى لانه لا يجب عليه شئ خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون (مهنئات له) صلى الله تعالى عليه وسلم جمع مهنأة بتشديد النون والهمزة اسم مفعول من الهنء وهو السائغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو حال من مضاعفات (غير مكدرات) اى منغصات وهو حال ايضا أو صفة لمهنآت مؤكدة (من فوز) بفاء وزاى معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت (نوابك) الثواب العطاء فى مقابلة عمل (المحلول) بحاء مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه اذا نزل أى الكائن فى الجنة أو الذى أوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم أى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفى رواية المضنون بدل المحلول أى الذى يضن به لنفاسته (وجزيل) اى كثير عظيم (عطائك) أى احسانك وانعامك (المعلول) أى المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى ويقابله النهل وهو الشرب مرة قال كعب * كأنه منهل بالراح معلول * فشبه عطاءه بمنهل عذب برده العطاش كما تريد مرارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع (اللهم اعل) بقطع الهمزة (على بناء الناس) بموحدة ونون وروى بدل الناس البانين جمع بان (بناءه) بموحدة ونون أى اجعله عاليا رفيعا أى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام أو اجعل مقداره ارفع من كل مقدار

يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام ويلائمه قوله (وأكرم مثواه لديك) أى منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاى أى أجره وثوابه وجزاءه وهو فى الاصل الطعام المهيأ للضيف (وأتم) بتشديد الميم المفتوحة وفى نسخة واتمم (له نوره) أى الذى سألك ان تجعله فى قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتجلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف وفى الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (وأجره) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء أى جزاءه الذى يوجب سروره قال الحلبى الاجر معروف وهو منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجى واجره الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاى وانه جعله أمرا معطوفا على أكرم أو أتم وكأنه تبع الحجازى فى قوله ويروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من انبعاثك) مصدر من باب الانفعال من البعث أى من بعثك

اياه وفى نسخة من الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب أو باتم وهو أقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) أى تزكية لامته اذا شهدوا للانبياء انهم قد بلغوا أممهم الرسالة بعدما جحدوا تبليغهم أى اياهم يوم القيامة ونصبه على الحال من ضميرله أو على المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) أى مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) فصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة فى جعل منطقه عدلا أى ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجى حيث قال مبالغة فى جعل نفسه عدلا فانه لو أريد به هذا المعنى لنصب

لامر

عدل فى المبنى كما لا يخفى (وخطة فصل) أى وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع أو الفرق أو بمعنى الفاصل أى ذا حالة رشد وهدايه واستقامة والمعنى اذا ألم به خطب عظيم وأمر مشكل جسيم فصله برأى قويم وفى حديث الحديبية لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا أعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) أى وذا دليل واضح وبيان قاطع عظيم فى ميدان البيان بحيث يصير الشئ الغائب كالامر العيان (وعنه) أى وعن على كرم الله وجهه (أيضا فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى جملة ألفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبى) أى فنحن أولى بذلك (الآية) يعنى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعنى لاسيما وقد أمرنا بذلك تصريحا بعدما أشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول

أو ذاته أشرف من جميع الذوات لان الذوات بثناء الله كما ورد فى الحديث وصحح فى بعض النسخ ثناء الناس وثناه بمثلثة أى اجعل مدحه والثناء عليه فوق ما يثنى به الناس عليه فانهم لا يقدرون على ادائه حق الاداء (وأكرم مثواه لديك) أى اجعل مقامه عندك كريما أى حسنا مرضيا من ثوى بالمكان اذا أقام به (ونزله) بضم النون وسكون الزاى المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه وأجره وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم (وأتم له نوره) أى اجعل النور الذى أودعته فيه تاما كاملا فيكون فى سائر جهاته وحواسه وقلبه كما ورد فى دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى سائر جهاتى نورا (واجزه) فيه ما تقدم من الضبط قريبا (من انبعاثك) افتعال من البعث بموحدة ومثلثة أى بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله (له) متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل أى كافئه على ما قام به من أمور الرسالة (مقبول الشهادة) أى شهادته فى المحشر للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم (ومرضى المقالة) أى ما يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول (ذا منطق عدل) مصدر ميمى بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال أيضا والمراد به ما يقول بعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا تضاهى (وخطة فصل) بتقدير مضاف أى وذا خطة وهى بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهى الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيامة (وبرهان عظيم) أى دليل نبوته ورسالته القوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد وزاد أبو بكر بن أبى شيبة فى رواية فيها مجهول اللهم اجعلنا سامعين مطيعين وأولياء مخلصين ورفقاء مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد علينا السلام (وعنه) أى عن على كرم الله وجهه (أيضا فى) كيفية (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لكن قال الحافظ السخاوى انه لم يقف على أصله انه صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) أى وتلا الآية الآمرة بذلك الى آخرها لتقع صلاته بعدها امتثالا

(لبيك) أي أقمنا مرة بعد أخرى بخدمتك ودمنا بحضرتك (اللهم) أي يا الله أمنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربي) أي ياربي (وسعديك) أي نساعد عبادتك مساعدة بعد مساعدة في طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو أبلغ من البار ولذا لم يرد في أسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من أولى البر وفي الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة أي عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعني ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البرار بأهله وقال تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما البحر فانه يغرق أهله ولا يفرق حزنه وشغله وقد ورد البحر من جهنم رواه الحاكم والبيهقي عن يعلى بن أمية (الرحيم) أي كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) أي وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) أي العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) أي القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق أجمعين (وما سبح لك من شئ) أي وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية قبلها وفي نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة أي صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك أي مادام يسبحك شئ (يارب العالمين) أي مربيهم ومدبر أمورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) أي من أرباب اليقين

(ورسول رب العالمين) اى الى كافة الخلق أجمعين (الشاهد) أي للانبياء (البشير) للاولياء (الداعي اليك باذنك) اى بأمرك وتيسيرك (السراج المنير) أي من أبصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) أي مما يغشى غيره من الملام وسوء المنام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلمه لي وسلمني منه أي لا يغشاني فيه ما يحول بيني وبين صومه وسلمه لي أي حذرا من ان يغم على الهلال أوله وآخره فيلتبس على صوما وفطرا وسلمني منه أي بعصمتي فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) اى أجناسها (وبركاتك) اى أنواعها (ورحمتك) أي الخاصة

لامر الله في قوله عقبها (لبيك اللهم ربي وسعديك) أي اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد في طاعتك وامتثال أوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في كتب النحو (صلوات الله البر الرحيم) أي المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو من أسمائه تعالى ولم يسمع بار لان البر أبلغ منه وصلوات (والملائكة المقربين) كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم (والنبيين والصديقين) المبالغين في الصدق والاخلاص من أشراف المؤمنين الصالحين (والشهداء والصالحين) لكل خير القائمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهداء جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول وهو من قتل مجاهدا في سبيل الله لاعلاء كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمي به لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة أولانه حي فكأنه شاهد حاضر اولان ملائكة الرحمة تشهده أو لقيامه بشهادة الحق أو لشهوده ما أعد له من الكرامة حين قتل (ما سبح لك من شئ) ما مصدرية ومن زائدة وهو للتأبيد أي صلوات هؤلاء دائمة مستمرة مدة تسبيح الاشياء لك وان من شئ الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو وفي قوله تعالى ما سبح الى آخره وفي نسخة وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية أي وصلوات الله وصلوات كل شئ سبحك (يارب العالمين) أي جميع المخلوقات فهو شامل للعقلاء وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب التفسير (على محمد بن عبد الله) متعلق بمقدر خبر الصلوات الله (خاتم النبيين) أي آخرهم بعثة (وسيد المرسلين) أي أفضلهم وأشرفهم وأضاف خاتم للنبيين متابعة لما في القرآن وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وأما قوله لا تسودوني سيدا فأول بلا تصفوني بسيادة كسيادتكم أو هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله أيضا بمعنى المالك كما فصلناه في غير هذا المحل (وامام المتقين) الذين يقتدون به في العلم والعمل (ورسول رب العالمين) الى الخلق أجمعين (الشاهد) على الانبياء بانهم بلغوا أممهم وعلى أممهم بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كما تقدم تحقيقه (البشير) للمؤمنين بسعادة الدارين (الداعي اليك) أي الذي دعا الخلق الى طاعة الله تعالى وتوحيده (باذنك) أي بامرك اذ بدعوتهم أو بتيسيرك وتسهيلك (السراج المنير) شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره قلوب المؤمنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر (وعليه السلام) أي السلامة من كل وصمة ونقص (وعن ابن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية أخرى للصلاة عليه (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك) المراد بجعلها انزالها ولذا عداه

(على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) أى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية أى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والآخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى أشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بأمته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لاملجأ ولامنجئ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة أى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط أى يخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط من غير ان يحصل هنالك ضر لاحد منها (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم) أى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد أن يشرب بالكأس الاوفى) أى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) أى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) أى دائما أو كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) أى من يؤل اليه أمره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (وأصحابه) أى من أدرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (وأولاده) أى الشاملة لبناته واحفاده (وأزواجه) أى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (وأهل بيته) أى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) أى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) أى من المهاجرين والانصار (واشياعه) أى اتباعه من أهل القرى والامصار

بعلى فقال (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد) بالجر بدل مما قبله (عبدك ورسولك) قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها (امام الخير) أى امام الاخيار أو المقتدى به فى كل خير (ورسول الرحمة) أى الذى أرسل رحمة للعالمين وقد ورد فى حديث مسلم أنا نبى الرحمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا) يحمده فيه جميع الانبياء وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى أقمه وفسر بعضهم البعث بالاحياء والتنكير للتعظيم (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أى يتمنون نيل مثله من غير زوال له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور بما رأوه فقط وهو اللائق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذى خصه الله تعالى به كأنه يقول هلا ساويته فى مقامه وفيه اعتراض خفى ولذا لما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط فأشار الى انه فيه ضر اليس كضر تمنى الزوال فان الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد) تقدم بيانه (وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من أراد ان يشرب بالكأس الاوفى) أراد به اناء فيه ما يرويه ويزيد من الوفى وهو الكثرة وفى القاموس وفى واوفى نمى وكثر فهو وفى وواف وهو المراد ورده الزبيدى فى لحن العوام بانهم يقولون درهم واف اذا كان يزيد فى وزنه وقال أبو بكر الوافى الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذى وفى بزنته انتهى (من حوض المصطفى) الذى يسقى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر أو غيره فيه ما فيه (فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته) بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وأنثى وقد يخص بالنساء والاطفال ومنه ذرارى المشركين من الذرء وهو الخلق ولكثرتها أسقط الهمزة وقيل من ذر فرق أو من الذر لانهم خلقوا أولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا أصل له فى الهمز ويدخل فيهم أولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب أبى حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن أحمد نعم أجمعوا على دخول أولاد بنات فاطمة فى ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصية لهم لشرف هذا الاصل العظيم والمجد الكريم وبين الازواج والآل عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والآل عموم وخصوص مطلق (وأهل بيته واصهاره وانصاره وأشياعه) أى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكر وغيره وغلب بعد ذلك على طائفة ادعت

(ومحبيه) أى من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وأمته) أى الداخل فيهم المؤمنون المذنبون (وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس) فى رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسمعيل القاضى فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) أى العظمى وهى التى يفصل القضاء بين أهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) أى مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) أى اعطه سؤاله (فى الآخرة والاولى) أى الدنيا وسميت أولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفى نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكى الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة ثقة حجة (انه قال يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أى من الخيرات (واعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك) أى من المقامات (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) أى من الكرامات (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) أى فى رواية ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده انه كان يقول اذا صليتم على النبى عليه الصلاة والسلام فاحسنوا الصلاة عليه) أى فى المبنى والمعنى (فانكم لاتدرون) أى ما يترتب عليه هنالك (لعل ذلك) أى اذا قيل (يعرض عليه) أى يبلغ اليه

تفضيل على كرم الله وجهه على غيره كما سيأتى بيانه فى محله (ومحبيه) المراد بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله (وأمته) من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة (وعلينا) يعنى المتكلم ومن يختص به (معهم أجمعين يا أرحم الراحمين) ولتعميمه فى هذا الدعاء وتفصيله تفصيلا تاما كان جزاء من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعاء من جنس عمله بان يكون منه به أوفى (وعن طاوس) هو الامام أبى عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم (عن ابن عباس انه كان يقول) اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم (اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات عدة بلغها النووى خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضاء لا لاخراج عصاة المؤمنين من النار كما قيل * فان قلت شفاعته مقبولة فما فائدة الدعاء له بهذا * قلت هذا أمرنا به تعبدا لنيل الثواب وان كان أمرا محققا كما فى قوله (وارفع درجته العليا) ومرتبته فى جنات النعيم والمراد بهذا كله تعظيمه (وآته) أى اعطه وأنعم عليه (سؤاله) فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز أى مسؤله ومطلوبه وما يحبه ويبتغيه (فى الآخرة والاولى) أى الدنيا سميت أولى لتقدمها على الآخرة ومطلوبه فى الآخرة درجات قربه ونجاة أمته وفى الدنيا اعلاء كلمة الله ونصره ونصر أمته وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم أعداءهم ولا يستأصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد فى الحديث (كما آتيت ابراهيم وموسى) فان قلت الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس فى هذا ذكرها * قلت المراد بالصلاة الدعاء له وهو دعاء فيه تعظيم وثناء عليه بما يليق به (وعن وهيب) بالتصغير (ابن الورد) ويقال ابن أبى الورد المخزومى المكى الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته أبو عثمان روى عن عطاء مرسلا وغيره وروى عنه كثير وأخرج له مسلم وأصحاب السنن وله أحاديث ومواعظ توفى سنة ثلاث وخمسين ومائة وفى بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول (انه كان يقول فى دعائه) له صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه) أى أجب دعاءه بما أحبه لنفسه (وأعط محمدا أفضل ما سألك له) أى لاجله (أحد من خلقك) واستجب دعاءهم له (واعط محمدا أفضل ما أنت مسؤل له الى يوم القيامة) تعميم بعد تعميم (وعن ابن مسعود) رواه عن ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه) أى اقصدوا أحسنها وقولوه (فانكم لاتدرون) انها تبلغه أم لا (لعل ذلك) الدعاء والصلاة (يعرض عليه) وتبلغه صلاتكم عليه فينبغى ان يتحرى الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه قيل لعل هنا للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسيأتى وسئل ابن حجر هل الافضل والاحسن فى الصلاة عليه ان يقول صلى الله على محمد أو على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الآثار الواردة أرجح لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا فى حديث ضعيف فى الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد أن يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل صلاة يبر بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون وقال النووى رحمه الله أفضله ما فى التشهد والحاصل انه لم يرو ذكر سيدنا عن أحد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفى عليهم والخير كله فى الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسئلة أصولية وهى ان سلوك الادب أحسن أو الاتباع والامتثال ورجح الثانى وقيل انه

(وقولوا) أي مثلا (اللهم اجعل صلواتك) أي انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) أي الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) أي لنفسه (وقائد الخير) أي لغيره (ورسول الرحمة) أي لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم) زيد في نسخة في العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه الجملة الاخيرة من أصح أنواع الصلوات بما ورد فيه الروايات (وما يؤثر) أي ما يروى (من تطويل الصلاة) وفي نسخة في تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على أهل البيت) قال الحجازي ويروى عن أهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) أي من اصحابه وأزواجه وأتباعه واشياعه (كثير) أي يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) أي وقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفا أو مرفوعا (والسلام كما قد علمتم) أي بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص (السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) السلام أي بالموت (وغيره ومن شهد) أي حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتي الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته) أي من أزواجه وذريته (واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما) سيأتي تحقيقه (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

هو الادب كما مر ٢ وقوله (وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك) الى قوله (انك حميد مجيد) تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذي ذكره ابن مسعود وارشاد لما أمر به من الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو أحسن منه وانه هو الظاهر وفيه نظر (وما يؤثر) بالبناء للمجهول أي ينقل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير الآتي (من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم) من الصحابة وتفضيلهم كما مر (كثير) في الآثار المروية عن السلف حتى أفرد بتآليف من أحسنها القول البديع للسخاوي المتقدم ذكره (وقوله) في الحديث المتقدم في التشهد (والسلام كما علمتم) يعني في تشهد الصلاة في قوله السلام عليك أيها النبي الخ وهو اشارة الى تفسير ما سبق في رواية مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلي عليك آخره الى هنا وهو اشارة الى ما علمهم من التشهد وقوله علمتم بالبناء للمجهول وبتشديد اللام أو بالبناء للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا الكن ما بعده يقتضي الاول أعني قوله (هو ما علمهم في التشهد من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) تقدم تفسيره (وفي تشهد علي) رضي الله عنه وتقدم ان التشهد روي عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم نر من رواه عن علي (السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله) قدمه لبيان شرفه وتفضيله عليهم (السلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم قيل أخر وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام (السلام على محمد بن عبد الله) كرر السلام عليه باسمه ونسبه تأكيدا (السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد) أي حضر (اللهم اغفر لمحمد) سيأتي بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة (وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي) بالتشديد مضاف لياء المتكلم (وما ولدا) زاده ليشمل اقرباءه المسلمين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا هو الذي قاله فكيف يدعو لوالديه وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قميصه واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من أم خيرا الانها ربته صلى الله عليه وسلم وأحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبري في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به في الحديث وأبو طالب مات كافرا وادعاء بعض الشيعة انه أسلم لا أصل له وقد نهى عن الاستغفار للمشركين كما في الآية الكريمة انتهى وأجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه آدم وحوى ولا يخفى بعده وقيل المراد تعليم من يدعو من المؤمنين ان يقوله وهو أقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد فيه ألفا وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين وأولادهما ليس بشئ وكذا ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم أو هو بناء على اسلام أبويه على ما ارتضاه السهيلي وسيأتي بيانه (وارحمهما) فيه ما تقدم (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

٢ وقيل لعل هنا لا لجزم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتي نسخه

(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت أبيه وبعض
اخوته كافرين قال الدلجي ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعاء بهم الولديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك
لتعليم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي
حديث الصلاة) بالاضافة أي الذي سنده (أيضا) ويروى في حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه أي
عن علي قبل ذلك وهو المذكور في أوائل هذا الفصل (قبل) أي من طريق الحافظ أبي عبد الله الحاكم فقبل مبني على الضم
وقوله (الدعاء له) أي للنبي عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر أي الدعاء له بالرحمة في حديث الصلاة على النبي المروي عن علي (ولم
يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما أولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها أحد معاني الصلاة
وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة فحيث وقع له عليه الصلاة
والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفي رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى أو الاشتغال بالامور المباحة أو رؤية التقصير في مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشأنه وعلو مكانه فحسنات الابرار سيئات المقربين مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد في القضية أو من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو والدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو
أخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه أي أدم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) وهو من أكابر علماء
المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به) وفي كون البركة
تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران نعم هذا هو الاولى ولكن لا لاجل النهي يحتاج الى دليل مثبت
للدعوى وقد أغرب الدلجي حيث قال لا لافتقارهم اليه دونه ووجه غرابته ان كل أحد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد
من دعائه له عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم اغفر لي وارحمني وانما الكلام في دعاء غيره له بهما لانه كان في مقام التواضع والادب كما
يقتضي استغناء الرب ثم رأيت في شمائل الترمذي ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا
تقرير منه عليه الصلاة والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد) أي المالكي في رسالته زيادة الترحم (في
الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت) بتشديد الحاء وفي نسخة تراحمت (على
ابراهيم وآل ابراهيم

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) تقدم بيانها (جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي صلى
الله عليه وسلم بالغفران) وهي المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشيء ما يصونه فهي من الله صون
عبده عن مس العذاب والدعاء بها له صلى الله تعالى عليه وسلم من أمته لا ينبغي لايهامه القصور من
المدعو له كالدعاء له بالرحمة واما قول الله له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ودعاؤه لنفسه بالمغفرة
فلا يقاس عليه (وفي حديث الصلاة عليه) صلى الله عليه وسلم (عنه أيضا) أي عن علي منه (قبل)
بالبناء على الضم أي قبل هذا تقدم من طريق الحاكم (الدعاء له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالرحمة) وانما
يدعى له بالصلاة والبركة اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة
بنوع تعظيم (ولم يأت في غيره) أي في غير هذا الحديث (من الاحاديث المرفوعة المعروفة) المنسوبة اليه
صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره (وقد ذهب أبو عمرو بن عبد البر) الامام الجليل القدر كما تقدم
(وغيره) من علماء المالكية والحديث (الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة) فهو مكروه
عندهم لايهامه التقصير (وانما يدعى له بالصلاة) أي بهذا اللفظ المأمور به في القرآن (والبركة التي
تختص به) يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض
المواهب اللدنية (ويدعى لغيره) من المؤمنين (بالرحمة والمغفرة) لانه غير معصوم ولا يخاف من تقصير
فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته أشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تأخر والمراد غيره صلى
الله عليه وسلم من أمته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك أيضا وكذلك الصحابة ينبغي ان
يقال فيهم رضي الله تعالى عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ
بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق
الرحمة لزم استعمالها في حق غيره وليس كذلك (وقد ذكر) الامام (أبو محمد بن أبي زيد) في مذهب
مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم (في الصلاة على النبي) صلى الله عليه وسلم في تشهد
الصلاة (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم) ورده المصنف بقوله

ولم يأت هذا) أى الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة وبروى ولم تأت هذه الرواية (فى حديث صحيح) قال الدلجى اذما
وردبزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف فى فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث الصحيح أو الحسن فى الاحكام
من الاقوال واما قول النووى فى شرح مسلم المختار ان الرحمة لاتذكر فسلم لانه خلاف الاولى واما ما جزم به فى الاذكار بأن ذكرها بدعة
ففيه بحث لانه قدورد فى بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة لاسيما وهى لاتنافى سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة
ويقويه ماذكره المصنف بقوله (وحجته) أى دليل ابن أبى زيد الذى أخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) أى قول النبى عليه
الصلاة والسلام حال تعليم أمته (فى السلام السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم
أهل البيت وينصره ان رحمته عامة للخواص والعوام ولا يستغنى أحد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعى ذكر فى شرح الكبير
عن الصيدلانى انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد فى الخبر وانه غير
فصيح فانه لايقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه فى حق الله سبحانه وتعالى انتهى
ولا يخفى ان نفى الصيدلانى ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ من جهله بطريق الحديث فمن حفظ
حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية فى ٤٨٦ مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد صححه وقال فى موضع آخر
بل قدورد به خبر صحيح
قال الحلبى وقد راجعت
تلخيص المستدرك
للذهبى فرأيت سالفظه
بعد انهاء سنده الى ابن
مسعود رضى الله تعالى
عنه عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذا
تشهد أحدكم فى الصلاة
فليقل اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وبارك
على محمد وعلى آل محمد
وارحم محمدا وآل محمد
كما صليت وباركت
وترحمت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد انتهى وقد جاء فى جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل براءة
ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء فى رواية على وابن عباس وجابر وجاء أيضا فى حديث مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضى
مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما فى النسائى الصغير باسناده عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر
فذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يارسول الله رأيت خلخالها
وساقها الحديث وقد جاء مرسلا ومسندا ففى تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة أو حكم عليه
بالكراهة واما قوله ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة فى انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالى انه لايجوز ترحم
وقول الرافعى انه لايحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووى انه قال واما ما قاله بعض
أصحابنا وابن أبى زيد المالكى من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا أصل لها وكانه غفل عما ورد وذهل عن قول
الشافعى فى الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده
ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم فى حقه فهذا رد على مقلده هذا وقد قال شمس الائمة السرخسى
من أصحابنا الحنفية لابأس بقول وارحم محمدا لان الاثر ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان أحدا لايستغنى عن رحمة الله تعالى

(ولم يأت هذا فى حديث صحيح وحجته) فى جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة الذى منعه غيره
(قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى عنه (فى السلام) المروى فى التشهد (السلام عليك أيها
النبى ورحمة الله وبركاته) فاطلاق الرحمة عليه هنا يدل على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذلا
فرق بينهما وقال الرافعى فى الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما
يقولون وترحمت على ابراهيم بالتاء ولم يرد فى خبر صحيح وانه لايقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفى
الترحم تكلف لايحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوى فيه أقوال وقد أسقطها النووى من الروضة
وقول الرافعى انه لايقال رحمت عليه غير مستقيم فان الصغانى قال يقال ترحمت عليه وقال الغزالى لايجوز
ترحم بالتاء وهو مراد الرافعى بقوله انه لايحسن وقال النووى انه بدعة وتابع ابن العربى فى انكاره
وتخطئة ابن أبى زيد وفى الاذكار ما قاله بعض أصحابنا وابن أبى زيد من استحباب زيادة وارحم محمدا
وآل محمد بدعة لا أصل لها وقد جهل ابن العربى فى شرح الترمذى قائله لانه ليس فى التشهد الذى علمه
رسول الله الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم رواه فى مستدركه
باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبى وقد قاله الشافعى فى رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه
كما قاله البرهان الحلبى فى حواشيه * أقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا فى جواز الدعاء له
صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفى وروده فى الحديث والذى صححه أكثر الفقهاء والحفاظ
ثبوته وجوازه ومنشأ الخلاف ان الرحمة والمغفرة تقتضى قصورا وذنبا حماه الله تعالى منه واعطاه

* (فصل) * (فى فضيلة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) أى وفى فضيلتهما (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا) أى حدثنا (القاضى يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا أبو بكر بن معاوية) أى ابن الاحمر الاندلسى وقد روى النسائى الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائى) اى صاحب الجامع (انا) بالموحدة أو النون أى أخبرنا أو انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزى يروى عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه الترمذى والنسائى ثقة (انا) أى اخبرنا أو انبأنا (عبد الله) أى ابن المبارك ابن واضح الحنظلى التميمى مولاهم المروزى أبو عبد الرحمن شيخ خراسان يروى عن سليمان التيمى وعاصم الاحوال والربيع بن انس وعن ابن مهدى وابن معين وأبوه تركى مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به أخرج له الائمة الستة (عن حياة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال أخبرنى كعب بن علقمة) أى التنوخى المصرى تابعى يروى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان فى الثقات وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (انه سمع عبد الرحمن ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشى مصرى مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفى سنة سبع وتسعين أخرج له مسلم وغيره (انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى أيضا عنه (يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) أى أذانه (فقولوا مثل ما يقول) أى جوابا له واختلف فى الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما الاحول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا على) أى بعد اجابة المؤذن

براءته منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وسوى بينهما ايماء الى ان المتقدم كالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا قيل المراد بذنبه ذنب أمته كما تقدم فينبغى ان يقال بجوازه مقرونا بغيره وغيره منفرد تعبدا وطلبا للثواب والمغفرة له ليس ذنبا كذنوبنا بل أمور تقتضيها الجبلة البشرية وتاباها العادة الملكية من الاشتغال لدنيويه وان كانت مباحة أولازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وسيأتى تحقيقه ان شاء الله تعالى

* (فصل فى فضيلة الصلاة عليه) * صلى الله تعالى عليه وسلم أى ثوابها وفوائدها لمن قالها (والتسليم عليه) أى قوله السلام عليك أيها النبى ونحوه (والدعاء له) المأثور نحو اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم واظهار محبته وطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا الاحتياج له صلى الله تعالى عليه وسلم وقدم حديثا مسندا بروايته تبركا به رواه النسائى ومسلم عن ابن عمر (حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه) قالوا من روى عنه المصنف رحمه الله تعالى من مشايخه واسمه أحمد بن محمد عدة ناس منهم أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن غلبون الخولانى وأحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى وهو ابن الرضى أبو جعفر وأحمد بن محمد ابن عبد الله الشارقى والمراد الاول لانه أشهر مشايخه وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكأنه اعتمد على شهرته قال (حدثنا القاضى يونس بن مغيث) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو بكر بن معاوية) بن الاحمر الاندلسى وهو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو بكر القرطبى الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين ومائتين وسمع من النسائى وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قال (حدثنا النسائى) امام الحديث صاحب السنن المشهور واسمه أحمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال (حدثنا) وفى نسخة أخبرنا من هنا الخ (سويد بن نصر) أبو الفضل المروزى المعروف بالشاه الامام الثقة روى عن ابن المبارك وغيره وأخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة أربعين ومائتين قال (أخبرنا عبد الله عن حياة بن شريح) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح التميمى مولاهم المروزى شيخ خراسان وأبوه تركى تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وقبره بهيت يزار وأخرج له الستة كما تقدم وحياة بن شريح تقدمت ترجمته وسائيه (قال أخبرنى كعب بن علقمة) بن كعب بن عدى التنوخى المصرى التابعى الثقة توفى سنة ثلاثين ومائة وأخرج له أصحاب السنن وفى بعض النسخ كعب عن علقمة وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث (انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع) الامام الجليل الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفى سنة سبع وتسعين (انه سمع عبد الله بن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) وهو يؤذن للصلاة أو غيرها مما يشرع (فقولوا مثل ما يقول) من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه (وصلوا على) وفى مسلم ثم صلوا على والمعنى واحد وقد علمت ان هذا أحد المواطن التى يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة

(فانه) أي الشأن (من صلى على مرة) أي واحدة كما في نسخة (صلى الله عليه عشرا) أي لوعده سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها وهذا أقل مراتب أضعاف أعمالها وهو لا ينافي ماورد في مسند أحمد بسند حسن موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا
مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم مرة صلى الله تعالى عليه بها سبعين مرة ثم

بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج لتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام
سبقها في التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام في مواطن منها عقب مايقال عند
ركوب الدابة كما رواه الدارقطني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وانما حذف في بعض المواضع اختصارا
وكذا يستحب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاقامة كما ذكره الخيضري فيما تقدم (فانه
من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا) فان الحسنة بعشرة أمثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه
فيه من الرحمة له واعلاء قدره مالا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى أنه يقوله من غير تأخر لما بعد الاذان
وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه وفي قول معتمد أنه يقول عندهما الاحول ولاقوة الا بالله
أي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي اليها الا به وفيه وكان ابن جبير يقول سمعنا وأطعنا ويسن أنه
لا يرفع المجيب صوته في الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه (ثم سلوا الله لي الوسيلة) بان يقول اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته
فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة لغة مايتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث
بقوله (فانها منزلة في الجنة) من أعلى منازلها وقد يرد هذا معناها اللغوى فانها تقرب به الى الله (لا تنبغي
لاحد من عباد الله الا لعبد) أي لا تليق بكل أحد فانها أعلى المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وقد فسرت
الوسيلة أيضا بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة
العظمى أيضا (وأرجو أن أكون أنا هو) عبر بالرجاء وان كان الله تعالى أعطاه ذلك لوعد من لا يخلف
الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا الامر فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان
يكونوا بين الخوف والرجاء دائما لاسيما في أمور الآخرة وانا تأكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها
وضع موضع اياه استعير ضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير
مستتر وانا هو مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون وماقيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة أي ان أكون
ذلك العبد كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق
لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع غيره كما
ذكره النحاة (فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) أي استحقت ووجبت له بفضل الله تعالى
عز وجل من حل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له وهو بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته
شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم من العذاب والاشفع له باعلاء درجته أو بادخاله الجنة من غير حساب
وفي شرح مسلم للمصنف ان هذا مختص بمن قال مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله تعالى عليه وسلم
لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو أخرج الغافل كان أشبه وتقدم الكلام على ذلك كله
وفيه الحث على الدعاء في أوقات الصلاة لانه محل الاجابة كما قالوه (وروى انس بن مالك) كما في شعب الايمان
للبيهقي (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) واحدة في وقت ما (صلى الله عليه
عشر صلوات) أي رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها الا ان اضافته الى الله اضافة تعظيم
وتشريف وان كان كل من جاء بحسنة له عشر أمثالها (وحط عنه عشر خطيئات) ان كان ارتكب
خطيئة (ورفع له عشر درجات) باعلاء مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته بقربه من الله (وفي رواية) أخرى

لا يبعد ان هذا المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ ورد ان الاعمال كلها فيه بسبعين ضعفا وهو يؤيد ماورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) أي الله تعالى كما في نسخة (لي الوسيلة) وهي المرتبة الجليلة (فانها منزلة) أي درجة جليلة (في الجنة لا تنبغي) أي لا تليق أولا تحصل (الا لعبد) أي عظيم (من عباد الله) أي الصالحين (وأرجو ان أكون أنا هو) أي ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه وانا تأكيد لاسمها أو مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون هو وضع اسم اشارة أي ان أكون انا ذلك العبد كما اشرنا اليه (فمن سأل لي الوسيلة) أي وهي نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتي أي غشيته ونزلت به وفي نسخة حلت له الشفاعة أي ثبتت وفي رواية وجبت
له شفاعتي أي حقت (وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) كما في شعب
الايمان (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) أي واحدة (صلى الله عليه عشر صلوات) أي قياما بشكر عبده
(وحط) أي وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية) أي لابي يعلى

رواها

رواها أبو يعلى (وكتب له عشر حسنات) فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها أعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمة ورحمة خاصة به فهى على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل (وعن أنس) بن مالك أنه روى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن أبى شيبة فى مسنده أنه قال (ان جبريل) عليه الصلاة والسلام (نادانى) أى قال لى ويحتمل انه رآه فى الأفق فناداه بصوت عال قال فيه له من صلى الى آخره ويؤيد الاول قوله فى بعض النسخ (فقال من صلى عليك صلاة) باخلاص يقصد بها تعظيمك كما (صلى الله تعالى عليه عشرا ورفعه عشر درجات) فوق مقامه الذى يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة فى أحاديث كثيرة مسندة صحيحة وفى بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفى الاكثر (وفى رواية عبد الرحمن بن عوف) التى رواها الحاكم والبيهقى وصححها (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لقيت جبريل فقال لى ابشرك) أى أخبرك بما يسرك سرورا عظيما يظهر فى وجهك وبشرتك وهو أصل معناه (ان الله) أى بان الله (يقول من سلم عليك) أى قال السلام عليك أيها النبى داعيا لك بالسلامة من كل نقص وسوء وملقيا اليك عنان تسليمه (سلمت عليه) أى سلمته من كل سوء وحفظته عنايتى وعبر بهذا مشاكلة (ومن صلى عليك صليت عليه) ليس فى هذه الرواية عدد ولا غيره فهو محمولة على ما مر والحديث صحيح روى من طرق وسببه ان عبد الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالك فاخبره بما خطر بباله فقال له جاءنى جبريل وأخبرنى بان الله يقول لى من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم فى سجدة الشكر اصح منه والاحاديث فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى (ونحوه) أى مثل هذا الحديث لفظا ومعنى (من رواية أبى هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والالف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هوازنى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابى رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى عنه احاديث مرفوعة او تابعى روايته مرسلة والاصح عند الذهبى وغيره انه تابعى وتوفى سنة اثنين وتسعين وهو ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر واتبعه بطهرة فوجده ساجدا فى شربة فتنحى عنه حتى رفع رأسه فقال له احسنت يا عمر لتنحيك عنه تأدبا ثم قال لى ان جبريل أتانى فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات أخرجه البخارى فى الادب وغيره (وعبيد الله بن ابى طلحة) الانصارى وعبيد الله بالتصغير وفى نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى أخو انس لامه وولد اسحق واخوته وهو صحابى له رواية توفى فى زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه وحديثه رواه أحمد والحاكم وابن حبان والنسائى قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى فى وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءنى جبريل فقال لى اما يرضيك يا محمد ان لا يصلى عليك احد من أمتك

(وكتبت له عشر حسنات) أى ثوابها (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن أبى شيبة فى مسنده (عنه عليه الصلاة والسلام ان جبريل نادانى) أى خاطبنى (فقال من صلى عليك صلاة صلى الله تعالى عليه عشرا) أى عشر مرات (ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن ابن عوف) كما رواها الحاكم وصححها والبيهقى فى شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لى انى أبشرك) أى أخبرك بما يسرك (ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) أى عشرا أو أكثر (ومن صلى عليك صليت عليه) وفى الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) أى نحو مروى ابن عوف (من رواية أبى هريرة ومالك بن أوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما أدرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى أبا بكر وسمع عمر وعثمان وبقية العشرة رضى الله تعالى عنهم وعنه الزهرى وابن المنكدر وقال أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة وأحمد بن صالح صحح هذا الحديث والاصح عند الذهبى انه عنده تابعى وحديثه مرسل (وعبد الله ابن أبى طلحة) أى زيد بن سهل الانصارى وفى بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وهو أخو انس لامه حنكه عليه السلام وسماه توفى زمن الوليد فهو تابعى له رواية روى عن أبيه ثقة أخرج له مسلم والنسائى ولد له عشرة بنين كلهم قرأوا القرآن

(وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفي رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي) وهذا الحديث سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما ٤٩٠ روى عن مالك بن انس والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة وعنه أحمد بن حنبل نعم هذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الانصاري مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر بن سوادة عن زياد ابن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمي قيل ولعل المصنف أورده في أصله عن زيد بن الحباب عن رويفع ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وعن ابن مسعود) أي مرفوعا (أولى الناس بي) أي أقرب الناس مني وأحقهم بشفاعتي (يوم القيامة أكثرهم على صلاة) رواه الترمذي وابن حبان (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي في كتاب) أي بان كتب فيه الصلاة (لم تزل الملائكة تستغفر له مابقي اسمي) يروى مادام اسمي (في ذلك الكتاب) رواه الطبراني في الاوسط وأبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر في هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب مانقل أيضا من ذلك الكتاب والله أعلم بالصواب (وعن عامر بن

واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وأخرجه ابن الجوزي في الوفاء بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم (وعن زيد بن الحباب) بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما ألف (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) الظاهر من السياق أنه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قالوه وهم أو بيض له أو سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي وأين هو وأين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به بأس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف رحمه الله تعالى لما اراد كتابة الحديث سقط أول سنده ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه واسم أبيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار أعظم من الذنب فانه ليس بمعضل أيضا لان المعضل اذا قيل سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب الشمني عنه بان المصنف رحمه الله تعالى أسقط ماعدا زيدا لانه لا غرض له في ذكر رواته لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيده ذا هو ابو الحسين الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول أبي هريرة وهو المقصود بالرواية ومابعده تابع له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية مايمكن في توجيهه بحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر لزيادة قوله وعن (من قال) في صلاته على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم صل على محمد وأنزله) أي أعطه (المنزل المقرب) بصيغة المفعول ويجوز كسر رائه (يوم القيامة) هو على ظاهره أو المراد في الآخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله تعالى منزه عنه (وجبت له شفاعتي) أي تعينت وتحققت بلا تردد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ عندنا (وروى ابن مسعود) في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود (أولى الناس يوم القيامة) أي أحقهم بشفاعتي وعنايتي أو أقربهم مني منزلة (أكثرهم صلاة على) فان ذلك يدل على محبته والمرء مع من أحب (وعن أبي هريرة عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم من (صلى على في كتاب) كتبه من تأليف ورسالة وغيره كما مر بيانه (لم تزل الملائكة تستغفر له) أي تدعو له بالمغفرة (مابقي اسمي) أي مدة بقائه مكتوبا (في ذلك الكتاب) والمراد التأبيد كقوله تعالى مادامت السموات والارض قال الطبراني في الاوسط رواه أبو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج أحاديث الاحياء رويناه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة العلماء المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرأ الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وأرجى والاول أظهر وأقوى انتهى وتقدم نقله عن شيخ زروق ✽ قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله أجره وأجر من قرأه أجرا غير مقطوع ولا ممنون (وعن عامر بن

ربيعة

ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) أى واحدة واكثر (صلت عليه الملائكة ما صلى على) أى مدة صلاته على (فليقلل) أمر من التقليل أو من الاقلال (من ذلك) أى من قول الصلاة أى عبد كما فى نسخه (أو ليكثر) أمر من التكثير أو الاكثار والمراد به الاخبار واختيار ما هو مختار رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن (وعن أبى بن كعب) على ما رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضم فسكون ويسكن الثانى وفى رواية ثلثا الليل (قام) أى من نومه أو فراشه (فقال يا أيها الناس) كأنه ينادى أهل بيته أو خواص أمته (اذكروا الله) أى فى حال الانتباه واتركوا ماعداه (جاءت الراجفة) أى النفخة الاولى التى ترجف الارض بأهلها أو المعنى قرب مجيئها أو يموت كل احد عنده (تتبعها الرادفة) أى تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين النفختين أربعون سنة يقول الله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شأنه لله الواحد القهار أو بقول الخلق بلسان الحال فى جواب ذلك السؤال لله الواحد القهار واليوم كذلك فى نظر ارباب الاسرار وأصحاب الانوار لا ملك الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) أى من سكراته ومنكراته أو بما فيما بعده ولا مفر من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الباب (فقال) الظاهر وقال انلاه ... وجه الرابطة بالفاء (أبى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك) أى لكثرة محبتى اليك رجاء حصول الشفاعة لى لديك وروى انى اكثر من الصلاة عليك (فكم اجعل لك من صلاتى) أى من زمان دعائى لنفسى أو من أوقات عبادتى النافلة (قال ما شئت) أى قدر ما اردت من تقربك لى (قال) أى أبى (الربع) بالنصب أى اجعل لك من صلاتى ربع أوقاتى (قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ما شئت) أى اخترت قليلا أو كثيرا (وان زدت) أى على الربع (فهو خير) أى لك كما فى نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين ويسكن الثانى وهو بالنصب كما مر (قال ما شئت وان زدت فهو خير) قال الجزرى وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفى غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف الى آخره وهذا الحديث فى الترمذى ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقال من ذلك عبد او ليكثر) العطف للتخيير والفاء فصيحة أى اذا عرفت بقاء هذا ودوامه ونفعه لك فان شئت اكثرت من كثيته كما تستفيد من الاول او التلفظ به كما تستفيد من هذا التريح بحا كثيرا دائما وان شئت اقتصر على قليل منه نافع لك وهذا فى الحقيقة حث له على الاكثار فى الحقيقة فان العاقل لا يترك الخير الكثير مع امكانه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط فى تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى (وعن أبى بن كعب) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) أى الاول وكان فعل ماض لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو وكان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جنى فى الخصائص (قام) من نومه وانتبه بعد استراحته (فقال) لمن عنده من زوجاته وأهل بيته (يا أيها الناس اذكروا الله) بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى ثم ذكرهم ووعظهم وقيامه ليتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) والراجفة من الرجفة وهى الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصرى فى قوله فى وصف من حدثت له رعشة فى كفه

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدى الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة أو الصيحة أو النفخة أو زلزلة أخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها (جاء الموت بما فيه) من سكراته وأهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم من نوم الغفلة (فقال ابن أبى بن كعب) لما سمع ما قاله صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك) واشغل بها أوقاتى بعد اداء الفرض ونحوها (فكم اجعل لك من صلاتى) أى مقدار الوقت الذى اصلى عليك فيه (قال ما شئت) أى أى قدر تريده ويتيسر لك (قال الربع) أى اصرف ربع أوقاتى لها (قال ما شئت وان زدت) على الربع (فهو خير لك) نافع فى الدنيا والآخرة (قال الثلث) أى اصرف لها ثلث وقتى (قال ما شئت) أى يكفى هذا (وان زدت فهو خير) واحسن لك (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

اجعل صلاتي كلها لك قال اذن تكفى) أي تغنيك عما عداها لان فيها خير الدنيا والآخرة وزيادة الرزق ببركتها (ويغفر ذنبك) لانها مكفرة لسائر الذنوب * اقول الصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعاء كما ذكره في كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه في مواطن الدعاء كعقب الصلاة ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله تعالى عليه وسلم هل يزيد في دعائه لنفسه على الصلاة عليه أو يسوي بينهما أو يزيد في الصلاة عليه أو يجعل دعاءه كله ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعاء لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله تعالى من غير طلب وهذا أولى وأحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا من ان هذا الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه أفضل من غيرها كالاذكار في الركوع والسجود فانها أفضل من غيرها وان كان غيرها في نفسه أفضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعاء أفضل من قول لا اله الا الله وان ورد في الحديث أفضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام السراج البلقيني عن قراءة القرآن وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها أفضل فاجاب بان كلا منها أفضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في وقت الدعاء وهي في الصلاة واجبة فهي أفضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفي عما أهمه وهي أفضل من الاستغفار وغيره من الدعاء وهذا ما اوجهه ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم تغني عن دعائه لنفسه ولا يقتضي انها أفضل من سائر العبادات ولا من قراءة القرآن وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القائل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له بهذا المقام وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين (وعن أبي طلحة) زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة أبو طلحة آخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في الصحابة من اسمه أبو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا أخرجه النسائي (دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت) في وجهه (من) آثار (بشره) أي مسرته وانشراحه (وطلاقته) الطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسرور (ما لم أره قط) فيه لان دأبه الخشوع والسكون (فسألته) عن سبب ذلك (فقال وما يمنعني) من المسرة وانشراح الصدر (وقد خرج جبريل) من عندي (آنفا) أي قريبا من مجيئك (فاتاني ببشارة من ربي) الظاهر ان فيه قلبا أي أتاني ببشارة ثم خرج ومثله في كلامهم والحديث صحيح أخرجه أحمد وأصحاب السنن (أن الله) بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر السار (بعثني) أي أرسلني (اليك ابشرك انه ليس احد من أمتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أي بصلاته التي صلاها (عشرا) وقد تقدم هذا وتفسيره (عن جابر بن عبد الله) في حديث رواه البخاري (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

فاجعل صلاتي) أي أوقات دعائي (كلها لك) أي لذكرك وما يتعلق به من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين أي حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفي رواية همك أي ما يهمك من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثان لتكفى وفي نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يران يعين له حدا مقدارا من الليالي والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد في مقام المراد أولا به يحصل كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث يداومون على الصلاة المصطفوية (وعن أبي طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائي وابن حبان والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة أي بشاشة بشرته (وطلاقته) أي بساطته واطلاقته (ما لم اره قط) أي ابدا قبل ذلك (فسألته) أي عن سبب ما هنالك (فقال وما يمنعني) أي عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) أي ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ بهما في السبعة أي هذه الساعة فكانها قدام الانف من كمال قربها (فاتاني ببشارة من ربي حين

أن) بفتح الهمزة أي هي ان أو بان (الله بعثني اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من أمتك) أي أمة الاجابة (يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها) أي بدلها أو بسببها (عشرا) فهذا الذي يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضي نشرا (وعن جابر بن عبد الله) على ما رواه البخاري (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال

حين يسمع النداء) أي الأذان أو الإقامة أو الإعلام بأحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) أي الدعاء إلى العبادة (التامة) أي الكاملة الشاملة (والصلاة القائمة) أي الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) أي الزيادة المنيعة وفي نسخة والدرجة الرفيعة في نسخة بزيادة الفضيلة وقد يرد أن الوسيلة منزلة في الجنة والفضيلة أعم من الوسيلة (وابعثه مقاما محمودا) وفي نسخة المقام المحمود وقد ورده والمقام الذي أشفع فيه لأمتي أي خصوصا وبعده أن أشفع للخلق عموما (الذي وعدته) أي به في الآخرة الذي بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته أي في القرآن قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة) أي الخاصة (يوم القيامة) (وعن سعد بن أبي وقاص) كما رواه مسلم (من قال) يروى أنه قال من قال (حين يسمع المؤذن) أي صوته (يتشهد وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) مقول (وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالإسلام دينا) نصبه وما قبله من الاسمين على التمييز (غفر له) أي ذنبه (وروى ابن وهب) أي بسنده منقطع (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة) أي في الأجر والمثوبة (وفي بعض الآثار ليردن) من الورود بمعنى ليأتين (على أقوام ما أعرفهم) يروى لا أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي) رواه الأصبهاني في ترغيبه عن أنس (وفي آخر) أي وفي أثر آخر (أن) بكسر الهمزة وفتحها (أنجاكم) أي أسبقكم نجاة (يوم القيامة من أهوالها ومواطنها) أي مواقفها (أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر) أي الصديق كما في نسخة (الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أي أطفأ (من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب) رواه الأصبهاني في ترغيبه بلفظ الصلاة عليه أفضل من عتق الرقاب وحبه عليه الصلاة والسلام أفضل من مهج الأنفس أو من ضرب السيف في سبيل الله وفي الجامع الصغير الصلاة علي نور على الصراط فمن صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما على ما رواه الطبراني والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

حين يسمع النداء) أي الأذان تعريفه للعهد (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة) أي الدائمة أو التي تقوم لها الناس فهي كبعثة قراضية (آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي) أي تحققت (يوم القيامة) وظاهره أنه يقول وهو يسمع الأذان من غير إجابة وبه استدل الطحاوي على أنه لا تتعين الإجابة أو المراد أنه يقول حين يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الإجابة والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القرآن وهو منصوب مفعول آت والذي بدل أو عطف بيان أو هو منصوب على الظرفية والذي مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لإنكاره وقد تقدم بيانه (وعن سعد بن أبي وقاص) في حديث صحيح رواه مسلم (من قال حين يسمع المؤذن) أي أذانه (وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له) أي جميع ذنوبه وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لأنه ليس فيه شيء مما نحن فيه من فضيلة الصلاة عليه وما قيل إنه يعلم منه التزاما لأن مجرد الرضا به إذا كان سببا للمغفرة فكيف إذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لأنه ليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه (وروى ابن وهب) هو الإمام أبو محمد عبد الله الفهري كما تقدم (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي عشرا) أي قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات (فكأنما أعتق رقبة) أي عبدا وعبر بالجزء عن الكل أي كان ثوابها مثل ثواب ذلك (وفي بعض الآثار) جمع أثر بمعنى الخبر الذي يؤثر أي ينقل والمراد به هنا الحديث (ليردن على أقوام) أي يأتون علي الحوض (لا أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي) وفي نسخة ما يدل لا يعني أنه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة من آثار الصلاة عليه (وفي) حديث (آخر أنجاكم) أي أسرعكم نجاة وخلاصة (يوم القيامة من أهوالها) أي شدائدها وخوفها (ومواطنها) الضمير للأول أو للقيامة التي تخوفونها (أكثركم علي صلاة) يعني أن بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الأصفهاني في ترغيبه عن أنس رضي الله عنه وفيه أيضا (وعن أبي بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمحق للذنوب) أي أشد إبطالا وإذهابا من محق الشيء إذا أبطله (من الماء البارد للنار) فإنه إذا صب عليها أطفأها وأذهب ضررها ففيه تشبيه الصلاة بذلك (والسلام عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من عتق الرقاب) إنما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لأن السلام فيه تسليمه من سائر النقائص ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم مما يخشاه في الآخرة فإذا جعل السلام عليه وأجره كالإعتاق وأجره وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لأن وجه الشبه قد يكون أقوى في المشبه وفي الدر المنضود بعد كلام الصديق هذا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس أو قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وله حكم المرفوع إذ مثله لا يقال من قبل الرأي وأخرجه التيمي وعنه أبو القاسم

(فصل) (فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) أى واثم من لم يصل عليه وفى معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت فى الآية الشريفة وجوبهما فى الجملة الا انه ليس فيها ما يدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضى الشهيد أبو على) أى ابن سكرة (رحمه الله ثنا) أى حدثنا (أبو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادى (وأبو الحسين الصيرفى)

وفى نسخة أبو الحسين والصواب بالتصغير (قالا) أى كلاهما (ثنا أبو يعلى) أى ابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين ثنا محمد بن محبوب (ثنا أبو عيسى) أى الامام الترمذى صاحب الجامع (ثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى) أى البغدادى والدورقى نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزى بانه منسوب لبلد فقد صرح أبو أحمد الحاكم فى الكنى فى ترجمة يعقوب بما قاله المزى وله تصانيف قال أبو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) أى ابن مقسم الاسدى روى عنه أحمد والزعفرانى (عن عبد الرحمن بن اسحق) أى ابن عبد الله ابن الحارث بن كنانة القرشى العامرى مولاهم المدنى يروى عن المقبرى والزهرى وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال

أبو داود قد روى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخارى ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد بن أبى سعد) أى المقبرى (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (أنف رجل) أى ذل والصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل على) أى اعراضا أو تهاونا كسلا أو نسيانا كانت ورغم انف رجل (دخل رمضان) أى عليه (ثم انسلخ) أى خرج عنه (قبل ان يغفر له) أى بان لم يفعل فيه ما يستحق به غفران ذنوبه

ابن عساكر ومن طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب أو قال من ضرب بالسيف فى سبيل الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه أفضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من النار لما فى الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلى عشرا وسلام الله عز وجل أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة فناهيك به من منقبة انتهى وفى بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

(فصل فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) لتركه الواجب عليه وذمه بترك الافضل فى حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا أخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه الترمذى كما هو دأبه فى كتابه هذا فقال (حدثنا القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) هو أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادى الحافظ الناقد وقد تقدم أيضا (وأبو الحسن الصيرفى) كذا فى النسخ والصواب أبو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته أيضا (قالا حدثنا أبو يعلى) هو أحمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال (حدثنا السنجى) تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها قال (حدثنا محمد بن محبوب) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو عيسى) محمد بن عيسى بن سورة الامام الترمذى المشهور وقد تقدم بيانه قال (حدثنا أحمد ابن ابراهيم الدورقى) هو أحمد بن ابراهيم البغدادى الحافظ والدورقى بفتح الدال والراء المهملتين بينهما واو يليها القاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو فى الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس شبهت بالاوانى لطولها ووهم من غلط المزى فى قوله انه اسم بلد فانه سبقه اليه الحاكم فى كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطى وقد رده البرهان الحلبى فى المقتفى والدورقى كان امام الحديث فى عصره أخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين قال (حدثنا ربعى بن ابراهيم) هو ربعى بن مقسم الاسدى الثقة الحافظ توفى سنة سبع وتسعين ومائة (عن عبد الرحمن بن اسحق) بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشى العامرى المدنى ويقال له عباد بن اسحق وثقه قوم وضعفه بعضهم وله ترجمة فى الميزان (عن سعيد بن أبى سعيد) هو المقبرى وقد تقدم (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم أنف رجل) أى أذله الله وأخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر وأضيف للانف لتقدمه (ذكرت عنده فلم يصل على) لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائله وعزة له باعزاز نبيه فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث أخرجه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه (ورغم أنف رجل دخل رمضان) أى جاء زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا أى فى عرف اللغة (ثم انسلخ) أى تم ومضى وأصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه أى نزعته ومنه سلخ الشهر لآخره قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ومما قلته

ادهم الليل حين كان حرونا * سلخت بذى الاهلة سلخا

(قبل ان يغفر له) أى ولم يغفر له وفى التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة

(ورغم أنف رجل أدرك) أي بلغ (عنده أبواه الكبر) بالنصب على المفعول من أدرك والفاعل أبواه وانما خص حال الكبر لانه أحوج حال الانسان الى الخدمة والاحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء أي بان لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى لم يبرهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سببا لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) أي راوي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وأظنه) أي أبا هريرة (قال أو أحدهما) أي بطريق الشك أو على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وأبعد الدلجي في جعل ضمير أظنه راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي حديث آخر) كما رواه الطبراني عن ابن عباس وأنس وعبد الله ابن الحارث بن جزء وكعب ابن عجرة ومالك بن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وأبي هريرة وعمار بن ياسر (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين أي طلع عليه (فقال) أي عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفي الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) أي عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال ان جبرائيل أتاني فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب أي ذكرت (بين يديه) أي عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر بسمعه (فلم يصل عليك) أي عقيب ذكر اسمك (فمات) أي تاركا الصلاة عليك غير تائب عما وقع له من التقصير بالنسبة اليك (فدخل النار) أي بسبب ترك صلاته لاستهانة أو عدم مبالاة أو لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته في شدة حالته (فأبعده الله تعالى) أي عن ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى ولذا قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا في الدرجة الاولى من المنبر وانما قدم هذه الحالة على البقية لانها كالمقدمة في التخلية (وقال) أي جبرائيل في الدرجة الثانية (فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه) أي صيامه وقيامه

كانت كالموجودة فذهب قبلها (ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر) أي أدرك الشيخوخة وعمرا وهرمهما لانه لم يبرهما ويعاملهما بما يرضيهما (لم يدخلاه الجنة) لانه لو فعل ذلك أثابه الله وأدخله الجنة فان الجنة تحت أقدام الوالدين كما ورد في الحديث (قال عبد الرحمن) بن اسحق الذي تقدم قريبا (وأظنه) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (أو أحدهما) أي أحد أبويه ويجوز عود الضمير لابي هريرة فيه شك من الراوي وستأتي تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذين ان في صوم رمضان رضى ربه وفي تعظيمه وفي رضى الوالدين برهما وهو سبب لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رضى من هو سبب لبقائه في النعيم المخلد والصوم رضى لربه بأمر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبر الوالدين فقد أحرم نفسه من فائدة عظيمة بترك أمر لا مشقة فيه ورواه مسلم بثم بدل الفاء لاستبعاده ممن له عقل والفاء نظرا لكون ذلك واقعا عقبه لان الفاء بمعنى ثم كما توهم وقيد بر الوالدين بحال الكبر لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد في قوله يدخلاه اسناد مجازي سببي (وفي حديث آخر) رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق أطول من هذا (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب عليه (فقال آمين) اذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله آمين يقتضي انه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه أحد فلذا سألوه عن سبب قوله هذا كما سيأتي (ثم صعد) درجة أخرى من درجات المنبر (فقال آمين ثم صعد) درجة (فقال آمين فسأله معاذ) راوي الحديث (عن ذلك) أي عن قوله آمين ثلاثا وسببه (فقال) مجيبا لسائل عن سؤاله (ان جبريل أتاني) لما صعدت المنبر وروى أنه أتاه قبله (فقال يا محمد) وروى انه قال يا نبيك وسعديك (من سميت) بالبناء للمجهول وتاء الخطاب المفتوحة نائب الفاعل أي ذكر اسمك (بين يديه) أي عنده وهو حاضر يسمع (فلم يصل عليك فمات) تاركا الصلاة عليك والتعقيب عرفي كتزوج فولد له (فدخل النار) تعقيبه له على تركه الصلاة وقد قدمنا انه يقتضي وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه (فأبعده الله) عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل (قل آمين) طلب منه التأمين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لانه نبي (فقلت آمين) امتثالا لامره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في الزواجر ولهذا الوعيد بتكرر الدعاء عليه بالبعد والسحق وعده أبخل الناس عدوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بناء على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا أمر مهم لم أر من نبه عليه انتهى (وقال فيمن أدرك رمضان) وصومه (فلم يقبل منه) مبني

(فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بمثله والاظهر فقدر أي فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا في حق من حقوق الله سبحانه (ومن أدرك) وفي نسخة وقال أي جبريل من أدرك (أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة أي لم يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفي نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه والبيهقي في شعب الايمان والنسائي من حديث ابنه الحسين عن أبيه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال البخيل) أي كل البخيل كما في رواية (الذي) أي هو الذي (ذكرت عنده فلم يصل علي) أي حيث بخل على بزيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر بن محمد) كما رواه البيهقي في شعب الايمان عنه (عن أبيه) أي مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وأبوه هو الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل ورواه الطبراني في الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي أخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الحنفي كونه مبنيا للفاعل أيضا وكأنه قصد به النسبة المجازية (وعن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) أي كامل البخل حيث بخل بما لم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله في حاله ومآله (من ذكرت عنده فلم يصل علي) وقد تقدم هذا الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكاتب والله أعلم بالصواب وفي الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن أبي هريرة) كما رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عنه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) أي مكان جلوس أو جلوسا وفي نسخة صحيحة مجلسهم (ثم تفرقوا) أي قاموا ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله

للمجهول أي لم يقبله الله منه بان أبطله وأحبط عمله (فمات مثل ذلك) أي فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين (ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما) أي لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضي يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جاء فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب التصريف (فمات مثله) بالنصب أي وذكر مثله أي فدخل النار فابعده الله الخ وعدم قبول رمضان اما لانه لم يأت به على وفق أمر الله به بان أخل به أو اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روي من طرق كثيرة باسانيد متعددة (وعن علي) ابن أبي طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي رحمهم الله (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) كل البخيل (الذي) اذا (ذكرت عنده فلم يصل علي) وتعريف الطرفين يدل على الحصر أي لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا أو مروءة والشرع يقتضي ذلك لانه أمر به وكذا المروءة لانها تقتضي الثناء على ما أنعم وأحسن وأي منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل أحد في جميع النعم التي وصل اليها والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والآخرة بخل لا يضاهيه بخل وفي الحديث روايات مختلفة فروي البخيل كل البخيل ومؤكدا كما يأتي وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق أو مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذي ينبغي انفاقه (وعن جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عن أبيه) محمد الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي جده رضي الله عنهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة) رضي الله عنهم اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء في أكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله وجوز بناؤه للفاعل أيضا أي دخل النار لانه أخطأ عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد أضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها خطئ (وعن علي بن أبي طالب قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي) وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كأنه جمع افراده كلها وتجب حينئذ اضافته لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقد يضاف لمماثله معنى فقط وهذا الحديث أخرج من طرق متعددة أخرجه النسائي والبيهقي والبخاري في تاريخه (وعن أبي هريرة) رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه (قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم) أي هذا للعموم وما مزيدة أي كل قوم (جلسوا مجلسا) أي في مجلس ما (ثم تفرقوا) أي قاموا من مجلسهم (قبل ان يذكروا الله) أي من غير ذكره تعالى في مجلسهم أو عند قيامهم

ويصلوا) أى وقبل ان يصلوا (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا كانت) أى وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة أى منقصة أو تبعة وهاء ترة عوض عن واوه لانه من وتره حقه نقصه ومنه قوله تعالى ولن يترككم أعمالكم وروى ترة بالمثلثة سبب أى كانت الجلسة أو التفرقة عليهم حسرة (ان شاء) أى الله (عذبهم) أى بتركهم كفارة المجالس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفر لهم) أى مع تقصيرهم ويكون وصلا (وعن أبى هريرة) على ما رواه البيهقى فى الشعب عنه مرفوعا (من نسى الصلاة على) أى تركها ترك المنسى (نسى طريق الجنة) أى تركها واخطأها وضبطه الدلجى بضم أوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكى (وعن قتادة) أى من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يراد به الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو وكالنكرة فى المعنى وان كان معرفة فى المبنى ونظيره قوله تعالى فأكله الذئب (فلا يصلى على) لغلظ طبعه وعدم مراعاة شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقى (عنه عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) أى منه (على غير صلاة)

قيامهم منه (و) قبل ان (يصلوا على كانت عليهم من الله ترة) وترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة وهاء تأنيث عوض من الفاء نحو عدة كعدة وزنة وهى مرفوعة اسم كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة هنا فسر بها لانه ورد كذلك فى رواية كما يأتى وقوله (ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم) يقتضى انه بمعنى الذنب والخطيئة نحو كالتفسير لما قبله والمعانى كلها متقاربة وقيل من انها بمعنى الحجة القائمة عليهم فهم فى مشيئة الله ان شاء عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شاء غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة هى فى الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم أعمالكم ومعناها هنا التبعة كما فى شرح السنة وفى غريب المصنف ان بعض الفقهاء حرفه وقرأه بالثاء المثلثة من الثأر بالهمزة أى طلب الدم من القاتل وانه هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فيسن لمن أراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله عليه وسلم على رسوله ليكون مكفرا لما فى ذلك المجلس (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى فى الشعب (من نسى الصلاة على نسى) بضم أوله وتشديد ثانيه مبنى للمجهول وفى نسخة نسى مخفف مبنى للفاعل (طريق الجنة) ففيه جعل الصلاة كأنها دليل يرشده لطريق الجنة او مذكر يذكره بها ففيه استعارة أو النسيان بمعنى الترك مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذا اليوم تنسى (وعن قتادة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به فى الفضائل دون الاحكام كما علم شامر (من الجفاء) الجفاء ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب أهل الجفاء والجفاء يمد ويقصر وهو ضد الصلة (ان أذكر عند الرجل) وفى نسخة رجل وفى أخرى أحد (فلا يصلى على) المراد بالرجل الجنس كاللئيم فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى (وعن جابر) رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا على) رائحة تفوح منهم (أنتن) افعل من النتن وهى الرائحة الخبيثة التى يكرهها كل طبع وتكون كاللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن قوطية فافعل من الثلاثى على القياس أو من أنتن على مذهب سيبويه فما قيل ان صوابه أشد نتنا الا وجه له مع انه يكفى لصحته وروده فى كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم (من ريح الجيفة) الريح اما على ظاهره أو بمعنى الرائحة والجيفة فى الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم أتوا بامر مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا من غير مكفر له وتقييده من غير دليل وقيل انه ريحهم فى الملأ الاعلى أو يوم القيامة يشمه أهل الموقف وهو بعيد لا يلائمه السياق فالظاهر انه على التشبيه أو المراد انه كذلك فى الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من أهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا الحديث رواه الطيالسى والبيهقى والنسائى والضياء فى المختارة بسند صحيح الا انه فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما مرده من افراد الجيفة أو شئ غيرها أشد نتنا منها (وعن أبى سعيد) الخدرى فى حديث رواه البيهقى وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق صحيحة (عن النبى صلى الله تعالى

حال وفى نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف أى تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) أى الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن وروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردىء الكلام ومذمومه فى مقام المرام (وعن أبى سعيد) كما رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور (عن النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم قال لايجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أولا يذكرون الله تعالى فيه كما في رواية (الا كان) أي ذلك المجلس (عليهم حسرة) أي يوم القيامة كما في رواية ولان الجنة لاحسرة فيها فلابد من هذا القيد ليستقيم (قوله وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقامهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجي بعد قوله وان دخلوا

عليه وسلم قال لايجلس قوم مجلسا) أي في مجلس يتحدثون فيه و (لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم) في اثنائه أو في آخره (الا كان) ذلك المجلس (حسرة عليهم) أي ندامة وتأسفا على مافاتهم فيه (وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال خاصة لقوله

* أقوم آل حصن أم نساء * ويطلق على مايشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى الحسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرة الناقة اذا انقطعت عن السير الكلال ويجوز في كان ان تكون ناقصة وتامة وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله تعالى وانه لحسرة على الكافرين أو اسناده مجازي (وحكى أبو عيسى الترمذي) امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته وشهرته تغني عن ذكره (عن بعض أهل العلم) انه (قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ) بالهمزة (عنه ما كان في ذلك المجلس) أي كفت المرة عن تكريرها بقدر ماذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية أو فرض كفاية بناء على الخلاف السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت آيات سجدة في مجلس فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس اللغو ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ماورد في الحديث من صلى على مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ماذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا ضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما وكفر عنه ماصدر منه ومن أهل مجلسه * واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله تعالى عليه وسلم لايجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لايجب عليه ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه في صلاته بطريق الاستحباب أو لم يكن يصلي على نفسه فيها قيل لم يصرح به أحد وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم شارك لامته في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على أنبيائهم فينبغي ان تعد من الخصائص واما غيره الانبياء فافل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى يقتضي خصوصية وما نقله الجرجاني من انها لاتجب على غيره استقلالا بالاجماع ان أريد في غير هذه الملة ان صح ثبتت الخصوصية وان أريد انه لايجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا ففيهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

* (فصل في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الانام) كسحاب مطلق أو كل ذي روح أو الجن أو الانس خاصة ويقال آنام بالمد كساباط وأنيم كاسير وبدأ بحديث رواه احمد وأبو داود والبيهقي باسناد حسن وهو قوله (حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي) قال (حدثنا الحسين بن محمد) أبو علي الغساني وقد تقدما قال (حدثنا أبو عمر الحافظ) هو ابن عبد البر كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا ابن داسة) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو داود) امام الحديث وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف) محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي سنن أبي داود عنه

الجنة فتزدادوا حسرة ليس في محله (لما يرون) أي فيها (من الثواب) أي الاجر العظيم بالصلاة على النبي الكريم (وحكى أبو عيسى الترمذي) أي صاحب السنن (عن بعض أهل العلم قال اذا صلى الرجل) أي الرجل بل أي شخص (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس) أي في مجلس (اجزأ) بالهمزة واجزى لغة فيه أي كفى (عنه ما كان في ذلك المجلس) أي مادام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوي من أصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله أعلم وعن صاحب المجتبى من أئمتنا يتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفي الجامع الصغير كرر آية السجدة في المجلس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا في الصلاة ولا تسن السجدة لكل مرة وفي الصلاة تسن لكل مرة

* (فصل) * في تخصيصه) أي تخصيص الله اياه (عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه) أو سلم عليه (من الانام) أي الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) أي حدثنا كما في نسخة (القاضي أبو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد) هو أبو علي الغساني (ثنا أبو عمر الحافظ) أي ابن عبد البر حافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا ابن عوف) أي الطائي الحافظ الحمصي شيخ أبي داود والنسائي وغيرهما توفي

توفى سنة اثنين وسبعين ومائتين قال (حدثنا المقرى) أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد القصير المقرى مولى عمر رضى الله تعالى عنه وهو ثقة وأخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث عشر ومائتين كما تقدم قال (حدثنا حيوة) بن شريح كما تقدم قريبا (عن أبى صخر حميد بن زياد) الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة فى الميزان (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بالتصغير الليثى التابعى الثقة توفى سنة اثنين وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته فى الميزان (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن أحد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه السلام) أى أجيبه وكلام المصنف فى تبليغ الصلاة له وهذا فى تبليغ السلام واذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه كما يأتى فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة أو فهم منه ان المراد بالسلام ما يعم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم حى حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم يسلم عليه فى كل لحظة وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لا يقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضى الموت وهو خلاف المقصود وقد أجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس فى كتاب الصلاة والبشر ان البيهقى قال معناه ان الله تعالى رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت فى جسده وقال عبد الكافى السبكى شيخه انه يحتمل انه رد معنوى بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه أقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوى فى كتابه القول البديع رد روحه الشريفة يلزمه تعدد حياته ووفاته فى اقل من ساعة اذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل قد يتعدد فى آن واحد كثيرا وأجاب الفاكهانى بعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال يرد الله على نطقى والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل أو بالقوة معبرا باحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك موكل بابلاغ السلام وفيه نظر انتهى وفى رواية كما قاله السبكى مامن احد يسلم على عند قبرى فان ثبتت فهو مخصوص ولا يرد بالرأى * أقول هذا جملة ما فى الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال اما أولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة غير معروفة فى كلام أولى وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية وسلم السكان ركيكا لان قوله حتى ارد عليه السلام يأباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر عادت له روحه واخذه راحت روحه ولولا خوف الاطالة أوردت له شواهد وهذا يكون جوابا سادسا وجواب البيهقى خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك تأباه الاضافة لضميره الان يقال انه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد فى بعض الاحاديث وقال أبو داود بلغنى ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتى الكلام عليه وقد ورد أيضا اطلاق الروح على الملك فى القرآن واذا خص هذا بالزوار هان أمره وجملة رد الله على روحى حالية ولا تلزمها قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره السهيلى وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال * اقول الذى

(ثنا المقرى) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب أصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن أبى حنيفة وغيره وعنه البخارى وأحمد وابن راهويه وابن المدينى أخرج له الائمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن أبى صخرة) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن أبى صالح السمان وأبى سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال أحمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث ثقة النسائى أخرج له الائمة الستة (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن احد يسلم على الارد الله على روحى حتى ارد عليه) أى على من سلم على (السلام) مفعول ارد والحديث رواه أبو داود وأحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف على استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاذن المعتقد المعتمد انه صلى الله تعالى عليه وسلم حى فى قبره كسائر الانبياء فى قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوى والسفلى كما كانوا فى الحال الدنيوى فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه أعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكى يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك أو عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي أبو بكر ممن قفز القنطرة وإليه المنتهى في الثقة (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عند قبري سمعته) أي من غير واسطة (ومن صلى علي نائيا) أي بعيدا عني (بلغته بصيغة المجهول مشددا)

يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف ان الانبياء والشهداء احياء وحياة الانبياء اقوى واذا لم يسلط عليهم الارض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال الله تعالى: التي لم تمت في منامها الآية فالمراد بالرد الارسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه انه اذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد لان روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها الان روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا اشكال أصلا الا لمن يتدبر وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود لعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده أيضا الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال أبو اليمن بن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد مسافة (وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة) هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الأئمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان (عن أبي هريرة رضي الله عنه) كما رواه البيهقي وأبو الشيخ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا) أي بعيدا عني والنأي بالهمز البعد (بلغته) بالبناء للمفعول أي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله (وعن أبي مسعود) عقبة بن عمرو الانصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط (ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام) وفي أخرى ان لله ملائكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى علي من أمتي وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لا سياحة في الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء اذا جرى على وجه الارض أما الملائكة اذا أمروا بذلك لهذه الخدمة فهو عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا ما يؤمرون وقوله يبلغوني الى آخره صفة الملائكة أو جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه أحمد والنسائي والبيهقي والدارمي وابن حبان وأبو نعيم والخلعي بسند صحيح (ونحوه عن أبي هريرة) أي بمعناه ما رواه في الترغيب عن أبي هريرة وفي الحلية لابي نعيم واللفظ الذي في الترغيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى عز وجل سيارة من الملائكة اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعائهم فاذا صلوا على صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه تبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم وآخرتهم (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما لم يخرجوا هذا الحديث (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة) المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد السلام وحده (فانه) أي السلام (يؤتى به منكم في كل جمعة) لانه يوم يعرض فيه الاعمال والصلاة فيه فضل على

أي بلغنيه الملائكة وفي رواية ابلغته والحديث أيضا رواه أبو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمني هو الصواب وقال الحلبي عن أبي مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصاري (أن) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) أي سيارين (في الارض يبلغوني) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل أو الافعال أي يوصلوني (عن أمتي السلام) أي على فارده عليهم رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب (ونحوه عن أبي هريرة وعن ابن عمر) أي موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) أي السلام (يؤتى به) أي يبلغه (منكم في كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد أكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فان صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن أبي امامة ورواه عن أنس بلفظ اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله

غيره وذكر في الدر المنثور ان في رواية ليس أحد يصلي على يوم الجمعة الا عرضت على صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو وثقه البخاري وضعفه غيره (وفي رواية) أخرى (فان أحدا لا يصلي على) في ذلك اليوم وليلته (الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها) قال السخاوي رحمه الله هذا الحديث لم أقف عليه وفي الدر المنثور وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها قال راويه أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أقربكم مني يوم القيامة أكثركم على صلاة في الدنيا ومن صلى على يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الاحاديث الحث عليه في يوم الجمعة فانه يوم مشهود والانبياء أحياء في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في أحاديث تأتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما مر وبأتي فما وجهه قلت وجهه يجوز أن يكون عرضها وتبليغها في كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من آخرين أو ذلك عرض لها فرادى وهذا جملة على وجه خاص أو لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات (وعن الحسن) بن علي بن أبي طالب في حديث رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو يعلى بسند صحيح (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغني) أي تبلغها الملائكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتأتي للزمان كما في قوله

حيثما تستقم يقدر لك الله * نجاحا في غابر الازمان

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم أو يصلي عليه الا بلغه) بضم الباء وكسر اللام المشددة مبني للمفعول أي بلغته الملائكة سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا أردفه بقوله (وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى) أو سلم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم صلاته وسلامه و(اسمه) واسم أبيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفة كما ورد في حديث مرفوع وقيل المراد به منهم النميري عن حماد ويأتي قريبا ما يؤيد صحة ما قاله (وعن الحسن بن علي اذا دخلت) بتاء الخطاب لغير معين (المسجد) تعريفه للجنس فان كل من دخل مسجدا أي مسجد كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذكر الخيضري في كتابه اللواء المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي حمله على هذا قوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا) فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته دفن ويأتي

(وفي رواية فان أحدا لا يصلي على الا عرضت صلاته على حين يفرغ منها) أي أول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الانام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها والمعنى ان جميع صلاته وان أطال في كلماته تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس وأبو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا أكثروا الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على (وعن الحسن) برواية الطبراني وأبي يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام حيث ما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغني) أي تصل الي بواسطة الملائكة وروى ابن مردويه عن أبي هريرة صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وأبي هريرة صلوا على صلى الله عليكم وروى أحمد والنسائي وجماعة صلوا على واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس أحد من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) أي من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) أي اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن أبي شيبة وعنه أبو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) أي أردت دخوله أو اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي) أي قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيدا ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور أنبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وابنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود

في رواية أخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليهما والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياؤه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وجمع على أعياد وقياسه الجمع على أعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من الفتنة بها حتى لا يتخذوثنا يعبد وقيل المراد لا يتخذوها كالعيد تزورونها في العام مرة بل اكثروا من زيارتها (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي لا تتركوا الصلاة والعبادة فيها فتكونوا فيها كأنكم أموات وكذا قيل

فيا نائم الليل هنيئته * فقبل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفن في بيته لانه اتبع فيه سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كما ورد ما قبض نبي الادفن حيث يقبض فهو مخصوص بهم (وصلوا على حيث كنتم) أي في أي مكان فلا يحتاج للاتيان لمسجده لا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد في أول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده الشريف أو عند قبره الشريف وليس تأكيد الما قبله لافادته تعميما آخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث أخرجه الطبراني وأبو يعلى (وفي حديث أوس) ابن أوس الصحابي الثقفي (أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة) خصها لما فيها من الفضل فهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه وللصلاة عليه فيه فضل على غيرها ولما فيه من الصلاة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث أفضل الايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه السلام وقبضت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد أقل الكثرة من الصلاة ثلثمائة وبضع عشرة كما في قوت القلوب وقال السخاوي لم أقف له على مستند فلعله تلقاه عن أحد من الصالحين عرفه بتجارب أو غيره أو رآه أقل ما تحصل به الكثرة (فان صلاتكم معروضة على) تقدم بيانه قريبا (وعن سليمان بن سحيم) بالتصغير وسين وحاء مهملتين وهو مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علماء الحجاز المشهورين وحيث أطلق في النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو الثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن أبي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام) ومن رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته (فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك) اذا زاروا مقامك بعد الانتقال (أتفقه سلامهم) أي أتسمعه وتفهمه (قال نعم وارد عليهم) وفقه يفقه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ويحتمل أن يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هي أفضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين أو في العمر كرتين بدليل أحاديث كثيرة وردت بالحث عليها او بوجوب الشفاعة لمن أتى اليها وقيل يحتمل أن يكون نهيه عليه الصلاة والسلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيد: قوله الآتي وصلوا على حيث كنتم أو الكراهة ان يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة غيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) أي كالقبور لا يصلى فيها والمعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لما روى أحمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا اصلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم أخو الموت والميت لا يصلي أو لا تجعلوها قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه الصلاة والسلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن أبي بكر (وصلوا على حيث كنتم) أي قريبا أو بعيدا (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وأبو يعلى بسند حسن (وفي حديث أوس) هو أوس بن أوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة وأربعون نفرا يسمون أوسا انه (اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على) أي من غير واسطة أو من غير انتظار رابطة رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم السين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة أخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) أي للزيارة (فيسلمون عليك أتفقه سلامهم) أي أتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم واردعليهم) أي سلامهم وأقضي مرامهم

انه سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف وعليك السلام ياولدى وفى مسند الدارمى ان الاذان والاقامة تركا أيام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما فى المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله وارد عطف على قول السائل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل فى شروح الكشاف فى قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون فى الجمل والمفردات كما تقدم ونحو وقع فى الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر * (تنبيه) * اذا رأى أحد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى منامه وأمره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه تفصيل فان وافق الشرع لزمه العمل به ولا يلزمه أمر غيره به وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرؤيا لا ينضبطها النائم ويحتمل التأويل وهذا هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله (وعن ابن شهاب) هو الزهرى كما تقدم وهذا رواه عنه النميرى (بلغنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال) وفى نسخة بلغنا ان رسول الله قال (أكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الازهر) يعنى ليلة الجمعة ويومها ويعنى بالازهر الابيض المنير ولذا كان الازهر لا يطلق فى وضع اللغة على اللون الابيض وأشاع بعد ذلك مطلقه ونورهما البركة مما فى ذلك اليوم من العبادة التى خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر فى فضائله وهو عيد المؤمنين وتنزل فيه الملائكة كثيرا (فانهما) أى يوم الجمعة وليلتها (يؤديان عنكم) بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة أى يوصلان صلاتكم على ويبلغانها لى والاسناد الى الزمان اسناد مجازى أى يؤدى الملائكة فيهما ذلك وكونهما يخلق لهما نطق بذلك الاداء خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يأباه وبما تقرر فى هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سواء ليلة الجمعة وغيرها وأفتى النووى فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك فى ذلك والورع ان يلتزم الحنث (وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء) لانهم عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم لا تبلى أجسادهم وهذا جواب عن سؤال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات وأكلته الارض كما ورد مصرحا به فى حديث آخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية أو بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الى آخره وقيل انه بيان لخاصية أخرى والاول أولى ولا ينافى ما تقرر من حياتهم ما فى صحيح ابن حبان فى قصة عجوز بنى اسرائيل انها دلت موسى عليه السلام على الصندوق الذى فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها أرادت بالعظام كل البدن أو لان الجسد السالم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظام الذى من شأنه عدم البلى أو ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبياء كابدان غيرهم فى البلى (ومامن مسلم) من مزيدة للتعميم أى كل مسلم (يصلى على) وهو بعيد (الاحملها) أى صلاته وسلامه (ملك حتى يؤديها) أى يوصلها (الى ويسميه حتى انه) بكسر الهمزة (ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا) فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم أبيه ومكانه وشهرته وأخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ملكا أعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبرى اذا مت فليس أحد يصلى على صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلى الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفى رواية فهو قائم على قبرى حتى تقوم الساعة ليس أحد من أمتى يصلى على صلاته الا قال يا أحمد فلان ابن فلان باسمه واسم أبيه يصلى عليك كذا وكذا وضمن لى الرب ان من صلى على صلاة صلى الله عليه وسلم عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف أيضا ان يرسلوا السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم مع الزوار أيضا كل عام كما قيل

رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى حياة الانبياء وفى شعب الايمان (وعن ابن شهاب) أى الزهرى كما رواه النميرى مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على فى الليلة الزهراء) أى البيضاء النوراء (واليوم الازهر) أى الانور وروى فى الليلة الغراء واليوم الاغر يعنى ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) أى اليوم والليلة (يؤديان) أى ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء ومامن مسلم يصلى على) أى صلاة (الاحملها ملك) أى تحملها عنه (حتى يؤديها) أى يوصلها (الى ويسميه) أى لدى (حتى انه) أى الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن الفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل) (فى الاختلاف فى الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضى) و زيد فى نسخة أبو الفضل يعنى المصنف (وفقه الله) وفى نسخة رحمة الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من سائر الانبياء وأقول بل هى مستحبة لما روى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والخطيب عن أنس مرفوعا صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى فيستحقون الصلاة كما أستحقها الان المراد بها تعظيم من يصلى عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو فى المدعى كالصريح (و روى عن ابن عباس)

ألا أيها الغادى الى يثرب مهلا * لتحمل شوقا ما أطيق له حملا

تحمل رعاك الله منى تحية * وبلغ سلامى روح من طيبة حلا

(فصل فى الاختلاف) الواقع بين العلماء (فى الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى جواز الصلاة على غيره من المؤمنين غير الانبياء كالصحابة ونحوهم (وسائر الانبياء) أى بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما وسائر بمعنى باقى كما تقدم والخلاف فى جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وأزواجه (قال القاضى) عياض المؤلف وفقه الله (عامة أهل العلم) أى جميعهم (متفقون على جواز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من الانبياء والملائكة والمؤمنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال النووى فى الاذكار أجمعوا على طلب الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك أجمع من يعتد به على استحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتداء فالجمهور على انه لا يصلى عليهم واختلف فى هذا المنع فقال بعض أصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذى عليه الاكثر كراهة تنزيها لانه شعار أهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجوينى ان السلام مثل الصلاة فلا يقال على عليه السلام اللهم الا ان يقال مراده بغير النبى بقية الانبياء الا انه تخصيص من غير دليل (وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور فى سننه والطبرانى وابن أبى شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية أمته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله (وروى عنه) أى عن ابن عباس رواه القاضى اسمعيل فى أحكام القرآن (لا تنبغى الصلاة) من أحد (على أحد الا النبيين) وهذا مفسر لما قبله (وقال سفيان) الثورى (يكره ان يصلى الا على نبى) وهو موافق لكلام ابن عباس ولما فى الكراهة من معنى النفى عم وصح وقوع الاستثناء المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقى والاخرى تفرد بها البيهقى يكره ان يصلى على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ووجدت بخط بعض شيوخى مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبياء استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثورى كما تقدم (وهذا غير معروف من مذهبه) أى مذهب الامام مالك وأيد كونه غير معروف من مذهبه بقوله (وقد قال) الامام (مالك فى المبسوط) اسم كتاب كالمدونة (ليحيى بن اسحق) الذى روى المبسوط عن مالك وهو يحيى بن اسحق بن عبد الله بن اسحق بن المهلب ابن جعفر ويكنى أبا بكر وله بيت شريف بقرطبة (أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى

كما فى شعب الايمان للبيهقى وسنن سعيد بن أبى منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضى الله تعالى عنه أخذ من قوله تعالى فى حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا أيها الذى آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروى عنه) أى عن ابن عباس كما فى فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسمعيل القاضى (لا تنبغى الصلاة على أحد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول أو مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة (يكره ان يصلى) أى على أحد اصالة (الا على نبى ووجدت بخط بعض شيوخى) وفى حاشية الحلبى قوله وقد وجدت معلقا عن أبى عمران الفاسى بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا أبو عمران الفاسى فقيه أهل القيروان فى وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) أى لا ينبغى (ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد وهذا) أى النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) أى الامام (فى المبسوطة) وفى نسخة صحيحة فى المبسوط (ليحيى بن اسحق أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغى لنا ان نتعدى) أى بالجمع بين الصلاة والسلام

ما

(ماأمرنابه) أى من الجمع بين الصلاة والسلام مختصابه فى قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) أى الليثى عالم الاندلس راوى (الموطأ لست آخذ بقوله) اى بقول مالك انه لايجوز ان يصلى على أحد من الانبياء سوى محمد (ولا باس الصلاة على الانبياء كلهم) أى بالاصالة (وعلى غيرهم) أى تبعا ويحتمل انه أراد به استقلالا لانا ننزهه عن مخالفة العلماء اجلالا (واحتج) أى يحيى لماقاله وفى نسخة صحيحة واحتجوا أى هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) أى الآتى انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر (وبما جاء فى حديث تعليم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اصحابه فيمامر (الصلاة عليه وفيه) أى وفى حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وأزواجه) وفيه انه لاخلاف فى جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا وزيد فى بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن أبى عمران الفاسى) بالفاء والسين وفى نسخة القاسى بالقاف وبموحدة بعد الالف فسين مهملة (روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه أقول) وفى نسخة وبه نقول (ولم يكن يستعمل فيمامضى وقد روى عبد الرزاق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فالله) وفى نسخة فان الله (بعثهم كما بعثنى قالوا) أى يحيى واتباعه أو جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) أى الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لاتجوز الصلاة على غير النبى عليه السلام (لينة) أى ضعيفة لايصلح شئ منها للاحتجاج به على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (والصلاة فى لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) أى ونحوهما من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) أى جوازه (على الاطلاق) أى بالاتفاق

ماأمرنابه) فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدى لايعقل معناه بالرأى ويقتصر فيه على ماروى عنهم (وقال يحيى ابن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ عن مالك رحمه الله تعالى (لست آخذ بقوله) أى لاأتمسك بقول مالك ماينبغى لنا ان نتعدى ماأمرنابه من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قط يعنى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل قوله ماينبغى على عدم الجواز ومزاله وهى تستعمل لهذا المعنى وورد لغيره أيضا (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم) من الملائكة والمؤمنين (واحتج) يحيى بن يحيى لماقاله (بحديث بن عمر) الآتى انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر تبعا (وبما جاء فى حديث تعليم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة الصلاة عليه) كمامر (وفيه) أى فى حديث تعليمه أيضا (وعلى ازواجه وعلى آله) فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبياء جائزة الاان هذا بطريق التبعية والخلاف فى الصلاة على غيرهم استقلالا كمامر وحينئذ فماذكر لاينافى ماقاله مالك ولايتجه ماقاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفى بعض النسخ زيادة وهى (وقد وجدت معلقا) أى مكتوبا فى بعض الكتب وقيل التعليق هنا مااصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث طوى سنده أو بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهى فى اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره أم لافيرويه عن أبى عمران الفاسى هو موسى ابن عيسى الغفجومى بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسى نسبة لفاس بلدة بالمغرب وقوله فى القاموس انه بهمزة لااصل له وأبو عمران فقيه المغرب توفى سنة ثلاثين وأربعمائة فى ثالث شهر رمضان (روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) نبيا أوغيره (قال) أبو عمران (وبه نقول) أى نعتقده ونعمل به (ولم تكن) الصلاة على غير نبينا استقلالا (تستعمل فيمامضى) من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كماتقدم (وقد روى عبد الرزاق) وهو امام الحديث أبو بكر بن همام بن نافع الحميرى وله تصانيف جليلة وروى عنه أحمد وغيره وتوفى سنة احدى عشر ومائتين (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثنى) تعليل للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم فى أصل البعثة وينبغى ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبرانى والقاضى اسمعيل والتميمى فى الترغيب وغيرهم بسند صحيح (قالوا والاسانيد عن ابن عباس) الواردة فى منع الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (لينة) أى ليست بقوية فلا تعارض ماروى عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لايصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فتأمله ثم رده بوجه آخر مقبول فقال (والصلاة) معناها التى وضعت له (فى لسان العرب) اى فى لغتهم واللسان اسم للجارحة التى هى آلة النطق تجوز بها عماذكر كماقال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الابلسان قومه (بمعنى الترحم والدعاء) بالرحمة (وذلك) أى الدعاء بالرحمة (على الاطلاق) أى يجوز مطلقا

(حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) أى صريح وقد قال الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته الآية) تمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفى المعالم للبغوى فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين وقال أنس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال) أى الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) أى من رذيلة البخل (وتزكيهم) أى وتنمى مالهم (بها) أى بسببها (وصل عليهم) أى التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذرما لديهم (الآية) وهى ان صلاتك سكن لهم أى تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) أى الله سبحانه (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أى تحيات ومدحات (ورحمة) أى أنواع رحمات وظاهره ان الصلاة عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى (اللهم صل على آل أبى أوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه أبو داود والنسائى عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة ومراده مع ما كابى أوفى (وفى حديث الصلاة) أى فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه) وفى نسخة وعلى أزواجه (وذريته وفى آخر) أى حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) أى المراد بهم (اتباعه) أى الى يوم القيامة (وقيل أمته) أى أمة الاجابة وهو قريب مما قبله وربما يقال هو أعم والاول أخص (وقيل آل بيته) أى أقاربه وأزواجه وذريته (قيل الاتباع والرهط والعشيرة) أى جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه

على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا بأس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل (حتى يمنع منه حديث صحيح أو اجماع) لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه دلالة المعنى الا ان هذا غير مسلم لانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه أورد دليلا أقوى من هذا فقال (وقد قال الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ففى هذه الآية دليل على انه تجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته يصلون على النبى قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شىء فنزل الله هذه الآية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار لسائر المؤمنين (وقال الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) الآية وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم فأمره بالدعاء لهم بلفظ الصلاة لمن أدى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على آل أبى أوفى كما يأتى وفى دعائه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمئنان قلوبهم (وقال الله تعالى أولئك) الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المؤمنين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود فلا يرد عليه ان العطف يقتضى المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الشيخان (اللهم صل على آل أبى أوفى) وهذا الحديث روى عن عبد الله بن أبى أوفى وتتمته (وكان اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) فأتاه بصدقته فقال اللهم صل على آل أبى أوفى والصدقة المراد بها هنا الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك أموالهم التى بذلوا زكاتها وآله أهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما فى قوله لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود أى من مزامير داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المصنف فى تفسير آله صلى الله عليه وسلم كما يأتى وأبو أوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمى الصحابى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابى أيضا شهد مع أبيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من أقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا (وفى حديث الصلاة) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده وطرقه مفصلا (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته) وهم نسله وأولاده كما تقدم (وفى حديث آخر) روى فى صلاة التشهد (وعلى آل محمد) وفسر الاول بقوله (قيل) آله (اتباعه) جمع تابع أو تبيع وهو من يقفو أثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخصه من الاهل والخدم (وقيل) آله (أمته) والمراد أمة الاجابة وهم كل من آمن به وأمة الدعوة أعم منهم (وقيل) هم (الاتباع والرهط والعشيرة) والرهط القبيلة مطلقا وهو فى الاصل

مادون العشيرة ثم عم والعشيرة بنو أبيه الادنون وقبيلته (وقيل آل الرجل ولده) أى نسله مطلقا (وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) لانها أوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله تعالى وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس بكتابهم (وفى رواية أنس سئل النبى صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) وهذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وشيبان وغيرهم وهذا معنى مجازى كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا آل البيت لان الله طهر أهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلاقه على كل تقى أكرمه الله تعالى بمغفرة سيئاته وهذا معروف فى لسانهم كما قيل رب أخ لك لم تلده أمك * (ويجىء على مذهب الحسن) البصرى رضى الله عنه والضمير المستتر فى يجىء للآل (ان المراد بآل محمد) الوارد فى الصلاة عليه (محمد نفسه) أى فعنده ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله فى مثله زائدا مقحما والزيادة فى الاسماء خلاف ما عهد من كلامهم وان أمكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك * (فائدة) * روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال تكون أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أعظم الناس صدقة وتجارها أعظم الناس تجارة ثم قرية يقال لها الابلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها تسعون ألف شهيد من أفضل الشهداء قلت وعلماؤها أقوالهم فى العربية مقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم لها (فانه كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى التشهد (اللهم اجعل صلاتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل) بضم الياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام أى لا يترك والخلل ياتى بمعنى الترك والنقص (بالفرض) يعنى به الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويأتى بالنفل) يعنى به الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من ان الصلاة عليه فى التشهد ليست بفرض الا عند الشافعى وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر (لان الفرض الذى أمر الله به) فى آية صلوا عليه وسلموا تسليما (هو الصلاة على محمد نفسه) لا على آله كما ذهب اليه الشافعى فموافقة الحسن له تنافى الشذوذ الذى ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن أراد الصلاة فانه يلزمه أن يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره أو نقول انه مذهب الحسن وموافقة واحد لا تنافى الشذوذ عنده (وهذا) أى ذكر الآل وارادة الذات منه (مثل قوله صلى الله عليه وسلم) فى حق أبى موسى الاشعرى لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه (لقد أوتى) أى والله لقد آتى الله أبا موسى (مزمارا من مزامير آل داود يريد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مزامير داود) نبى الله صلى الله عليه وسلم فالآل بمعنى نفسه كما فى صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور أيضا والزمر النفخ فى المزمار والصوت الحسن نفير آلة لان أصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

رنان حنان بينهما * رجل أحسن غناؤه زمر

أى حسن كما قاله ابن الانبارى فزاميره بمعنى ترنماته لانه كان له الآلة المعروفة والمنقول انها له نفسه لا لآلة وكان لحسن صوته اذا قرأ يتلاحن بالزبور وأدعية تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء

(وقيل آل الرجل ولده) أى أولاده وأحفاده (وقيل قومه) أى المؤمنون من قريش أو بنى هاشم (وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة) عن زيد بن أرقم آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حرم الصدقة عليه وهم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (وفى رواية أنس) كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه (سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى) الظاهر ان كل تقى منهم والمعنى من ليس بتقى ليس بآلى ولا يبعد أن يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقديرين يؤيده قوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون (ويجىء على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصرى (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) أى فى بعض التراكيب (فانه) أى النبى عليه السلام أو الحسن (كان يقول فى صلاته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على ما رواه النميرى (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد فى نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) أى قائله (كان لا يخل بالفرض) أى فى الجملة وهو الصلاة على محمد (ويأتى بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذى أمره الله به) أى فى قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلاة على محمد نفسه) أى ذاته دون غيره بشهادة رواية الاخرى من طرق متعددة على محمد دون آله (وهذا) أى كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد أوتى) أى أبو موسى الاشعرى (مزمارا) أى صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) أى النبى عليه الصلاة والسلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف أحد من آله انه كان له مزمار نظير هذا ابن التنزيل قوله تعالى بقية مما ترك آل موسى وآل هرون

(وفى حديث أبى حميد الساعدى فى الصلاة) أى فى ألفاظها (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفى حديث ابن عمر انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى عند قبره (وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) بفتح همز ودال بضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيد

به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابورى وزيد فى نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصرى العلم (عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) أى للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضى) يعنى المصنف وفى نسخة قال الفقيه القاضى (والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه ما قاله مالك) أى امام المذهب (وسفيان) أى الثورى أو ابن عيينة رحمهما الله وروى أى وما روى (عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثيرون (من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء) وهم أعم من الرسل (عند ذكرهم) أى انفرادا وانما تجوز اتباعا (بل هو) أى الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شئ يختص) بروى يخص (به الانبياء) أى عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه)

الجارى يقف له وهو مبالغة فى نهاية حسنه وأول هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم مر هو وعائشة رضى الله تعالى عنها على بيت أبى موسى وهو يقرأ القرآن ليلة فوقفا استمعا له وكان من أحسن الناس صوتا فلما أصبح أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بانصاته له وقال له لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك لحبرته تحبيرا أى لزدت فى تحسين صوتى لاستماعك لى (وفى حديث أبى حميد) بالتصغير (الساعدى) وهو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجى كما تقدم الذى رواه (فى الصلاة) عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبياء لكن تبعا لهم (وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه) أى ابن عمر (كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر ذكره مالك فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسى) عن مالك وانما قيده بالاندلسى لان الموطأ رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى أحدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى الليثى مات سنة أربع وثلاثين ومائتين والآخر أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمى النيسابورى توفى سنة ست وعشرين ومائتين وله رواية فى الصحيحين كما قاله السيوطى فى مناقب مالك وتقدم ضبط الاندلسى بفتح الهمزة والدال وضمهما (والصحيح من رواية غيره ويدعو لابى بكر وعمر) رضى الله عنهما (وروى ابن وهب عن أنس ابن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب) حال أى فى حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا (فنقول) فى دعائنا لهم (اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) للتهجد والعبادة (ويصومون بالنهار) ففى هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبياء استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى والذى ذهب اليه المحققون وأميل اليه) أى أرجحه واعتقد صحته والميل فى الاجسام معروف وشاع فى المحبة والمصنف رحمه الله تعالى تجوز به عما قلناه (ما قاله مالك) بن أنس امام أهل الحديث (وسفيان) الثورى رحمهما الله تعالى (وروى عن ابن عباس واختاره غير واحد) أى كثير (من الفقهاء والمتكلمين) أى أهل علم الكلام لان منهم من ذكرها فى السمعيات كمسائل الامامة (أنه) بفتح الهمزة بدل من ما (لا يصلى على غير الانبياء) بانفراده ولا (عند ذكرهم) أى ذكر الانبياء والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واحد يأباه قوله (بل هو) أى المذكور وهو الصلاة أو ذكر رعاية للخبر (شئ يختص به الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم فى الانفراد به وفيه نظر (توقيرا لهم وتعزيزا) أى تعظيما وتبجيلا يجعله شعارا لهم (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه) أراد به قوله سبحانه وتعالى فان معناه أنزهه والانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص ولكن لا يجوز ان يقال فى حقهم ذلك (والتقديس) باطلاق قدس وقدوس ونحوه وهو بمعنى التطهير (والتعظيم المخصوص به نحو جل جلاله وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته (ولا يشاركه) أى لا يشارك الله (فيه) أى فيما ذكر التنزيه وما بعده (غيره) من نبى وغيره (كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم) أى بهما معا (ولا يشارك) مبنى للفاعل أو المفعول هنا (فيه) أى فى ذكر الصلاة والتسليم (سواهم) من غير الانبياء وفى نسخة ولا يشاركهم (كما أمر الله بقوله

صلوا

أى فيما ذكر (غيره) فقال قال تعالى عزوجل وان كان الانبياء أعزوا جلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول أو الفاعل وفى نسخة ولا يشاركهم (فيه) أى فى كل واحد منهما (سواهم كما أمر الله) أى المؤمنين (بقوله

صلوا عليه وسلموا تسليما) ويذكر من سواهم من الائمة المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون فى المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال الله تعالى يقولون) أى الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) أى ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفى نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) أى بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو) أى ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا أمر (لم يكن معروفا فى الصدر الاول) أى من السلف والخلف (كما قال أبو عمران) أى الفاسى (وانما احدثته الرافضة) أى التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) أى المظهرة انهم السابقون والمتابعون (فى بعض الائمة) أى من أهل بيت النبوة (فشاركوهم) أى أئمتهم كعلى والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا على عليه الصلاة والسلام (وساووهم) أى أئمتهم (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك) أى مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكى ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره فى أبى بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتمونى فى أى تركتمونى فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا فى مذهبه واستجاز الطعن فى الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته أى اتباعه

صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عن عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعاء لغيرهم فقال (ويذكر من سواهم) أى من سوى الانبياء والرسل فى الدعاء لهم (من الائمة) أى أئمة الدين أو الخلفاء (وغيرهم) من سائر العلماء والمؤمنين (بالغفران والرضى) فيقال غفر الله تعالى لهم ورضى عنهم (كما قال الله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال الله تعالى) والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم) فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة والترضى لسائر المؤمنين والصحابة وقيل فى الاستدلال بما ذكر نظر فان قوله رضى الله عنهم ليس دعاء لهم بل اخبار بان الله رضى عنهم وأعد لهم جنات النعيم ولا يلزمه جواز الدعاء به كما ان اخبار الله بالصلاة على المؤمنين بمعنى رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضى الله عنه يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق وأما ما قيل من انه لا يدعى لاصحابة الا برضى الله تعالى عنهم فهو أمر حسن للادب وليس بلازم فلو قال للصحابى رحمه الله تعالى أو غفر له كان حسنا الا اذا أوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووى لا بأس به والارجح ان يقال رضى الله تعالى عنهم وقول امام الحرمين فى الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم انبوتها ورجحه ابن السيد (وأيضا فهو) أى الصلاة عليهم (أمر لم يكن معروفا فى الصدر الاول) أى عصر الصحابة ومن قرب منهم والفاء فى فهو جواب شرط مقدر أى فان اردت دليلا اوضح مما ذكرفهو الى آخره وفيه بحث يأتى فى آخر هذا الفصل (كما قال أبو عمران) موسى ابن عيسى الفاسى فقيه القير وان كما تقدم قريبا (وانما أحدثته الرافضة والمتشيعة) هما طائفتان من أهل البدع والاهواء المخالفين لاهل السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل على كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن على بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرأ من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت لابى بكر لمصلحة رأوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما ظهروا وابغضوا على كما توهم واصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهؤلاء والذى احدثه هؤلاء انما هو الصلاة على على وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه فى سائر الصحابة حسما لمادة المخالفة فقط ما قيل ان الكلام فى الصلاة على غير الانبياء مطلقا والشيعة انما يصلون على على فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضى والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفى نسخة الشيعة بدل المتشيعة (فى بعض الائمة) المراد على وأولاده وفى نسخة فى بعض أئمتهم (فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم) بانفرادهم وان لم يكونوا اتبعا له صلى الله عليه وسلم (وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك) أى فى قولهم فى الدعاء لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى لهم كالنبى صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم

استقلالا كما صلوا عليه (وأيضا) مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبياء (فان التشبه باهل البدع) المراد بهم أصحاب المذاهب الباطلة (منهى عنه) شرعا (فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أى الصلاة على غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتأمله ثم أجاب عما ورد عليه بقوله (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) والكلام فى ذكر الصلاة فلا يرد هذا نقضا عليه (والاضافة اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له فى الحقيقة (لا على التخصيص) لهم بذلك (قالوا) أى جمهور العلماء الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده مجيبين عما استدل به من خالفهم (وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه) بانفراده كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى كما تقدم (مجراها مجرى الدعاء) بضم الميم وفتحها فيهما والجرى المشى السريع والمجرى محل الجرى أو الاجراء وجريه فى مجراه جعله مثله ومن نوعه أى المقصود بها الدعاء بالرحمة لهم (والمواجهة) لهم بالدعاء لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهى كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه فى المواجهة يقصد به مجرد معناه الحقيقى وفى ذكره فى الغيبة زيادة توقير لا يليق لكل احد كما قال (وليس فيها) أى فى المواجهة (معنى التعظيم والتوقير) الذى فى الغيبة فانه من خصائص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف (وقالوا) تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسك بقوله (وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) بالدعاء وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادوه باسمه كما ينادى بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم شأن يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعاء له بغير مواجهة ينبغى ان يكون بغاية التعظيم والتوقير اللائق به دون غيره فسقط ماقيل من انه ليس فى هذه الآية مناسبة لمقصوده وماهو بصدده (فكذلك) أى مثل ما يجب له فى الدعاء مواجهة (يجب ان يكون الدعاء له) فى غير حال المواجهة (مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) فلذا خص بالصلاة عليه التى قصد بها التوقير وغاية التعظيم (وهذا) أى اختصاصه بالصلاة استقلالا وفى نسخة هو (اختيار الامام أبى المظفر الاسفرائنى من شيوخنا) أى من كبار علماء أهل السنة بقرينة مقابلة الرافضة واسفرائن بلدة بخراسان معروفة وأبو المظفر كنية طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم (وبه قال) الامام (أبو عمر بن عبد البر) رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان التصلية والتسليم على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة أمرنا بالتعبد بها فهى واجبة له على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أيضا استقلالا مستحبة وما نقل عن مالك انها منهى عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبى انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبياء تبعا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مستحبة أيضا كما فى التشهد فلا عبرة بمن خالف فيه أيضا فلم يبق محل الخلاف غير الصلاة على غير الانبياء بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبياء أيضا فلا يقال فى غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقهاء فهو مكروه تنزيها

* (فصل فى حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم) * أى ذكر ما يتعلق به من سننه وآدابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان أيضا والزيارة تختص بمجى بعض الاحياء لبعض مودة ومحبة هذا أصل معناها لغة واستعمالها فى القبور للاموات لاعطائهم حكم الاحياء

(وأيضا فان التشبه باهل البدع منهى عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) أى وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) أى له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) أى فهو جائز (لا على التخصيص) أى بحكم الاستقلال (قالوا) أى العلماء المحققون (وصلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) أى من آل أبى أوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) أى مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) أى بحسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) أى الذى اختص بارباب الكمال (قالوا) أى العلماء وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى فى المناداة باسمه وفى رفع الصوت عنده (فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) أى ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام أبى المظفر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) أى الفقهاء المالكية (وبه قال أبو عمر بن عبد البر) به وحافظ المغرب فى البحر والبر

(فصل) فى حكم زيارة قبره عليه السلام

وصار

وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها (وفضيلة من زاره) بالجر عطفا على الحكم أو على ما أضيف اليه والضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم أولقبره وفضيلته ما يستحقه من الثناء والثواب (وسلم عليه وكيف يسلم) من زاره صلى الله تعالى عليه وسلم أى ما يقوله ويفعله عند الزيارة (ويدعو له) أى وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه (وزيارة قبره سنة) مأثورة مستحبة (مجمع عليها) أى على كونها سنة ولا عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتى بيانه (وفضيلة مرغب فيها) بصيغة المفعول مشددة الغين المعجمة أى رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما التذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجرى فى جميعها أولدعاء لاهلها المسلمين كما زار صلى الله تعالى عليه وسلم البقيع وهذا مستحب أو للتبرك بمن فيها من الانبياء والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبياء وانه فى غيرهم بدعة واما فى الانبياء فهى مشروعة وتوقف فيه السبكى وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحى وقد يقصد بالزيارة تأنيس الميت ورحمته وهو مستحب أيضا لما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعانى كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعاء وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام (روى عن ابن عمر) رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى والذهبى وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن فى رواته مردود كما بينه السبكى واطال فيه وقول البيهقى انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله أحمد فى حديث دعاء الاستخارة مع انه فى الصحيحين وقول الذهبى طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته انه بتسليم ذلك حسن أو هو يطلق عليه الصحة كما بين فى محله وفى نسخة هنا (حدثنا القاضى أبو على) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم أيضا قال (حدثنا الحسن) بن جعفر قال (حدثنا أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى) المشهور كنار على علم قال (حدثنا القاضى المحاملى) قال (حدثنا محمد بن عبد الرزاق) قال (حدثنا موسى بن هلال عن عبد الله) بن عمر عن نافع (عن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فذكره (انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى سؤالى الله له ان يتجاوز عنه بكاوها ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهى ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها وليس المراد به الوجوب الشرعى وروى حلت له شفاعتى والمراد انه يخصه بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدى الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى وافاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه فى ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات فى الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما غير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان أريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما يحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجرى على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيادة معنى لان الاسلام وحده كاف فى نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هى تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعظم من شفاعته ثم اشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تحصل الا لمن أخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها أو معها أمرا آخر ينافيها بقوله (وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى فى المدينة محتسبا) اى ناويا بزيارته وجه الله تعالى من غير غرض مخلصا فى نيته وقصده اكرامه

وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) أى مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووى وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبرانى وله طرق وشواهد حسنه الذهبى لاجلها (قال قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من زار قبرى وجبت له شفاعتى) أى حقت وثبتت وفى رواية حلت رواه الدارقطنى وغيره وصححه جماعة من ائمة الحديث (وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارنى فى المدينة محتسبا) أى ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر فى هذا الباب فعن عمر رضى الله تعالى عنه أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته

(كان في جواري) بكسر الجيم أي مجاورتي وفي نسخة بضم الجيم أي في ذمتي وعهدي وجيرتي (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال
الدلجي لا أعرف من رواه قلت قد رواه العقيلي وغيره بلفظ من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ورواه البيهقي ولفظه من
زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة وروى أبو عوانة من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة
(وفي حديث آخر) أي مما رواه البيهقي وسعيد بن منصور في سننهما والدارقطني والطبراني وأبو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضي
الله عنهما (من زارني بعد موتي) وفي رواية بعد وفاتي (فكأنما زارني في حياتي) والاحاديث في هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة
منها ما رواه علي مرفوعا من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني وقد استدل به على وجوب الزيارة
بعد الاستطاعة وعن أنس بسند ضعيف بلفظ ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر وعن ابن عدي بسند يحتج به من
حج البيت ولم يزرني فقد جفاني (وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة في ذلك (ان يقال زرنا قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك) أي الداعي كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفي نسخة كراهية للاسم وفي أخرى كراهة الاسم أي اسم الزيارة (لما ورد) أي في رواية أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه (من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور) بفتح الزاي وتشديد الواو أي المبالغات في زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن مأمورات بالقرار في بيوتهن فلا يصلح زيارتهن الا من نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن في
حقهن زيارته عليه السلام كما قال به بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا أمن شرائطها فيما هنالك (وهذا) أي الاستدلال
(يرده قوله) أي فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفي نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفي نسخة بزيادة ولا
تقولوا هجرا بضم الهاء وسكون الجيم أي كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب النساء فيكون
الحكم الثاني في حقهم ناسخا لا في حقهن ويؤيده التعليل في حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات الجزع والفزع لا سيما لكن أنفسهن
من الصياح والنياح واما التعليل في حقهم فلان أمواتهم في صدر الاسلام كانوا كفرة فنهوا عن زيارة قبورهم فلما كثر أموات
المسلمين أجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله)
أي ويرده أيضا قوله فيما مر عن ابن عمر وغيره مرفوعا

لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه
أيها الناس احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته فالمراد ان يقصد
بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض أجره فيه الى الله تعالى (كان في جواري) أي له منزلة
رفيعة في الآخرة أو المراد انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه أصلا والجوار مصدر بكسر الجيم
وضمها والكسر أفصح (وكنت له شفيعا يوم القيامة) المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة
فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن بها فهو من
اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان كان لا تدري نفس باي أرض تموت (وفي حديث آخر) رواه
البيهقي والدارقطني والطبراني وسعيد بن منصور عن ابن عمر (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في
حياتي) لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم وروى هذا بلفظه من
طرق كثيرة (وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هكذا روى عنه (وقد اختلف في
معنى ذلك) وما أراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس (فقيل كراهة الاسم) أي اسم
الزيارة واطلاقها (لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات القبور) فلعنهن من حيث
انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة (وهذا يرده قوله)
صلى الله تعالى عليه وسلم (نهيتم) بالبناء للمجهول والرواية كنت نهيتكم (عن زيارة القبور فزوروها ولا
تقولوا هجرا) فهذا ناسخ له لانه أمر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه أوهن من بيت العنكبوت لان الاول
في حق النساء المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يسلمه المعترض
ولكن عهدته على قائله لا على المصنف رحمه الله فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول
خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه أبو داود
والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما
نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم أورد ما يدل عليه أيضا فقال (وقوله) صلى الله عليه
وسلم

(من زار قبرى) أى وجبت له شفاعتى أو حلت له شفاعتى (فقد أطلق اسم الزيارة) أى فلم تكن الكراهة لاسم الزيارة (وقيل) أى فى توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) أى لقول بعضهم (ان الزائر افضل من المزور وهذا) أى الاستدلال (ايضا ليس بشئ) أى معتد به وفى نسخة ليس بين أى بظاهر لم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) بل الغالب عكسه فى العرف والعادة (وليس هذا) أى هذا القول (عموما) أى عاما فى كل زائر (وقد ورد فى حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) أى اطلاق لفظ الزيارة (فى حقه تعالى) فى حق نبيه عليه السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بها المبنى على هذا المعنى وزيد فى بعض النسخ هنا (وقال أبو عمران) أى الفاسى وفى كثير من النسخ أبو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) أى فيما بينهم (فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الناس) أى عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ان السلام أيضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وأيضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال) وفى نسخة شد المطى (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض) أى موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وأمثالها والوجوب والندب والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندى ان منعه) أى منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) أى لذلك لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكرهه) أى مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم (يعبد بعدى) أى بعد موتى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى

وسلم فى الحديث الذى تقدم روايته عن ابن عمر (من زار قبرى فقد أطلق اسم الزيارة) فدل على ان الكراهة التى رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم (وقيل) وجه كراهته (لان ذلك لما قيل ان الزائر أفضل من المزور) هو من يزار ولا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة الزائر فى قبضة المزار خطأ قبيح (وهذا أيضا) كالذى قبله (ليس بشئ) يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب منه (اذ ليس كل زائر بهذه الصفة) وهى الافضلية فقد يكون مساويا له وادنى منه (وليس عموما) فى كل زائر (وقد ورد فى حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم) فى الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه فى العظمة فكيف يتوهم هذا (ولم يمنع) اطلاق (هذا اللفظ فى حقه تعالى) ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة روى على وجوه منها ما رواه أبو نعيم عن على كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول ان الله تعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون ثم توضع لهم مائدة الحديث وقال أبو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض فكره تسوية النبى صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وارخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطى الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد (والذى عندى) فى وجه الكراهة عنده وفى نسخة والاولى عندى أى فى اعتقادى وحكمى فى توجيه الكراهة عنده (ان منعه) من اطلاق الزيارة على قبره (و) وجه (كراهة مالك له) أى لقولهم زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (للاضافة) أى نسبة الزيارة الى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بايقاعها عليه فليست الاضافة هنا نحوية بل عرفية وذلك بذكر القبر وجعله مزورا (وانه لو قال) كل قائل (زرنا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم بدون ذكر القبر (لم يكرهه) أى على ما يأتى قيل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبرى وجبت له شفاعتى الا ان يقال انه ضعيف وان الصحيح حديث أنس من زارنى بدون ذكر القبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه فى الاحكام ولم يتعقبه وتقدم الكلام أيضا فيه (لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم من الحجارة (يعبد بعدى) أى بعد وضعى فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم الاول ما كان منحوتا من حجارة وغيرها والثانى ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما وهو المشهور (اشتد غضب الله تعالى على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبى النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السماء اللهم الا ان يقال انه تغليب أى قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا ولا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا نعم وقع فى حديث آخر لعن

(لحمى) أى صار م لك (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة (الى القبر والتشبه بفعل أولئك) أى العامة (قطعا للذريعة) أى الوسيلة (وحسما) أى قطعا (للباب) أى لفتح هذا الباب (والله أعلم) أى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة منها ما رواه أبو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا أو شهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى

حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى

الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه ويحتاج الى الجواب عما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذى دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التى كفروه بها وصنف فيها السبكى مصنفا مستقلا وهى منعه من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند ذاك المرجى ينتهى الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغى ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله تعالى عز وجل واما قوله صلى الله عليه وسلم الآتى لا تتخذوا قبرى عيدا فقيل كره الاجتماع عنده فى يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه فى العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له كما رووا اما احتماله للنهى عنها فهو يفرض انه المراد محمول على حالة مخصوصة أى لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له فى الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف (لحمى) أى صان مالك رحمه الله (اضافة هذا اللفظ) أى لفظ الزيارة اضافة معنوية (الى القبر) يعنى قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم (والتشبه بفعل أولئك) الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود (قطعا للذريعة وحسما) أى قطعا وسدا (للباب) أى باب الذريعة وهذا مبنى على سد الذرائع التى هى من قواعد مذهب مالك وقد قدمنا تحقيقه (والله تعالى أعلم) بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل مما يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه أصلا بفعل أولئك فالظاهر انه لم يصح عنه وانما المروى عنه كما وقع هنا فى بعض النسخ (وهو كما قال أبو عمران) موسى بن عيسى الفاسى فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته (انما كره ان يقول طواف الزيارة) الذى يكون بعد رمى الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه فى اطلاقه غيره فالتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة فى كلام مالك و فى نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذى عندى الى آخره وقال أبو عمران انما كره مالك الى آخر ما تقدم *(تنبيه)* ما ادعى المصنف رحمه الله تعالى انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره فى أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى الا ان قوله وصحبنى تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيارة منكرة ورد بان له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافى خبر لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا الحديث وروى أيضا فى معناه أحاديث كثيرة قال السبكى كأنهم تبلغ مالكا رحمه الله مع انه روى عنه أيضا كراهة ان يقال زرنا النبى لانه أعظم من ان يزار ولانه اشتهر فى الموتى وهو صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وقيل كرهه لان الذهاب ليس لصلته ونفعه وانما هو رغبة فى الثواب قال السبكى وهو الاقرب فى توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شئ من ذلك وقيل كرهه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهى كالواجب عنده واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حى

الله تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على أنا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة ولهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء فى قبورهم من الأحياء فانهم أولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره أولى من زرناه عند التحقيق والله ولى التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى أقرب الصواب لان تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب نعم يمكن حمل كلام من حرم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما ورد فيه وعيدا

(قال

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل) أى من قديم الايام (من شأن من حج) أى من تريد من قصد (بيت الله الحرام المرور بالمدينة) أى مدينة الاسلام لزيارته عليه الصلاة والسلام أى اما قبل الحج واما بعده (والقصد) أى ايضا (الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى تلك الاعمال الكرام اذ قد ورد ان الصلاة فيه بمائة ألف (والتبرك برؤية روضته) أى خصوص (ومنبره وقبره ومجلسه) أى محل جلوسه فى المسجد ومكان صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) أى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند اليه) وفى نسخة يستند فى الصحاح سندت الى الشئ واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) أى فى حال اسناده (عليه وبمن عمره) أى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل أى زاره (وقصده) أى بمن قصده (من الصحابة وأئمة المسلمين) أى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) أى بما ذكره (كله) أى جميعه والحاصل انه لامنع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى أن يكون الغرض الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه الصلاة والسلام ويتبعها حضور مشاهدة الكرام (وقال ابن أبى فديك) بالتصغير وثقه جماعة واحتج به أصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا) أى فى الحديث (انه) أى الشأن (من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الآية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها أيضا وهو يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك) الاولى أن يزيد وسلم (يا محمد) الاولى أن يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان) أى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية أ[illegible] اخروية والحديث رواه البيهقى من عمر بن أبى امرأة الد[illegible]

(قال اسحق بن ابراهيم الفقيه وممالم يزل من شأن من حج) أى انه استمر من عادة السلف اذا حجوا أن يأتوا (المرور) قيل انه بكسر الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الواو مصدر ميمى بمعنى الزيارة وقوله (بالمدينة) متعلق به وهو تكلف لايخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما فى بعض النسخ انه بضم الميم والراءين مهملتين مصدر أى من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله (والقصد الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه (والتبرك برؤية روضته) وهى ما بين قبره الشريف (ومنبره) سميت روضة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه انها روضة من رياض الجنة (وقبره) وكيفية التبرك به ستأتى (ومجلسه) أى موضع جلوسه فى الروضة المنور (وملامس يديه) أى المحل التى لمسها بيده الشريفة فى سجوده فيها (ومواطئ قدميه والعمود الذى استند اليه) باسناد ظهره الشريف اليه فى جلوسه (ومنزل جبريل بالوحى فيه عليه) وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك معينا لان الآن لا يمكن تعيين شئ من ذلك فمل به ذلك رزقنا الله تعالى عز وجل الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وبمن عمره) بتخفيف الميم أى سكنه واما بتشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم أى مدة الحياة كما اعتمده أهل اللغة (وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله) أى الاعتناء به تعظيما وتكريما والتفكر فيهم وفى مآثرهم (وقال ابن أبى فديك) محمد بن اسمعيل بن مسلم بن أبى فديك بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف الامام الثقة روى عنه الستة وأحمد وتوفى سنة مائتين وله ترجمة فى الميزان وحديثه هذا رواه البيهقى (سمعت بعض من أدركت) يقال أدركت فلانا اذا أدركت زمانه ورآه والمراد من أدركه من العلماء والصلحاء (يقول انه من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) متوجها له (وقال) تاليا (هذه الآية ان الله وملائكته الخ ثم قال) بعد تلاوتها (صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة) وفى رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة أى لاترد ولاتخيب شبه عدم قبولها بسقوط شئ وتضييعه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافى ما قالوه كما مر من انه لايجوز نداؤه باسمه يا أحمد يا محمد فى حياته وبعد مماته لقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه تعظيما وكذا لاينادى بكنيته كأبى القاسم وقد تقدم فان كان هذا مأثورا اغتفر اتباعا للمأثور والتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتأمل هذا وفى الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقى لما ذكر عن ابن أبى فديك مانصه ولادليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه فقد صرح أئمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لافرق بين أن يقدم له تعظيما وان لا وهو ظاهر

خلافا لمن بحث تخصيصه بالثاني وذلك لما في النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه لانقضائه قال أئمتنا وانما ينادى بنحو يا نبي الله يا رسول الله فقول الزين المراغي رحمه الله تعالى الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا أولى انتهى (وعن يزيد ابن أبي سعيد المهري) بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور أخرج له مسلم رحمه الله تعالى وغيره قال (قدمت على عمر بن عبد العزيز) أي أتاه قاصدا له واجتمع به (فلما ودعته) أي لما أردت الانصراف من عنده (قال لي اليك حاجة) أسألك قضاءها وهي انك (اذا أتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا زرته فاذا رأيته (فاقرأه مني السلام) أي بلغه سلامي واني مسلم عليه يقال قرأ عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذي يناسب الحديث الذي نحن فيه (وقال غيره) أي غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي في شعب الايمان (وكان) أي عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور والجليل المقدار (يبرد) بضم أوله من ابرد بمعنى أرسل (اليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (البريد من الشام) لانها كانت مقر الخلفاء أي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرأه السلام لا لقصد غير ذلك المدة وكان ذلك في صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك أحد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذي يكون مستعجلا لتبليغ أمر الخلفاء ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب من بريدة دم أي مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون في المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع أذنابها علامة لها ثم أطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمي الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار وأحوال البلاد والولاة وأصحاب البريد قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع أمر عظيم وجههم صاحب البريد للاخبار به وكان من دأب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام السلام ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن في هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه أداء أمانته له أي ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر و يجب على المسلم عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحياء التواصل وعدم التقاطع الذي يغلب وقوعه بين الاحياء وحينئذ فارسال السلام للغائب القصد به مواصلته وعدم مقاطعته واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا أو وسيلة الى المقاطعة المحرمة أي من شأنه ذلك وللوسائل حكم المقاصد وأما ارسال السلام له صلى الله تعالى عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير * (فائدة) * قال صاحب القاموس في رسالة الصلاة له ان السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند قبره الشريف أفضل من الصلاة عليه أي للاخبار الكثيرة ومنها ما من أحد يسلم علي عند قبري الخ وفيه نظر ثم رأيت في الدر المنظم بعد ذكره له يعارضه ما تقدم انه تعالى يصلي هو وملائكته على المصلي بدل الصلاة الواحدة عشرا أو مائة على ما مر وصلاة الله أفضل من رده صلى الله تعالى عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى

(وعن يزيد ابن أبي سعيد المهري) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة (قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة) أي وهي انك (اذا أتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حقيقة أو مجازا وهو محله وحوله (فاقرأه مني السلام) يجوز قطع همزة وكسر رائه ويجوز وصل أوله وفتح عينه والحديث رواه ابن أبي الدنيا من طريق البيهقي في الشعب عنه (قال غيره) أي غير المهري وهو حاتم ابن وردان كما رواه البيهقي في الشعب الايمان (وكان) أي عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر راء أي يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) أي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرأه منه السلام

أن يوجه أفضلية السلام بأنه شعار اللقاء والتحية وحينئذ تختص أفضليته بحالة اللقاء عند كل زيارة أما
اذا سلم سلام اللقاء فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك
صنيع العلماء فانهم لما ذكروا ان الزائر يبدأ بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه (قال بعضهم رأيت
أنس بن مالك) الصحابي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتى قبر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم
لزيارته (فوقف) عند القبر الشريف (فرفع يديه) للدعاء فانه مستحب لمن زاره صلى الله تعالى عليه
وسلم ان يدعو ويستشفع به ويتضرع (حتى ظننت انه افتتح الصلاة) لانه يسن رفع اليدين لافتتاح
الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور (فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم) بعد رفع يديه
ودعائه (ثم انصرف) من عنده (قال مالك في رواية ابن وهب) عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما
تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك (اذا سلم) الزائر لقبره الشريف (على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا)
بما يريد الدعاء به (يقف) عنده (ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة) كما يستحب للداعي في غير هذا
الموطن لان استدباره خلاف الادب (ويدنو) أي يقرب من القبر في حال الدعاء (ويسلم) عليه صلى الله
تعالى عليه وسلم (ولا يمس القبر بيده) فيكره الصاق الظهر أو البطن بجدار القبر المكرم ويلحق
بجداره جدار الساتر عليه المستور بالحرير الآن لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله تعالى عليه
وسلم ومن ثم تعين على كل أحد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما أذن الله فيه لامته صلى الله عليه
وسلم في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث
هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما أمكن واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار
القبلة مذهب الشافعي والجمهور ونقل عن أبي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن أبي حنيفة انه يستقبل
القبلة مردود بما روي عن ابن عمر ان من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو
الصحيح من مذهب أبي حنيفة وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشيء لانه صلى الله عليه وسلم
حي في ضريحه يعلم بزائره ومن يأتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام في حال الزيارة كما نبه
عليه المصنف بقوله يقف وهو أفضل من الجلوس عند القبر الشريف عند الجمهور ومن خير بينهما أراد
الجواز دون المساواة فان جلس فالافضل أن يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق بالادب
(وقال) مالك (في المبسوط) اسم كتاب له كما تقدم (لا أرى) أي لا أستحسنه وأعده رأيا (ان يقف عند
قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) أي في حال كونه داعيا لما أراد (ولكن يسلم) عليه (ويمضي)
أي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل
الشافعية عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغرباء الزوار فانهم يستحب
لهم الوقوف للدعاء له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره
الشريف كالمسجد يأتيه في أكثر أيامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرائع وسيأتي أيضا
بيان ذلك في كلام المصنف عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني وغيره في استحباب
الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعاء وسيأتي ما يعلم منه ان في المسئلة ثلاثة مذاهب (وقال ابن أبي
مليكة) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وأبوه أبو مليكة صحابي
جليل وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (من أحب ان يكون) وفي
نسخة يقوم (وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى

---

٦ (قال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) أي بين يديه (فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين في ذلك المقام عن أحد من الاعلام ولعله
دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك في رواية ابن وهب) أي عنه (اذا سلم) أي هو أو أحد (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض أرباب المناسك ان الزائر يسلم أولا وهو متوجه الى القبر ثم ليدع الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه الصلاة والسلام (ويدنو) أي ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار قبته وشبكة حجرته عليه السلام (بيده) ولا يقبله لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه أقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على ما نقله الغزالي (وقال) أي مالك (في المبسوط لا أرى) أي لا أجوز (ان يقف) أي أحد (عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا أن يقال هذا بيان الاكمل فتأمل (قال ابن
أبي مليكة) بالتصغير تابعي تيمي مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن عباس وأما أبو
مليكة فصحابي (من أحب ان يقف وجاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الواو ويضم أي في مواجهته ومقابلته

(فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف وأما بفتحة فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) أى فى جهتها (عند القبر على رأسه) أى محاذيا برأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من أئمة التابعين واعلامهم (كان ابن عمر يسلم على القبر) أى على من فيه (رأيته) أى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة وأكثر) وفى نسخة أو أكثر بمعنى بل أكثر (يجئ الى القبر فيقول السلام على النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة السلام على أبى حفص وهو كنية عمر وهذا أقرب الى الادب (ثم ينصرف) أى ولم نزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة ورئى أى أبصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) أى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رآه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة أو بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فموحدة (كان أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) أى من عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة أى حسوا ومسوا (رمانة المنبر) أى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا أى تمسحوا بأيمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة يدعون) أى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) أى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم) أى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) أى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغيير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو أحد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) أى بدل لفظة وعلى أبا بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة أى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته قال) أى مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) باى لفظ كان (قال القاضى أبو الوليد الباجى)

تجاه وهو مثلث التاء أيضا كما فى مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتاء تجاه مبدلة من الواو كتخمة (فيجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر) الشريف (على رأسه) أى محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الرأس ووزنه فعليل وقيل فنعيل ونونه زائدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وان يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد أولى وأليق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب أولى وقيل يعامله معاملته فى حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان فى العصر الاول وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك (وقال نافع) هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبى خراسان وهو تابعى جليل توفى بالمدينة سنة سبع عشرة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدنى المقرى وهذا رواه البيهقى وغيره (وكان ابن عمر) الصحابى المشهور (يسلم على القبر) الشريف (رأيته مائة مرة وأكثر يأتى الى القبر) بدل من قوله يسلم مفسر له (فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى) وفى نسخة أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ثم ينصرف ٢) قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغى أن يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ماشاء فى الثناء والدعاء والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتى للزيارة من قبل رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما فيبدأ بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتى من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا وفى كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور فى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى مفصل ليس هذا محله (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) تقدم ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك اثنان (انه كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر (فيصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر) تبعا له أو يصلى بمعنى يدعو (وعند ابن القاسم) عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم (والقعنبى) بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثى أبو عبد الرحمن أحد الاعلام روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين ومائتين أخرج له الشيخان وغيرهما كما علم فى روايتهما عن مالك بلفظ (ويدعو لابى بكر وعمر) لا بلفظ يصلى كما مر (قال مالك فى رواية ابن وهب) عنه يقول المسلم أو الزائر (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) و(قال) مالك (فى المبسوط ويسلم على أبى بكر وعمر) بعد السلام عليه و(قال القاضى أبو الوليد

٢ وقد وقع فى نسخ المتن وشرح على القارى هنا عبارة وهى قوله (ورئى ابن عمر الى قوله وفى الموطأ) فليراجع الى المتن مصحح

الباجى) بالموحدة والجيم وهو أحد الاعلام (وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة) أى بان يقول الصلاة عليك يانبى الله أو الصلاة على رسول الله ولاشك ان الجمع بينها و بين السلام أفضل وأكمل كما دل عليه قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابى بكر وعمر) يعنى و يدعو لهما أيضا (كما فى حديث ابن عمر من الخلاف) أى المتقدم حيث جاء فى رواية أخرى عنه انه كان يقول السلام على النبى صلى الله عليه وسلم السلام على أبى بكر السلام على أبى وفى رواية أخرى عنه انه كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجى عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر فى الرواية الثانية ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا أو تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبى الاكمل واما صاحباه فتخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) أحد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) أى الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير الاضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوى (بسم الله وسلام) أى تمامه (على رسول الله عليه السلام) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) أى وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) أى من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفرلى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وجنتك) أى بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظنى من الشيطان الرجيم) أى من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه التفات أى ثم توجه (الى الروضة) أى الشريفة (وهى مابين القبر والمنبر فاركع فيها) أى صل (ركعتين) أى قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) أى للزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله تعالى) أى حال كونك تثنى على الله سبحانه (فيهما) أى فى الركعتين وفى نسخة فيها أى فى الصلاة أوفى الروضة (وتسأله) أى الله فيهما أو بعد الفراغ منهما (تمام ماخرجت اليه) أى من المقاصد (والعون عليه) أى فى جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (فى غير الروضة أجزأتاك) أى كفتاك عن السنة (وفى روضة) وكذا فى المواضع الفاضلة فى المسجد (افضل) اى لورود الاحاديث فى فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام مابين بيتى) المختص بعائشة المعبر عنه فى رواية مابين قبرى (ومنبرى روضة من رياض الجنة) أى اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها و باعثة لوصولها فقد قال القرطبى معناه ان الصلاة والذكر فى هذا الموضع يورثان الجنة فكأنه قطعة منها الاول ولامنع من الجمع والله أعلم (ومنبرى على ترعة) بضم فوقية فسكون راء ففتح عين مهملة أى عتبة أو روضة مرتفعة

الباجى) تقدمت ترجمته (وعندى) أى الراجح عندى (انه يدعو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة) لما فيها من التعظيم كما تقدم (و) يدعو (لابى بكر وعمر كما جاء فى حديث ابن عمر) الذى تقدم وقوله فيه السلام على أبى بكر السلام على عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلى عليهما لما مر (من الخلاف) أى مخالفة الدعاء لهما الدعاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المناسك هنا تفصيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله (وقال ابن حبيب) عبد الملك بن حبيب القرطبى الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت الى نسبته للكذب وترجمته فى الميزان (ويقول الزائر (اذا دخل مسجد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله وسلام على رسول الله) صلى الله عليه وسلم (السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وجنتك) أى يسر لى مايوصلنى اليهما فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنة روضة شوقه الى الجنان وقوى رجاءه فناسب دعاءه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله (واحفظنى من الشيطان الرجيم ثم اقصد) بعد الدعاء (الى الروضة وهى مابين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين) تحية المسجد شكرا لهذه النعمة (قبل وقوفك بالقبر) أى عنده (تحمد الله تعالى فيها) أى فى تلك الصلاة (وتسأله تمام ماخرجت اليه) من زيارتك وسفرك (والعون عليه) أى المساعدة بتيسيره له (وان كانت ركعتاك فى غير الروضة) من المسجد النبوى (اجزأتاك) بالهمزة أى كفتاك فى اداء السنة (وفى الروضة أفضل) أى اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم (وقد قال عليه السلام مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة) و يأتى الكلام عليه ومابين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدى الى دخولها فكأنه منها فاطلق السبب واراد المسبب أو هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفى حديث آخر يأتى وان أوهم كلامه هنا أنه من تتمة الاول (ومنبرى على ترعة

من ترع الجنة) ترعة وترع بمثناة كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع مطمئن وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا أو في مكان مطمئن تجمع اشجارا او رياحين والترعة تكون أيضا محل الماء وبمعنى الدرجة كما ذكره أهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف (ثم تقف بالقبر) أي عنده (متواضعا متوقرا) أي بتواضع ووقار أي سكون تأدبا بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه على شماله كما يقف في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه (فتصلي) بالخطاب لكل زائر (عليه صلى الله عليه وسلم وتثني) عليه بثناء يليق به (بما يحضرك) أي يخطر ببالك من غير تكلف لامور تستعدها بسبحة ونحوها ويقبح الانحناء وتقبيل الارض ومايظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشئ (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعولهما) بما يناسب مقامهما كما مر (واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار) والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة في غيره كما يأتي وهو ماكان مسجدا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاماز يد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله هذا تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لايقتضي مساواته من كل وجه ولاشك في ان الاول أفضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولاينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله ابن عبد السلام (ولاتدع) بالخطاب والجزم أي تترك (ان تاتي مسجد قباء) بضم القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بنى فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا أتاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد أسس على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة أهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده وأعطى أهل أحد يوم الخميس لانهم أفضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ينقلون حجارته على بطونهم فلوكان في طرف الارض اضربنا اليه اكباد الابل وقال صلاة ركعتين فيه أحب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد الماثورة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين (وقبور الشهداء) المعهودين وهم شهداء أحد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي أن لاتدع زيارتهم وان تبدأ منهم بحمزة سيد الشهداء في الدنيا والآخرة (وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج) أي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه أي بالفعل لاعند ارادة ذلك (وفيما بين ذلك) اى في أيام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كما دخل وخرج (قال محمد واذا خرج) من المدينة من أتاها زائرا (جعل آخر عهده) بالمدينة

(من ترع الجنة) رواه أحمد بتمامه عن جابر والبزار عن أبي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقي عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط أحمد وأبو عوانة عن سهل بن سعد والترعة في الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت في مطمئن فهي روضة وورد ارتعوا في رياض الجنة يعني مجالس الذكر وفي رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه أمر أي قف أيها الزائر (بالقبر) أي قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) أي متذللا في نفسه (متوقرا) أي معظما لمن في حضرته (فتصلي عليه وتثني بما يحضرك) أي لديه (وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما) أي بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة) أي الطاعة والعبادة أو الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) أي في ساعاتهما ولاتدع ان تاتي مسجد قبا) أي ولاتترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) أي شهداء أحد وغيرهم أي ولاتترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله في كتاب محمد) يعني واحدا من أصحابه ولعله محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) أي سلام القدوم والزيارة (وخرج) أي واذا أراد أن يخرج سلام الموادعة (يعني) اى يريد بذلك وهو (في المدينة) أولا وآخرا (وفيما بين ذلك) أي احيانا (قال محمد واذا خرج) أي اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده

الوقوف

الوقوف بالقبر) أي للزيارة قياسا على طواف الوداع (وذلك من خرج) ولو من أهل المدينة (مسافرا) أي حين كونه مريد السفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان الآداب الموجب لمزيد الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) أي البتول الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخلت المسجد) كان الدلجي بفتح تاء الخطاب ولا أعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها في الكتاب (فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) في نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وتصلى بياء المخاطبة (وقل) وفي نسخة وقولي فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وفي رواية أخرى) أي لابي داود عن أبي حميد وأسيد (فليسلم مكان فليصل فيه) أي في هذا المروي (ويقول اذا خرج اللهم اني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني) أي احرسني وأعذني واعصمني (من الشيطان الرجيم) أي المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) أحد أعلام التابعين (كان الناس) أي الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) أي المسجد النبوي أو جنس المسجد الالهي (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) أي لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا متيمنين باسمه وخرجنا متمسكين باسمه ففي الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) أي وفي جميع أحوالنا عليه اعتمدنا وجميع أمورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) أي حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها أيضا)

(الوقوف بالقبر) أي عنده للوداع (وكذلك) كل (من خرج مسافرا) من المدينة يجعل آخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه (وروى ابن وهب عن فاطمة) الزهراء (بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) أي مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم أو الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة (واذا خرجت) من المسجد النبوي أو الاعم منه (فصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي) ببركة العمل الصالح (وافتح لي أبواب فضلك) وذكر الفضل هنا أنسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل أموره وتيسير مسالكه وأسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصده وعبادته فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التي بها تحصل الارزاق والغناء عن الناس وهذا مظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فسئل عند التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا ويصلي ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة أو يؤخرها ليكون آخر عهده ملاقاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحسن ان يقول لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم ويسره لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه أصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخيضري في اللواء المعلم الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا أوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب وفقني وسددني واصلح لي وأعني على ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة (وفي رواية أخرى) من طريق آخر وحديث فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه (فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني أسألك من فضلك وفي) رواية (أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم) وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفصلها ثمة (وعن محمد بن سيرين) التابعي المشهور (كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد) النبوي (صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا) أي ندخل ونخرج وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف (وعلى الله توكلنا) أي فوضنا اليه أمورنا كلها فالتارك من دخل المسجد لامور دنياه فان توجهه فيه لما هو لله (وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك) وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد كما تقدم واستحب الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه هو الذي بين لنا العبادة فيها وهدانا الطريق الخير فكان حقا علينا ان نذكره ثمة والدعاء له والمراد بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا أردفه بما يوضحه من قوله (و) روى (عن فاطمة أيضا) أي كما

أي كما تقدم عنها (كان النبي اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفي نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم أخرجه أحمد والبيهقي في الدعوات (ثم ذكر) أي ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبني فلا عبرة بقول الدلجى لا أدرى من رواها (وفي رواية) أي للترمذي وابن ماجة (بسم الله والسلام) وفي نسخة والصلاة (على رسول الله وعن غيرها) أي وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجى لم أقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا لا التفات الى قول الحلبي لا أعرفه بعينه لانه يكفي ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) أي حقيقة أو اذا أراد دخوله (قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) أي الدنيوية والاخروية (ويسر لي أبواب رزقك) أي الحسية والمعنوية (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي آه) أي أبواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة) أي كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) أي للزيارة (وانما ذلك) أي لازم (للغرباء) أي من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة في مكة أفضل لاهل الاقامة والطواف أفضل للغرباء النازلة (وقال) أي مالك رحمه الله تعالى (فيه) أي في المبسوط (أيضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال أي نزل (من سفر) أي من أهل المدينة وغيرهم (أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له) أي بالسلام (ولابي بكر وعمر فقيل له) أي لمالك (فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال أي لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) أي ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) أي الوقوف على القبر للزيارة (في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا) أي تاخروا (في الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن أي في الاسبوع (أو في الايام) أي ولو أكثر من الجمعة (المرة) أي تارة (أو أكثر) أي أخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك رحمه الله لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه) أي من المتقدمين (ببلدنا) يعني المدينة (وتركه واسع) اي جائز يعني ولو فعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقف الرفاة على حال الحياة صحيح ولا شك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه في حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من أنوار بركاته فاي مانع من التردد الى بابه والتوسل الى جنابه على

روى عنها ما قبل هذا (كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله) الذي وفقه للعبادة (وسمى) الله تيمنا وتبركا ليتم ما شرع (فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم) المار (وذكر مثله) أي ما هو بمعناه (وفي رواية يقول اذا دخل المسجد (بسم الله والسلام على رسول الله) فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فهم مقتدون به (و) روى (عن غيرها) أي غير فاطمة رضي الله عنها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وانعامك بنعم الدنيا والآخرة (ويسر لي أبواب رزقك) أي سهلها او يسر أسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما مضى وفرغ منه (وعن أبي هريرة رضي الله عنه اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي) يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد أو خرج منه أو مر به أي مسجد كان يستحب له ان يسمى الله ويصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيري الدنيا والآخرة والمأثور أفضل وهذا مما اتفقوا عليه ووردت فيه أحاديث صحيحة مسندة في باب الدعوات (وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد) النبوي (وخرج منه من أهل المدينة) المقيمين بها (الوقوف بالقبر) أي عنده للزيارة (وانما) يلزم (ذلك) أي الوقوف لازم (للغرباء) الذين جاؤا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التأكيد في حقه (وقال) مالك (فيه) أي في كتاب المبسوط (أيضا) كما نقل عنه أولا (لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر) من أهل المدينة (ان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يقوم عنده زائرا (فيصلي عليه) صلى الله عليه وسلم (ويدعو له ولابي بكر وعمر) بعد الصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقيل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه) أي الخروج للسفر فهم مقيمون (يفعلون ذلك) أي الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعاء لصاحبيه (في اليوم) الواحد (مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون) عليه صلى الله عليه وسلم (ويدعون) لابي بكر وعمر (ساعة فقال) مالك لما ذكر له ذلك (لم يبلغني هذا) أي وقوف المدني من غير سفر عند القبر (عن أحد من أهل الفقه ببلدنا) يعني المدينة لان عمل أهلها حجة عنده (وتركه) أي ترك هذا الفعل (واسع) أي أكثر وأولى

انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه ثم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك أن يقال فى حقها الكراهة كما يشير اليه حديث زرغبا تزدد حبا وأما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث أبى بن كعب فى تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها أولى فى أفضل البقاع واهل السلف الصالح كان عندهم أمور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طالب العلم بتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا فى طريقه أفضل من كثرة الطواف والزيارة بل أكمل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع ما قررناه وارتفع ما حررناه بما فهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح أولها ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا مشتغلون بما هو كانت أهم هنالك (ويكره) أى الوقوف للزيارة من أهل المدينة (الا لمن جاء من سفر أو أراده) أى السفر (قال ابن القاسم ورأيت

أهل المدينة اذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا) لا شك ان الزيارة فى تينك الحالتين أكثر استحبابا وأظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع أن ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة أو أكثر ولا شك انه كان من أهل المدينة فتدبر (قال) أى ابن القاسم (وذلك رأيى) أى المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجى) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) أى مالك وفى نسخة بفتح فسكون أى فصل وفارق (بين أهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك) أى فى رحلتهم (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم) أى على صاحبه وفيه انه لا يلزمهم ترك ذلك وأى مانع لما هنالك فهل ترى أحدا قال ان الغرباء لهم الطواف دون الكعبة لانهم قصدوها فى سفرهم دون أهل مكة حيث لم يقصدوها فى اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد) أى صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على أمته وأهل ملته أن يفعلوا مثل جهلة أهل الكتاب بالنسبة الى قبور أنبيائهم ومشاهد أصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا) أى مسجودا بها أو مثلها حيث عبدوها (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبرى عيدا) رواه ابن أبى شيبة موصولا عن على وسعيد بن منصور وفى سننه مرسلا من طريق وقد تقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه

(ولا يصلح آخر هذه الامة) المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول (الا ما أصلح أولها) أى لا يصلح لآخرها الا ما صلح لاولها ولا يستحب لهم الا ما استحبوه أولا (ولم يبلغنى) أى لم أسمع بنقل صحيح (عن أول هذه الامة وصدرها) من الصحابة ومن ألحق بهم (انهم كانوا يفعلون ذلك) أى الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر (ويكره) ذلك (الا لمن جاء من سفر أو أراده) من أهل المدينة (قال ابن القاسم) من أتباع الامام مالك (ورأيت أهل المدينة اذا خرجوا منها) للسفر (أو دخلوها) قادمين من السفر (أتوا القبر فسلموا) عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) ابن القاسم (وذلك رأى) أى قول لمالك وفى نسخة رأيى بالاضافة أى انه يقوله (قال الباجى) بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالغرب وهو أبو الوليد الحافظ من أئمة المالكية وقد تقدم (ففرق) مالك أو ابن القاسم رواية عنه (بين أهل المدينة والغرباء) فاستحب للغرباء الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه للمدنى الا اذا خرج لسفر أو قدم منه (لان الغرباء قصدوا) المدينة (لذلك) أى لاجل الزيارة فينبغى له فعل ذلك فى كل حين (وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها) من أوطانهم (من أجل) زيارة (القبر والتسليم) عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى فى كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هذا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته فى سد الذرائع وغيره من أهل المذاهب قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذى لا شبهة فيه والذريعة ليست بممنوعة من كل مقام كما تقدم عن القرافى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه عبد الرزاق ومالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار (اللهم لا تجعل قبرى وثنا) أى كالوثن وهو الصنم الذى (يعبد) أى يتخذ معبودا وتقدم فيه زيادة بعدى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أى يسجدون لها كما يسجدون لله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه ابن أبى شيبة وغيره بسند متصل (لا تجعلوا قبرى عيدا) أى كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضى تفسيره بغير ما فهمه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجى أو من كلام مالك وابن القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من

(ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) أى لعدم وروده بل ورد النهى عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) أى وقوفا طويلا أو زمانا طويلا لاخوفا من الرياء والسمعة أو من الملالة والسآمة (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية نسبة الى فقيه الاندلس محمد

كلام المصنف رحمه الله تعالى غير مناسب لما عقد له هذا الفصل (و) نقل (من كتاب أحمد بن سعيد الهندى) عالم الاندلس توفى سنة تسع وتسعين وثلثمائة وعمره سبع وسبعون سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندى والصحيح الاولى (فيمن وقف بالقبر) الشريف أى قال فى حقه وبيان حاله انه ينبغى له ان (لا يلصق به) صدره (ولا يمسه) بشئ من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره لانه ترك أدب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا أمر غير مجمع عليه ولذا قال أحمد والطبرى لا بأس بتقبيله والتزامه وروى ان أبا أيوب الانصارى كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن (ولا يقف عنده طويلا) بل بمقدار الصلاة والدعاء تأدبا منه فهذا مستحب عنده (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة أى مما سمع من مالك من مسائل المدونة وصاحبها يسمى العتبى نسبة لعتبة بن أبى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن أبى سفيان القرطبى وتوفى منتصف ربيع سنة خمس أو أربع وخمسين ومائتين وأخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى المشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبى هو أحمد بن محمد بن عتبة الاموى من أهل قرطبة قيل هو مولى لآل عتبة ابن أبى سفيان وهو الاصح وسمع من سحنون وأصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة أكثر فيه من الشواذ والمسائل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن وضاح فى المستخرجة خطأ كثير (يبدأ بالركوع) المراد به الصلاة أى تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة (قبل السلام) على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو أحد القولين كما تقدم (فى مسجد النبى) صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم أولا ثم يصلى ويتحرى بصلاته محلا كان يصلى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وله علامة ذكروها وتبعهم المصنف وهو على يسار محراب الشافعية (و) شمل ذلك عموم قوله و(أحب) أفعل تفضيل من المحبة (مواضع التنفل فيه) أى أفضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة (مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى محل صلاته المأثور وبين محله بقوله (حيث العمود المخلق) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو وما بعده الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب أصفر فيه زعفران والعمود هو الاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل انه محلق بحاء مهملة أى له حلقة من حديد ونحوه وقيل وهو محل جذعه الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر وهذه الاماكن الشريفة وأسماؤها وفضائلها من أراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى (و) فضيلة هذا المحل والصلاة عنده انما هو للمتنفل الزائر (وأما فى) صلاة (الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى التقدم فى الصف الاول أفضل من غيره مطلقا (والتنفل) أى صلاة النافلة (فيه) أى فى المسجد النبوى (للغرباء) الذين قدموا للزيارة ولم يكونوا من أهل المدينة المقيمين بها (أحب الى) أى أفضل عندى (من التنفل فى البيوت) أى مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله الفقهاء وأطلقوه ان الافضل فى الفرض الصلاة فى المساجد والنافلة الافضل فيها ان يصلى فى المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة

ابن أحمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنفها وهو من موالى عتبة ابن أبى سفيان أخذ عن يحيى ابن يحيى الليثى وطبقته (يبدأ بالركوع) أى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) أى على سيد الانام حين دخوله (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى قياسا على حال حياته فانه قد ورد أن واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم على وفيه ايماء الى تقديم حرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (وأحب مواضع التنفل منه مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة أى المبخر المطلى بالخلوق بفتح أوله وهو نوع من الطيب المعبق (وأما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف) أى أفضل للمأمومين وأما الامام فلا

شك ان مقامه الافضل مصلاه الا كل (والتنفل فيه) أى فى مصلاه بل فى جميع مسجده أفضل (للغرباء) دون أهل المدينة لحديث ورد بذلك (أحب الى) وكذا الى غيره (من التنفل فى البيت) ولعل وجهه ان لا مضاعفة فى الصلاة فى غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك فى مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة ألف فالنوافل فى البيوت أفضل لهم ولو كانوا من الغرباء

(فصل) * (فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفي نسخة من الآداب (سوى ما قدمنا) أي من أنواع الاستحباب (وفضله) أي فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) أي وما يتعلق به (وفي مسجد مكة) طردا للباب وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) أي وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) أي سكانهما ومجاوري مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون في المراد به (روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا) رواه مسلم والترمذي وصححه النسائي عن أبي سعيد وأحمد عن أبي بن كعب وسهل بن سعد وفي رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الأولى للمصنف ان يقول فقد ورد وثبت اذ روي بصيغة التمريض موضوعة لتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من أكابر التابعين فكان الأولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن أنس) وأما ما ذكره الحلبي من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من أكابر الصحابة وممن أخذ عنه ابن عباس وغيره وهو أجل كتبة الوحي وقد ورد في حقه أفرضكم زيد أي أعلمكم بالفرائض وهو امام في علم القراءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضي الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) أي لانه أسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه أيام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو أوفق للقصة في سبب نزول الآية فقد روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا فقالوا قد بنينا مسجد الذي الحاجة والعلة نصلي فيه حتى نتخذه مصلى فقال أنا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخاري في تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء قال ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني فقالوا يا رسول الله انا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذي وأبو داود ان هذه الآية نزلت في أهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام واتفقا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور خيرا فما طهوركم الحديث وعندي ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذي أسس على التقوى وان ما ذكره من الطهور لاهل قباء لا ينافي انه يدل على أهل مسجده من الانصار والله أعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار

في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة في غيره على ما يأتي وهذا مبني على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها وغيره فعلى هذا نافلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شأن يخصه وهو الظاهر

(فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) * اللازم لمن حضر مجلسه في حياته (سوى ما قدمناه) في الفصل الذي قبل هذا (وفضله) أي المسجد النبوي (وفضل الصلاة فيه) أي زيادة ثوابها على ثواب غيرها (وفي مسجد مكة) وفضله وفضل الصلاة فيه (وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة) والمجاورة فيهما لم يتكلم في الشفاء على المجاورة الا ان الشارح أشار الى ذلك فيما يأتي (قال الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) وضع أساسه فيه (أحق ان تقوم فيه) للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سيأتي (روي) عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل) عن المراد به في هذه الآية (أي مسجد هو قال مسجدي هذا) يعني الذي هو داخل المدينة وهو معروف (وهو) أي كونه المراد في الآية (قول ابن المسيب وزيد ابن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس وغيرهم) من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك هكذا لكنه قدم بالاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) الذي تقدم بيانه وهو المراد في الآية عنده لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أسسه وصلى فيه أيام اقامته من الاثنين الى الاثنين وكلاهما أسس على التقوى الا ان تأسيس مسجد قباء كان في ابتداء دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه وأسس الآخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان يحمل الاولية على الحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول أيضا مروي عن كبار الصحابة مستدلا له صلى الله عليه

(حدثنا هشام) وفي نسخة هاشم (بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما في نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) أي حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغساني (ثنا) أي قال حدثنا (أبو عمر النمري) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) أي ابن عيينة (عن الزهري) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه أفضل التابعين (عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال) جمع راحلة وهي الصالحة لان ترحل أو يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفي النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوي على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والمعنى لا ينبغي ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها في كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفي نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذي في بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو أفضلها كما أشير اليه تقديمه في هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما في أخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدي هذا) يعني مسجد المدينة احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشارا اليه في مشهده (والمسجد الاقصى) وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذي ببيت المقدس وهو مسجد كبير وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه في ليلة الاسراء وقد أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغي للعاقل ان لا يشتغل الا بما فيه صلاح دنيوي وفلاح أخروي ولما كان ما عدا المساجد الثلاثة متساوي المرتبة في الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لا تشد خبر وقع نفيا وأريد به نهيا (وقد تقدمت الآثار في الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) أي مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها في أفضل المساجد

وسلم وقد رواه مسلم وأصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وروي بصيغة المجهول التي تغلب استعمالها في الضعيف فكأنه ايماء الى ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قباء ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه أثنى على أهل أحد المسجدين بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل قوله أحق ان تقوم فيه لانه انما كان أكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قباء لكان صلى الله تعالى عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قباء في الحكم ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا (حدثنا هشام بن أحمد الفقيه) هو أحد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله (بقراءتي عليه) قال (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) هو الغساني وقد تقدم قال (حدثنا أبو عمر) هو ابن عبد البر كما تقدم (النمري) تقدم بيانه أيضا قال (حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن) تقدم بيانه قال (حدثنا أبو بكر بن داسة) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن تقدم أيضا قال (حدثنا مسدد) تقدم قال (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة وقد تقدم (عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة) تراجمهم تقدمت كلها (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (لا تشد الرحال) لا نافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر أريد به النهي وهو أبلغ في النهي لانه جعل كأنه أمر لا يقع في الخارج أخبر عنه لتحققه والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسروج للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهو البعير ونحوه والمقصود منه المنع أو نفي شدها كناية عن منع السفر أي لا ينبغي السفر وقطع المسافة (الا الى ثلاثة مساجد) جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة وأصله موضع السجود (مسجد الحرام) بالحركات الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة أي المسجد الذي جعله محترما وهو مشهور غني عن البيان (ومسجدي هذا) أي مسجد المدينة المعروف (والمسجد الاقصى) بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى أي الابعد لانه أبعد من مكة بالنسبة للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مؤول أي لا تشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم تلزمه فلا يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبرك بها أو لزيارة من فيها من الصالحين أو لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه (وقد تقدمت الآثار) والاحاديث (في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد) النبوي في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته آنفا والآثار كل مأثور أي مروي فيشمل الحديث وغيره ويطلق

على

(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما) انه واب ترك الياء في نحو كما نبه أولا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) أي جنسه (قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم) أي ذاته (وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه أبو داود (وقال مالك) أي فيما رواه البخاري والنسائي (سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا) أي عظيما (في المسجد) أي مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) أي طلب صاحب الصوت (فقال ممن أنت) يروى من أنت (قال رجل من ثقيف) أي من أهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) أي مكة والمدينة أي لفعلت نكالا أو لعذبتك أو لعزرتك وفي نسخة صحيحة لأدبتك (ان مسجدنا) أي أهل المدينة خصوصا (لا يرفع فيه الصوت) أي لما ورد من قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وهو حي حاضر بعد مماته كما كان في حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت في المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش على أهلها العبادة ويشغل خاطرهم عما يتعلق به الارادة قال الدلجي وقد اتفق العلماء عليه بشهادة الحصر في حديث انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفي صحيح البخاري بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندي له صحبة كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتني بهذين فجئته بهما فقال من أنتما أو من أين أنتما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبي العهد من الايمان والاسلام وآدابهما أو لكونهما من الغرباء فأوجب مراعاة حالهما (وقال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد أن يعتمد) وفي نسخة صحيحة أن يتعمد أي يقصد

على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والأثر مشهور في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) في حديث رواه أبو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي (ان النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان اذا دخل المسجد) أي مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب في دخول كل مسجد (قال أعوذ بالله العظيم) أي التجئ في أموري كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى عظيم لا يخاف من التجأ اليه (وبوجهه الكريم) الوجه معروف فاذا أضيف الى الله تعالى فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة (وسلطانه القديم) سلطانه بمعنى قهره وغلبته والقديم صفة سلطان وذلك ثابت له في الازل والقدم (من الشيطان الرجيم) المطرود عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم (وقال مالك) بن أنس رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري والنسائي فيه (سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا) عاليا كالصياح (في المسجد) أي مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فدعا بصاحبه) أي أمر بمجيئه اليه فجيء له به وسقط هذا من بعض النسخ فالفاء في قوله (فقال ممن أنت) فصيحة أي من أي قبيلة وطائفة من الناس (قال من ثقيف) قبيلة من العرب مشهورة من هوازن (قال) عمر رضي الله عنه له (لو كنت من) أهل (هاتين القريتين) يعني مكة والمدينة (لأدبتك) كما في نسخة وفي أخرى لأوجعتك بالدرة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين وهي سوط عريض يضرب به وعلوتك بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على رأسه وأعالي بدنه يقال علاه بالدرة وجلده وقمعه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من أهل الحرمين وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع وآدابه ثم بين له وجهه وعلله بقوله (ان مسجدنا) يعني مسجد المدينة أو الاعم منه (لا يرفع فيه الصوت) فعلى الاول يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من طريق آخر مساجدنا وذهب كثير من الفقهاء الى ان رفع الصوت في المساجد مطلقا مكروه ولحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعذر وكلام عمر رضي الله عنه يدل على انه لو كان من أهل القريتين عذره لانه لا يعذر بجهله وأجيب بانه علم منه عدما كثر انه بحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو حرام يؤدي الى الكفر والعياذ بالله ه قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي أي عنده صلى الله عليه وسلم وهو في حياته كما تقدم الآن قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شيء فاعرفه ويستثنى من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرح به على ما يأتي (قال محمد بن مسلمة) بميمين مفتوحتين كما تقدم (لا ينبغي لأحد ان يعتمد

(المسجد) أي فيه (برفع الصوت ولا بشيء من الاذى) أي من دخوله فيه أو رميه من بصاق ونحوه (وان ينزهه عما يكره) أي من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله ولما يناسب هنالك (قال القاضي) يعني المصنف (حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد الازدي مولاهم البصري ثم البغدادي المالكي الحافظ صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه وأخذ علم الحديث وقاله عن ابن المديني روى عنه جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وله كتاب احكام القرآن لم يسبق الى مثله وكتاب معاني القرآن وكتاب القراآت واستوطن بغداد وولي قضاءها الى ان توفي وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائة جزء في الرد على محمد بن الحسن لم يتمه توفي اسمعيل فجاءة في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وروى النسائي في الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسمعيل القاضي عن ابن المديني والحاصل انه ذكر فيه (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) أقول لكن لا شبهة في تفاوت مراتب المساجد في هذا الحكم وغيره من المقاصد (قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) أي رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة أي يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) أي من جهة قراآتهم وعدد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) أي بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس ومما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع على انه نائب الفاعل (قد كره) بصيغة المفعول أي كره جماعة (رفع الصوت بالتلبية) أي مع كونها ذكرا وسنة (في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد مني) اقول هذا الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا في جميع المساجد لانه لا فرق في العلة المانعة منه في كل المساجد وفي نسخة ومسجدنا قال الانطاكي كذا وقع في النسخ التي وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد منى فقد قال السروجي في شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية في مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا في المسجد الحرام ومسجد منى قال وخالف الجماعة وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مسجد ذي الحليفة دبر صلاته وروو وا تلبيته صلى الله تعالى عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكي وفيه ان تلبيته في مسجد ذي الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية في المسجد الحرام وفي سائر المساجد التي في بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها في مساجد الامصار والحل لما روي

المسجد) أي يقصده وفي نسخة يتعمد (برفع الصوت) فيه فيقال عمده وأعتمده اذا قصده فان فعله لا عن عمد لجهل أو غيره جاز له ذلك (ولا بشيء من الاذى) هو كل مستقذر لان الطبع يتأذى به (وان ينزه) بالبناء للمجهول أي يبعد منه فيبعد هو (عما يكره) مجهول أيضا والمكروه المراد به أيضا المستقذرات ولا ينبغي يحتمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقهاء بمنع جعل النجاسة والمستقذرات في المساجد حتى النخامة والروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم الى غير ذلك مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتأليف الامام الزركشي فلا حاجة لذكره هنا الا لما نحن بصدده (قال القاضي) عياض هو المصنف رحمه الله تعالى (حكى ذلك) المذكور (كله القاضي اسمعيل) بن اسحق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في سائر الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من أقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالقضاء لاندرس ذكر المبرد ومات سنة اثنتين وثمانين ومائتين ببغداد فجاءة (في مبسوطه) اسم كتاب له كما تقدم (في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا تساوت في ذلك كان حكمها واحدا (قال القاضي اسمعيل) ابن اسحق المتقدم (قال محمد ابن مسلمة) المتقدم (يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم) أي يشوش عليهم والخلط مزج شيء بشيء من المائعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الآخر كالدقيق والشعير بالبر فالمراد ان اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءاتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط (وليس) أي كراهة رفع الصوت (مما يخص به المساجد) فثبتت كراهة (رفع الصوت) رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور وقبله (فيكره رفع الصوت بالتلبية) أي قول الحاج لبيك اللهم لبيك (في مساجد الجماعات) التي تجمع فيها صلاة الجمعة ونحوها (الا المسجد الحرام) يعني مسجد مكة (ومسجدنا) يعني

يعنى مسجد المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت فى التلبية مأمور به لحديث أفضل الحج العج والثج والعج رفع الصوت والثج اراقة الدماء ورفع الصوت مستحب لغير المرأة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه فيه غيره فجعله مستحبا فى جميع المساجد وانما كرهه مالك فى المساجد لانها محل الخشوع (وقال أبو هريرة) فى حديث رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (صلاة فى مسجدى هذا خير) أى أفضل واكثر ثوابا (من ألف صلاة فيما سواه) من جميع المساجد (الا المسجد الحرام) يعنى مسجد مكة المشرفة وسمى حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا (قال القاضى) أبو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله (اختلف) بالبناء للمجهول أى اختلف العلماء والفقهاء (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه مبنى (على اختلافهم فى المفاضلة) أى القول بأيهما أفضل من الآخر (بين مكة والمدينة فذهب) الامام (مالك فى رواية أشهب) بن عبد العزيز أبو عمرو القيسى المصرى تلميذ مالك فى مروياته (عنه) أى عن مالك (وقال) عبد الله (ابن نافع وصاحبه) أى صاحب امام مالك الذى يروى عنه (وجماعة أصحابه) أى أصحاب مالك (الى ان معنى الحديث) المذكور والاستثناء فيه لانه ان لم يكن خيرا من ألف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة فى المسجد الحرام أكثر ثوابا من الصلاة فى المسجد النبوى وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام بأقل من ألف وان الصلاة فى المسجد النبوى لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية أشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من أصحاب مالك عنه ووافقه الجمهور فى تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه (ان الصلاة فى مسجد الرسول) صلى الله تعالى عليه وسلم (أفضل من الصلاة فى سائر المساجد) أى باقيها (بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه) أى فى المسجد الحرام (بدون ألف) أى أقل منه وهو تأويل بعيد ومن استبعد من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت فى مسند أحمد عن عبد الله بن الزبير انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة فى مسجدى هذا وسيذكره المصنف رحمه الله تعالى قريبا وهو حديث حسن كما ذكره البيهقى كيف لا وقد مدحه الله تعالى وأمر بالحج اليه وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير أرض الله وأحب ارض الله الى الله ولولا انى اخرجت منك ما خرجت كما رواه الترمذى والنسائى وقال انه حديث حسن (واحتجوا) لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة (بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) أى غير المسجد الحرام لما علم مما

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه سمع رجلا يلبى فقال ان هذا لمجنون انما التلبية اذا برزت كذا فى الكافى وفى أحكام المساجد للشافعية تستحب التلبية فى المسجد الحرام وفى مسجد منى وابراهيم بعرفات وفى استحبابه فى سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا للالتباس انتهى وقد علم ما ذكرنا ان الخلاف فى رفع الصوت المشوش وأما مع الاخفاء فسهل اذا كان القائل مثلا فى مسجد نمرة أو مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه) أى فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة فى مسجدى هذا) أى مسجد المدينة وقال النووى المضاعفة فيه مختصة بما كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر أصحابه الكرام (خير من ألف صلاة فيما سواه الى المسجد الحرام قال القاضى) يعنى المصنف (اختلف الناس) أى العلماء فانهم هم الناس (فى معنى هذا الاستثناء) يعنى الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة أو النقصان أو الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجى أى مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها أو المعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (فى المفاضلة بين مكة والمدينة) أى كون أيهما أفضل فى حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله تعالى فى رواية أشهب) أى ابن عبد العزيز (عنه) أى عن مالك (وقال ابن نافع صاحبه) أى صاحب أشهب أو صاحب مالك (وجماعة أصحابه) كذا بالاضافة وفى نسخة وجماعة من أصحابه أى من أصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) أى مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه (ان الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعنى فالاستثناء لبيان النقص فى الجملة وسيأتى ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) أى فى مسند الحميدى (عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثنا فى مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم

(فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتى ماينافضه ويعارضه بماهو أصح فى هذا الباب مما روى عن عمر ابن الخطاب والله أعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) أقول بل تفضيل المدينة على مكة مبنى على هذا اذ سبب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والافلاشك ان مكة لكونها من الحرام المحترم اجماعا أفضل من نفس المدينة ماعدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ماقاله جماعة على انه لافضيلة فى العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة فى الحسنة بها بخلاف مكة وماحولها من الحرم المحترم والله تعالى أعلم والحاصل انه ان ثبت أفضلية مسجد المدينة يدل على أفضلية المجاورة بها الان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ماقدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه ان رواية الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك وأكثر المدنيين) أى علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين (وذهب أهل مكة والكوفة) ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعى وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائى وابن ماجه والترمذى حسنه وصححه عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض الله الى الله تعالى ولولا انى أخرجت منك ماخرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه أخذ الاشعرى مقالة أهل الحديث وله كتاب جليل فى علل الحديث ذكره الشيخ أبو اسحق فى طبقاته فقال أخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره فى الميزان وقال أحد الاثبات ماعلمت فيه جرحا أصلا وقال أبو الحسن بن القطان مختلف فيه فى الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعى) أى نصا فى هذا الباب (وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم) أى عن أبى هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) أى للزيادة (وان الصلاة فى المسجد الحرام أفضل) اى منها فى مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) أى لتفضيل مكة على المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) اى وزيد فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم ولو كان صحيحا والحديث هذا انما ثبت فى مسند أحمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا وقال النووى فى شرح مسلم هذا حديث حسن رواه احمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان فى صحيحه هذا وقال الدلجى فى قوله بمائة صلاة أسقط منه المضاف الى صلاة أى بمائة الف صلاة اذ قد ورد كذلك عند أحمد وابن ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى أبو هريرة صدره وعمر آخره

تقدم (فتأتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه) أى على المسجد الحرام (بتسعمائة وعلى غيره بالف) أى غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلفظ صلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه بمائة صلاة وقد روى من طرق (وهذا) أى ماذكره من ان الصلاة فى مسجد الرسول أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون الالف (مبنى على تفضيل المدينة على مكة على ماقدمناه) قريبا (وهو) أى تفضيلها عليها (قول عمر بن الخطاب ومالك) فى احدى الروايتين عنه (واكثر المدنيين) أى علمائها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مابين قبرى ومنبرى الخ ونحوه (وذهب أهل مكة و) علماء (الكوفة الى تفضيل مكه) على المدينة (وهو قول ابن وهب وعطاء وابن حبيب من أصحاب مالك) وفى رواية عنه (وحكاه الساجى) بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى الضبى البصرى (عن الشافعى) رضى الله عنه لانه من أئمة الشافعية توفى بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل فى علل الحديث وكتاب فى اختلاف الفقهاء وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة فى الميزان (وحملوا) أى المفضلون لمكة (الاستثناء فى الحديث المتقدم على ظاهره) من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه (وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل واحتجوا) لما قالوه (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الذى أخرجه أحمد وابن حبان (بمثل حديث أبى هريرة وفيه) أى فى حديث ابن الزبير (وصلاة فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة

وروى قتادة مثله) أى مثل حديث ابن الزبير فى أفضلية مكة (فى أنى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) الذى رواه ابن الزبير وقتادة (على الصلاة فى سائر المساجد مائة ألف) وفيما قاله شئ لانه كما قيل أسقط منه مضاف الى صلاة أى مائة ألف صلاة وهو كذا فى رواية أحمد وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى صدره أبو هريرة وعجزه عمر رفاعرفه (ولا خلاف) بين العلماء والمحدثين فى (ان موضع قبره) أى الموضع الذى قبره فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف (أفضل من) سائر (بقاع الارض) كلها بل هى أفضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكى رحمه الله تعالى لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافى فى القواعد للتفضيل أسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له أولما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله تعالى عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما فى الشفاء ان الافضل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال لاعمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضل وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة انتهى ووافقه السبكى رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما ❊ قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ❊ كالنفس حين زكت زكى مأواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامر غير العمل فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الامكنة لتجلى الله له بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة لا حاجة الى ماقيل انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا أفضلية فى ذاته فالفضل كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجى من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فى مذهبنا ليس بتوقف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفى لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن فى التربة التى خلق منها ❊ قلت وفى هذا فضل ضجيعيه وفخر كفى شرفا لهما حتى قال فى عوارف المعارف روى عن ابن عباس ان أصل طينته صلى الله تعالى عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما أجاب ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو أصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان أتى بطينته لمحل دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم ففى الحقيقة لم يدفن الا فى أصل الكعبة الذى خلق منها صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو قول ثقة ويؤيده ما جاء فى بعض الآثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم أربعمائة من اخبار بنى اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التى ضمت الجسد العظيم اذا كان أفضل من سائر البقاع يلزم ان يكون المدينة أفضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هى تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفى كلام شيخنا ابن قاسم ما يقتضى ما تقدر ان أفضل البقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسى انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا قبله لانها حينئذ ليس فيها الا انها جزء من الكعبة بمجرد فلا تزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعداده لدفنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على بقية الاجزاء قبل دفنه فيها أيضا وهل البقعة المذكورة أفضل من منزله عليه الصلاة والسلام فى الجنة أو منزله فيها أفضل

(وروى قتادة مثله) وفى نسخة روى عن قتادة أى مثل حديث ابن الزبير (فى أنى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) أى القول المحتج المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة فى سائر المساجد) أى ولو مسجد المدينة (بمائة ألف) قال الحجازى يروى بمائة وألف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة ألف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة أو المسجد الحرام أو المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) أى بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بقاع الارض) أى بشرف قدره وكرمه عند ربه

(قال القاضى أبو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (الذى يقتضيه الحديث) أى الوارد فى فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة والسلام بدليل حمل الاستثناء فى حديث أبى هريرة على ظاهره وحديث عمر رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) أى من الحديث المذكور (حكمها) أى حكم مكة (مع المدينة) فى أيتهما أفضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة فى مسجدها بالجماعة أفضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات ٥٣٢ الحرم بمائة ألف ان ثبت صريح فى ان نفس مكة أفضل من نفس المدينة ما عدا البقعة السكنية ومما يدل عليه أيضا ماتقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى صريح (وذهب الطحاوى) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور فى مذهب الحنفى (الى ان هذا التفضيل) أى فى المسجدين (انما هو فى صلاة الفرض) أى لان النافلة فى البيوت أفضل (وذهب مطرف) بضم ميم وكسر راء مشددة وهو اليسارى المدنى مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القارى وعنه البخارى وأبو ذرعة (من أصحابنا) أى المالكية (الى ان ذلك) أى التفضيل الوارد فى الصلاة فيهما (فى النافلة أيضا) أى منضمة الى الفريضة أخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله أيضا أصحاب الشافعى على مانقله الحلبى (قال) أى الطحاوى أو مطرف فى تفضيل الصلاة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) أو فى غيرهما مما سبق فى فضلهما كصيام (ورمضان خير من رمضان) أى كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) أى من البلاد والظاهر على غيرها (حديثا نحوه) أى نحو ماذكر قبله رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبرانى والضياء عن بلال بن الحارث المزنى وورد رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر

كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه أفضل مادام فيها فاذا صار فى الجنة صار منزله أفضل وقد يقال يجوز ان يكون هذه منقولة من منزله فى الجنة أو ينقل اليها فلها حكمة فليتأمل * واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الامكنة والازمنة متساويان لاتفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف لايتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له أسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال فى المدينة على أعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيها أعمال كثيرة ليست بغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهى تزيد بذلك فاذا قال مالك فى المدينة أيضا ماليس فى غيرها مجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه والخلاف لفظى فتدبر (قال القاضى أبو الوليد الباجى) بموحدة وقد تقدمت ترجمته (الذى يقتضيه الحديث) المتقدم الذى فى فضل مسجديهما (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة فى المسجدين (ولا يعلم منه) أى من الحديث الذى استدلوا به (حكمها) أى حكم مكة فى التفاضل (مع المدينة) أى بالقياس اليها بالتفاضل فايتهما أفضل وهو الذى ذكر الخلاف فيه بين مالك وغيره (وذهب الطحاوى) هو الامام أبو جعفر أحمد بن محمد الحنفى كما تقدم (الى ان هذا التفضيل) بالضاد المعجمة أى تضعيف أجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة أو المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المصنف فى الاصول والظاهر الاول (انما هو فى صلاة الفرض) وانه الذى يضاعف ثوابه وعممه بعضهم فى الفرض والنفل وهو المختار واليه أشار بقوله (وذهب مطرف) بضم الميم وفتح الطاء وكسر الراء المشددة المهملتين وفاء وهو أبو مصعب مطرف النيسابورى المدنى ابن أخت الامام مالك روى عنه البخارى وهو ممن حاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه فى الفقه توفى سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة (من أصحابنا) أى من المالكية وقيده به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصرى الزاهد توفى سنة خمس وتسعين كما فى الحلية لابى نعيم (الى ان ذلك) أى مضاعفة ثواب الصلاة (فى النافلة أيضا) أى كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعى اذ لاداعى للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما أشار اليه بقوله (قال) أى مطرف وقيل الضمير للطحاوى (وجمعة خير من جمعة) أى ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة فى غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول أولى لقوله (ورمضان) فيه (خير من رمضان) فى غيره وهو منون مصروف لتنكيره (وقد ذكر عبد الرزاق) بن همام المحدث الحافظ كما تقدم (تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) من البلاد (حديثا نحوه) أى مثل الحديث المذكور فى فضل الصلاة وهو مارواه الطبرانى وغيره عن بلال انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صيام شهر رمضان فى المدينة

(وقال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) رواه أحمد والشيخان والنسائي عن عبد الله بن زيد المازني والترمذي عن أبي هريرة (ومثله) أي مثل هذا اللفظ (عن أبي هريرة وأبي سعيد) أي في الموطأ (وزادا) وفي نسخة صحيحة زاد أي أبو سعيد الخدري (ومنبري على حوضي) أي حقيقة أو مجازا كما سيأتي (وفي حديث آخر) وقد سبق مخرجه (منبري على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبري) الظاهر انه محمد بن جرير (فيه) أي في الحديث الاول (معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه) أي مع عائشة في مبيته ومثواه (على الظاهر) أي المتبادر من المعنى اللغوي للبيت (مع انه روي ما بينه) أي هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتي ومنبري والثاني) أي ثانيهما (ان البيت هنا القبر) أي باعتبار مآله (وهو قول زيد ابن أسلم في هذا الحديث كما روي) أي في بعض الروايات (بين قبري ومنبري قال الطبري) أي جمعا بين الروايات (واذا كان قبره في بيته) أي في آخر أمره (واتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف) في مباني الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام في حجرته وهو) أي حجرته (وذكره لتذكير خبره وهو بيته وقوله) أي في الحديث الآخر (ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه) منبره أي موضعه (بعينه الذي كان موضعه في الدنيا وهو اظهر) أي من غيره من الاقوال وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى أرض الآخرة فيقع من بقع أرض الحوض فيها (والثاني أن يكون له هنالك منبر) أي عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور) عنده الملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة (من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما انه) أي أيضا (موجب لذلك) أي لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه) أي فيما بين بيته ومنبره (يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه أن يقول كما روي فانه حديث رواه الحاكم في مستدركه عن أبي موسى وفي معناه الجنة تحت أقدام الامهات رواه القضاعي والخطيب في الجامع عن أنس رضي الله تعالى عنه

كصيام ألف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث رواه الشيخان (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة) تقدم الكلام عليه وان الروضة أرض في مكان مطمئن ذات أشجار ومياه (ومثله) في معناه ولفظه (عن أبي هريرة وأبو سعيد) الخدري (وزاد) فيه أبو سعيد كما في الموطأ (ومنبري على حوضي) قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ يورث الري من العطش في هول القيامة (وفي حديث آخر) تقدم (منبري على ترعة من ترع الجنة) تقدم بيانه وهو تمثيل أيضا وتقدم تفسير الترعة (قال الطبري) محمد بن جرير لا الكبا كما قيل (فيه معنيان) أي وجهان واحتمالان (أحدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) الذي كان يسكنه وهذا مبني (على الظاهر) المتبادر من لفظه (مع انه ورد) في بعض الروايات (ما بينه) ويعين المراد منه وهو (ما بين حجرتي ومنبري) لان الحجرة بضم الحاء محل السكنى على وجه الارض وقد فسرت بالغرفة فلم يبق الا احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة (والثاني ان البيت هنا) أي في الحديث المذكور المراد به (القبر) فانه يطلق عليه بيت مجازا لان معناه ما يبيت فيه الحي وقربه هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره (وهو قول زيد بن أسلم) الفقيه العمري كما تقدم (في هذا الحديث) وفسره به (كما روي ما بين قبري ومنبري) فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما (قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف) بحسب المعنى (لان قبره في حجرته وهو بيته) واخباره صلى الله عليه وسلم به قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم (وقوله) في هذا الحديث (ومنبري على حوضي) في تفسيره أقوال منها ما (قيل) انه (يحتمل انه منبره) المعروف (بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر) لتبادره من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان يخطب عنده يغرس في الجنة كما روي يأتي (و) القول (الثاني ان يكون له هنالك) أي في الحشر عند الحوض (منبر) آخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى الله عليه وسلم فيقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته (و) القول (الثالث) انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر السبب وارادة المسبب فالمراد (ان قصد منبره والحضور عنده) في الدنيا (لملازمة الاعمال الصالحة) متعلق بقصد أو حضور أو هو علة مقدمة لقوله (يورد الحوض ويوجب الشرب منه) لاعماله الصالحة في الدنيا (قاله الباجي) تقدم بيانه (وقوله) في الحديث (روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين) وتفسيرين (أحدهما انه موجب لذلك) أي مقتضى له اقتضاء محققا فكأنه موجب له أي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا (وان الدعاء والصلاة فيه) أي فيما بين المنبر والقبر (يستحق) صاحبها (ذلك من الثواب) بيان لذلك أو تعليل له ففيه تجوز (كما قيل) في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة (الجنة تحت ظلال السيوف) كناية عن دنو المجاهدين من الجنة حتى كأنه اذا رفع سيفه للضرب به أو

(والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى ابن عمر) أى كما
رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المدينة) أى فى فضلها (لا يصبر على لأوائها)
بفتح اللام وسكون الهمزة والمد أى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) أى وشدة بلائها (أحد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد أى أشهد له بما أعلم من صبره عليها (أوشفيعا) مبالغة شافع أى وأشفع له (يوم القيامة) وأو هنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبى عبيدة وهى تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فاو هنا بمعنى الواو أو للتقسيم كما صرح به النووى فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم أو شهيدا لمطيعهم شفيعا لمذنبهم أو شهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم أو على أصفياء هذه الامة وزائدة على شفاعته الكبرى للخلق أجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء أى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة والسلام له شهادات متكاثرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه

علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة تحت ذلك الظل أو ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سبب الدخول من أظلته الجنة وهذا مراد القاضى هنا (والثانى) من معانيه المحتملة (ان تلك البقعة) من بقاع المسجد التى بين القبر والمنبر (قد ينقلها الله) من الدنيا الى الآخرة (فتكون فى الجنة بعينها) فهو على حقيقته (قاله الداودى) هو أحمد بن نصر شارح البخارى وهو أبو جعفر الاسدى اليشكرى التلمسانى توفى بتلمسان سنة أربعين وأربعمائة وتلمسان بكسر التاء واللام ويقال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفى نسخة الماوردى وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الى آخره انه كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها لاسيما فى عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدى الى الجنة أو هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للآخرة قال ابن حجر والوجوه الثلاثة على ترتيبها فى القوة فالوجه الاخير أضعفها وقال بعضهم انه قواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر الهيتمى والاظهر الجمع بين المعنيين يعنى انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة فى غيره وان الجذع الذى كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس فى الجنة فهذا يقتضى ان البقعة تنقل اليها أيضا ولا يخفى ما بين أول كلامه وآخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان عن عبد الله بن أبى أوفى وأوله انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام فى الناس خطيبا فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفى النهاية انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفيء بمعنى وقد يقال الظل لما قبل الزوال والفيء لما بعده كما فصله أهل اللغة وقلت فى قطعة

قلت له لما دنا طرفه * بناظر أهدى الينا الحتوف
أو جنة من تحت أهدابه * أم جنة تحت ظلال السيوف

(وروى ابن عمر) فى حديث رواه مسلم (وجماعة من الصحابة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى) حق (المدينة) والساكنين بها انه (لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها مد (وشدتها) عطف تفسير لان اللأواء هى الشدة والمشقة والضيق وجاءت بمعنى القحط ورجح الاخير ليكون تأسيسا (أحد) فاعل يصبر (الا كنت) عبر بالماضى لتحققه أى أكون (له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة) قال المصنف رحمه الله تعالى والنووى أو هنا ليست للشك من الراوى لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله تعالى عليه وسلم قاله هكذا فاو للتقسيم أى شهيدا لبعض وشفيعا لبعض أو شهيدا للمطيعين أو لمن مات فى حياته وشفيعا للعاصين أو لمن مات بعده وشهادته بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم أو تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغى ان تكون هذه خصوصية زائدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال الله تعالى (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) واو بمعنى الواو فيه وقال بعضهم انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا انها شفاعة خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم فى جواره دنيا وآخرة وفى الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعى حقوقهما المضاعفة الاعمال ثمة (وقال) صلى الله عليه وسلم فى حديث

(ويمن تحمل) أى رفع حمله وأمتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان ابن أبى زهير والمعنى لو علموا وأخبروا بها لما فارقوها أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا وأخبروا بها واصبروا على بليتها (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبنى من الطين أو هو الزق الذى ينفخ به النار والمبنى الكور وقاله ابن الاثير (تنفى) أى المدينة (خبثها) بفتحتين أو بضم فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملة أى ويخاص وقيل يبقى ويذر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة أو بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روى تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلاة والسلام على وجه التمثيل لحمل المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والغلاء كمثل الكير يتميز به الخبيث من الطيب فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب أزكى ما كان واخلص وقد روى فى سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابى حمى بالمدينة فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد أقلنى بيعتى فابى ثم جاء فقال اقلنى بيعتى فابى فخرج الاعرابى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) اى فى حديث آخر رواه مسلم عن جابر (لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها) أى للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا أبدلها الله تعالى خيرا منه) أى راغبا فى سكناها صابرا على بلواها

رواه الشيخان (ويمن تحمل عن المدينة) أى رحل عنها وفارقها واختار السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته معها فكنى به عما ذكر وفى نسخة يحتمل وهما بمعنى (والمدينة خير لهم) من غيرها من البلاد (لو كانوا يعلمون) وفيه ايجاز أى لو كانوا يعلمون فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شئ والمعنى لو كانوا من ذوى العلم والادراك وهو أبلغ فى أداء المراد ولو شرطية أو للتمنى أى ليتهم علموا ذلك وهو حديث طويل معناه انه سيفتح بلاد اليمن والشام ويأتى منها قوم يسوقون اباهم ودوابهم ثم يترحلون عن المدينة وهى خير لهم والحديث فى البخارى وشرحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات لانها افتتحت فى عهد الخلفاء واختاروا سكناها (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة للحداد معروفة ينفخ بها النار لايقادها على الحديد والكور البناء من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفى النهاية الكير الضين الذى يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والحصر فيه اضافى وفى الصحاح خلافه ووجه الشبه انها (تنفى خبثها) بفتحتين وآخره مثلثة نصب على المفعولية أى تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفى الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدأ والاجزاء التى ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر وتبقى خالصة فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فيها ولا يترك فيها من فى قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه (وينصع طيبها) بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروى طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة أى يخاص ويبقى خالصا فيها ما طاب كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفاء البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروى تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله فان النصوع لا يعرف والمعروف فيه يضوع بضاد معجمة وواو مشددة واغرب فى الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من أبضع التاجر اعطى البضاعة أى تعطى طيبها من يسكنها وتبعه فى النهاية وقال الصاغانى انه خالف فيه جميع الرواة وكأنه تصحيف وروى ينضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات مختلفة أصحها بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم الاظهر ان هذا يختص بزمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب كما وقع للاعرابى الذى أصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقلنى فقال هذا الحديث فى حقه وقال النووى ليس هذا أظهر لما فى صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها يعنى فى زمن الدجال والمدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل ان يكون هذا فى أزمنة متفرقة انتهى وقلت ان أراد

المصنف انه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة الاعرابى لا يرد عليه ماقاله النووى (وروى عنه) وفى نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما فى مسلم روايةعن جابر (لايخرج أحد من المدينة رغبة عنها) من غير داع له ولا ضرورة (الا أبدلها الله خيرا منه) يقال رغب عنه اذا كرهه فالمنهى عنه ذلك فلا ينافى ان بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وأبى موسى الاشعرى أو هو مخصوص بزمنه اذا كانت الهجرة لها واجبة (وروى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فى حديث رواه البيهقى والدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها باسناد ضعيف (من مات فى أحد الحرمين) حرم مكة والمدينة (حاجا أو معتمرا) أى قاصدا الاحرام بحج أو عمرة وهو حال من الفاعل (بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب) وانما فسرناه بقاصد الذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن أحرم من دويرة أهله أو لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات أفضل عند بعضهم وقيل انه بتقدير أو زائرا او اكتفى بها لاحد الحرمين بعلم مالغيره وهو متجه أيضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة أو مأوله بمبشر ونحوه (وفى طريق آخر) فى هذا الحديث للبيهقى والطبرانى (بعث) أى أحيى بعد موته (من الآمنين يوم القيامة) أى آمنا من مناقشة الحساب والعذاب (وعن ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما فى حديث رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذى وصححه (من استطاع ان يموت بالمدينة) أى يقيم بها حتى يموت لان الموت ليس بقدرته واختياره (فليمت بها) أى فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والامر للاستحباب (فانى أشفع لمن يموت بها) شفاعة خاصة كما لانه فى جواره وحمايته وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى بالجار وروى فانها تشفع على الاسناد المجازى فان قيل قد جاء مايعارض هذا وهو مارواه النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ياليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يارسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يشق له من مولده الى منقطع أثره فى الجنة وذكره ابن طاهر فى الصفوة وبوب عليه ايثارهم الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص بمن لم يولد فى المدينة وقد أحسن المصنف بختم مايتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين لذكره بعده مايتعلق بمكة كما أشار اليه فى الترجمة وقوله (قال تعالى ان أول بيت وضع للناس الى قوله آمنا) شروع فى بيان فضل مكة ووضعه للناس جعله معبدا وقبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردى عن الزهرى وزيد بن أسلم وبكة من بكه اذا دقه وهى تدق

(وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى سنن البيهقى والدارقطنى عن عائشة بسند ضعيف (من مات فى أحد الحرمين حاجا أو معتمرا) أى قاصدا لاحدهما وهو أعم من قول الدلجى حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق آخر) للبيهقى فى الشعب عن عمر والطبرانى عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفى الجامع الكبير من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبرانى والبيهقى وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) أى مرفوعا رواه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومه لها واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا لمسبب على سببه كما فى قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (فانى أشفع لمن يموت بها) أى قبل ان أشفع لمن مات فى غيرها قال التلمسانى وروى فانها تشفع وقد أجمعوا ان الموت بالمدينة أفضل مما عداها وقد ورد عن عمر رضى الله تعالى عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك وقد استجاب الله تعالى دعاءه وجمع له بين ماتمناه (وقال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس) أى جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه فيها ويستقبلون ويتوجهون فى عباداتهم اليها (للذى ببكة) وهى لغة فى مكة من بكه اذا دقه لانها تدق أعناق الجبابرة أو لان الناس يزاحم بعضهم بعضا فى الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة

أعناق

(الى قوله آمنا) بتمامه (مباركا) أى كثير النفع خصوصا لمن حجه أو اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) أى مرشدا لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه آيات بينات) أى علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شانه (مقام ابراهيم) أى منها مكان قيامه وأثر قدم من أقدامه فى حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة فى البناء أو حين اذن بالنداء (ومن دخله) أى البيت أو حرمه (كان آمنا) من التعرض فى الدنيا ومن العذاب فى العقبى وأما ماتوهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح فى المرام لانه لا يتصور الدخول فى حقيقة المقام والمعنى حوله من حوادث الايام

(قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه امر أي آمنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفي نسخة بل كان (يامن من الطلب) أي طلب النار (من أحدث حدثا) أي جنى جناية من قتل نفس أوقطع جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمزة أي التجأ وعاذ وأما قول التلمساني وروى أولجا بالتنويع فلا يصح مقام التفريع (اليه في الجاهلية) وكذا في الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه مادام في الحرم المحترم الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه واعل عادة الجاهلية كانت على الاطلاق وأما في الاسلام فمن أحدث حدثا في الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها ويقتص منه بالاتفاق (وهذا) أي قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وماحولها من أرض الحرم (مثابة للناس) أي مرجعا لهم أومكان ثواب لهم (وآمنا على قول بعضهم) أي العلماء الحنفية على

(٦٨ شفا ث) ماقدمناعنهم أومعناه يأمن من حجه أواعتمره أودخله من عذاب الآخرة أوموضع أمن لا يتعرض لاهله كقوله سبحانه وتعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكى ان قوما أتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحمدون ولكنهما وقعا غير مصروفين في كتب الحديث من الاصول المعتمدة (الخولاني) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو فنون قبل ياء النسبة (بالمنستير) بضم ميم وفتح نون ويكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان

اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء أوهو واشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود وسليمان عليهم السلام وبينهما زمان أطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة وأجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وانما عمره كما بيناه في حواشي البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكلفت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه (قال بعض المفسرين) في هذه الآية معنى قوله ومن دخله كان (آمنا) أمنه (من النار) وعذابها في الآخرة اذا دخله مؤمنا به وورد انه يدخل الجنة بغير حساب (وقيل) المراد بالامن أمنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول (كان يامن من الطلب من أحدث حدثا) أي فعل أمرا يستحق به العقوبة كالقتل (ولجأ) بالهمزة بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه (اليه) أي المسجد الحرام بدخوله فيه هاربا (في الجاهلية) هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم سمى به لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا جنى جناية ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج وقال أبو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر للخروج منه وغيره يقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا واليه أشار المصنف بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجىء الاسلام (وهذا) أي قوله من دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) أي الكعبة وحرمها (مثابة للناس) أي ملجأ أو مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بحرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لانه يأباه سياق المصنف لقوله (وأمنا في قول بعضهم) اشارة الى ان في الآية أقوالا أخر منها انه محل الثواب (وحكى ان قوما أتوا سعدون الخولاني) بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه أبو بكر بن أحمد بن مالك وهو من أهل القيروان وعظماء علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح انه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف غفلة منه (بالمنستير) الباء بمعنى في والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهذا لفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق لينزل فيها ابناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والياء وهذا مما اشتهر فيه عندهم فقوله في القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بافريقية أهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فهو خطأ وان قال عرب وغير كان عليه أن ينبه عليه وقال التلمساني انه بضم الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه اقتصر الشمني وهي

(فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف فوقية قبيلة من البربر (فقتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة أي أشعلوا وأوقدوا (عليه النار
طول الليل فلم تعمل) أي لم تؤثر (فيه) أي شيأ كما في نسخة (وبقي) أي الرجل (أبيض اللون) أي زيادة على ما كان عليه أو تبدل
سواده بياضا وهو الاظهر وفي نسخة أبيض البدن (فقال) أي سعدون (لعله) أي المقتول (حج ثلاث حجج) أي مقبولة وهي بكسر
الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء أو كسرها (قالوا نعم) أي حج ثلاث حجج (قال حدثت أن من حج
حجة) أي واحدة (أدى فرضه) أي ان قام بشرائطه وأركانه (ومن حج ثانية داين ربه) أي أقرضه قرضا حسنا وفي أصل الدلجي دان ربه أي أطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما في نسخة من زيادة فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) أي ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) أي في الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى الكعبة) أي يوم الفتح أو وقت هجرته الى المدينة أو في حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير أي سهلا وفضلا (من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك) أي قدرا رواه الطبراني في الاوسط عن جابر (وفي الحديث عنه
عليه الصلاة والسلام مامن أحد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود (الا
وفي الترمذي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال
الترمذي حسن صحيح وقال المحب الطبري وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا أهل الشرك والكفران
ولا يبيضه توحيد أهل المعرفة والايمان وأجيب بان بقاءه أسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا أثرت في الحجر فتأثيرها في
القلوب أعظم وأكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع
منذ أهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلثمائة بعير والله تعالى أعلم

بلدة بساحل البحر أو حصن رباط بافريقية له سور بناه هرثمة بن أعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة
تسع وسبعين ومائة وهو الذي بني سور طرابلس الغرب (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفتح المثناة
الفوقية وألف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر وأصلهم فيما قيل من حمير (فقتلوا رجلا واضرموا عليه
النار) أي أوقدوها وقودا شديدا (طول الليل) منصوب على الظرفية والطول بضم الطاء المهملة مصدر
طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه ان الطول أبعد
الامتدادين فما شغله شغل غيره بالطريق الاولى وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من أحب والبين قد جد ۞ وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ۞ قلت أبكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض (فلم تعمل فيه) هو مجاز بمعنى لم تؤثر
فيه (وبقي أبيض اللون) لم يتغير لونه ولو حرق أسود لونه وفي نسخة أبيض البدن (فقال لعله) أي الرجل
المقتول والفاء فصيحة أي وسئل عن وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا
(حج ثلاث حجج) بكسر الحاء بمعنى حجة وهي المرة من الحج (قالوا نعم) أي الامر كذلك (قال حدثت)
بالبناء للمجهول أي روى لي من سمعت منه الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان من حج حجة)
أي مرة (أدى فرضه) لانه فرض على كل أحد أن يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
الآية (ومن حج ثانية) بعد أداء الفرض (دان ربه) أي أقرضه كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا والدين والقرض دفع شئ الى غيره ليرد مثله أو بدله قال الراغب قال أبو عبيدة يقال دنته اذا
أقرضته فهو دائن وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كأنه أعطاه لله قرضا يرد
عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر دان هنا بمعنى أطاع وعبد لم يصب وفي نسخة
داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم
(ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره) أي ظاهر جلده وبدنه (على النار) أي لم يعذبه ولم يدخله
نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة وأصل
معناه اليوم الذي قبل يومك فعبر به ايماء لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه (ولما نظر رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) لما هاجر أو في حجة الوداع أو يوم الفتح كما رواه الطبراني
في الاوسط عن جابر رضي الله تعالى عنه (قال مرحبا بك) بفتح الكاف وكسرها أصله دعاء للقادم
بالرحب والسعة أريد به هنا اظهار محبته لها والقرب منها (من بيت) بيان للمدعو له (ما أعظمك)
عند الله وعند الخلق (وأعظم حرمتك) أي احترامك وشرفك وهو تعجب أريد به المبالغة
في عظمته وتعظيمه (وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن أحد يدعو الله
تعالى عند الركن الاسود) المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف

(الا استجاب الله له) دعاءه أى قبله وأعطاه ما دعا به أو خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة كان أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وأبقى سواده ليكون عبرة والكلام عليه مبسوط فى تاريخ مكة (وكذلك) يستجاب الدعاء (عند الميزاب) والملتزم والصفا والمروة وغيرها من المواطن التى جاء فى الحديث الصحيح استجابة الدعاء عندها والميزاب هو المسمى الآن ميزاب الرحمة وهو مسيل ماء السطح وهو معروف من جانب الحجر وفى كتاب العال لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يزب انتهى ووزب بمعنى سال ويقال انه فارسى معرب معناه بل الماء واطال التلمسانى هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله (وعنه) أى روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى هو الحسن البصرى فى رسالته الى أهل مكة (من صلى خلف المقام) أى مقام ابراهيم الخليل المعروف الذى قام عليه لما بنى الكعبة (ركعتين) نافلة (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) من العذاب وهول الحشر والمغفور الصغائر والكبائر وقيل الصغائر فقط والمقام معروف فى موضعه الذى كان فيه قديما وتفصيله فى تاريخ مكة (قرأت على القاضى الحافظ أبو على) هو ابن سكرة وقد تقدم (قلت حدثك أبو العباس العذرى) قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه (قال حدثنا أبو أسامة محمد ابن أحمد الهروى) قال (حدثنا الحسن بن رشيق) عبد الغنى بن سعيد العسكرى الحافظ العالى السند وترجمته فى الميزان بطولها (سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد) فى الميزان محمد بن الحسن بن على ابن راشد الانصارى وفيه كلام (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس) ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعى رضى الله تعالى عنه فان كنيته أبو عبد الله لا أبو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمرو وهو من اهل مكة (سمعت الحميدى) بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشى الاسدى المكى صاحب الشافعى ورفيقه فى رحلته لمصر وهو شيخ البخارى وهو لاهل الحجاز كأحمد ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من أسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهى قبيلة توفى سنة تسع عشرة أو عشرين ومائتين (قال سمعت سفين بن عيينة) تقدم بيانه (قال سمعت عمرو ابن دينار) تقدم ترجمته (قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ فى هذا الملتزم) بزنة اسم المفعول من التزمه اذا أمسكه سمى به لالتصاق الناس فى الدعاء

(الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا انا قد روينا فى رسالة الحسن البصرى الى أهل مكة ان الدعاء يستجاب فى حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذى يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصرى وسمعت ان عثمان بن عفان أقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألونى من أين جئت قالوا من أين جئت يا أمير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضى الله تعالى عنه تحت الميزاب يدعو لله تعالى وذكر الازرقى فى تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمى وابن النجار ولفظهما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوى لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لاسيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنام وشبهه مما لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفى فى مختصره وقال فيه انه باطل لا اصل له والله أعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضى أبو الفضل) يعنى المصنف (قرأت على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفى نسخة حدثنا (أبو العباس العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) أى حدثنا (أبو أسامة محمد ابن أحمد بن محمد الهروى) بفتح الهاء والراء منسوب لى هراة بكسر أولها مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وهو العسكرى مصرى مشهور عالى السند لين الحفظ وثقه جماعة وأنكر عليه الدارقطنى انه كان يصلح فى أصله ويغيره (سمعت أبا الحسن وفى نسخة أبا الحسين محمد ابن الحسن بن راشد) أى الانصارى روى عن وراق الحميدى (سمعت أبا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى) بالتصغير وهو القرشى المكى الفقيه الامام أحد الاعلام وهو من أصحاب الشافعى مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو أول رجل أخرج له البخارى فى صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشئ فى هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاى وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقى ذرعه أربعة أذرع سمى بذلك لان الناس يلتزمونه فى الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو

(الاأستجيب له قال ابن عباس وأنافـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ) ويروى مذ هنا ومابعده (سمعت هذا من رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسـلم الاأستجيب لى وقال عمـرو بن دينار) أى الراوى عن ابن عباس (وانافـادعوت الله تعالى بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الاأستجيب لى وقال سـفيان) أى ابن عيينـة الراوى عن عمـرو بن دينار (وأنافـادعوت الله تعالى بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) ابن دينار (الاأستجيب لى وقال الحميدى) وهو الراوى عن ابن عيينة (وأنافـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) أى ابن عيينة (الاأستجيب لى وقال محمد بن ادريس) يعنى الراوى عن الحميدى (وأنافـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الاأستجيب لى وقال أبو الحسـن) وفى نسخة أبو الحسـين (محمد ابن الحسن) وهو الراوى عن ابن ادريس (وأنافـادعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمـد بن ادريس الا أسـتجيب لى قال أبو اسامة وماأذكر الحسـن ابن رشيق) يعنى شيخه (قال فيه شـيأ) أى مثل ماسبق عن بقية مشايـخ السلسلة وعلى هـذا فالمسلسـل هنا منقطع (وأنا فـادعـوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هـذا من الحسـن بن رشـيق الا أسـتجيب لى من أمر الدنيا) أى ممـاطلبتـه (وأناأرجوان يستجاب لى من أمر الآخرة) أى ممادعوته (قال العذرى) أى الراوى عن أبى اسامة (وأنافادعوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمت هذا من أبى اسامة الا أستجيب لى قال أبو على) وهو تلميذ العذرى وشيخ المصـنف (وأنا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة أستجيب لى بعضها وأناأرجو من (ذكرنا

سـعة فضـله) بكسر السـين وفتحها أى واسع كرمه (ان يستجيب لى بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصـلة وندر ان تكون صحيحة هـذا وقد ذكر شيـخ مشايخنا أبو الخـير محمـد بن الجزرى فى الحصن الحصين أنافدروينا فى استجابة الدعاء فى الملتزم حديثا مسلسـلا من طريق أهل مكة كذا ذكره مجملا من غير أن يبينه مفصـلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق أبى الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لايسـئل الله تعالى أحد فيه شـيأ الاأعطاه قال أبو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لى (قال القاضى أبو الفضل) لعله يعنى المصنف نفسه

عنده وهو مابين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشـبار وأربعـة أزرع وتسميته بهـذا وردت فى الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشـددة وهو أحد المواضـع التى ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب كذلك (الا استجيب له قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهـما (وانافـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا) الحديث (من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى) الى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفاء فى قوله فـادعوت الله الخ اما زائدة بناء على انه يجوز زيادتها فى الخبر مطلقا والمشهور زيادتها فى الخبر اذا تضمن المبتدأ معنى الشرط نحو ومابكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر أمرا أونهيا كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * واما عاطفـة على مقـدر تقديره وأنا جربت ذلك فمادعوت الخ واما جواب شرط مقـدر أى ان سالت عمـا عنـدى فيـه فما الى آخره وقوله منـذ فى الجميـع روى مذ بدون نون ومنذ بضم أوله وكسره معناه أشهر من أن يذكر (وقال عمرو بن دينار) الراوى عن ابن عباس (وأنافـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان) المتقـدم ذكره (وأنافـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) بن دينار (الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس) المكى بابى بكر (وانافـادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال أبو الحسن محمد ابن الحسن وانافمادعوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمـد بن ادريس) المتقـدم (الا استجيب لى) وهذا الحـديث مسلسل بالسماع رواه البيهقى وسـعيد بن منصـور وغيرهما من طرق بينوها (قال أبو اسامة وماأذكر الحسن بن رشيق قال فيه شـيأ) أى لم يحفظ عنه انه قال كغيره وانافما دعوت الله بشئ الا استجيب لى والتسلسل قد يقطع بعض منه فى أوله وآخره أووسطه فلايضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع فى الواقع والاحاديث المسلسلة صحتها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل فى مصطلح الحديث (وانافمادعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من أمر الدنيا وأناأرجو أن يستجاب لى من أمر الآخرة قال العـذرى وانافمادعـوت الله بشئ فى هـذا الملتزم منـذ سمعت هـذا من أبى اسامة الا اسـتجيب لى قال أبو على وانا فقد دعوت الله فيـه باشـياء كثـيرة اسـتجيب لى بعضـها وأرجو من سـعة فضـله أن يسـتجيب لى بقيتهـا) أى أرجو ذلك لزيادة كرمه وسـعة بفتح السـين وكسرها بمعـنى الوسـع (قال القـاضى أبو الفضـل) عيـاض مصـنف هـذا الـكتاب رحمـه الله تعـالى

(ذكرنا نبذا) بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة أي شيئا قليلا وأصله معناه الطرح والرمى كأنه لقلته مما يطرح ويجوز ضم أوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما (من هذه النكت) جمع نكتة وتقدم بيانها (في هذا الفصل) الذي نحن فيه (وان لم يكن من الباب) أي من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسليمه فذكر فضائل مكة وحرمها البيت منه بل من موضع كتابه (لتعلقها) أي مناسبتها (بالفصل الذي قبل) من ذكر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق به (حرصا على تمام الفائدة) بافادة أمور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر (والله الموفق للصواب برحمته) أي بفضله وانعامه لا بكدنا وكدنا

(القسم الثالث) * من هذا الكتاب (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) المراد به الوجوب الشرعي أو العقلي لقوله (وما يستحيل في حقه) أي يعد كالمحال عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم أو عادة واصل معنى الاستحالة التغير من حالة الى أخرى ومنه استحال الخمر خلا (أو يجوز عليه) مما لا يخل بشريف مقامه (وما يمتنع) في حقه شرعا وعادة وعقلا (أو يصح) وصفه به واطلاقه عليه كما سيأتي (من الاحوال البشرية) أي التي تطرأ عليه باعتباراته وهو بيان لما (ان يضاف اليه) أي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما سيأتي اجمالا فقال (قال الله تعالى) في حقه صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل الآية) فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر افراد أي ليس بمخلد حتى يستبعد موته أو قتله وهذا كما وقع بأحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما تصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وتلا هذه الآية كما والقصة مشهورة وقوله أفان الى آخره انكار وتوبيخ لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين (وقال الله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية) أي ليس المسيح الا رسول كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى وأمه صديقة أي صادقة في أقوالها وأفعالها أو مصدقة للرسل وهذا غاية أمرهما دون ما يزعمون فيه ولذا أتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية من الأكل ونحوه ولذا قال الله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم (وقال قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي الآية) فلا يزيد على البشر الا

(ذكرنا) وفي نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة وذال معجمة أي قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهي النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والفوائد المنيفة (في هذا الفصل) أي عظيم الفضل (وان لم تكن) أي النبذ والنكت (من الباب) أي باعتبار الاصل وانما ذكرناها في اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة) أي غاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه * (القسم الثالث) * (فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يثبت له ولا بد له من وقوعه (وما يستحيل في حقه وما يمتنع) مع امكان وجوده (أو يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال تعالى وما محمد الا رسول) أي من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) أي مضوا وانقرضوا أو بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستمر دينهم في أممهم وسيخلو محمد كمن قبله (أفان مات) أي محمد (أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخي منصبة على الانقلاب وفي الآية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الآية (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) وانما يضر نفسه حيث يجحد ربه (وسيجزي الله الشاكرين) أي الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كأنس بن النضر عم أنس بن مالك فانه لما قيل له في أحد الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قد قتل فان ربه حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) أي الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) أي لا الوهية لهما لا نبوة وانما هي كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافي الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويتغوطان فهما محتاجان الى أكله أولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما أرسلنا قبلك) أي أحدا (من المرسلين الا انهم) أي انهم (ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما أنا بشر مثلكم) أي لا أدعي اني ملك وانما تميزت عنكم باني (يوحى الي انما الهكم اله واحد

فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أي وباقيهم عليهم السلام (من البشر) أي من جنس بني آدم وهو أبو البشر وسموا بشر الظهور رجلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) أي من نوعهم (ولولا ذلك) أي التناسب بان كان أرسل اليهم الملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أي لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من أصولها على جناحه ثم قلبها أي جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وأرى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة فالقاه على أقصى جبل بالهند (والقبول) أي ولما أطاقوا قبول الاحكام وأخذ الاسلام (عنهم) أي في تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازي ويروى عليهم أقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) أي ولما أطاقوا حال مكالمتهم لهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) أي في جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) أي الرسول الذي اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) أي لارسلناه في صورة رجل وهذا معنى قوله (أي لما كان الا في صورة البشر الذي) أفرد نظرا الى لفظ البشر وفي نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام في صورة دحية وغيره وفي نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) أي جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) أي وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل في صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي ولو جعلناه في صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم فانهم اذا رأوه في صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) أي الله تعالى لنبيه (قل) أي جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا وانكارا منهم ان يرسل الله بشرا واقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين) أي ظاهرين كما يمشي بنوا آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) أي لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (أو لمن خصه الله تعالى واصطفاه) أي بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) أي مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب في الفرق بين النبي والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب أو شريعة مجددة والنبي بخلافه (فالانبياء

بما خصه الله من الوحي والرسالة والتوحيد فهذا تميز عنهم ولذا قال (فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء) أي باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم (من البشر) أي من جنسهم تميزوا عنهم بانهم (ارسلوا الى البشر) لتبليغ ما أمرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير (ولولا ذلك) أي كونهم من جنس البشر بان كانوا ملائكة (لما أطاق الناس مقاومتهم) أي مقابلتهم في الامور الدنيوية لقدرة الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم (والقبول عنهم) أي ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به (ومخاطبتهم) حتى بلغوهم عن الله ثم أثبت هذا بقوله (قال الله تعالى ولو جعلناه) أي النبي صلى الله عليه وسلم المرسل اليهم (ملكا) أي قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا (لجعلناه رجلا أي لما كان الا في صورة البشر) تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان الملك يتصور باي صورة أراد ثم بين وجهه بقوله (الذين يمكنكم) بحسب الطاقة البشرية (مخالطتهم) أي معاشرتهم والاختلاط معهم وفي نسخة مخاطبتهم وفي أخرى مخالتهم أي اتخاذهم اخلاء وهي متقاربة معنى (اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته) الاصلية التي خلق عليها ابتداء (وقال) الله تعالى (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الآيات التي ألقمتهم الحجر فقالوا لم يرسل الله ملكا يبلغ أوامره ونواهيه فقال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان أهل الارض ملائكة من جنسهم كما قال المصنف رحمه الله تعالى (أي لا يمكن في سنة الله) أي طريقته وعادته المستمرة (ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله (أو من خصه الله) معطوف على من هو من جنسه أي خصه بنفس قدسية ملكية (واصطفاه) أي اختاره من نوع البشر لتلقي وحيه من الملك (وقواه على مقاومته) أي مقاومة الملك ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس (كالانبياء والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وأرواح ملكية فكانوا دون غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال (فالانبياء

والرسل وسائط بين الله تعالى) أى بواسطة ملائكته (وبين خلقه أى) المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم أوامره) أى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) أى على طاعتهم (ووعيده) أى على معصيتهم (ويعرفونهم بما لا يعلمون من أمره) أى من أمر ذاته وصفاته وأفعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) أى وما لم يعلموه من أحوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) أى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) أى علو شأنه ظهور برهانه (وجبروته) أى قهره وقدرته (وملكوته) أى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) أى الانبياء (وأجسادهم وبنيتهم) أى أبدانهم المركبة من أشباحهم وأرواحهم أو الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) أى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) أى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) أى واو له عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح وأما الاشباح فقد ورد أن الارض لا تأكل أجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الآدمية أى من القوى الشهوية والغضبية

والرسل) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (وسائط بين الله وبين خلقه) وتوسطهم لامره وانهم (يبلغونهم) عن الله (أوامره ونواهيه) أى كل أمر ونهى لهم وفى كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على أوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على أمور ولم يوافقهم عليه أحد من النحاة وأهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحح بوجهين أحدهما انه جمع آمر اسم فاعل لما لا يعقل وسمى القول أمرا مجازا وكلامهم لا يدل عليه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية أى صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيده وقيل انه جمع الجمع فجمع آمر على امر ككاتب ثم جمع على أوامر ككاتب فهو فواعل أو افاعل وقال الاصفهانى فى شرح المحصول ان هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجاز اتكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم أيضا ذكرنا لهذا (ووعده ووعيده) الوعد يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله (ويعرفونهم ما لم يعلموه من أمره) هو الفعل والشان وأحد الامور كما مر أى أقواله وأفعاله فيما سبق قضاؤه فى كل شئ وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله (وخلقه) وعالم ما أبدعه الله تعالى من غير مادة وتولد من أصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال الله تعالى ألا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد (وجلاله) أصل معناه العظمة وهو فى صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية أو ما يعمهما وقال الغزالى فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كماله فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره (وسلطانه) أى قهره وغلبته أو حجته الباهرة أو ملكه أى انهم يبينون للناس ذلك (وجبروته وملكوته) التاء فيه زائدة أى كونه جبارا قهارا ومالك الملك الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله (فظواهرهم) أى ما يظهر من حال أنبياء الله ورسله وصفاتهم (واجسادهم) أى ذواتهم الظاهرة المشاهدة (وبنيتهم) بكسر الباء أى هيئة تركيب أبدانهم التى خلقهم الله تعالى عليها لانه بناء الله تعالى وهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس (متصفة باوصاف البشر) من الخلق والتركيب ونحوه (طارئ) بهمزة فى آخره وابدالها ياء أى حادث متجدد (عليها ما يطرؤ على البشر) لان الاجسام كلها متساوية فى قبول ذلك (من الاعراض) جمع عرض والمراد به مطلق الآلام أو ما لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطباء الامراض (والاسقام) جمع سقم وسقم كحزن وحزن (والموت والفناء) الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى أو وجودى كما بين فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله ٭ ذو الجهل ميت وثوبه كفنه ٭ وأما الفناء فهو تفرق الاعضاء وتفتتها حتى تضمحل وهذا لا يكون فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء كما ورد فى الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغى للمصنف رحمه الله تعالى ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفناء هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفانى الآن اقترانه بالموت يبعده (ونعوت الانسانية) جمع نعت وفسره النحاة واللغويون بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله تعالى ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرؤ من العوارى وهذه قضية مطلقة فلا يقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهى ما يفسخ بها النكاح

(وأرواحهم و بواطنهم متصفة باعلى) أى باوصاف أعلى (من أوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى
وهو الاولى (منشبهة) يروى مشتبهة (بصفات الملائكة) أى فى دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفى القوة على الطاعة
والعبادة من غير الملالة ففى البخارى انه أعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) أى تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات)
أى المنافية لارباب النبوات وأصحاب الفتوات (لا يلحقها) أى أرواحهم وأشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح
الضاد وضمها أى فتورها وقصورها فهم أتم افعالا وأصدق أقوالا وأكمل أحوالا الا أنهم قد يغشاهم
فترة لطبيعتهم على نعت
العلة لكن لا تخرجهم
من كمال القوة وعلو الهمة
(اذلو كانت بواطنهم)
أى أسرارهم العلية
(خالصة للبشرية) أى
من دواعيها (كظواهرهم)
أى لزوم مراعيها (لما
أطاقوا الاخذ) أى أخذ
العلم وتلقى الوحى (عن
الملائكة ورؤيتهم)
بالنصب أى ولا أطاقوا
ملاقاتهم (ومخاطبتهم)
أى مكالمتهم (ومخالتهم)
بتشديد اللام أى
مخالطتهم كما فى نسخة
مخاللتهم بالفك وهى
موادتهم ومصاحبتهم
(كما لا يطيقه) أى ماذكر
من الاخذ وما بعده
(غيرهم) أى غير الانبياء
من البشر) أى ولو كانوا
من الاولياء (ولو كانت
أجسامهم) أى أجسادهم
كما فى نسخة (وظواهرهم)
أى أبشارهم (متسمة)
أى متصفة (بنعوت
الملائكة وبخلاف
صفات البشر لما أطاق البشر) أى من غيرهم (ومن أرسلوا) بصيغة المجهول (اليه) (ومن
أى من أممهم (مخالطتهم) وفى نسخة مخاطبتهم أى الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) أى مما يدل على هذا (من قول الله
تعالى) أى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
(فجعلوا) بصيغة المجهول أى خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية
فجعلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أى متشاركين

كالبرص والجذام والعمى وأما ما أصاب أيوب و يعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك
و يعقوب انما ضعف بصره وقيل ان بعضهم يطرؤ عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتداء
الدعوة والحق انها لا تطرؤ عليهم أصلا (وأرواحهم و بواطنهم) كالقلب والدماغ وما لا يدرك بالحواس
الظاهرة والباطن خلاف الظاهر (متصفة باعلى من أوصاف البشر) أى باوصاف أعلى منها من
الفضائل الروحانية والتبرى من العلائق الجسمانية كحب المال والتنعم بالمآكل والمشارب
فأرواحهم و بواطنهم (متعلقة بالملا الاعلى) هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها
قال الراغب الملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة و بهاء (متشبهة بصفات الملائكة) فى القوة
والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون الا ما يؤمرون غالبا (سليمة من
التغير) أى تبدل أحوالهم الصالحة بغيرها (والآفات) وهى النقائص (لا يلحقها) أى لا تطرؤ على
أرواحهم و بواطنهم (غالبا عجز البشرية) كالجبن والخوف المفرط من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه
قد يلحقهم شئ منه كما فى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة (ولا ضعف الانسانية) فانه لا يلحقهم وان
كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم شئ من ذلك بحسب الجبلة البشرية ولا يخرجهم عن كمال
القوة والهمة (اذ لو كانت بواطنهم) أى أمورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا (الخالصة للبشرية
كظواهرهم) وظواهر غيرهم و بواطنهم (لما أطاقوا الاخذ) أى قدروا على تلقى الوحى (عن الملائكة
ورؤيتهم ومخاطبتهم) أى مكالمتهم (ومخالطتهم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وألف ولام مشددة مفاعلة
من الخلة بالضم وهى اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه و بين المحبة و يجوز مخاللتهم
بفك الادغام كما مر والاول أفصح (كما لا يطيقه) أى وما بعده (غيرهم) أى غير الانبياء (من البشر)
اضعف أرواحهم و بواطنهم (ولو كانت أجسامهم) أى الانبياء وفى نسخة أجسادهم (وظواهرهم
متسمة) أى موصوفة مستعار من السمة وهى العلامة والوسم بمعنى الكى (بنعوت الملائكة) أى
صفاتهم الذاتية وهيئتها الحقيقية (و بخلاف صفات البشر) مما خلقت عليه الملائكة وصورهم التى
صوروا عليها عظما ونورانية (لما أطاق البشر) غير الانبياء (ومن أرسلوا) أى الانبياء (اليهم) من أممهم
(مخاطبتهم) ورؤيتهم ومخالطتهم (كما تقدم من قول الله تعالى) يعنى قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه
يمكن البشر رؤيته كما كان يأتى بصورة دحية و تراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا
لا يتم ان لو كان رؤيتهم مخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد فى القرآن والحديث خلافه وقد رآهم
بعض الصالحين وأصحاب الرياضة خلط وخبط ناشئ من عدم الفهم (فجعلوا) أى الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم أجمعين (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) أى موافقين لهم فى صورتها

(ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) أى متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشابهة كلها فى الروحانية والقوى الباطنية حتى انها قوار قوتهم ومخالطتهم ومخاللتهم (كما قال صلى الله عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى وغيره يشهد بمخالته للملائكة (لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) فانه أقرب الناس اليه وأصدقهم محبة له وأعظمهم مواساة له بماله ونفسه وأسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه خليلا لم يتخذ أحدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر بباطنه فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفى خلة أبى بكر من انه لامناسبة بينه وبينه فقال (ولكن) بينى وبين أبى بكر (اخوة الاسلام) أى ان لم يكن خليلى فهو أخى فى محبة الله وفى دين الاسلام لاشتراكه معى فى محبة الله تعالى وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر أى كونه أخا لى ويقال خوة بضم الخاء وحذف الهمزة وهى لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض ومغاربها وتسمع أطيط السماء وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام اذا أراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء ولما نفى الخلة عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه استدرك توهم ثبوتها لغيره من الناس فقال (لكن صاحبكم خليل الرحمن) وقال صاحبكم ولم يقل ولكنى وهو أخصر وأظهر اشارة الى أن مناسبته لهم بحسب الظاهر وانه بين أظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى أن خلته لله برحمته وبخلقه بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخال المحبة فى باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله تعالى عما سواه وهذا لا ينافى ما ورد فى حديث آخر لم يكن نبى الا وقد اتخذ من أمته خليلا الا ان الله تعالى اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفى للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله فى أمور الدنيا وأيضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وأبو بكر رضى الله تعالى عنه خليله بمعنى الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول أو انه كان خليله أولا ثم تمحضت خلته بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للمقاربة فان أول الحديث كما فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس فقال ان الله تعالى عز وجل خير عبده بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه فعجبنا لبكائه من اخبار عن عبد خير فكان أعلمنا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر وهو نص منه صلى الله تعالى عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له بصيرة (وكما قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكى وظاهره بشرى (تنام عيناى) بتغميض الاجفان والنوم ظاهر (ولا ينام قلبى) لبقاء احساسه وتعلقه بالملأ الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام أعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به فى حديث البخارى فليس ذلك من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهمه القضاعى ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله تعالى عليه وسلم بشرى وباطنه ملكى ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نومه استحبابا أو تعليما لغيره أو لعروض ما يقتضيه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان فى النهى عن صوم الوصال فى الصوم مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم له (انى لست كهيئتكم) أى لست فى حالى وأمورى مثلكم فان لى خواص خصنى الله تعالى بها كرامة منه وأصل معنى

أى فيما رواه البخارى وغيره (لو كنت متخذا من أمتى خليلا) أى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت أبا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) أى حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) أى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال) أى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة وأنس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) أى على صفتكم وماهيتكم

انى أظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى أصير وأداوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبر به لأظل ان كانت ناقصة أو على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع وألم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه أى أو بايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يتلوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوت لانه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية أبيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) أى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى المملة على الاجسام الحيوانية (وهذه) أى النبذة (جملة) أى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) أى علية (بل الاكثر) أى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) أى الكلام فى أحوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق بأفعالهم (على ما نأتى به) أى نبينه ونذكره (بعد هذا) أى البيان الاجمالى (فى البابين) أى الموضوعين للمقام التفصيلى (قال بعون الله تعالى) أى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) أى الله ربى (حسبى) كافى أمرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) أى هو أفضل من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

الهيئة الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية بتنزيل المعقول منزلة المحسوس ثم بين ذلك بقوله (انى أظل) بفتحتين أى أكون (عند ربى) خص الرب اشارة الى تربيته له باعطائه ما يقويه فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله ونحوه (يطعمنى ويسقينى) أى يهبنى قوة على ذلك حتى أكون كأنى أكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافى الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان قوله أظل يأباه بحسب الظاهر وان أمكنه التجوز فيه لان ظل حقيقة فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به أحد وهذه القوة تدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملكى الباطن وقول ابن حبان وغيره اذا أعطاه الله تعالى قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم أجر فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له فى اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا له مما شكاه وشد الحجارة على بطونهم أمر ثابت فى أحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف ألم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعائه من الارتخاء ولا ينافى هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فان فى الصوم رياضة وانجذابا للملأ الاعلى واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع ألا ترى المريض يمكث أياما لا يأكل ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ فى آخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية روحانية واستبعد القرطبى ما قيل ان الله تعالى عز وجل يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن أكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده (فبواطنهم) أى بواطن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم (منزهة عن الآفات) أى ما ينقص قواهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) أى العلل المضعفة لهم (فهذه جملة) فيما يختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا (لن يكتفى بمضمونها) أى ما تضمنته ودلت عليه (كل ذى همة) فى تحصيل الفضائل (بل الاكثر يحتاج الى بسط) أى تطويل (وتفصيل على ما نأتى به) صفة لبسط وتفصيل أى تفصيل على نهج ما نأتى به (بعد هذا فى البابين) المذكورين عقب هذا (بعون الله) أى اعانته على ما قصده (وهو حسبى ونعم الوكيل) الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

(الباب الاول)

فيما يجب للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم (فيما يختص بالامور الدينية) أى ما هو من الدين والشرائع النبوية (والكلام فى عصمة نبينا) أى وفى الكلام فى عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (و) فى عصمة (سائر الأنبياء) أى باقيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) والعصمة قالوا تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية أو خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث أن يلجئه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف كما قاله الماتريدى ويأتى الكلام على ذلك مبسوطا

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه) يعني المصنف وهذا من ملحقات بعض تلامذته كما أشير إليه بالترضية عنه (اعلم ان الطوارئ) بالهمزة جمع الطارئ وهو ما يطرأ أو يحدث (من التغيرات) أي الموجبة للغثورات ويروى التغييرات بيائين والاولى هو الاولى كما لا يخفى (والآفات) أي الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) أي عوامهم

ويروى الاجساد البشر أي ابدانهم (لا يخلون تطرأ) أي من ان تعرض (على جسمه) أي جسم البشر (أو على حواسه) وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) أي من البشر بل يخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) أي الاوجاع والآلام (أو بقصد واختيار) أي أو ان تطرأ بهما (وكله) أي وكل ما ذكر مما يطرأ بغير اختيار أو باختيار (في الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) أي دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة أنواع) أي باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) أي جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) أي يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) أي الاعضاء والاركان (وجميع البشر) أي افرادهم من خواصهم وعوامهم (تطرأ عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة أي الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (في هذه الوجوه كلها والنبي) أي جنسه (وان كان من البشر) أي من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فموحدة وبلام مشددة أي خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) أي سائرهم (وقد قامت البراهين القطعية) أي الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) أي ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات

(قال القاضي أبو الفضل) المصنف عياض رحمه الله تعالى بتمهيد مقدمة لما سيأتي (اعلم ان الطوارى) أي ما يحدث من غير ما قارن خلقته (من التغيرات) المغيرة لما خلق عليه (والآفات) جمع آفة وهي ما يفسد ما اصابه والمأوف ما اصابته وانكره أبو حاتم وقال انما هو مئيف كما هو في افعال السرقسطي (على آحاد البشر) بالمد جمع ابدات واوه همزة ثم الفالانه من الوحدة أي افرادهم واشخاصهم (لا يخلوان تطرأ على جسمه) أي ظاهر بدنه وجسده (أو على حواسه) جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة (بغير قصد واختيار) بل يخلق الله الماقبه (كالامراض والاسقام) السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى (أو تطرؤ بقصد واختيار) كافعال العبد واعماله (وكله) أي كل ما يطرؤ باختيار وغيره (في الحقيقة) أي حقيقة الامر في الواقع (عمل وفعل) قال في القاموس الفعل بالكسر الانشاء وكناية عن كل عمل فهما على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شئ من عمل أو غيره فهو اعم وقال الخوى الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما تكرر وطال زمنه وقيل الفعل يختص بمعقل ورد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث يا أبا عمير ما فعل النغير (ولكن جرى رسم المشايخ) أي استمرت عادتهم والرسم التصوير بكتابة ونحوها والفقهاء استعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلماء (بتفصيله) أي تفصيل ما يطرأ (الى ثلاثة أنواع) الاول (عقد بالقلب) أي نيته نية جازمة وعزما مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم (و) الثاني (قول باللسان و) الثالث (عمل الجوارح) جمع جارحة وهي العضو من اعضاء البدن من الاجتراح وهو الاكتساب (وجميع البشر تطرؤ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار) أي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم وبؤس ونصر وقهر وهذا أمر عام شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل (في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم) أي جنس النبي أو كل نبي فتعريفه جنسي أو استغراقي وليس المراد نبينا خصوصا لاستوائهم فيما ذكر (وان كان من جنس البشر ويجوز على جبلته) بكسر الجيم وكسر الباء الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة (ما يجوز على البشر) سواء وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز والذي تقدم (فقد قامت) أي تحققت وظهرت (البراهين) جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم (القاطعة) أي القطعية الدلالة على ما ثبت بها (وتمت كلمة الاجماع) أي انعقد اجماع من يعتد باجماعه واتفقوا عليه حتى كان كلامهم كلمة واحدة تامة (على خروجه عنهم) أي خروج النبي عن جنس البشر غيره (وتنزيهه) أي تبريته بنفي ذلك عنه وتبعيد ساحته (عن كثير من الآفات) أي

العوارض التى تطرؤ على البشر فتنقص مقاماتهم العلية (التى تقع) أى تصدر وتحقق
فى الواقع والخارج (على الاختيار وعلى غير الاختيار) لتكريم الله لهم
بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة
(كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتى به) من هذا
الكتاب وهذا القسم (من التفاصيل)
الموضح لها

*(تم بعون الله الجزء الثالث من شرح الشفا ويليه الجزء الرابع أوله
فصل فى حكم عقد قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)*

التى تقع على الاختيار)
اى لعصمة الله تعالى
لهم منها (وعلى غير
الاختيار) أى لكرامتهم
على الله سبحانه فيها
(كما سنبينه ان شاء الله
تعالى فيما ناتى به من
التفاصيل) اى تبيين
كل منهما فى فصل على حدة

(فهرس الجلد الثالث من شرح الشفا للشهاب)

صحيفه

٢ فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس

١٤ فصل فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم

٢٨ فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه

٤٠ فصل فى كلام الشجر وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم

٥٨ فصل فى قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم

٦٥ فصل ومثل هذا وقع فى سائر الجمادات

٧٣ فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات

٩٠ فصل فى احياء الموتى

١٠٢ فصل فى ابراء المرضى

١١٣ فصل فى اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم

١٣١ فصل فى كراماته صلى الله عليه وسلم الخ

١٥٠ فصل ومن ذلك مااطلع عليه من الغيوب الخ

٢٠١ فصل فى عصمة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم من الناس وكفايته من آذاه

٢٢٣ فصل ومن معجزاته الباهرة ماجمعه الله من العلوم والمعارف الخ

٢٤٠ فصل ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة

٢٥٦ فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ماترادفت الخ

٢٧٤ فصل ومن ذلك ماظهر من الآيات عند مولده

٢٨٦ فصل قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى قد أتينا فى هذا الباب

٣٠١ القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام

صحيفة

... الباب الاول فى فرض الايمان به ووجوب طاعته

٣١١ فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به

٣١٨ فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته

٣٢٩ فصل واما ماورد عن السلف والائمة من اتباع سنته الخ

٩٢٣ فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب

٣٤٣ الباب الثانى فى لزوم محبته صلى الله تعالى عليه وسلم

٣٤٧ فصل فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم

٣٥٠ فصل فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له

٢٥٧ فصل فى علامات محبته صلى الله تعالى عليه وسلم

٣٧١ فصل فى معنى المحبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها

٢٧٧ فصل فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم

٣٨٣ الباب الثالث فى تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

... فصل فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله

٣٩٦ فصل واعلم ان حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم

٤٠٢ فصل فى سيرة السلف فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته

صحيفه

٤٠٨ فصل ومن توقيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبره برآله

٤٢٠ فصل ومن توقيره وبره توقير أصحابه الخ

٤٣٢ فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع أسبابه الخ

٤٤٣ الباب الرابع من القسم الثانى فى حكم الصلاة عليه والتسليم لديه

٤٤٦ فصل اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة

٤٥٦ فصل فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام على رسول الله عليه السلام ويرغب

٤٦٩ فصل فى كيفية الصلاة عليه والتسليم

٤٨٧ فصل فى فضيلة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له

٤٩٤ فصل فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم واثمه

صحيفه

٤٩٨ فصل فى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ من صلى عليه صلاة أوسلم من الانام

٥٠٤ فصل فى الاختلاف فى الصلاة على غير النبى وسائر الانبياء عليهم السلام

٥١٠ فصل فى حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

٥٢٥ فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ماقدمناه

٥٤١ القسم الثالث فيما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم ومايستحيل أو يجوز عليه وما يمتنع

٥٤٦ الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

(تمت)